

1234

1235

1236

1237

1238

1239

1240

1241

1242

1243

1244

1245

1246

1247

1248

1249

1250

1251

1252

1253

1254

1255

1256

1257

1258

1259

1260

1261

1262

1263

1264

1265

1266

1267

1268

1269

1270

1271

1272

1273

1274

1275

1276

1277









إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ  
لِلْإِسْلَامِ الْفَكَزَالِي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

يعلم

الدكتور عبدوني طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

### ابجز الثالث

دار الخزانة العامة العربية

میسو البانی الجلبنی و شیرکاه

وَأَنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِبَنٍ كَانَ لَهُ قَلْبٌ  
(فكان كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب شرح عجائب القلب)  
وهو الأول من ربيع للهالكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تحرير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر ، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره  
الأحداق والنواظر ، للطلع على خفيات السرائر ، العالم بمكنونات الضمائر ، للستخ في تدبير مملكته  
عن الشاور والوازر ، مقاب القلوب وغفار الذنوب ، وستار العيوب ، ومفرج الكرب . والصلاة  
على سيد الرساين ، وجامع شمل الدين ، وقاطع دابر للحددين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ،  
وسلم كثيرا .

أما بعد : فشرى الانسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستمداده لمعرفة الله  
سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكاله وطره وفي الآخرة عذته وذخره وإنما استمد للمعرفة بقلبه لا بهارحة  
من جوارحه ، فالقلب هو العالم بالله وهو للتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو  
للكشف بما عند الله ولديه ، وإنما الجوارح أفعال وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها  
استعمال المالك للبعد واستخدام الراعي للرعية والصانع للألة فالقلب هو للقبول عند الله إذا سلم من  
غير الله وهو المحبوب عن الله إذا صار مستترقا بغير الله وهو اللطاب وهو الخاطب وهو اللطاب وهو  
الذي يسجد بالتقرب من الله فيقول إذا ذكره وهو الذي يحب ويشق إذا دله وساء وهو اللطاب  
بالحقيقة لله تعالى وإنما الذي ينشكر على الجوارح من العبادات أنواره ، وهو العاصي للتمرد على  
الله تعالى وإنما الساري إلى الأعضاء من القواحي آثاره ، وباطلامه واستنارته تظهر عمارات الظاهر  
وساويه إذ كل إناء ينشع بما فيه ، وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه  
قد عرف ربه وهو الذي إذا جهه الانسان قد جهل نفسه وإذا جهل نفسه قد جهل ربه ومن جهل  
قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن  
الله يحول بين المرء وقلبه ويحولته بأن ينم عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تظليه  
بين أصبين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوى مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين  
وكيف يرفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الثلاث للقرين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه وبراعيه  
ويرصد لما يلوح من خزان لللكوت عليه وفيه فهو بمن قال الله تعالى فيه . نسوا الله فأنساهم أنفسهم  
أولئك هم الفاسقون . لمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين . ولذا فرغنا

[ الباب الثلاثون في  
تفاصيل أخلاق  
الصوفية ]  
من أحسن أخلاق  
الصوفية التواضع ولا  
يلبس البديلة أفضل  
من التواضع ومن تفر  
بكنز التواضع والحكمة  
يقيم نفسه عند كل  
أحد مقدارا يعلم أنه  
قيمه وقيم كل أحد  
على ما عند من نفسه  
ومن رزق هذا قد  
استراح وأراح وما  
يعقلها إلا العالمون .  
أخبرنا أبو زرعة عن  
أبيه الحافظ القدسي  
قال أنا عثمان بن عبد الله  
قال أنا عبد الرحمن  
ابن إبراهيم قال ثنا  
عبد الرحمن بن حمدان  
قال ثنا أبو حاتم الرازي

(كتاب شرح عجائب القلب)

من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والمعادات وهو العلم الظاهر ووعدا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات للهيكات والنجيات وهو العلم الباطن فلبدأنا تقدم عليه كتابين كتابا في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه ثم تدفع بعد ذلك في تفصيل الهيكات والنجيات فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال مأخوذ من الأفهام فإن التصريح ببجائبه وأساره الباطنة في جملة عالم للسكرات مما يكل عن ذكره أكثر الأفهام .

( بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، وما هو الراد بهذه الأسماء )

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب ، ويقل في غلغلة السواء من محيط بهذه الأسماء واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها ، وأكثر الأفاضل يمشوها الجهل بمنى هذه الأسماء واشتركا بين مسميات مختلفة ونحن نشرح في معنى هذه الأسماء ما يتعلق بفرسنا . لفظ الأول : لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين : أحدهما اللحم الصوري الشكل للوع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، ولنا قصد الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للبيت ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نمن به ذلك فانه قسمة لم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين . والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسدي تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو للدرك العالم المعارف من الانسان وهو الخاطب والمعايب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسدي وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك الوجه علاقه فان تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالوصفات أو تعلق المستعمل لآلة بالآلة أو تعلق التمكن بالمكان وشرح ذلك مما توفاه لمعنيين : أحدهما أنه متعلق بعلوم للكشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب الإلغاف للعلماء . والثاني أن حقيقته يستدعى إنشاء سر الروح وذلك مما يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فليس لغيره أن يتكلم فيه ، وللقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم العلماء يغتر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يغتر إلى ذكر حقيقتها . اللفظ الثاني : الروح وهو أيضا يطلق فيما يتعلق بمنس غرضنا لمعنيين : أحدهما جس لطيف منبه تجويف القلب الجسدي فينشر بواسطة الروق الضواري إلى سائر أجزاء البدن وجرياته في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منى إلى أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا يتنهي إلى جزء من البيت إلا ويستقر به والحياة مثلهما النور الحاصل في المحيطان والروح مثلهما السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو غار لطيف أفضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ يتعلق به غرض الأطباء الذين يسألون الأبدان ، فأما غرض أطباء الدين للعالمين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلا . المعنى الثاني هو اللطيفة العالمة للدرك من الانسان وهو الذي

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في الروح متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح وفيه فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرد عليهم فقلت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم .

قال ثنا النضر بن عبد الجبار قال أنا ابن لمية عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى أوحى إلى أن تواسوا ولا يضى بضكم على بعض » وقال عليه السلام في قوله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني - قال على البر والتقوى والرحمة وذلة النفس ، وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيب دعوة امرء والبيد وقبل الهدية ولو أنها جرع لبن أو غدا رب ويكلى عليها وأكلها

شرحه في أحاديث القلب وهو الذى أراد الله تعالى بقوله - قل الروح من أمرى - وهو أمر  
عبيد بن عمير أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته . اللفظ الثالث : النفس وهو أيضا مشترك  
بين معانٍ ويشمل في مرثانته مضاف : أحدهما أنه يراد به القوى الجامع لقوة التقبض والشبهة في الإنسان  
على مسمى شرحه وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع  
لصفات الذنومة من الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه  
السلام « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبك » (١) . للثاني هو اللطيفة التى ذكرناها التى هى  
الإنسان بالحقيقة وهى نفس الإنسان وذاته ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها  
فإذا سكنت تحت الأمر وذالها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس اللطيفة قال الله تعالى  
في مثلها - يأتينا النفس اللطيفة ارجى لى ربك راضية مرضية - والنفس بالمعنى الأول لا يتصور  
رجوعها إلى الله تعالى فاتها مبعدة عن الله وهى حارب الشيطان وإذالم يتم سكوتها ولكنها صارت  
مداخلة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند قصوره في عبادة  
مولاه قال الله تعالى - ولأنفس الناس اللوامة - وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لفتنى  
الشهوات ودواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام  
أوامرته المزمنة - وما أرى نفسى إن النفس لأمرأة بالسوء - وقد يجوز أن يقال للراد بالأمارة بالسوء  
هى النفس بالمعنى الأول فاذن النفس بالمعنى الأول مذبذبة غاية السوء بالمعنى الثانى محمودة لأنها نفس الإنسان  
أبداً وحقيقته العالة بالله تعالى وسائر الملوامات . اللفظ الرابع : العقل وهو أيضا مشترك لمعان مختلفة  
ذكرناها في كتاب العلم ، وللتأنيق في مرثانته من جعلها معنيين : أحدهما أنه قد يطلق ويراد به العلم بمقتضى  
الأمر فيكون عبارة عن صفة العلم الذى يحل عليه القلب . والثاني أنه قد يطلق ويراد به الدرك للعلوم  
فيكون هو القلب أى تلك اللطيفة ، ونحن نعلم أن كل عالم لله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه والعلم  
صفة حاله فيه والصفة غير اللوصف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الإدراك  
أعني الدرك وهو للراد بقوله عليه السلام « أول ما خلق الله العقل » (٢) فإن العلم عرض لا يتصور أن يكون  
أول خلق بل لا بد وأن يكون المحل خلقا قبله وأومس ولأنه لا يمكن الخطاب به وفي الخبر أنه قاله تعالى  
أقبل فأقبل ثم قاله أدبر فأدبر الحديث فاذن قد انكشف أن معنى هذه الأسماء موجودة وهى القلب  
الجباني والروح الجباني والنفس الشهوانية والعلوم فهذه أربعة معانٍ يطلق عليها الألفاظ الأربعة  
ومعنى خامس : وهى اللطيفة العالة للدرك من الإنسان والألفاظ الأربعة بمعناها تتواردها على المعاني خمسة  
والألفاظ الأربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين وأكثر العلماء قد اتفقت عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها  
فترام يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر  
النفس وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قد قمنا شرح هذه  
الأسماء حيث ورد في القرآن والسنة لفظ القلب فالراد به الذى الذى يغتنى من الإنسان ويعرف حقيقة  
الأشياء وقد يكتفى عنه القلب الذى فى الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فاتها وإن  
كانت متعلقة بأثر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فحقها الأول بالقلب وكأنه عليها  
وتملكها وعالمها ومطيها والملك شمس سهل التسترى القلب بالعرض والصدر بالكرسى فقال القلب هو العرض  
(١) حديث أعدى عدوك نفسك التى بين جنبك البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه  
محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين (٢) حديث أول ما خلق الله العقل وفي الخبر أنه قال  
له أقبل فأقبل وقال أدبر فأدبر الحديث تقدم في العلم .

ولا يستكبر عن إجابة  
لأمة ولكن وأخبرنا  
أبو زرعة إجازة عن  
ابن خلف إجازة عن  
السلي قال أنا أحمد بن  
علي القرطبي قال أنا أحمد  
ابن الليث قال حدثني  
أبي عن محمد بن جابر  
الجباني عن سليمان بن  
عمرو بن شبيب عن  
أبيه عن جده قال قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن من  
رأس التواضع أن يبدأ  
بالسلام على من لقيت  
وترد على من سلم  
عليك وإن ترضى  
بالعون من المجلس وأن  
لا تعب للخدمة والتزكية  
والبر » وورد أيضا عنه  
عليه السلام « طوبى  
لمن تواضع من غير

والصدر هو الكرسي ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فان ذلك حال بل أراد به أنه ملكه والمجرى الأول لتدبيره وتصرفه فها بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه أيضا إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضا لا يليق بفرعنا فلتجاوزوه .

### ( بيان جنود القلب )

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو قطب سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم الجنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتلق بفرعنا وله جندان جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان فهذا معنى الجند فأما جنده الشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو التصرف فيها وللرد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تمس طبعه إلا خلافا ولا عليه تمردا فافذا أمر العين بالافتتاح انفتح وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم بالحكم يتكلم وكذا سائر الأعضاء وتنفير الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير للاتباع لله تعالى فانهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يصون الله ما أمرهم ويضلون ما يؤمرون وإنما يفتقران في شيء وهو أن لا لا تسخر عليهم السلام طاعة بطاعتها وامثالها والأجنان تطيع القلب في الافتتاح والانطباع على سبيل التسخير والآخر لها من نفسها ومن طاعتها القلب وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقر إليه للركب والازداد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع التنازل إلى لقاءه فلا جله خلقت القلوب قال الله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وإنما مركبة البدن وزاده العلم وأنما أسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من الزود منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى القسبة بغيره ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى قاله نبي مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت دنيا لأنها أدنى للزئين فاضطر إلى أن يزود من هذا العالم فالبدن مركبة الذي يصل به إلى هذا العالم فاقتصر إلى تعهد البدن وحفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فاقتصر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والأعضاء الجارية للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات فاقتصر لأجل دفع الشهوات إلى جندين باطن وهو النضب الذي به يدفع للشهوات وينظم من الأعداء وظواهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى النضب وكل ذلك بأمر خارجة فالجوارح من البدن كالأسلحة تجريها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفع شهوة الغذاء وإنما افتقر للمعرفة إلى جندين باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم والذوق وظواهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمه فيها يطول ولا نغوي مجلدات كثيرة وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع للواقع كالشهوة وإما إلى دفع الضرر للناقي كالنضب وقد عبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود بيثوة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار والثالث هو اللدك للتعرف للأشياء كالحواس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق والشم وهي بيثوة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والعظم والصب

منقصة وذلك في نفسه  
من غير ممكنة مثل  
الجند عن التواضع  
قال خفض الجناح  
ولين الجانب . وسئل  
القبيل عن التواضع  
قال تخضع لحق  
وتقاد له وتقبله عن  
قاله وتسمع منه . وقال  
أيضا من رأى نفسه  
قيمة قليل في  
التواضع نصيب . وقال  
وهو بن عبه مكتوب  
في كتب الله إلى  
أخرجت الدر من  
صلب آدم فلم أجد قلبا  
أشد تواضعا إلى من  
قلب موسى عليه  
السلام لذلك أصله  
وكلمته ، وقيل من  
عرف كوامن نفسه  
لم يطع في الصلو

والدم والنظم التي أعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما هي بالعين وكلما سائر القوى ولنا تسكيم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فثما من عالم الملك والشهادة وإنما تسكيم الآن فيما أيجت به من جنود لم نرها وهذا الصف الثالث وهو الدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن للنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة وهي تجاريف الدماغ وهي أيضا خمسة فان الإنسان يسرى إلى الشيء فيضم عنه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم يبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض ثم يذكر ما قد نسيه ويورد إليه ثم يجمع جمعة من المحسوسات في خياله إلى الحس المشترك بين المحسوسات في الياطن حس مشترك وتخيّل وتذكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والتذكر والتخيّل لكان الدماغ مخلوعه كما تخول الديو الرجل عنه فذلك القوى أيضا جنود باطنة وأما كثرها أيضا باطنة فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدرك فهم الشفاء يضرب الأمثلة بطول ومقصود مثل هذا الكتاب أن يتبين به الأفوياء والفعول من الماء ولكننا نتجهد في ضمير الشفاء يضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم .

#### ( بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة )

اعلم أن جندي النضب والشهوة قد يتقادان للقلب أحيادا تاما فبعض ذلك على طريقة الذي يسلكه ونحن مرافقهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستصيان عليه استصاء بني وتجدد حتى يسلكه ويستبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد والقلب جندا آخر هو العلم والحكمة والتفكير كما سيأتي شرحه وحقه أن يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى في الجندين الآخرين فاتهما قد يلتفتان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جنود النضب والشهوة هلك شيئا وخسر خسرانا مبينا وذلك حالة أكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استبطاء الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يتفكر العقل إليه ونحن نهرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة . لتلك الأول : أن قول مثل نفس الإنسان في بدته أعني بالنفس اللطيفة للذكورة كقول ملك في مدينته وملكته فان البدن ملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية التفكير له كالشمس الناصب والوزير المعقل والشهوة له كالسيد السوء يجلب الطعام واللبرة إلى المدينة والنضب والحكمة كصاحب الشرطة والعبد الجالب للمعرة كذاب مكار خداع خبيث يشغل بصورة الناصب ويحتج نفسه الشر الحائل والسم القاتل ويدبته وعادته منزلة الوزير الناصب في آرائه وتدبيراته حتى لا يخلو من منزلة عتبه ومعه رسته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستنينا في تدبيراته يوزره ومستشير المومر ضاعن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلا بإشارته في أن السواب في تهيئ رأيه أدبه صاحب شرطته وسامه لوزره وجسه مؤتمرا لا مسلطا من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأصناره حتى يكون العبد موسسا لاسانها وأمورا مدبرا لا أميرا مدبرا استقام أمر بلده وانتظم العدل بسببه فكذلك النفس متى استقامت بالعدل وأدبت بحمية النضب وسلطها على الشهوة واستقامت باجداها على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة النضب وتزاوله بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بجمع الشهوة وقهرها بتسلط النضب والحكمة عليها وتضييق مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها ومن عدل عن هذه الطريقة كان كثر قال الله تعالى فيه - أفرايت من اتخذ إليه هواه وأمنه الله على علم - وقال تعالى - أتتبع هواه لفته لكل السلب إن يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى

والشرف ويسلك سبيل  
التواضع فلا يخاصم من  
يدمه ويتكر الله لمن  
يعدده وقال أبو حنيفة  
من أحب أن يتواضع  
قلبه فليسحب الصالحين  
ويلتزم بحرماتهم فإن  
شدته تواضعهم في أنفسهم  
يقتدي بهم ولا يتكبر .  
وقال لقمان عليه السلام  
لكل شيء مطية ومطية  
العمل التواضع . وقال  
التوري خمسة أخص  
أعز الخلق في الدنيا عالم  
زاهد وقبي صوفي  
وغنى متواضع وقبير  
ها كرو شريف سخي .  
وقال الجلاء لولا شرف  
التواضع كنا لإدامينا  
نظير وقال يوسف بن  
أبسط وقسطل عافية  
التواضع قال أن يخرج

- وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للأوى - وسيأتى كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسلط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى . لكنا الآن : اعلم أن البدن كالمدينة والمقل أعني للدرك من الانسان تلك مدبرها وقواه للدركة من الخواص الظاهرة والباطنة بكونه وأعوانه وأعضاؤه ورجيته والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كصوت يناديه في ملكه ويسمى في إهلاكه رعيته نصار يذنه كرباط وتتر وشهه فقم في مرابط فان هو جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد الله إذا عاد إلى الحضرة كالقالب تعالى - والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأغصم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأغصم على القاعد بنجوة - وإن ضيع قتره وأهل رعيته ثم أنه فاقم منه عند الله تعالى يقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أقمته منك (١) كما ورد في الخبر إلى هذه المجاهدة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : رجينا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (٢) لكنا الآن : مثلاً القمل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وضغبه ككبله ففي كان الفارس حاذقاً وفرمه مروضاً وكلبه مؤدباً مطاعاً كان جديراً بالنجاح ومضى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً فلا فرسه يثبت تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً فهو خلقى بأن يطع قسلاً من أن يتال ما طلب وأما أخرق الفارس مثل جهل الانسان وقلة حكته وكلال بصيرته وجماع الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والقرج وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه . نسأل الله حسن التوفيق بطلعه .

### ( بيان خاصة قلب الانسان )

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أقم الله به على سائر الحيوانات سوى الأدمى إذ للحيوان الشهوة والغضب والخواص الظاهرة والباطنة أيضاً حتى إن الشاة ترى الدب بينها فتلم عدلته بقلها فتقرب منه فذلك هو الإدراك الباطن فلذلك ما يخص به قلب الانسان ولاجه عظم شره واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والمخالفات العقلية فان هذه أمور وراء الحسوسات ولا يشارك فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الانسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدركه بالحق إلا بعض الأشخاص فحكاه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس وإذا فهمت هذا في العلم المظاهر الضروري فهو في سائر النظر ياتنا ظاهر وأما الإرادة فانه إذا أدرك بالقل قاطبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبث من ذاته شوق إلى جهة الصلحة وإلى قاطبة أسبابها والإرادة لها وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن القصد والحجامة والمقل يريد بها وبطلها ويسدل اللال فيها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين للرض والمقل يجد في شهه زاجراً عنها وليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله القمل للرف بهواق الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم القمل ضالماً على التحقيق فاذن قلب الانسان ابتن على علم وإرادة يتفك عنها سائر الحيوان بل يتفك عنها الشيء في أول القطرة وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ وأما الشهوة والغضب والخواص الظاهرة والباطنة فاتها موجودة في حق الشيء في حصول هذه العلوم فيه فدرجتان : إحداها أن يشتمل قلبه

(١) حديث يقال يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة الجرم لم أجد له أملاً (٢) حديث رجينا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر البقي في الزهد من حديث جابر وقال هذا إسناد فيه ضعف .

من يشك فلا تلق  
أحد إلا رأيته خيراً  
منك ورأيت شيخنا  
ضياء الدين أبا العجيب  
وسكنت معه في  
سفره إلى الشام وقد  
بث بعض أبناء الدنيا  
له طعاماً على رءوس  
الأسارى من الأفرنج  
وم في قيودهم قساً  
مدت السفره والأسارى  
يتنظرون الألوان حتى  
تضرب كال لخنام  
أحضر الأسارى حتى  
يقعدوا على السفرة مع  
القفره لجاء بهم  
وأضدم على السفرة  
صفا واحداً قام الشيع  
من سجاده ومشى  
إليه وقصد بينهم  
كل واحد منهم فأكل  
وأكلوا وظهر لنا على  
وجهه ما نازل بطلته

على - من العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة التبعيلات وجواز الجائزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا أنها صارت ممكنة قرية الامكان والحصول ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدولة والقلم والحروف الفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يلقها بعد . الثانية أن تحصل في العلوم للكتابة بالتجارب والفكر فتكون كالحزونة عنده فإذا علم رجوع إليها وحاله حال الخائف بالكتابة إذ يقال في كتاب وإن لم يكن مباشرا للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ولكن في هذه المرحلة مراتب لأخصى يغاوت الخلق فيها بكرة للمومات وقتها وحرف للمومات وخسبها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بالمقام إلى على سبيل للبادأة والكشفة وليسهم يتمم وأكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيئ الحصول وهذا للقيام بتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء فدرجات الترقى فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتبة التي التي لا تتكشف في كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب ومكسب بل بكشف إلى في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمضي والحقيقة والصفة بالامكان والساعة ومرافق هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه يعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به إيماننا بالنيب كما أننا تؤمن بالنبوة والتي وأصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي وكذا لا يعرف الجنتين حال العقل والعقل حال اللعين وما يغتص به من العلوم الضرورية ولللعين حال المائل وما اكتسبه من العلوم النظرية فكذلك لا يعرف المائل ما انتخب الله على أوليائه وأنبياؤه من مزايا لطفه ورحمته - ما يغتنى الله لناس من رحمة فلا يحسك لها - وهذه الرحمة مبدولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب للترجمة لتفحات رحمة الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم « إن ربكم في أيام دعركم لتفحات إلا تضرعوا لها » والتمس لها تطهير القلب وتزكيت من الخبث والكندورة الحاسية من الأخلاق للذنوب كما سيأتي بيانه وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل الله كل ليلة إلى صاه الله نيا يقول هل من داع فاستجب له » وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل « لقد طال حقوق الأبرار إلى قناني وأنا إلى قنانيهم أهد هوا » وقوله تعالى « من يهرب إلى غيرا قربت إليه ذنوبا » كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تعجب عن القلوب ليخل ومنع من جهة النعم ، تعالى عن البخل وللنعم علوا كبيرا ولكن حببت لخبث وكندورة وبخل من جهة القلوب لأن القلوب كالأواني فادست بماء لا يدخلها الموداة فقلوب الشفوة بغير الله لا تستقبلها للفرقة بجلال الله تعالى وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « ولولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » ومن هذه الجملة يتبين أن خاصة الانسان العلم والحكمة

(١) حديث إن ربكم في أيام دعركم صفات الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وقد تقدم (٢) حديث يقول الله عز وجل قد طال حقوق الأبرار إلى قناني الحديث لم أجد له أصلا إلا أن صاحب القردوس خرج من حديث أبي هريرة ولم يذكره ولمه في مسند القردوس إسنادا (٣) حديث يقول الله من يهرب إلى غيرا قربت إليه ذنوبا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لولا أن الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم الحديث أحمد من حديث أبي هريرة نحوه وقد تضمن في الصيام .

من التواضع في  
والانكسار في نفسه  
والسلامة من التكبر  
عليهم بإيمانه وعلمه  
وحكمه أخبرنا أبو زرعة  
إجازة عن أبي بكر بن  
خلف إجازة عن السلي  
قال سمعت أبا الحسين  
القراسي يقول سمعت  
الجريري يقول سمع  
هذه أهل الفرقة أن  
الذين رأس مال خسة  
في الظاهر وخسة في  
الباطن فأما اللواتي في  
الظاهر فمصدق في  
اللسان ومصدق في ذلك  
وعواض في الأبدان  
وكف الأذى واحتشاه  
بلاياها . وأما اللواتي في  
الباطن فخب وجود  
سيده خوف التراق  
من سيده ورجاء  
الوصول إلى سيده



وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفضاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار  
حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته  
التي لأجله خلق وكما أن القرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية السكر والقر  
وحسن الهيئة فيكون القرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية لأن تسقط منه زل إلى خفيض رتبة الحمار  
وكذلك الانسان يشارك الحمار والقرس في أمور ويغترقهما في أمور هي خاصية وتلك الخاصية من  
صفات اللاملكة للقرنين من رب العالمين والانسان على رتبة بين البهائم واللائكة لأن الانسان من  
حيث يتفنى وينسل قببات ومن حيث يحيى وتحركه بالاختيار الحيوان ومن حيث صورته وقامته  
فكالمسورة للقوطة على الحائط وإنما خاصيته معرفة خلائق الأشياء فمن استعمل جميع أعضاءه وقوله  
بهم وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه باللائكة تحقيق بأن يلحق بهم وجدر بأن يسمى  
ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صوابات يوصف عليه السلام بقوله - ما هذا جبراً إن هذا  
إلا ملك كريم - ومن صرف همه إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام قد انحط إلى  
خفيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثوراً وإما شرها تغزير وإما شراً ككلب أو سنوراً أو حقوداً  
كجمل أو متكبراً كتمر أو ذا روغان كسلب أو يجمع ذلك كله كشيخان مردي ومامن عضو من  
الأعضاء ولا حيلة من الحواس إلا ويكمن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سأتى  
بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة  
السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه  
والأعضاء خدمه فيستقر هو أعلى للدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكة كالملك ويجرى  
القوة الحافظة للودعة في مقدم الدماغ يجري صاحب برده إذ تجتمع أخبار الحواسات عندهم ويجرى  
القوة الحافظة إلى مسكنها مؤخر الدماغ يجري خازنه ويجرى اللسان يجري ترجمانه ويجرى الأضواء  
المتحركة يجري كتابه ويجرى الحواس الخمس يجري جواسيسه فيؤكل كل واحد منها بأخباره من  
الأمعاء فيؤكل العين بآلام الألوان والسمع بآلام الأصوات والشم بآلام الروائح وكذلك سائر أعضائها  
أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الحافظة التي هي كصاحب البريد  
ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فينتبس الملك منها  
ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإنما سفره الذي هو بصدده وقع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع  
قواطم الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موقفاً سعيداً كما كرامته الله وإذا عطل هذه الجهة  
أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ المادية أو في عمارة طريقه  
دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة كان عذولاً هتياً كافرأجمة  
الله تعالى مضياً لجنود الله تعالى تاصراً لأعداء الله مخذلاً لحرب الله فيستحق القتل والبادي للقتال  
وللما نودى بالله من ذلك وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال دخلت في عائشة  
رضي الله عنها فقلت للانسان عيناه هاد وأذناه تقع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه يريد  
والقلب منه ملك (١) فإذا طاب لللك طابت جنوده قالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول . وقال على رضي الله عنه في تبديل القلوب : إن لله تعالى في أرضه آية وهي القلوب فأحبها

(١) حديث عائشة الانسان عيناه هاد وأذناه تقع ولسانه ترجمان الحديث أبو نعيم في الطب النبوي  
والطبراني في مسند الشاميين والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه وهو لأحمد من حديث  
أبي ذر أما الأذن فسمع وأما العين فبصرة لها يوعى القلب ولا يصح منها شيء .

والندم على فعله  
والحياء من ربه وقال  
يحيى بن معاذ التواضع  
في الخلق حسن ولكن  
في الأضياء أحسن  
والشكر صريح في الخلق  
ولكن في الفقراء  
أصح . وقال ذو النون  
ثلاثة من علامات  
التواضع تصغير النفس  
معرفة بالعب وعتيق  
الناس حرمة للتوحيد  
وقبول الحق والتسبيح  
من كل واحد . وقيل  
لأن يزيد متى يكون  
الرجل متواضعا قال إذا  
لم يرى نفسه حقاً ولا  
حالا من علمه جبرها  
وازدراءها ولا يرى أن  
في الخلق شراً منه .  
قال بعض الحكماء  
وجدة التواضع مع  
الجهل والبخل أحد

إليه تعالى وأرغمها وأسفها وأصلها ثم فسره فقال أصلها في الدين وأصلها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى قوله تعالى - أشده على الكفار رحمة بينهم - وقوله تعالى - مثل نوره كشكة فيها مصباح - قال أبي بن كعب رضى الله عنه مناه مثل نور المؤمن وقلبه وقوله تعالى - أو كطلعت في بحر لحي - مثل قلب للتائق وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى - في لوح محفوظ - وهو قلب المؤمن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسى فيه أمثلة القلب .

( يان مجاميع أوصاف القلب وأمثله )

اعلم أن الإنسان قد استطب في خلقه وتركيبه أربع شوائب فذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصفات السبية والبهيمية والشیطانية والربانية فهو من حيث ملط عليه الغضب يتماثل أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهمج على الناس بالفرب والتمم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتماثل أفعال البهائم من الشره والحرس والشبق وغيره ومن حيث إنه في نفسه أمر راني كما قال الله تعالى - قل الروح من أمر ربي - فإنه يدعى نفسه الربوية ويجب الاستسلام والاستسلام والتخضع والاستعداد بالأمور كلها والتفرد بالرئاسة والانسلاخ عن رقة البودية والتواضع وينتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعى نفسه العلم والعرفة والاحاطة بحقائق الأمور ويشرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقائق والاستسلام بالقهر على جميع الخلق من أوصاف الربوية وفي الإنسان حرص على ذلك ومن حيث يغصن من البهائم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شیطانية فصار شديرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخذاع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين وكل إنسان فيه هوب من هذه الأصول الأربعة أعنى الربانية والشیطانية والسبية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب فكان المجموع في إهاب الانسان خزير وكتب وشيطان وحكيم والخزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخزير مذموما لونه وحكمه وصورة بل لجشمة وكتبه وحرسه والكتب هو الغضب فان السبع الضاري والكتب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبية الضراوة والعدوان والعقور في باطن الانسان ضراوة السبع وفضبه وحرس الخزير وبقية الخزير يدعو بالشره إلى التعمش والتسكروا والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء والسيطان لا يزال يبيع شهوة الخزير وغيظ السبع ويرى أحدهما بالآخر ويحسن لها ماها مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل مأثور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه بعصيته النافذة ونوره للشرقي الواضع وأن يكرس في هذا الخزير بتسلط الكتب عليه إذ الغضب يكرس سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكتب بتسلط الخزير عليه ويجعل الكتب مقهورا تحت سياسته لأن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجري السكل على الصراط السليم وإن عجز عن تهرها قهره ورواستخدمه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشرح الخزير ويرضى الكتب فيكون دائما في عادة كلب وخزير وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء والسبب منه أنه ينكر في عبدة الأصنام عبادتهم المعجزة ولو كشف التطاوع عنه وكشف حقيقة حاله ومثل حقيقة حاله كما يمثل المكشوفين إما في النوم أو في البقطة لراى نفسه مائلا بين يدى خزير ساجدا له مرة وأما أخرى ومتنظرا لإشارته وأمره أنهما حاج الخزير لطالب شيء من شهواته إنما على الفور في خدمته واحتار شهوة أو رأى نفسه مائلا بين يدى كلب مقهور جايدا لمسطع ما مالم يقتضيه يولتشمه مدقا

من الكبر مع الأدب والسخاء وقيل لبس الحكام هل تعرف نعمة لا يحسد عليها ويلاء لا يرحم صاحبه عليه قال نعم أما النعمة فالتواضع وأما البلاد فالكبر . والكشف عن حقيقة التواضع أن التواضع رفاعة الاعتدال بين الكبر والضعف فكبر رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعف وضع الانسان نفسه مكانا يردى به ويغشى إلى تضييع حقوقه انهم من كثير من إشارات الشايع في شرح التواضع أشياء إلى حد أقاموا التواضع فيه مقام الضعة ويوقع فيه الميسرى من أوج

بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع فيسرة شيطانه فانه الذي يبيع الخنزير ويشترى  
الكلب ويضعها على استعماله فهو من هذا الوجه يبد الشيطان ببيادتهما فليز قلب كل عبد حركاته  
وسكاته وسكوته ولطقه وقيامه وقعوده ولينظر بين البصرة فلا يرى إلا نصف نفسه لإساعيا طول  
التبار في عبادة هؤلاء وهذا غاية العظم إذ جعل للآلئ مملوكوا الرب يربوا باليد عبدا وأما هم مقهورا  
إذ أقبل هو للستحق للسيادة والتعز والاسئلاء وقسخره لحمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه  
من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تراكم عليه حتى يصير طابعا ورثا مهيلا للقلب ويمتاته أمانة خنزير  
الشهوة فيفسد مناهضة الواقعة والحب والتقدير والتفكير والرياء والمهتنة والمهانة والبيت والحرص  
والجشع واللقق والفساد والمقد والحياسة وغيرها وأما طاعة كلب التضب فتنتشر منها إلى القلب صفة  
التبور والبذالة والبلع والصلف والاستغاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتعتبر الحق  
وإرادة السر وشهوة الظلم وغيرها وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والتضب فيحصل مناهضة الفكر  
والخنداع والمهينة والبهاء والجراءة والتلبس والتضريب والتعجب والحب والحق وأمثالها ولو عكس  
الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة  
والبقين والأمانة عتائق الأحياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستئلاء على الكل بقوة العلم  
والبصرة واستحقاق التقدم على الخلق لكل العلم وجلاله ولاستن من عبادة الشهوة والتضب ولا تنشر  
إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريرة مثل العفة والتناعة والممدو والفرد  
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والطرف وللإساعة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط  
قوة التضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والتجدة وضبط النفس والصبر والحلم  
والاحتيا والصفو والثبات والنبيل والشفاعة والوفا وغيرها فالتقلب في حكم مرآة قد اكتسبت هذه  
الأمور لأثره فيه وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب أما الآثار المحسوسة التي ذكرناها فالتأثير  
مرآة القلب جلالة وإشراقه ونورا وضاء حتى يتلا أفنية جليلة الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر للقلوب  
في الدين وإلى مثل هذا القلب الإغارة بقوة **﴿عقل﴾** «إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه <sup>(١)</sup>»  
وبقوله صل الله عليه وسلم «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ <sup>(٢)</sup>» وهذا القلب هو الذي  
يستغفره الله كقَالَ الله تعالى - ألا يدرك الله تطمئن القلوب - وأما الآثار للذمومة فانها مثل دخان  
مظلم تصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود وظلم ويصير بالكلية  
محبوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو المرئي قال الله تعالى - لا يلبدان على قلوبهم ما كانوا يكسبون -  
وقال من ذبل - أن لو نشاء أمثماهم بذنوبهم ونطع على قلوبهم فهم لا يسمعون - فربط عدم السماع  
بالطبع بالذنوب كاربط السماع بالقوى قال تعالى - وأهوا الله وأسموا - وأهوا الله وطعكم الله -  
ومهما تراكم الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يسمى القلب عن إدراك الحق وصلح الدين ويستبين  
بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور العلم عليها فإذا قرع سمع أمر الآخرة وما فيها من  
الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدرك أو تلك  
الذين يسوموا من الآخرة كما يش السكفار من أصحاب القبور - وهذا هو من أسودا القلب بالذنوب  
كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران : إذا أذنب البعد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء

(١) حديث إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من قلبه أبو منصور الدبلي في مسند القردوس  
من حديث سلمة بن إسناد جيد (٢) حديث من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ  
لم أجده أصلا .

الافراط إلى حضيض  
التضريط ويوم  
أنحرأ عن حد  
الاعتدال ويكون  
تصدد في ذلك للبالغة  
في القبح حوس للربدين  
خوفا عليهم من العجب  
والكبر قل أن  
يفك مرید في مبادئ  
ظهور سلطان الحال  
من العجب حتى لقد  
تسل عن جمع من  
الكبار كانت مؤذنة  
بالإحباب وكل ما قل  
من ذلك القليل من  
الشائع لبقايا السكر  
عندهم وانحصارهم في  
مضيق سكر الحال  
وعند الخروج إلى  
فضاء الصحو ابتداء  
أمرهم وذلك إذا خلق  
صاحب البصرة نظره  
يلم أنه من استراق

فإذا هو نزح وتاب سقل وإن عاد زيد فيها حتى يسوق قلبه فهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو قلب الكافر أسود منكوس<sup>(١)</sup> وفضاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات معقة لقلب ومصاصه مسودات له فمن أقبل على الماصي أسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة وبها أثرها لم ينظم قلبه ولكن ينقص نوره كالرأة التي يتنفس فيها ثم تنفس ثم تنفس حتى تنفس قلبها لا تخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم «القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب النافق وقلب مصنع فيه إيمان وثاق<sup>(٢)</sup> فمثل الإيمان فيه كمثل البقة بعدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة بعدها النعج والصدید فأى اللادين غلبت عليه حكمه بها وفي رواية ذهب به الله تعالى - إن الذين آمنوا إذا مسهم طائف من الشيطان فذكروا فأقامهم بمصرور - فأخبر أن جلاء القلب وإصباره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين آمنوا فالتقوا باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب القوز الأكبر وهو القوز بقاء الله تعالى .

( بيان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة )

اعلم أن عمل العلم هو القلب أعنى الطيفة للذرة لجميع الجوارح وهي للطاعة المهدومة من جميع الأعضاء وهي بالاضافة إلى حقائق المعلومات كالرأة بالاضافة إلى صور التلونات فسكان التلونات صورة ومثال تلك الصورة ينطبق في الرأة ويحصل بها كذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة تنطبق في مرآة القلب وتنصع فيها وكما أن الرأة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في للرأة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأعياء وحصول نفس الحقائق في القلب وحذورها فيه فالعلم عبارة عن القلب الذي فيه محل مثال حقائق الأعياء والعلوم عبارة عن حقائق الأعياء والعلوم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي قباضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد يحصل السيف في اليد ويسمى قبضا فكذلك وصول مثال العلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلًا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلًا لعدم وقوع السيف في اليد ، ثم القبض عبارة عن حصول السيف بينه في اليد والمعلوم بينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتشبه بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما حصل مثال مطابق له وكذا حصول مثال مطابق لحقيقة العلوم في القلب يسمى علما وكما أن المرآة لا تكشف فيها الصورة لحجة أمور : أحدها ضمان صورتها كموهن الحديد قبل أن يدور وبشكل وصقل : والثاني لجسده وصفه وكدوره وإن كان تام الشكل . والثالث لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غير ها كما إذا كانت الصورة ولاء المرآة . والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة . والخامس للجلل بالجبهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بديه أن يجازي بها عطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستمعة لأن ينبغي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الحجة أولها ضمان في ذاته . فقلب الصبي فإنه لا ينبغي له المعلومات لتقصاته . والثاني

النفس السمع عند نزول الوارد على القلب والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب ظهرت بصفتها على وجه لا ينفو على الوقت وصلافة الحال فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالصبي كقول بعضهم من تحت خضراء الساء مثل وقول بعضهم قدس على رقية جميع الأولياء وكقول بعضهم أسرجت وأجنت وطلعت في أقطار الأرض وقتل هل من مبارز ثم يخرج إلى أحد إشارة منه في ذلك إلى خمره في وقت ومن أشكل عليه ذلك ولم يعلم أنه من

(١) حديث قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وهو بنس الحديث الذي يليه (٢) حديث القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهو الحديث أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم .

لكندورة العاصي والحبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء القلب وجلاسه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكبه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ومن عارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا (١) أي حصل في قلبه كندورة لا تزال أضرها إذا تهاون بيبه بحسنة يحوم بها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لاهافة إشراق القلب فما خدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزد بها تورا فهذا خسران مبين وقصان لاحية له فليست للركة التي تدنس ثم تسمح بالحسنة كالتى تسمح بالحسنة لا بدتجلاها من غير دنس سابق فالإقبال على طاعة الله والأعراض عن مقتضى الشهوات هو الذى يجلو القلب ويصفيه وذلك قاله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا - وقال صلى الله عليه وسلم من عمل بمعامل ورثه الله علم ما لم يعلم (٢) . الثالث أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة للطاوعة فان قلب اللطيع الصالح وإن كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذير آتة تفسد للطوبى بل ربما يكون مستوصى بهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتبعية أسباب اللبسية ولا يسرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا يشكك في إلا ما هو متشكك فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متشكرا فيها أو صالغ للعبثية إن كان متشكرا فيها وإذا كان متعبد بالم الأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فإفناك لمن صرف العلم إلى الشهوات لا يوقو قوتها وعلاقتها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقى . الرابع الحجاب فان الطبع القاهر لشهواته للتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا يشكك في ذلك لكونه محسوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن فان ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن يشكك في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم به حجب أكثر التكميلين وللتصحيح للذهاب بل أكثر الصالحين للتفكير في ملكوت السموات والأرض لأهم محجوبين باعتقادات تقليدية جمعت في قوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجابا بينهم وبين درك الحقائق . الخامس الجهل بالجهة التي يقع منها الشر على اللطوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالجهول إلا بالتدكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تدكرها ورثها في نفسه ترميا محصورا يرفه العلماء بطرق الاختيار فبعد ذلك يكون قد عثر على جهة اللطوب فتنبج حقيقة اللطوب قلبه فان العلوم للطاوعة التي ليست فطرية لا تقتصر إلا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يصل إلا عن طريقين سابقين أو تلقان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتائج من ازدواج القحل والأشئ ثم كما أن من أراد أن يستبحر مكملة يمكنه ذلك من حمار وبير وإنسان بل من أصل مخصوص من الجليل كروا الأئمة وذلك إذ لوقعت بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم له أسلوان مخصوصان وبينهما طريق إلى الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم الشفاد اللطوب فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو السائق من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قامة مثلا بالركة فانه إذا فرغ من الركة أثاره وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر التقا فلا يظهر فيها التقا وإن رفعها وراء التقا ساذة كان قد عدل بالركة عن عينه فلا يرى الركة ولا صورة التقا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى يصير وراء التقا وهذه مقابقتها بحيث يصير ما يرى مناسية بين وضع المرآة حتى تتطبع صورة التقا في المرآة الحاذية لتتطبع صورة

استراق النفس السمع  
ظفر ذلك بيزان  
أصحاب رسول الخاضع  
الله وسلم وتواضعهم  
واجتنابهم أمثال هذه  
الكلمات واستبادهام  
أن يجوز لعبد التظاهر  
بشيء من ذلك ولكن  
يصل لكلام الصادقين  
ووجه في الصفة وقال  
إن ذلك قطع عليهم  
في سكر الحال وكلام  
السكران يحمل للمناخ  
أرباب التمكن لما علوا  
في النفوس هذا البناء  
الذين بالقوا في شرح  
التواضع إلى حد الخوف  
بالضمة والقرينين  
والاعتدال في التواضع  
أن يرضى الإنسان  
بغزة دون ما يستحقه  
ولو أمن الضمن  
جوح النفس لأوقها

(١) حديث من عارف ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا لم أره أصلا (٢) حديث من عمل بمعامل ورثه الله علم ما لم يعلم أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وقد تقدم في العلم.

هذه للآفة في الرقعة لأخرى التي في مقابلة العين ثم تترك العين صورة القفاف كذلك في اقتناص العلوم طرق محيية فيها لزوارات ومخزونات المحب بما ذكرناه في للآفة يمز على بسيط الأرض من يهتدى إلى كيفية الحية في تلك الأزوارات فمنها الأسباب الخاصة للقلوب من معرفة حقائق الأمور وإفانقل قلب فهو القطرة صانع للآفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والفرق وإليه الإشارة بقوله عز وجل - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان - إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطبقا لحل أمانة الله تعالى وتلك الأمانة هي للآفة والتوحيد قلب كل آدمي مستند لحل الأمانة ومطبق لها في الأصل ولكن يشطه عن النبوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها وذلك قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل لرسول الله « يا رسول الله إن الله في الأرض أدنى السماء » قال في قلوب عباده المؤمنين « وفي الجبر » قال الله تعالى: لم يسن أرضي ولا سمائي ووسنى قلب عبدي المؤمن « وفي الجبر » أنه قيل لرسول الله من خير الناس فقال كل مؤمن يحوم القلب قليل وما يحوم القلب قليل هو النبي الذي لا غش فيه ولا باغى ولا غدر ولا خذل ولا حسد » « وذلك قال عمر رضي الله عنهما أي قلبه وبني إذا كان قد عرف الحجاب بالقلوب ومن أرفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه يرى جنه عرض بعضها السموات والأرض أما جعلها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكتاف فهو متناه على الجملة وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الخفية عن مشاهدة الأبصار خصوصاً بادر البصائر فلا نهاية، نعم الذي يوحى للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له وحكمة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لأن الحضرة الربوبية عجيبة بكل الوجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله وملكته وصيده من أفعاله فما يتبين من ذلك القلب هي الجنة بيننا عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة مفرقه ويقدر ما يجلي له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وزكائه وجلاؤه قد أفصح من زكائه حصول آثار الإيمان فيما عني إشراف نور للآفة وهو الراد بقوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ويقول له أقدر شرح الله

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث تقدم (٣) حديث ابن عمر أن الله قال في قلوب عباده المؤمنين لم أجده بهذا اللفظ والبطراني من حديث أبي عتبة الخولاني رضي الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله آية من أهل الأرض وآية ربي قلوب عباده الصالحين الحديث فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح فيه بالتحديث (٤) حديث قال الله ما وسنى أرضي ولا سمائي ووسنى قلب عبدي المؤمن الذين الواعين لم أره أصلا وفي حديث أبي عتبة قلبه عند البطراني بمد قوله وآية ربي قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه أيتها وأرثها (٥) حديث قيل من خير الناس قال كل مؤمن يحوم القلب الحديث ه من حديث عبيد الله بن عمر بإسناد صحيح .

على حد يستحقه من غير زيادة ولا نقصان ولكن لما كان الجحوش في جبة النفس لكونها محشوقة من صلصال كالفخار فيها نسبة الفانية وطلب الاستعلاء بطبعها إلى مركز النار احتاجت للتسديد بالتواضع وإيقانها دون ما تستحقه لئلا يتطرق إليها الكبر فالكبر ظن الإنسان أنما أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وهذه صفة لا يستحقها إلا الله تعالى ومن ادعاه من الخلق فيكون كاذبا والكبر يتولد من الإحجاب والإحجاب من الجبل بحقيقة المحاسن والجمل الانسلاخ من الانسانية حقيقة وقد

صدره للإسلام فهو على نور من ربه - ثم هذا التجل وهذا الإيمان له ثلاث مراتب . للربة الأولى : إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض . والثانية : إيمان للتكلمين وهو مزجج بنوع استدلال ودرجته قربية من درجة إيمان العوام . والثالثة : إيمان العارفين وهو للشاهد بنور اليقين وبنينك هذه مراتب تتال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات . الأولى : أن تخبركمن جبرته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تهمة في القول فان قلبك يسكن إليه ويطمئن بغيره بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد وهو مثل إيمان العوام فانهم لما يلقوا من التمييز صموا من آياتهم وأماهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبينة الرسل وصدقهم وما جاءوا به وكما سمعوا به قبوه وبنوا عليه وأطاعوا إلى إليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه فلم يحسن ظنهم بآبائهم وأماهم ومعلمهم وهذا الإيمان بسبب التجربة في الآخرة وأهل من أوائل رتب أصحاب اليقين وليسوا من اللقرين لأنه ليس فيه كشف وبصيرة والشرع صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فباسم من الأحاد بل من الأعداد فيا يتعلق بالاعتقادات قلوب اليهود والنصارى أيضا مطمئنة بما يسمعون من آياتهم وأماهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم اتقى إليهم الخطأ وللسلفون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن اتقى إليهم كلمة الحق . الربة الثانية : أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك وبينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازدددت به قننا لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص وهذا إيمان مزجج بدليل والخطأ أيضا ممكن أن ينطرق إليه إذ الصوت قد يبيه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق لها كذا لأن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس بجمل قننته موضعا ولا يقدر في هذا التلبس والمحاكاة غرضا . الربة الثالثة : أن تدخل الدار فتتأمل إليه ببصيرة وتشاهده وهذه هي المعرفة الحقيقية وللشاهدة الحقيقية وهي تشبه معرفة اللقرين والصدقين لأنهم يؤمنون من مشاهدة فينبطو في إيمانهم إيمان العوام وللتكلمين وتميزون بميزة بينة يستحيل معها إمكان الخطأ ثم وهم أيضا يأتون بمقايير العلوم وبدرجات الكشف وأما درجات العلوم فكأن أن يصير زيد في الدار عن قرب وفي ضمن الدار في وقت إشراق الشمس فيكلمه إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أوى وقت عتية فيتمثل له في صورته ما يتيقن معه أنه هو ولكن لا يتمثل في نفسه المدقق والمخفا من صورته ومثل هذا منصور في تفاوت للشاهدة للأشياء وأما مقايير العلوم فهو بأن يرى الدار زيدا وعمرا وبكرا غير ذلك وآخر لا يرى إلا زيدا فمرة ذلك تزيد بكثرة العلوم لا بمعاية فهذا حال القلب بالاضافة إلى العلوم والله تعالى أعلم بالصواب .

( بيان حال القلب بالاضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والأخروية )

اعلم أن القلب يفرزه مستند قبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تخلفه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والشرعية إلى دنيوية وأخروية أما العقلية فنقسمها إلى مقاضية بها غرزة العقل ولا توجد بالتقليد والسمع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري عن أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والحق الواحد لا يكون حادثا قدما مع وجودا معدوما فان هذه علوم يحدلها الإنسان شهمة منذ الصبا فطورا عليها ولا يدري عن أصلها هذا العلم ولا أن حصل له أعنى أنه لا يدري في سياق قريبا وإلا قلنا غنى علمنا الله تعالى خلقه وهذه وإلى علوم مكتسبة وهي الاستفادة بالعلم والاستدلال وكلا التسمين قديسي عقلان على رضى الله عنه :

عظم الله تعالى شأن  
الكبرياء تعالى - إنه  
لا يجب للتكبرين -  
وقال تعالى - أليس في  
جهنم مثوى للتكبرين -  
وقد ورد في قوله الله  
تعالى : التكبرياء ردائي  
والعظمة إذ أرى فمن  
نازعني واحدا منهما  
قسمته وفي رواية قد فته  
في نار جهنم . وقال عز  
وجل ردائي للإنسان في  
طنياته إلى حمه :  
- ولا تمس في الأرض  
مرحا إنك لن تحرق  
الأرض ولن تبلغ  
الجبال طولا - وقال  
تعالى - فلننظر الإنسان  
مما خلق خلق من ماله  
دافق - وأبلغ من هذا  
قوله تعالى - قتل الإنسان  
ما أكفره من أي شيء  
خلقته من نقطة خلقه

رأيت العقل عقلين فطبيع ومسموع ولا يقع مسموع  
إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع<sup>(١)</sup> والثاني هو  
والأول هو الولد بقوة صلى الله عليه وسلم لعل وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل<sup>(٢)</sup> والثاني هو  
الراد بقوة صلى الله عليه وسلم لعل رضى الله عنه وإذا خرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب  
أنت بمثل<sup>(٣)</sup> إذ لا يمكن التقرب بالفرصة القطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل  
على رضى الله عنه هو الذى يند على التقرب باستعمال العقل في اقتباس العلوم التي بها ينال القرب من  
رب العالمين فالقلب جار مجرى العين وغرزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الإبصار  
لطيفة فتقد في الصبي وتوجد في البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل منه في  
القلب جار مجرى قوة إدراك البصر في العين ورويته لأعيان الأشياء وتأخر العلوم عن عين العقل في  
مدة السبيل إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهى تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان  
نورها على البصرات والقلم الذى سطر الله به العلوم على صفحات القلوب مجرى قرص الشمس  
وإنما لم يحصل العلم في قالب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يمتد بعد لقبول نفس العلم والقلم عبارة عن  
خلق من خلق الله تعالى جهه سبيل للحصول على العلوم في قالب البشر قال الله تعالى - الذى علم بالقلم علم  
الإنسان ما لم يعلم - وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه فليس قلبه من قصب ولا  
خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض فالوازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من  
هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في البصر فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي الأظيفة  
للدركة وهي كالقارس والبدن كالقارس وهي القارس أضر على القارس من هي القارس بل لآنية لأحد  
الضررين إلى الآخر ولو أوزنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر صام الله تعالى باسمه فقال - ما كذب القواد  
مارى - متى إدراك القواد رؤية وكذلك قوة تعالى - وكذلك ترى إبراهيم ملكوت السموات  
والأرض - وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يمرض في  
مرض الامتنان ولذلك متى إدراكه متى قال تعالى - فاتها لأمسى الأضواء ولكن تسمى القلوب  
التي في الصدور وقال تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً - فهذا بيان العلم  
العقل - أما العلوم الهيئية فهي للأخوة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وذلك  
يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهم معانيه بعد السماع وبه كال صفة القلب  
وسلامته عن الأدوية والأمراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها كما أن  
العقل غير كاف في استدامة صحة أسباب البدن بل محتاج إلى معرفة خواص الأدوية والمقادير بطريق  
التعلم من الأطباء إذ مجرد العقل لا يتدعى إليه ولكن لا يمكن فهمه بدمجها مع الإلهام فلا يخفى بالعقل  
عن السماع ولا يخفى بالسمع عن العقل فالله اعلم إلى حسن التقليد مع عزول العقل بالكلية جاهل والمكتسب  
بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مفروغ فذلك أن تكون من أحد الفريقين وكن جامعا بين  
الأصليين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية والخصص المرض يستغنى بالذلاء  
مق قاته هوواء فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المتفاداة من الشرعية وهي  
وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب فمن لا يدبوى قلبه

(١) حديث ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل ت الحكيم في نوافر الأصول باسناد ضعيف  
وقد تقدم في العلم (٢) حديث إذا خرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بمثلك أبو نعيم من  
حديث على باسناد ضعيف .

تقدر مسوقاً بل يسمهم  
لحم للكبرين أولئك  
نظمة مدرة وآخرك  
جيفة غفلة وأنت فيها  
بين ذلك حامل المدرة  
وقد نظم الشاعر هذا  
المتى :

كيب زهو من وجهه  
أبد الشعر ضجيه  
وإذا أرحل التواضع  
من القلب وسكن  
الكبر انتشر أثره في  
بعض الجوارح وترشح  
الأناء بما فيه خلة  
يظهر أثره في السق  
بالتجامل وتارة في الحد  
بالتصغير قال الله تعالى  
- ولا تصغر خدك  
لناس - وتارة يظهر  
في الرأس عند استصاء  
النفس قال الله تعالى  
- لو آروهم صدون وم  
ورأيهم صدون وم



ليرى بمجالات العبادة السريعة واكتفى بالعلوم العقلية استغنى بها كما يستغنى الرضى بالتقادة وظهر من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمن في عين البصيرة نموذج الله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض ليعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتصور به فليس من الدين انفساد الشرع من السجين وإنما ذلك لأن هجره في نفسه خيل إليه تناقض في الدين وهبات وإعسائه مثال الأعمى الذى دخل دار قوم فتمتد فيها بأولى الدار فقال لهم ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لا ترد إلى مواضعها فقالوا لك الأواني في مواضعها وإنما أنت لست تهتدى للطريق لعماد فالسبب منك أنك لا تخيل عزرك على عمادك وإنما تخيلها على تصغير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية . والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخرى فالدنيوية كعلم الطب والحساب والمهندسة والتنجيم وسائر الحرف والصناعات والأخرى كعلم أحوال القلب وأكالات الأعمال والعلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله كالفلسفة في كتاب العلم وهما علمان متشابهان أعنى أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تنمى فيه فصرت بصيرة عن الآخر على الأكثر ولذلك ضرب على رضى الله عنه قد نياو الأخرى ثلاثة أمثلة فقال لها كفى لليزان وكفى للشرى والقرب وكفى للفرين إذا أرضيت إحداها أسخطت الأخرى ولذلك ترى الأكياس في دقائق علوم الأخرى جهالا في أكثر علوم الدنيا لأن قوة العقل لا تنى بالأمرين جميعا في القالب فيكون أحدهما ما تسمى الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن أكثر أهل الجنة إليه <sup>(١)</sup> » أى إليه في أمور الدنيا . وقال الحسن في بعض مواضعه لقد أدركتنا أقواما لو أنهم تعلموا ما تعلمون لكانوا في سائر العلوم فلا يتركوا جوامعها من غير أن يتركوا سائر العلوم . إن الدين لا يرجو لقاء نورا وضوا بالحياة الدنيا وأطمأ نواها . الآية وقال تعالى - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وقد عز وجل - فأعرض عنهم نولى من ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبتليهم من العلم بالجمع بين كمال الاستمرار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عبادته في معاشهم ومعادهم والأنياء للزويدين بروح القدس للتمتعون من القوة الإلهية التي تنسج جميع الأمور ولا تضيق عنها فأما قلوب سائر الخلق فاتها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها .

(يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار) اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال تختلف الحالتين حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه التي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اجتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من البعد ينقسم إلى ما لا يدري البعد أنه كيف حصل له ومن أين حصل وإلى ما يطالع منه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة تلك اللقى في القلب والأول يسمى إلهاما وثاني في الروع . والثاني يسمى وحيا وتخص به الأنبياء والأول يخص به الأولياء والأصفاء والذي قبله بالكسب وهو بطريق الاستدلال يخص به

(١) حديث أكثر أهل الجنة إليه ، الزائر من حديث أنس وصفه وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك فقد قال ابن عدي إنه منكر .

متكبرون - وكان  
الكبره اقسام على  
الجوارح والأعضاء  
تنشعب منه شعب  
فكذلك بعضها كنف  
من البصير كالتيه  
والزهو والمزلة وغير  
ذلك إلا أن المزلة تشبه  
بالكبر من حيث  
الصورة وتختلف من  
حيث الحقيقة كاهتله  
التواضع بالضعف  
والتواضع بمحمود والضعف  
مدمومة والكبر  
مدموم والمزلة محمودة  
قال الله تعالى - والله  
المؤمنين - والمزلة  
غير الكبر ولا يجل  
لؤمن أن يذل نفسه  
بالمزلة معرفة الانسان  
بحقيقة نفسه لا كرامها  
أن لا ينصها لأغراض

العلماء وحقيقة القول فيه أن القلب مستند لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها وإسماعيل بينه وبينها بالأسباب المحضة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب للسند الحاصل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع مقاصد الله به إلى يوم القيامة وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب بضاهي انبعاث صورة من مرآة أخرى مرآة جالها والحجاب بين الرآتين تارة زال باليد وأخرى يزول بهبوب الريح تحركه وكذلك قد تهب ريح الألفاظ وتكشف الحجب عن أعين القلوب فينبجلى فيها بسى ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند التمام فيعلم به ما يكون في المستقبل وتأم أرغام الحجاب بالموت فيه يتكشف النطاء ويتكشف أيضاً في اللحظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلغ في القلوب من وراء ستر التبييض من غراب العلم تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما ودوامه في غاية التدور نظم يخارق الالهام لا اكتساب في قس العلم ولا في عمله ولا في سببه ولكن يشارقه من جهزوا الحجاب فإن ذلك ليس باختيار البصير فخارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة ذلك التقيدهم فإن العلم إنما يحصل في قولنا بياوسطة الله لاكتسابه وإليه الإشارة بقوة تعالى - وما كان ليشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسلاً فيوحي بأمره ما يشاء - فلما عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليلية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه الصنفون والبحث عن الآثار بل بالأدلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة وهو الصفات للنسوة وقطع الملاقاة كلها والاقبال بكنة المحبة على الله تعالى وبها حصل ذلك كان الله هو الثلوث قلب عبده وللتكفل له بتبويره بأنوار العلم وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب واشرح الصدور واكتشف لهر للكموت واشتد عن وجه القلب حجاب الترة بلطف الرحمة ثلاثاً في حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعدادات تصفية المجردة وإحضار المحبة مع الإرادة الصادقة والتعطى التام والترصد بدوام الانتظار لما يشاءه الله تعالى من الرحمة والآيات والأولياء انكشف لهم الأمر وقاض على صدورهم النور بالعلم والدراسة والكتابة للكتب بل يلهج في الدنيا والتبرى من علاقتها وتخضع القلب من شواغلها والاقبال بكنة المحبة على الله تعالى فمن كان له كان الله له وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً باقتران علائق الدنيا بالكلية وبخبريغ القلب منها ويقطع المحبة عن الأهل والوالد والنوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه ثم يغلو بنفسه في زاوية مع الانصراف على القرائن والروايف ويجلس فارغ القلب بمجموع الملم ولا يفرق فكره بمرامه قرآن ولا بالتأمل في تفسيره ولا بكتب حديث ولا غيره بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى فلا يزال بسد جلوسه في الخلوقة لا لبسائه الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ثم يصير عليه إلى أن يسمى أمره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر ثم يواظب عليه إلى أن يسمى عن القلب صورة القطع وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضر أتمه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحدواختياراً في استدامة هذه الحالة دفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى بل هو بما فعله صار مترشداً لفضائل رحمة الله فلا يلقى إلا الانتظار لما يشاء الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفته همة وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بملاقات الله فيبلغ لواعج الحق في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق في الخاطف لا يثبت ثم هو قد يتأخر وإن عاد قد ثبت وقد يكون غشظاً وإن ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول وقد ينظهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على دفن واحد ومنال أولياء الله تعالى

عاجلة دنوية كأن  
الكبر جعل الانسان  
بنفسه وإزالتها فوق  
مزلتها . قال بعضهم  
لحسن ما أعظمك في  
ضلك قال لست بعتيم  
ولكني عزز ولما  
كانت العزة فسير  
منسومة فيها مشكاة  
بالكبر قال الله تعالى  
- تستكبرون في  
الأرض غير الحق -  
فيه إشارة خفية لإيثار  
العزة بالحق فالوقوف  
على حد التواضع من  
غير انحراف إلى العزة  
وقوف على صراط العزة  
للتصوب على متن نار  
الكبر ولا يؤيد في  
ذلك ولا يثبت عليه  
إلا أقدم العلماء  
الراستخين والسادة  
للقرين ورؤساء  
الأبدال والصديقين .

فيه لا يهصر كما لا يهصر تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محسن من جانبك  
وصفيه وجلاء ثم استدله وانتظار قط ، وأما النظر وفؤو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق  
وامكانه وإضافته إلى هذا المقصد في الدور فانه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ولكن استوعروا  
هذا الطريق واستبطوا عمره واستمدوا استجماع شروطه وزعموا أن هو الملاقى إلى ذلك الحد  
كاستمرار وإن حصل في حال قيامه أبعد منه إذ أدنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها» (١) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام  
«قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وفي أثناء هذه المجاهدة قد يغدو الزواج ويخلط  
العقل ويمرض البدن وإذا لم تقدم رياضة النفس وتهذيبها بمحقق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة  
تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول ويقضى السر قبل النجاح فيها فكيف من سوى ذلك  
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد آمن العلم من قبل لانتفع به وجه التباس  
ذلك الخيال في الخلال فلا غشال بطريق العلم أوثق وأقرب إلى الترش ، وزعموا أن ذلك يضاهي  
ما لو ترك الإنسان تعلم الله ، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ذلك وصار قلبها بالوحى والالهام  
من غير تكرير وتمايل ، وأما أيضا ربما انتهت في الرياضة واللوطة إليه ومن ثل ذلك قد غلظ  
قسه وضيق صميره بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز  
فان ذلك ممكن ولكنه بعيد جدا ، فكذلك هذا . وقالوا لا بد أولًا من تحصيل ماصحه السواء وفهم  
ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم يكشف لسائر السواء فضاء يكشف به ذلك بالمجاهدة .

( بيان الفرق بين القامين بتال محسوس )

اعلم أن حجاب القاب خارجة عن مداركات الحواس ، لأن القلب أيضا خارج عن إدراك الحس وما ليس  
مدركا بالحواس تصف الأنفهام عن دركه إلا بتال محسوس ونحن نهرب ذلك إلى الأنفهام الضمنية  
بتالين : أحدها أنه لو فرضنا حواسنا فصورنا في الأرض احتمال أن يساق إلى الله من فوقه بها ترضع  
فيه ويحتمل أن يخفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مسطر الله الصافي فينجر  
الله من أسفل الحوض ويكون ذلك لله أسنى وأدوم وقد يكون أخزر وأكثر فذلك القلب مثل  
الحوض والعلم مثل الله وتكون الحواس الخمس مثال الأنهار ، وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب  
بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يجلّ علما ويمكن أن تمد هذه الأنهار بالحلوة  
والعزّة وفض البصر ويمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفق طبقات الحجب عنه حتى تنجر يتابع  
العلم من داخله . فان قلت فكيف ينجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه . فاعلم أن هذا من حجاب  
أسرار القلب ولا يسمح بدركه في علم السادة بل بالقدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة  
في القلوب المحفوظة بل في قلوب اللاسكة للقرينين ، فكأن أن للهندس يصور أبنية المدن فياض ثم يفرجها  
إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره  
في القلوب المحفوظة ثم أخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته  
تأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال فان من ينظر إلى السماء والأرض ثم يرض بصره يرى  
صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو اتعمت السماء والأرض وبقي هو في قسه  
لوجد صورة السماء والأرض في قسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأذى من خياله أثر إلى القلب

(١) حديث قلب المؤمن أشد ثقلًا من القدر في غلبتها ، أحمد و له وصحه من حديث القناد بن  
الأمود (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن م من حديث عبد الله بن عمر .

قال بعضهم من كبر  
قد أخبر عن ندالة  
قسه ومن تواضع قد  
أظهر كرم طبعه . وقال  
الترمذي التواضع على  
ضربين : الأول أن  
يتواضع البذل لأمر الله  
ونبيه فان النفس  
لطلب الراحة تلهي  
عن أمره والبهوة التي  
فيها تهوى في نفيه فانما  
وضع قسه لأمره ونبيه  
فهو تواضع . والثاني أن  
ينزع قسه لحظة الله  
فان اشتت قسه هيئا  
كما أطلق لمن كل نوع  
من الأنواع منها ذلك  
وجهة ذلك أن يترك  
محبته لمشيئة الله تعالى .  
واعلم أن البذل لا يبالغ  
حقيقة التواضع إلا عند  
لحان نور الشاهدة في  
قلبه فعد ذلك تنويع

فيحصل به خالق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في همه خارجا من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسقة للوجود في الوجود المحفوظ فكأن العالم أربع درجات في الوجود : وجود في الوجود المحفوظ وهو سابق على وجوده الجاني وبقية وجوده الحقيقي وبقية وجوده الحقيقي وجوده الخيالي أي وجود صورته في القلب وبقيت هذه الوجودات روحانية وبها جمانية والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض وهذا النطق من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدثك على مفر جمعها بحيث تطبع صورة العالم والسماوات والأرض على اتساع أكتافها فيها ثم يسرى من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ثم منه وجود في القلب فانك أبدا لا تندرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يحصل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما بين ذاتك فبصباح من در هذه الجاني في القلوب والأبصار ثم أحمى عن دركها القلوب والأبصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأهسها وبصباحها . ولتخرج إلى الفرض لتقود فقول : القلب قد يصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من الوجود المحفوظ كما أن العين تصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي قابل الشمس ويحرك صورتها فيها لرفع الجاني بين وبين الوجود المحفوظ رأى الأشياء فيه وتغير إلى العلم منه فاستخفى من الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتنجس الماء من عمق الأرض ، ومما أقبل على الخيلات الحاصلة من الحسوسات كان ذلك حجابا له عن مطالعة الوجود المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التنجس في الأرض وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحرك صورة الشمس لا يكون ناظرا إلى شمس الشمس ، فاذن القلب بجان : باب مفتوح إلى عالم اللسكوت وهو الوجود المحفوظ وعالم اللالسة وباب مفتوح إلى الحواس الخمس للتمسك بهام اللسكوت والشفادة وعالم الشهادة وللك أيضا ما هي عالم اللسكوت نوحا من الماكة فاما اختراع باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا ينبغي عليك وأما اختراع باب الداخل إلى عالم اللسكوت ومطالعة الوجود المحفوظ فقله علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا والاطلاع القلب في النوم على ما يسكن في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وإنما يفتش ذلك الباب لمن اغترى بذلك أن الله تعالى وقال <sup>١</sup> سبق للفرعون قبل موته للفرعون يارسول الله قال للفرعون بذلك كراهة تعالى وضع الله كره عيم أوزارهم فوردوا القيامة خفا فثم قل في وصفهم إخبارا عن الله تعالى ثم أقبل بوجهي عليهم أرى من واجهته بوجهي يعلم أحد أم شيء أريد أن أعليه ثم قال تعالى أول ما أعطيهم أن أكلف التور في تلويهم فبجروا على كما أخبر عنهم <sup>٢</sup> ومداخل هذا الخبر هو الباب الباطن فاذا الفرق بين علوم الأولياء والأتباء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تأمن داخل القلب من الباب للفتش إلى عالم اللسكوت وعلم الحكمة يأتي من أبواب الحواس الفتوحة إلى عالم اللسكوت والحجاب عالم القلب وتردده بين عالم الشهادة والقلب لا يمكن أن يستغنى في علم للعالم فهذا مثال لمالك الفرق بين مداخل العالمين .

النفس وفي ذواتها مفاد من غش الكبير والسبب تأن وتطبع للمع والخلق هو آثاره وسكون وجهها وبغيرها وكان الحظ أنوفر من التواضع لثبات عليه السلام في أوطان القرب كما روى عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل ذلك وقدت رسول صل الله عليه وسلم ذات ليلة فأخذني ما يأخذ النساء من الفيرة ظنا من أنه عند بعض أزواجه فطلبت في حجر نسائه فلم أجده فوجدته في المسجد ساجدا كالقوب الخلق وهو يقول في سجوده سجد لك سواي وخيالي وآمن بك

(١) حديث سبق للفرعون قبل موته قال للفرعون بذلك كراهة الحديث م من حديث أبي هريرة مقتصرا على أول الحديث وقال فيه وما للفرعون قال القاء كرون الله كثيرا والدا كرات ورواه في بعضه قال الذين يستهزئون بذلك الله وقال صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه البيهقي في الشعب يضع الذكر عنهم اتعلمهم ويأتون يوم القيامة خفا فوردوا هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي هريرة دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلامه ضيف .

الثالث ان يرى الفرق بين الصليين : اعنى عمل الملاء وعمل الأولياء فان الملاء يصحون في اكتساب  
 ناس الموم واجتلابا إلى القلب وأولياء الصوفية يحملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيها وتصليها  
 قط . قد حكى أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة التفتق والصور  
 فاستقر رأى الملك على أن يسلم إليهم صفة لينتقى أهل الصين منها جانياً وأهل الروم جانياً ويرى فيها  
 حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر فعمل ذلك فجمع أهل الروم من الأصباغ الثمينة ما لا ينحصر  
 ودخل بهم أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يحملون جانبهم وصقلوه فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين  
 أنهم قد فرغوا أيضاً فجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من التفتق من غير صبغ فتدل وكيف  
 فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارضوا الحجاب فرضوا وإذا بجانبهم يتلأأ منه هجاب الصنائع  
 الرومية مع زيادة إشراق وبريق إذ كان قد صار كالرأة الملوحة لكثرة التصليل فازداد حسن جانبهم  
 بمزيد التصليل فشد ذلك غناية الأولياء بطهير القلب وجلاته وتركته وصفاته حتى يتلأأ في جليلة  
 الحق بنهاية الاشراق كفضل أهل الصين وعناية الحكماء والطباء بالاكتساب وتقس الموم وتحصيل  
 تشبها في القلب كفضل أهل الروم . فكيفما كان الأمر قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى  
 وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله التراب لا يأكل عمل الإيمان بل يكون  
 وسيرة وقربة إلى الله تعالى . وأما ما حصله من نفس الموم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول شئ  
 العلم فلا يخفى عنه ولا مساعدة لأحد إلا بالمع والمعرفة وببش السعادات أشرف من بعض كائنات لاغنى  
 إلا بالمال فصاحب الدرهم غنى وصاحب الخزانة للثروة غنى وتفاوت درجات السعادات بحسب تفاوت المعرفة  
 والإيمان كما تفاوتت درجات الأخياء بحسب قوة المال وكثرة العلم وكثرة أوار ولا يسمى المؤمنون إلى  
 لقاء الله تعالى إلا بأوتارهم قال الله تعالى - يسى نورم بين أيديهم وبأيامهم - وقد روى الخبر  
 « إن بسهم يعطى نورا مثل الجبل وبسهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نورا في إيمانهم  
 قدميه فيضه مرة وينطقه أخرى فاذا أضاء قدمه قدميه فشى وإذا أطفى قام ومرورهم على الصراط  
 على قدر نورم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من  
 يمر كاقطع السحاب الكواكب ومنهم من يمر كاقطع السحاب الكواكب ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من  
 قدمه بمحوربوا على وجهه ويديه ورجليه يمر هذا ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك  
 حتى يغسل » الحديث فهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن الإيمان في بكر إيمان المالكين  
 سوى النبيين وللرسولين لرجح ، فهذا أيضا يشاهد قول القائل : لو وزن نور الشمس بنور البرج كلها  
 لرجح ، ولإيمان أحد العوام نوره مثل نور السراج وبسهم نوره كنور الشمع وإيمان الصديقين  
 نوره كنور القمر والنجوم وإيمان الأنبياء كالشمس ، وكما يتكشف في نور الشمس صورة الآفاق  
 مع اتساع أقطارها ولا يتكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوتت انصراف  
 الصدر بالمعارف وانكشف سعة للكموت قلوب العارفين ، وقد جاء في الخبر « أنه قال يوم القيامة  
 أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذر من إيمان ونصف مثقال وربع مثقال وهمة ذرة »<sup>(١)</sup>  
 كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه التفاضل من الإيمان لا تمنع دخول النار ، وفي

(١) حديث إن بسهم يعطى نورا مثل الجبل حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره في إيمانهم قدميه  
 الحديث الطبراني وله من حديث ابن مسعود قال له صحب على شرط الصديقين (٢) حديث يقال  
 يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه ربيع مثقال من إيمان الحديث يتفق عليه من حديث  
 ابن سعيد وليس فيه قوله ربيع مثقال

فؤادى وأقربك لسانى  
 وها أنا ذا بين يديك  
 يا عظيم يا فخر الدن  
 العظيم « وقوله عليه  
 السلام « سجد لك  
 سواى وخيالى »  
 استقصا في التواضع  
 بمحو آثار الوجود حيث  
 لم تخلف ذرة منه عن  
 السجود قاهر أو باطن  
 وفق لم يكن للسوى  
 حظ من التواضع  
 الخاض على بساط  
 القرب لا يتورع  
 التواضع للخلق وهذه  
 سعادات إن أقبلت  
 جاءت بكليتها والتواضع  
 من أشرف أخلاق  
 الصوفية . ومن أخلاق  
 الصوفية : الدلالة  
 واحتمال الأدنى من  
 الخلق وبلغ من مداراة

منهم من أن من إسمائه يزيد على مقالاته لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر بأخراجه ولا أن من في قلبه مقال خفة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها وكفلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان المؤمن» (١) إشارة إلى تحصيل قلب العارف بالله تعالى للوقوف فانه خير من ألب قلب من العلوم وقد قال تعالى - وأنتم الأعاقلون إن كنتم مؤمنين - فضيل للمؤمنين على السالين والرايه بالزؤمن العارف دون الله - وقال عز وجل - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فأراد هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم وعل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على الله وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى - والذين أوتوا العلم درجات - فقال يرفع الله العالم فوق المؤمنين بمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقال **عليه السلام** «أكثر أهل الجنة البهيوطيون لغوى الألباب» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أصحابي» (٣) وفي رواية «كفضل التمر لية البدر على سائر الكواكب» فهذه الشواهد يشعرك خاتمة درجات أهل الجنة بحسب خاتمة قلوبهم وسماهم، ولهذا كان يوم القيامة يوم التفاضل إذ المهرود من رحمة الله عظيم النبين والحمران والمهرود يرى فوق درجته درجات عقيلة فيكون نظره إليها كظفر التي الذي علك عشرة دراهم إلى التي الذي يملك الأرض من للشرق إلى للربوب كل واحد منهم خافى ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم التفاضل بين من يضر حظه من ذلك سلا خرقا كبر ودرجات كبر فضيلة.

(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في الكتاب)

للمرة لامن التمل ولا من الطريق للحاد

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإمام أو الوقوف على القلب من حيث لا يدري قد صار طرفا بصحة الطريق ومن لم يدرك شيء قط فينبغي أن يؤمن به لأن درجة العرفه فيه موزة جدا، وحشد ذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات: أما الشواهد فقوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لهديتهم سبيلنا - فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام، وقال صلى الله عليه وسلم «من عمل بمساعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ووقته فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بمساعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار» (٤) وقال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا - من الإشكالات والشبه - ويزقه من حيث لا يحتسب - يعلم علما من غير تعلم ويغضه من غير تجربة وقال الله تعالى سائر الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقا - قبل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات، وذلك كان **عليه السلام** يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام «اللهم أعطني نورا واذني نورا واجلسني في قلب نورا ووفى نورا ووفى نورا ووفى نورا حتى والى شمرى ووفى بشمرى ووفى لى ووفى عطاى» (٥) «ووسئل

(١) حديث ليس شيء خيرا من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن، الطبراني من حديث سلمان بألفظ الإنسان والأحد من حديث ابن عمر لا تعلم شيئا خيرا من مائة مثله إلا الرجل المؤمن وإسناده أحسن (٢) حديث أكثر أهل الجنة البهيوطيون لغوى الألباب تقدم دون هذه الرواية ولم أجد لهذه الرواية أصلا (٣) حديث فضل العالم على العابد كفضل علي أدنى رجل من أصحابي ت من حديث أبي أمامة وصححه وقد تقدم في العلم وكذلك الرواية الثانية (٤) حديث من عمل بمساعلم الحديث تقدم في العلم دون قوله ووقته فيما يعمل فلم أرها (٥) حديث اللهم أعطني نورا واذني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس.

رمول الله صلى الله عليه وسلم أنه وجد كثيرا من أصحابه بين البود فلم يحف عليهم ولم يزد على من الباقى بل ودله بمائة ناقمن قبله وإن بأصحابه حاجة إلى سير واحد يشقون به. وكان من حسن مداراته أن لا يذم طعاما ولا يبر طعاما. أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا أبو الفتح الكرخي قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا الجراسي قال أنا أبو العباس المبرور قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا قتيبة قال قال جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال خدمت

على الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : { من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه } - ما هذا  
الشرح قال هو التوسعة إن التور إذا قلبت به في القلب اتسع له الصدر واتسرح (١) وقال صلى  
الله عليه وسلم لابن عباس (الهم قمه في الدين وعله التأويل (٢) وقال صلى الله عليه وسلم ما عندنا  
شيء أسره الله صلى الله عليه وسلم إلنا إلان يؤفقه تعالى مبدا فيها في كتابه وليس هذا بالتلم (٣)  
وقيل في ضيقه قوله تعالى - يؤفقه الحكمة من ربه - إنه القهيم في كتاب الله تعالى وقال تعالى - فنهتها  
بإيمان - حتى ما انكشف باسم القهيم . وكان أبو الهرداء يقول للؤمن من ينظر بؤره الله من وراء ستر  
رقيق والله إنه الحق يقفله الله في قلوبهم ويبره على ألسنتهم ، وقال بعض السلفين للؤمن كرامة ،  
وقال صلى الله عليه وسلم (أفوا غرامة للؤمن فانه ينظر بؤره الله تعالى (٤) وإليه يشير قوله تعالى  
{ إن في ذلك لآيات للمتوسمين - وقوله تعالى - قد بينا الآيات لقوم يوقنون - وروى الحسن عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والم علم علان علم باطن في القلب بذلك هو العلم النافع (٥) وسئل بعض  
الملاء عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقفله الله تعالى في قلوب أحبائه لم يبلغ  
عليه ملكا ولا جارا وقد قال (عليه السلام) { إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم (٦) وقرأ  
ابن عباس رضي الله عنهما - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث - بين المحدثين والمحدث  
هو للمعلم وللهم هو الذي انكشفه من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة  
والقرآن يصريح بأن النبوة مفتاح الهداية والكشف وذلك علم غير تعلم ، وقال الله تعالى - وما خلق  
الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون - خصصا بهم وقال تعالى - هذا يان لكنا وسدى  
وموعظة لذاتين - وكان أبو يزيد وغيره يقولون العلم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار  
جاهلا إنما العلم الذي يأخذ علمه من ربه أى وقت شاء يلاحظ ولا درس ، وهذا هو العلم الربانى  
وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعلمناه من لدنا علما - مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضنا بوسائط  
تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علما دينا بل الذي الذى يفتح في سر القلب من غير سبب مأكوف  
من خارج فهذه هو الهدى والفعل ولو جمع كل ماورد فيه من الآيات والأخبار والآثار خرج من  
الحصر . وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فلنأخذ أيضا خارج من الحصر وظهر ذلك في الصحابة والتابعين  
ومن بعدهم . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع رضي الله عنها عند موته : { إما ما أخوات  
وأختك وكانت زوجة حاملا فولدت بنتا فكانت هرة فيل الولادة أنها بنت ، وقال عمر رضي الله  
عنه في أثناء خطبته بإسارة الجبل الجبل ، إذ انكشفه أن المدود قد أشرافه في ظفده لمعرفه ذلك  
ثم بلغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت  
على حبان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريق فخطرت إليها هزرا وتأملت محاسنها فقلت  
عنان رضي الله عنه لما دخلت يدخل على أحدكم وأثر أثرنا ظاهر على عينيه أما علمت أن زنا النبين  
(١) حديث سنن عن قوله تعالى { من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه } وللتدرك من حديث ابن  
مسعود وقد تقدم في العلم (٢) حديث الهم قمه في الدين وعله التأويل قاله لابن عباس متفق عليه من  
حديث ابن عباس دون قوله وعله التأويل فأخرج به الزيادة أحد وجب ولا وجهه وقد تقدم  
في العلم (٣) حديث على ما عندنا شيء أسره إلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يؤفقه الله عيدا  
فيها في كتابه ختم في آداب تلاوة القرآن (٤) حديث أفوا غرامة للؤمن الحديث ت من حديث  
أبي سعيد وقد تقدم (٥) حديث العلم علان الحديث تقدم في العلم (٦) حديث إن من أمتي محدثين  
ومكلمين وإن عمر منهم خ من حديث أبي هريرة قد كان قبا قبلكم من الأم محدثون يان لك في  
أمتي أحد فانه عمر روله من حديث عائشة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حشر ستين  
فألفا ألفاً قط وما  
قال شيء صنعت لم  
صنعه ولا شيء تركته  
لم تركته وكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
من أحسن الناس خلقاً  
وما مست خزا قط  
ولاحر برأولاً شيئاً كان  
ألين من كعب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
والأخمس مسكا قط  
ولا عطراً كان أطيب  
من عرق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فالمداواة مع كل أحد  
من الأهل والأولاد  
والجيران والأصحاب  
والخلق كافة من  
أخلاق النبوة  
وإحتفال الأذى يظهر  
جوهه النفس وقد قيل

النظر لتوبن أو لأعز نك قلت أوصي بديني ؟ فقال لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة . وعن  
أبي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرأيت قبرا عليه خرتان قلت في شيء هذا وأجابني كل على  
الناس نادى وقال - والله يعلم ما في أعينكم فاحذروه - فاستخفرت الله في سرى نادى وقال - وهو الذي  
يقبل التوبة عن عباده - ثم تاب عني ولم أره . وقال زكريا بن داود دخل أبو العباس بن سرقوب على أبي  
الفضل المحمدي وهو عليل وكان ضاعيا ولم يعرف له سبب يسيب به قال فما قلت قلت في شيء من  
أبنيا كل هذا الرجل قال ضلحني يأبأ الباس مرد هذه الحمة الدنية فان لله تعالى ألقاها خفية . وقال  
أحمد النقيب دخلت على الشيلي قال مفتونا يا أحمد قلت ما الخبر ؟ قال كنت جالسا جرى خاطري  
أنك تجل قلت ما أنا تجل فناد من خاطري وقال بل أنت تجل قلت متاع اليوم على شيء لإدائته  
إلى أول قمر يقاى قال لما استم الخاطر حتى دخل على صاحب الزنس الخدم ومعه خمسون دينارا  
قال اجلسا في مصالحك قال قلت فأخذتها وخرجت وإذا بقبر مكفوف بين يدي مزق علق رأسه  
فقدمت إليه وناولته الله تبارك قال أعطها للزنى قلت إن جعلها كذا وكذا قال أوليس قد قلنا لك  
إنك تجل قال فناولتها للزنى قال الزنى قد صدقنا لما جلس هذا القبر بين أيدينا أن لا تأخذ عليه  
أجرا قال فرميت بها في دجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أنه الله عز وجل . وقال حمزة بن عبد الله العلوي  
دخلت على أبي الخير التيناني واعتضدت في شيء أن أسلم عليه ولا آكل في داره طاما فلما خرجت من  
عنده إذا به قد سطعن وقد حمل طبقا فيه طعام وقال يا بني كل فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان أبو الخير  
التيناني هذا مشهورا بالكرامات . وقال إبراهيم الرقي قصته مسلما عليه فغفرت حمالة التريب فم بكذ  
قرأ النافعة مستويا فقام في شيء ضاعته فسرق طعاما خرجت إلى الطهارة قصدني سمع فعدت إلى أبي  
الخير وقلت قد نسي ميع خرج وصاح به وقال ألم أقل لك لا تصرخ لغيري فتنسي الأسد فتطهرت فلما  
رجعت قال لي لست تعلم بتقوم الظاهر خفتم الأسد ولست تعلم بتقوم الباطن غافنا الأسد . وما حكى من  
غرض الشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضايرهم يخرج من الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهدة  
الحضر عليه السلام والحوال منه ومن سماع صوت الخائف ومن فنون الكرامات خارج من الحصر  
والحكاية لا تتم إلا بحمدنا لم يشهد ذلك من شهد من أنكر لأصل أنكر التفصيل . والله الباطن الذي  
لا يقدر أحد على جمعه أمران : أحدهما حب الرضا السادة فانه يكشف بها التيب وإذا جاز ذلك في النوم  
فلا يستحيل أيضا في اليقظة فلم يدارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمسوسات فكم  
من متيقظ فاقص لا يسمع ولا يصر لا يشاهد نفسه . الثاني إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
التيب وأمره في السجدة كما اشتغل عليه القرآن وإذا جاز ذلك فتنسي <sup>بالحق</sup> جاز لغيره إذ التي عبارة  
عن شخص كونه محققا الأمور وغفل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون الوجود شخص مكافئ  
بالحقائق ولا يستحيل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نيا بل يسمى وليا فن آسن بالأنبياء وصدق بالروا  
الصحيحة زعمه لا محالة أن قربا إلى القلب بابان إلى خارج وهو الحواس وباب إلى اللسكون من داخل  
القلب وهو باب الألهام والفتن في الروح والوحي فإذا أقربهما جميعا لم يتمكن أن يحصر الماد في التعل  
وبشارة الأبواب الثلاثة بل يجوز أن تكون المجاهدة ميلا إليه فلهذا ما بينه من حقيقة ما ذكرناه من  
محبب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم اللسكون أو ما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمالحط  
إلى التعبير وكذلك نزل للأنبياء والأولياء صور مختلفة فذلك بأنهم أسرارها باب القلب ولا  
يليق ذلك إلا بعلم الكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستبانت في المجاهدة وطلب الكشف  
منها قد قال بعض المكلفين ظهر لي الملك نسائي أن أملى عليه شيئا من ذكرى الحق عن مشاهدتي

لكل شيء جوهر  
وجوهر الانسان العقل  
وجوهر العقل الصبر  
أخبرنا أبو زرعة  
طاهر عن أبيه الحافظ  
للقدس قال أنا أبو محمد  
الصريضي قال أنا  
أبو القاسم عبيد الله  
ابن حياة قال أنا  
أبو القاسم عبيد الله  
محمد بن عبد العزيز قال  
حدثني بن الجند قال  
أنا شعبة عن أبي حمص  
عن يحيى بن وثاب  
عن شيخ من أصحاب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قلت من  
هو ذلك إن عمر عن  
التي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال لا تؤمن  
اللهى يماثر الناس  
ويصير على أديم خير  
من الذي لا يغالبهم



من التوحيد وقال ما تكتب لك عملا ونحن نحب أن نصلك بعمل تقرب به إلى الله عز وجل قلت ألسنا  
تكتبان القرائن قالا بلى فكتبك كما ذكرك وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلون على أسرار  
القلب وإنما يطلون على الأعمال الظاهرة . وقال بعض العارفين سألت بعض الأبدال عن مسألة من  
مشاهدة اليقين فالتفت إلى شياخه فقال ما قول رحمك الله ثم التفت إلى يمينه فقال ما قولك رحمك الله ثم  
أطرق إلى صدره وقال ما قولك رحمك الله ؟ ثم أجاب بأعجب جواب سمعته فسأته عن التفاته فقال ليكن  
عندي في اللبابة جواب عتيق فسألت صاحب الجهل فقال لأدري فسألت صاحب اليقين وهو أعلمته  
قال لأدري فظفرت إلى قلبي وسأله فحدثني بما أجبتك فآذاه وأعلم من ما وكان هذا هو معنى قوله عليه  
السلام « إن في أمي حديثين وإن عمر مني » وفي الآخر : إن الله تعالى يقول يا عبد اطلعت على قلبه فرايت  
الغالب عليه التمسك بذكرى تولى سياسة وكنت جليسه وعجائه وأنيسه . وقال أبو سليمان النابلسي  
رحمه الله طاب له القلب بمنزلة القبة الخضراء حولها أبواب منفقة فأبى باب فتش له عمل فيه قد ظهر  
اختناح باب من أبواب القلب إلى جهة للسكرت وللأبواب المنفقة ذلك الباب بالمجاهدة والورع  
والإعراض عن شهوات الدنيا ولعلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احتفظوا بقلوبكم  
من اللطيف فانهم ينجل لهم أمور صادقة . وقال بعض العلماء يد الله على أقوال الحكماء لا ينطقون إلا  
بما هيأ الله لهم من الحق . وقال آخر لو شئت قلت إن الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره .  
( بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسوس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها )

اعلم أن القلب كما ذكرناه مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ومثالها أيضا  
مثال هدف تنصب إليه سهام من الجواب أو هو مثال سرقة فتصوبة تحتها عليها أصفاء الصور المختلفة  
فتراعى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة فمن أجل مفتوحة  
إليه وأغصا مداسل هذه الآثار لتجدد في القلب في كل حال أمان الظاهر والحواس الخمس وأمان  
الباطن والخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان فانه إذا أدرك بالحواس شيئا  
حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا حاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الأكل وبسبب قوّة الزواج  
حصل منها في القلب أثر وإن كلف عن الاحساس فالعالات الخاصة في النفس تبقى وينتقل الخيال  
من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر وللتقصود أن القلب  
في التغير والتأثر دائما من هذه الأسباب وأخص الآثار الخاصة في القلب هو الحواطر وأعني بالحواطر  
ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به إدراكه علوما إما على سبيل التجرد وإما على  
سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث إنها خطر ببدن كان القلب فاعلم أنها الحواطر هي الحركات  
للأرادات فان الثبة والزم والارادة إنما تكون بعد خطور للنوى بالبال لا محالة فبدا الأفعال  
الحواطر ثم الحواطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك الزم والزم يحرك الثبة والثبة تحرك الأعضاء  
والحواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أفعلى إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى  
الحير أفعلى إلى ما ينعف في البدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فاختفر إلى اسمين مختلفين فالخاطر الحمود  
يسمى إلهاما والخاطر للنعوم أفعلى إلى الشر يسمى وسوسا ثم تذكر أن هذه الحواطر حادثة  
ثم إن كل حادث فلا بد من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب هذا  
ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب الاسباب فلهذا استتارت حيطان البيت بنور النار  
وأظلم مقفه ولمود بالمدخل علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لا توار القلب وظلمته  
سببان مختلفان فسبب الحواطر الداعى إلى الخير يسمى ملكا وسبب الحواطر الداعى إلى الشر يسمى شيطانا

ولا يسير على أدامه  
وفي الخبره أيسر أحدكم  
أن يكون حكايا  
ضمضم قبل ماذا كان  
يصنع أبو ضمضم قال  
كان إذا أصبح قال  
الهم إن تصدقت  
اليوم مرضى على من  
ظلمني فمن ضريرني  
لا أضربه ومن ضمنى  
لا أهتمه ومن ظلمني  
لا أظلمه . وأخبرنا  
شياء الدين عبد الوهاب  
قال أنا أبو الفتح  
المروى قال حدثنا  
الرياني قال أنا الجراحي  
قال أنا المروى قال  
أنا أبو عيسى الترمذي  
قال ثنا ابن أبي عمير  
قال ثنا سفيان عن  
عميد بن السكندر عن  
عروة عن عائشة  
رضي الله عنها قالت

والخلف الذي يتبأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً والذي يبتئياً لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً فإن المأني المختلفة تنحدر إلى أسامي مختلفة وذلك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شاء إرادة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شاءه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالمعصية والتخويف عند إلهام الخير بالقتل بالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة التوفيق في مقابلة الخذلان وإليه الأهارة بقوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - فإن للوجودات كلها مقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها فالقلب متجاذب بين الشيطان ولللك وقد قال صلى الله عليه وسلم « في القلب ثمان لمة من لللك إجماد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه ممن الله سبحانه وليحمد الله ولة من المدو إجماد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى - الشيطان يدركم القفر ويأمركم بالصنعاء - (١) الآية وقال الحسن إنما هما هتان يحولان في القلب هم من الله تعالى وهم من المدو فرحم الله عبدا وقف عنه هه فما كان من الله تعالى أمضاء وما كان من عدوه جاهد مولد لجاذب القلب بين هذين السلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قلب للؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن (٢) » فلهذا يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وصعب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصعب سرعة القلب والقدرة على التحريك والتشير فانك لا تريد أصبعك لشخص بل قمعه في التخليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك والله تعالى يفعل ما يشاء بالاستسغار لللك والشيطان وهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة للشيء فقلب الأجسام مثلاً والقلب بأصل القطر صالح لقبول آثار لللك وقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يرجع أحدهما على الآخر وإنما يرجع أحدهما إلى الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومقاومتها فإن اتبع الإنسان مقتضى النضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عرض الشيطان ومعه لأن الهوى هو مرضى الشيطان ومرضه وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وشبهه بأخلق اللائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر لللائكة ومهيئ لهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وضبط وحرس وطعم وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية للتشبهه عن الهوى لا جرم لغير قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد إلا وله شيطان قالوا أو أنت يا رسول الله قال وأنت إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير (٣) » وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانته الله على ههوته حتى صارت لا تبسط إلا حيث ينبغي وإلى الهدى ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان للتندرج بها لا يأمر إلا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الله نيا بتعزيتات الهوى وجد الشيطان جمالا فوسوس ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ربح الشيطان وشاق جماله وأقبل لللك وألمم والتطارد بين جندي لللائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينتزع القلب أحدهما فيستوطن ويستمكن ويكون اجتياز الثاني اختلافاً أو كثر القلوب قد قدحت بها جنود الشياطين وتعلكتها فامتلات بالوسواس للباعية إلى دار المعاجلة واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها باتباع الشهوات والهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخليب القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى

(١) حديث في القلب ثمان لمة من لللك إجماد بالخير الحديث وحسنه وثق في الكبرى من حديث ابن مسعود (٢) حديث للؤمن بين أصبعين الحديث تقدم (٣) حديث ما منكم من أحد إلا وله شيطان الحديث م من حديث ابن مسعود .

« استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند فقال بشي ابن الشيرة أو أخو الشيرة ثم أذن له فالأن بالقول فخرج قلت يا رسول الله قلت له ما قلت ثم أئنت له القول قال يا عائشة إن من شر الناس من يترك الناس أو يدعه الناس إغواءه » وروى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتق الله حيناً كنت وأتبع البيت الحسنه تمحها وخالف الناس خلق حسن » فلهذا يستند به على قوة عقل الضمض ووفور علمه وحله حسن السلدرة ، والتفلس

والشبهات وممارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر للثلاثية . وقال جابر بن عبيدة السدي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال : إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به الموص فان كان فيه شيء طليو ولا مضوا وتركوه يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك حلق الله عليه الشيطان وقال تعالى - أفرأيت من أخذ إلهه هواه - وهو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن الماس [١]

لنبي صلى الله عليه وسلم «إرسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وفرادتي فقال ذلك شيطان قال له خذ به فإذا أحسسته فتوضأ بالله منه واتخذ على يارك ثلاثا قال فقلت ذلك فأخذه الله مني (٢) وفي الخبر «إن المؤمن عيطا قال له المؤمن فاستبشروا بالله منه (٣) ولا يمسو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ماسوي ماسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انضم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز أيضا أن يكون جمالا للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه جمال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد جميع وسوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبري من المحول والقوة وهو معنى قوله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله الصل العظيم وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون القاب عليهم ذكر الله تعالى وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفتنات على سبيل الخلسة قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقال جاهد في معنى قول الله تعالى - من شر الوسوس الخناس - قال هو منبسط على القلب فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل انتبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادها قال الله تعالى - استحوذ عليهم الشيطان فأنسأ ذكر الله - وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان واضع خروطه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى انتم قلبه (٤) وقال ابن وضاح في حديث ذكره : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مع الشيطان وجهه يئده وقال بأبي وجهه من لا يخلع (٥) وكذا أن الشهوات تمزجة يلهم ابن آدم وجهه فسلطنة الشيطان أيضا سارية في لحمه ودمه ومهيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتضيوا مجاريه بالجوع (٦)» وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجري الشيطان الشهوات ولاجل اكتشاف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخبارا عن إبليس - لأقصدن لهم صراطكم للتعظيم

(١) حديث ابن أبي الماس إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي الحديث م من حديث ابن أبي الماس (٢) حديث إن المؤمن عيطا قال له المؤمن فاستبشروا بالله منه (٣) حديث أنس إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب مكاييد الشيطان وأبو يعلى الوصلي وابن عدي في الكامل وضحه (٤) حديث ابن وضاح إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يقب مع الشيطان وجهه وقال بأبي وجهه من لا يخلع لم أجد له أملا (٥) حديث إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتم

[١] قوله عمرو بن الماس كذا في النسخ قال الشارح والصواب عثمان بن أبي الماس وفي الرقاعي ما يشير لذلك .

لاتزال تشتم من  
يكس مرادها  
ويستغزها القيد  
والشبه والمداورة قطع  
حمة النفس ورد عيشها  
وقورها . وقد ورد  
«من كظم غيظا هو  
يستطيع أن ينفذه  
دمه الله يوم القيامة على  
رموس الخلائق حتى  
يخسره في أي المحول  
شاه . وروى جابر  
رضي الله عنه عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال «ألا أخبركم  
على من حرم النار؟ على  
كل حين لين سهل  
قريب» . وروى  
أبو سعود الأصبغ  
رضي الله عنه قال أن  
الذي عليه السلام رجل  
فكلمه فأرعد فقال  
هون عليك فاني لست

ثم لا يتبين من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيامهم وعن شمائلهم - وقد صلى الله عليه وسلم  
 « إن الشيطان قد لا ين أدم بطرق فقد له بطريق الإسلام قال أئمتك ويترك دينك ودين آبائك  
 فساد وأسلم ثم قد له بطريق الهجرة قال أئمتك أئمتك وأئمتك فساد وهاجر ثم قد له  
 بطريق الجهاد قال أئمتك وهو علف النفس واللذات فتقاتل فتقتل فتسكن نساؤك وتسلم مالك  
 فساد وجاهد <sup>(١)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فمن فعل ذلك فإت كان حقا على الله أن  
 يدخله الجنة » قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر  
 للجهاد أنه يقتل وتسلم نساؤه وغير ذلك مما يصره عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة ، فإذا  
 الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطره سبب ويقتل إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور  
 أن يفتك عنه آدمي وإنما يفتكزون بصيانه ومتابته ولذلك قال عليه السلام « مامن أحد إلا وله  
 شيطان <sup>(٢)</sup> » قد أضح بهذا النوع من الانقياد معنى الوسوسة والإلهام ولذلك والشيطان  
 والتوفيق والحذلان فيبد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم وإن  
 كان جسا فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم فهذا الآن غي عتاج إليه في علم السامعة بل  
 مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثياب حية وهو محتاج إلى إزالتها ودفع ضررها فاشتغل  
 بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عن الجهل لفاسدة الخواطر الباطنة على الشر  
 قد علمت ودل ذلك على أنه عن سبب لاهية وعلم أن الناس إلى الشر المندرج في المستقبل عدو  
 قد عرف العدو لاهية ، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عدوته في مواضع كثيرة  
 من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو  
 حظه ليكونوا من أصحاب السمر - وقال تعالى - ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان  
 إنه لكم عدو مبين - فينبغي للجد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه  
 وسكته ، ثم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدهنه عن شدة وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك  
 كاف للمالين ، فأما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته فهو بالله منه حقيقة للآلة فذلك يبين العارفين  
 للتخليل في علوم الكشفات فلا يحتاج في علم السامعة إلى معرفته ، ثم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم  
 إلى مايل قلما أنه داع إلى الشر فلا ينبغي كونه وسوسة وإلى مايل أنه داع إلى الخير فلا يشك في  
 كونه إلها ما وإلى مايرتد فيه فلا يدري أنه من لة لذلك أومن لة الشيطانان من مكيد الشيطان  
 أن يمرض الشر في مرض الخير والقيز في ذلك فامض وأكثر العبادة بهلكون لأن الشيطان  
 لا يقدر على دأهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول العالم بطريق الوعد أما تنظر  
 إلى الخلق وهم موف من الجهل هلكت من التفتة فتأثروا على النار أما للفرحة من عباد الله تقدم  
 من العاطب بتسلك ووعظك وقد أتم الله عليك قلب بصير ولسان ذكي ولعبة مقبولة فكيف  
 تنكر نعمة الله تعالى وتعرض لمنه وتسلمك عن إشاعة العلم ودعوة الحق إلى السراط للستقيم ؟  
 ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجده بلطيف الجلب إلى أن يشتغل بوعظ الناس ثم يدعو بسد  
 ذلك إلى أن يترن لهم ويصنع بتحصين القلب وإظهار الخير ويقول له إن لم تفعل ذلك سقط وقع  
 كلامك من قلوبهم ولم يبتدوا إلى الحق ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في اثباته يؤكده في جواب  
 الرياء ويقول الخلق واللة الجلاء والتمزج بكرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بين الاحتقار فيستدرج

(١) حديث إن الشيطان قد لا ين آدم بأطرقه الحديث ن من حديث سيرة بن أبي فاكه بسداد  
 صحيح (٢) حديث مامن أحد إلا له شيطان الحديث تقدم .

بذلك إنما أنا ابن امرأة  
 من قريش فكانت  
 تأكل القديد » وعن  
 بعضهم في معنى لين  
 جانب الصوفية :  
 هينون لينون أيسر  
 بؤيس  
 سواس مكرمة أبناء  
 أيسر  
 لا يتقون عن القهشاه  
 إن نظقوا  
 ولا يمارون إن ماروا  
 في كثر  
 من تلقى منهم تقل  
 لا يفت سبهم  
 مثل النجوم القوسرى  
 بها السارى  
 وروى أبو الدرداء عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال « من أعطى حظه  
 من الرفق قد أعطى  
 حظه من الخير ومن  
 حرم حظه من الرفق

للسكين بالصبح إلى الملائكة فتبكم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول بذلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين قوم لا خلاق لهم» (١) . «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) . ولقد روى أن إبليس لعنه الله مثل ليس ابن مريم صلى الله عليه وسلم قال له قل لا إله إلا الله فقال كلف حق ولا أقولها بقولك لأن له أيضا تحت الخير تلبسات وتلبسات الشيطان من هذا الجنس لا تتأذى بها يهلك الماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأخصهم الخوض في العاصي للكشفة ، وسندكر جملة من مكاييد الشيطان في كتاب الضرر في آخر هذا الربع ولعلنا إن أمهل الزمان منقنا فيه كتابا على النصوص نسميه [تابيس إبليس] فإنه قد انتشر الآن تلبسه في البلاد والعباد لا سيما في اللذاهب والاعتقادات حتى لم يبق من الغيبرات إلا رسمها كل ذلك إننا تلبسات الشيطان ومكاييد حتى على البعد أن يقف عند كل م خطر له ليم أنه من تلك أوله الشيطان وأن عين النظر فيه بين البصرة لاجبوي من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصرة وفؤارة السلم كما قال تعالى - إن الذين اخذوا إذا مسح طائف من الشيطان عند كروا - أي رجوا إلى نور السلم - فإذا هم مبصرون - أي ينكشف لهم الإكمال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبسه بتأية الحموى فيكثر في غلظه ويضل فيه هلاكه وهو يشعر وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - قيل هي أعمال ظنوها حسنا فإذا هي سيئات ، وأغشى أنواع علوم العامة الوقوف على خضع النفس ومكاييد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبيد وقد أحله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم السواوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسج عنده وطريق الاحتراز عنه ولا ينبغي من كثرة السواوس إلا سد أبواب الخواطر وأبواب الحواس الخمس وأبوابها من داخل الشهوات وعلاقي الدنيا والغلو في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والبال يقل مدخل السواوس من الباطن ويتق مع ذلك مداخل باطنه في التخللات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلبسه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا للوثة إذ لا تخلص أحد من الشيطان مادام حيا ، نعم قد يقوى بحيث لا يتفاديه ويدفع عن نفسه شره بالمجاهدة . لكن لا يستغنى قط عن المجاهدة وللدافعة مادام الحيم يجري في بدنه فإنه مادام حيا فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لاتنلق وهي الشهوة والنفس والحسد والطمع والغيرة وغيرها كل سيئات شررها ، ومهما كان الباب مفتوحا والمدعو غير غافل لا يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة . قال رجل لحسن يابا سيد أبنام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذن لإخلاص المؤمن منه ، نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوته . قال صلى الله عليه وسلم «إن المؤمن ينقى شيطانه كما ينقى أحدكم بخره في سفره» (٣) . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزوله وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل الصفر قلت له ذلك فقال قد ينقى بذكر الله تعالى فأهل التقوى لا يتسلط عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أمن الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التي تنفذ إلى العاصي الظاهرة وإنما يتصرفون في طرقه التامضة قاهم لا يتدنون إليها

(١) حديث أن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم من حديث أنس بساند جيد (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم (٣) حديث إن المؤمن ينقى شيطانه الحديث أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لمية.

قد حرم حظه من الخير «حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إسماعيل قال ثنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله السالبي قال أنا أبو الحسين الحسين عبد الرحمن بن أبي طلحة الهادي قال أنا أبو محمد عبد الله الحموي السرخسي قال أنا أبو عمران عيسى بن حمير السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الهادي قال أنا محمد بن أحمد بن أبي خلف قال ثابعد الرحمن بن محمد من محمد بن إسحق قاله حدثني عبد الله بن أبي بكر عن رجل من الربيع قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيحرمونها كما أشرنا إليه في غرور الماء والوعاظ. ولشك أن الأبواب المفتوحة إلى الباب للشيطان كثيرة وباب للامانة باب واحد وقد انبسط ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالسيد فيها كالسافر الذي يثق في بادية كثيرة الطرق فادمنه للسائق في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا يبين بصيرة وطول وعرض مشقة واللين البصرة هنا هي القلب الصبي بالقوى والشمس للشرق وهو العلم المتصور للسفاد من كتاب الله تعالى وستة وسوله صلى الله عليه وسلم مما يهدي إلى غوامض طرقه وإلا فطره كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا - وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل - تلك الخطوط (١) » فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق النامض من طرقه وهو الذي يمنع به الماء والعباد للسالكين لشهواتهم الكافين عن العاصي الظاهرة، فلنذكرنا لطرقة الواضحة الذي لا يخفى إلا أن يضطر الأدي إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «كان راعب في بني إسرائيل فصد الشيطان إلى جارية غنمها وألقى في قلوب أهلها أن مواضع عند الراعب فأقروا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عند ليما إليها أثناء الشيطان فزبنه مقاربتها ولم يزال به حتى وألقها فحلبت منه فوسوس إليه وقال الآن خضع بأيتك أهلها فاقبلها فان سألوته قتل ماتت قتلها ودقها فألقى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أهلها ثم قتلها ودقها فأثناء أهلها فسألوها عنها فقالت ماتت فأخذوا ليتفتوها فأثناء الشيطان قال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فطعن تيج وأخلصك منهم قال بعدا وقال اسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان إني برىء منك، فهو الذي قال الله تعالى فيه - كسل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك - (٢) » فانظر الآن إلى حيله وانظر لمره الراعب إلى هذه الكبار وكل ذلك لطاعته في قبول الجارية لعلها لجة وهو أمرين وربما يظن صاحبه أنه خير وحسن فيحسن ذلك في قلبه يخفى المعوى فيقدم عليه كالأرباب في الخبر فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجهز البعض إلى البعض بحيث لا يجد حيلما تنمذ بالله من تشجيع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من حلم حول الحمر يوشك أن يقع فيه» (٣)

(بيان تصنيف مداخل الشيطان إلى القلب)

اعلم أن مثال القلب مثال حسن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع تملكه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يجرى أبوابه لحاية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض على من كل عبد مكلف وملا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة

(١) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله الحديث في الكبرى و لا وقال صحيح الاستاد (٢) حديث كان راعب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فطعنها وألقى في قلوب أهلها أن مواضع عند الراعب الحديث بطوله في قوله تعالى - كسل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر - ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردود في تفسيره في حديث عيين أن أقرقا عرسلا ولما تم نحوه موقوفا على طي بن أبي طالب وقال صحيح الاستاد ووصه بطيخ في مستدرك حديث طي (٣) حديث من حلم حول الحمر يوشك أن يقع فيه متفق عليه من حديث الثمان بن بشير من رجع حول الحمر يوشك أن يوشك قطعه.

يوم خنين وفي رجل  
نعل كشيقة قوطت بها  
على رجل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
ففضي تحة بسوط  
يده وقال باسم الله  
أوجنتي قال فبت  
لفسي لأشأ أقول  
أوجنت رسول الله قال  
فبت بليعة كما يعلم الله  
فما أصعبنا إذا رجع  
يقول ابن فلان قلت هذا  
والله الذي كان معي  
بالأسي قال فانطلقت  
وأنا متخوف فقال لي  
إنك وطئت بذلك على  
رجل الأسي فأوجنتي  
فتضحك فتعجب السوط  
فهذه نماون نسبة  
غلبها بها . ومن  
أخلاق الصوفية الإتيان  
ولواحدة وعلمهم على  
ذلك فرط الشفقة

مدخله فصار معرفة مدخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه صفات البهوى كثيرة ولكننا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية بحرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان . فمن أبواب العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو قول الفل وإذا خفف جند الفل هم جند الشيطان ومنها غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة ، وقد روى أن موسى عليه السلام أتته إبليس فقال له ياموسى أنت الذى أسقطك الله رسلك وملكك فكلمنا وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فافعل لى ربي أن يتوب لى قال موسى نعم فلما صد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراده النزول قال له ربه أذ الأمانة فقال موسى يا رب صدك إبليس يريد أن يتوب عليه فأوحى الله تعالى إلى موسى ياموسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد قير آدم حتى يتاب عليه فلقى موسى إبليس فقال له قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد قير آدم حتى يتاب عليك فغضب واستكبر وقال لم أسجد له حيا أ أسجد له ميتا ثم قال له ياموسى إن لك لى حقا بما فعلت لى لى ربك فلاذكرنى عند ثلاث لأهلكك فهين : اذكرنى حين تغضب فإن روحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك بحرى الهوى ، اذكرنى إذا غضبت فاته إذا غضب الإنسان هفت فى أعنه فابدى ما يصنع واذكرنى حين تلقى الخوف فأتى ابن آدم حين تلقى الخوف فأذكره زوجته وولده وأهله حتى يولى وليك أن تجلس لى امرأة ليست بذات عرم فأتى رسولها إليك وسوكت إليها فلا أزال حتى أهلكك بها وأتينا بك قد أهار بهذا لى الشهوة والغضب والحرس فإن القرار من الخوف حرس على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مدخله وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرتى كيف تغلب ابن آدم قال اتخذ عند الغضب وعند الهوى ، قدسحكن أن إبليس ظهر لربيب فقال له الربيب أى أخلاق فى آدم أعون لك قال الحنة فإن البعد إذا كان حديثا قلبناه كما يقب الصبيان الكرة ، وقيل إن الشيطان يقول كيف يثلبى ابن آدم وإذا رضى جث حتى أكون فى قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون فى رأسه ومن أبواب العظيمة الحسد والحرس فهما كان البعد حرسا على كل شئ إحمده حرسه وأمنه إذ قال صلى الله عليه وسلم « حبك لشيئ يسي ويصم (١) » ونور البصيرة هو الذى يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرس لم يصرفه عن مداخل الشيطان فرصة فيحس عند الحرس كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا وقاحشا قد روى أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى فى السفينة شيئا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلتك فقال دخلت لأحبب قلوب أصحابك فكون قلوبهم معى وأبدانهم ملك فقال له نوح اخرج منها يا عداوة فإنك لمن قاله إبليس : خمس أهلكك بين الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولأحدثك باثنين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين قال له نوح ما الاثنتان فقال ما الاثنتان لا تسكذباني ما الاثنتان لا تخلفاني بهما أهلكك الناس : الحرس والحسد ، فالحسد لمت وجعلت شيطانا رجيا وأما الحرس فاته أصبح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتى منه بالحرس . ومن أبواب العظيمة الشبع من الطعام وإن كان حلالا صالحا فإن الشبع يجرى الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان ، قد روى أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليها السلام فرأى عليه سحاليق من كل شئ فقال له يابليس ما هذا للعالمى ؟ قال هذه الشهوات التى أصبت بها ابن آدم قال فهل فيها من شئ ؟ قال ربما هبت فتفكك عن الصلاة وعن الله كره قال فهل غير ذلك ؟ قال لا قال له لى أن لا تأكل بلطف من الطعام أبدا فقال له إبليس ولله لى أن لا تصوم مسلما أبدا . ويقال لى كثرة

(١) حديث حبك لشيئ يسي ويصم أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف .

والرحمة طبا وقوة  
اليقين شرما يؤثرون  
بالوجود وصبرون على  
للقعود . قال أبو يزيد  
البسطامى ما غلبنى  
أحد ما غلبنى شابسين  
أهل بلغ قدم علينا  
حاجا قال لى يا أبا يزيد  
ما حد الزهد عندكم  
قلت إذا وجدنا أكلنا  
وإذا قد تاصبرنا قال  
هكذا عندنا كلاب  
بلغ قتلته وما حد  
الزهد عندكم ، قال  
إذا قد تاشكرنا وإذا  
وجدنا آثرنا . وقال  
ذوالنون من علامة  
الزهد التصريح صدره  
ثلاث : خريق الجموع  
وترك طلب التقويد  
والإشارة بالقوت . روى  
عبد الله بن عباس  
رضى الله عنهما قال

الأكل يستحال مذمومة : أولها أن يذهب خوف الله من قلبه . الثاني أن يذهب رحمة الخلق من قلبه .  
لأنه يظن أنهم كاهنهم شياخ . والثالث أنه يثقل عن الطاعة . والرابع أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد رغبة .  
والخامس أنه إذا تكلم بالوعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس . والسادس أن يهيج فيه الأمراض .  
ومن أبواب حب القرين من الأثاث والياب والدار لأن الشيطان إذا رأى ذلك قال على قلبه الإنسان  
ياض فيه وفرغ فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعو  
إلى التزين بالياب والهدوب ويستمره فيها طول عمره وإذا أوقفه في ذلك قد استقر أن يود إلى ثانية  
فإن يمس ذلك عمره إلى اليسر فلا يزال يؤذيه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إلى أجله فيموت وهو في  
سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخفى من ذلك سوء العاقبة بالكفر ثمود بالله منه . ومن أبواب العظيمة  
الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحب إليه التصنع والقرين لمن طمع فيه  
بأنواع الرياء والتلبس حتى يصير الطمع فيه كآته مبعود فلا يزال يشكر في حجة التردد والتعجب  
إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك ، وأقل أحواله التناء عليه بالميل فيه وللداعية له ترك  
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد صرّف صوفان بن مسلم أن إبليس غفل لبداية بن حنظلة قد قاله  
بأن حنظلة اخضع عني شيئا أعلمك به فقال لأحسبه لي به قال انظر فإن كان شيئا أخذت وإن كان  
شيئا رددت بأن حنظلة لئلا يحدّث أحد غير الله سوء الواسطة وانظر كيف تكون إذا غضبت فاني أمسكك  
إذا غضبت . ومن أبواب العظيمة العجة وترك التثبت في الأمور وقال صلى الله عليه وسلم « السجدة  
من الشيطان والثاني من الله تعالى (١) » وقال عز وجل - خلق الإنسان من عجل - وقال تعالى - وكان  
الإنسان مجرّلا - وقال عليه صلى الله عليه وسلم - ولا تجعل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه -  
وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد البصيرة والعرفة والبصيرة تحتاج إلى تأمل وتعميل والسبلة تمنع  
من ذلك وعند الاستجمال يروج الشيطان شره في الإنسان من حيث لا يدري ، فقد روي أنه لما ولد  
عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نسكت دعوها فقال هذا  
حادث قد حدث مكانك فطار حتى أتى خافق الأرض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد  
وإذا للآلئكة حافين به فرجع إليهم فقال إنني أقول البارة ماحلت أتي قط ولا وضعت إلا وأنا  
حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تصد الأصنام بدهله الكلبة ولكن التواهي آدم من قبل السجدة والحفة .  
ومن أبواب العظيمة الدرام والله ناير وسائر أصناف الأموال من العروض والهدوب والمقار فإن كل  
ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستر للشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مادة  
ديار مثلا في طريق انتم من قلبه عشر شهور تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا  
يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعة أخرى وقد كان قبل وجود الآلة مستنيا لأن ما وجد مائة ظن  
أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعة ليشترى دارا يسمرها وليشترى جارية وليشترى أثاثا  
البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخره فيقع في  
هاوية آخرها حتى جهنم فلا آخر لها سوء . قال ثابت البناني (٢) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال إبليس لشياطينه قد حدث أمر فانظروا ما هو فانظروا حتى أصبحوا ثم جاءوا وقالوا ما ندري قال  
أنا أتيتكم بالمر فذهبتم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال لجلل يرسل شياطينه إلى  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيفسدون خابئين ويقولون ما سمعنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب  
منهم ثم يقولون إلى صلاحهم فيسمى ذلك فقال إبليس رويدهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا  
(١) حديث العجة من الشيطان والثاني من الله ت من حديث سهل بن سعد يلفظ الأناة وقال حسن

قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يوم  
التنزيل لأصاير إن  
شتمت شتمت لها جارين  
من أموالكم ودياركم  
وتشاركونهم في هذه  
القيمة وإن شتمت  
كانت لكم دياركم  
وأموالكم ولم تقسم لكم  
شيئا من القيمة ، وقالت  
الأصاير بل تقسم لهم من  
أموالنا وديارنا ونؤثرهم  
بالقيمة ولا نشاركهم  
فيها ، فأزل الله تعالى  
- ويؤثرون على أنفسهم  
ولو كان بهم خصاصة -  
وروي أبو هريرة  
رضي الله عنه قال جاء  
رجل إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقد  
أصابه جمد قال  
يا رسول الله إنني جائع  
فاطعمني فبعت النبي  
صلى الله عليه وسلم إلى



تصيب منهم حاجتنا (١). وروى أن عيسى عليه السلام نوسد يوما حجرا لم يمس به إبليس قال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذ عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم قد ملك من الدنيا ما يمكن أن يكون عدة للشيطان عليه فان القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسد فلا يزال يدهمه إلى النوم وإلى أن يتوسد ولو لم يكن ذلك لكان لا يحظر له ذلك يالوا لاحتراك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك الحاد الوير والقرش الوطنية ولتنزهات الطبيعة لمي ينشط لقيادة الله تعالى ؟ ومن أبواب النظيمة البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الاتحاق والصدق ويدهم إلى الادخار والكثرة والمذاب الأليم وهو للوعود للكافرين كما نطق به القرآن العزيز . قال خيشة بن عبد الرحمن إن الشيطان يقول ما غلبني ابن آدم غلبة قلن يغلبني على ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإفاته في غير حقه ومنه من حقه . وقال سفيان ليس للشيطان صلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وكسب ما يوقى وظن بره ظن السوء . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق بلع المال والأسواق هي معش الشياطين . وقال أبو أمامة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجبل لي بيتا قال الحمام قال اجبل لي مجلسا قال الأسواق وجميع الطرق قال اجبل لي طعاما قال طعامك ما لم يذكرك اسم الله عليه قال اجبل لي شربا قال كل مسكر قال اجبل لي مؤذنا قال للزمار قال اجبل لي قرآنا قال الشعر قال اجبل لي كتابا قال الوشم قال اجبل لي حديثا قال الكذب قال اجبل لي مصابيح النساء (٢) ومن أبواب النظيمة التوصل بالصعب للمذاهب والأهواء والمحدث على المحصور والنظر إليهم بين الازدراء والاستعقار وذلك مما يهلك العباد والقاسي جميعا فان الطعن في الناس والافتخار بذكر قصصهم مجرور في الطبع من الصفات السبية فإذا خيل إليه الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوه على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسمى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين ترى الواحد منهم يتصب لأبي بكر الصديق رضى الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالقسوف والكذب ومتعاطي لأتباع الفساد ولو رأوا أبو بكر لكان أول عدوه إذ مولى أبي بكر من أخنسية وسار بسيرة وحفظ ما بين لحية . وكان من سيرته رضى الله عنه أن يضع حافة في ليكف لسانه عن الكلام لئلا يبينه فأبى لهذا القسوف أن يدعى ولاده وحبه ولا يسير بسيرة وترى فضولا آخر يتصب لمي رضى الله عنه وكان من زهد على وسيرة أنه ليس في خلافة نوبا افتراء بثلاثة دراهم وقطع رأس السكين إلى الرغص وترى القاسق لا يبا ثياب الحرير ومتجلا بأموال كسبها من حرام وهو يتعاطى حب على رضى الله عنه ويدهم وهو أول خصامته يوم القيامة وليت همى من أخذ ولدا عزيزا لئسان هورقة منه وحياء قلبه فأخذ يضربه ويقرقه ويشتف همره وقطعه بالقرض وهو مع ذلك يدعى حب أبيه ولولاه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وحمز وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم من الأهل والولد بل من أقصم

(١) حديث ثابت لما بعث صلى الله عليه وسلم قال إبليس ليطاينه قد حدث أمر الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان حكاه مرسل (٢) حديث أبي أمامة إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب آتني إلى الأرض وجعلني رجلا فأجبل لي بيتا قال الحمام الحديث الطبراني في الكبير وإسناده ضيف جدا ورواه نحوه من حديث ابن عباس بإسناد ضيف أيضا .

أزواجه هل عند كن  
شبه فكلهن قلن  
والذي بشك بالحق  
نينا ما عندنا إلا للساء  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ما عندنا  
ما نطعمك هذه الليلة  
ثم قال من يضيف  
هذا هذه الليلة رحمه  
الله قلم رجل من  
الأصناف فقال أنا  
بارسول الله فأبى به  
منزه قال لأهله هذا  
ضيف رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأكرمه  
ولا تدخرى عنه شيئا  
فقال ما عندنا إلا لاهوت  
الصبية فقال قنوى  
عليهم من قوتهم حتى  
يناموا ولا يطعمون  
هكذا ثم أخرجى فإذا  
أخذ الضيف ليأكل  
قوى كأنك تصليين  
السراج فأطفئيه

وللتحمون لماضى الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعون عقارى الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه قترى كيف يكون حالم يوم القيامة عند الصباح وعند أول الله تعالى لأبل لو كشف القطاء وعرف هؤلاء ما تحب الصباحة في أم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحبوا أن يجرؤوا على اللسان ذكرهم مع قبح أعمالهم ثم إن الشيطان يغزل إليهم أن من مات عبداً إلى بكر وعمر فانار لأهول حوله وغزل إلى الآخر أنه إذا مات عبداً لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فاطمة رضى الله عنها وهى بمكة منه (١) وأعمل لاني لأغنى عنك من الله شيئاً (٢) وهذا مثال أوردناه من جهة الأهواء ، وهكذا حكم للتصنيفين للشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى منذهب إمام وهو ليس بيسر بغيره فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كان ملهى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لأجل الهدى باللسان فالتفتى في العمل والسيرة التى هى ملهى ومسلكى الذى سلكتموه ذهبت فيه إلى الله تعالى ثم ادعت مذهبه كاذبا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر المألوقة وسلبت للدارس لأقوم قل من الله وخوفهم وضعت في الدين بغيرتهم وقوت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستبصار حرصهم ولم يتمكنوا من الاستبصار وإقامة الجلاء إلا بالتصعب لحبسوا ذلك في صدورهم ولم يذهبوا على ما كابد الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس على نوسو أمهات دينهم فهدل كواهملك وأما الله تعالى يتوب علينا وعليهم وقال الحسن ليقن أن إبليس قال سولت لأمة محمد ﷺ المامى قصصه وظهورى بالاستنفار فسولت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهى الأهواء وقد صدق للون قاهم لا يملون أن ذلك من الأسباب التى تجر إلى المامى فكيف يستغفرون منها . ومن عظيم حل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في للذاهب والمصومات قال هيد الله بن مسعود جلس قوم يذكرون الله تعالى فأقام الشان ليقمهم عن جلسهم وخرق بينهم فم يستطع فأتى رقة أخرى يتحدثون حديث الله تعالى فأفسد بينهم قاموا يشتلون وليس إمام يريد ، قام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم فخلصون بينهم ففارقوا عن جلسهم وذلك مراد الشيطان منهم . ومن أبوا به حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته وفى أمور لا يلفتها أحدهم قاهم حتى يشككهم في أصل الدين أو يغزل إليهم في الله تعالى خيالات يصالح الله بها صير بها كافر أو مبتدعاً وهو به فرج مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو للرفق والبصيرة وأنه انكشف به ذلك بذكائه وزيادة عقله فأخذ الناس حماقة أتوام اعتقاداً في عقل نفسه وأبنت الناس عقلاهم إياها من نفسه وأكترم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله تبارك وتعالى فيقول من خلق الله فاذلوا عند أحدكم ذلك فليل آمنت بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه (٣) والنبى صلى الله عليه وسلم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسوسى فان هذا وسوسى يهدى عولم الناس دون العلماء وأما حق العولم أن يؤمنوا وبلغوا ويشغلوا بعبادتهم ومسايقهم ويتركوا العلم للعلماء فالنبى لو يرى وسوسى كان خيراً لمن أن يشكك في العلم فانه من شكك في الله وفى دينه من غير إلهان العلم وقع في السكر من حيث لا يدري

ونعالى نضع التفتا  
لنصف رسول الله حتى  
يشجع ضيف رسول  
الله قامت إلى الصبية  
فالتفت حتى ناموا عن  
قوتهم ولم يعلموا شيئاً  
ثم قامت فأثرت  
وأسرت فلما أخذ  
الضيف ليا كل قامت  
كانها تصلح السراج  
فأطافه فجعل يمشان  
الستهم الضيف رسول  
الله وظن الضيف أنها  
ياكلن معه حتى شبع  
الضيف وباتا طويين  
فلسا أصبحوا غدوا  
إلى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فلما نظر  
إليهما تبسم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثم  
قال قد هجب الله من  
فلان وفلانة هذا البلية  
وأزل الله تعالى -  
ويؤثرون على أنفسهم

(١) حديث فاطمة بنتة منى متفق عليه من حديث للسور بن حمزة (٢) حديث إني لأغنى عنك من الله شيئاً قاله فاطمة متفق عليه من حديث أبى هريرة (٣) حديث عائشة إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلقك فيقول الله الحديث أحد والبرار وأبو يعلى في مسايدهم ورجالهم فها هو متفق عليه من حديث أبى هريرة .

كن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالقائد وللذهاب لأخصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال . ومن أبوابه سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - فمن يحكم بشر على غيره بالظن يمتد الشيطان على أن يطول فيه اللسان بالنية فيه لك أو غصير في القيام بحقوقه أو يوثق في إكرامه وينظر إليه بين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من الهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض لقيمته فقال صلى الله عليه وسلم «اتقوا مواضع التهم» (١) حتى احتذرهم عليه السلام من ذلك روى عن ابن حسين أن صفية بنت يحيى بن أخطب أخبرته «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشككا في المجد قالت فأثبتته فتحدثت عنده فلما سميت العصفرة قام يمشي معي فرب رجلا من الأنصار فلما تم أقصرا فناداهما وقال إنها صفية بنت يحيى قالوا يا رسول الله ما نظن بك إلا شيئا قال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من المجد ولما شفيحت أن يدخل عليك (٢) «فانظر كيف اعتق عليه السلام على نفسه ما لم يجرسها وكيف اعتق على أمته فعلهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع للعروف بالدين في أحواله يقول مثل لا يظن به إلا الخير إجماعا منه بنفسه فإن أورد الناس وأقدام وأعفهم لا ينظر الناس كلمه إليه بين واحدة بل بين الرضا بسهم وبين السخط بسهم ولذلك قال الشاعر :

ومين الرضا عن كل عيب كيلة ولكن عين السخط تبتدئ للسوا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلمه إلا الترهلها رأيت إنسانا يسمى الظن بالناس طالبا للميوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبيث يترفع منه وإنما رأى غيره من حيث هو قائل للؤمن يطلب الماذير وللتائق يطلب الميوب وللؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما بينه على غيره فليس في الآدي صفة مذمومة إلا وهي صلاح الشيطان ومداخل من مداخله . فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله . فاعلم أن علاج القلب في ذلك سهدهه للداخل بتطهير القلب من هذه الصفات للمذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات للهلكات ونحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد على ما يأتي شرحه ، ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان الشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار وعينه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة الله كرات لا تمكن من القلب إلا بعد حمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات للمذمومة وإلا فيكون الله كرات حديث هس لاسلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - خصص بذلك التقي فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خير أو لم تكن بآفة تتحول له آخا فجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك علم وهو جائع فانه يهجم على العلم ولا يدفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي من قوت الشيطان يتزجر عنه بمجرد الله كرات فاما الصورة إذا غلبت على القلب دعت حقيقة الله كرات إلى حواس القلب فلم يتمكن من سويده يستقر الشيطان في سويده القلب وأما قلوب للتقنين الخالية من الملوى والصفات للمذمومة فانه بطرقها الشيطان لاقتصام بل خلوها بالشفقة عن الله كرات فإذا ما إلى الله كرات خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى - فاستند بالله من الشيطان الرجيم - وسائر الأخبار والآيات

(١) حديث اتقوا مواضع التهم لم أجد له أصلا (٢) حديث صفية بنت يحيى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشككا فأثبتته فتحدثت عنده الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم متفق عليه .

ولو كان بهم خصاصة -  
وقال أنس رضي الله  
عنه أهدى لبعض  
أسباعه رأس هاة  
مقوى وكان مجهودا  
فوجه به إلى جاره  
فتداوه سبعة أشهر  
ثم عاد إلى الأول فأزلت  
الآفة لذلك . وروى أن  
أبا الحسن الأنطاكي  
اجتمع عنده نيف  
وثلاثون رجلا بقرية  
بقرى الزوىة أرخفة  
معدودة لم تشبع  
خسة منهم فكسروا  
الرخافا وأطفئوا  
السراج وجلسوا الطعام  
فقالوا لعلوا الطعام فأذا  
هو عاله لم يأكل أحد  
منهم إشارا منه على  
نفسه . وحكى عن  
حليفة العدوى قال  
انطقت يوم اليرموك  
لطلب ابن عم لي

الواردة في ذلك . قال أبو هريرة التقي شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر وشيطان المؤمن مهزول أمعت أغبر عار فقال شيطان الكافر لـ شيطان المؤمن مالك مهزول قال أنا مع رجل إذا أكل مني الله فأظلم جالما وإذا شرب مني الله فأظلم عطشا وإذا لبس مني الله فأظلم عراونا وإذا اضم مني الله فأظلمت فقال لـ كني مع رجل لا يفعل شيئا من ذلك فأنا أهاك في طعامة وشرا به وبإمائه . وكان محمد بن ولسع يقول كل يوم بمسلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدوا سيرا يسوبنا يرانا هو وفيه من حيث لا نراهم اللهم فأبسه منا كما أبست من رحمتك وقطعه منا كما قطعه من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير قال فضئل له إبليس يوما في طريق المسجد فقال له يا ابن ولسع هل تعرفني قال ومن أنت قال أنا إبليس قال وما تريد قال أريد أن لا أمل أحدا هذه الاستخافة ولا أمرضك قال والله لا آمنها من أراهاها فاصنع ما شئت . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي النبي ﷺ يده هشة من ناز يقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ وضوء فلا ينهب فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يليج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يجرع فيها ومن تفلح الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن قال ذلك فطفت هشة وخر على وجهه <sup>(١)</sup> وقال الحسن « ثبت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أوتيت إلى فراشك اقرأ آية الكرسي <sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « قد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخبت بحقه فوالذي بيثي بالحق ما أرسلته حتى وجدت برد ماء لسانه على ردي ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طرعا في المسجد <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ما لك عمر جفا إلا سلك الشيطان جفا غير الذي سلك عمر <sup>(٤)</sup> » وهذا لأن القلوب كانت متطيرة عن مرضي الشيطان وقومته وهي الصبوات فلما طمست في أن يدفع الشيطان عنك مجرد الله كرك ما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان حالها وكنت كمن يطعم أن شرب دواء قبل الاحتيا وللعدة مشقوة بفيلز الأظلمة ويطمع أن يشمه كما شمع الذي شربه بعد الاحتيا وتخلي للعدة والدكر الدواء والتقوى احتيا وهي تخلص القلب عن الصبوات فإذا نزل الله كرك قلبا فارغا عن غير الله كرك اندفع الشيطان كما تدفع العلة ينزل الدوا في للعدة الحالية عن الأظلمة قاله تعالى - إن في ذلك لـ كرى لمن كان له قلب - وقال تعالى - كتب

(١) حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان الشيطان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يده هشة من ناز الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل ولما ك في للوطا نحوه . عن يحيى بن سعيد مرسل ورواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زبارة عن عياش القاضي عن ابن مسعود . ورواه أحمد والبراز من حديث عبد الرحمن بن جبير وفيه كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه (٢) حديث الحسن ثبت أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عفريتا من الجن يكيدك الحديث ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان هكذا مرسل (٣) حديث أناسي شيطان فنازعني ثم نازعني فأخبت بحقه الحديث ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسل هكذا والبخاري من حديث أبي هريرة أن عفريتا من الجن ظلت على الباحة أو كلة نحوها ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه الحديث و ن في الكبرى من حديث عائشة كان يصلي فأناه الشيطان فأخذه فصرعه فحقة قال حق وجدت برد لسانه على ردي الحديث وإسناده ضيف (٤) حديث ما لك عمر جفا إلا سلك الشيطان فجما غير فجمه متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص يخطب يا ابن الخطاب ما ليك الشيطان سالكا فجا .

ومعنى من ماء وأنا أقول إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه فإذا أنا به قلت أستيك فأشار إلى أن تم فإذا رجل يقول آه قال ابن عبي الناطق به إليه فبحث إليه فإذا هو هشام بن الحسن قلت أستيك فسمع هشام آخر يقول آه فقال الناطق به إليه فبحث إليه فإذا هو قد مات ثم رجعت إلى هشام فإذا هو أيضا قد مات ثم رجعت إلى ابن عبي فإذا هو أيضا قد مات . وسئل أبو الحسن البغدادي عن الفتوة قال الفتوة عندي ماوسف الله تعالى به الأصناف قوله هو الذي نبوتوا الدمار والإيمان - قال ابن

عليه أنه من تولاه فإنه يشبه ويهدي إلى عذاب السعير - ومن ساعد الشيطان بمعه فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطعاً بأن الله كره يطرده الشيطان (٢) ولم تنهم أن أكثر عموماً الشرع عضو صفة بشروط تعلها علماء الدين إلى تحسك فليس الجبركاليان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة قرأ قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يحاذي الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب الماتدين وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهاالكها حتى أنك لا تدرك ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت الصلاة محك القلوب فيها يظهر محاسنها ومساوئها فالصلاة لا تقبل من القلوب للشهوة بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرده عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن المواء قبل الاحتيال يرغب في تعديل الضرر فإن أردت الخلاص من الشيطان تقدم الاحياء بالتقوى ثم أرفده بدواء الله كره الشيطان منك كما فر من حجر رضى الله عنه ، ولذلك قال وهب بن منبه : اتق الله ولا تسب الشيطان في العلية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له . وقال بعضهم بجهنم لمن يعصى المحسن بعد معرفته بحسنة ويطلع العين بعد معرفته بظفاته ، وكان أن الله تعالى قال - ادعوني أستجب لكم - وأنت تدعوه ولا يستجيب لك فكذلك تدعوه فلا يستجيب لك تدعوه الله ولا يجرب الشيطان منك لقد شرط الله كروا لهاء قبل إبراهيم ابن آدم ما باننا ندعو فلا يستجيب لنا وقد قال تعالى - ادعوني أستجب لكم - ؟ لأن قلوبكم ميتة فليوما الذي أماتها ؟ قال ثمان خصال : هرقم حق الله ولم تقوموا بحقه وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته وقلتم نحضى الوث ولم تستعملوا الله وقال تعالى - إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا - فواطعوه على المعاصي وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها وإذا قمتم من فرشكم ريمت عيوبكم وراء ظهوركم واقترعتم عيوب الناس أمامكم فأستخفتم ربكم فكيف يستجيب لكم . فان قلت قد أدى إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون ؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المأمارة فاشغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كل البذل من حيث يؤتى ولا تسأل عن البقعة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في هوائه الأخبار : أنهم جنود عتيدة وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه فأما طريق الاستبصار فذكره بطول ويكتفيك القدر الذي ذكرناه وهو أن اختلاف السبب يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد النيران . وأما الأخبار فتدلل مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره : ثير والأعور وميسوط وداسم وزنبور ، فأما ثير فهو صاحب اللصاب الذي يأمر بالتيور وفق الجيوب ولطم الحقد ودود عوى الجاهلية وأما الأعور فانه صاحب الزنا يأمر به وزينه وأما ميسوط فهو صاحب الكذب وأما داسم فانه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميم الباب عنده ويضيه عليهم وأما زنبور فهو صاحب السوق فيسببه ليزالون متظلمين وشيطان الصلاة يسمى خرب (٣) وشيطان الوضوء يسمى الوهان (٤) وقصور في ذلك أخبار كثيرة ، وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في اللاتكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة اللاتكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به ، وقد قال أبو أمامة الباهلي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذرونه

عطاه يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً ولو كان بهم خصاصة يمسى جوعاً وقراءاً قال أبو حفص الإشارة هو أن يقدم حفظه الاخوان على حفظه في أمر الدنيا والآخرة وقال بعضهم الإشارة لا يكون عن اختيار إنما الإشارة أن تقدم حقوق الخلق أجمع على حرك ولا تميز ذلك بين أحوال صاحب وذي معرفة . وقال يوسف ابن الحسين من رأى نفسه ملكاً لا يصح منها الإشارة لأنه يرى نفسه أحق بالشئ برؤية ملكه إنما الإشارة عن يرى الأشياء كلها الحق فمن وصل إليه فهو أحق به فإذا وصل شيء من ذلك

(١) الحديث الوارد بأن الله كره يطرده الشيطان تقدم (٢) حديث إن شيطان الصلاة يسمى خرب م من حديث عثمان بن أبي الناس وقد تقدم أول الحديث (٣) حديث إن شيطان الوضوء يسمى الوهان تقدم وهو عند من حديث أبي .

ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سجة أملاك يذبون عنه كما يذب القباب عن قصعة السيل في اليوم الصاف وما لو بدالكم لأيتوه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغترافه ولو وكل الصيد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (١) وقال أيوب بن يونس بن يزيد: بلغنا أنه يوحى إلى أنبياء الإنس من أبناء الجن ثم ينشئون معهم . وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال يارب هذا القبي جئت بيني وبينه عدوة إن لم تمن علي لآتقوى عليه قال لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك قال يارب زدني قال أجزى بالسيرة سيئة وبالجنة عسرا إلى ما أريد قال رب زدني قال يارب

الثوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال إبليس يارب هذا البعد الذي كرمته على إن لا تعني عليه لا أتقوى عليه قال لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد قال يارب زدني قال تجرى منهم جري الدموت فتخدون صدورهم يوتا قال رب زدني قال أجلب عليهم غيظك وربك إلى قوله غرورا ، وعن أبي الهرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلق الله الجن ثلاثة أصناف : صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصف كالربع في الهواء وصف عليهم الثواب والعقاب وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف : صنف كالبهائم كما قال تعالى .. لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أبصار لا يبصرون بها ولم أذن لأبصارهم بها أو لك كالأنعام بل هم أضل .. وصف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصف في ظن الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله (٢) وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس يمثل ليعي بن زكريا عليها السلام وقال إنني أريد أن أصحك قال لا حاجة لي في نصحك ولكن أخبرني من بني آدم قال هم عندنا ثلاثة أصناف : أم صنف منهم وهم أهدأ الأصناف علينا قبل على أحدم حق قته وتمكن منه فيزعم إلى الاستغفار والثوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم تعود عليه فيعود فلا نحن نأيس منه ولا نحن نتمرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكفرة في أيدي صيائنا كيف يشاءون كقوتنا أنفسهم وأما الصنف الثالث فهم مثلك مصومون لا تدرهم على شيء .. فان قلت فكيف يمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أم هو مثال يمثل به بفان كان على صورته الحقيقية فكيف يرى صور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه بعضا بصورتين مختلفتين . فاعلم أن ذلك والشيطان له ما صورته هي حقيقة صورته وما لا يدرك حقيقة صورته بما بالمشاهدة إلا بأبوار النبوة فما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه أفضل الصلوة والسلام في صورته إلا مرتين (٣) وذلك أنه سأله أن يريه قسه على صورته فوافقه بالقبض وظهر له بهراء فسد الأفق من الشرق إلى الغرب وراة مرة أخرى على صورته لية العراج عند سفرة التنهي وأما كان يراه في صورة الآدمي غالبا (٤)

(١) حديث أبي أمامة وكل المؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وطب في السبع الكبير باسناد ضيف (٢) حديث أبي الهرداء خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب والخشاش الحديث ابن أبي الدنيا في مكابد الشيطان وح في الضعفاء في ترجمة يزيد بن ستان وضعفه ولا تحفه مختصرا في الجن فقط ثلاثة أصناف من حديث أبي لمبة الحنفي وقال صحيح الاسناد (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل في صورته إلا مرتين الشيطان من حديث عائشة وستلت هل رأى محمد ربه وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة الآدمي غالبا الشيطان من حديث عائشة وستلت فأبى قوله: فدنا فتدلى ، قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل الحديث .

إليه يرى قسه ويده فيه يد أمامة يوصلها إلى صاحبها أو يؤذيها إليه . وقال بعضهم حقيقة الإيثار أن لا تفرح بغير آخرتك على إخوانك فان الدنيا أقل خطرا من أن يكون لإيثارها عمل أو ذكر ومن هذا الذي ماثل أن بعضهم رأى أمه له فلم يظهر البصر الكثير في وجهه فأفكر أخوه ذلك منه فقال لأخي سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا التقى المسلمان ينزل عليهما مائة رحمة : تسعون إذا كثرهما جبرا وعشرة لأهلها ببراء » فأردت أن أكون أقل جبراً منك ليكون لك الأكثر

فكان يراه في صورة دحية الكلبي (١) وكان رجلا حسن الوجه والأكثر أنه يكشف أهل الكسفة من أرباب القلوب بمثل صورته فيمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين وإنما الكسفة في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يتعمد اشتغال الحواس بالهنا من الكسفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روى عن حماد بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسدا جل جبهه البلوري داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة متفرد قاعد على منكب الأيسر بين منكب وأذنه له خرطوم دقيق قد أدخله من منكب الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى خنس ، ومثل هذا قد يشاهد بينه في اليقظة قد رآه بعض الكاشفين في سورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا ، وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فإن القلب لا يد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم للسكرات وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم للسكرات والشفادة لأن أحداهما متصل بالأخر وقد بينا أن القلب وجهان وجه إلى عالم التيب وهو مدخل الألهام والوحي وجه إلى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي على جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الحيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالأس فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق التي حقير عرضها جميل الصورة وهو خبيث الباطن فيحس السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبس . أما الصورة التي تحصل في الحيال من إشراق عالم للسكرات على باطن سر القلوب فلا تكون إلا هامة كية لصفة ومواقفة لما لأن الصورة في عالم للسكرات نائمة لصفة ومواقفة لما لا جرم لا يرى للشيء القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضئع وتخزير وغيرها ويرى لك في صورة جملة فتكون تلك الصورة عنوان لما في وهما كية لما بالصدق ولذلك بدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتفسير وهذه أسرار هيبية وهي من أسرار هجاب القلب ولا يليق ذكرها بلم العامة وإنما للتصديق أن تصديق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك لك تارة بطريق التثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التثيل بصورة هامة كية للشيء هو مثال للشيء لا عين للشيء إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة حقيقة وينفرد بمشاهدته للكشف دون من حوله كأننا .

( بيان ما يؤخذ به العبد من وساوس القلوب وهما وخاوطرها

وصحودها وما ينبغي عنه ولا يؤخذ به )

اعلم أن هذا أمر غامض ، وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سمسرة العلماء بالصرح قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « عني عن أمي ما حدثت به قوسها مما تكلم به أو عمل به » (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول للمغظة إذا قام عبيد بيته فلا تكتبوها فإن عملها فأكتبوها سيئة وإدام بحسن لم يصلها فأكتبوها حسنة فإن عملها فأكتبوها عسرا » (٣) وقد خرج البخاري ومسلم في الصحيحين وهو

(١) حديث أنه كان يرى جبريل في صورة دحية الكلبي الشيخان من حديث أسامة بن زيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أهله فجعل يحدثهم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا بأس من هذا قالت دحية الحديث (٢) حديث عني لأمي مما حدثت به قوسها متفق عليه من حديث أبي هريرة إن الله تجاوز لأمي ما حدثت به أختها الحديث (٣) حديث أبي هريرة يقول الله إذا قام عبيد بيته

أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو النجم إجازة قال أنا أبو حفص عمر ابن الصغار النيسابوري قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم الرازي يقول سمعت أبا بكر بن أبي سعدة يقول : من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قلب ولا ملك فمن نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده . وقال سهل بن عبد الله الصوفي من يرى دمه هدرًا ولمسكه مباحًا وقال روم التصوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبدل

دأب على الصوفى عن عمل القلب وهمه بالسبب وفى لفظ آخر «من م بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن م بحسنة فعملها كتبت له إلى سببها نصف ومن م بسببها فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت» وفى لفظ آخر « وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأتا أخضرها له مالم يعملها » وكل ذلك يدل على الصوفى فأما ما يدل على التأخر فقول سببها - إن تبدوا مافى أعينكم أو تخفوه بحاسبتكم به الله فيغفر لمن يشاء ويذهب من يشاء - وقوله تعالى - ولا تحف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - يدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعنى عنه وقوله تعالى - ولا تسكنوا السجدة ومن يكتسب فاته آثم قلبه - وقوله تعالى - لا يؤخذكم الله بالقفو فى أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم - والحق عندنا فى هذه الآية لا يوقت عليه مالم تقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح . فنقول : أول ما يد على القلب الخاطر كخبر خطره مثلا صورة امرأة وأنها وراء ظهره على الطريق لو انشفت إليها لراها . والثانى هيجان الرغبة إلى التمتع وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسبته ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس . والثالث حكم القلب بأن هذا يبنى أن يفعل أى يبنى أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تثبت الهمة والثبات مالم تدفع الصوارف فانه قد يمنه حياء أو خوف من اللذات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والليل . الرابع تقسيم العزم على اللذات وجزم الية فيه وهذا تسمية مما بالقلب وية وتصد وهذا المهم قد يكونه مبدأ ضعيف ولكن إذا أضى القلب إلى الخاطر الأول حتى طالت عزيمته لنفسه تأكد هذا المهم وصار إرادة عزيمة فإذا انجزت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما ينفل بارضى فلا يعمل به ولا يثبت إليه وربما يهوى فائق فيفضل عليه العمل فهنا أربع أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة : الخاطر وهو حديث النفس ثم الليل ثم الاعتقاد ثم المهم . فنقول : أما الخاطر فلا يؤخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك للبله هيجان الشهوة لأنها لا يدخلان أيضا تحت الاختيار وهما اللذان بقوله **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ** « عني عن أمي ما حدثت به قوسها » حديث النفس عبارة عن الخواطر التى تهجس فى النفس ولا يتبعها عزم على القتل ، فأما المهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله تسمى تحدثنى أن أخلق خولة . قال مهلا إن من سقى النكاح . قال تسمى تحدثنى أن أجب نسي . قال مهلا خضأ أمي دؤب الصيام . قال تسمى تحدثنى أن أترهب . قال مهلا رهبانية أمي الجهاد والحج قال تسمى تحدثنى أن أترك الله . قال مهلا قاتل أجه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمني » (١)

فلا تكتبوها عليه الحديث قال للمنفذ أخرجه م خ فى الصحيحين فقلتموه كما قال واللفظ لمسلم فلهذا والله أعلم قدمه الله كره (١) حديث إن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله تسمى تحدثنى أن أخلق خولة قال مهلا إن من سقى النكاح الحديث ت الحكيم فى نوادر الأصول من رواية ابن جرير عن سعيد بن المسيب عن سلا نحوه وفيه القاسم بن عبيد الله العمري كذب أحمد بن حنبل وحمي بن معين والدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذى كان من ترك النساء بث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان إنهم أومر بالرهانية الحديث وفيه من رغب عن سقى فليس من هو عندهم م بلطف رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصنا ولا نرى والطبراني فى معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال يا رسول الله إن جدك تشق على هذه العزوبة فى الفأزى فأذن لى يا رسول الله فى الحياء فأخصى قال لا

والإشارة ترك العرض والاختيار. قيل لاسى بالصوفية وتميز الجيد بالفساد وقبح على الشمام والرقام والنورى بوسط التطلع لضرب رفاقهم قدس النورى قيل له إلى ماذا تبادر ؟ فقال أوثر إخوانى بفضل حياة ساعة ، وقيل دخل الروابى دار بسن أصحابه فوجده غائبا وباب بيته منلق فقال سؤلى وه باب منلق اصكروا الباب فكسروه وأمر جميع ما وجدوا فى البيت أن يتابع فأهملوه إلى السوق وأخذوا رقا من الثمن وقصدوا فى الدار فدخل صاحب التزل ولم يقل شيئا ودخلت امرأته وعليها



فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن معه عزم ولم يبق له إلا أن يكون اضطراباً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه فلا يخفى منه يؤخذ به والاضطراري لا يؤخذ به . وأما الرابع وهو العلم بالقلب فانه مؤخذ به إلا أن لم يخل نظر فان كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وتدماً على همه كتبت له حسنة لأن همه سيرة واستامه ومجاهدته فسه حسنة والمهم على وفق الطبع مما يدل على تمام التفتة عن الله تعالى والانتفاع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة بقدره في مخالفة الطبع هو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أهدى من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتبه حسنة لأنه رجح جده في الانتفاع ومعه به على همه بالقلب وإن لم يتركه بل تركه لاختواف من الله تعالى كتبت عليه سيرة فان همه فعل من القلب اختياري . والدليل على هذا التفصيل ما روى في الصحيح من فصل في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت لثلاثك عليهم السلام رب ذلك عبيدك يريد أن يعمل سيرة وهو أبصر به قال أربوه فان هو عملها فاكثروها له عتلاً وإن تركها فاكثروها له حسنة إنما تركها من جرأتى »<sup>(١)</sup> وحيث قال فان لم يعملها أراد به تركها له فأما إذا عزم على فاحشة فتعدت عليه بسبب أو غفلة فكيف كتبت له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما يحسر الناس على نياتهم »<sup>(٢)</sup> ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقول مسلماً أو زناً بأمرأة فبات تلك الليلة مات مسلماً ويحسر على نيته وقد تم بسيرة ولم يعملها . والدليل القاطع فيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا اتقى اللسان ببغيتها فاقبال وللقتول في النار قبل يا رسول الله هذا القاتل لما بال القتل قال لأنه أراد قتل صاحبه »<sup>(٣)</sup> وهذا نص في أنه صار مجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً فكيف يظن أن الله لا يؤخذ بالنية والمهم بل كل من دخل تحت اختيار العبد فهو مؤخذ به إلا أن يكفره بحسنة وهضم العزم بالقدم حسنة فذلك كتبت له حسنة فأما قوت الراد بما يقاوم فليس بحسنة وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالقاعدة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا

ولكن عليكم يا ابن مظنون بالصيام فانه جفيرة والأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله ابن عمرو رضاه أمي الصيام والقيام وله من حديث سعيد بن العاص بإسناد فيه ضعف إن صفان بن مظنون قال يا رسول الله إني في الاختصاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد أبدلك بالرهبانية الخفية السمعة والتكبير على كل شرف الحديث وه يسند ضعيف من حديث عائشة النكاح من سفي وأحمد وأبي يعلى من حديث أنس لكل نبي وقال أبو يعلى لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله وفيه زيد المسمى وهو ضعيف وأبو داود من حديث أبي أمامة إن سياحة أمي الجهاد في سبيل الله وإسناده جيد (١) حديث قالت لثلاثك رب ذلك عبيدك يريد أن يعمل سيرة وهو أبصر الحديث قال للصف إنه في الصحيح وهو كاتل في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث إنما يحسر الناس على نياتهم من حديث جابر دون قوله إنما وله من حديث أبي هريرة إنما يشئ الناس على نياتهم وإسناده حسن ومن حديث عائشة يشئهم الله على نياتهم وله من حديث أم سلمة يشئون على نياتهم (٣) حديث إذا اتقى اللسان ببغيتها فاقبال وللقتول في النار الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر .

كساء فدخلت بيتا  
فرمت بالكساء وقالت  
هذا إيمان من قبلة التناع  
فيوم قال الروح لها  
لم تكلف هذا باختيارك  
قالت استعنت مثل  
الشيخ بإسناداً وحكم  
عليها ويحق لنا شيء  
ندخره عنه . وقيل  
مرض قيس بن سعد  
فاستبطأ إخوانه في  
عبادته فسأل عنهم  
بمالك عليهم من الدين  
قال أخزى الله ما لا يمنع  
الاخوان من الزيارة ثم  
أمر منافقاً ينادي من  
كان قيس عليه مال  
فهو منه في حل  
فكسرت عتية داره  
بالشي لكثرة عواده .  
وقيل أن رجلاً صدقاً  
له ودق عليه الباب  
فما خرج قال لماذا

ما في انفسكم أو غشوه بما يسبكم به الله - وجاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: كلنا ما لانطبق إلا نادنا لحدث نفسه بما لا يهب أن يثبت في قلبه ثم يجاب بذلك قال صلى الله عليه وسلم: فليكن قولهم كما قالت اليهود صمنا وصمينا قولوا صمنا وأطعنا فقالوا صمنا وأطعنا (١) فأنزل الله الفرق بعد سنة بقوة - لا يكلف الله عسًا ولا وسعًا - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الظن عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن ينطو وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والصعب والرياء والتفاخر والحسد وجملة الجائزات من أعمال القلب بل السمع والبصر والتؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فلا وقع البصر بغير اختيار على غير ذي حرم لم يؤخذ به فإن أئمتنا نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذلك خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذه لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأهمل إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - لن يزال الله لحوماً ولا مملوفاً ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما أطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤)» حتى إذا قول إذا حكم القلب التقي بإجابته «وكان خطيئة فيه صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فليعلم أن يصل إلى الله ثم تذكر أنه لم يتوسل فكان له ثواب بغيره فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يصب بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها صبي بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

(١) بيان أن الوسواس هل يصور أن يقطع بالكيفية عند الله أم لا

اعلم أن العلماء الرافعين للقلوب الناظرين في صفاتها ومجاريها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق :  
 قالت فرقة الوسوسة يقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال « فلما ذكر الله خنس (٥) »  
 والخنس هو السكوت فكانه يسكر . وقالت فرقة لا ينصم أصلاً ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالله كركان صوباً عن التأثير بالوسوسة كالشفول بهمه فانه قد يكذبهم وإن كان الصوت يمر على سمعه . وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا أثرها إلا لو تسقط غلبتها للقلب فكانه يوسوس من بعد على ضعف . وقالت فرقة ينصم عند الذكر في لحظة وينصم عند الذكر في لحظة ويتأقبن في أزمنة متفرقة يظن لتقاربها أنها متساوقة وهي كالكرة التي عليها قطع متفرقة فانك إذا أردتها بسرعة رأيت القطع دوائر بسرعة توصلها بالحركة واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولاوجه إلا هذا . وقالت فرقة الوسوسة والله كرساوقان في الهواء على القلب تساقوا لا ينقطع وكأن الإنسان قد ردى بينيه شيئين في حالة واحدة فكذلك

(١) حديث لما نزل قوله تعالى - وإن تبدوا ما في أنفسكم أو غشوه بما يسبكم به الله - جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كلنا ما لانطبق إلا نادنا لحدث نفسه بما لا يهب أن يثبت في قلبه ثم يجاب بذلك قال صلى الله عليه وسلم: فليكن قولهم كما قالت اليهود صمنا وصمينا قولوا صمنا وأطعنا فقالوا صمنا وأطعنا (١) فأنزل الله الفرق بعد سنة بقوة - لا يكلف الله عسًا ولا وسعًا - فظهر به أن كل ما يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤخذ به فهذا هو كشف الظن عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بد وأن ينطو وكيف لا يؤخذ بأعمال القلب من الكبر والصعب والرياء والتفاخر والحسد وجملة الجائزات من أعمال القلب بل السمع والبصر والتؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً أي ما يدخل تحت الاختيار فلا وقع البصر بغير اختيار على غير ذي حرم لم يؤخذ به فإن أئمتنا نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذلك خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذه لأنه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقوى ههنا وأهمل إلى القلب (٢)» وقال الله تعالى - لن يزال الله لحوماً ولا مملوفاً ولكن يناله التقوى منكم - وقال صلى الله عليه وسلم «الإثم حواز القلوب (٣)» وقال «البر ما أطمان إليه القلب وإن أتوك وأتوك (٤)» حتى إذا قول إذا حكم القلب التقي بإجابته «وكان خطيئة فيه صار مثاباً عليه بل من قد ظن أنه تطهر فليعلم أن يصل إلى الله ثم تذكر أنه لم يتوسل فكان له ثواب بغيره فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته لم يصب بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن أنها أجنبية ثم وطئها صبي بوطئها وإن كانت زوجته وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

جنتي ؟ قال لا ريباً  
 درم دين على فدخل  
 النار ووزن أربعاً  
 درم وأخرجها إليه  
 ودخل النار بأصا  
 قالت امرأة هلال  
 حين هي عليك الإجابة  
 قال إنما أبكى لأن لم  
 أفقد حاله حقاً  
 أن يغشى . وأخبرنا  
 الشيخ أبو زرعة عن  
 أبيه الحافظ القدسي  
 قال أنا محمد بن محمد بن  
 جامع أصمقان قال ثنا  
 أبو عبد الله الجرجاني  
 قال أنا أبو طاهر محمد بن  
 الحسن الحمد المديني  
 قال ثنا أبو البترى قال  
 ثنا أبو أسامة قال ثنا  
 يزيد بن أبي بردة عن  
 أبي موسى قال قال  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم « إن  
 الأكرمين إذا أرموا

القلب قد يكون مجرى لعينين قد قال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه » (١) وإلى هذا ذهب المحامي والسيح عندنا أن كل هذه اللذائب صبيحة ولكن كلها قاصرة عن الاطاحة بأصناف الوسواس وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فأخبر عنه . والوسواس أصناف: الأول أن يكون من جهة التلبس بالحق فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للإنسان ترك التمس بالذات فإن الصبر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر أله عظيم فند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أهد منه ولا بد من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعده وجدد إيمانه وبقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له النار أيسر من الصبر على المصاع ولا يمكنه أن يقول للصبيحة لا تضيق إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فيقطع وسواسه وكذلك يوسوس إليه بالعجب بسببه فيقول أي عبد يعرف الله كما عرفه ويسبده كما تبعه فما أعظم مكانته عند الله تعالى فيذكر العبد حيث لا يعرفه وقلبه وأعضائه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن أين يجب به فيخنس الشيطان إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن للفرقة والإيمان بدنه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكيفية من المعارفين للتبصرين بنور الإيمان والفرقة . الصنف الثاني : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجاتها وهذا ينقسم إلى مايل العبد يقينا أنه مصيبة وإلى مايلته بنال الظن فإن علمه يقينا خنس الشيطان عن التمسح بؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التمسح وإن كان مظنونا فربما يبقى مؤثرا بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة . الصنف الثالث : أن تكون الوسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال القابلة والتفكير في غير الصلاة مثلا فإذا قيل على الله كرم صور أن يندفع ساعة ويمد ويندفع ويمد ويتعاقب الذكر والوسوسة ويصور أن يسألوا جميعا حتى يكون التمسح بشتلا على فهم معنى القراءات وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وببدي جدا أن يدفع هذا الخنس بالكيفية بحيث لا يخطر ولكنه ليس هالكا إذ قال عليه السلام « من صلى ركعتين لم يحدث فيها قسه شيء من أمر الدنيا غفر له ما قدم من ذنبه » (٢) فلو لا أنه متصور لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستتر فإننا قد رأينا المتعجب القلب يبدو تأذيه به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجاهدة عدوه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه وكذلك للشرقي في الحب قد يتفكر في عادة محبوه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوه ولو كلف غيره لم يسمح ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه وإذا تصور هذا في خوف من عدو وعند الجرس على مال وجه فكيف لا يتصور من خوف النار والجرح على الجنة ولكن ذلك عزز لنصف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وإذا تأملت جملة هذا الكلام وأصناف الوسواس علمت أن لكل منذهب من اللذائب وجها ولكن في محل مخصوص . وبالجملة فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه بمراطيل لا يبديجها بمال

(١) حديث مامن عبد إلا وله أربعة أعين عيان في رأسه يصير بها أمر دينه وعيانه في قلبه يصير بها أمر دينه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن خلف الأخرى مكان دينه وفيه الحسين بن أحمد بن محمد المروى البخاري الحافظ كذبه له والآلة منه (٢) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيها قسه شيء من الدنيا قدم في الصلاة .

في التزو وقيل طمام  
عالمهم جمعوا ما كان  
عندهم في ثوب واحد ثم  
انقسموا في ثياب واحد  
بالسوية فهم مني وأنا  
منهم . « وحدث جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه إذا أراد  
أن يتزوى قال يا معشر  
الهاجرين والأنصار  
إن من إخوانكم قوما  
ليس لهم مال ولا عنة  
فليضم أحدكم إليه  
الرجل والرجلين  
والثلاثة لأحدكم من  
ظهره إلا عنة  
كفية أحدكم » قال  
فنصمت إلى اثنين  
أو ثلاثة مالى إلا عنة  
كفية أحدكم من جملة .  
وروي أنس قال لما قمنا  
عبد الرحمن بن عوف  
لدينه آخى النبي عليه  
السلام بينه وبين سعد

في الوجود ولو تخاف أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتيسر الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وردى « أنه نظر إلى علم نوبه في الصلاة فلما سلم روى بذلك الثوب وقال غفلت عن الصلاة وقال انهضوا به إلى أي جهنم اتقوا بأنبيائهم (١) ». وكان في يده خاتم من ذهب فغفل اليهو على التبرع ثم به وقال نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتبرعك فلهذا نظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب وكان ذلك قبل تحريم الذهب فذلك لسهة ثم روى به فاختلط وسوسة عروض الدنيا وتهدأ إلا بالمرى وللنار فقام على شيطان وادعاه لودين أو احدا لا يده الشيطان في صلاته من الوسوسة في الفكر في ديناره وأنه كيف يحفظه وفيها يتفق وكيف يحق لا يعلم به أحدا وكيف يظهره حتى يتباهى به إلى غير ذلك من الوسوسة فمن أنشب غفاله في الدنيا ولمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن اتقى في السبل وقل أن الدباب لا تقع عليه فهو حال في الدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل العاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يبقية في بدعة فإن أتاه بالمرء بالخرج والشد حتى يحرم ما ليس حرام فإن أتاه في شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج من العلم فإن أتاه خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس سائرا ضعيفا فتدمل قلوبهم إليه فيجب بنفسه وبه يهلكه وحده ذلك فتمت الحاجة فانها آخر درجة ويسمى أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة .

( بيان سرعة قلب القلب واحسان القلوب في التضرع والنيات )

اعلم أن القلب كما ذكرناه كتشفه الصفات التي ذكرناها وتصيب إليه الآثار والأحوال من الأبواب التي وصفناها فكانت هدف يساب على البوام من كل جانب فإذا أصابه شيء تأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاعف تضرع صفته فإن زل به الشيطان فدها إلى الهوى زل به لذلك وصرفه عنه وإن جذب الشيطان إلى شر جذب به شيطان آخر إلى غيره وإن جذب به ملك إلى خير جذب به آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قطعهما وإليه الإشارة بقوله تعالى - وقلب أخذتهم وأبصارهم - ولا طلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عجب صنع الله تعالى في هجاب القلب وقلبه كان محلف به فيقول ولا ومقلب القلوب (٣) وكان كثير ما يقول « ياقلب ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا أو تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء (٤) » وفي لفظ آخر « إن شاء الله أقامه وإن شاء الله أنزله أزاغه » وضرب له صلى الله عليه وسلم ثلاثا فقال « مثل القلب مثل الصغور يقلب في كل ساعة » (٥) وقال عليه السلام

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى علم في نوبه في الصلاة الحديث تقدم فيه (٢) حديث كان في يده خاتم من ذهب فغفل إليه على التبرع فرماه فقال نظرة إليه ونظرة إليكم من حديث ابن عباس وتقدم في الصلاة (٣) حديث لا ومقلب القلوب من حديث ابن عمر (٤) حديث ما ثبتت القلوب ثبت قلبي على دينك الحديث ت من حديث أنس وحسنه و له من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرطه ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ون في الكبرى له وصححه على شرطه م من حديث الثواس بن سمعان مامن قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء الله أقامه وإن شاء الله أزاغه ون في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة (٥) حديث مثل القلب مثل الصغور يقلب في كل ساعة له في المستدرک وقال صحيح على شرطه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة بن الجراح - قلت رواد البهوي في مجعته من حديث أبي عبيد غير منسوب وقال لا أدري له صحة أم لا .

ابن الريح قال له أقامك مالي نصفين ولولى امرأتان فأطلق أحدهما فأذا انقضت عدتها فزوجها قال له عبد الرحمن بن بركة الله لك في أهلك ومالك فما حمل الصوفى على الاشارة إلى طهارة نفسه وشرف غريزه وما جبه الله تعالى صوفيا إلا بسد أن سوى غريزه لذلك وكل من كانت غريزه السخاء والسنى يوشك أن يمسى صوفيا لأن السخاء صفة القرينة وفي مقابله الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى - ومن يوقش نفسه فأولئك هم القلقون - حكم بالقلاح لمن يوقى الشح وحكم بالقالب

ومثل القلب في قلبه كالتدر إذا استجمعت غليات<sup>(١)</sup> وقال « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة قلبها الرياح ظهرا لبطن<sup>(٢)</sup> وهذه التجلبات وهجاء صنع الله تعالى في قلبها من حيث لا يهتدى إليه للرفة لا يعرفها إلا اللواتيون والراعون لأحوالهم مع الله تعالى . والقلوب في التجليات على الخير والتضرع والتردد بينهما ثلاثة : قلب عمر بالقوى وزكا بالريضة وطهر عن خبايا الأخلاق تتفتح فيه خواطر الخير من خزائن التيب ومداخل السكوت فيصرف العقل إلى التفكر فما خطرته ليرف دلائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده فيكشف له بنور البصرة وجهه فيحكم بأنه لا بد من فقه فيستحبه عليه ويدعوه إلى الصلابة وينظر لذلك إلى القلب فيجده طيا في جوهره طاهرا يتقواه مستقرا ببقاء القلب معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكونه مستقرا ومهيئا فند ذلك عده مجزوء لا يرى وجهه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير وكذلك على العوام ولا يتأخر إمداده بالتزجيب والخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوة تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيسره اليسرى - وفي مثل هذا القلب يشرق نور الصالح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه التبرك الخفي الذي هو أخفى من ديب اللثة السوداء في اللبلة الظلمة فلا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من اللبسات يصير على القرب معمورا بالتجليات التي سئل ذكرها من الشكر والسرور والخوف والرجاء والفر والرهبة والمحبة والرخاء والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب للطمع للراد بقوة تعالى - ألا يذكر أنه تلمنن القلب - وبقوة عز وجل - يا أيها النفس الطمعة - القلب الثاني : القلب الخنول للشمع بالموى للنفس بالأخلاق المدسومة والحجبات للفرح في أبواب الشياطين للسود حة أبواب اللاتكة وبدأ الترفيع أن يتفتح فيه خاطر من الموى ويحس في فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد أتت خدمة الموى وأنى به واستمر على البساط الميل له ولم مساعدة الموى فتستولى النفس وتساعد عليه فيفسح الصدر بالموى وتتوسط فيه ظلماته لا تحبى جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لالتساع مكانه بسبب انقمار الموى فيقبل عليه بالتزجيز والفرور والأمان ويوحى بذلك زخرفا من القول غرورا فيضع سلطان الإيمان بالوعد والوعيد وخبر نور اليقين لحرف الأثرة إذا يصاحبه من الموى دخان مظلم إلى القلب عملا جوانبه حتى تطفئ أنواره فيصير العقل كالمين التي ملا المدخان أجفاتها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفضل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى لقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو يسره واعظ وأمه ما هو الحق في حسي من القهم وهم من السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الموى فظهرت الصبة إلى عالم الشهادة من عالم التيب بفضاء من الله تعالى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوة تعالى - أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يؤمنون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - وقوله عز وجل - لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون - وقوله تعالى - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالمى يتورع عن بعض الأهواء ولكنه إذا رأى

لمن ألقى وبذل قال  
سواء زتام ينفقون  
أولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم  
الفلحون - والقلاح  
أجمع اسم لسمعة  
الخيرين والتي على  
السلام به بقوله ثلاث  
مهلكات ، وثلاث  
منجيات لجلل إحدى  
للمهلكات فها مطاعا  
ولم يقل مجرد الشح  
يكون مهلكا بل يكون  
مهلكا إذا كان مطاعا  
فأما كونه موجودا في  
النفس غير مطاع فانه  
لا يترك ذلك لأنه من  
لوازم النفس مستمدا  
من أصل جبلتها التراب  
وفي التراب قبض  
وإسكاف وليس ذلك  
بالسبب من الآفة  
وهو جبل في وإنما  
السبب وجود السخاء

(١) حديث مثل القلب في قلبه كالتدر إذا استجمعت غليات أحمد و ك وقال صحيح على شرط من حديث القناد بن الأسود (٢) حديث مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بأسناد حسن والبرزاق نحوه من حديث أنس بأسناد ضعيف .

وجها حسانا لم يملك عنه قلبه وما شاعفه وسقط مساك قلبه أو كالأذى لا يملك نفسه فيها في الجاه والرياسة  
والسكر واللاق معه مسكة لتثبت عند ظهور أسماياه أو كالأذى لا يملك نفسه عند انقباض مهما استحق  
وذكر عيب من عيوبه أو كالأذى لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يترك عليه تلك  
الواله السهر فيفسد فيه للرومة والفقوى فكل ذلك تصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى ينظر وتطحن  
منه أنواره فيطحن نور الجاه والرومة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان . القلب الثالث  
قلب يبدو فيه خواطر الهوى فتدعو إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتثبت النفس  
بشهرتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتمتع فيثبت العقل إلى خاطر الخير ويدفع  
في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبيعة والبيع في تهجمها على الشر وقلة  
اكتراثها بالعوالم فتبطل النفس إلى فصيح العقل فيجمل الشيطان حيلة على العقل فتقوى داعي الهوى  
ويقول لها هذا الصريح البارد ولم تنتج عن هوائك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف  
هواه أو يترك غرضه أكثر له لم ملاذ الدنيا يشتمون بها أو يحجر على نفسك حتى يبق محروما غنيا متحوبا  
ينضح عليك أهل الزمان أكثر يد أن يزيد منصبك على فلان وفلان وقد ضلوا مثل ما ضللت ولم  
يتصرا أمارى العالم القلائل ليس يتردد من مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع منه فتبطل النفس إلى  
الشيطان وتقلب إليه فيجمل لك حيلة على الشيطان ويقول هل هناك إلا من اتبع لذة الحال ونسى  
العاقبة أفتنزع بقة بسيرة وترى لذة الجنة وليسما أبدال الآدمي أم يستقل أم الصبر عن شهواته لا يستقل  
أم النار أكثر بفضلة الناس من أنفسهم وأتباعهم هوانهم ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخفف  
عنه مسبية غيرك أرايت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك  
بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب نفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس  
ولا تخافهم خوفا من حر النار فند ذلك فتبطل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجنتين متجاذبا  
بين الحزين إلى أن يسلب له القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات التي في القلب القالب عليها الصفات  
الشرطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضا عن حزب  
الله تعالى وأوليائه ومساعدة لحزب الشيطان وأعدائه وجرى على جوارحه سابق القدر ما هو سبب  
بده عن الله تعالى وإن كان الأغلب على القلب الصفات للسكر لم يسغ القلب إلى إغواء الشيطان  
ومحرضه إله على العاجلة وتهوئه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب  
ماتبق من القضاء على جوارحه قلب المؤمن بين أصابع الرحمن أي بين مخالبه عذرين  
الجنتين وهو التناوب بين القلب والاتصال من حزب إلى حزب أما اليأس على العلوم مع حزب اللالكة  
أوسع حزب الشيطان فانه من الجانبين وهله الطاعات والماسي تظهر من خزائن القلب إلى عالم العبادة  
بواسطة خزائن القلب فانه من خزائن للسكر وهي أيضا إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب  
القلوب سابق القضاء فمن خلق لجنة يستر له أسباب الطاعات ومن خلق لئلا يستر له أسباب  
الماسي وسلط عليه أقران سوء وألقى في قلبه حكم الشيطان فانه بأنواع الحكم يفر الحق بقوله إن  
الله رحيم فلا يزال وإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخافهم وإن السر طويل فاصبر حتى تتوب  
غدا - يدمر ويصير ما يدمر الشيطان إلا خروا - يدمر التوبة ويصير للفرقة فيهلككم بالذن الله تعالى  
بهله الحيل وما يجري مجراها لوسع قلبه قبول القبول والفرور وينقعه عن قبول الحق وكل ذلك قضاء من الله  
وقدره لا يرد الله أن يهديه شرح صدره للسلام ومن يرد أن يهديه يجعل صدره متقاربا كما تقاربا  
في الساء . - إن يصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فخذلكم فمن ذا الذي يصركم من يده - فهو الهادي

في الفرقة وهو نفوس  
الصوفية الداعي لهم إلى  
اليلد والأيثار والسقاء  
أثم وأكل من الجود  
لنفي مقابلة الجود بالخل  
ولي مقابلة السقاء  
الشع والجود واليخل  
يطرق إليهما  
الاكتساب بطريق  
العامة بخلاف الشع  
والسقاء إذا كان من  
ضرورة الفرقة وكل  
سعى جواد وليس كل  
جواد سعييا والحق  
سعيجانه تعالى  
لا يوصف بالسقاء لأن  
السقاء من نتيجة  
الفرار والله تعالى  
منزه عن الفرقة  
والجود يطرق إليه  
الرفاء ويأتي به  
الانسان متطلبا إلى  
عوض من الخلق أو  
الحق بقلب ما من

ولفضل فضل ما يشاء وبحكم ما يريد لا أراد حكمه ولا مقب لفضائه خلق الجنو خلقاً لئلا هملا استعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلاً لاستعملهم باللهامى وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار قال - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ثم قال تعالى فيها روى عن نبيه صلى الله عليه وسلم « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي » <sup>(١)</sup> فضالى الله الملك الحق لا يستل عما يغفل وهم يستلون ولتقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر هجاب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعم للمعاملة وإنما ذكرناه منه ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم للمامة وأسرارها ليتفتح بها من لا يتنع بالظواهر ولا يجترى بالقرى عن الباب بل يتشوق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب وفيها ذكرناه كفاية للمقتنع إن شاء الله تعالى والله ولى التوفيق . ثم كتاب هجاب القلب وله الحمد والثناء ، وثناه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى .

### ( كتاب رياضة النفس )

( وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب ، وهو الكتاب الثانى من ربيع للملكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى صرف الأمور بتدبيره وعبد تركب الخلق فأحسن فى تصويره وزين صورته الإنسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه من الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض تحيين الأخلاق إلى اجتهاد البعد وتقسيمه واستنسه على تهذيبها بتفوقه وتحذيره وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل سببه وعسيره . والصلوة والسلام على عهد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشره ونذيره الذى كان يلوح أتوار النبوة من بين أساريره ويستشرف حقيقة الحق من عجايبه وتواضعه وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الاسلام من ظلمة الكفر ودجاجيره وحسموا مادة الباطل فلم يندنسوا بظلمه ولا بكبره .

أما بعد : فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شرط الدين وثمره مجاهدة للتقوى ورياضة للتبديد والأخلاق السيئة هى السموم القاتلة والهلكات المماعة والمجازى الفاضحة والردائل الواضحة والحجائب للجنة من جوان رب العالمين للخطوة بصاحبها فى سلك الشياطين وهى الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى للوقعة التى تطلع على الأفتنة كأن الأخلاق الجليقة الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يقوت حياة الأبد . وأين منه الرض الذى لا يموت إلا حياة الجسد . ومهما اشتدت عناية الأطباء بشطب قوانين العلاج للأبدان وليس فى مرضها إلا قوت الحياة القانية فالعناية بشطب قوانين العلاج لأمراض القلوب وفى مرضها قوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب كله على كل دى بل إذ لا يتلو قلب من القلوب عن أسقام أو أهملت تراكت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج البعد إلى تأتى فى معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تصميم فى علاجها وإصلاحها فالجنات والوراد بقوله تعالى - قد أفلح من زكاهما - وإصلاحها هو الراد بقوله - وقد خاب من ضلها - ونشير فى هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها على الجملة من غير تفصيل

(١) حديث قال الله عز وجل: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي وقال ابن عبد البر في الاستيعاب إنه مضطرب الإسناد .

( كتاب رياضة النفس )

النساء وغيره من الخلق والثواب من الله تعالى والسخط لا يتطرق إليه الرأى لأنه يتبع من النفس الزكية للرفعة عن الأعراض دنيا وآخرة لأن طلب العوض مشعر بالخل لكونه معلولاً بطلب العوض لما تحصى سخاءه والسخط لأهل الصفاء والأثار لأهل الأنوار ويجوز أن يكون قوله تعالى - إنما نطمع لوجه الله لا نريد منهكم جزاء ولا شكوراً - أنه نفي فى الآية الإطعام لطلب الأعراض حيث قال لا نريد بهد قوله فوجه الله فسا كان له لا يشمر بطلب العوض بل التفرقة لطهارتها تنجلب إلى مراد الحق

للاجحوس الأمراض فإن ذلك يأتي في بنية السكب من هذا الربع وغرضنا الآن النظر إلى السكب في تهذيب الأخلاق وتعميد مناجيا ونحن نذكر ذلك ونجمل علاج البدن مثلا ليقوم بين الألفهام دركه ويضع ذلك بيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق لغيره بالروضة ثم بيان السبب الذي به يتأهل حسن الخلق ثم بيان الطرق التي بها يعرف حصول الطرق إلى تهذيب الأخلاق وروضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان صوب نفسه ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المألجة للقلب ترك الشهوات لاغير ثم بيان علامات حسن الخلق ثم بيان الطرق في روضة الصبيان في أول التنشئة ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا السكب إن شاء الله تعالى.

(يان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق)

قال الله تعالى فيه وحيه متبنا عليه ومظهرًا لمتة فيه - وإنك لمن خلق عظيم وقال تعالى  
رضى الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن» (١) وسأدر رجل رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عن حسن الخلق فلا قوله تعالى - خذ النفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم  
قال صلى الله عليه وسلم : هو أن تسلم من نفسك وتسلم من حرمك وتعفو عمن ظلمك (٢)  
وقال صلى الله عليه وسلم «إنما بشت لأتكم مكارم الأخلاق» (٣) وقال **عليه السلام** «أفضل ما يوضع للزبان  
يوم القيامة شوى الله وحسن الخلق» (٤) وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه  
قال «يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأما من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن  
الخلق ثم أباه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أباه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين  
فأجابته إليه وقال أما عتقه هو أن لا تنسب» (٥) وقيل «يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق» (٦) وقال  
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال «أتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السنة  
الحسنة تحمها قال زدني قال خافني الناس بخلق حسن» (٧) وسئل عليه السلام «أى الأعمال أفضل  
قال خلق حسن» وقال صلى الله عليه وسلم «ما حسن الله خلق عبد وخلقته فيضعه النار» (٨)  
وقال الفضيل [١] قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن قلة سموم النهار وتقوم الليل وهى  
سنة الخلق تؤذى جاراتها بسلبها قال لا خير فيها هى من أهل النار» وقال أبو الوليد حماد بن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقول «أول ما يوضع للزبان حسن الخلق والسجود والخلق الله الامان

(١) حديث عائشة كان خلقه القرآن تقدم وهو عند م (٢) حديث تأويل قوله تعالى خلت النجوم والأية  
فإن أصل من قطع الحديث ابن مردويه من حديث جابر وقيس بن سعد بن جبادة أنس بأبي سعيد  
خشان (٣) حديث يثبت لأتيم مكانم الأخلاق أحمد وله والييين من حديث أبي هريرة وتقدم في  
آداب الصحبة (٤) حديث أنقل مايوضع في ليزان خلق حسن د وصحة من حديث أبي البرداء  
(٥) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال ما الذي قال حسن الخلق  
الحديث محمد بن نصر اللروزي في كتاب تطعيم قدر الصلاة من رواية أبي السلام بن الضحير مراسلا  
(٦) حديث المثلثون قال سوء الخلق أحمد من حديث عائشة الفقوم سوء الخلق ولأبي داود من  
حديث رافع بن مكيت سوء الخلق شؤم وكلاما لا يصح (٧) حديث قال رجل أوصني قال اتق الله  
ميتا كنت الحديث ت من حديث أبي ذر وقال الحسن صحيح (٨) حديث ما حسن الله خلقك امرء  
خلقته قطعته لتار تقدم في آداب الصلوة .

١] قوله وقال الفضيل الخ لم يخرجہ العراقی ولم ینبہ علیہ وقد تقدم فی باب السحرة فلتأمل .

لا يرضى ذلك أهل  
السفاه من أظهير  
الفرار. روت أصحابنا  
أن بكرا قال: قلت  
لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم: إني أريد  
أن أدخل على  
الزبير فاعطني، قال: نعم  
لاؤك يوكي عليك .  
ومن أخلاق الصوفية  
التجاوز والقفو ومقابلة  
الشيء بالحسنة . قال  
سفيان الأحسان أن  
تحسن إلى من أساء  
إليك فإن الأحسان  
إلى المحسن متاجرة  
تكتسب السوق خذ  
حشا وهات حشا وقال  
الحسن الأحسان أن  
تم ولا تحسب بالشمس  
والربع والقيث .  
وروي أني قال  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم  
« رأيت صور لمسرة



ذلّ اللهم قوتي قهواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوتي قهواه بالبخل وسوء الخلق (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لديكم إلا السخاء وحسن الخلق إلا فرغتموا لديكم بها» (٣) وقال عليه السلام «حسن الخلق خلق الله الأعظم» (٤) وقيل «بارسول الله أي للؤمنين أفضل إسمائنا قال أحسنهم خلقا» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فتقوم بيسط الوجه وحسن الخلق» (٦) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل السمل» (٧) وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك امرؤ تدرى ما أحسن خلقك حسن خلقك» (٨) وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا» (٩) وعن أبي مسعود البدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه «اللهم حسنت خلقك حسن خلقك» (١٠) وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول «اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق» (١١) وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كرم للؤمنين دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقه» (١٢) وعن أسامة بن شريك قال «شهدت الأعراب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطى العبد قال : خلق حسن» (١٣)

(١) حديث أبي البرداء أول ما يوضع في اللباز حسن الخلق الحديث لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود وث من حديث أبي البرداء ما نرى شي في اللباز أقل من حسن الخلق وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن مرجح (٢) حديث إن الله استخلص هذا الدين لنفسه الحديث الحديث الحديث في كتاب المساجد والخرابى في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد فيه لين (٣) حديث حسن الخلق خلق الله الأعظم الطبراني في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند متين (٤) حديث قيل يارسول الله أي للؤمنين أفضلهم إسمائنا قال أحسنهم خلقا دلت ن ك من حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح يلتقى أكل للؤمنين والطبراني في حديث أبي أسامة أفضلكم إسمائنا أحسنكم خلقا (٥) حديث إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فتقوم بيسط الوجه وحسن الخلق البراء وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البراء رجاله ثقات (٦) حديث سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل السمل ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وأبي هريرة أيضا وضعفها ابن جرير (٧) حديث إنك امرؤ تدرى ما أحسن خلقك فأحسن خلقك الخرابى في مكارم الأخلاق وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف (٨) حديث البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا الخرابى في مكارم الأخلاق بسند حسن (٩) حديث أبي مسعود البدرى اللهم كما حسنت خلقك حسن خلقك الخرابى في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي المذبل عن أبي مسعود البدرى وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه ورواه أحمد من حديث عائشة (١٠) حديث عبد الله بن عمرو اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق الخرابى في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين (١١) حديث أبي هريرة حكيم للر ديه ومروءته عقه وحسن خلقه حب ولا وصحه على شرط والبيهقي - قلت فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه قال البيهقي وروى من وجهين آخرين متفقين ثم رواه موقولا على عمر وقال إسناده صحيح (١٢) حديث أسامة بن شريك شهدت الأعراب يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير ما أعطى العبد قال خلق حسن وتقدم في آداب الصحة .

على الجنة قلت  
يا جبريل لمن هذه  
قال لكاملين القبط  
والفريقين عن الناس  
روى أبو هريرة رضى  
الله عنه «أن أبا بكر  
رضي الله عنه كان  
مع النبي صلى الله  
عليه وسلم في مجلس  
فجاء رجلا فوقع في  
أبي بكر وهو ساكت  
والنبي عليه السلام  
يتبسم ثم رد أبو بكر  
عليه بعض الذي قال  
فتبسم النبي وقام  
فلحقه أبو بكر فقل  
يارسول الله شتمني  
وأنت تبسم ثم رددت  
عليه بعض ما قال  
فتبسمت وقلت فقال  
إنك حيث كنت  
سأكتا كان معك  
ملك رد عليه فلبا  
تسكنت وقع الشيطان

وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» (١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تمجدوا بهي» من محبة: تقوى حمزة عن معاصي الله أو حلم يكف به السفه أو خلق يمشي به بين الناس (٢) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت » (٣) وقال أنس يينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما إذ قال «إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما تذهب الشمس الجلود» (٤) وقال عليه السلام «من سعادة للره حسن الخلق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «الذين حسن الخلق» (٦) وقال عليه السلام «يا أيها ذو العقل كالديبر ولا حسب كحسن الخلق» (٧) وعن أنس قال «قالت أم حبيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت للراءة يكون لها زوجان في الدنيا تموت وبموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون ، قال لأحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يأمر حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم حسن خلقه وكرم مرتبته» (٩) وفي رواية «درجة الظلمات في المواجر» وقال عبد الرحمن بن مرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال «إني رأيت البارحة هيا رأيت رجلا من أمم جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فبما حسن خلقه فأدخله على الله تعالى» (١٠) وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن البعد ليبلغ حسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لتضعف في العبادة» (١١) وروى «أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكنه ويستكرهه عالية أصواتهن على صوته

ثم أكن لأفصد في مقدم فيه الشيطان يا أيها بكر ثلاث كلون حق ليس عبد بظلم بمظلة فيخو عنها إلا أمر الله نصره وليس عبد يفتح باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله ثقة وليس عبد يفتح باب عطية أو صلة يفتح بها وجه الله إلا زاده الله بها كثرة . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي قال أنا السرخسي قال أنا الترمذي قال أنا الجرجاني قال أنا الجوهري قال أنا أبو عيسى الترمذي قال ثنا أبو هشام الرقاعي قال ثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جريح عن أبي الطليل عن

(١) حديث إن أحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا طس طس من حديث أبي هريرة إن الله أحسنكم أخلاقا والطبراني في معجم الأخلاق من حديث جابر إن أقربكم مني مجلسا أحاسنكم أخلاقا وقد تقدم الحديثان في آداب الصفة (٢) حديث ابن عباس ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يمتد بهي من محبة الحديث الخريطي في معجم الأخلاق بإسناد ضعيف ورواه الطبراني في الكبير وفي معجم الأخلاق من حديث أم سلمة (٣) حديث التهم اهدني لأحسن الأخلاق الحديث م من حديث علي (٤) حديث أنس إن حسن الخلق ليذهب الخطيئة كما يذهب الشمس الجلود الحديث الخريطي في معجم الأخلاق بإسناد ضعيف ورواه طس والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه وكذا روله من حديث أبي هريرة وضعفه أيضا (٥) حديث من سعادة للره حسن الخلق الحديث الخريطي في معجم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث جابر بإسناد ضعيف (٦) حديث الذين حسن الخلق الحديث الخريطي في معجم الأخلاق من حديث علي بإسناد ضعيف (٧) حديث يا أيها ذو العقل كالديبر ولا حسب كحسن الخلق ه جب من حديث أبي ذر (٨) حديث أنس قالت أم حبيبة لرسول الله أرايت للراءة يكون لها زوجان البراء والطبراني في الكبير والخريطي في معجم الأخلاق بإسناد ضعيف (٩) حديث إن السلم للسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه الحديث أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية ولهما ابن حبة (١٠) حديث عبد الرحمن بن مرة إني رأيت البارحة هيا الحديث الخريطي في معجم الأخلاق بإسناد ضعيف (١١) حديث إن البعد ليبلغ حسن خلقه عظيم درجات الآخرة الحديث طس والخريطي في معجم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب معجم الأخلاق وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصفيانيين من حديث أنس بإسناد جيد .

فلما استأذن عمر رضى الله عنه بتادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشك  
 فقال عمر رضى الله عنه ثم قمضك بأني أنت وأنى يا رسول الله فقال هيت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما  
 ممن سوتك بادرن الحجاب فقال عمر أنت كنت أحي أن يبينك يا رسول الله ثم أقبل عليهن عمر  
 فقال ياعدوات أفسهن آهينى ولا تبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قلن ثم أنت أغلظ وأفت من  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لهما يا ابن الخطاب والى نسي يدي ما ليك  
 الشيطان قط سالكا فجاء الإسلام فجاء غيرك (١) وقال صلى الله عليه وسلم «سوء الخلق ذنب لا يضر  
 وسوء الظن خطيئة فحوش (٢) وقال عليه السلام «إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم (٣)»  
 الآثار : قال ابن القيم الحكيم لأيه يا أيت أى الخصال من الإنسان خير قال الدين قال فإذا كانت  
 اثنتين قال الدين وللحال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين وللحال والحياة قال فإذا كانت أربعاً قال الدين  
 وللحال والحياة وحسن الخلق قال فإذا كانت خمساً قال الدين وللحال والحياة وحسن الخلق والسخاء  
 قال فإذا كانت ستاً قال يا بنى إذا اجتمعت فيه الخمس خال فهو حقى لله ولئى ومن الشيطان يرى  
 وقال الحسن : من ساء خلقه عذب نفسه ، وقال أنس بن مالك : إن البديلين حسن خلقه أعلى  
 درجة في الجنة وهو خير نابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو هابى ، وقال يحيى بن معاذ  
 في سمة الأخلاق كنوز الأرزاق ، وقال وهب بن منبه : مثل السوء الخلق كمثل الشاة للسكرورة  
 لا ترقع ولا تصاد طينا ، وقال القشيري : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبنى هابى  
 سيء الخلق . وصحب ابن المبارك رجلا سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداره فلما فارقه بكى  
 قتيلا له في ذلك فقال بكيت رحمة فارقت خلقه معه لم يغارقه . وقال الجدي : أربع ترفع العبد إلى  
 أهل الدرجات وإن كان عمله وعله : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان ، وقال  
 السكاني التصوف خلق فن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف . وقال عمر رضى الله عنه  
 خاطبوا الناس بالأخلاق وازيلوهم بالأعمال ، وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة  
 الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات ، ومثل ابن عباس ما لكم قال أحسنكم خلقا  
 ما بين الله في كتابه المزمز - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قيل لسا الحسب قال أحسنكم خلقا  
 أفضلكم حسبا ، وقال لكل بيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق ، وقال عطاء : ما رضع  
 من أرفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا بالصلنى صلى الله عليه وسلم فأقرب الخلق إلى الله عز  
 وجل السالكون آثاره بحسن الخلق .

( بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق )

اعلم أن الناس قد حكموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ماهر وما تعرضوا لحقيقته وإمامهم رضوا بقره  
 ثم لم يتوجهوا جميع بمراته بل ذكر كل واحد من ممراته ما خطر له وما كان حاضرا في ذهنه ولم  
 يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ممراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول

(١) حديث إن عمر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه  
 ويستكرته الحديث متفق عليه (٢) حديث سوء الخلق ذنب لا يضر الحديث طعن من حديث  
 عائشة ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه وإسناده  
 ضيف (٣) حديث إن البديلين من سوء خلقه أسفل درك جهنم الطبراني والحرابي في  
 مكالم الأخلاق وأبو الشيخ في طبقات الأصفيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث  
 الذى قبله بهذين .

حذيفة قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 « لا تكونوا إمامة  
 تخولون إن أحسن  
 الناس أسننا وإن  
 ظلوا ظننا ولكن  
 وطنوا أنفسكم إن  
 أحسن الناس أن  
 تحسنوا وإن أسأوا  
 فلا تظلموا » وقال بعض  
 الصحابة « يا رسول الله  
 الرجل أمر به فلا يقربني  
 ولا يضيئني فيمرى  
 أنا جزيه قال لا قره »  
 وقال الفضيل الفتوة  
 الصبح عن عثرات  
 الأخوان وقال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 « ليس الواصل للكمال »  
 ولكن الواصل الذى  
 إذا قطعت رحمو مسلم »  
 وروى عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « من سكرم الأخلاق »

الحسن : حسن الخلق بسط الوجه وبذل الذي وكف الأذى . وقال الواسطي هو أن يخاصم ولا يخاصم من هدته مرفقه بالله تعالى ، وقال شاه الكرمانى : هو كف الأذى واحتال المؤمن . وقال بهشمر هو أن يكون من الناس قريبا وقبلا بينهم غيرا وقال الواسطي مرة هو إرضاء الخلق في السراء والشراء وقال أبو عثمان هو الرضا عن الله تعالى ، وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال أدناه الاحمال وترك الكفاة والرحمة للظالم والاستخفاف له والشفقة عليه ، وقال مرة أن لا يتم الخلق في الرزق ورشقه به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فبطيه ولا يصبه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس . وقال طي رضى الله عنه حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على البيال ، وقال الحسين بن منصور هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق ، وقال أبو سعيد الخزاز هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض للخرات حسن الخلق لانفسه ثم ليس هو عيضا بجميع الخيرات أيضا وكشف النطاء عن الحقيقة أولى من حل الأثواب المختلفة فتقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان فيقال فلان حسن الخلق والخلق أى حسن الباطن والظاهر فإراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصرة ، ولكل واحد منهما هيئة بصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنفس للدركة بالبصرة أعظم قدرا من الجسد للدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بضافته إليه إذا قال تعالى - إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين - فيه بل أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين ، ولله بالروح والنفس في هذا القام واحد فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأعمال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ودعوة فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأعمال الجيدة المحمودة عقلا وشرا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان المصدر عنها الأعمال السيئة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل للال على التدوير حاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رموح وإنما افترطنا أن تصدر منه الأعمال بسهولة من غير دعوة لأن من تكلف بذل للال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم ، فهنا أربعة أمور : أحدها فعل الجليل والقيس ، والثاني القدرة عليها . والثالث للفرقة بهما . والرابع هيئة النفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن القتل قرب شخص خلقه السخاء ولا يلدل إما تقصد للال أو لماغ وربما يكون خلقه البطل وهو يلدل إما بإعطاء أولياءه وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الامساك والاعطاء بذل إلى الضدين واحد وكل إنسان خلق بالقطرة قادر على الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البطل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن الفرقة فإن الفرقة تتعلق بالجليل والقبيح جريا على وجه واحد بل هو عبارة عن الشيء الرابع وهو الهيئة التي بها تصدر النفس لأن يصدر منها الامساك أو البذل فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكأنا حسن الصورة الظاهر مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأتف والقلم والحل بل لا بد من حسن الجميع ليمت حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتساوت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث . أما قوة العلم فحسنها وصلاحيها بأن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجليل والقبيح في الأعمال فإذا

أن تفو من ذلك  
وتصل من قطعت  
وتسلى من حرمك  
ومن أخلاق الصوفية  
البشر وطلاقة الوجه  
الصوفي بكثرة في خلوته  
وجهره وطلاقة وجهه  
مع الناس فالبشر على  
وجهه من آثار أنوار  
قلبه وقد تنازل باطن  
الصوفي ما زلات ليلية  
ومواهب قدسية  
يرتوى منها القلب  
ويتلذذ فرحا وسورا  
- تل بفضل الله ورحمته  
فيلتفت للغير حوا -  
والسرور إذا تمكن من  
القلب فاض على الوجه  
آثاره قال الله تعالى  
- وجوه يومئذ مسفرة  
أى مضيئة مشرفة  
سمت بغير شأى فرحة  
قبل أشرفت من طول  
ما اغترت في سبيل

صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - وأما قوة التضييق فهي أن يصير اغنياءها وانيساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشراف الحكمة لا تحت إشراف الغل والشرع - وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والتضييق تحت إشراف العقل والشرع والعدل مثالي التامع للشر وقوة العدل هي القدرة ومثاله مثال للعدل للمضي لإشارة العقل والتضييق هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدي حتى يكون لستره وتوقه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس والشهوة مثاله مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً فمن استوت في هذه الحال واعتدل فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك للمضي خاصة كالذي همس ببعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة التضييفية واعتدالها يبرر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يبرر عنه بالشفقة فإن مالت قوة التضييق عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى ثوراً وإن مالت إلى الضعف والتقصان تسمى جينا وخوراً وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى ثوراً وإن مالت إلى التقصان تسمى جموداً والمحمود هو الوسط وهو التضييق والطرفان زبدتان من مومتان والعدل إذا لم يلبس له طرفاً زيادة وقصان بل به شدواً ومقابلوه هو الجور. وأما الحكمة فيسمى إفرافها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجبرية ويسمى تضييقها بلها والوسط هو الذي يخص باسم الحكمة لأن أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل وتسمى بالحكمة حالة لنفس بها يدرك السواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية، وتسمى بالعدل حالة لنفس وقوة بها تسوس التضييق والشهوة وتعمل بها على مقتضى الحكمة وتضييقها في الاستمرار والاعتدال على حسب مقتضاها، وتسمى بالشجاعة كون قوة التضييق متفاداً للعقل في إقدامها وإحجامها بمعنى بالغة تأديب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع فمن اعتدل هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجلية كلها إذ من اعتدل قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الدين وقنابة الرأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفرافها تصدر الجبرية والكر والنداء والهدام من تضييقها يصدر البه والتمارة والحق والجنون، وأعلى الصدارة قوة التجربة في الأمور مع سلامة التعليل فتدركون الإنسان فخر في شيء دون شيء والفرق بين الحق والجنون أن الأخير مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطريق للوصول إلى الترض. وأما الجنون فإنه يختار مالا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإشارته فاسداً. وأما خلق الشجاعة فيصدر من الكرم والتجدة والشهامة وكسر النفس والاحتيال والحلم والتبات وكظم النيط والوقار والتودد والمثاقم هي أخلاق محمودة وأما إفرافها وهو الثور فيصدر من الضعف والبذخ والاستغناء والتكبر والعجب. وأما تضييقها فيصدر منه الليانة والدة والجوع والخساسة وضرب النفس والاعتدال عن تناول الحق والواجب. وأما خلق البه فيصدر منه السخاء والحياء والعبر والساعة والقناعة والورع والبطاقة والساعة والعدل والظرف وقلة الطمع، وأما ميلها إلى الإفراط أو التفریط فيحصل منه الحرص والشرم والواحد والعجب والتبذير والتقصير والراء والتهتك والمجانة والبث واللق والحسد والكفاية والتذلل للأغنياء واستخار الفقراء وغير ذلك فأهميات حاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربع هي الحكمة والشجاعة والصفوة والعدل والباقي فروصها ويبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع لإرسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يبدعون ما يتوون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من

الله ومثال فيض النور على الوجه من القلب كفيضان نور السراج على الزجاج وللشكاة فالوجه مشكوا القلب زجاج والروح مصباح فإذا تتم القلب يظيد للسامرة ظهر البشر على الوجه قاله تعالى - تعرف في وجوههم لغيره التميم - أي فصاره وبرقه يقال أخضر النبات إذا أزهى ونور - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فلما نظرت لغيره فآزهرت للشهادة من السوية تنورت بآثارهم بنور الشهادة والصفوة مرآة قلوبهم وانعكس فيها نور بحال الأزل وإذا شرفت النفس على الرتبة لتصفوة استارت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق مسلماً طاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويتقنون به في جميع الأحوال ، ومن اهتلك عن هذه الأخلاق كلها أو نصفها بأمدها استحق أن يخرج من بين البلاد والبياد فانه قد قرب من الشيطان اللعين للبعد فينبغي أن يعد كأن الأول قرب من لذلك القرب فينبغي أن يقتدى به ويقترب إليه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت إلا ليتم مكارم الأخلاق كالآل (١) وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى - إنا للؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون - فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة الشبهة والشهوة وهما قوة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الضبط على شرط العقل وحده الاعتدال تقبيل وصف الله تعالى الصالحين فقال - أشداهم على الكفار رحما بينهم - إشارة إلى أن للشهوة وضواها راحموا من الغلبات الكمال في الشدة بكل حال ولأن الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه ويان أن كانه مفرغاً وفروعه .

(بيان قبول الأخلاق لتغيير بطريق الرياضة)

اعلم أن بسبب من غلبت البطالة عليه استغفل المجاهدة والرياضة والاعتدال بركة النفس وتهديب الأخلاق فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك قصوره وقصه وحيث دخلته فرغم أن الأخلاق لا يتصور تغييرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بأمرين : أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كأن الخلق هو صورة الظاهر فالخلة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني أنهم قالوا حسن الخلق يجمع الشهوة والنفس ، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى الزناج والطبع فانه لا ينقطع عن الأدنى فاستغفله في تنسيع زمان يغير فائتة فان المطلوب هو قطع الثفات القلب إلى الحظوظ الساجدة وذلك حال وجوده . فتقول لو كانت الأخلاق لا تهبل التغيير لطلعت الوصايا والواظ والتأديبات ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنوا أخلاقكم » وكيف يشكر هذا في حق الأدنى وتغيير خلق البريمة يمكن إذ يقبل البازي من الاستيحاء إلى الأس والكلب من شره الأكل إلى التأديب والامساك والتخيلة والفرس من الجراح إلى السلاسل والاقبادة وكل ذلك تغيير للأخلاق . والقول الكاشف لفتاء عن ذلك أن قول الموجودات منسجمة إلى ما يدخل للآدمي واختياره في أمهات خصيه كالسجاد والكواكب بل أعضاء البدن داخلها وخارجها وسائر أجزائها الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع التفرغ من وجوده وكاله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة قبول الكمال بيد أن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار البند بأن القوة ليست بتفاسد ولا تهل إلا أنها خلقت خلقاً يمكن أن يصير خلقاً إذا انضاف التربية إليها ولا يصير تخالفاً لأسلا ولا تربية فإذا صارت القوة متأثرة بالاختيار حتى تهبل بسبب الأحوال دون بسبب فكذلك الضبط والشهوة تهلوا وأردتا قهوماً وقهرهما بالكسبية حتى لا يبق لهما أثر لم تقدر عليهما أصلاً ولو أردتا سلاسلهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرتا عليهما وقد أمرتا بذلك وصار ذلك سبب نجاحهما وصولاً إلى الله تعالى . ثم ليميلات مختلفة بعضها سرية القبول وبعضها بطيئة القبول ولا خلافها سيان : أحدها قوة القرعة في أصل الجيلة واعتداده مدخل وجوده فان قوة الشهوة والنفس والتكبر موجود في الإنسان ولكن أسبابها أروا أو أعصاها

(١) حديث بشت لأنهم مكارم الأخلاق ختم في آداب الصعبة (٢) حديث حسنوا أخلاقكم أبو بكر ابن أبي الدنيا مكارم الأخلاق من حديث مماذا بإسناد حسن خلقك للناس منقطع ورجاله ثقات .

الجدران قاله الله تعالى  
- سيام في وجوههم  
من آراء السجود وإذا  
تأثر الوجه بسجود  
الظلال وهي التواب  
في قول الله تعالى  
- وظلالهم بالشعر  
والأصابع كيف لا يتأثر  
بعمود الجبال أخبرنا  
شاهد الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا  
الكرخي قال أنا  
الترقي قال أنا الجراحي  
قال أنا المبرور قال أنا  
أبو عيسى الترمذي قال  
تنا تقيية قال أنا  
للكندر بن محمد بن  
للكندر عن أبيه عن  
جابر بن عبد الله قال  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « كل معروف  
مصدقان من المعروف  
أن تلقى أخاك بوجه  
طلق وأن تفرغ من

على التضرع قوة الشهوة فانها أقدم وجودا إذ الصبي في مبدأ القطرة تخلق له الشهوة ثم بعد صبيح سنين ربما يخلق له الضرب وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز والسبب الثاني أن الخلق قد بناه كبد بكرة العمل بقتضاه والمادة له وباعتقاد كونه حسنا ورضيا والناس فيه على أربع مراتب : الأولى وهو الانسان الفضل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجليل والقيس بل يقي كافتراضه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تلتصق شهوته أيضا باتباع الذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان . والثانية أن يكون قد عرف تبع التيسير ولكنه لم يتعود العمل الصالح بل يزين له سوء عمله فخطاه انقيادا لشهوته وإعراضا عن صواب رأيه لامتلاء الشهوة عليه ولكن علم قصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قلع مارسع في نفسه أولا من كثرة الاعتقاد للفساد والآخرة أن يفرس في شهوة صفة الاعتقاد للصالح ولكنه بالجملة على قابل للرياضة إن اتهم لها مجد وتشمير وحزم . والثالثة أن يعتقد في الأخلاق التيسيرة أنها الواجبة للسمحة وأنما حق وجيل وترتب عليها فهذا يكاد يتنفع بمعالجته ولا يرجى صلاحه إلا على التدور وذلك لتضاعف أسباب الضلال . والرابعة أن يكون مع نفسه على الرأي القاسد وترتيبه على العمل به يرى القضية في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويأبى به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب الراتب وفيه ثقل ومن العناء رياضة الهرم ومن التذنب تهذيب الدبيب والأول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشريد . وأما الحياتي الآخر الذي استدلوا به وهو قوله إن الأذى مادام حيا فلا تقطع منه الشهوة والضرب حسب الله يئوسا وهذه الأخلاق فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن القصد من المجاهدة قلع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهربان فان الشهوة خلقت لقائدة وهي ضرورية في الجلبه فلو اطمعت شهوة الطعام هلك الانسان ولو اطمعت شهوة الوقاح لاطعت النسل ولو انهم الضرب بالكلية لم يلدع الانسان عن شهوة ما يهلكه ولهذا ومما بقي أصل الشهوة بقيت لاهلها حسب الله الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إسكاف للالوليس للطالب إمالة ذلك بالكلية بل للطالب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط وللطالب في صفة الضرب حسن الخلية وذلك بأن يخاف عن التدور وعن الجبن جميعا وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع توتره متقادا للقتل ولله قال تعالى - أعداء على السكفار رحما بينهم - ومنهم بالشددة وإنما تصدر الشدة عن الضرب ولو بطل الضرب لبطل الجهاد وكيف يقصد قلع الشهوة والضرب بالكلية والأنبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك إذ قال صلى الله عليه وسلم « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر » (١) . « وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يضرب حتى تحمر وجنتا ولكن لا يقول إلا حقا فكان عليه السلام لا يخرج غضبه عن الحق » (٢) . وقال تعالى - والكافرين التيط والعافين عن الناس - ولم يقل والقائدون التيط فرد الضرب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يضر واحد منهما العقل ولا يخل به بل يكون العقل هو الضابط لها والتائب عليها

(١) حديث إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر م من حديث أنس وله من حديث أبي هريرة « إنما عهد بشر يضرب كما يضرب البشر » (٢) حديث أنه كان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيضرب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الضرب لا يخرج عن الحق الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال لأن كان ابن عمك فتلون وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهما من حديث أبي سعيد الخدري وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه لها من حديث عائشة وما اتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه إلا أن تنتهك حرمة الله ولما ما يناله منه شيء قط فينتقم من صاحبه الحديث .

ذلك في إزاء أخيك»  
وقال سعد بن عبد الرحمن الزبيدي يصعب من القراء كل سهل طلق مضحك .  
فأما من تلقاه بالشر ويقلقه بالموس كأنه بمن عليك فلا أكثر  
الله في القراء منه ومن أخلاق الصوفية السهولة  
ولين الجانب والزلزل مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التصرف والتكلف  
وقد روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار وأخلاق الصوفية  
تأكي أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وكان يقول عليه الصلاة والسلام «أما إن أفرح ولا أقول إلا حقا» روى وأن رجلا قال لأخاه

يمكن وهو الراد بنزير الخلق فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يحوى عقله على دفعها على الانبساط إلى التواضع وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال فدل أن ذلك يمكن والتجرب يقول للعاهدة مند على ذلك دالة لا شك فيها ولا يبدل على أن اللطوب هو الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد تثنى الله تعالى عليه فقال - والذين إذا اتفقا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما - وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وكذلك اللطوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الفسار والجود قال الله تعالى سوكوا واتربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وقال في التنزيل - أعداء على الكفار رحماء بينهم - وقال عليه السلام «خير الأمور أوسطها» وهذا ليس وعقيق وهو أن السعادة منوطه بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى - إيا من أتى الله قلب سليم - والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أضامن عوارض الدنيا وشرط القلب أن يكون سليما منهما أي لا يكون ملوثا إلى لئال ولا يكون حريصا على إحقاقه ولا على إسساكه فان الحريص على الإحقاق مصروف القلب إلى الاضاق كأن الحريص على الإمساك مصروف القلب إلى الامساك فكان كالقلب أن يصفو عن الوصفين جيما وإلزام يكن ذلك في الدنيا طليئا ماهو الأشبه لعدم الوصفين وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لاجر ولا يارد بل هو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والعشاعة بين الجبن والثور والشفقة بين الفسار والجود وكذلك سائر الأخلاق فكل طرفي الأمور فميم هذا هو اللطوب وهو ممكن ، ثم يجب على الشيخ للرهف الفريد أن يشرح عنه التنزيل رأسا ويبلغ إمساك المال رأسا ولا يرخس له في شيء منه لأنه لو رخص في أي شيء أخذ ذلك علرا في استبقاء خلقه وغبه وظن أن القدر الرخص فيه فاذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سوربه حيث يعود إلى الاعتدال فالسواب له أن يقصد قطع الأصل حتى يتيسر له القدر للتصود فلا يكشف هذا السر للفريد فانه موضع غرور الحق إذ يظن بنفسه أن غيبه بحق وإن إسساكه بحق .

( بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة )

قد عرف أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكال الحكمة وإلى اعتدال قوة التنزيل والشهوة وتكونها العقل مطيعة وللشعر أيضا وهذا الاعتدال يحصل على وجهين : أحدهما يعود إلى وكال فطري حيث خلق الانسان ربوده كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والتنزيل بل خلقنا متحدثين متقادين لعقل والشعر فيصير طالما يغير تعليم ومؤدبا يغير تأديب كيمس بن حريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والنطرة ما قد ينال بالآ ككتاب قريب من خلق صادق الالهية سخيا جريا وربما خلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتدال ومخالطة التخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتم والوجه الثاني ككتاب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياسة وأخفى به حمل النفس على الأعمال التي تقتضيها الخلق اللطوب بل أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطرقة أن يتكلف له على فعل الجود وهو بدل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواسب عليه تكلفا مجاهدا نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعيا فهو يتيسر عليه فصي به جنودا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطرقة أن يواطىء على أفعال للتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا وطبعيا فيتيسر عليه جميع الأخلاق المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وفاقته أن يصير العقل الصادر منه لا يذلل قال السخي هو الذي يستد بدل المال الذي يذلل دون الذي يذلل عن كراهة والتواضع هو الذي يستد التواضع ولن ترسخ

(١) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله مضملا .

ابن حرام وكان يمدحها وكان لا يذلل إلى رسول الله إلا جاءه بطريقة يهديها إلى رسول الله فجاء يوما من الأيام فوجده رسول الله في سوق المدينة يبيع سلمه له ولم يكن أتاه ذلك اليوم فاحتضنه النبي عليه السلام من وراءه بكفيه فالتفت فأبصر النبي عليه السلام قبل كفيه قال النبي عليه السلام من يشتري المبدل قال إذن تجدي كامدا يارسلو الله فقال ولكن عند الله ربيع ثم قال عليه السلام لكل أهل حضر بادي وبادية آل محمد أهر بن حرام . وأجرت أبو زرعة طاهر بن الحافظ القسبي عن أبيه قال



الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشاق إلى الأفعال الجلية ويتركها ويكره الأفعال القبيحة وما لم يبال بها كمال صلى الله عليه وسلم « وجعلت قرعة عيني في الصلاة <sup>(١)</sup> » ومهما كانت العبادات وترك الحظوظ راسخ كرهة واستقلال فهو التضامن ولا ينال كمال السعادة به ، ثم للواظبة عليها بالمجاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى « إننا لأكبر لكم إلا على المحابين » وقال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير <sup>(٢)</sup> » ثم لا يكتفى في نيل السعادة للوعود على حسن الخلق استلزام الطاعة واستكرامه للصبر في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة السر وكما كان السر أطول كانت القضية أرسخاً وكل ذلك ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال : طولها للمعروف طاعة الله تعالى <sup>(٣)</sup> » ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة وكما كانت العبادات أكثر بطول السر كان الثواب أبزر ولقد انفست أذنكي وأظهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأخيرها في القلب وإنما كد تأخيرها بكرة للواظبة على العبادات وغاية هذه الأخلاق أن يقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل فلا يستعمل جميع ما له إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وهوته من اللذات فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بينان الشرع والعقل ثم يكون يمد ذلك فرحاً به مستقلاً له ولا ينبغي أن يستجسد صير الصلاة إلى حد يصير هي قرعة العين ومصدر العبادات قليلة فإن العادة تقتضي في النفس هجاباً غريب من ذلك فأنفذ نرى للولك وللتمتعين في أحران دأمة ونرى القامر للقلبي قد يخلب عليه من الفرح والذلة فصاره وما هو فيه ما يستقل معه فرح الناس ينبغي قار مع أن القمار بما سلبه ما لو خرب يتصور كمن فسلنا مع ذلك فهو رغبة ويثله وبذلك لطول إقامته له وصرف نفسه إليه مدقة وكذلك اللاعب بالحمام قد يفرق طول التبار في حر الشمس فأشأ رجله وهو يحس بألمها القرحة والطور وحر كاهها وطيرانها وتخليقها في جو السماء بل نرى القاهر المبار يختار بما يقام من الصبر والقطع والصبر على السباط على أن يقدم به الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك حتى يرى ذلك غمراً لنفسه وقطع الواحد منهم إزاراً باط أن يقر بما عايناه أو عايناه غيره فيصير على الانكسر ولا يبالي بالعقوبات فرحاً بما يستفد كالأوهجاجة ورجولية قد صارت أحواله من غافها من النكال قرعة عينه وسبب الفخار به لا حالة أخس وأقبح من حال الخنث في تشبه بالاناث في تنف الشعر ووشم الوجه وغالبه النساء قرى الخنث في فرح حاله واختار بكاه في نخته يتباهى به مع الخنثين حتى يجري بين الحجابيين والكناسيين التفاضل وللباهة كما يجري بين اللوك والماء فكل ذلك نتيجة العادة والواظبة على نطق واحد على الدوام مدة مدبرة ومعاينة ذلك في المحالطين والمعارف فإذا كانت النفس بالمادة تستل الباطل وتقبل إليه وإلى اللذات فكيف لا تستل الحق لو ردت إليه مدتها والزمته الواظبة عليه بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشقية خارج عن الطبع ينأى الليل إلى أكل الطين قد يخلب على بسن الناس ذلك بالمادة ،

(١) حديث وجعلت قرعة عيني في الصلاة ن من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ط (٣) حديث سئل عن السعادة فقال طول السر في عبادة الله روله القشاشي في مسند الشباب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف والترمذي من حديث أبي بكره وصحة أي الناس خير قال من طالع عمره وحسن عمله.

أنا الطاهر بن محمد  
القصبي قال أنا أبو  
الحسن قال أنا أبو عمرو  
ابن حكيم قال أنا  
أبو أمية قال حدثنا  
عبيد بن إسحق الطار  
قال ثنا سنان بن  
هرون عن حيد عن  
أنس قال « جادرجل  
إلى رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال :  
يا رسول الله احملني  
على حمل أقامك  
على ابن الناقه قال أقول  
لك احملني على حمل  
وهول أقامك على  
ابن الناقه قال عليه  
السلام فأحمل ابن  
الناقه « وروى حبيب  
قال « وأعين رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وبين يديه ثم يأكل  
قال أصب من هذا  
الطعام فحملت آكل

فأما فيه إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفة عبادته فهو كالليل إلى الطعام والشراب فانه متقضى طبع القلب فانه أمر رباني وفيه إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه وإن ساعداه القلب الحكمة والفرقة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حل به كانه يحل للرض بالمدّة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سيان لحياتهما فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض يقدر فيه إلا إذا كان أحبّ ذلك الشيء له لكونه نعمته على حب الله تعالى وعلى دينه فمقد ذلك لا بدّ ذلك على الرض فاذن قد عرفت بهذا قطبان ههنا الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياسة وهي تكلف الأنفال الصادرة عنها ابتداء تصير طبعاً انتهام وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض أثرها على الجوارح حتى لا تترك إلا على وقتها لا محالة وكل فعل يجري على الجوارح فانه قد رجع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور وبسرف ذلك مثال وهو أن من أراد أن يصير الخلق في الكتابة له صفة حسنة حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعلّم بمحارة اليد ما يتعلّمه الكاتب الخالق ويوظف عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فينصبه بالكاتب بمكلفاً ثم لا يزال يوظف عليه حتى يصير صفته واضحة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الأول بشكلاً فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً ولكن الأول بشكلاً إلا أنه ارضع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة صار يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير قبيح النفس فلا طريق له إلا أن يتعلّم أفعال القبيح وهو التكرار للفتنة حتى تستطع من على قلبه صفة القبيح فيفسد نفسه والنفس وكذلك من أراد أن يصير سعيداً عفيف النفس حلماً متواضعاً فيعلمه أن يتعلّم أفعال هؤلاء تكملة حتى يصير ذلك طبعاً به فلا علاج له إلا ذلك وكما أن طالب قبح النفس لا يأس من نيل هذه الرتبة بتعميل ليله ولا يتألم بتكرار ليله فكذا طالب تزكية النفس وتكليفها وتخليتها بالأعمال الحسنة لا يتألم بعبادة يوم ولا يهرم منها بصيان يوم وهو معنى قولنا إن الكبير ذلوا واحدة لا توجب الشقاء للذبول لكن العلة في يوم واحد تدعو إلى مثلهما ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأتس النفس بالكسل وتهجر التحصيل يرأساً فيفوتها فضيلة الفتنة وكذلك صائر للعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الحاجة وكما أن تكرار ليله لا يبعث تأثيره في قبحه النفس بل يظهر قبحه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج مثل نحو البدن وارتضاع القامة فكذا الطاعة الواحدة لا يبعث تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا يبين أن يستأنس بتعليم الطاعة فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فشكل واحد منها تأثير فاسم طاعة والإلهام إلهاماً حتى فله تواب لا محالة فان التواب بآزاء الأثر وكذلك للصبيّة وكمن قبحه يستبين بتعميل يوم وليلة وهكذا التواهي إلى يوسف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفتنة فكذا من يستبين صائر للعاصي ويوسف نفسه بالثوبة على التواهي إلى أن يحفظه اللوت بنته أو تراك ظلمة القلوب على قلبه وتعلم عليه الثوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من محالها وهو للشيء بالنسبة باب الثوبة وهو الراد بقوة تعالى - وجلسنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً - الآية ولذلك قال في رضى الله عنه : إن الإيمان لا يندفع في القلب نكتة يشاء كالأزداد إلا أن ازداد ذلك البياض فإذا استكمل البعد الإيمان ايضاً القلب كله وإن التناقى ليعود في القلب نكتة سوداء كما ازداد التناقى ازداد ذلك السوداء فإذا استكمل التناقى لسود القلب كله فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والقطرة وتارة تكون باختيار الأنفال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الصالحات الجميلة

من التمر قال أنا كل وأنت رمد قلت إذن أمضغ من الجانب الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم « وروى أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم : يا ذا الأذنين « - وسئلت عائشة رضى الله عنها « كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا في البيت قالت كان ألين الناس راساً ضحاً كما ووروت أيضاً « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألها فسبقتها ثم سألها بعد ذلك فسبقتها قال هذه بتلك « وأخبرنا الشيخ العالم المشاهير عبد الوهاب بن عبد الله قال أنا أبو التتج الحموي قال أنا أبو نصر

ومصاحبتهم وهم قراء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير فيما في  
تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فنية طبعا واعتيادا وقاما فهو في غاية الفنية ومن  
كان رذلا بالطبع وافق له قراء السوء فتعلم منهم وتيسر له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية  
البدن من الله عز وجل وبين الرئيتين من انحطت فيه من هذه الجهات ولكل درجة في القرب  
والبعد حسب ما تقتضيه صفته وحالته - فمن يصل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يصل مثقال ذرة  
شر يره ... وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - .

( بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق )

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس وليل عن الاعتدال سقم ومرض فيها  
كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له ولليل عن الاعتدال مرض فيه فلتخذ البدن مثالا . فقول  
مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجواب الفضائل والأخلاق الحسنة إليها مثال  
البدن في علاجها بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن القلب يعلل أصل الزواج الاعتدال  
وإنما تقرر للعدة للضرورة بوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كل مولود يولد متدلا  
صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالأعتياد والتعليم تكسب الرذائل  
وكأن البدن في الاعتدال لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس  
تخلق ناضجة قابلة للحال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالمع وكأن البدن إن كان  
صحيحا فشان الطبيب تعهد القانون المحافظ للصحة وإن كان مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك  
النفس منك إن كانت ذكية طاهرة مهذبة فينبئ أن تسمى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب  
زيادة صفاتها وإن كانت عديمة الحال والصفاء فينبئ أن تسمى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة للضرورة  
لاعتدال البدن للوجبة لمرض لا علاج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة  
فبالحرارة فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض  
البخل بالتسخي ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن اللشهي تكلفا وكما أنه لا بد من  
الاحتياط لمراعاة الهواء وهذه الصبر عن اللشهي علاج الأبدان للرخصة فكذلك لا بد من احتياط لمراعاة  
المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب  
والمباياد بالله تعالى مرض يدمم وبدل الموت أبد الآباد وكما أن كل مبرد لا يصلح لمة سببا للحرارة إلا إذا  
كان على حد مخصوص وبخلاف ذلك بالشدة والضعف والهدوم وعدمه بالكثرة والقلّة ولا بد من  
مقياس يعرف به مقدار النافع منه فانه إن لم يحفظ مقياسه زاد القصد فكذلك التقاض في علاجها  
الأخلاق لا بد لمقياس مقياس وكما أن مقياس الهواء مأخوذ من قياس الله حتى إن الطبيب لا علاج ما لم يعرف  
أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أي ضيعة أم قوية فإذا عرف  
ذلك انفتحت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وصفته وسائر أحواله ثم علاج بحسبها فكذلك  
الشيخ للتعرف الذي يطلب فهو للريدين ويطلب قلوب المسترهدين فينبئ أن لا يجزم عليهم بالرياضة  
والتكاليف في فن خصوص وفي طريق خصوص مالم يعرف أخلاقهم وأمرانهم وكما أن الطبيب  
لوعالج جميع الرض يبالغ واحد قل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أمار على الريدين بنحو واحد من  
الرياضة أهلهم وأما قلوبهم بل ينبئ أن ينظر في مرض الريد وفي حاله وصفته ومزاجه وما تحتمله  
ينتهي من الرياضة ويصفي على ذلك رياسته فان كان الريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه أولا  
الطهارة والصلاة وظواهر العبادات وإن كان مشغولا بمال حرام أو مقارفا لصحة فيأمره أولا بتركها

الترياق قال آنا

أبو محمد الجراسي

قال آنا أبو العباس

المجسوبي قال آنا

أبو عيسى الحافظ

الترمذي قال آنا

عبد الله بن الوضاح

الكوفي قال آنا

عبد الله بن إدريس

عن هبة عن أبي

التيح عن أنس رضي

الله عنه قال و إن كان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليضاطبنا

حتى إنه كان يقول

لأخ لي صفيا يا أبا عمير

ما فعل الشير والتغير

عصفور صغير . وروى

أن عمر سابق زهرا

رضي الله عنهما فسبته

الزبير قال : سبته

ورب الكعبة ثم سبته

مرة أخرى فسبته عمر

قال عمر : سبته

فإذا تزين ظاهره بالبداعات وطهر عن النعاس الظاهرة جوارحه فقرأت الأحوال إلى باطنه لينظف  
 لأخلاقه وأمرض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخير وأفرغ  
 قلبه من حق لا يفتت إليه وإن رأى الرعوة والكبر وعزة النفس فآلبه عليه فيأمره أن يخرج إلى  
 الأسواق للسكدة والسؤال فإن عزة النفس والرياسة لا تتكسر إلا بالذل ولاذل أعظم من ذلك السؤال  
 فيكفنه للواطية على ذلك مدة حتى يتكسر كبره وعزته فإن الكبر من الأمراض للهلكة وكذلك  
 الرعوة وإن رأى القالب عليه النظافة في الدين والقيام ورأى قلبه مالا إلى ذلك فرح به ملتفتا إليه  
 استخدمه في تصدي بيت الله وتنظيفه وكس للواضع القلعة وملازمة الطبع ومواضع السخان حتى  
 تتشوش عليه رعوته في النظافة فإن الذين ينظفون ثيابهم وزيوتها ويطلبون الرضات النظيفة  
 والسجادات اللينة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار فلا فرق بين أن يبيد الإنسان  
 نفسه أو يجد ضالها عبيد الله تعالى قد حبب عن الله ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا  
 ومطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطائف الرياضة إذا كان الريد لا يسو بترك  
 الرعوة رأسا أو تركه صفة أخرى ولم يسمح بضعها دفعة فينبغي أن يتركه من الخلق للذم إلى خلق  
 مملوم آخر أخف منه كالأذى ينسل اللحم بالبول ثم يسل البول للماء إذا كان الماء لا يزال اللحم  
 كما يرغب البهي في الكذب باللب بالكرة والسولجان وما أشبه ثم ينقل من اللب إلى الرينة وفاخر  
 الثياب ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرياضة وطلب الجاه ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة  
 فكذلك من لم يسمح نفسه بترك الجاه دفعة فليقل إلى جاء أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك  
 إذا رأى شره الطعام فآلبه عليه أزمه الصوم وتخليل الطعام ثم كفه أنه يهيء الأطعمة الذليلة ويقدمها  
 إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر ويتكسر شرهه وكذلك إذا رأى  
 هابا متشوقا إلى التكاثر وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصوم وربما لا تمكن شهوته بذلك فيأمره  
 أن يغطي رجليه على الماء دون الحيز ويلي على الحيز دون الماء ويمتنع الصوم والأدمر أساحق تلذذ نفسه ويتكسر  
 شهوته فلا علاج في هذا إلا الإرادة أضع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه أزمه الحلم والكسوت  
 وسلط عليه من صجبه عن فيه سوء خلق وازمه خدمة من ساء خلقه حتى يرد نفسه على الاحتياط معه  
 كالحقن عن بينهم أنه كان يود نفسه الحلم ويترك عن نفسه هذه التضييق فكان يستأجر من يشتمه على ملأ  
 من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم فيظه حتى صار الحارمة له بحيث كان يضرب به للتلويص بهم كان  
 يستمر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل نفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء  
 عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يبالغون الكسل عن العبادة في القيام طول الليل على نسيبة واحدة  
 وبسن الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فأزمه نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح  
 بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بينهم حب للبال بأن يباع جميع ماله وروى به في البحر إذ خاف من فقرته  
 على الناس دعوة الجود والرياء بالذل فهذه الأئمة تعرف طرق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر  
 دواء كل مرض فإن ذلك سيأخذ في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه  
 سلوك المسلك المضادة لكل متهاوء النفس وتخليل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كلمة واحدة  
 فقال تعالى - وأما من حاسم مقام ربه وسمى النفس عن لقوى فإن الجنة هي للأوى - والأصل اللهم في  
 المجاهدة القواء بالزعم فادعهم على ترك شهوة قد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختبارا  
 فينبغي أن يسبر ويستمر فاته إن عود نفسه ترك الزم أتمت ذلك قد صدقت وإذا أحقق منه قض عزم

ورب الكعبة وروى  
 عبد الله بن عباس  
 قال قال لي عمر قال  
 أنفك في الماء أينما  
 أطول نسا ونحن  
 عمرمون . وروى  
 بكر بن عبد الله قال  
 كان أصحاب رسول  
 الله صلى الله عليه  
 وسلم يتناحون حتى  
 يتبادحون بالبطيخ  
 فإذا كانت الخفاف  
 كانوا هم الرجال يقال  
 ببح يمدح إذا روى  
 أي يرامون بالبطيخ  
 وأخبرنا أبو زرعة  
 عن أبيه قال أنا الحسن  
 ابن أحمد الكرخي  
 قال ثنا أبو طالب  
 محمد بن محمد بن  
 إبراهيم قال ثنا  
 أبو بكر محمد بن محمد  
 ابن عبد الله قال حدثني  
 إسحاق الحربي قال ثنا

فبئس أن يلزم منه عقوبة عليه كما ذكرناه في معانيه النفس في كتاب الحاسبة والراقبة وإذا لم يخوف النفس بقوة خلقته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكيفية .

( بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة )

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لصل خاص به وإنما مرضه أن يتعدى عليه فله الذي خلق له حتى لا يفسد منه أصلاً أو يصدر منه نوع من الانطراب يفرض البدن يتعدى عليه البطش ومرض العين أن يتعدى عليها الإفسار وكذلك مرض القلب أن يتعدى عليه فله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والفرقة وحسب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإشراؤه ذلك على كل شهوة سواء والاستماعة بجميع الشهوات والأعضاء عليه قال الله تعالى - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - ففي كل عضو ثلاثة وظائف القلب الحكمة والفرقة وخاصة النفس التي لا تدنى ما يتميز بها عن البهائم فإنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقوع والإفسار وغيرها بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه وأصل الأشياء وموجدتها ومخرعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء فلا عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً وعلامة للفرقة المحبة لمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال الله تعالى - قل إن كان آباءكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم - إلى قوله - أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فمحبوا حتى يأمر الله بأمره - فمن عنده شيء أحب إليه من الله قلبه مريض كما أن كل ممدت صار الطين أحب إليها من الغبر ولله أو سقطت شهواتها عن الغبر ولله فهي مريضة فله علامات المرض وهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا معاد الله إلا أن من الأمراض ما لا يمرض صاحبها ومرض القلب مما لا يمرض صاحبه فذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه عاقبة الشهوات وهو نزع الروح فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيباً لحذقه يالجها فإن الأطباء هم المعاد وقد استولى عليهم المرض فالطبيب للريض قفا يفتت إلى علاجه فلهذا صار المعاد عضالاً وللرض من زمان وأدرس هذا العلم وأنكره بالكيفية طب القلوب وأنكر مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها طاعت ومراآت فهذه علامات أصول الأمراض وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في النية التي يالجها فإن كان يالجها بالمخل فهو للهالك للبدن عن الله عز وجل وإنما علاجه يدلل للال وإخافه ولكنه قد يدلل للال إلى حد يضير به مبدياً فيكون التبذير أيضاً عام فكان كمن يالج البرودة بالحرارة حتى قلب الحرارة فهو أيضاً عام بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والاعتدال حتى يكون على الوسط وفي غاية البدن عن الطرفين فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى القلب الذي يوجب الخلق المندور فإن كان أسهل عليك وأدق من الذي يضاده قال تعالى عليك ذلك الخلق للوجب له مثل أن يكون إسكاه للال وجهه أده عندك وأيسر عليك من بذه لمستخه فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في اللواظبة على البخل فإن صار البخل على غير المستحق أده عندك وأضرب عليك من الامساك بالخلق قد غلب عليك التبذير فارجع إلى اللواظبة على الامساك فلا يزال رقيب نفسك وتستند على خلقك بغير الأفضال ومسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الاضغاث إلى الال فلا تميل إلى بذه ولا إلى إسكاه بل يصير عندك كلاء فلا تطلب فيه إلا إسكاه لحاجة محتاج أو بذه لحاجة محتاج ولا ترجع عندك البخل على الامساك فكل قلب صار كذلك قد أنى السلبا عن هذا القيام خاصة ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق

أبو سلمة قال ثنا حماد  
ابن خالد قال أنا محمد بن  
عمر بن علقمة قال ثنا  
أبو الحسن بن محمد بن  
الشيخ عن يحيى بن  
عبد الرحمن بن حاطب  
ابن أبي بشرة قال إن  
عائشة رضى الله عنها  
قالت وأتيت النبي صلى  
الله عليه وسلم بحمرة  
طبختها له وقلت لسودة  
والتي صلى الله عليه  
وسلم يلقى ويضربها كفى  
فأبت قتل لها كفى  
فأبت قتل لها كفى  
أو لألطفن بها وحبك  
فأبت فوضعت يدي  
في الحريرة فطبخت بها  
وجهها فضحك النبي  
صلى الله عليه وسلم  
فوضع غسله وقال  
لسودة الطبخي وجهها  
فطبخت بها وجهي  
فضحك النبي صلى الله

بالدنيا حتى ترحل النفس عن الدنيا متقطعة الملاقى منها غير ملتزمة إليها ولا مقشوقة إلى أسبابها  
فند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس الطليقة راضية مرضية داخلية في زمرة عباد الله للقرينين  
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ولما كان الوسط الحقيقي بين  
الطريقين في غاية التموض بل هو أدق من الشعر وأحد من السيف فلا جرم ومن استوى على هذا  
الصراف للستيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراف في الآخرة ولما ينك البعد عن ميل عن  
الصراف للستيم أعنى الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال  
إليه ولما ينك لا ينك عن عذاب ما واجباز على النار وإن كان مثل البرق قال الله تعالى - وإن  
منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم تنجي الذين اتقوا - أي الذين كان قربهم إلى  
الصراف للستيم أكثر من بدم عنه ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله  
تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله - اهدنا الصراط المستقيم - إذ وجب قراءة فاتحة كل  
ركعة قد روى أن بعضهم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام قال قد قلت يا رسول الله  
شيئى هود فلم قلت ذلك ؟ فقال عليه السلام قوله تعالى - فاستقم كما أمرت - فالاستقامة على  
سواء السيل في غاية التموض ولكن ينبغي أن يبتعد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم  
يقدر على حقيقتها فكل من أراد النجاة فلا حاجة له إلا بالمثل الصالح ولا تصدر الأعمال السالحة  
إلا بمن الأخلاق الحسنة فليست كل عيب صفاته وأخلاقه وليست كل عيب واحد واحد فيها  
على الترتيب . فليست الله الكريم أن يخلصنا من للتقرب .

( بيان الطريق الذي يعرف به الانسان عيوب نفسه )

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبده خيرا يستره بعبوب نفسه فمن كانت بصيرته نالقة لم تحف عليه  
عبوبه فإذا عرف العيوب أمسكتة الملاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعبوب أنفسهم يرى أدم  
القلبي في عين أخيه ولا يرى الخلق في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربع طرق:  
الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعبوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويهكم في نفسه ويبيع  
إشارته في مجاهدته وهذا شأن الريد مع شيخه والتقليد مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوبه  
وعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده . الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا  
متدينا فينصبه رقيقا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فمما كره من أخلاقه وأفعاله وبهالباطنة  
والظاهرة ينبه عليه فيمكنه أن يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين . كان عمر رضي الله عنه  
يقول : رحم الله امرأ أهدي إلى عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي  
يلبك مني مما تكرهه فاستنق فأنق عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدمان على مائدة وأن لك  
حلتين حلة بالهار وحلة بالليل قال وهل يملك غير هذا ؟ قال لا قال أما هذان فقد كتبتكما وكان  
يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في للتائقين فهل ترى على  
شيئا من آثار التناقى فهو على جلال قدره وعلو منصبه هكذا كانت تحتته لنفسه رضي الله عنه  
فكل من كان أوفر حقا وأعلى منصبا كان أقل إجماعا وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد  
عز قتل في الأصلاء من يترك المداينة فيخير باليب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب  
فلا تخلو في أصدكك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس يجب عينا أو عن مداخله حتى  
عك بس عيوبك ولهذا كان دلود الطائي قد اعترل الناس قبيلا لم لا تخطئ الناس ؟ فقال  
وماذا أصنع بأنوام يخفون عن عيوبي فكانت شهوة ذوى الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بقتية فيهم

عليه وسلم فسرهم  
رضي الله عنه على  
الباب فنادى يا عبد الله  
يا عبد الله فظن النبي  
صلى الله عليه وسلم أنه  
سيدخل فقال قوما  
فاغسلوا وجهكم فقامت  
عائشة رضي الله عنها  
فما زلت أمابهم  
لهية رسول الله صلى  
الله عليه وسلم لآله  
ووصف بعضهم ابن  
طائوس فقال كان مع  
السبي صبياء ومع  
الكمل كهلا وكان  
فيه مزاحاة إذا خلا .  
وروى معاوية بن  
عبد الكريم قال كنا  
تذاكر الشعر عند  
عبد بن سيرين وكان  
يقول ونمزع عنه  
وعلمنا حنا وكنا نخرج  
من عنده ونحن  
نضحك وكنا إذا دخلنا

وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أجنس الحاقق إلينا من ينصحنا ويمررنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصعا عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لئاعة قلوبنا منه على أن تحت ثوبنا عقربا لئاعة منه منة فرحنا به ولشغلنا بازالة القرب وإبادهها وتلقا وإما نكابتها على البدن ويدوم ألها يوما فما دونه ونكابة الأخلاق الرديئة على صمم القلب أخفى أن تدوم بيد الوت أبدأ أو آلا من السنين ثم إنا لا تفرح بمن ينبت عليها ولا لتشتغل بازالتها بل لتشتغل بمقاومة الناصح بمثل مقافته فتقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشتغلنا المداوة منه عن الاتضاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أعمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلمننا رعدنا ويصيرنا بيوتنا ويشغتنا بمداوتها ويوقتنا للقيام بشكر من يلمننا على مساوينا عنه ونفسه . الطريق الثالث : أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساواة ولعل اتضاع الانسان بدينه مفاحن يذكره عيوبه أكثر من اتضاعه بصديق مدلهن يثني عليه ويمدحه ويغني عنه عيوبه إلا أن الطبع يجول على تكذيب المدح وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الاتضاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا يد وأن تتكرر على ألسنتهم . الطريق الرابع : أن يخاطب الناس فكل مارة ملموما فيها بين الحاقق فليطالب نفسه به وينبها إليه فإن للؤمن مرآة للؤمن فبهي من عيوب غيره عيوب نفسه يعلم أن الطباع متشابهة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا يفتك القرن الآخر عن أصله من أدبك ؟ قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شيئا فاجتنبته وهذا كله حيل من قد شيئا فارفا ذكيا يصيرا بسبب النفس مشتقا ناصحا في الدين فارفا من تهذيب نفسه مشتقا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجي من الجلالة الذي هو بسنده .

( بيان هواعد النقل من أبواب البصائر وهواعد الشرع على أن الطريق في معالجة

أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات )

اعلم أن ما ذكرناه إن أمالته بين الاختيار اختصت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور السلم واليقين فإن هبزت عن ذلك فلا ينبغي أن يغوتك التصديق والإيمان على ميل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فإن للإيمان درجة كأن العلم درجة والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراثة قال الله تعالى - رفع الله الدين آمنوا منكم والذين أوتوا السلم درجات - فمن صدق بأن عقاقلة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا وإذا اطاع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضى الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقوال العلماء أكثر من أن يحصره قال الله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي للآوى - وقال تعالى - أولئك الذين امتحن الله قلوبهم فتقرؤ - قيل تزعم مناهجة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم « للؤمن بين خمس عداled : مؤمن بحسده ومناقق يخشعه وكافر يخافه ويطغان فضله ونفس تنازعه <sup>(١)</sup> » فيبين أن النفس عدو مناظره يجب عليه مجاهدتها .

(١) حديث للؤمن بين خمس عداled : مؤمن بحسده ومناقق يخشعه الحديث أبو بكر بن لال في مكالم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف .

على الحسن تخرج من  
عنده ونحن نكاد  
نبتكي لهله الأخبار  
والآثار دالة على حسن  
لبن الجانب وصحة  
الصوفية وحسن  
أخلاقهم فيما يشهدونه  
من للدعاة في الربط  
ويتزول مع الناس  
على حسب طباعهم  
لنظرم إلى سمر حجة الله  
قائدا خادما وقواما ووقف  
الرجال واكتسوا  
ملابس الأعمال  
والأحوال ولا يقف في  
هذا للنس على حد  
الاحتدال إلا صوفي  
ظاهر للنفس عالم  
بأخلاقها وطباعها  
سائل لها بوفور العلم  
حتى يقف في ذلك على  
صراط الاعتدال بين  
الإفراط والتفريط

وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام داود حذروا بشر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب  
 لتتعلق بشهوات الدنيا غفلوا عن محبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة  
 لم يعود فائز لم يره وقال شيخنا رحمه الله قورم قدموا من الجهاد وحربا بكم قدتم من الجهاد الأسمر إلى  
 الجهاد الأكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس (١) وقال صلى الله عليه وسلم  
 «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «كف أذاك عن نفسك  
 ولا تتابع هواها في مصيبة الله تعالى إذن تخاصمك يوم القيامة فليس بنك بسا إلا أن يضركم تعالى  
 وستر» (٣) وقال سياف الثوري ما جلت فينا أعدى من نفسي مرة في مرة على وكان أبو العباس  
 الموصلي يقول نفسه يا حسي لا في الدنيا مع أبناء اللوك تتعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين  
 كأي بك بين الجنة والنار تحبين يا حسي لا تتعبدين وقال الحسن ماله به الجوع بأخرج إلى الجحيم  
 الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسباب الرياسة والرياسة على أربعة أوجه  
 القوة من الطعام والنمى من اللثم والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتوأسن قوة  
 الطعام موت الشهوات ومن قلة اللثم صفو الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتال  
 الأذى بالوغل إلى الغايات وليس على اليد شيء ما هدمت الحلم عند الجفاء والعبر على الأذى وإذا تحركت  
 من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلوة فضول الكلام جردت على بأس وقلة الطعام  
 من غمد التجدد وقلة اللثم وضربها بأيدي الجحول وقلة الكلام حق تنقطع عن الظل والانتقام تأمن  
 من بوائقها من بين سائر الأنام وقصبتها من قلة شهواتها فتجبر من عوائل آفاتنا تضر عند ذلك  
 نظيفة وتورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الحيرات وتسير في مسالك الطاعات كالقوس القاره  
 في الديدان وكالكلمة التنزه في البستان وقال أيضا أعداء اللسان ثلاثة دنياه ويطعناه ونهقه فاحترس  
 من الدنيا بأربع دنيا ومن الشيطان بمائة دنيا ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من  
 استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه في يدها  
 نجره حيث شاخت فتعنت قلبه من القوائد وقال جعفر بن حميد أجمت العلماء والحكماء على أن التيمم  
 لا يترك إلا بترك التيمم قال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات قد غرس في قلبه شجر  
 الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الحيز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتبأ  
 قلله . وروى أن امرأة المرز قالت ليوسف عليه السلام بئد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على  
 راية الطريق في يوم موكب وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكتهم سبعا من جمل  
 للوك عبيد بالعصية وجل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن الحرم والشهوة صبرا للوك مبيدا وذلك جزاء  
 الصديقين وإن العبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا قال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه - إن من يتق ويصبر  
 فإن الله لا يضيع أجر المحسنين - وقال الجنيد أرققت ليلت قمتم إلى وردى فلم أجد الخلاوة التي كنت أجدتها  
 فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فإذا رجل متشفع عبادة مطروح على الطريق  
 فلما أسس بي قال يا أبا القاسم إلى الساعة قتلت يا سيدي من غير موعد قتال على سألت الله عز وجل  
 أن يترك لي قلبك قتلتك فقل فما حاجتك قال فتي يصير داء النفس دواما قتلت إذا خانت النفس

(١) حديث مرحبا بكم فتمتم من الجهاد الأسمر إلى الجهاد الأكبر البقي في الزهد وقد تقدم في  
 شرح معجم القلب (٢) حديث المجاهد من جاهد نفسه في آثام حديث وصحه وه من  
 حديث لقمان بن عبيد (٣) حديث كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في مصيبة الله الحديث  
 لم أجده بهذا السياق .

ولا يصلح الاكثار  
 من ذلك للريدين  
 للتدين لثة عليهم  
 ومترسهم بالنفس  
 وتمنيهم حد الاعتدال  
 قلنفس في هذه  
 اللواتن نهضت ووثبات  
 تجر إلى القساد وتنجس  
 إلى السناد فالنزول إلى  
 طابع الناس حسن بمن  
 سعد عنهم وتقل لعلو  
 حاله ومقامه فيزله إليهم  
 وإلى طابعهم حين  
 ينزل بالهم فأما من لم  
 يصمد بصفاء حاله عنهم  
 وفيه بقية مزج من  
 طابعهم وهو سوسم  
 الجاهة الأمارة بالسوء  
 إذا دخلت في هذه  
 للدخال أخذت النفس  
 حظها واقتسمت ما كرها  
 واستوحش إلى الرخصة  
 والنزول إلى الرخصة  
 يحسن لمن يركب



هو اها فأقبل على نفسه فقال احمي قد اجبتك هذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنبه ها قد سمعته مني انصرف وما عرفته . وقال زيد الرثي إليكم على الله البار في الدنيا لعل لا حرمه في الآخرة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع أنكم قال إذا اشتيت الصمت قال معي أصمت قال إذا اشتيت السلام . وقال علي رضي الله عنه من اعتاقني إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا . وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشبهه قال لنفسه اصبري فوالله ما أمنتك إلا من كرامتك علي ، فاذن قد اخفى الماء والحسك على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فلا إيمان بهذا واجب . وأما علم تصيل ما ترك من الشهوات وما لا ترك لا يدرك إلا بما يستمنه . وحاصل الرياضة وسرها أن لا تمتنع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرًا من الأكل والشكح واللباس والسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه فلماذا مات عن الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتنهي الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة مجالد لا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولا بحمرة الله وجهه والتفكير فيه ولا قطع إليه ولا قوة على ذلك إلا بالله . ويقتصر من الدنيا على ما يدفع حوائج الله ذكر والفكر قط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة : رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات العيشة فهو من الصديقين ولا يتنهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياسة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة . الثاني رجل استغرق الدنيا قلبه ولم يتق الله تعالى ذكره في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره بالسان لا بالقلب فهذا من الخالكين . والثالث رجل اعتزل بالدنيا والدين ولكن القلب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أنه يتجنبها سررا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه . والرابع رجل اعتزل بها جميعا لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لاحالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم قوامه وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه ، اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فانك أنت للعاد وربما يقول القائل إن التمس بالمباح مباح فكيف يكون التمس بنيب البعد من الله عز وجل وهذا خيال ضيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة واللباح الخارج عن قدر الحاجة أيضا من الدنيا وهو سبب البعد وسيأتي ذلك في كتابكم الدنيا . وقد قال إبراهيم الخواص كنت مرة في جبل السكام فرأيت رمانا فاشتريته فأخذت منه واحدة فشقتها فوجدتها حامضة فضيت وتركها فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا إبراهيم فقلت كيف عرفني فقال من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل فلو سأله أن يحبك من هذه الزناير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سأله أن يحبك من شهوة الزمان فان لم يخف الزمان جندا لانسان إليه في الآخرة ولم يخف الزناير جمداله في الدنيا فتركته ومضيت . وقال البرقي أنا منذ أربعين سنة تعالني نفسي أن أغشى خيرة في دمي لما أطمعها فاذن لا يمكن إصلاح القلب لسوء طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه من التمس بالمباح فان النفس إذا لم تمنع يضل للباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الفرية والفضول فحقه أن يلزمه السكوت إلا عن ذكر الله والا عن اللغات في الدين حتى تموت منه شهوة السكام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوه عبادة وكلامه عبادة وبهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء مجبول لم تحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بينه الذي يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منها الحرام فان لم يعودها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته ، فهذه إحدى آفات اللباحات

الزوجة غالب أولاته  
وليس ذلك شأن  
البتة فلهووية  
الغناء فيها ذكراته  
تروج بطون حاجة  
القلب إلى ذلك والعشوة  
إلا موضع للحاجة يقتدر  
بقدر الحاجة وميعار  
مقدار الحاجة في ذلك  
علم فامض لا يسلم لكل  
أحد قال سعيد بن  
الناصر لا يه اقتصد في  
مزاكح فالأغراض فيه  
ينهب باليهام ويهرى  
عليك السفاه وتركه  
ينبسط للزواني  
ويوحى للشاغلين قال  
بضمهم للزواج مسلبة  
للجهاد مقطعة للاخاء  
وكما يصعب معرفة  
الاعتدال في ذلك يصعب  
معرفة الاعتدال في  
الصحك والضحك من  
خصائص الانسان

ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه وهو أن النفس تخرج بالنتم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشرا وبطرا حتى تصير نمة كالسكران الذي لا يثق من سكره وذلك القرح بالبدنية سم قاتل يسرى في العروق فيخرج من القلب الحروف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب قال الله تعالى - وروى بالحياة الدنيا ولطمأنا بها - وقال تعالى - وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع - وقال تعالى - اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتناثر ينسك وتكاثر في الأموال والأولاد - الآية وكل ذلك ذم لها ففسأل الله السلامة فأولو الحزن من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال القرح بمؤاناة الدنيا فوجدوها قامية قرة بعيدة التأثير عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية ناعمة لأثر كد قلوبها أن النجاة في الحزن للهائم والتباعد من أسباب القرح والبطر قطعوها من ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومثابها عتاب وهو نوع عذاب فمن توفى الحساب في عرصات القيامة قد عذب غلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية ولذلك الهائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسس الشهوات ورتبها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته وفسلوا بهما بفعل باليزي إذ قصد تأديبه وتقهيم التوب والاستباحش إلى الاتياد والتأديب فانه يحس أولا في بيت مظلم وخفا عتاه حتى يحصل به النظام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان الله من طبع الاسترسال ثم يرفق به بالهم حتى يأتي صاحبه ويأتمه إنقا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكل ذلك النفس لاتأقربها ولا تأمن بذكره إلا إذا قطعت عن عادتها بالخرة والمزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن اللذات التي عودت أثناء والذكر والهداء ثانيا في الخلقة حتى يربط عليها الأنس بذكر الله عز وجل عودا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك ينقل على التردد في البداية ثم يتم به في النهاية كالصبي يطمع من الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يسير عنه ساعة فقلبك يشتد بكأوه وجزعه عند الطعام ويشتهد قوره عن الطعام الذي يطمع إليه بدلا عن الابن ولكنه إذا منع الابن رأسا يوما فيوما وعظم قبه في الصبر عليه وغلبي الجوع تناول الطعام تكلفا ثم صيره طيبا فلو رد بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه بهجرا كما يوصف الابن وألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تفر عن السرج والجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتنع عن السرج الذي ألقته بالسلال والتبؤد أولا ثم تأمن به بحيث تترك في موضعها فتتفقيه من غير قيد فكل ذلك تؤدب النفس كما يؤدب الطير والهدوب وتأديبا بأن تمنع من النظر والأنس والقبح يسمع الدنيا بل بكل ما زالها بالوت إذ قيل له أحب ما أحببت فانك مفارقة فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشق لراحته فراقه مثل قلبه حبما لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أولا أيما قلال كان العمر قليل بالاضافة إلى مدة حياة الآخرة وما من قاتل إلا وهو راض باحتال للشقة في سفر وتعلم صناعة وغيرها شهرا ليتم به سنة أو دهرها وكل العمر بالاضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا فلا يمتن الصبر والمجاهدة ضد السباح بمحمل القوم السري وتذهب عنهم حمايات الكسرى كما قاله على رضى الله عنه . وطريق المجاهدة والروضة لكل إنسان يختلف بحسب اختلاف أهواله والأمس فيه أن يترك كل واحد ما به فرسه من أسباب الدنيا فإلى يفرح بالمال أو بالجاه أو بالنول أو العوظ أو باليمن في القضاء والولاية أو بكثرة الأتباع في التدريس والافادة فينبغي أن يترك أولا ما به فرسه فانه إن صنع من شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم يمتنع بل يمتنع فكره ذلك وتألم به فهو بمن هرج بالحياة الدنيا ولطمأنا بها وذلك مهلك في حقه ثم إذا ترك أسباب القرح

ويعبره عن جنس الحيوان ولا يصكون الضحك إلا عن سبابة تصيب والتعجب يستدعي التكر والتكر شرف اللسان وخاصيته ومعرفة الاعتدال فيه أيضا شأن من ترسخ قومه في العلم ولهذا قيل إنك وكثرة الضحك فانه يمت القلب وقيل وكثرة الضحك من العروعة . وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى يمشي الضحك من غير محب للشاء في خير أرب وذكر فرق بين اللدابة والزرع قليل اللدابة ما لا يضبط جسده والزراع ما يضبط جسده وقد جبل أبو حنيفة رحمه الله التهمة في الصلاة

فلنميز الناس ولنفرده بنفسه وليراه قلبه حتى لا يشغل إلا بذكر الله تعالى والشكر فيه وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة ووسواس حتى تقع مصادمه بما ظهر فإن لكل وسوسة سيئاً ولازولاً إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة ولبالغ ذلك بجة العمر فليس للعبد آخر إلا بالوفاة.

( میان علامات حسن الخلق )

اعلم أن كل إنسان جاهل بربوب نفسه فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ولو فاضح الناس رجا  
يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستخفى عن المجاهدة فلا يبين إضاح علامة حسن الخلق  
فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمؤمنات في كتابه  
وعى بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فتورد جملة من ذلك لئلا يتحسب الخلق قال الله تعالى  
« قد أطلع المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون إلى قوله وأولئك هم  
الوارثون » وقال عز وجل « التائبون العابدون الحامدون إلى قوله وبشر المؤمنين وقال عز وجل  
« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله وأولئك هم المؤمنون حقا قال تعالى « وعباد  
الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما إلى آخر السورة فمن أشكل  
عليه حاله فليعرض نفسه إلى هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وقد جُمِعَ  
علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليست كل صفات  
وحفظ ما يوجد وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمنين بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى حسان الأخلاق  
قال « المؤمن رب لأخيه ما يحب نفسه » (١) وقال عليه السلام « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم  
ضيفه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » (٣) وقال « من  
كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٤) وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق قال  
صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتيت  
المؤمن مصوتا وقورا فادن منه فإنه يقين الحكمة » (٦) وقال « من سر محبتك سواء سميت فهو  
مؤمن » (٧) وقال « لا حول المؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » (٨) وقال عليه السلام « لا حول  
أن يروع مسلما » (٩) وقال صلى الله عليه وسلم « إنما يتجالى للرجال أن أمانة الله عز وجل فلا حول  
لأحدعما أن يغشى أخيه ما يكرهه » (١٠) وهم بعضهم علامات حسن الخلق قال: هو أن يكون

(١) حديث للؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه الشخان من حديث أنس لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٧) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم صفيه متفق عليه من حديث أبي سريح الحزاس ومن حديث أبي هريرة (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديثهما وهو يعني الحديث الذي قبله (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت متفق عليه أيضا من حديثهما وهو يعني الذي قبله (٥) حديث كل المؤمن إسماعيل أصحهم خلقا قدم غير مرة (٦) حديث إذا رأيته لأؤمن صومعا وقورا قادنوا منه فانه يلقن الحكمة ه من حديث أبي خلاد يلقن إذا رأيته الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقلة غنى فقروا منه فانه يلقن الحكمة (٧) حديث من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن أحمد والطبراني وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى ورواه طبري وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة (٨) حديث لا يحمل مسلم أن يشير إلى أخيه بنظر يؤذي ابن المبارك في الزهد العراقي وقائي والبر والصلة مرسلا وقد تقدم (٩) حديث لا يحمل مسلم أن يروع مسلما طبري من حديث الثعالب بن بشر والبخاري من حديث ابن عمر وإسناده ضعيف (١٠) حديث إسماعيل يتجالس بالان بآباءه

من الذئب وحشكم  
يطلان الزوء بما  
وقال قوم الاسم مقام  
خروج الخارج  
لاحتداد في المزاغ  
والضحك لا يأتى إلا  
إذا خلص وخرج من  
مضيق الحوف والقبض  
والجيسة قائم يقوم  
بكل مضيق من هذه  
الحمايق بين التوريم  
فيجدل الحال فيه  
ويستقيم فاليسط  
والرجاء يشغل المزاج  
والضحك والحوف  
والقبض يحكان فيه  
بالعدل . ومن أخلاق  
الصوفية ترك التكلف  
وذلك أن التكلف  
صنع وعمل وتمايل  
على النفس لأجل الناس  
وذلك ما بين حال  
الصوفية وفي يستغنى  
منها مثلا فلما رعد

كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل التقصول  
برا وصولا وقورا صورا شكورا راضيا حلما رفيقا غنيا شقيلا لاهنا ولا سبابا ولا غاملا متنا بولا محبولا  
ولا حقودا ولا غيلا ولا حصودا بامثا هشاشا يحب في الله ويغنى في الله يرضى في الله ويغضب في الله  
فهذا هو حسن الخلق . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن وللتائيف فقال لا إن المؤمن  
ممنته في الصلاة والصيام والعبادة وللتائيف مهنه في الطعام والشراب كالبريمة (١) ، وقال حاتم الأصم  
للمؤمن مشغول بالشكر والمبر وللتائيف مشغول بالحرس والأمل وللمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله  
وللتائيف راج كل أحد إلا الله وللمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله وللتائيف خائف من كل أحد إلا من  
الله وللمؤمن يقدم ماله دون دينه وللتائيف يقدم دينه دون ماله والمؤمن محسن ويكفي وللتائيف يسر  
ويضحك وللمؤمن يحب الخوف والوحدة وللتائيف يحب الخلط والملا وللمؤمن زرع ونخيل القصاد والتائيف  
يطلع ويرجو الحساد وللمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح وللتائيف يأمر وينهى للرياسة فيفسد وأولى  
ما يتحس به حسن الخلق الصبر على الأذى وإستقبال الجفاء ومن هكسان سوء خلق غيره مد لك في سوء  
خلقك فان حسن الخلق إحتيال الأذى . فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما معي ومعه  
أنس فأدركه أعرابي فجذبه جذبا عديدا وكان عليه برد نجراي غليظ الحاشية قال أنس رضي الله عنه  
حق نظرت إلى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آثرت فيه حافية البرد من شدته جذبه فقال يا محمد  
هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك ثم أمر بإعطائه (٢) ولما كثرت  
قرصه إليه وضربه قال « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » (٣) قيل إن هذا يوم أحد ذلك أنزل  
الله تعالى فيه - وإنك لمع خلق عظيم - ويحكى أن إبراهيم بن آدم خرج يوما إلى بسن البراري  
فقتله رجل جندي فقال أنت عبد الله ثم قال هذا بن الممران فأشار إلى المقبرة فقال الجندي إنما أردت  
الممران فقال هو المقبرة فضاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط ففججه وردده إلى البلي فاستقبله أصحابه فقالوا  
ما الخبر فأخبرهم الجندي ما قاله فقالوا هذا إبراهيم بن آدم فزله الجندي عن فرسوقيل يدور عليه وجعل  
يتنكر إليه فقبل بعد ذلك له لم قلت له أنا عبد الله إن لم يسألني عيدين أنت بل أنا أنت عبد الله نعم لأنني  
عبد الله فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك فقال علمت أني أوجر على مالي منه  
فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه من الشر . ودعى أبو عثان الحيري إلى دعوة وكان له أحمى قد  
أراد تجرته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرج أو عثان فلما ذهب غير بعيد دعاه فأتاه فقال له  
يا أستاذ أرجع فرجع أبو عثان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالث فقال أرجع لي ما يرجع  
الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثان ثم جاءه الرابع فتردد حتى صامه  
بذلك مرات وأبو عثان لا يتبر من ذلك فأكب على رجليه وقال يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فلما  
أحسن خلقك فقال إن الذي أرى مني هو خلق السكبان إن السكبان إنفاذي أجاب وإذا جازي أن جري . وروى  
عنه أيضا أنه اجتاز روما في سكة فطرحت عليه إبانة مراد فزله من دابته فمسجد مسجد العسكر ثم جعل  
ينفض الرامد عن ثيابه ولم يقل شيئا فقبل ألا زبرتهم فقال إن من استحق النار فوض على الرامد لم يحزله

الحديث تقدم في آداب الصبغة (١) حديث سئل عن علامة للمؤمن وللتائيف فقال لا إن المؤمن همه  
في الصلاة والصيام الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث كان معي فأدركه أعرابي فجذبه جذبا عديدا  
وكان عليه برد نجراي غليظ الحاشية الحديث متفق عليه من حديث أنس (٣) حديث اللهم اغفر  
لقومي فإنهم لا يعلمون حب والبيق في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد وفي الصحيحين من  
حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه .

الرضا بمقام الجبار  
وقال النصف تركه  
التكلف وشال  
التكلف تخلف وهو  
تخلف عن فأو  
الصادقين . روى أنس  
ابن مالك قال شهدت  
وليمة لرسول الله ما فيها  
غير ولا لحم وروى عن  
جابر أنه أتاه لاس من  
أصحابه فأنهم غيظ  
وخل وقال كلوا فان  
صحت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
« لم أدام الخلق »  
وعن سليمان بن سلمة  
قال دخلت على سلمان  
القراسي فأخرجني إلى  
خبرنا وملما وقال كل  
لوا أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم نهانا  
أن يشكنا أحدنا  
لشككت لكم والتكلف  
مدوم في جميع

أن ينضب ، وروى أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لو نه عيل إلى السواد إذ كانت أمة سوداء وكان ينسأ بورحام علي بابخره وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه فقدم رجل رستاق إلى باب الحمام فقتله ودخل فترج ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدام الحمام فقال له قم واحمل لي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاق وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلصها فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له إنه خاف مما جرى فهرب قال لا ينبغي أن يهرب إنما الدينين وضع ماله عند أمة سوداء ، وروى أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه وكان له حرف عجوي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له حيثما حمل إليه دراهم زائلة فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فاتفق يوما أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته فأتى الجبوسي فلم يجد دفعه إلى تلميذه الأجرة واسترجع ماله فحمله فكان دوما زائفا فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فغادره عليه فقام أبو عبد الله أخبره بذلك فقال بشي ما حملت هذا الجبوسي يماضي بهذه العاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وأخذ الدرام منه وأقبل في البئر للآخر بهامسا . وقال يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عثر خصال : قال الخلاف وحسن الأصناف وترك طلب الثروات وتحسين ما يدور من السيئات والتماس للملعة واحتال الأذى والرجوع بالملاءمة على النفس والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف بالكلام لمن دونه ولين فوته . وسئل سهل عن حسن الخلق قال : أدناه احتال الأذى وترك للكفاة والرحمة لفظا لم والاستغفار له والشفقة عليه . وقيل للأخف بن قيس عن تلمذ الخاتم قال من قيس بن حاتم قيل وما بلغ من حله قال بينا هو جالس في داره إذ أتته جارية له بفرد عليه هوا فسقط من يدها فوقع علي ابن له صغير فبنت فذهبت الجارية فقال لها لا روع عليك أنت حرة فوجه الله تعالى . وقيل أن أوسا القرن كان إذا رآه الصبيان رموه بالحجارة فكان يقول لهم يا إخوتاه إن كانوا لابد فارموا بالصغار حتى لا تدنوا ساقى فتحنوني عن الصلاة ، وهم رجل الأخف بن قيس وهو لا يجبه وكان يبهض فلما قرب من الحى وقف وقال إن كان قد بقى فيك شيء قلته كي لا يسمعك بعض سفهاء الحى فيؤذوك . وروى أن عليا كرم الله وجهه دعا خلافا فلم يجبه فقام ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام إليه فراه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال بلى قال فما حملك على ترك إجابتي قال أنت عقوبتك فتكسلت فقال امنى فأنت حر لوجه الله تعالى ، وقالت امرأة لملك بن دينار رحمه الله يمرأى فقال ياهذه وجدتي اسمي الذي أسأله أهل البصرة ، وكان يحيى بن زياد الحارثي غلام سوء قتيله لم تحسك فقال لا تمل الخاتم عليه فبهض فوس قد قلت بالرياسة فاعتذلت لأخلاقها وتحت من التقى والثل والحقد يواطها فأعرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه ، فهو لاء ظهرت الملامات في ظواهرهم كاذكرنا . فمن لم يصادف من نفسه هذه الملامات فلا ينبغي أن يتقرب بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فاتها درجة رفيعة لا يتلها إلا القويون والصديقون .

( بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول بشورم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم )

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أم الأمور وأوكدها والصبي أمانة عند الله وقلبه الطاهر جوهره قيمة ساذجة خالية عن كل شئ وصورة وهو قابل لكل ما شئ وما مل إلى كل ما يعال به

الأهياء كالشكف  
بالبسوس لناس من  
غير نية فيه والشكف  
في الكلام وزيادة  
التقوى التي صار دأب  
أهل الزمان فما يكاد  
يسلم من ذلك إلا أحاد  
وأفراد وكم من متعلق  
لا يعرف أنه متعلق ولا  
يظن أنه قد يتعلق  
الشخص إلى حد  
يخرجه إلى صريح  
النفاق وهو مبين لحال  
الصوفي أخيرا الشيخ  
المسلم ضياء الدين  
عبد الوهاب بن علي قال  
أنا أبو القتيح الحارثي  
قال أنا أبو نصر الترياق  
قال أنا أبو محمد الجراحي  
قال أنا أبو العباس  
الجبوسي قال أنا  
أبو موسى الترمذي قال أنا  
أحمد بن منيع قال  
ثنا يزيد بن هرون عن

إليه نعوذ الخير وعلمه فنعأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤيد  
وإن عود الشر وأهل إهمال البهائم شقي وعملك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له وقد قال الله  
عز وجل - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأطيعوا أهلكم نارا - ومهما كان الأدب يصونه عن نار الدنيا  
فإن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذب ويصلح بحسن الأخلاق وحفظه من القراء  
السوء ولا يهوده التتم ولا يجيب إليه الأثرة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فهلك  
هلاك الأبد بل ينبغي أن رقيه من أول أمره فلا يستعمل في حضائته وإرضاعه إلا امرأة سالحة متدبنة  
تأكل الحلال فإن البين الحاصل من الحرمان لبركة فيه فاذا وقع عليه نقو الصبي انصبت طيبته من الخبث  
فيعمل عليه إلى ما يناسب الحياث ومهما رأى فيه عايل التميز فينبى أن يحسن مراقبته وأول ذلك  
ظهور أوائل الحياء فانه إذا كان محتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشتراق نور  
القل عليه حتى يرى بعض الأعياء قبيحا وعالمها ليس ضرارى حتى من شيء دون شيء وهذه هدية  
من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو يشتر بكل العقل عند ابولوغ  
فالصبي للشيئ لا ينبغي أن يحمل بل يستعان على تأديبه بحياه أو تميزه وأول ما يطلب عليه من الصفات  
شمر الطعام فينبى أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا يمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه  
وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحرق النظر إليه ولا يلمن من يأكل وأن  
لا يسرع في الأكل وأن يجيد الضغ وأن لا يوالى بين القوم ولا يطلع يده ولا يوبه وأن يعود الجز القفار  
في بعض الأوقات حتى لا يسير بحيث يرى الأدم حقا ويطرح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من  
يكثر الأكل بالبهائم وبأن يلم بين يديه الصبي الذى يكثر الأكل ويمنع عنه الصبي للتأديب القليل  
الأكل وأن يجيب إليه الاشارة بالطعام وقت اللبالة به والقناعة بالطعام الحقيقى طعام كان وأن يجيب  
إليه من الثياب البيض دون اللون والاريسم وشره عنه أن ذلك شأن النساء والمختلن وأن الرجال  
يستكفون منه ويكرر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوبا من ابريسم أو ملون فينبى أن يستكره  
ويصلح وحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التتم والرفاهية وليس الثياب الفاخرة وعن مخالطة  
كل من يسمه ما يرغب فيه فإن الصبي مهما أعمل في ابتداء نقوه خرج في الأغلب ردى الأخلاق  
كذا إذا حسودا سرورا بما لحوا حسودا والفضول وضحك وكيد ومجاعة وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن  
التأديب ثم يشغل في السكب فيتم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينرسى في  
قسه حب الصالحين وحفظ من الأضرار التي فيها ذكر المشق وأهله وحفظ من مخالطة الأدياء الذين  
يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع فإن ذلك يفسد في قلوب الصبيان بل هو السواد ثم مهما ظهر  
من الصبي خلق جميل وفصل محمود فينبى أن يكرم عليه ويحازي عليه بما يفرح به ويمنع من أظفر  
الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبى أن يتخالف عنه برحمتك سره ولا يكشفه  
ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا يأسا إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار  
ذلك عليه ربما يشبهه جسارة حتى لا يلائم للمكشفة فعند ذلك إن عاد ثانيا فينبى أن يتابع سرا  
ويعلم الأمر فيه وقال له إياك أن تعود بعد ذلك مثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتتضع  
بين الناس ولا تستكر القول عليه بالتأديب في كل حين فانه يكون عليه سماع اللامة وركوب القباح  
ويستطو وقع الكلام من قلبه ولكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوجه إلا أحيانا والأم تخوفه  
بالأدب وترجعه عن التباغ ويبنى أن يمنع عن النوم نهرا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه لئلا ولكن  
ينزع القرص الوطنية حتى تصلب أعضاؤه ولا يسهن يده فلا يصبر عن التتم بل يعود الحشوة في القعرش

محمد بن مطرف عن  
حسان بن عطية عن  
أبي أمامة عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال  
والحياء والى همتان  
من الإيمان والبلذ  
والبيان همتان من  
الغنى البلاء التفضي  
وأراد بالبيان همتان  
كثرة الكلام والتكلف  
للسا زيادة تلقى  
وتفاء عليهم وإظهار  
التضع وذلك ليس  
من شأن أهل الصدق  
وحكى عن أبي وائل  
قال مضيت مع صاحب  
لى زور سلمان قدم  
إلىنا خبر شير وملحا  
جريشا قال صاحي  
لو كان فى هذا اللع  
سقر كان أطيب غرج  
سلمان ورهن مطهره  
وأخذ سقرا فهاأكلنا  
قال صاحي الحمد لله

واللبس والطعم ويبنى أن يمنع من كل ما يغنيه في خفية فانه لا يحقيه إلا وهو متقدماً فيفتح فلذا ترك  
 تود فعل القبح ويود في بعض التمارن التي والحركة والريضة حتى لا يلبس عليه الكسل ويود  
 أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع لكي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره ويمنع من أن يختصر على  
 أقرانه بشيء مما يملكه والده أو غيره من مطامعهم ولا يسهوا ولا يودعوا به بل يود التواضع والاكرام  
 لكل من عاشره والتلطف في الكلام ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حصة إن  
 كان من أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرضا في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ يؤم وخساراً وتؤان  
 كان من أولاد الفقراء فليعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من ذاب الكلب فانه يصعب  
 في انتظار لقمة والطمع فيها . وبالجملة فيسحب إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها ويمنعهم  
 أكثر مما يلزم من الحيات والقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيها أكثر من آفة  
 الصوم على الصبيان بل على الأكابر أيضاً ويبنى أن يود أن لا يصدق في مجلسه ولا يتدخلوا بآداب  
 بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجله على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد يده بسانه  
 فإن ذلك دليل الكسل ويمنع كلفة الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويمنع أن ذلك يدل على الوفاة  
 وأنه فعل أبناء القمام ويمنع العيين رأساً صادف كان أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن يتدنى  
 بالكلام ويود أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو  
 أكبر منه سناً وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له للكان ويجلس بين يديه ويمنع من قو الكلام وغشه  
 ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري له عادة من  
 القراء السوء وأصل تاديب الصبيان الحفظ من قراءة السوء ويبنى إذا ضرب للعلم أن لا يكثر الصراخ  
 والغضب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكره أن ذلك ذاب الصبيان والرجال وأن كثرة الصراخ  
 ذاب للمالك والنسوان ويبنى أن يؤخذ له بعد الانصراف من الكتاب أن يلبس لباساً جميلاً يترفع  
 إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعم دائماً  
 يمت قلبه ويطلق ذكاه وينقص عليه الميضي حتى يطلب الحيلة في التخلص منه رأساً ، ويبنى  
 أن يعلم طاعة والديه ومطه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم  
 بين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ من التميز ، فينبغي أن لا يسمح في  
 ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجب لبس اللباس الجليل والحري والذهب  
 ويمنع ما يحتاج إليه من حدود الشرع ، ويمنع من السرقة وأكل الحرام ومن الحياة  
 والكذب والفحش وكل ما ينال على الصبيان فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فليعلم ما قرب البلوغ  
 أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور ، فيذكره أن الأظلمة أدوية وإنما للتصديق منها أن تروى  
 الإنسان بها على طاعة الله عز وجل ، وأن الدنيا كلها لأصل لها إذ لا يقام لها ، وأن الموت يقطع  
 نعيمها ، وأنها دار مجر لا دار مقر ، وأن الآخرة دار مقر لا دار مجر ، وأن الموت منتظر في كل ساعة  
 وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويقس ليعبه  
 في الجنان فإذا كان النشوة صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ وإقاماً مؤثراً ناجماً يثبت في قلبه كما  
 يثبت التقي في الحجر ، وإن وقع النشوة بخلاف ذلك حتى آلف الصبي اللعب والفحش والوقاحة  
 وشربه الطعام واللباس والزينة والتفاخر نجا قلبه عن قبول الحق نبوة الحافظ عن التراب اليأس  
 فأوائل الأمور هي التي يبنى أن تراعى فإن الصبي بمجهره خلق فأبلا لله ولغيره جميعاً وإنما  
 أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة وإنما

الذي قضا بما رزقها  
 قال سلمان لو قتلت  
 بما رزقك لم تكن  
 مطعوني مروهة وفي  
 هذا من سلمان ترك  
 التكلف قولاً وصلاً  
 وفي حديث يونس النبي  
 عليه السلام أنه زاره  
 إخوته فقدم إليهم  
 كسراً من خبز شعير  
 وجز لهم قسلاً كان  
 يزرعون قال لولا أن  
 الله لمن للتكافين  
 لتكلفت لكم قال  
 بعضهم إذا قصدت  
 للزيارة قدم ماحضر  
 وإذا استزرت فلا تبق  
 ولا تدر وروى الزبير  
 ابن العوام قال نادى  
 منادى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 يوماً فقامه الغفر  
 للذين يطمعون

أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (١) قال سهل بن عبد الله التستري كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأناظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما ألا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف أذكره قال قل قلبك عند خليك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك الله معي الله ناظر إلى الله شاهد قلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات قلت ذلك ثم أعلمته فقال قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينضمك في الدنيا والآخرة فلم أزل على ذلك سنين فوجدت ذلك حلاوة في سرى ثم قال لي خالي يوما يسهل من كان الله معه وناظرا إليه وعاهدا إليه إياك وللصبي فكنت أخفو بنفسي فيشوا بي إلى المكتب قلت إني لأخشى أن يفرق بي همي ولكن شارطوا للعلم أني أنهب إليه ساعة فأتممت ثم أرجع فبقيت إلى الكتاب فقلت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثني عشرة سنة فوفقت في مسئلة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يعينوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها فأقيمت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني فثبنا فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله المباداني فسأته عنها فأجابني فأقلت عنده مدة أنضع بكلامه وأتأدب بأدابه ثم رجعت إلى تستر فجلست قوتي اقتصادا على أن يشتري لي بدم من الشعير الفرق فيعلمن ويخز لي فأناظر عند السر على أوقية كل ليلة عتتا بنهر ملح ولا أدم فكان يكتفي ذلك الحرم سنة ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أظفر لي ثم خسان ثم سبعا ثم خسا وعشرين ليلة فكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ملهه الله تعالى قال أحمد لما رأيته أكل للطح حتى لقي الله تعالى .

( بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج الريد في سلوك سبيل الرياضة )

واعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريدا حارث الآخرة مشتاقا إليها سالكا سبيلها مستوتنا بنعم الدنيا وقلوبها فان من كانت عنده خزانة فرأى جوهرة قيمة لم يبق له رغبة في الخزانة وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس مريدا حارث الآخرة ولا طالب لقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمات الشهادة من غير صدق وإخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخزانة إلا أنه لا يدرى من الجوهرة إلا قسطها وأما حقيقتها فلا ومثل هذا للصدق إذا ألف الخزانة قد لا يتركها ولا يظم احتياقه إلى الجوهرة قاذن للسان من الوصول عدم السلوك وللسان من السلوك عدم الارادة وللسان من الارادة عدم الإيمان وصيب عدم الإيمان عدم الهداية وللذكرين والملاء بالله تعالى المهادن إلى طريقه والتبيين على حقارة الدنيا وإهتراسها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد اتهموا في شهواتهم وغاصوا في رقدهم وليس في علماء الدين من ينههم فان تنبه منهم متنبه هب عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم متألمين إلى الهوى حادلين عن سبج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لكون طريق الله تعالى عن السالكين فيه ومهما كان المطلوب محبوبا والدليل معقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتسلطت الطرق لاهماله فان تنبه متنبه من فهم أو من تنبيه غيره وانبث له إرادة في حارث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم أن له شروطا لابد من تقديمها في بداية الارادة فله مقصم

(١) حديث كل مولود يولد على الفطرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

لأموات أمسق ولا يشكفون إلا إني ربه من التكلف وصلحو أمق « وروى أن عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالى - فأينما فيها جبالا وعنا وقعا وزرثونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا - ثم قال هذا كله قد عرفناه فما الأبطال ويعد عمر عصاه فضرب بها الأرض ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف غلبوا أيها الناس ما بين لكم منه فما عرفتم أعمالوا به ومن لم تعرفوا فكلا وعلم إلى الله . ومن أخلاق الصوفية الاقلاق من غسب إقرار ترك الاختار وذلك أن الصوفي يرى خزائن فضل الحق فهو بحاجة



لا بد من التمسك به وله حسن لا بد من التحسن به ليأمن من الأعداء القطاع لطرقة وعليه وظائف لا بد من ملازمته في وقت سلوك الطريق. أما الشروط التي لا بد من تهيئتها في الولاية فهي رفع اليد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الحلق عن الحق سيئه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - والسد بين الريد وبين الحق أربعة: للال والجاه والتقليد والنسبة وإنما يرفع حجاب للال بخروجه عن ملكه حتى لا يبق له إلا قدر الضرورة فإدلم يبق له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محبوب عن الله عز وجل وإنما يرفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإشراك الخول والمغرب من أسباب الذكر وتماطى أعمال تنفر قلوب الخلق عنه وإنما يرفع حجاب التقليد بأن ترك التصب للذهاب وأن يصدق بمنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله تصديق إيمان ومحرم في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود سوى الله تعالى وأعظم معبود له الهوى حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقنه تقليدا فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة لآمن المجاهدة فإن غلب عليه التصب لم يتقدمه ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيده وحجابا إذ ليس من شرط للريد الانتفاء إلى مذهب معين أصلا وأما النسبة فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من اللطام وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق التدم على ما مضى ورد اللطام وإرضاء الخصوم فإن من لم يصحح التوبة ولم يهجر الناس الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكشوفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب فإن ترجمة القرآن لا بد من تهيئتها أولا ثم الترقى منها إلى أسرار معانيه فكذلك لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة أولا وآخرها ثم الترقى إلى أغوارها وأسرارها فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن للال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ وورع المحدث وصار صالحا لصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدى به فكذلك الريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لاصحاح لبيده إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين فاسد وسبيل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قادم الشيطان إلى طرته لاصحاحه فمن سلك سبيل البوادي للهلكة غير خفي قد خاطر بنفسه وأهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تثبت بنفسها فانها تحجب على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فخصم الريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيئا فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بإلقاء التبر بإلقاءه بحيث يفرض أمره إليه بالكفة ولا يخافه في ورده ولا صدره ولا يلق في متابته شيئا ولا يدر وليعلم أن نفسه في خطأ فيجعله لو أخطأ أكثر من نفسه في صوابه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا الخصم وجب على متبعه أن يحبه ويصمه بمحسن حين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور : الخوة والصمت والجوع والسر وهذا تحسن من القواطع فإن مقصود الريد إصلاح قلبه ليصالح به ربه ويصلح لقربه أما الجوع فإنه ينقص دم القلب وينشئه وفي ياضته نوره ويذيب شحم القواد وفي ذوبانه رفته ، ورفته مفتاح للكشفة كان أن مساوته سبب الحجاب ومهما هضم دم القلب ضاقت مسلك المدو فإن مجاريه العروق للثقل بالشهوات وقال عيسى عليه السلام يا مشرك الجواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل بن عبد الله تسترني ما صار الأبدان أبدالا إلا بأربع خصال : بإخماس البطون ، والسر ، والصمت ، والاعتزال عن الناس فتأخذ الجوع في تورق القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة وسياق يان وجه التدرج فيه في كتاب كسر الشهوتين . وأما السر فإنه يحلو القلب وينشئه وينوره فيضاهي ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب البري والمرأة المجردة فيلوح فيه جمال

من هو مقسم على  
شاطئ بحر القيم على  
شاطئ البحر لا يدخر  
لنساء في قرينه  
ورأوته . روى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه  
قال « مامن يوم إلاة  
ملكنا ناديا فيقول  
أحدهما اللهم أعطنا نفقا  
خلفا وبقول الآخر اللهم  
أعط مسكنا نفقا »  
وروى أنس قال « كان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يدخر شيئا  
لنساء . » وروى أنه  
« أهدى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ثلاث  
طوارى فأعلم خادمه  
طورا فلما كان قد أتاه  
به قال رسول الله الله  
أنتك أن تخاف شيئا  
لند فإن الله تعالى يرى

الحق وشاهد فيه رفع المرجيات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتنا فتم بذلك رغبته عن الدنيا وإقباله على الآخرة والسر أيضاً نتيجة الجوع فإن السر مع الشبع غير ممكن والنوم يقبض القلب ويعتبه إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب للكسفة لأسرير القلب قد قيل في صفة الأبدال إن أكلم فاقه ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال إبراهيم الخواص رحمه الله أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء . وأما الصمت فانه تسهيل العزلة ولكن النمل لا يخلو عن مشاهدته من يقوم له طعامه وشرابه وتدير أمره فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم فانه يستروح إليه ويستقل التجرد لذلك والسكر فيستريح إليه فالصمت يفتح العقل ويوجب الورع ويمنع الفتوى . وأما الحلوقة فتألفها دفع النواغل وضبط السمع والبصر فاتهاذهل القلب والقلب في حكم حوض تصب إليه مياه كربة كدرة قلدة من أمهار الخواص ومتعود الرياضة خرب الخوض من تلك اللياه ومن الطين الحاصل منها لينجز أصل الخوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر وكيف يصح له أن ينزع الماء من الخوض والأمطار مفتوحة إليه فيجند في كل حال أكثر مما يتقن فلا بد من ضبط الخواص إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالحلوقة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار في مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق وشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على مثل هذه الصفة ثقيل له يا أيها للزمل يا أيها للذر ؟ فهذه الأربعة جنة وحسن بها تدفع عنه القواطع وتنبع الموارض القاطعة للطريق فإذا ضل ذلك اختل بهد بسلولة الطريق وإنما سلوكه يقطع القيات ولا عتبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك الصفات أعظم من بعض والترتيب في قلبها أن يشتغل بالأهل والأسهل فالأهل وهي تلك الصفات أخص أسرار الملائق التي قلبها في أول الإرادة وآفاتنا أخص المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوف إلى المعاصي فلا بد أن يخلو اليأس من آثارها كما أدخل الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال فرب شخص قد كفى أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة فاقلة على خسر اللريد كما سبق ذكره فإذا كفى ذلك أوضح المجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة بهد بذلك يذكر يلزم قلبه على الدولم وعينه من تكتير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على القرائن والروايع ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الأوراد وثمرتها أخص ملازمة القلب له كره الله تعالى بسد الخلق من ذكر غيره ولا يشغله به مادم قلبه ملتفتاً إلى علاقته قال الشبل العصري إن كان يخطر بقلبك من الجملة التي تأتيني فيها إلى الجملة الأخرى شيء غير الله تعالى فخرام عليك أن تأتيني وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العائق للستر الذي ليس له إلام واحد فإذا كان كذلك أقرمه الشيخ زاوية يفرده بها ويوكل به من

بذق كل غسد .  
وروى أبو هريرة  
رضي الله عنه « أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم دخل على  
بلاط وعنده صبرة من  
تمر فقال ما هذا يا بلاط  
فقال أمخر يا رسول  
الله ذل أما تخشى أن أخفق  
ببلاط ولا تخشى من  
ذي العرش إنقالا .  
وروى أن عيسى ابن  
مريم صلى الله عليه  
وسلم كان يأكل الشجر  
ربط الشعر ويبيت  
حيث أمسى ولم يكن  
له ولد يموت ولا يبيت  
بحر ولا ينجأ شيئاً  
لقد فالصوفي كل خباياه  
في خزائن الله لصدق  
نوكه وقته بره  
فالدنيا للصوفي كدار  
الغربة ليس فيها  
ادخار ولا منها

(١) حديث يرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدثر ثقيل له يا أيها للزمل يا أيها للذر متفق عليه من حديث جابر جاورت هراء فما قضيت جوارى هبطت فتوديت فنظرت من بيني الحديث وفيه فأنت خديجة قتلت دثروني وصبا على الماء باردا فتدثروني وصبا على الماء باردا قال قزلت يا أيها للذر وفي رواية قتلت زملوني زملوني ولها من حديث عائشة قتال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذلك كرامن الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله أو سبحان الله سبحان الله أو ما ربه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى تسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة التقط في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يعمى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة لقلب حاضرة معه غالبية عليه قد فرغ من كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بجى خلا عن غيره أى شى كان فإذا اشتغل بالذكر الله تعالى وهو للتصود خلا لأعماله عن غيره وعند ذلك يلومه أن يراهب وسواس القلب والخواطر التي تتماق بالدنيا وما يتدكر فيه مما قدمى من أحواله وأحوال غيره فانه مهما اشتغل بجى منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضا قصصا فليجهد في دفع ذلك ومما دفع السواس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءت السواس من هذه الكلمة وأنها ما هي وما منى قولنا الله ولائى سنى أنا إنما وكان مبعودا وبتره عند ذلك خواطر تخرج عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وسواس الشيطان ما هو كفى وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشعرا لإمانيته عن القلب لم يفتره ذلك وهي منقسمة إلى ما يملأ قلبه أن الله تعالى منزعه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك في قلبه ويجره على خاطره فصرطه أن لا يبالى به ويخرج إلى ذكر الله تعالى ويشغل إليه ليفقه عنه كماله تعالى - وإما يزغلك من الشيطان نزع فاستد بالله إنه مبيع علم - وقال تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وإلى ما يشك فيه فينبى أن يمرض ذلك على عينه بل على كل ما يجد في قلبه من الأحوال من قرة أو نشاط أو انشغال إلى حقه أو صدق في إرادة فينبى أن يظهر ذلك لفسخه وأن يستمر عن غيره فلا يطلع عليه أحدا ثم إن هينه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكيفيته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تبه من حقه على حقيقة الحق فينبى أن يحمله على الفكر ويأمره بعلامته حتى يتدفق في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من نعمه وينبى أن يتأنق الشيخ ويطلب به فان هذه ممالك الطريق وموانع أخطارها فكمن مرير اشتغل بالرياضة فطلب عليه خيال فاسد لم يوصل إلى كشفه فاقطع عليه طريقه فاشتغل بالطلاقة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الملاك العظيم ومن تجرد للذكر ودفع الملائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار فانه قد كسب فينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وإن أخطأ كان من المالكين وذلك قال صلى الله عليه وسلم «عليكم بدین البجائر» وهو تلقى أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير فان الخطر في المدول عن ذلك كثير ولذلك قيل يجب على الشيخ أن يفرس في الرتبة فان لم يكن ذكيا فلما تمكن من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر لئلا يركبهم فان المايز عن المجاهد في صف القتال ينبى أن يسقى القوم ويشهد دواهم ليحضر يوم القيامة في زميرهم وقسمه بركتهم وإن كان

(١) حديث عليكم بدین البجائر قال ابن طاهر في كتاب التذكرة هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة حتى رأيت حديثا لمحمد بن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان في آخر الزمان واختلف الأهواء فليسلمك بدین أهل الأبدية والنساء وابن السلمي عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يسميها بوضئتها انتهى وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه حب في الضفاء في ترجمة ابن السلمي والله أعلم .

استكثر قال عليه السلام «لو توكلتم على الحق توكلوا لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خمسا وتروح بطاها» أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب قال أنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله اللائي قال أنا أبو الحسن عبد الرحمن الداوي قال أنا أبو محمد عبد الله الرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال أنا محمد بن يوسف بن سفيان عن ابن التكتك عن جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم حيث قد قال لا قال ابن عينة إذا لم يكن عنده وعد وبالإسناد

لا يبلغ درجته ثم الريد التجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال وما يمدون أوائل الكرامات ومهما التفت إلى شيء من ذلك وغفلت به عنه كان ذلك خورا في طريقه ووقفا بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا تزويج البحار ولو أقيمت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الاضطلاع عن الخلق إلى الحق والخلوة قال بعض السابحين قلت لبعض الأبدال النقطيين عن الخلق كيف الطريق إلى التحقيق فقال أن تكون في الدنيا كأنك ما بر طريق وقال مرة قلته دلي على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى في الدوام فقال لي لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي من ذلك قال فلا تسلمهم فإن معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تكن إليهم فإن السكون إليهمهلكة قلت هذا لعله قال يا هذا أنتظر إلى الغافلين وتسع كلام المجاهدين وتعامل البطالين وتريد أن تحب قلبك مع الله تعالى في الدوام ؟ هذا ما لا يكون أبدا فإذا منتهى الرياضة أن يحب قلبه مع الله تعالى في الدوام ولا يمكن ذلك إلا بأن يغلو عن غيره ولا يغلو من غيره إلا بطول المجاهدة فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشفه جلال الحضرة الربوبية وتعالى له الحق وعظمه ثم لما انكشف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلا وإذا انكشف الريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظما ونسحا ويصدى للتذكير فتجد النفس فيه لغة ليس وراءها لغة فتدعو تلك اللغة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك اللغتي وتحسين الألفاظ للبرية عنها وترتيب ذكرها وترتيبها بالحسكيات وهو واحد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام تقييل إليه القلوب والأصابع فرمما تجل إلى الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الوثني الغافلين عن الله تعالى وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا تفك في لغة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلامه وأجزل لفظا وأقدر على استجلاب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه بقرب الحسد لاصحاح إن كان محركة كيد القبول وإن كان محركة هو الحق حرصا على دعوة عباده الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرجه ويقول الحمد لله الذي صعدني وأيدني بمن وأزرتني على إصلاح عباده كالمدي وجب عليه مثلا أن يجعل ميتا ليدفعه إذ وجده ضالما وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من أماته عليه فانه يخرج به ولا يحسد من بينه والنافلون موتى القلوب والواظمين للبهون والهيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي أن ينظم القرع بذلك وهذا عزز الوجود جدا فينبغي أن يكون للريد على حذر منه فانه أعظم حيايل الشيطان في قطع الطريق على من اختصه له أوائل الطريق فإن إظهار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان ولذلك قال الله تعالى - بل يؤثرون الحياة الدنيا - ثم بين أن الشر قد قدم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السابقة قال - إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - فهنا منهاج رياضة الريد وترتيبه في التدرج إلى لقاء الله تعالى - فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه وإسائه أعنى به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم معها أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنى بهما أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمأل والمجاهة وإذا طلب لك والمجاهة حدث فيه الكبر والعجب والرياسة وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأسا وتسلخ من الدين بما فيه الرياضة وغلب عليه التورود فلهاذا وجب علينا بعد تحميم هذين السكتين أن نستكمل ربع اللهلكت بتأية كتب إنشاء الله تعالى : كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في آفات اللسان وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في دم الدنيا

عن القلوب قال أنا  
يقوب بن حيد قال  
أنا عبيد العزيز بن  
محمد عن ابن أخي  
الزهري قال إن جبريل  
عليه السلام قال ما في  
الأرض أهل عشرة  
من آيات إلا قلوبهم  
فأ وجدت أهدأ أهد  
إخافة لهذا الملك من  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم [ ومن  
أخلاق الصوفية القناعة  
باليسير من الدنيا ] .  
قال ذو النون المصري :

من قنع استراح من  
أهل زمانه واستطاع  
على أقرانه وقال جبر  
إن الحرث لو لم يكن  
في القناعة إلا اتبع بالمر  
لكنى صاحبه وقال  
بنان الجبال :

وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب السال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في ذم الكبر والسب وكتاب في مواقع التورود وبذكر هذه اللهكات وتعليم طرق للمعالجة فيها يتم غرضنا من ربيع اللهكات إن شاء الله تعالى فإن ما ذكرناه في الكتاب الأول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن للهكات وللنجات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فانه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى.

ثم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

### ﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

( وهو الكتاب الثالث من ربيع للهكات )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله للفرد الجلال في كبريائه وتعالى المستحق للتعظيم والتعظيم والتعظيم القائم بالعدل فيما يرمه ويقضيه للتطول بالفضل فيما ينم به ويسديه للتكفل بحفظ عبده في جميع موارد مجاريه للنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصد بل بما يغني بأمانيه فهو الذي يرده ويهديه وهو الذي يمتيه ويحييه وإذا مرض فهو يشفيه وإذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوقه للطاعة ويرغبه وهو الذي يطمئه ويسقيه ويحفظه من الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرده ويمكنه من القناعة قليل القوت ويقر به حتى تنفيق به مجارى الشيطان الذي يناوئه ويكسر به شهوة النفس التي تصادى فيدفع شرها ثم يبد ربه ويشفيه هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به ويشفيه ويكره عليه ما يسيح بوائعه ويؤكد دواعيه كل ذلك بمنته به ويبتليه فينظر كيف يؤثر على ما يهواه ويبتليه وكيف يحفظ أوامره ويتنهي عن نواهيه ويواظب على طاعته ويتزجر عن معاصيه والسلاة على محمد عبده النبي وسوله الوجه صلاة تزقه وتحطيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الأبرار من عترته وأقربيه والأخيار من صحابه وتابعيه .

[ أما بعد ] فأعظم للهكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الغل والافتقار إذ نها عن الشجرة فقلبتهما فوهاتهما حتى أكلتا منها فبذلت لهما سائرهما القرار إلى دار الحق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات إذ يتبعها شهوة الفرج وهذه الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام والنسكاح هذه الرغبة في الجاهو المسال الذي من جهادسية إلى التوسع في المنكوحات والمطعمات ثم يتبع استكثار المسال والجاه أتعلم الرعونات وضرورب النافسات والمساعدات ثم يتولد بينهما آفة الرواء وفاقلة التفاهر والتكبر والتكبر والكرام ثم يتداعى ذلك إلى الحقنوا الحسد والبداوة والخناء ثم يغشى ذلك بصاحبه إلى اتحمال البنى والمنكر والتعصا و كل ذلك ثمرة إجمال المعصية وما يتولد منها من بطر الشيخ والامتلاء ولو ذل البعد تمه بالجموع وشيق به مجارى الشيطان لأنعت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والعنيان ولم ينجر به ذلك إلى الاتهمالك في الدنيا وإشارة للمعالجة على التي ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتا تحذيرا منها ووجب إيضاح طريق المجاهدة لئلا تفتنه على فعلها فترغبها

﴿ كتاب كسر الشهوتين ﴾

وقال بعضهم اتقوا من حرصك بالقناعة كما تنتم من عدوك بالقصاص . وقال أبو بكر المرافى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسرف ودبر أمر الآخرة بالحرص والتبجيل . وقال يحيى بن معاذ من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة وطاب عيشه . وقال أسير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه القناعة سيف لا ينيو . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي القشل قال أنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ينفذ قال أنا أبو حفص عمر بن إبراهيم قال جدنا أبو القاسم البزوف قال

فها وكذلك شرح شهوة الفرج فاتها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بكون الله تعالى في فصول مجتمعا بيان فضية الجوع ثم قوائمه ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتخليل من الطعام والتأخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس ثم بيان الرياضات ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج ثم بيان ما على المرء في ترك الزوج وفعله ثم بيان فضيلة من خالف شهوة البطن والفرج والبيان .

### ( بيان فضية الجوع وذم الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «جاهدوا أشكم بالجوع والطمع فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» (١) وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذم النفس وضحك ورضى بما يستر به عورته» (٣) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سيد الأعمال الجوع وذم النفس لباس الصوف» (٤) وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السواك ولو اشربوا في أصناف البطون فانه جزء من النبوة» (٥) وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم «أفشدكم عند الله من يوم القيامة أطولكم جوعا وتحسروا في الله سبحانه وأنضجكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل شئ ثم أكل شرب» (٦) وفي الخبر «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز» (٧) أي عتارا قد اذعن وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يباهي لللائكة بمن قل مطعمه وعشربه في الدنيا يقول الله تعالى انظروا إلى عبدى ابتليت الطعام والشراب في الدنيا فسر وتركهما يهدوا يملأون مملأ من أكلة يدعها للإبليس يهادر جات في الجنة» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالأرجع يموت إذا كثرت عليه اللها» (٩) وقال صلى الله عليه وسلم «مملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم ثقبات يمتلئ بطنه وإن كان لا بد فاعلا فخلط لعظامه وثقل لشرابه وثقل نفسه» (١٠) وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضية الجوع إذ قال فيه «إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طالع جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأخياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن قاوا لم يفتقدوا وترفعهم الأرض وتغفر لهم ملائكة السماء ثم الناس الدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل اقترش الناس القرش الثوبرة واقرشوا الجباه والركب ضيع الناس فضل التبيين وأخلتهم وحفظوها هم يترك الأرض إذا قدتمهم ويسخط الجبار على كل

حدثنا محمد بن حباد قال حدثنا أبو سعيد عن صدقة بن الربيع عن حمارة بن عزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول «ما لوكفى خير مما كثر وألمى» وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافا ثم صبر عليه» وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا وقال «اللهم اجعل رزقي كالمحمد قوتا» وروى جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «القناعة مال

(١) حديث جاهدوا أشكم بالجوع والطمع لم أجده أصلا (٢) حديث ابن عباس لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه لم أجده أيضا (٣) حديث أي الناس أفضل قال من قل مطعمه وضحك ورضى بما يستر به عورته يأتي السلام عليه على ما يمدن الأحاديث (٤) حديث سيد الأعمال الجوع وذم النفس لباس الصوف (٥) حديث أبي سعيد الخدري السواك ولو اشربوا في أصناف البطون (٦) حديث الحسن كثر الشرب أفشدكم عند الله من يوم القيامة أطولكم جوعا وتحسروا في الله (٧) حديث أي عتارا قد اذعن (٨) حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل (٩) حديث أي عتارا قد اذعن (١٠) حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل (١١) حديث مملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم ثقبات يمتلئ بطنه وإن كان لا بد فاعلا فخلط لعظامه وثقل لشرابه وثقل نفسه

بلية ليس فيها منهم أحد لم يتكلموا على الدنيا تكالب الكلاب على الحيف أكلوا الملق ولبسوا الحرق  
 شعثا غيرا راعم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء وقال قد خولطوا قذبت عقولهم وماذهبت  
 عقولهم ولكن نظر القوم بجلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا فهم عند أهل الدنيا يخشون بلا  
 عقول عقابوا حين ذهبت عقول الناس لهم الصرف في الآخرة يا أسامة إذا رأيتهم في بركة فاعلم أنهم آمن  
 لأهل تلك البركة ولا يذب الله قوما هم فيهم الأرض بهم فرحة والجار عنهم وانما أخذهم لنفسك إخوانا  
 عسى أن تصبو بهم وإن استطعت أن يأتيك للوت وبطنتك جالع وكبدك ظمآن فافعل فانك عندك  
 بذلك شرف للنازل وتحمل مع الثنين وضرع بقدوم روحك للالفة ويصلى عليك الجبار (١) .  
 روى الحسن بن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «البسوا الصوف وجمروا وكفوا في أنصاف  
 البطون مدخلوا في ملكوت السماء» (٢) وقال عيسى عليه السلام : يا مشرك المواريث أجيئوا أكبادكم  
 وأغروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل (٣) وروى ذلك أيضا عن نفيثا صلى الله عليه وسلم  
 روى طائوس وقيل مكتوب في التوراة أن الله لينض الحبر السمين لأن السمين يدل على الغلبة  
 وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصا بالحر ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى  
 لينض القاري السمين وفي خبر مرسل «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيئوا جواربه  
 بالجويع والمطعم» (٤) وفي الخبر «إن الأكل على الشبع يورث البرص» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم  
 «للؤم يأكل في موى واحد وللثاق يأكل في سبعة أمعاء» (٦) أي يأكل سبعة أنصاف ما يأكل  
 للؤم من أوتكون شبعه سبعة أنصاف شبعه وذكر للمي كناية عن الشبهة لأن الشهوة هي التي تجلب  
 الطعام وتأخذ بها يأخذ للمي وليس للمي زيادة عدد موى للثاق على موى للؤم . وروى الحسن بن  
 عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «أدبوا قرع باب الجنة ينضح لكم قلت  
 كيف ندبم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما» (٧) وروى «أن أبا جيفة تمسحا في مجلس رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فقال له أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم جوعا في الدنيا» (٨)

(١) حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه  
 الحديث بطوله الخطيب في الترمذ من حديث سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأقبل على أسامة بن زيد فذكره مع تهميد وتأخير ومن طريقه روى ابن الجوزي في اللوغات وفيه  
 حباب بن عبد الله بن جبلة أحد الكنديين وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضا ورواه الحارث بن أبي  
 أسامة من هذا الوجه (٢) حديث الحسن بن أبي هريرة البسوا الصوف وجمروا وكفوا في أنصاف  
 البطون مدخلوا في ملكوت السماء أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضيف (٣) حديث  
 طائوس مرسل أجيئوا أكبادكم الحديث لم أجده أيضا (٤) حديث إن الشيطان يجري من ابن  
 آدم مجرى الدم الحديث تضم في النصاب دون الزيادة التي في آخره وذكر للصف هنا أنه مرسل  
 وللرسول روى ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضا  
 (٥) حديث إن الأكل على الشبع يورث البرص لم أجده أصلا (٦) حديث للؤم يأكل في موى  
 واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة (٧) حديث  
 الحسن بن عائشة أديعوا قرع باب الجنة الحديث لم أجده أيضا (٨) حديث إن أبا جيفة تمسحا في مجلس  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم  
 جوعا في الدنيا الباق في الشعب من حديث أبي جيفة وأصله خذت وحسنه وه من حديث ابن  
 عمر تمسحا رجل الحديث لم يذكر أبا جيفة .

لا يشده وروى عن  
 عمر رضي الله عنه أنه  
 قال كونوا أوعية  
 الكتاب وثنايع  
 الحكمة وعدوا أغصم  
 في اللوت وأسألو الله  
 تعالى الرزق يوما بيوم  
 ولا يضركم أن لا يكن  
 لكم . وأخبرنا  
 أبو زرعة طاهر عن أبي  
 الفضل والله قال أنا  
 أبو القاسم إسماعيل بن  
 عبد الله الشافعي قال أنا  
 أحمد بن علي الحافظ قال  
 أنا أبو عمرو بن حمدان  
 قال حدثنا الحسن بن  
 سفيان قال حدثنا عمرو  
 ابن مالك البصري قال  
 حدثنا مروان بن  
 معاوية قال حدثنا  
 عبد الرحمن بن أبي  
 سلمة الأنصاري قال  
 أخبرني سلمة بن  
 عبد الله بن حصن

وكانت عائشة رضى الله عنها تقول «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلئ قط شرباً وربما بكيت رحمة بما أرى به من الجوع فأمسح بطنه يدي وأقول قسى لك القداء لو بليت من الدنيا بقدر ما يتوكى ويملك من الجوع فيقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمشوا على ظلمهم قدموا على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجدي استحي إن ترفتي في معيشي أن يقصر بي غذا دونهم فالصبر أليماً بسيرة أحب إليّ من أن ينقص حظي غذا في الآخرة وما من شيء أحب إليّ من الحقوق بأصحابي وإخواني قالت عائشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه (١)» وعن أنس قال «جاءت فاطمة بكرة خبز إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هذا الكسرة قالت قرص خبزه ولم تلب قسى حتى أتيتك منه بهذه الكسرة قال رسول الله ﷺ أما إنه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاثة أيام (٢) وقال أبو هريرة «ما أشبع النبي صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباع من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وإن أبض الناس إلى الله للثخمون للآلئ وماترك عيد أكلة يشربها إلا كانت له درجة في الجنة (٤)». وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه إذا كم والطنة قاتنا حمل في الحياة نثن في لئال والحقيق البلى العباد حرقه حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال قبان لا يه بائناً إذا امتلأت لمدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقصدت الأعضاء عن العبادة وكان القليل بن عياض يقول لنفسه أحمى تخافين أمخافين أن تجوعى لتخافى ذلك أنت أهون على الله من ذلك إنما جوع محمد ﷺ وأصحابه وكان كهمس يقول إلى أجنسى وأمرئى وفي ظلم الئالى بلا مصباح أجلسنى فبأى وسيلة بلغت ما بلغتى وكان فتح للوصل إذا اشتد مرضه وجوعه يقول إلى ابنتى بالرض والجوع وكذلك تحمل بأولئك فبأى حمل أؤذى شكر ما أعتبت به على وقال مالك ابن دينار قلت لعمد بن واسع يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غلبة خبزه وتغني عن الناس فقال لى يا أبا يحيى طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض وكان القليل بن عياض يقول إلى أجنسى وأجعت عيالاً وتركتى في ظلم الئالى بلا مصباح وإنما تحمل ذلك بأولئك فبأى منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الزائعين منية وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سيادة وجوع الزهادين حكمة وفي التوراة اتق الله وإذا هبت فاذا ذكر الجيع وقال أبو سليمان لأن آتة لقمة من عشاى أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح وقال أيضاً الجوع عند الله في خزائنه لا يسطيه إلا من أحبه وكان سهل بن عبد الله التستري يطوى نيفا وعشرين يوماً لا يأكل وكان يكفيه طعامه في السنة درهم وكان يظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافق القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في أكله وقال لم ير الأكياس شيئاً أضع من الجوع لله ربنا والدنيا وقال لأعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل وقال وضعت الحكمة والم في الجوع ووضعت

عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح آتناً في سره معافى في بدنه عند قوت يومه فكأنما عالجته الله نيا » وقيل في تفسير قوله تعالى - فلتجنيه حياة طيبة - هي القناعة قالوا في قولهم على نفسه بالقسط عالم بلبائع النفس وجدوى القناعة والتوصل إلى استخراج ذلك من النفس لعله بدائها ودواؤها . وقال أبو سليمان الله إرادى القناعة من الرضا كما أن الورع من الزهد . ومن أخلاق الصوفية ترك اللراء والمجانة والضب لإباحق واعتاد الرقى والحلم وذلك أن النفس ثوب وتظهر

[١] وجد يهمل العراق ما يأتى ، قلت : بل له أصل أخرجه أبو موسى للنسبى مطولاً في كتاب استعلاء الوتر وأورد به عياض في الفقاء ١ هـ .



للصية والجلب في الشبع وقال ماعبد الله بشيء أفضل من مخالطة الهوى في ترك الحلال وقدينا في الحديث « ثلث لقطام لمن زاد عليه فأعيا يأكل من حسنه »<sup>(١)</sup> وهوس عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليل سأل الله أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال ما صار الأبدان أبدا إلا بأخماس البطون والسرور والصمت والخلو وقلة الرأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فيجور بينهما الشبع وقال من جوع قسما قطعت عنه الوساوس وقال إقبال الله عز وجل على التبد بالجوع والسقم والبلاء لإيمان هاء الله وقالوا طمو أن هذا زمان لا ينال أحد فيه التجدة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسرور والجهد وقال السامر على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روى فسلم من اللصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام. ومثل حكم بأى قيد أتيد نفسي قال قديما بالجوع والعطش وذلك بأخلاقه كروثك الزمصرها بوضئها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زى القراء عن ظاهرها وأنعم آفاتها بدولهم سوء الظن بها وأصبها بخلاف هواها . وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله تعالى إن الله تعالى ما في أحد إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا بهولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع ولا تولام الله تعالى إلا بالجوع وقال أبو طالب للسكى مثل البطن مثل الزهر وهو الموداجوف ذو الأوتار إنما حسن صوته لفتنته ورثه ولأنه أجوف غير محتل . وكذلك الجوف إذا خلا كان أغلب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للنمائم . وقال أبو بكر بن عبد الله للزق ثلاثة جهنم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة . وروى أن موسى عليه السلام مكث يناهى ربه ستين صباحا لم يأكل غطر ياله الحيز فاطع عن الحاجة فإذا رغب موضوع بين يديه فبسط يمينه على قد الحاجة وإذا شبع قد أظله قال له عيسى برك الله عليك يا ولي الله تعالى لى فاق كنت في حاجة غطر يالى الحيز فاطعت عنى قال الشبع اللهم إن كنت تعلم أن الحيز خطر يالى منذ هرتك فلا تخضر لى بل كان إذا خضر لى فىء أ كته من غير فكر وخطر . وروى أن موسى عليه السلام لما قرب الله عز وجل نجيا كان قد ترك الأكل أربعين يوما ثلاثين ثم هضر على ماورد به القرآن لأنه أمسك بغير حبيبت يوما فز يدعصره لأجل ذلك.

### ( بيان قوائد الجوع وآفات الشبع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر في ذلك » [١] أو لملك قول هذا الفضل العظيم الجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام للمعدة ومقاساة الأذى فان كان كذلك فينبى أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضرر بنفسه وقطعه لحمه وتناول الأعياء للكثرة وما يجرى مجراه فاعلم أن هذا يضاهى قول من شرب دواء فانتفع به وطن أن مضته لكرامه الهواء ومرارته فأخذ يتناول كل ما يكرهه من اللذائق وهو غلط بل قسه في خاصية الهواء وليس لكونه مرا وإساقف على تلك الخاصية الأطباء فكذلك لا يقف على هذه شبع الجوع إلا معاصرة الطعام ومن جوع قسه مصداقا لما جاء في الشرع من منح الجوع انتفع به وإن لم يعرف علة النفع كان من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعا ولكننا نعرض لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم قال الله تعالى « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فقولوا للجوع هضر قوائد : القائدة الأولى صفاء القلب وإققاد القرمح والحد الصبر فان الشبع يورث البلاء ويصمى القلب ويكثر البخار في السماغ فيه السكر حتى يمتوى على ما دون السكر فيجلب القلب بسببه من

(١) حديث ثلث لقطام نعم .

[١] حديث جاهدوا أنفسكم لم يخرجها العراقي .

في المارين والصوفى  
كل رأى هضر صاحبه  
ظاهرة قابليا بالقلب  
وإذا قوبلت النفس  
بالقلب ذهبت الوحشة  
وانفطقت الفتنة قال  
الله تعالى قلبا فباده  
- ادفع بالتي هي أحسن  
فاذا الذى بينك وبينه  
صدادة كآه ولى  
حميم ولا يزع لراه إلا  
من هوس زكيات نزع  
منها القلب وجودا قل  
في النفوس مراد الباطن  
وإذا أنتزع لراه من  
الباطن ذهب من  
الظاهر أيضا وقد يكون  
القل في النفس مع من  
يشاكله وعائلته لوجود  
التألفة ومن استقمى  
في تعوب النفس بنار  
الزهد قل الله نيا يندى  
القل من باطنه ولا يلقى  
منه مخالطة دليوية

الجرىان في الانكسار وعن سرعة الادراك بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيهم الفهم والإدراك . وقال أبو سليمان الداراني عليك بالجوع فإنه مدقة النفس ورقة للقلب وهو يورث العلم الباقى . وقال صلى الله عليه وسلم « أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترقى » (١) . ويقال مثل الجوع مثل الرعد ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالنظر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من أجبع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه » (٢) . وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم « من شبع ونام قسا قلبه ثم قال لسئل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع » (٣) . وقال الشبل ماجت له يوما إلا رأيت في قلبي باها مفتوحا من الحكمة والعبرة ما رأيت قط وليس يخفى أن غاية التقصود من العبادات الفكر الوصول إلى المعرفة والاستبصار بمخائلي الحق والشبع يمنع منه والجوع ينشط به وللمعرفة باب من أبواب الجنة فيالحرى أن تكون ملازمة الجوع قرما لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه إذا امتلأت للعداة ثامت الفكرة وخسرت الحكمة وتعدت الأعضاء عن العبادة وقال أبو يزيد البسطامي الجوع سحاب فإذا جاع البعد أسطر القلب الحكمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم « نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقرية إلى الله عز وجل حب للساكنين والدنو منهم . لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في حقة من الطعام بات الجوع حوله حتى يصبح » (٤) . والقائمة الثانية : وقلة القلب وصفاته الذي به ينبت الادراك لثة الثائرة والتأثر بالذكر فكمن من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتصق به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجابا من قسوة القلب وقد برق في بطن الأموال فيعظم تأثره بالله كره وتلقظه بالنجاسة وغلو للعداة هو السبب الأظهر فيه . وقال أبو سليمان الداراني أحل ما يكون إلى العبادة إذا التصق ظهري يطلى . وقال الجنيد يحمل أحدا من بين صدره حلاوة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة النجاسة . وقال أبو سليمان إذا جاع القلب وطمع صبا وورق وإذا شبع حمى وغفلت فإذا تأثر القلب بقلعة النجاسة أمر وراءه بيمس الفكر والتفكير للمعرفة فهي قائمة ثانية . القائمة الثالثة : الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشهر الذي هو مبدأ الطينيان والفتنة من الله تعالى فلا تتكسر النفس ولا تذلل جسد . كما تدل بالجوع فحسده تمكن لربها وتخضع له وقف على هزها ونلها إذ ضفت منها وضافت حياتها بقلية طعام قاتها وأظلمت عليها الدنيا لهربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد إلا لسان ذل نفسه وهجره لا يرى عزة مولاه ولا فخره وإنما سعاده في أن يكون دائما معاهدا نفسه بين الله والصبر ومولاه بين المزاولة والقهر فليكن دائما جامعا مضطرا إلى مولاه معاهدا لا يضطر بالذوق ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا بل أجوع يوما وأشبع يوما فإذا جعت صبرت وإذا فطعت وإذا شبعت شكرت » (٥) . أو كما قال قابطين والقرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل

(١) حديث أحبوا قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترقى . لم أجده له أصلا (٢) حديث من أجبع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه كذلك له أجده له أصلا (٣) حديث من شبع ونام قسا قلبه ثم قال إن لسئل شيء زكاة وإن زكاة الجسد الجوع . من حديث أبي هريرة لسئل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم وإسناده ضعيف (٤) حديث نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع والقرية إلى الله عز وجل حب للساكنين والدنو منهم . لا تشبعوا فتطفئوا نور الحكمة من قلوبكم ومن بات في حقة من الطعام بات الجوع حوله حتى يصبح في مسند القردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه إمامه مستند وهو علامة ما رواه بإسناده (٥) حديث أجوع يوما وأشبع يوما الحديث ختم وهو عند ت .

في حظوظ عاجلة من جله ومال قال الله تعالى في وصف أهل الجنة للثقلين - وزرعنا ما في صدورهم من غل يساقل أبو حنيس كيف يبقى للقل في قلوب اتلفت بالله واختفت على محبة واجتمعت على مودته وأنتس بدكره فان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطباع بل كملت بنور التوفيق فصارت إخوانا في هكذا قلوب أهل التصوف والمجتنبين على السكامة الواحدة ومن الزم شروط الطريق والانسكاب على الفكر بالتحقيق . والناس رجلا نادر جل طالب معانيد الله تعالى ويدعو إلى معانيد الله

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأحدهما متقابلان كالشرق والغرب بالقرب من أحدهما بعد من الآخر .  
القائمة الرابعة : أن لا ينسى بلاد الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاد فإن الشيطان ينسى الجامع وينسى الجوع واليد القطن لا يشاهد بلاد من غيره إلا وتذكر بلاد الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة ومن جوعه جوع أهل النار حتى إنهم ليجوعون فيطمعون الضريع والرقوم ويسقون الساق واللعل فلا ينبغي أن ينسب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يسيح الخوف لمن يمكن في ذلة ولاعة ولائحة ولا يلاذ نسي عذاب الآخرة ولم يمتثل في نفسه ولم يخلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد فيمقاساة بلاد أو مشاهدة بلاد وأولى ما يقاسيه من البلاد الجوع فإن فيه فوائد حمة سوى تذكر عذاب الآخرة وهذا أحد الأسباب التي تقتضي اختصاص البلاد بالأنبياء والأولياء والأئمة فالأئمة لذلك قيل يوسف عليه السلام لم يجمع وفي يدك خزان الأرض فقال أخاف أن أصبح فأني الجامع فقد ذكر الجامعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل والشبان فيغفل عن ألم الجامع . القائمة الخامسة : ومن أكبر الفوائد كسر شهوات اللباس كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ اللباس كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لأعمال الأطمعة فتزليلها يصف كل شهوة للباس وفيها الصاعدة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملك نفسه . وكانك لا تملك قوة وإنما الصاعدة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن يملك نفسه . وكانك لا تملك العادة الجوع إلا يصف الجوع فإذا شبت قويت وشمرت وجعت فكذلك النفس كما قيل لبس ما بال مع كبرك لا تصيد بدك وقد أهدى قال لأنه سريع للريح فاحش الأثر فأخاف أن يجمع في فيوزطني فلأن أحمله على الشهادة أحب إلى من أن يعملني على القواصي . وقال فواتون ما جبت قط إلا عصيت أو عصيت بمعية . وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع إن النوم لما جبت بطونهم جمت بهم فنقسم إلى هذه الدنيا وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد . والله قيل الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن ألمع لا يترك عليه شهوة فضول الكلام فيخلص به من آفات اللسان كالنية والنهي والكذب والتمية وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع اختلج إلى فاكهة فيشكك لهاملاً بأعراض الناس ولا يكتب الناس في النار على منأخرهم إلا حاله ألسنهم . وأما شهوة الفرج : فلا تخفى فائتها والجوع يكثرها وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منته القوى فلا يملك عنه فالمن زنى كما أن الفرج زنى فإن ملكه عنه يفسد الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة وما يشوق به متابعه وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا وإلا لجميع معاصي الأعضاء السبعة سببا القوة الحاصلة بالصبغ قال حكيم كل مرید صبر على السياسة فيصبر على الجحيم البيت سنة لا يخلط به هيتا من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رغب الله عنه مؤنة النساء . القائمة السادسة : دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام معاشر للريدين لا تأكلوا كثيرا قصروا كثيرا فترقدوا كثيرا فحضرنا كثيرا وأجمع رأي سجين صدقنا على أن كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضيع العمر وفوت التجدد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أغنى الجواهر وهو رأس مال العبد فيه ينجر والنوم موت فكثيره ينقص العمر ثم فضية التجدد لا تخفى وفي النوم فواتها ومهما

نفسه وغيره لما السحق  
الصولي مع هذا منافسة  
ومرءا وغل فإن هذا  
معه في طريق واحد  
ووجهة واحدة وأخوه  
وميته ولؤمنون  
كاليان يشد بطنه  
بشا ورجل مفتتح  
يحيى من حمة الجلاء  
والل والرياسة ونظر  
الخلق لما الصولي مع  
هذا منافسة لأنه زهد  
فيا فيه وغبان شأن  
الصولي أن ينظر إلى  
مثل هذا نظر رحمة  
وفطنة حيث يرد  
محجوبا مفتتا فلا  
ينطوى له على خل ولا  
يماريه في الظاهر على  
شيء لعله يظهر نفسه  
الأمارة بالسوء في الرأه  
والمجاهدة . أخبرنا  
الشيخ العالم ضياء الدين  
عبد الوهاب بن علي

غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلوة الباردة ثم للتعب إذا نام على الشبع احتمل وبمنه ذلك أيضا من التبهيد وموجبه إلى التسلسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيقوّه الوتر إن كان قد أخره إلى التبهيد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما شفع عنه على عورة فدخل الحمام فأن فيه أخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك أثر الشبع . وقد قال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتطوّر النفس على حال فالنوم منبع الآفات والشبع جبلة له والجوع مقطعة له . الفائدة السابعة : يحبس اللواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام ويطبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده إلى بيت الماء لكثرة شربه والأوقات المصروفة إلى هذا فوصفها إلى الذكر وللتنجاسة وسائر العبادات لكثرة رمحه . قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه قلت ما حملك على هذا قال إن حسبت ما بين الضغ إلى الاستفاف سبعين تسمية لما مضت الخبر منذ أربعين سنة فافكر كيف أشفق على وقته ولم يصبه في الضغ وكل قض من المر جوهرة خيمة لاقية لما فينبغي أن يستوي منه خزانة باقية في الآخرة لا تآخر لها وذلك بصره إلى ذكر الله وطاعته . ومن جملة ما يتسلط بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقة . ومن جملة الصوم فإنه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة وإنما يستقرها القافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا وطأوا نواجا . يطون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم قافلون - وقد أثار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال : من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلوة للتجاسة وتكثر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع وقيل العبادة وزيادة الشهوات وأن سائر المؤمنين يدورون حول للساجد والشام يدورون حول للزابل . الفائدة الثامنة : يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببا لكثرة الأكل وحصول فضة الأخلاط في اللمة والعروق ثم للرض يمنع من العبادات ويوشق القلب ويمنع من الذكر والتفكير ويمنع السيف ويروج إلى التصدد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن وثقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب من أنواع من المأوى واتقاهم الشهوات وفي الجوع ما يمنع ذلك كله . حكى أن الرعية جمع أربعة أطباء هندي وروى وعراق وسوادى وقال ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لاداء فيه فقال الهندي الدواء الذي لاداء فيه عندي هو الإهليلج الأسود وقال العراقي هو حب الرشاد الأبيض وقال الرومي هو عندي الماء الحار وقال السوادى وكان أعلمهم الإهليلج يمنع اللمة وهذا داء وبب الرعاد يزيل اللمة وهذا داء وللماء الحار يرضي للمة وهذا داء قالوا لما عندك قال الدواء الذي لاداء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تفتشه وأن ترفع يديك عنه وأنت تفتشه فقالوا صدقت . وذكر بعض القلائسة من أطباء أهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم « ثلث الطعام وثلث للشراب وثلث للنفس »<sup>(١)</sup> فصحب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد »<sup>(٢)</sup> وأظن تصحب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن عباس :  
(١) حديث ثلث الطعام تخدم أيضا (٢) حديث البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وهو داء

قال أنا أبو الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجسراحي قال أنا أبو العباس الجبوري قال أنا أبو عيسى الترمذى قال حدثنا زياد بن أيوب قال حدثنا المحاربي عن ليث بن عبد الله عن عكرمة بن ابن عيسى رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا تأمرا أخلاولا تمدد موعدا فتخلقه وفي الخبر « من ترك اللراء وهو بطل يتركه بيت في ريش الجنة ومن ترك اللراء وهو حق بي في وسطها ومن حسن خلقه بي في أعلاها » . وأخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب قال أنا

من أكل خبز الحنطة بحثاً بأدب لم يمتل إلا علة لاوت قيل وما الأدب قال يمد الجوع وترفع قبل الشبع . وقال بعض أفاضل الأطباء إن أضع ما أدخل الرجل بطنه الرمان وأضر ما أدخل معدته اللالج ولأن بطل من اللالج خير له من أن يستكثر من الرمان وفي الحديث « صوموا تصحوا » في الصوم والجوع وتضليل الطعام صحة الأجسام من الاستقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما . القائمة التاسعة : حفة للثقة فإن من تعود قلة الأكل كفاء من المال قدر

يسر والذي تعود الشبع صار بطنه غريباً ملازماً له أخذاً بمخفه في كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل للداخل فيكتسب من الحرام فيصير أو من الحلال قليل وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غايه البذل والقناعة وللؤمن خفيف للثقة . وقال بعض الحكماء إن لأتقى صامة حواشي بالترك فيكون ذلك أروح قلبي . وقال آخر إذا أردت أن استقرض من غيري لهوة أو زيادة استقرضت من تسي قرتك الشهوة نهي خير غريم لي وكان لإبراهيم بن آدم رحمه الله يسأل أصحابه عن سرملأ كولات فيقال إنها غالية فيقولوا رخصوها بالترك . وقال سهل رحمه الله الأكل لمدوم في ثلاثة أحوال : إن كان من أهل البعاده فيكسل وإن كان مكسباً فلا يسلم من الآفات وإن كان بمن يدخل عليه شيء فلا يصف الله تعالى من نفسه . وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تضليل الأكل ما يحسم هذه الأحوال كلها وهي أبواب النار وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم « أدبوا قارع باب الجنة بالجوع » فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الصوات أيضاً وصار حراً ولستى عن الناس واستراح من التعب ونحل لبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين لا تلهم تجارة ولا بيع من ذكر الله وإنما لا تلهمهم لاستغنائهم عنها بالقناعة وأما المحتاج فقلبه لاهلة . القائمة العاشرة : أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اثنيني والمساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته (١) كما ورد به الخبر فما يأكله كان خزائنه الكثيف وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله تعالى فليس للبعد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو ليس فأبقى فالتصدق فضلات الطعام أولى من التخنة والشبع . وكان الحسن رحمه الله عليه إذا تلا قوله تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأغققت منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً - قال عرضها على السموات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت قالت لا ، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامع الصلاب الصاب قال لها هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها ؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت لا ، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه فقد رأيناكم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافاً فإذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وشقوا بها قبورهم وأمتنوا برأفئهم وأهلوا دينهم وأصبوا أعصم بالندوة والرواح إلى باب السلطان يترضون

كل بدن بما اعتاد لم أجده أملاً (١) حديث صوموا تصحوا الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث كل امرئ في ظل صدقته له من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم .

أبو عبد الرحمن  
السهروردي محمد بن  
أبي عبد الله السالبي  
قال أنا أبو الحسن  
عبد الرحمن الداودي  
قال أنا أبو محمد عبد الله  
ابن أحمد الحوي قال أنا  
أبو غسيران عيسى  
السرقتدي قال أنا  
أبو محمد عبد الله بن  
عبد الرحمن الداودي  
قال حدثنا يحيى بن  
بسطام عن يحيى ابن  
حمزة قال حدثنا النعمان  
ابن مكيول عن ابن  
عباس رضي الله عنهما  
قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من  
طلب السلم ليأبى به  
الطاء أو يمارى به  
الشفاه أو يريد أن  
يقبل بوجود الناس  
إليه أدخه الله تعالى  
جهم » انظر كيف

البلاء، وم من الله في عافية يقول أحدم تيمنى أرض كذا وكذا وأريدك كذا وكذا يشكك على  
نحوه ويأكل من غير ما له حديثه سخرة وما له حرام حتى إذا أخذته الكفة وزلت به البطنة قال  
يا غلام انك شي أهضم به طماى بالكع أطعامك تهضم إنما دينك تهضم أين التقية أين الأرمة  
أين للسكين أين اليتم الذى أمرك الله تعالى بهم فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل  
الطعام إلى التقية ليذكر به الأجر فذلك خير له من أن يأكله حتى يضاعف الوزر عليه « ونظر  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل من البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال : لو كان هذا في غير  
هذا لكان خيرا لك (١) » أى لو قدسنته لأخرتك وآثرت به غيرك . وعن الحسن قال والله لقد أدركت  
أثواما كان الرجل منهم يسمى وعنده من الطعام ما يكفيهِ ولو هاء لأكله فيقول والله لأجبل هذا  
كله لبطنى حتى أجبل بضعه لله فلهذا عشر فوائد الجوع يتشعب من كل فائدة فوائده لا ينصر عددها  
ولا تنفد فوائدها فالجوع خزانة عظيمة فوائده الآخرة ولأجل هذا قال بعض السلف الجوع مفتاح  
الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الأخبار التى رويتها  
وبالوقوف على فضيل هذه الفوائد تدرك معنى تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة فإذا لم تعرف هذا  
وصدقت بغض الجوع كانت لك رتبة للتقدين في الإيمان والله أعلم بالصواب .

( بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن )

اعلم أن على المرء في بطنه وما كره أربع وظائف : الأولى أن لا يأكل إلا حلالا فإن العبادات مع  
أكل الحرام كالبكاء على أرواح الجوار وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال  
والحرام وبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تهدير قدر الطعام والبقاء والكثرة وتهدير وقته  
في الإبطاء والسرعة وتعمين الجنس لما كره في تناول اللذات وتركها . أما الوظيفة الأولى : في تقليل  
الطعام فيسيل الرياضة فيه التدرج فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحمله  
مزاجه وضعف وعظمته مشقته فينبى أن يتدرج إليه قليلا قليلا وذلك بأن ينقص قليلا قليلا  
من طعامه للتداع فان كان يأكل رغبين مثلا وأراد أن يرد نفسه إلى رغب واحد فينقص كل  
يوم ربع سبع رغب وهو أن ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا أو جزءا من ثلاثين جزءا  
فيرجع إلى رغب في شهر ولا يستعربه ولا يظهر أثره فان شاء فعل فذلك الوزن وإن شاء بالمعاينة  
فيترك كل يوم مقدار قسمة وينقصه مما أكله بالأس ثم هذا فيه أربع درجات أصحها أن يرد نفسه  
إلى قدر القوام الذى لا يبق دونه وهو حاجة الصديقين وهو اختيار سهل التيسر رحمة الله عليه إذ  
قال إن الله يستبد الخلق بثلاث : بالحياة والنقل والقوة فان خلف البدن على اثنين منها وهى الحياة  
والنقل أو كل وأظن إن كان صاعما وتكافى الطلب إن كان قديرا وإن لم يخف عليهما بل على القوة  
قال فينبى أن لا ياتى ولو ضعف حتى صلى قاعدا ورأى أن صلاحه قاعدا مع نصف الجوع أفضل  
من صلاحه قائما مع كثرة الأكل . وسهل سهل عن بدايته وما كان يفتت به فقال كان قوى في كل  
سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدهم دينا وبدهم دقيق الأرز . وبدهم سننا وأخط الجوع وأسوي  
بته ثلثة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أنظر عليها قليلا فالساعة كيف تأكل قال بغير حد  
ولا توقيت . ويحكى عن الرهايين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام . الدرجة الثانية  
أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم واليلة إلى نصف مد وهو رغب وثنى مما يكون الأرمة منه منا

(١) حديث نظر إلى رجل من البطن فأومأ إلى بطنه بأصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان  
خيرا لك أحمد و ك في السندرك والبيق في الشعب من حديث جملة الجمهور وإنساده جيد .

جبل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم للبارلة  
مع السقاء سببا  
لذخول النار وذلك  
بظهور تقوسهم في طلب  
الآهر والقلبة والقهق  
والقلبة من صفات  
الشيطة في الآدى .  
قال بعضهم : المبادل  
المارى يتبع في نفسه  
منه الخوض في  
الجدال أن لا يتبع  
بشيء ومن لا يتبع إلا  
أن لا يتبع لما إلى  
تقاعته سيل فض  
الصوى تبدلت صفاتها  
وفذهب عنه صفة  
الشيطة والسببية  
ويبدل بالبين والرفق  
والسهولة والطمانينة  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « والذى شئى  
بيده لا يسلم عبدا

ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأثريين كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق القيتان لأن هذه الصيغة في الجمع قلقة فهو لما دون الشرة وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع قم أو تسع قم . الدرجة الثالثة : أن يردح إلى مقدار للدوهو رغبان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأثريين ويكاد يقبض إلى ثلث البطن وثيق ثلث القتراب ولا يبقى شيء للذكر وبسبب الألفاظ ثلث المذكور بدل قوله لنفس . الدرجة الرابعة : أن يزيد على الثلث إلى الن ويحب أن يكون ما وراءه للن إسرافاً عاتفاً قوله تعالى ولا تسرفوا أي في حق الأثريين فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالنفس والشخص والعمل الذي يشغل به وهناك طريق خامس لا تشدد فيه ولكنه موضع غلط وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض به وهو على شهوة صادقة بهد ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغبان أو رغبين فلا يقبض به أحداهان الجوع الصادق ويشبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر الجوع الصادق علامات : إحداها أن لا تطالب النفس الأكل بل تأكل الحيز وسدده بشهوة أي خبز كان لهما طلبت نفسه خبزاً بينه أو طلبت أدماء فليس ذلك بالجوع الصادق وقد قيل من علامته أن يصق فلا يقع الدباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسومة فبدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك فامض بالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يفضي عن العبادة التي هو بسددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوة لم يوطئ الجلبة فتدبر الطعام لا يمكن لأنه يختلف بالأحوال والأشخاص ، نعم قد كان قوت جماعة من الصالحين بأصابع من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا أقرأوا منه صاعاً ونصفاً وصالح الخطة أربعة أمداً فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرناه أنه قدر ثلث البطن واحتيج في القدر إلى زيادة لسقوط الثوب منه وقد كان أبو د رضى الله عنه يقول طمأني في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيد عليه شيئا حتى أتناه فاني سمعته يقول « أقربكم من مجلسي يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم » (١) وكان يقول في إنكاره على بعض الصالحين بقدر غيرهم يخل لكم الشير ولم يكن يخل وخبرتم بالرق وجسمتم بين إدامين واختلف عليكم بألوان الطعام وهذا أحدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ وكان قوت أهل الصفه مدان من بين اثنين في كل يوم (٢) وللد رطل وثلث ويسقط منه الثوب . وكان الحسن رحمه الله عليه يقول للؤمن مثل النبيذ يكتبه الكف من الحشف والتبضة من السوق والجرعة من الماء والنفاق مثل السبع الضاري بلما بلما وسطا سطرا لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤرخاء فضله وجهوا هذه الفضول أمامكم . وقال سهل لو كانت الدنيا دما سيطا لكان قوت للؤمن منها حلالا لأن أكل للؤمن عند الضرورة بقدر القوام قط . الوظيفة الثانية : في وقت الأكل ومقدار تأخيرها وفي أيضا أربع درجات : الدرجة الأولى : يطوى ثلاثة أيام ثم فورها وفي الرذين من رد الرينة إلى الطري لا إلى القدر حتى انتهى مضهم إلى ثلاثين يوما وأربعين يوما ونهت إلى جماعة من النساء يكثر عدمهم منهم محمد بن عمرو والقرني وعبد الرحمن بن إبراهيم ورحيم وإبراهيم الحمصي وحجاج بن فراسة وحسن السابلي الحمصي وللهم ابن حديد وزهير وسليمان الخواص وسيل بن عبد الله التستري وإبراهيم بن أحمد الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستة أيام وسكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام

(١) حديث أبي د أن أقربكم من مجلسي يوم القيامة وأجسكم إلى من مات على ما هو عليه اليوم أحد في كتاب الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله وأجسكم إلى وهو منقطع (٢) حديث كان قوت أهل الصفه مدان من ثوبين اثنين في كل يوم ك وصح إسناده من حديث طلحة البصري .

حتى يعلم قلبه ولسانه  
ولا يؤمن حتى يأمن  
جاره بواقته ، انظر  
حكيف جعل النبي  
صلى الله عليه وسلم من  
شرط الاسلام سلامة  
القلب والسان وروى  
عنه عليه السلام أنه  
مر يقوم وم يعدون  
سجرا قال ما هذا قالوا  
هذا حجر الأهداء  
قال ألا أخبركم بأحد  
من هذا رجل كان  
بينه وبين أخيه غضب  
فأخذ قلب شيطانه  
وهيطان أخيه فسلمه  
وروي أنه جاء غلام  
لأبي ذر وقد كسر  
رجلها فقال أبو ذر  
من كسر رجل عليه  
الشفة قال أنا قال ولم  
فلت ذلك قال عبدا  
فلت قال ولم قال  
أخطئك تقضرين

وكان أبو الجزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا . وروى أن الثوري ولزمهم بن آدم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا كل ذلك كانوا يستمتعون بالجلوع على طريق الآخرة . قال بعض العلماء من طوى في أربعين يوما ظهرت له قدوة من للسكرت أي كوغف بعض الأسرار الإلهية . وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة من يملص قذا كره بحاله وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من التوروث فكله في ذلك كلاما كثيرا إلى أن قال له الرهبان إن السبع كان يطوى أربعين يوما وإن ذلك معجزة لأنكون إلانني أوسدني فقال له الصوفي فإن طويت خمسين يوما ماتت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق وأنتك على باطل ؟ قال نعم تجلس لا يريح إلا حيث يره حتى طوى خمسين يوما ثم قال وأزبدك أيضا فطوى إلى عام السنين فصبب الرهبان منه وقال ما كنت أظن أن أحدا يجاوز السبع فكان ذلك سبب إسلامه وهذه درجة عظيمة قل من يملأها إلا كاشف همول هقل عهايدة ما قلته من طيه وعاده واستوفى نفسه في الله وأسلمه جوعته وحاجته . هذه الثانية : أن يطوى يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة . الدرجة الثالثة : وهي أدناها أن يقتصر في اليوم واليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومدامة للشبع حتى لا يكون له حلة جوع وذلك قبل القرنين وهو يسمين السنة فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تقضى لم يتشرب وإذا أخصى لم يشد (١) وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تأكلوا من السرف لأن كثرين في يوم من السرف وأكلة واحدة في كل يومين إقتاروا كلفه في كل يوم قوامين ذلك (٢) وهو الحمد في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سرفا بل طامع السرف فيكون أكلة بعد التهجيد وقبل الصبح فيحصل له جوع التبارك بالصيام وجوع الليل بقيام وخلو القلب لفراف اللذة ورقة الفكر واجتماع الملم وسكون النفس إلى اللذات فلا تنازع له قبل وقته . وفي حديث حاتم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قياكم هذا طوطان كان يقوم حتى تورم قدماء وما واصل وصالحكم هذا قط غير أنه قد أخر القطر إلى السحر (٣) وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يواصل إلى السحر (٤) فإن كان يشتت قلب الصائم بعد التقرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجيد فالأولى أن يقسم طعامه نصفين فإن كان رفيقين مثلا أكل رفيقا عند القطر ورفيقا عند السحر لتسكن نفسه ويغنى بدنه عند التهجيد ولا يشتد التبارجوعه لأجل التسحر فيستعين بالرفيق الأول على التهجيد والثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويغسل يوما فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذا الطريق موافق الأكل وتباعده وتجاربه . الوظيفة الثالثة : في نوع الطعام وترك الأدام وأكل الطعام مع البر فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه غير منتول وأدناها غير . يستعمل وأعلى الأدم اللحم والخالوت وأدناه للثع

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان إذا تقضى لم يتشرب وإذا تقضى لم يشد لم أجده له أصلا  
(٢) حديث قال عائشة لأمك والاسراف في (٣) حديث حاتم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قياكم هذا قط وإن كان يقوم حتى ترلع قدماء رولمن مختصرا كان يصلى حتى ترلع قدماء واستاده جيد (٤) حديث عائشة كان يواصل إلى السحر لم أجده من فطوره عما هو من قوله فأياكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر رولمخ من حديث أبي سعيد وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه .

فأثم قال أبو ذر لأغظن من حرك على غيظي فأعته . وروى الأصمعي عن أعسراني قال إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد غلب أقربهما إلى هواله فإن استعسر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه أبي الفضل قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي قال أنا خورشيد قال نا إبراهيم بن عبد الله قال نا أحمد بن محمد ابن سلم قال نا الزبير ابن بكر قال نا سعيد ابن سعد عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم قال



والحل وأوسطه اللزورات بالأدهان من غير لحم وعادة سالكى طريق الآخرة الامتناع من الإدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات لأن كل لذيذ يشتبه الإنسان وأكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وأنسا به بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره اللوث ولقد الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون للوث سببنا له وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سببنا عليه ومضيئا له فاشتبهت نفسه الأكلات منها فيكون للوث إظلالها وإليه الاغارة يقول يحيى ابن معاذ حيث قال الممائر الصديقين جو عوا أنفكم لولية القردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا تطول بإعادته فذلك يعظم التواب في ترك الشهوات من اللباحات وسظم الخطر في تناولها حتى قال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة (١) » وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يمس ومن دأب عليه أيضا فلا يمس بتأوله ولكن تربي نفسه بالنجم فتأنس بالله في تألف اللذات وتسمى في طلبها فيجرها ذلك إلى اللامسى فهم شرار أمي الدين مع الحنطة يقومون إلى إتمام أمور تلك الأمور مماس وقال صلى الله عليه وسلم « شرار أمي الدين أخذوا بالنجم ونبتت عليه أجسامهم (٢) » وإنما همته ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في السلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فان ذلك يملك من كثير الشهوات وقد افترد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتحرين النفس عليها ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ورأوا منع الله تعالى منه فاية السادة حتى روى أن وهب بن منبه قال التقى ملكان في السماء الرابعة قال أحدهما للآخر من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لسهة الله وقال الآخر أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العايد فيهذا نبيه على أن يسميه أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بسل وقال اعزلوا عن صاحبنا فلاعبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما أوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتى محكة طرية فالتصت به بالمدينة فلم يوجد ثم وجدت بمد كذا وكذا فاشتريت له بدوم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل بل الباب فقال للخدم لها برغيفها وادفنها إليه فقال له الخدم أصلمك الله قد اشتيتها منذ كذا وكذا فلم يجدها فتأوجدها اشتريتها بدوم ونصف فحنن نعليه فمحا قال لها وادفنها إليه ثم قال للخدم لعلها لك أن تأخذ درهما وتركها قال له فاعطاه درهما وأخذها وأتى بها فوضعا بيديها وقال قد أعطيت درهما وأخذتها منه فقال لها وادفنها إليه ولا تأخذ منه الدرهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من لبناء

(١) حديث شرار أمي الدين يأكلون مع الحنطة لم أجده أصلا (٢) حديث شرار أمي الدين أخذوا بالنجم الحديث ابن عدى في الكامل ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال المارقي في الملل إنه أهله بالصواب ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به (٣) حديث نافع أن ابن عمر كان مريضا فاشتى محكة الحديث وفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنما امرئ اشتى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له أبو الشيخ ابن جبان في كتاب الأبواب باسناد ضيف جدا ورواه ابن الجوزي في الموضوعات .

« ثلاث منيات وثلاث مهلكات فأما للنجيات غفية الله في السر والعلانية والحكم بالحلي عند غضب والرضا والاقتصاد عند الفقر والنفي وأما للمهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإهمال للرب بنفسه » والحكم بالحلي عند غضب والرضا لا يصح إلا من عالمه بأن أمير على نفسه يصرفها بقل حاضر وقلب يقطن ونظر إلى الله بحسن الاحتساب . هل أنهم كانوا يتوشأون عن إبداء السلم يقول بعضهم لأن أتوا من كلة خبيثة أصب إلى من أن أتوا من طعام طيب . وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الحديث

اشتريت ثمرا فأليت أن لاتأكله أبدا فسلت ودخلت فإذا هو وحده ومرا أبو حازم يوما في السوق  
فراى الفاكهة فاشتريها فقال لانه اشتريتها من هذه الفاكهة لاقطوعة للمنوعة فلما ذهب إلى الفاكهة  
التي لاقطوعة ولا منوعة فلما اشتريتها وآتى بها إليه قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتريت وغلبتني  
حتى اشتريت والله لاذنيت فبعت بها إلى يثامى من الفقراء ، ومن موسى الأشج أنه قال قسى قسيتي  
ماجا جريها منذ عشرين سنة ، وعن أحمد بن حنبل قال قسى قسيتي منذ عشرين سنة ما طلبت  
منى إلا للاء حتى تروى في أرويتها ، وروى أن عتبة القلام اشتري لحا سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال  
استعجبت من قسى أن أداها منذ سبع سنين سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وهو يثا  
وتركتها على رفيف فقلت صيا قلت ألت أنت ابن فلان وقد مات أبوك قال بلى فلو أنه إياها قالوا  
وأقبل يكي وقرا - ويطمون الطعام على حبه مسكينا ويثا وأسيرا - ثم لم يلقه بعد ذلك وسكت  
يقضى ثمرا سنين فلما كان ذات يوم اشتري ثمرا بقرط ورفقه إلى الليل ليفطر عليه قال فبعت ربح  
عديدة حتى أظلمت الدنيا فخرج الناس فأقبل ثمة على قسه يقول هذا لجرأتى عليك وشرائى التمر  
بالبقرط ثم قال لنفسه ما أظن أخذ الناس إلا بدنبك على أن لا تموت فيه . واشتري داود الطائي نصف  
فلسي قلا وبغلس خلا وأقبل ليته كلها يقول لنفسه ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة ثم  
لم يأكل بعده إلا قنارا وقال عتبة القلام يوما لنبذ الواحد بن زيدان فلما نصف من قسه منزلة ما أعرها  
من قسى قال لأنك تأكل مع خبزك ثمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا قال فان أنا تركت أكل التمر فمفرت  
تلك للزلة قال لم وغيرها فأخذ يكي فقال له بعض أصحابه لا بكي الله عينك أهل التمر يكي قال  
عبد الواحد دمه فان قسه قد مرفت صدق عومه في التمر وهو إذا ترك شيئا لم يماوده . وقال جعفر بن  
نصر أمرني الجند أن أشتري في الثين الوزري فلما اشتريته أخذ واحدة عندا فطور فوضها في فم  
ثم ألقاها وجعل يكي ثم قال احده فقلت له في ذلك قال حنف في حاضما ما كسحتي تركته من أجل  
ثم تعود إليه ، وقال صالح المري قلت لسعد السرياني تكلفك شيئا فلا ترد على كرامق قال افعل  
ما تريد قال فبعت إليه مع ابنى عربية من سوق قذنته بسمن وعسل فقلت لاتبجح حتى يجرها فلما  
كان من القذ جعله نحوها فرمها ولم يجرها فحابتة ولته على ذلك وقلت سبحان الله وردت على  
كرامق فلما رأى وجدى ذلك قال لا يسوءك هذا إلى قد شريتها أول مرة وقد راودت قسى في المرة  
الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك كما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى - سبحانه ولا يكاد يسيئه -  
الآية . قال صالح فبكيت وقلت في قسى أنا في داود وأنت في داود آخر ، وقال السري السقطي نفسى منذ  
ثلاثين سنة تطاير أن أحسى جزيرة في ديس في أطمعنا . وقال أبو بكر الجلاء أعر فجل جاحول له  
قسه أنه أصبر لك على طى - حشرة أهام وأطمعني بعد ذلك شهوة أشتريها فيقول لها لا أريد أن تطوى  
حشرة أهام ولكن اتكى هذه الشهوة . وروى أن عابدا دعا بعض إخوانه فحارب إليه رخصا فجل  
أخوه قلب الأرض ليقار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت أن في الرخيف الذى  
رغبت منه كذا وكذا حكمة وحمل فيه كذا وكذا صالما حتى استدار من السحاب الذى يحمل للاء  
وللاء الذى يبقى الأرض والريح والهائم وبى آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا قلبه  
ولا ترضيه وفى الخبر « لا يستدبر الرخيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صالما أولهم  
ميكائيل عليه السلام الذى يكيل للاء من خزائن الرحمة ثم للاملكة التى ترحى السحاب والشمس والقمر  
والأنفلك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الحماز - وإن قدوا نعمة الله لا تعصوها - (١) »

(١) حديث لا يستدبر الرخيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثة وستون صالما أولهم ميكائيل

عابدا رضى الله عنهما  
من اقم والتضب قال  
مخرجها واحد واللفظ  
يشتت فن تازع من  
يقوى عليه أظهره  
غضا ومن تازع من  
لا يقوى عليه كنهه  
حزنا والمرد غضب  
أيضا ولكن يستعمل  
إذا قصد للضوب عليه  
وإن كان الغضب على  
من يشا كله وعمله  
من يتردد في الاقدام  
منه يتردد القلب بين  
الاقضاض والانبساط  
فيكون منه القلب والمقد  
ولا يأتى بمثل هذا إلى  
قلب الصوفى قال الله  
تعالى - وزعنا ما لى  
صدورهم من خل -  
وحالة قلب الصوفى  
وحاله يلقف زيد القل  
والحد كالمقلف البحر  
أريد لما فيه من تلاطم

القراح فعل الدنيا وأهلها العمار<sup>(١)</sup> أشار إلى أن التصودرة أم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التمس بقاء الدنيا ، ويبلغ عمر رضى الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام قال عمر لمولى له إذا عشت أنه قد حضر عشاؤه فأعطين فأعطيه فدخل عليه فحرق عشاؤه فأتوه يزيد لهم فأكل معه همهم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف حمريه وقال الله يا يزيد بن أبي سفيان ألعام بعد طعام والى شى حمريه لأن خالقهم من ستمهم ليخالفن بك عن طريقهم ، وعن يسار بن حمير قال ما خلعت لسر دقيقاً قط إلا وأنا له طامس ، وروى أن حبة التلام كان يمين دقيقه ويخفه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يربأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب وكان يأخذ الكوز فيعرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاه له يا حبة لو أعطيتي دقيقك غلبته لك وردت لك الماء فيقول لها يا أم فلان قد شررت عن كلب الجوع . قال شقيق بن إبراهيم : قتبت لإبراهيم ابن آدم بكة في سوق الليل عند موله التي صلى الله عليه وسلم يكنى وهو جالس بناحية من الطريق فدخلت إليه وقعدت عنده وقلت إني هذا البكاء يا أبا إسحاق فقال خير فافوته مرة واثنين وثلاثاً فقال يا شقيق استر عليّ قلت يا أختي قل ما شئت فقال لي اغتبت شى منذ ثلاثين سنة سكباجاً فأنفها جهدي حتى إذا كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني الناص إذا بقى هاب بيده فلع أخضر يابو منه فخر ورائحة سكباج قال فاجتمعت بهمي عنه فحرقه وقال يا إبراهيم كل قلت ما أكل فذكرتني لله من وجل فقال قد أطعمك الله كل فإكلني جواب إلا آتى بكيت فقال لي كل رحمة الله قلت قد أمرنا أن لا نطرح في مواضعنا إلا من حيث تعلم فقال كل فأكلك الله فأما أعطيتي قديلي أخضر اذهب بهذا وأطعمه شى إبراهيم بن آدم قد رحمة الله من طول صبرها على ما بهلها من منها . اعلم يا إبراهيم آتى سمع ثلاثتك يقولون من أعطى ظم يأخذ ظم فبسط قلت إن كان كذلك فما أنا بين يديك لأهل القدر مع الله تعالى ثم التفت فإذا أنا بقى آخر تأوله هيتا وقال يا أخضر قمه أنت فم يزل يلقى حتى نعت فالتفت وسلاوة في فمى ، قاله شقيق قلت أرى ككف فأخذت بكفه فقبلها وقلت يامن يطعم الجائع النسيوات إذا مصحوا للنع يامن يقدح في الضمير اليقين يامن يعطي قاربهم من عمة أرى لشقيق عندك حالا ثم رقت يد إبراهيم إلى الجاء وقلت قد ر هذا الكف عندك وقد صاحبه وبالجدوى وجد منك جد على عبيدك التقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك قال قرام إبراهيم ومشى حتى أدر كنا البيت . وروى عن مالك بن دينار أنه بن أربعين سنة يشتمى لبنا فلهما كله وأهدى إليه يوماً طيب قال لأصحابه كلوا فإذته منذ أربعين سنة . وقال أحمد بن أبي الخوارى : اشتهى أبوسليمان البزازى رغيفاً حاراً فبلغ جثته به إليه ففنى منه ضمة ثم طرحه وأقبل يكنى وقال جهلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي ولشفتون قد عجزت على التوبة فألقني قال أحمد فأرأته أكل للبح حتى لقي الله تعالى ، وقال مالك بن خنيم مررت بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل قالت لى شى لو أمتعتي إليه من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إليه أربعين ليلة ، وبكت مالك بن دينار بالبصرة خسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بصرة قط وقال يا أهل البصرة عشت فيكم خسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بصرة فما زاد فيكم ما ضعن منى ولا قص منى ما زاد فيكم وقال طقت الدنيا منذ خسين سنة اغتبت شى لبنا منذ أربعين سنة فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى وقال حماد بن أبي حنيفة أنبت داود الطائي والباب مفتوح عليه فسمعت يقول شى اغتبت جزراً فأطعمتك جزراً ثم

حدثان حدث من  
فركك وحديث من  
فيك فلا عمل حيوة  
الوقت والحلم إلا القصب  
وخرج من حد العدل  
إلى الدوان يتجاوز  
الحديث القصب يوردم  
القلب فان كان القصب  
على من لونه مما يميز  
عن إخاذ القصب فيه  
ذهب الفم من ظاهر  
الجهد واجتمع في القصب  
وسببته الملم والحزن  
والانكاد ولا ينطوى  
الصوى على مثل هذا  
لأنه يرى الحوادث  
والإعراض من الله  
تعالى فلا يشك ولا يثتم  
والصوى صاحب الرضا  
صاحب الروح والراحة  
والتي عليه السلام  
أخبر أن الملم والحزن  
في الشك والسخط .  
سئل عبيد الله بن

(١) حديث إذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعل الدنيا وأهلها العمار أي يمتصرون  
الدهلي يمسند القردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضيف .

وقال بعضهم أثبت تماماً الجرجى فسأته عن الزهد أي شيء هو فقال أي شيء سمعته فعدت أقوالاً  
فكنت قلت وأي شيء تقول أنت فقال : اعلم أن البطن دنيا البد فقدر ما يملك من بطنه يملك من  
الزهد وقد مر ما يملكه بطنه يملكه الدنيا ، وكان يمر بن الحارث قد اعتل مرة فأتى عبد الرحمن  
الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من لأ كولات فقال تسألني فإذا وصفت لك لم تجبل من قال مفسدني حتى  
أصع قال كسر بكم كسبينا وتمس سرجلا وتأكل بعد ذلك اسفد باجا فقال له جبره لم شيئا أقل  
من السكجيين يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال المندبا بالحل ثم قال أعرف شيئا أقل  
من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف قال ماهو قال الخروب الشاي قال تصرف شيئا أقل  
من الاسفد بلج يقوم مقامه قال لا قال أنا أعرف ماء الحن يسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن  
أنت أعلم على من بالعب فلم تسألني ، قد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من  
الأوقات وكان امتنعهم لقوائد التي ذكرناها وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم  
يرضوا لأقسام إلا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سلمان للتح شهوة  
لأن زيادة على الحيز وماوراء الحيز شهوة وهذا هو التباية ، فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يضل عن  
شبهه ولا يهتم في الشهوات فكفي بالمره إسرا أن يأكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه فينبغي  
أن لا يواطع على أكل اللحم . قال على كرم الله وجهه من ترك الصيام بين يوميه خلقه ومن دام  
عليه أربعين يوما تساقطه ، وقيل إن اللدومة على اللحم ضراوة كضراوة الحجر ومهما كان جالما واتقت  
شبهه إلى الجلع فلا يبنى أن يأكل ويجمع فيعطى شبهه شويتين فتقوى عليه ويرى ما يطلب النفس  
الأكل لينشط في الجماع ، ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غلتين فيفاد القنور ويسوقه  
لذلك ولكن ليمد أولي جلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب إلى الفكر ، وفي الحديث : أذيوها طامحك  
بالذكر والصلاة ولا تموا عليه فتسوقوكم (١) وأكل ذلك أن يمس أربع ركعات أو يسبح مائة  
تسبيحة أو يقرأ جزءا من القرآن غيبا كله ، فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياءها وإذا شبع  
في يوم وأصه بالصلاة والذكر وكان يقول أشبع الزنجي وكده ومرة يقول أشبع الجار وكده ومهما  
أغنى شيئا من الطعام وطيبات القوا كه فينبغي أن يترك الحيز ويأكلها بدلا منه لتكون قنولا لا تكون  
ضكها لئلا يجمع لنفس بين عاقبة شهوة . فظهر إلى ابن سالم وفي يده خبز وتم قال له ابدا بالقر فان  
قامت كفائتك به وإلا أخفت من الحيز يده بقدر حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وخليطا فليقدم اللطيف  
فانه لا يشتهي اللطيف بده ولو قدم اللطيف لأكل اللطيف أيضا لطافته وكان بعضهم يقول لأصحابه  
لأناكلوا الشهوات فلانأ كلتموها فلان طلبوها فلان طلبتموها فلان فلوها هو طلب بسن أنواع الحيز شهوة  
قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليها ما أتينا من العراق فأكهة أحب إلينا من الحيز فرأى ذلك الحيز  
فاكهة ، وعلى الحلة لا مبدل إلى إجمال النفس في الشهوات للباحات وإتباعها بكل حال فقدر ما يستوفى  
البدن من شهوة يخشى أن يقال له يوم القيامة أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها --  
وقدر ما يجاهد شبهه ويترك شهوة يتبع في الدار الآخرة يشبهوا به قال بسن أهل البصرة نازعتن شئ  
خبز أرم وسما فتنها قوت مطالبتها واشتدت مجاهدتها لها عشرين سنة فقامت قال بعضهم رأيت  
في المنام قهقما فقل الله بك قال لا حسن أن أسفد لقائي به ربي من أقيم والكلمات وكان أول شيء  
استيقظ به خبز أرم وسما قال كل اليوم شهوة كنت عني غير حسابه وقد قال تعالى - كلوا واشربوا هنيئا  
البدن من أجله أصلا (١) حديث أذيوها طامحك بالصلاة والذكر ولا تموا عليه فتسوقوكم طس  
وابن السني في اليوم واليلة من حديث عائشة بسند ضعيف .

أمواج الأنس والهيبة  
وإن كان الغضب على  
من دونه عن يقدر على  
الانتقام منه ثار دم  
القلب والقلب إذا ثار  
دمه يحمر ويقسو  
ويتصلب وتصلب عنه  
الركة والياض ومنه  
تحمز الوجنتان لأن  
الدم في القلب ثار وطلب  
الاستعلاء وانقضت  
منه العروق فظهر  
مكه وأثره على الحد  
فيندب الحدود حيث  
بالضرب والشم  
ولا يكون هذا في  
الصوف إلا عند تلك  
الحرمان والغضب قد  
تعالى فأما في غير ذلك  
فينظر الصوفي عند  
التغلب إلى الله تعالى  
ثم تهاه تحمه على أن  
يذن حركته وقوه

بما أسلفتم في الأيام الحالية - وكانوا قد أسلفوا ترك الشهوات وقد قال أبو سليمان ترك شهواتك الشهوات أضع قلب من صيام سنة وقيامها وقتنا الله لما يرضيه .

( بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه )

اعلم أن للطلوب الأخصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها ولا طرفي قصد الأمور ذميمة وما أردناه في فضايل الجوع ربما يومي\* إلى أن الأطراف فيه مطلوب وهيئات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأخصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في التمتع على وجه يومي\* عند الجاهل إلى أن الطلوب مضادة ما يفضيه الطبع ببناء الامكان والعالم يدرك أن القصد الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع يضيئ أن يدع غاية الجوع حتى يكون الطبع باعنا والشرع مانعا فيقاومون ويحصل الاعتدال فإن من يجدد على قبح الطبع السكينة بيد فيعلم أنه لا يتهبى إلى الثانية فانه إن أسرف سرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضا ما يبدل على إفساده كما أن الشرع بالغ في التواء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم أنه يسوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه (١) فإذا صرفت هذا فافهم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يبعس بقول للعدة ولا يبعس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلا فإن مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة البادية ونقل للعدة يمنع من البادية وألم الجوع أيضا يشغل القلب ويمنع منها فالتقصود أن يأكل أكلا لا يقي لفساد كونه فيا لم يكن محتسبا للملازمة فأنهم مقدسون عن نقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان الاعتدال بهم وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الأخصى المبدع هذه الأطراف للتعاقب بالرجوع إلى الوسط مثال نعمة أقيمت في وسط حلقة فجميع حلل النار مطروحة على الأرض فإن النخلة تهرب من حرارة الحلقة وهي محطة بها لا تضر على الخروج منها فلا تزال تهرب حتى تستقر في المركز الذي هو الوسط فهو مائة مائة على الوسط لأن الوسط هو أبعد الواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحطة فكذلك الشهوات محطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالثقل والملازمة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمح للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص فأعياه أحواله بهم البعد وأبعد الواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال للتعاقب وعنه مير بقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها » (٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى - واكلوا واشربوا ولا تسرفوا - ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له البادية فالتفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خلقه ولكن هذا بعد اعتدال الطبع أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحاً متشوقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط فالاعتدال لا ينشأ بل لا بد من التباقي في إيلامها بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل فإذا ارتاضت واستوتت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريد بما لا يضايقه هو في نفسه فيأمره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعوا كقول الشهوات وقد لا يتبع هو منها لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان أغلب أحوال الناس الشره والشهوة والجأح والانتعاج من البادية كان الأصلح لها الجوع الذي يحس بألمه في أكثر الأحوال لتكسر نفسه والقصد أن تتكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في النداء أيضا إلى الاعتدال وإعسا

(١) حديث النبي عن صوم الدهر كله وقيام الليل كله فهدم (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مرسل وقد هدم .

عيزان الشرع والعدل  
وبهم النفس يعلم  
الرضا بالقضاء ، قبل  
لبعضهم : من أفسد  
الناس نفسه قال  
أرضاهم بالمقصور  
وقال بعضهم أصبحت  
وملى سرور لإمواقع  
القضاء وإذا أهيم  
الصوفى النفس عند  
التعب تدبره العلم  
وإذا لاح علم الصلح  
قوى القلب وسكنت  
النفس وعاد دم القلب  
إلى موضعه ومقره  
واعتدل الحال وفاضت  
حرارة الخلد وبانت  
فضيلة العلم قال عليه  
السلام « السمات  
الحسن والتؤدة  
والاقتصاد جزء من  
أربعة وعشرين جزءا  
من النبوة » . وروى  
حارثة بن قدامة قال

يحتاج من ملازمة الجوع من سلك طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحق أما الصديق فلا يستقامه فيه على الصراط السقيم واستقامته عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق وأما للمغرور فافلتته بنفسه أنه الصديق للسخي عن تأديب شه الطمان بها خيرا وهذا مغرور عظيم وهو الأغلب فإن النفس قلما تأديب تأديبا كاملا وكثيرا ما تفرق فتتفرق إلى الصديق ومساخنة شه في ذلك فيسارع شه كالمرضى ينظر إلى من قد صم من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك والذي يدل على أن تدهور الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في شه وإنما هو مجاهدة نفس متناهية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تدهور وتوقيت لطعامه قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقول لا يظطر ويظطر حتى يقول لا يصوم <sup>(١)</sup> وكان يدخل على أمه فيقول « هل عندك من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني إذن صائم <sup>(٢)</sup> » وكان يقدم إليه الشيء فيقول « وأما إني فقد كنت أردت الصوم ثم يأكل <sup>(٣)</sup> » وخرج <sup>(٤)</sup> يوما وقال « إني صائم قال له عائشة رضي الله عنها نادى ينادي يا يحيى فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه <sup>(٥)</sup> » وذلك حكم عن سهل أنه قيل له كيف كنت في بدايتك فأخبر بصروب من الرياض منها أنه كان يفتات وربي التبق مدة ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكر أنه أفتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين قيل له فكيف أنت في وقتك هذا فقال أكل بلاحد ولا توقيت وليس للراد بقوله بلاحد ولا توقيت أي أكل كثيرا إلى أن لا أقدر بقدر واحد ما أأكله وقد كان معروف الكرخي يهدي إليه طيات الطعام فيأكل قيل له إن أأكل جبرا لأياك مثل هذا قال إني أخشى جبرا قبضه الورع وأنا بسطني للفرقة ثم قال إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطمعني أكلت وإذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتحيز ودفع إبراهيم بن آدم إلى بني إخوانه دراهم وقال خذ لنا بهلله درهم زيدا وعسلا وخبزنا حواريا قليل يأبأ يسحق بهذا كله قال ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال وأصنع ذات يوم طعاما كثيرا ودعا إليه غرا يسيرا فهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري يأبأ يسحق أما تخاف أن يكون هذا إسرافا قال ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في لباس والأثاث قال في أخذ الطعام من البائع والتقل تخليدا يرى هذا من إبراهيم بن آدم ورسم عن مالك بن دينار أنه قال ما دخل بيتي للحم منذ عشر سنين . وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يمس جزرة في دبس فما فعل فبره متناظرا فيتحير أو يقطع بأن أحدهما خطيء والبصير بأسرار القول يعلم أن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال ثم هذه الأحوال المختلفة يسميها طعن غطاء وفيه مغرور فيقول المختلط ما أنا من جملة العارفين حتى أسمع ضيق فليس نفسي أطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهؤلاء من المتبينين عن الشهوات فيقتضي بهم وللغرور يقول ما عسى بأعسى على من نفس معروف

(١) حديث عائشة كان يصوم حتى يقول لا يظطر ويظطر حتى يقول لا يصوم متفق عليه (٢) حديث كان يدخل على أمه فيقول هل عندك من شيء فإن قالوا نعم أكل وإن قالوا لا قال إني صائم وقد تروى حسنة وبن من حديث عائشة وهو عندكم كاسيات (٣) حديث كان يقدم إليه الشيء فيقول أما إني كنت أردت الصوم البيهقي من حديث عائشة بلفظ وإن كنت قد فرضت الصوم وقال إسناده صحيح وعندكم قد كنت أصبحت صائما (٤) حديث خرج وقال إني صائم فقالت عائشة يا رسول الله قد أهدى إني جاسي فقال كنت أردت الصوم ولكن قريه بلفظ قد كنت أصبحت صائما وفي رواية له أنه بعد فقد أصبحت صائما فأكل وفي لفظ البيهقي إني كنت أريد الصوم ولكن قريه .

قلت يا رسول الله أوصني وأقلل لني أعيه قال لا تنضب فأعاد عليه كل ذلك يقول لا تنضب قال عليه السلام « إن الصب حرة من النار ألم تنظروا حمرة عينه واستماع أوداجه من وجد ذلك منك فإن كان قائما للعباس وإن كان جالسا فليطعمه » . أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب ابن حنبل قال أنا أبو الفتح المروزي قال أنا أبو نصر الترمذي قال أنا الجراحي قال أنا أبو محبوب قال أنا أبو حمزة الترمذي قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا بشر بن الفضل عن قرة بن خالد عن أبي حمزة عن ابن عباس رضي الله

الكرخي وإبراهيم بن آدم قدس سرهم وأرفع التقدير فما كولى فانا أيضا نضيف في درمولاى فالى ولا اعتراض ثم إنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أوفى ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واحتفل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحق بل رفع التقدير في الطعام والقيام وأكل الشهوات لا يسل إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنوبة فيكون بينه وبين الله علامة في استزماله واشباهه ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والمادة بالكيفية حتى يكون أكله إذا أكل على طاعة يكون إسكاه بنية فيكون عاملا لله في أكله وإقطاره فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضى الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب السدل وبأكله <sup>(١)</sup> ثم لم يقس خصه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة مخروجة بمسل جعل يدير الاتاء ويقول أشربها وتذهب حلوها وتبقى بغيرها عزولوا عن حياها وتركها وهذه الأسرار لا يجوز لشخص أن يكشفها مهربا بل يقتصر على مدح الجوع قسط ولا يدعو إلى الاعتدال فانه يقتصر لاحالة مما يدعو إليه فينبغي أن يدعو إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكره أن العارف الكامل يستثنى عن الرضا فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيأق إلى كل ساعة أنك طرف كامل وما الذى فالك من العرفة والكامل بل كان من مادة إبراهيم الخواص أن يخوض مع الريد في كل رياضة كان يأمر بها كيلا يخطر بباله أن الشيع لم يأمر بما لم يفعل فيفتره ذلك من راضته والقوى إذا احتفل بالرضا وإصلاح الغير فزعم الزول إلى حد الضغاء تضبابهم وتلطفا في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأتبياء والأولياء وإذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالعزم والاحتياط يبنى أن لا يترك في كل حال ولذا أديب عمر رضى الله عنه ولقد عبد الله إذ دخل عليه فوجده بأكل لحما مأدوما يسمن فعلاه بالردة وقال لأما لك كل يوما خبزاً ولحماً ويوما خبزاً ويوما سمناً ويوما خبزاً وزيتاً ويوما خبزاً وملحاً ويوما خبزاً فقاراً وهذا هو الاعتدال فأما للراغبة في العلم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة العلم بالكيفية إفتار وهذا قول بين ذلك والله تعالى أعلم .

( بيان آفة الرياء للطريق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام )

اعلم أنه يدخل في تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات : إحداهما أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فقتلها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهي فيخفى الشهوة وبأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذا هو الشرك الحق . سئل بعض الصفاء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقبله هل تعلم به بأما قال يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة وهذه آفة عظيمة بل حتى العبد إذا ابتلى بالشهوات وحيا أن يظهرها فان هذا حديق الحال وهو بدل من فوات المجاهدات بالأعمال فان إخفاء النفس وإظهار شهده من الكمال هو ههنا من متضاعفان والكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لتقنين ولا يرضى منه إلا بتوبتين حادقتين ولذلك عده أمر للناقين ضال تعالى - إن للناقين في الشرك الأسفل من النار - لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وسفر كان ستره لكفره آخر لأنه استغنى بنظر الله سبحانه وتعالى إلى تابه وعظم نظره الخلوين لما الكفر عن ظاهره والعارفون يتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يتلون بالرياء والتقى والاخفاء بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من حبه الشهوة إسقاطا لمزقه من تقوى الحق وكان بينهم يشترى الشهوات ويقلها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تليس حاله ليصرف

(١) حديث كان يحب السدل وبأكله متفق عليه من حديث عائشة كان يحب الحلواء والسلم الحديث وفيه قصة شربه السدل عند بعض نساءه .

عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد الفيس إن فيك خصلتين يحبهما الله تعالى الحلم والأناة ومن أخلاق الصوفية التوود والتألف وللواقعة مع الاخوان وترك الحالة قال الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - أعداء من الكفار رحماء بينهم - وقال الله تعالى - لو أنفقت مالى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم - والتوود والتألف من اختلاف الأرواح على ماورد في الخبر الذى أوردناه في أمارف منها التللف قال الله تعالى - فأصحبهم فصحبته

عن شمه قلوب الثافين حتى لا يشعرون عليه حاله فتباهي ازهد : الزهد في الزهد باظهار زنده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذابين وهذا قد حمل على النفس تهليل وجرحها كأس العبر مرتين مرة جرح به مرة فلا جرم أولئك يؤتون أجرام مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطى جهرا فيأخذ ويرد سرا ليكسر قسه بالكل جهرا وبالقسر سرا فمن تابه هذا فلا يبنى أن يشوه إظهار شهوته وقصاته والصدق به ولا ينبغي أن يضره قول الشيطان إنك إذا أظهرت اتدنى بك غيرك فاستره اصلاحا لتبرك فانه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح شمه أم عليه من غيره قبلنا إنما قصد الرياء المجرد وروجه الشيطان عليه فيعرض لإصلاح غيره فذلك هل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من اطلع عليه ليس يتدنى به في الفضل أولا ينجز باقتضائه أنه تارك للشهوات .

الآلة الثانية : أن لا يتدنى على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالخشف عن الشهوات قد خالف شهوة شقية وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة حمي شرمها وهي شهوة الجاه وملكها الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من قسه فكسر هذه الشهوة أكد من كسر شهوة الطعام فكأنه فهو أولى له قال أبو سنان إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركها لها فأصبتها شيئا يسيرا ولا تقطع نفسك منها فتكون قد أخطعت عن نفسك الشهوة وتكون قد قصت عليها إذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإني أظهرت شهوتها أطمعها منها وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت المزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أطلبها منها شيئا وهذا طريق في غلبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقر بفرع إلى حية لأن شهوة الرياء أضمر كثيرا من شهوة الطعام والله ولي التوفيق .

## ( القول في شهوة الفرج )

اعلم أن شهوة الفرج سلطت على الإنسان قائمتين : إحداهما أن يدركه فيقبس به لذات الآخرة فإن هذه الوقوع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد كالأنار والآلها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى مساندتهم وليس ذاك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة فإن ما لا يدرك بالقوى لا ينظم إليه الشوق .

القائمة الثانية : بقاء السلب ودوام الوجود فلهذه قائمتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الله من والدنيا إن لم تضبط ولم تنهر ولم ترد إلى حد الاعتدال وقد قيل في تأويل قوله تعالى - ربنا ولا تمصنا ما لاطاقة لنا به - معناه هذه القوة . وعن ابن عباس « في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الله ذكر » وقد أسندته بعض الرواة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه قال في تفسيره « الله ذكرنا دخل وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله <sup>(١)</sup> » وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه « أعوذ بك من شر محمي وحصري وقلي وحني ومني <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام « النساء حبال الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال <sup>(٣)</sup> » روى أن موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه أوامرا فلما دنا منه خلع البرنس فوسعه ثم أمه فقال السلام عليك يا موسى قال لموسى من أنت فقال أنا إبليس فقال لا حيلة لك إلا بالله فما لك بالحق لا سلم عليك فتركك من الله ومكانتك منه قال فما الذي أرى عليك قال برنس أخطف به قلوب بني آدم قال فما

إخوانه - وقال سبحانه وتعالى - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - وقال عليه السلام « لا يؤمن آلف مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » وقال عليه السلام « مثل المؤمنين إذا اتفيا مثل البدين متصل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنا ولا استغاد أحدهما من صاحبه خيرا » وقال أبو إدريس الخولاني لما دلى إلى أسبك لله قال أشير أشير ثم أشير فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كرامى حول العرش يوم القيامة وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس

- (١) حديث ابن عباس موقوف ومسنود في قوله تعالى - ومن شر غاسق إذا وقب - قال هو قيام الله ذكر وقال في أسند الله ذكر إذا دخل هذا حديث لأصله (٢) حديث الهيم إلى أعوذ بك من شر محمي وحصري وقلي ودينى تنعم في المصوات (٣) حديث النساء حبال الشيطان الأصمها في الترغيب والترهيب من حديث خالد بن زيد الجهني بإسناد فيه جهالة .



التي إذا صنعها الإنسان استحوذت عليه قال إذا أخرجته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وأحذر  
ثلاثاً لا تفل بأمرأة لا تفل لك فاته ما خلا رجل بأمرأة لا تفل له إلا كنت صاحباً دون أصابي حتى أقتنه بها  
وأقتنها به ولا تعاهد الله عبداً إلا وفيته به ولا تخرج من صدقة إلا مضيتها فأنما أخرج رجل صدقة فلم يضفها  
إلا كنت صاحباً دون أصابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به ثم لي وهو قول أبو ليثاء علم موسى ما عذر  
به بن آدم . وعن سعيد بن السيب قال ما بيت الله نبياً فيها خلا إلا لميأس إليس أن يهلكها للناس ولا  
شيء أخوف عندى منهن وما بالمدينة بيت أمه إلا بيتي وبيت ابني أغسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال  
بعضهم إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى وأنت سمي إلى أرى به فلا أضل . وأنت موضع  
سرى وأنت رسول في حاجتي نصف جندى وأنت سمي إلى أرى به فلا أضل . وأنت موضع  
وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفریط واعتدال فالإفراط ما يظهر العقل حتى يصرف همه لرجل إلى  
الاستمتاع بالنساء والجوارى فيحرم عن سلوك طريق الآخرة وأظهر الدين حتى يجرى إلى اتعاطي القواصص  
وقد يتبى إفراطها بطائفة إلى أمرين خفيين : أحدهما أن يتناولوا ما يقوى شهواتهم إلى الاستكثار من  
الوقوع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوى المعدة لتعظم شهوة الطعام ومماثال ذلك أن كان ابتلى  
ببيع ضارية وحيات عادية فنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإفارتها وتيسبباً ثم يشغل بأصلاها  
وعلاجها فان شهوة الطعام والوقوع على التحقيق آلام يرد الإنسان الخلاس منها فيدرك لغة بسبب  
الخلاص . فان قلت فقد روى في غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شكوت إلى  
جبرائيل نصف الوقوع فأمرني بأكل الحريصة <sup>(١)</sup> » فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يمتنع من  
وجوب عليه تحصين بالامتناع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلب القرة لهدا الاقتنع .  
والأمر الثاني أنه قد تنهى هذه الشهوة بعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجبل بما وضع له الوقوع وهو  
مجازفة في البيعة لحد البهائم لأن التشقق ليس يفتح باراق شهوة الوقوع وهي أضعف الشهوات وأجدرها  
أن يستعيا منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقض إلا من عمل واحد والبيعة تنقض الشهوة أين اتفق  
نكحي به وهذا لا يكتفى إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذلوعبودية إلى عبودية وحتى  
يستعسر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما  
العشق إلا سمة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لأمه وإغما يجب الاحتراز من أوائله بترك  
معاودة النظر والفكر وإلا فإذا استحكم عسر دفعه فكذلك عشق السال الجاد والعارف والأولاد حتى  
حب القلب بالطيور والترد والشرطي فان هذه الأمور قد تستولى على طائفة بحيث تنسى عليهم  
الدين والدنيا ولا يصرون عنها أئمة . ومثال من يكثر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من صرف  
عنان الهابة عند توجهها إلى باب فئده وما أهون منها صرف عناتها ومثال من يبالغها بمد  
استعصامها مثال من يترك الهابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنها ويجرها إلى يورأها وما أعظم  
التفاوت بين الأمرين في اليسر . والصرف ليسكن الاحتياط في بدليات الأمور فأما في آخرها فلا قبل العلاج  
إلا يصعد جريد يكاد يؤدي إلى نزاع الروح فاذن إفراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو  
مذموم جداً وتفرطها بالهنة أو بالنصف عن امتناع فتسكو حلو هو أيضاً مذموم وإنعاصم هو أن تكون  
متصلة ومطية للعقل والشرع في اتهاضها وانسائها ومهما أنزلت فكسرها بالجوع والنكاح قال

(١) حديث شكوت إلى جبرئيل نصف الوقوع فأمرني بأكل الحريصة القليل في الضمائم طس من  
حديث حليفة وقد تقدم وهو موضوع .

وم لا يزغون وعاف  
الناس وم لا يزغون  
وم أولياء الله الذين  
لا خوف عليهم ولا هم  
يعزون قيل من هؤلاء  
يلرسول الله قال  
للتحابون في الله . وقيل  
لوتحاب الناس وتعاظوا  
أسباب المحبة لاستنوا  
بها من العداة . وقيل  
العدالة حليفة المحبة  
تستعمل حيث لا توجد  
المحبة وقيل طاعة المحبة  
أفضل من طاعة الرجة  
فان طاعة المحبة من  
داخل وطاعة الرجة  
من خارج ولهذا لقى  
كانت محبة الصوفية  
مؤمنة من البس في  
البس لأنهم لم ياتوا  
في الله أو صوامع من  
الأخلاق ووقع القول  
بينهم لوجود المحبة  
فانتفع قلبك الرید

صلی الله علیه وسلم « معاشر الشباب علیکم بالیاء فمن لم یستطع فبایه بالصوم فالصوم له وجاء » (١).

( بیان ماثل الرید فی ترک الزوج وفه )

اعلم أن الرید فی ابتداء أمره ینبغی أن لا یشتغل نفسه بالزواج فان ذلك یشتغل بها عن الله ولا یشره كثرة نكاح رسول الله  
صلی الله علیه وسلم فانه كان لا یشتغل قلبه بجمیع ما فی الدنیا عن الله تعالی (٢) فلا تقاس للامانة  
بالحدادین وقد قال أبو سلیمان الدارانی من تزوج فقد ركن إلى الدنیا وقال ما رأیت مریدا تزوج  
تثبت على حاله الأول وقول له مرة ما أوجبك إلى امرأة تأنس بها فقال لا آتسق الله بها أى إن  
الأنس بها ینزع الأنس بالله تعالی وقال ایضا كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فخر علیك  
مشغول فكیف تقاس غیر رسول الله صلی الله علیه وسلم به وقد كان لستراقه حب الله تعالی بحيث  
كان یجد اختراقه فیہ إلى حد كان یحس منه فی بعض الأحوال أن یرسئ ذلك إلى قلبه فقدمه  
فذلك كان یضرب یدیه على غلظه عاشة أحيانا ویقول کلینی بإعانة لشفه بکلامها عن عظم ما هو  
فی تصور طاعة الله عنه (٣) قد كان طبعه الأنس بالله عز وجل وكان أنه بالخلق عارضا رقا  
یدنه ثم إنه كان لا یطبق الصبر مع الخلق إذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال أرحنا بها بإبل (٤) حتى  
یسود إلى ما هو قره عنه (٥) قال شیف إذا لاحظ أحواله فی مثل هذه الأمور فهو مبرور لأن الأقدام  
تتصرع عن الوقوف على أسرار أفعال صلی الله علیه وسلم فصرط الرید العزبة فی الاشتهاء إلى أن  
یقرب فی المرأة هذا إذا لم تغلب الشهوة فان غلبته الشهوة فلیکسر هاجلها بالجمع الطویل والصوم الدائم  
فان لم تتقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا یقدر على حفظ البین مثلا وإن قدر على حفظ الفرج  
فانکح له أولى لتسکن الشهوة وإلا فهما لم یحفظ عنه لم یحفظ علیه فکفره ویترقی علیه همه  
وربما وقع فی بلیة لا یطيقها وزنا البین من كبار المسافر وهو یؤدی فی القرب إلى السکر قالوا حاشا  
وهی زنا الفرج ومن لم یقدر على غرض بصره لم یقدر على حفظ فرجه قال عیسی علیه السلام إذا کم  
والنظرة فانها تزعم فی القلب شهوة وكفی باقتة. وقال سمید بن جبر إسماعیل بن قتيلة أودع علیه السلام  
من قبل النظرة ولذلك قال لاینه علیه السلام بأى امس خلف الأسد والأسود ولا تمس خلف المرأة  
وقیل لیحی علیه السلام ما بهد إرنا قال النظر والتقی. وقال الفضیل یقول یلیس هو قوس القذبة  
وسهی الله لا أخطئ به ینى النظر وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم « النظر من سبهم مسوم ومن  
سما إلیس فمن تركها خاف من الله تعالی أعطاه الله تعالی إسماعیل بن جبر إسماعیل بن قتيلة أودع علیه السلام  
صلی الله علیه وسلم « ما تركت بدی فتة أضرب على الرجال من النساء (٦) » وقال صلی الله علیه وسلم  
« اتقوا فتنة الدنیا وفتنة النساء فان أول فتنة ینى إسرائيل كانت من قبل النساء (٧) » وقال تعالی  
« قل للمؤمنین یضوا من أیمانهم - الآية » وقال علیه السلام « لكل ابن آدم حظ من إرنا قال فیان

بالشیع والأخ بالآخر  
ولهذا المعنى امر الله تعالی  
باجتناب الناس فی کل  
یوم خمس مرات فی  
الساجد أهل كل دهر  
وكل حمة ولی الجامع  
فی الأسبوع مرة أهل  
كل بلد وانضم أهل  
السواد إلى البلدان فی  
الأعیاد فی جمیع السنة  
مرتین وأهل الأقطار  
من البلدان للفرقة  
فی العمر مرة للجمع کل  
ذلك لحکم بالفة منها  
تأکید الألفة والودة  
بین المؤمنین وقال علیه  
السلام « المؤمن للمؤمن  
كالذین یشد بینه  
بینه » أخبرنا أبو زرعة  
قال أنا وأبو الفضل  
قال أنا أبو نصر محمد بن  
سلیمان المدنی قال أنا  
أبو طاهر محمد بن محمد  
ابن حمش الزیادی قال

تزيان وزناها النظر واليدان تزيان وزناها البطن والرجلان تزيان وزناها الشئ والضمير تزيان وزناها القبة والقلب يهيم أو يتهنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه (١) وقالت أم سلمة «استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وميمونة جالستان قال عليه السلام احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يصيرنا فقالوا نأنا لا يصيرناه (٢) وهذا يدل على أنه لا يجوز لفتاة بحالة العيبان كما جرت به العادة في اللآثم والولائم فيحرم على الأعمى الخلو بالفتاة وبمهرم على المرأة بحالة الأعمى ومحمد بن النظر إليه لغير حاجة وإنما يجوز لفتاة عادية الرجال والنظر إليهم لأجل محرم الحاجة وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالتكحل أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالكحل والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر قلبه بهيال صورة الأمرد بحيث يدرك الفترة بينه وبين اللتحي لم يحل له النظر إليه . فإن قلت كل شيء يدرك الفترة بين الجليل والقيح لا محالة ولم ترد وجوه الصبيان مكشوفة . فأقول لست أضمن فترة العين قط بل ينبغي أن يكون إدراك الفترة كإدراك الفترة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأوراقها وشجرة تساقطت أوراقها فإنه يميل إلى إحداها ويمتنع وطبعه ولكن ميله خاليا عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتحياتها ولا خيل لآلئ الصافي وكذلك الشئ الحسن قد يميل العين إليها ويدرك الفترة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها فترة لاشهوة فيها ويعرف ذلك بيل النفس إلى القرب وللإمالة فهما وجد ذلك الليل قلبه وأدرك فترة بين الوجه الجليل وبين النبات الحسن والأزهار والفترة للفتنة والفتنة لفتنة ففتنة نظر شهوة فهو حرام وهذا مما يتناول به الناس ويحرم ذلك على الماطي يوم لا يشعرون . قال بعض التابعين ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب التامس من غلام أمرد يجلس إليه . وقال سفيان لو أن رجلا عبث بفتاة بين أصابع من أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لوأطا . وعن بعض السلف السكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لو طوبون : صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يهابون فاذن آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فهما مجر المرء من غرض جسمه ومنطق فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالكحل قرب من لا يمكن توافيقها بالجوع . وقال بعضهم : غلبت على شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثر التضييق إلى الله تعالى فرأيت شخصا في المنام فقال مالك فشكوت إليه فقال جدم إلى فتقدمت إليه فوضع يده على صدرى فوجدت بردها في قواصي وجسمي جسمى فأصبحت وقد زال ما بي فقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فأكثر الاستشارة فأتاني شخص في المنام فقال لي أحب أن يلعب بامهده واضرب عنك قلت نعم فقال مد رقبتي فمدحتني فجرد سيفا من نور فغضب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أولاده منه فرأيت كأن شخصا في بين جنبي وصدرى ضابطني ويقول وعلمك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يصبره قال فزويت فاضطج ذلك عنى وولوى لي ومهما احتاج للمرء إلى التكحل فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء التكحل ودوامه أما في ابتداءه فبأنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالمعروف الواجبة كما فعلنا جميع ذلك في كتاب آداب التكحل فلا نطول بإعادته وعلامة صدق إرادته أن يسكن فتيرة متدنية ولا يطلب

(١) حديث لكل ابن آدم حظه من الرزق فالمتان تزيان الحديث م حق واللفظ له من حديث أبي هريرة وافق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه (٢) حديث أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى وأنا وميمونة جالستان قال عليه السلام احتجبا قلنا أو ليس بأعمى لا يصيرنا فقالوا نأنا لا يصيرناه .

أنا أبو العباس عبد الله  
ابن يعقوب الكرماني  
قال حدثنا يحيى  
الكرماني قال حدثنا  
حماد بن زيد عن حماد  
ابن سعد عن الشعبي  
عن الثعالب بن بشير  
قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يقول « لا إنا مثل  
للؤمنين في توادهم  
وتحاجهم وتراحمهم  
كمثل الجسد إذا  
اشتكى عضو منه تضامى  
سأره بالسهر والحمى »  
والنكاح والتودد  
يؤكدان أسباب الصحة  
والصحة مع الأخيار  
مؤثرة جدا . وقد قيل  
لقاء الإخوان قلع  
ولا شك أن البواطن  
تلتصق ويتقوى البصر  
بالبصر بل بمجرد النظر  
إلى أهل الصلاح يؤثر

الثنية . قال بعضهم : من تزوج غنية كان له منها خمس خصال : مخالاة الصداق وتسوية الزفاف وفوت الحمدة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لمقدروها على ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك . وقال بعضهم ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقه بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الحلق . تزوج بمن للريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استجبت للمرأة وهكت ذلك إلى أبيها وقالت قد خيرت في هذا الرجل أناني منزله منذ سنين مازھيت إلى الخلا . قط إلا وحمل الباء قبل إليه . وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال لها قرب زفافها أصابها الجذري فاعتد حزن أهلها لذلك خوفا من أن يستحبها فأرغم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم أراهم أن يصره فذهب حتى ذقت إليه فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنة ثم توفيت فقتع عينه حين ذلك قبله في ذلك قال تصدع له أجل أهلها حتى لا يجرؤوا قبله فقبضت إخوانك بهذا الحلق . وتزوج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصير عليها قبيله لم لا تطلقها فقالوا أخشى أن يتزوجوا من لا يصير عليها فيتأذى بها فان تزوج للريد فكذلك ينبغي أن يكون وإن قدر على ترك فهو أولى إذا لم يكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم أن ذلك يشغله عن حاله كما روى أن محمد بن سليمان الهامسي كان ملك من غة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم فكتب إلى أهل البصرة وعلمها في امرأة يتزوجها فأجمعوا كلهم على رابعة المدوية رحما لله تعالى فكتب إليها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن الله تعالى قد ملك من غة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تحصى الأيام والليالي حتى أعما مائة ألف نسوة أميرك مثلها ومثلها فأجيبني فكتبت إليه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الرهد في الدنيا راحة القلب والبدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فإذا أتاك كنيابي هذا فهي زائد وقدم لحامك وكن وصي نفسك ولتجمل الرجال أوصيائك فيقسموا تراثك قسم النهر وليكن طرفك لاوت وأما أنا فلأن الله تعالى خلقني أمثال الذي خلوك وأما ما عسرني أن أشتغل عن الله طرفة عين . وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو قصان فلينظر للريد إلى حاله وقلبه فإن وجد في الزوجة فهو الأقرب وإن هجر عن ذلك فالتكاح أولى به ودواء هذه الملة ثلاثة أمور : الجوع وغض البصر والاشتغال يشغل على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالتكاح هو الذي يستأمل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات قال سعيد بن السيب ما أيس إيليس من أحد إلا وأناه من قبل النساء . وقال سعيد أيضا وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يحشو بالأخري ماضى أخوف عندي من النساء . وعن عبد الله بن أبي وداعة قال كنت أجالس سعيد بن السيب فحدثني أياما لها أبنته قال ابن كنت ؟ قلت توفيت أمي فاشتغلت بها فقال علا أخبرني ففعلتها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل لمستحدثت امرأة قلت برحمك الله تعالى ومن زوجني يوما أمك لإدراهمين أو ثلاثة فقال أنا قتلت وضل ؟ قال نعم بمحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال قصتوما أدري ما أصنع من الفرح نصرت إلى منزلي وجعلت أفسركم عن آخذ وعن امتدني فصليت القرب وانصرفت إلى منزلي فأمرجت وكنيت صائغا قدمت عشائي لأفطر وكان خيرا وزيتا وإذا بي يفرح فقلت من هذا ؟ قال سعيد قال فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن السيب وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال خرجت إليه ناديا به سعيد بن السيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد لو أوسدت إلى لأنتيك فقال لا أنت أحق أن تؤذي قلت لها تأمر قال كنت رجلا عزبا فزوجت فكرهت أن أيتك إلى عهده وحده هذه امرأةك وإذا هي قاتلة خلفه في طوله ثم أخذ يدها

صلاحوها وانظر في الصور يؤثر أخلاقا مناسبة لخلق للتطور إليه كدوام النظر إلى المحزون يحزن ودوام النظر إلى السرور يسر . وقد قيل من لا يشمك لحظه لا ينمك لفظه والجلل السردود بصير ذلولا بمقارعة الجلل القول بالمقارنة لها تأثير في الحيوان والنبات والجماد واللاء والهواء فيسدان بمقارنة الجيف والزرود تنقي عن أنواع السروق في الأرض والنبات لموضع الاقتصاد بالمقارنة وإذا كانت المقارنة مؤثرة في هذه الأشياء ففي النفوس الصرخة البشرية أكثر تأثيرا وصي الانسان إنسانا لأنه يأبى بمبارله من خير

فدفعها في الباب ورده فسقطت المرأة من الحياء فاستوتحت من الباب ثم تهمت إلى القصة التي فيها الحزن والارث فوضعتها في ظل الرراج لكيلا تراه ثم صعدت السطح فرميت الحيران بقاء ووقوا لها ما شاءت قالت ومحمد زوجي سعيد بن السيب ابنته اليوم وقد جاء بها اليقة على خفة فقالوا أوسع يد زوجك ؟ قلت نعم قالوا وهي في الدار ؟ قلت نعم فزولوا إليها بلغ ذلك أمي فجاءت وقالت دعيني من وجهك حرام إن مستها قبل أن أصلها إلى ثلاثة أيام قال قالت ثلاثاً ثم دخلت بها فذاهي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم سنة رسول الله ﷺ وأعرفهم حق الزوج قال فسكتن شهراً لا يأتيهن سعيد ولا آتيه فلما كان بعد الشهر آتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام لم يكلفني حتى تفرق الناس من المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت ضرب يا أبا محمد على ما يجب الصديق ويكره العدو قال إن رايك منه أمر فدونك والعسا فاضرفت إلى منزلي فوجه إلى بشر بن أنس درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن السيب علة قد خطبها منه عبد الله بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن تزوجه فلم يزل عبد الله يحال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف فاستجمل سعيد في الزفاف تلك اليقة يسرفك غائلة الشهوة وجوب البادرة في الدين إلى تطفئه نارها بالكحل رضي الله تعالى عنورحمه.

( بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين )

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الحيوان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستعيا منه ورغى من اتحماه وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما الجور أو الخوف أو الحياء أو المحافظة على جسمه وليس في شيء من ذلك ثواب فانه إثار حط من حظوظ النفس على حظ آخره ، نعم من الصمة أن لا يقدر في هذه العوائق فائدة وهي دفع الآثم من تركها تانديع عنه إثمه بأي سبب كان تركه وإثما القتل والتواب الجزل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وإرضاع الواقع وتيسر الأسباب لاسيا عند صدق الشبهة هذه درجة الصديقين وذلك قال صلى الله عليه وسلم : من عشق فصف فحكم فمات فهو شهيد (١) وقال عليه السلام «سبعة يظلهم الله يوم القيامة أخاف الله رب العالمين (٢) وقصة يوسف عليه السلام واستاعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها امرورة وقد أنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمحنة الشيطان في هذه الشهوة البطيخة . وروى أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً فدخلت عليه امرأة فسأته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه قال سليمان فرأيت تلك اليقة في المنام يوسف عليه السلام وكان أقول له أنت يوسف قال نعم أنا يوسف الذي همت وأمت سليمان الذي أتى بها أهل إلى قوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - وعنه أيضاً ما هو أحب من هذا وذلك أنه يخرج من المدينة حجاباً ومعه رفيق له حتى يزلا بالأبواء فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئاً وجلس سليمان في المحلة وكان من أجل الناس وجهاً وأورعهم قيصرت به أعرابية من قلة الجبل واعجبرت إليه حتى وقتت بين يديه وعليها البرقع والقنازان فأسفرت عن وجهها كأنه فلق قمر وقالت

(١) حديث من عشق فصف فحكم فمات فهو شهيد له في التاريخ من حديث ابن عباس وقال أنكر على سويد بن سعيد ثم قال يقال إن يحيى لا ذكر له هذا الحديث قال لو كان في عمر وسوم غزوت سويداً ورواه الحرطلي من غير طريق سويد بسند فيه نظر (٢) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وفروا وآتوا التوبه  
مستجاب للمزيدون  
العزلة والوحدة تحمد  
بالنسبة إلى أراده  
الناس وأهل السر  
فأما أهل العلم والصفاء  
والوفاء والأخلاق  
الحيدة فيتم مقارنتهم  
والامتناس بهم  
استئناس بالله تعالى  
كأن عينهم حجة الله  
والجامع معهم  
المطوع غيرهم رابطة  
الطبع فالصوفى مع غير  
الجنس كائن بآئ ومع  
الجنس كائن مغاير  
وللؤمن مرآة للؤمن  
إذا نظر إلى أخيه  
يستشف من ودام أقواله  
وأحواله وأحواله  
تجليات إلهية وسميات  
وتلوحات من الله  
الكريم خفية فابت  
عن الأخيار وأدركها

أهنتي فظن أنها تريد طعاما فقام إلى فلاة السفر ليعطيا قالت لست أريد ما يكون من الرجل إلى أهله قال جهزك إلى إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخفى النجيب فلم يركبني فلما رأته منه ذلك سدت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها وجاء رفيقه فرآه وقد انضمت عيناه من البكاء واقطعت حلقه فقال ما يبكيك ؟ قال خذ كرت صبيح قال والله إنك قصة إنما عهدك بصبيحتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الأعرابي فوضع رقيقته السفر وجعل يبكي بكاء عديدا فقال سليمان وأنت ما يبكيك ؟ قال أنا أحق بالبكاء منك لأنني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزل يباينان فلما انتهى سليمان إلى مكة فسمي وطاف ثم أتى الحجر فاحتضى بثوبه فأخذته عنقه فقام وإذا رجل وسم طوله له هارة حسنة ورأحة طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت ؟ قال أنا يوسف قال يوسف الصديق فلم قال إن في شأنك وعان امرأته التي زلزلها فقال له يوسف هاتك وهذان صاحب الأيوأه أحب . وروى عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انطلق ثلاثة نفر من مكان قبلكم حتى أقاموا البيت إلى غار فدخا فاعترضت صخرة من الجبل فسد عليهم النار فقالوا إنه لا ينبيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى يصلح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لأغني قباهما أهلا ولا مالا فأخى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى تأما ظلمت لهما خبوتهما ووجدتهما نائمين فكرهت أن أغيب قباهما أهلا ومالا فلبثت والقبح في يدي أنظر لسيقتلهما حتى طلع التجر والصبية يتضاغون حول قسي فاستيقظا فصربا فبوقها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فاعترجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه وقال الآخر : اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة تم من أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى أمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيناها مائة وعشرين دينارا على أن تحل بي وبني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت اتقي الله ولا تنقض الحاتم إلا بحقه فصرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلى وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فاعترجت الصخرة عنهم فبرأهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجرا وأعطيتهم أجورهم فغير رجل واحد فانه ترك الأجر الذي له وذهب فحيث له أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أعطني أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرفيق فقال يا عبد الله أتجزأ بي فقلت لا أستجزئ بك غنمه فاستأجره وأخذه كله ولم يترك منه شيئا اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فاعترجت الصخرة فجاءني عيشون <sup>(١)</sup> فبدا لي أن لا تقبل منهم هو عسر من حيث إنه قد يستهان بولايتهم الخوف منه والآفات كلها منه ونشأ والنظر الأولي إذا تم بعد لا يؤاخذ بها وللمودة يؤاخذ بها قال <sup>(٢)</sup> « لك الأولى وعليك الثانية » أي النظرة . وقال العلامة بن زياد لا تتبع بصرك ودام للراة فإن النظر يزدع في القلب شهوة وقلبا يغلو الإنسان في تردده من وقوع البصر على النساء والصبيان فهما متماثل إلى الحسن فحاضى الطبع للمودة وعنده يفتنى (أو يفرق) نفسه أن هذه المودة عين الجهل فانه إن حقق النظر فاسمح من ثارته الشهوة وهجر عن الوصول فلا يحصل له

(١) حديث ابن عمر انطلق ثلاثة نفر من مكان قبلكم حتى أقاموا البيت إلى غار فذكر الحديث بطوله روله خ (٢) حديث لك الأولى وليست لك الثانية أي النظرة دت من حديث بريدة قاله لمي قالت حديث غريب .

أهل الأنوار . ومن أخلاق الصوفية شكر المحسن على الإحسان والبداءة وذلك منهم مع كمال توكلهم على ربهم وصفاء لوجدهم وقطعهم النظر إلى الأخيار ورويتهم التمس من لثم الجبار ولكن يملكون ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم على ماورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال « ما من الناس أحد آمن علينا في هيبته وذات يده من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال ما خفى مال كمال أبي بكره فالحق حبيبوا عن الله بالحق في التبع والملاءم فالصوفي في

إلا التحسر وإن استسبح لم ياتئذ وتأم لأنه قصد الاندفاع قد فعل ما أكله فلا يخاف في كلتا حائتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر ومهما حفظ المين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فان انحطت عينه وحفظ الفرج مع التحكم ففلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق قد روى عن أبي بكر بن محمد الله الزني أن صاباً أولع بجارية بعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فبعها وراودها عن نفسها فقالت له لا تضل لأنا أشهد حياتك منك لي ولكي أخاف الله قال فأنت تخافينه وأنا لا أخافه فرجع ثانياً فأصابه العطش حتى كاد يهلك فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال مالك قال العطش قال فقال حتى ندعو الله بأن نقتلنا سحابة حتى ندخل القرية قال مالي من حمل صالح فأدعو فأدعو أنت قال أنا أدعو وأمن أنت على دعائي فدعا الرسول وأمن هو فأظلمت سحابة حتى أتيا إلى التربة فأخذ الصاب إلى مكانه فالت سحابة معه فقال له الرسول زحمت أن ليس لك عمل صالح وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلمت سحابة ثم بهتكت تخبرني بأمرك فأخبره فقال الرسول إن التائب عند الله تعالى يمكن ليس أحد من الناس بكافه . وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال كان همدنا بالكوفة شاب متبذد لازم للسجد الجامع لا يكاد يفارقه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمعت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك فلما كان ذات يوم وقتته على الطريق وهو يريد السجد فقالت لياحق اسمع حتى كملت أكلك بها ثم اعمل ما هلكت نفسي ولم يكلمها ثم وقتته بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له ياحق اسمع حتى كملت أكلك بها فأطرق ملياً وقال لها هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون التهمة موضعاً فقالت له والله ما وقتت موقفك هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لفتك في مثل هذا الأمر بنفسى لم عرف أن القليل من هذا ضد الناس بكثير وأتم معاشي العباد على مثال التوابين أدنى شيء يسيب وجهي ما أتول لك إن جوارحي كلها مشغولة بك قاله الله في أمري وأمرك قال ففنى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فالتى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أيها المرأة أن الله عز وجل إذا صام العبد علم فإذا حاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فإذا لبس لها ملايسها غضب الله تعالى لنفسه فضية تضيق منها السموات والأرض والجيال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فاني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وقصير الجبال كالهنون وتنجو الأمم لسوءه الجبار العظيم وإلى الله قد ضفت عن إصلاح نفسي كيف يصلح غيري وإن كان ما ذكرت حقاً فاني أدلك على طيبه حتى يداوى السكوم للمرضة والأوجاع للرمضة ذلك الله رب العالمين فأصديه بسحق للساعة فاني مشغول عنك بقوة تعالى - وأنذرهم يوم الآفة إذ القلوب لدى الحناجر كالظلم من الظلمين من حميم ولا تنصع بطاع . يعلم خاتمة الأعين وما غشى الصدور - فإني لله رب هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بألم فوقفت له على الطريق فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله كيلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا تكن للفتى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى ثم بكيت بكاء مديناً وقالت سأله الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسأل ما قد عسر من أمرك ثم إنها بيته وقالت امنن على جموعة أحملها عنك وأوصني يومئذ اعمل عليها فقال لها أوصيك بحفظ نفسك من هلكة ما أذكرك قوة تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويحياكم ما رحمكم بالتالي - قال فما طرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم إنها أقافت وقرئت بينها وأخذت في العبادة فلم تزل على

الابتداء بغنى عن الخلق  
ويرى الأعيان من الله  
حيث طالغ ناصيته  
التوحيد وخرق  
الحجاب الذي منع  
الخلق من صرف  
التوحيد فلا يثبت  
للخاني من ولا عطاء  
ويحببه الحق عن الخلق  
فإذا ارتقى إلى ذروة  
التوحيد يشكر الخلق  
بعد شكر الحق ويثبت  
لهم وجوداً في الشئ  
والعطاء بعد أن يرى  
السبب أولاً ولذلك  
لسعة حبه وقوة  
معرفته يثبت الوسائط  
فلا يهيج الخلق عن  
الحق كرامة للسجين  
ولا يهيج الحق عن  
الخلق كآرب الآفة  
والبشدين فيكون  
شكره الحق لله للتم  
وللعلى والسبب

ذلك حتى ماتت كذا فكان النبي يدكرها يد موشى ثم يسكى فيقال له م بكأوك وأنت قد أبأسها من فسك ؟ يقول إني قد ذهبت طمعا في أول أمرها وجلت قبطتها ذخيرة في عند الله تعالى فأنا نسجي منه أن أسترده ذخيرة ادخرتها عنده تعالى . ثم كتاب كسر الشوبين بحمد الله تعالى وكرمه . يتلو إنشاء الله تعالى كتاب آفات اللسان . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليما كثيرا .

### ( كتاب آفات اللسان )

( وهو الكتاب الرابع من ربيع للملكات من كتاب إحياء علوم الدين )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعده والممه نور الإيمان فخره به وجهه وعلو البيان قدمه به وفضله وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكله ثم أرسل عليه سقرا من رحمته وأسبه ثم أهدى بلسان يترجم به محامواه القلب وحقه ويكشف عنه حتره الذي أرسله وأطلق بالحق مقوله وأضح بالشكرهما أولاد وخوة من علم حسه ونطق سبه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله الذي أكرمهم وبهجه ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزه وأسمى فضله وبين سبه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وعمله .

[ أما بعد ] فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الثمينة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بإشهاد اللسان وهما غاية الطاعة والسياسة ثم إنه ما من موجود أو ممدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مقلون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويترض له بآيات أولي فان كل ما يتناوله العلم يهرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور والآذان لا تصل إلى غير الأصوات واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء واللسان رجب للبدان ليس له مرد ولا لجهة منتهى وحده له في الخير جمال رجب وله في الشر ذيل سبيل فمن أطلق عذبة اللسان وأمله مرضى النان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى هفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا يجن من شر اللسان إلا من قيد بجمام التزم فلا يطقه إلا نيا يغمه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما غشى فاكلته في عاجله وآجله وعم ما حشد فيه إطلاق اللسان أو يلم فاض عزز والصل يقتضيه على من عرفه ثقيل حسير وأصعب الأعضاء على الإنسان اللسان فانه لا تصب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تماهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغواثه والحذر من مصائبه وجباله وإنه أعظم آفة الشيطان في استنواء الإنسان ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره قصل بجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بمحودها وأسبابها وغواثها ونعرف طريق الاحتراز عنها ونورد ماورد من الأخبار والآثار في ذمها فنذكر أولا أفضل الصمت ونورد فيه بدكر آفة الكلام فيما لا يمت ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الحوض في الباطل ثم آفة التراء والجذب ثم آفة المحسومة ثم آفة التصر في الكلام بالتشديد وتكلف الجمع والتصاحبة والتسنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة للتصاميم للدين الخطابة ثم آفة الصفح والسب وبداية اللسان ثم آفة الاسن إما طليونا أو جواد أو إنسان ثم آفة الضأ بالشر وقد ذكرنا في كتاب السباع ما يهرم من الضأ

( كتاب آفات اللسان )

ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولكم ما يدعى إلى الجنة المحادون الذين يمدحون الله تعالى في السراء والضراء وقال عليه السلام « من علس أو تجسأ قصل الحمد في كل حال دفع الله تعالى بها عنه سبعين داء أوهنا الجذم » وروى جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يتم عليه نعمة لحمد الله إلا كان الحمد أفضل منها » لقوله عليه السلام كان الحمد أفضل منها يخلد أن يرضى الحق بها شكرا ويغتمل أن الحمد أفضل منها لعمدة



وما حمل فلان يمينه ثم آفة الزلزال ثم آفة السخريه والاستهزاء ثم آفة إفساد السم ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم بيان التمارض في الكذب ثم آفة التيه ثم آفة الغيبة ثم آفة ذي السائين الذي يتردد بين المتأدين فيكلم كل واحد بلام يوافق ثم آفة اللج ثم آفة التفتة عن دقائق الخطأ في حق الكلام لاسيا فيما يتناق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين ثم آفة سؤال الصوم عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أمي قديمة أو معدة وهي آخر الآفات وما ينطق بذلك وجعلها عشرون آفة ونسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

### ( بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت )

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا حياة من خطر إلا بالصلوات فذلك مدح الصبر الصمت وحث عليه قال صلى الله عليه وسلم « من صمت نجا » (١) وقال عليه السلام « الصمت حكم وقيل فاعه » أي حكمة وحزم . وروى عبد الله بن مسعود عن أبيه قال « قلت لرسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا يملك قال قل أنت بالله ثم استقم قال قلت فما أنفي فأومأ بيده إلى لسانه » (٢) وقال عقبة بن عامر « قلت لرسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسكك بلسانك وإياك على خطيئتك » (٣) وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله ﷺ « من يتكلم لي بما بين يديه ورجليه أتكله » بالجنة (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « من وقى شرفيه وذيقه وقلقه قد وقى الشر كله » (٥) والتعب هو البطن والبدن والفرج والخلق اللسان فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق ولذلك اعتنوا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوات البطن والفرج « وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكبر ما يدخل الناس الجنة فقال ضوى الله وحسن الخلق وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال الأجوفان اللحم والفرج » (٦) فيحتل أن يكون المراد بالآفات اللسان لأنه عهد وعمل أن يكون المراد به البطن لأنه منه قد قال ماذا بن جبل قلت « لرسول الله أن تأخذ بما قول فقال تكنتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٧) وقال عبد الله التقي قلت « لرسول الله حدثني بأمر أعظم به قال قلربي الله ثم استقم قلت لرسول الله ما أخوف ما تخاف من » فأخذ بلسانه وقال هذا (٨) وروى أن معاذ قال « لرسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج رسول الله

- (١) حديث من صمت نجات من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف وقال خريب وهو عند الطبراني بسند جيد (٢) حديث الصمت حكمة وقيل فاعه أي بمنصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ حكم بدل حكمة وقال غلط فيه عثمان بن سعد والصحیح رواية ثابت قال والصحيح عن أنس أن عثمان قال ورواه كذا وكذا وابن حبان في كتاب روضة القلاء بسند صحيح إلى أنس (٣) حديث سفيان التقي أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا يملك الحديث وصحة و ن ه وهو عند م دون أكثر الحديث الذي فيه ذكر اللسان (٤) حديث عقبة بن عامر قلت لرسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك الحديث ت وقال حسن (٥) حديث سهل بن سعد من يتكلم لي بما بين يديه ورجليه أتكله بالجنة روله خ (٦) حديث من وقى شرفيه وذيقه وقلقه الحديث أي منصور الديلمي من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ قد وجبت له الجنة (٧) حديث مثل عن أكبر ما يدخل الجنة الحديث وصحة و ه من حديث أبي هريرة (٨) حديث ماذا قلت لرسول الله أن تأخذ بما قول فقال تكنتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وصحة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث عبد الله التقي قلت لرسول الله حدثني بأمر أعظم به الحديث روله ن قال ابن عساکر

تكون نعمة الحمد  
أفضل من النعمة التي  
حمد عليها فإذا شكروا  
لنعم الأول يشكرون  
لواسطة لنعم من  
الناس ويدعون له .  
روى أنس رضي الله  
عنه قال كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
إذا أفطر عند قوم  
قال « أفطر عندكم  
الصائمون وأكل طعامكم  
الأبرار ونزل عليكم  
البركة » . أخرنا  
أبو زرعة عن أبيه  
قال أنا أحمد بن محمد  
ابن أحمد بن أبي داود أنا  
أبو خص عمر بن  
إبراهيم قال حدثنا  
عبد الله بن محمد  
البغوي قال أنا عمرو  
ابن زرة قال سمعنا  
ابن يونس عن موسى  
ابن عبيدة عن محمد بن

صل الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه أصبعه <sup>(١)</sup> وقال أنس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم « لا يستقيم إيمان البعده حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائحه » <sup>(٢)</sup> وقال <sup>(٣)</sup> « من سره أن يسلم فليسلم الصمت » وعن سعيد بن جبيرة مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول الله قال فينا فأنك إن استقيمت استقيمتنا وإن اعوجبت اعوجبتنا » <sup>(٤)</sup> وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يعد لسانه يده فقال له ما صنعت يا خليفة رسول الله ؟ قال هذا أوردني إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته » <sup>(٥)</sup> وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلي ويقول باللسان قل خيراً أتممت واسكت من شر تعلم من قبل أن تتم قيل له يا أبا عبد الرحمن أهدأ شيء بقوله أو شيء سمته ؟ قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه » <sup>(٦)</sup> وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كلف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن احتسب إلى الله قبل الله عذره » <sup>(٧)</sup> وروى أن معاذ بن جبل قال « يا رسول الله أوصني » قال : أبعد الله كائنك تراه وعد نفسك في اللقي وإن شئت أنبأتك بما هو أشد لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه <sup>(٨)</sup> وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله <sup>(٩)</sup> « ألا أخبركم بأيسر البادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق » <sup>(١٠)</sup> وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

ثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لأخيه جزاءك الله خيراً قد أبلغ في الثناء » ومن أخلاق الصوفية بلد الجاه للأخوان والسلمين كافة فإذا كان الرجل وأقر الم بصيرا يربوب النفس وأفاتها وشهواتها فليواصل إلى قضاء حوائج المسلمين يبدل الجاه وللناوذة في إصلاح ذات البين وفي هذا المعنى يحتاج إلى مزيد علم لأنها أمور تتعلق بالخلق وعالمتهم ومناشرتهم ولا يصلح ذلك إلا لسوق تام الحال عالم رؤى . روى عن زيد بن أسلم أنه قال كان نبي من

وهو خطأ والصوفسيان بن عبد الله التقي كارولت وصحة . وقد تقدم قبل هذا خمسة أحاديث (١) حديث إن معاذاً قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل فأخرج لسانه ثم وضع يده عليه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت قال أصعب مكان يده (٢) حديث أنس لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت والخراطين في كلام الأخلاق بسند فيه ضعف (٣) حديث من سره أن يسلم فليسلم الصمت ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو الشيخ في فضائل الأعمال والبرقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف (٤) حديث إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان الحديث ت من حديث أبي سعيد الخدري رفته ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبيرة مرفوعاً وإنما هو عن سعيد بن جبيرة عن أبي سعيد رفته ورواه موقوفاً على عمار بن يزيد وقال هذا أصح (٥) حديث إن عمر أطلع على أبي بكر وهو يعد لسانه فقال ما صنعت يا خليفة رسول الله قال إن هذا أوردني للوارد إن رسول الله <sup>(٦)</sup> قال ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله عن وجع اللسان على حدته ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مستندة والدارقطني في اللعل والبرقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمرو قال الدارقطني إن الرفوع وم على الراوردي قال وروى هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له (٧) حديث ابن مسعود أنه كان على الصفا يلي ويقول باللسان قل خيراً أتممت وفيه مرفوعاً إن أكثر خطايا بني آدم في لسانه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبرقي في الشعب بسند حسن (٨) حديث ابن عمر من كلف لسانه ستر الله عورته الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن (٩) حديث إن معاذاً قال أوصني قال أبعد الله كائنك تراه الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وطب ورجاله ثمات وفيه انقطاع (١٠) حديث صفوان بن سليم مرفوعاً ألا أخبركم بأيسر البادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق ابن أبي الدنيا هكذا مرسله ورجاله ثمات ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً .

خيرا أو ليسكت (١) وقال الحسن ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله عبدا تكلم فتم أو سكت فسلم » (٢) وقيل ليسى عليه السلام دلتا على عمل تدخل به الجنة قال لا تستحقوا أبدا قالوا لا نستطيع ذلك فقال فلا تمسكوا إلا بخير ، وقال سليمان بن داود عليهما السلام إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، وعن البراء بن عازب قال « جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : دلتني على عمل يدخلني الجنة ، قال أطعم الجائع واسق العطشان وأمر بالمعروف ونه عن المنكر فان لم تعلق فكف لسانك إلا من خير » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اخزن لسانك إلا من خير فانك بذلك تلبى الشيطان » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عند لسان كل قائل خليف الله امرؤ علم ما يقول » وقال عليه السلام « إذا رأيتم المؤمن يموتا وقورا فادنوا منه فانه يقين الحكمة » (٥) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس ثلاثة ثلثهم وسالو عذاب فالتهم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب الذي يغرض في الباطل » (٦) وقال عليه السلام « إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بنهى تدبره قبله ثم أمضاه بلسانه وإن لسان للتافى أمام قلبه فاذا هم بنهى أمضاه بلسانه ولم تدبره قبله » (٧) وقال عيسى عليه السلام الصلاة عشرة أجزاء تسعة منها في السموت وجزء في القرائن من الناس . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به » (٨) والآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصة في فيه يتبع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني للوارد ، وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شئ أحوج إلى طول سجن من لسان ، وقال طاوس لسان سبع إن أرسلته أكلني ، وقال وهب بن منبه في سكة آل داود حق على العاقل أن يكون طرفا بزعماته حافظا لسانه ، مقبلا على هأه . وقال الحسن ماعقل دينه من لم يحفظ لسانه . وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله . أما بعد : فان من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسر ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينه . وقال بعضهم السميت بجميع لرجل فضيلتين السلامة في دينه واتهم عن صاحبه . وقال محمد بن واسع

- (١) حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت متفق عليه .
- (٢) حديث الحسن ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فتم أو سكت فسلم ابن أبي الدنيا في السموت واليبقى في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فانه من رواية إسماعيل بن عياض عن الحجازيين (٣) حديث البراء جاء أعرابي فقال دلتني على عمل يدخلني الجنة قال أطعم الجائع الحديث ابن أبي الدنيا بسناد جيد (٤) حديث اخزن لسانك إلا من خير الحديث طعن من حديث أبي سعيد وله في اللجم الكبير ولا بن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر (٥) حديث إذا رأيتم المؤمن يموتا وقورا فادنوا منه فانه يقين الحكمة . من حديث أبي خلد بنظ إذا رأيتم الرجل قد أعطى زهدا في الدنيا وقفة منطلق فاقربوا منه فانه يقين الحكمة وقد تقدم .
- (٦) حديث ابن مسعود الناس ثلاثة ثلثهم وسالو عذاب والشاحب الذي يغرض في الباطل وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الحدرى بلفظ الجالبى وضمه ابن عدى ولم أجده ثلاثة من حديث ابن مسعود (٧) حديث إن لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلم بنهى تدبره قبله الحديث لم أجدهم فوالله ما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون (٨) حديث من كثر كلامه كثر سقطه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة القلاء والبيهقي في الشعب موقوف على عمر بن الخطاب .

الأنبياء يأخذ بركاب  
للك يتأقده بذلك  
نقضاء حوائج الناس .  
وقال عطاء لأن يرأى  
الرجلسين فيكتب  
جها يعيى فيمؤمن  
ثم له من أن يخلص  
العمل لتجاة نفسه  
وهذا باب فاض  
لا يؤمن أن يفتن به  
خلق من الجهال  
للدين ولا يسلح هذا  
إلا ليد الطلع الله على  
باطنه فلم منه أن  
لارغبة في شيء من  
الجاه والسال ولو أن  
ملوك الأرض وقوا  
في خدمته ما طغى ولا  
استطال ولو دخل إلى  
ألون بوقد ما ظهرت  
نفسه بصريح الانكار  
لهذا الحال وهذا  
لا يصلح إلا لأحد من  
الحلق وأفراد من

مالك بن دينار يا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال أبو يوسف بن عبد  
مادن الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن بن علي بن  
عند معاوية رحمه الله والأخف بن قيس ما كنت قال له مالك يا يحيى لا تتكلم فقال له أختي أقد إن  
كذبت وأخذت إن صدقت. وقال أبو بكر بن عياش اجتمع أربعة ملوك الهند وملوك الصين  
وكسرى وقصر، قال أحدهم أنا أنعم على ما قلت ولا أنعم على ما قلت، وقال الآخر إن إذا تكلمت  
بكلمة ملكتي ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم أملكها، وقال الثالث عجبت لكم أن درجت  
عليه كلمته ضرته وإن ترجع لم تنفعه. وقال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت،  
وقيل أقام للنور بن النعمان يسكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة، وقيل مات يسكلم الربيع بن  
خيثم يكلم الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاسا فكتب ما تكلم به كتبته من حساب  
نفسه عند الساء. فان قلت فهذا الفضل الكبير فليست ماسية ؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان  
من الخطأ والكذب والفتية والنجمة والراء والتناقض والضعف والراء وزكية النفس والحرص في  
الباطل والخصومة والقضول والتحريف والزيادة والنقصان وإذابة الحق وهتك المورثات هذه آفات  
كثيرة وهي سبابة إلى اللسان لا يتخلل عليه ولها حلوة في القلب وعليها بواش من الطبع ومن  
الشيطان والخائف فيها فلما قدر أن عكس اللسان فيطلعه بما يحب وبكفه عما لا يحب فان ذلك من  
غوامض العلم كما سيأتي فضله في الحوض خطر وفي السميت سلامة فذلك عظمت فضيلته وهذا مع  
ما فيه من جمع الملم ودوام التوقار والفرغ الفكر والذكر والعبادة والسلامة من بيمات القول إلى الدنيا  
ومن حسابه في الآخرة قد قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - سويك على فضل  
لزوم السميت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام : قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه  
ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة. أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه  
وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة : أتى بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاعتزال به تنصيح  
زمان وهو عين الحسرة فلا يبقى إلا القسم الرابع قد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا  
الربع فيه خطر إذ يخرج بما فيه ثم من دقائق الرأ والتعصن والفتية وزكية النفس وفضول الكلام  
امتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا، ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سئل كره علم  
قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فضل الخطاب حيث قال « من سمعت نيا (١) » فلهذا ولى  
والله جواهر الحكم قطعا وجوابع الحكم (٢) ولا يعرف ما تحت آحاد كلامه من عبارات للناس إلا خواص  
المعلم وفيما سئل ذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما عرفك حقيقة ذلك إن هاهنا تعالى ونحن  
الآن ضد آفات اللسان ونبتدىء بأختها وترقى إلى الأغلط قليلا ونؤخر الكلام في الفتية والنجمة  
والكذب فان النظر فيها أطول وهي عشرين آفة فاعلم ذلك ترعد بدون الله تعالى.

### ( الآفة الأولى : الكلام فيما لا ينك )

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألسنتك من جميع الآفات التي ذكرناها من الفتية والنجمة  
والكذب والراء والجدال وغيرها وتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك  
تتكلم بما أنت مستثنى عنه ولا حاجة بك إليه فانك متعصب به زمانك ومحاسب على عمل لسانك

(١) حديث من سمعت نجا نحم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم م من  
حديث أبي هريرة وقد نحم.

### ( الآفة الأولى الكلام فيما لا ينك )

المصدقين يستلغون  
عن إرادتهم واختيارهم  
ويكشفهم الله تعالى  
بمراهم منهم فيدخلون  
في الأضياء بمراد الله  
تعالى فاذا علوا أن  
الحق يريد منهم الخاطئة  
وبذل الجاه يدخلون  
في ذلك بنية صفات  
النفس وهذا لأقوام  
ماتوا ثم حشروا  
وأحكموا مقام القضاء  
ثم رخوا إلى مقام الإلقاء  
فيصكون لهم في كل  
مدخل ويخرج برهان  
ويبان وإذن من الله  
تعالى فهم على بصيرة  
من ربهم وهذا ليس  
فيهم لرتياب لصاحب  
قلب مكشوف بصره  
الراد في خلق الخطاب  
فيأخذ وقتا أبدا من  
الأضياء ولم تأخذ  
الأضياء من وقته

وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان يتفتح لك من شحات رحمة الله عند الفكر ما ينظم جدواه ولوهلت الله سبحانه وذكرته وسبغت لكن خيرا لك فكلم من كلمة يبين بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا يتفتح بها كان خلسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واحتفل بعباد لا ينه فانه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الرب العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا (١) هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بلداس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا ينه ولم يدخر بها ثوبا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينه » بلورد ما هو أشد من هذا قال أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجدنا على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمست أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك له كان يشكك في لا ينه وينعح ملا يضره (٢) وفي حديث آخر « أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاهم فدخل عليه قال أجري يا كعب قالت أمه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه التأتلية على الله ؟ قال هي أمي يارسل الله قال وما يدريك يا أم كعب لعل كبا قال ملا ينه أو منع ملا ينه (٣) ومعناه أنه إنما تبتأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تسكك في لا ينه حوسب عليه وإن كان كلامه في مباح فلا تبتأ الجنة مع التناقض في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام قدام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا بأئق عمل في نفسك ترجو به فقال إني لنضيف وإن أوتق ما أرجو به السلامة الصدر وترك ما لا ينه (٤) وقال أبو ذر قال في رسول الله ﷺ « ألا أعليك بمثل خفيف على البدن ثقيل في اللباز ؟ قالت بلى يارسل الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينه (٥) وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لمن أحب إلى من الدم للوقوفة لاستكمام في لا ينه فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تسكك في لا ينه حتى تجد له موضعا فانه رب تسكك في أمر ينه

(١) حديث للمؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظرة إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا لم أجده أصلا وروى محمد بن زكريا العلاني أحد الضعفاء عن ابن عباس عايشة عن أبيه قال قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة (٢) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينه ت وقال غريب وه من حديث أبي هريرة (٣) حديث استشهد منا غلام يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع الحديث وفيه له كان يشكك بما لا ينه وينعح ملا يضره ت من حديث أنس مختصرا وقال غريب ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ الصنف بسند ضيف (٤) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم قد كبا فسأل عنه فقالوا مريض فقالوا مريض الحديث وفيه لعل كبا قال ملا ينه أو منع ملا ينه ابن أبي الدنيا من حديث كعب بن هجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين الراوي عنه (٥) حديث محمد بن كعب إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام الحديث وفيه إن أوتق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا ينه ابن أبي الدنيا هكذا مرسل وفيه أبو نعيم اختلف فيه (٦) حديث أبي ذر « ألا أعليك بمثل خفيف على البدن الثقيل وفيه هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا ينه ابن أبي الدنيا بسند منقطع .

ولا يكون في قطر من  
الأقطار إلا واحد  
متحقق بهذا الحال .  
قال أبو عثمان الحيري  
لا يكمل الرجل حتى  
يستوي قلبه في أربعة  
أشياء التبع والعطاء  
والزوال والقتل ولعل هذا  
الرجل يصلح بذلك  
الجاه والدخول فيها  
ذكرناه . قال سهل  
ابن عبد الله لا يستحق  
الإنسان الرياسة حتى  
تجتمع فيه ثلاث  
خصال : يصرف جهه  
عن الناس ويحتدل  
جهل الناس ويترك  
ما في أيديهم ويملك  
ما في يده لهم وهذه  
الرياسة ليست عين  
الرياسة التي زهد فيها  
وتبين الزهد فيها  
لضرورة صدقه  
وسلوكه وإمّا هذه

قدومه في غير موضعه فنت ولا تمار حليا ولا سفيها فان الحليم عليك والدمية يؤذك واذا كر أخاك  
إذا غاب عنك بما تحب أن يذكره به وأغفه عما تحب أن يشك منه وعامل أخاك بما يحب أن  
يملك به وعامل عمل رجل يلم أنه مجازي الإحسان مأخوذ بالاجترام . وقيل لقمان الحكيم ما حكته  
قال لا أسأل عما كفت ولا أنكف ما لا ينبغي . وقاله ورق العجبي : أمرأتنا في طلبة منذ عشرين سنة  
لم أقدر عليه ولست بتارك طلبة قالوا وما هو ؟ قال السكوت عما لا ينبغي . وقال عمر رضى الله عنه  
لا تعرض لما لا ينبيك واعتزل عنوك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي  
الله تعالى ولا صاحب الفاجر فتسلم من ظوره ولا تطلعه على سره واسكتر في أمرك الذين يخشون  
الله تعالى . وحديث الكلام في الامنيك أن تكلم بكلام لو سكنت عنه من تأثم ولم تستغربه في حال ولا مال .  
مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك ومرايت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع  
وما استحسنته من الأطعمة والياب وما أصبحت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكنت  
عنها لم تأثم ولم تستغربه وإذا بالفت في الجهاد حتى لم يخرج عيكائك زيادة ولا نقصان ولا تزكية فس  
من حيث التفاضر بشاهدة الأحوال العظيمة ولا اختيار لشخص ولا ملزمة لشيء مما خلقه الله تعالى  
فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنت تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جعلنا أن تسأل غيرك  
عما لا ينبيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضا بالجواب إلى التضييع هذا إذا  
كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فأنك تسأل غيرك عن  
عبادته مثلا فتقول له هل أنت سائم قال نعم كان مطهرا لعبادته فيدخل عليه الرء وإن لم يدخل  
سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر فضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذبا  
وإن سكت كان مستغبرا لك وتأذيت به وإن احتال لمداخلة الجواب الحق إلى جهد وجب فيه فقد  
عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستعظام أو لتضييع حيلة المدفع وكذلك سؤالك عن سائر  
عبادته وكذلك سؤالك عن الماضي وعن كل ما بينه وبينه من سؤالك عما حدث به غيرك  
فتقول له لماذا تقول وفيه أنت وكذلك ترى إنسانا في الطريق فتقول من أين فرميا بمنه مانع من  
ذكره فإن ذكره تأذى به واستحيا وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل  
عن مسألة لأحاجة بك إليها وللشئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لأدري فيجيب عن غير بصيرة  
ولست أعني بالتكلم فيما لا ينبغي هذه الأجناس فإن هذا يتطرق إليه يتم أو ضرر وإنما مثال ما لا ينبغي  
ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعا ولم يكن رءها قبل ذلك اليوم  
لجمل يتعجب مما رأى فأمره أن يسأله عن ذلك فنته حكته فأمسك نفسه ولم يسأله فما فرغ  
قام داود ولبسه ثم قال نعم المخرج للحرب يقال لقمان الصمت حكم وقيل فاعله أي حصل العلم به من  
غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال  
فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب وهو مما لا ينبغي  
وتركه من حسن الاسلام فهنا حله . وأما سبب الباعث عليه فالمرضى على معرفة ما لأحاجة به إليه  
أوليا بساطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال فالقائمة فيها . وعلاج ذلك  
كله أن يعلم أن اللوت بين يديه وأنه مسئول عن كل كلمة وأن أخاهه رأس ماله وأن لسانه حكمة  
يقدر على أن يقتصر بها الحور العين فانهلك ذلك وتضييعه خسران مبین هذا علاجه من حيث العلم  
وأما من حيث العمل فالمرقة أو أن يصح حسنة في فيه وأن يلوم نفسه السكوت بها عن بعض ما بينه  
حتى يتاد اللسان ترك ما لا يحبه وضبط اللسان في هذا على غير التمرنل هديد جدا .

رياسة أقامها الحق  
اصلاح خلقه فهو فيها  
بأن يقوم بواجب حقها  
ويعسكر لسمتها له  
تعالى .

[ الباب الحادي  
والثلاثون في ذكر  
الأدب ومكانه من  
الصوف ]

روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « أدبى ربي  
فأحسن تأديبي »  
فالأدب تهذيب الظاهر  
والباطن فإذا تهذب  
ظاهر الصمد وباطنه  
صار صوفيا أديبا وما  
سميت للأدب مادة  
لاجتماعا على أشياء  
ولا يشكامل الأدب في  
البدن إلا بتكامل كلام  
الأخلاق ومكارم  
الأخلاق مجموعها من  
تحسين الخلق فالخلق

( الآفة الثانية : فضول الكلام )

مسورة الانسان  
والخلق معناه فقال  
بعضهم الخلق لاسيبل  
التي تسمى الخلق وقد  
ورد في فرع ركن من  
الخلق والخلق والرزق  
والأهل، وقد قال تعالى  
- لا يبدل خلق الله -  
والأمس أن يبدل  
الأخلاق يمكن مقدر  
عليه خلاف الخلق  
وقد روي عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال «و حسنوا  
أخلاقكم» وذلك أن  
الله تعالى خلق الانسان  
وصيأه بقبول الصلاح  
والنماء وجهه أهلا  
للأدب ومكارم الأخلاق  
ووجود الأهلية فيه  
كوجود النار في الزاد  
ووجود التمثل في النوى  
ثم إن الله تعالى قدره  
أهم الانسان ومكنه

( الآفة الثانية : فضول الكلام )

(١) حديث طوي لمن أمسك القتل من لسانه وأخفق القتل من ماله البتوى وإن فاعل من معصية السبابة والبيقى من حديث ركب الصرى وقال ابن عبد البر إنه حديث حسن وقال البتوى لأدري مع من التى صلى الله عليه وسلم أم لا قال ابن منده مجهول لا نعرف له صحة ودوله الزائر من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرددت من بنى عمر فقالوا أنت والدنا وأنت سيدنا الحديث د ن واليوم والية لفظ آخر ورواه ابن أبى الدنيا بلفظ الصف

«كم دون لسانك من حجاب قال شتاي رأيتني قال أمكان لك في ذلك ما يرد كلامك»<sup>(١)</sup> وفي رواية أنه قال لذلك في رجل أتى عليه غشيت في الكلام ثم قال ما أوتي رجل شرا من فضل في لسانه وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه إنه ليعين من كثير من الكلام خوف للباهة . وقال بعض الحكماء إذا كان الرجل في مجلس فأعجب الحديث فليسكت وإن كان ساكنا فأعجب السكوت فليتكلم وقال يزيد بن أبي حبيب من قلة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام زين وزينة وقصان . وقال ابن عمر إن أحق ما طهر الرجل لسانه ورأى أموالهم إمرأة سائلة فقال لو كانت عنده خرساء كان خيرا لها . وقال إبراهيم يهلك الناس ختان فضول للال فضول الكلام فهله ملمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فبا لا يني .

### (الأداة الثالثة : الحوض في الباطل)

وهو الكلام في الصامى تحكيات أحوال النساء ومجالس النجس ومقامات القساق وتهم الأغنياء وتغير للولك ومراهمهم للدمومة وأحوالهم للكرهية فإن كل ذلك مما لا يجل الحوض فيه وهو حرام وأما الكلام فبا لا يني أو أكثر مما يني فهو ترك الأولى ولا يحرم فيه لم من يكثر الكلام فبا لا يني لا يؤمن عليه الحوض في الباطل وأكثر الناس يتجاسون لفتنرج بالحديث ولا يدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الحوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرةها ونفثها فلذلك لا نخلص منها إلا بالاختصار على ما يني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا المجلس نضع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستخرجها قد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن يبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن يبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> وكان علقمة يقول كم من كلام منتهى حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا»<sup>(٣)</sup> وقال أبو هريرة : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوى بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرضه الله بها في أعلى الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل»<sup>(٤)</sup> وإليه الإشارة بقوله تعالى - وكنا نخوض مع الخافضين - وبقوله تعالى - فلا تخدموا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم - وقال سلمان أكثر الناس دنوبا يوم القيامة أكثرهم كلاما في مصيبة الله . وقال ابن سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم تمشوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث فهذا هو الحوض في الباطل وهو

(١) حديث عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال كم دون لسانك من باب الحديث إن أبي الدنيا هكلا مرسلا ورجاله قحاة .

### (الأداة الثالثة : الحوض في الباطل)

(٧) حديث بلال بن الحرث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله الحديث . وقال حسن صحيح (٢) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا إن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن ولقينيخ و ت إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها مبين خرقا في النار فقلت وقال حسن غريب (٤) حديث أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل إن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله قحاة ورواه هو والطبراني موثوقا على ابن مسعود بسند صحيح .

من إصلاحه بالقرية إلى أن يصير النوى غلا والزناد بالملاج حتى يخرج منه نار وكا جل في شمس الإنسان صلاحية الغير جل بها صلاحية الغير حال الإصلاح والإفساد قال سبحانه وتعالى - وحس وما سواها فأنعمها فجورها وقواها - قدسيتها بصلاحيتها لثنتين جميعا ثم قال عز وجل - قد أفلق من فكها وقد خاب من دساها - فإذا تركت النفس تدبر بالقل واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة ونهذبت الأخلاق وسكوت الآداب فالأدب المستخرج مافي القوة إلى القل وهذا



وراء ماسآني من التيبة والقيمة والمحق وغيرها بل هو الحوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر لتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها ويدخل فيه أيضا الحوض في حكاية البع والذباب الفاسدة وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوم الطعن في بينهم وكل ذلك باطل والحوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلفظه وكرمه .

( الآفة الرابعة للراء والجندال )

وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم « لا تعارأ أكأ ولا تعارأ حولا تيمم موعدا فتخلقه »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « ذروا للراء فانه لاضهم حكته ولا تؤمن فتنه »<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « ترك للراء وهو مبطل فيه بيت في دين الجنة »<sup>(٣)</sup> وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه يد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحة الرجال »<sup>(٤)</sup> وقال أيضا « ماضل قوم بهذا نهداهم الله إلا أنوتوا الجندل »<sup>(٥)</sup> وقال أيضا « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان حقا »<sup>(٦)</sup> وقال أيضا « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان في الصيام في الصلوة في السجدة في البسوة في الصلاة في اليوم الحج والبر على الصيابة وإسباغ الوضوء على الكارم وترك للراء وهو صادق »<sup>(٧)</sup> وقال الزبير لا يبه لا يجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه من جمل دينه عرصة للخصومات أكثر التقتل . وقال مسلم بن يسار إذا كمل للراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يتنهي الشيطان زلة . وقيل ماضل قوم بهذا نهداهم الله إلا الجندل . وقال مالك بن أنس رحمه الله عليه ليس هذا الجندال من الدين في شيء . وقال أيضا للراء يفسد القلوب ويورث الفتنان . وقال لقمان لا يبه يا بني لا يجادل العلماء فيمتنوك وتلقي بلال بن سعد إذا رأيت الرجل لجوجا عماريا منجبا برأيه فقد تمت خساره وقال سفيان لو خالفت أخى في دماء فقال حاولت قلت حاصلة لشيء في أبي السلطان وقال أيضا صاب من فئت ثم أغضبه للراء فليزمنك بداهة تملك الصبي وقال ابن أبي ليلى لا أماري صاحبي فلما أن أكذبه ولما أن أغضبه . وقال أبو الدرداء كفى بك إغا أن لا تزال عماريا

( الآفة الرابعة للراء والمجادة )

- (١) حديث لا تعارأ أكأ ولا تعارأ حولا تيمم موعدا فتخلقه ت من حديث ابن عباس وقد تقدم
- (٢) حديث ذروا للراء فانه لاضهم حكته ولا تؤمن فتنه طب من حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وأنس بن مالك ورواه بن الأسمع بإسناد ضعيف دون قوله لاضهم حكته ورواه بهله الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفة على ابن مسعود (٣) حديث من ترك للراء وهو محق بي في بيت في أعلى الجنة الحديث تقدم في العلم (٤) حديث أم سلمة إن أول ما عهد إلى ربي ونهاني عنه يد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحة الرجال ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني والبيهقي بسند ضعيف وقد روي عن ابن أبي الدنيا في الترابيل من حديث عروة بن روم (٥) حديث ماضل قوم إلا أنوتوا الجندل ت من حديث أبي أمامة وصححه وزاد بعد هدى كانوا عليه وتهم في السلم وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكره الصف (٦) حديث لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع للراء وإن كان حقا ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ لا يؤمن بالبسوة يترك الكذب في للزاحة وللراء وإن كان صادقا (٧) حديث ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الحديث وفيه ترك للراء وهو صادق أبو منصور البجلي من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ ست خصال من الخير الحديث .

يكون لمن ركب  
السجدة الصالحة فيه  
والسجدة فصل الحق  
لاقدرة للبشر على  
تكوينها كتكون  
النار في الزناد إذ هو  
فصل الله المحض  
واستخراج به يكسب  
الأمي فكذلك الأدب  
منها السجدة الصالحة  
والنسخ الإلهية ولما هي  
الله تعالى مواطن  
السوفية بتشكيل  
السجدة فيها تواصوا  
بحسن للارسة والروضة  
إلى استخراج ما في  
النفوس وهو مركز  
خلق الله تعالى إلى  
القلل صاروا مؤدين  
مدين والأدب جمع  
في حق بمن الأغنياس  
من غير زيادة محارسة  
وروضة القوة مألومع  
الله تعالى في فرائضهم كما

ودل صلى الله عليه وسلم « تكفير كل لحاء ركنان » (١) وقال عمر رضى الله عنه لا تلم العلم ثلاث ولا تركه ثلاث لا تلمه لتسارى بولا تباهى بولا تترأى بولا تركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رما بالجهل منه . وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه ذهب جماله ومن لاقى الرجال سقطت مروته ومن كثرهم سقم جسمه ومن ماء خلقه غلب قسه . وقيل ليمون بن مهران مالك لا تركه أخاك عن قال قال لاقى لأفارى بولا أماري وما ورد في ذم للراء والجدل أكثر من أن يحصى . وعد للراء هو كل اعتراض على كلام الغير بظاهر خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد التكميل وتركه لراء تركه الانكار والاعتراض فكل كلام سمته فان كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمر الدين فاسكت عنه والطنن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بظاهر خلل فيمن جهل النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والتعريب بسوء فهم أو تأخير وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بلفظان اللسان وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله وأما في المعنى فإن يقول ليس كما تحول وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا وأما في قصد فثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس إن جرى في مسألة عليه ربعا خص باسم الجدل وهو أيضا مسموم بل الواجب السكوت أو السؤال في مرض الاستفادة لاقى وجه السناد والتمسكة أو التلطف في التعريف لاقى مرض الطعن وأما المهادة فبارة عن قصد إخماد الغير وتحيينه وتقينه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وأية ذلك أن يكون تنبيه الحق من جهة أخرى مكروها عند المجادل يجب أن يكون هو الظاهر خطأ لئلا يبين بفضل قسه وقس صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأتي به لو سكت ضلوا ما بالباعث على هذا فهو الترفع بظاهر العلم والفشل والتهم على الغير بظاهر قسه وما ضلوا بانطنان لنفس قويتان لها ما إظهار القتل فهو من قبيل تزكية النفس وهى من مقتضى ما فى البصير من طين دعوى العلو والكبرياء وهى من صفات الربوبية وأما تقصيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فانه يقتضى أن يعزى غيره ويقصمه ويسميه ويؤذبه وهاتان صفتان مملومتان مملكتان وإعاقبتهما للراء والجدل فالواظب على الراء والجدال مقلو هذه الصفات لله لئلا يجرى هذا الكراهة بل هو مصيبهما حصل فيه إذاء الغير ولا تنك للمارة عن الإيذاء وتيسر الغضب وحمل الافتراض عليه على أن يودق بغير كلامه بما يمكنه من حق أو بطل ويحس في كماله بكل ما يتصوره فيثور الشجار بين اللبارين كما يثور المراهق بين الكلبين يصد كل واحد منهما أن يرض صاحبه بما هو أعلم نكاية أو قوى إلى إخماده وإلجائه وأما علاجه فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار قسه والسبعية الباعث له على تقصيص غيره كسبائى ذلك في كتاب ذم الكبر والسبب وكتاب ذم الغضب فان علاج كل عقابا طعسيا وسبب للراء والجدل ما ذكرناه ثم الواظبة عليه بمجة طاعة وطباحتى يتمكن من التنس ويسر الصبر عنه . روى أن أبا حنيفة رحة الله عليه قال له داود الطائى لم آتت الأزواء قال لأجاهد نفسى بترك الجدال فقال أحضر المجالس واستمع ما يقال ولا تسكلم قال فصلت ذلك لما رأيت مجاهدة أشد على من هو كائن لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تسمر عليه الصبر عند ذلك جدا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ومن ترك للراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة » لعدة ذلك على النفس وأكبر ما يثلب ذلك في للذئاب والفتائد فإن للراء طبع فاذا ظن أن له عليه جوابا اعتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه وذلك خطأ محض بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدئا تلتطف

(١) حديث تكفير كل لحاء ركنان الطبراني من حديث أبى أمامة بسند ضعيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربي فأحسن تأديى » وفى بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة لتقصان قوى أصولها فى التمرزة فلها احتاج الريدون إلى حجة للتباحث تكون الصلبة والتسلم حونا على استخراج ما فى الطبيعة إلى القبل قال الله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - قال ابن عباس رضى الله عنهما قهوم وأدبوم وفى لفظ آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدبى ربي فأحسن تأديى » ثم أمرنى بتكادى الأخلاق فقال - خذ الفتو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين - . قال يوسف بن الحسين

في نصحه في خلوته لا بطريق الجدال فإن الجدال ينحدر إليه أنها حيلة منه في التليس وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثلها لو أرادوا قسستم البديعة في قلبه بالجدل وتأنى كذا فإذا عرف أن النصيحة لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه وقال صلى الله عليه وسلم «رحم الله من كفلساته عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه» (١) وقال هشام بن عروة كان عليه السلام يرد قوله هذا سبع مرات وكل من اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد نفسه بسببه عزاً وقبولاً قويت فيه هذه الهلكات ولا يستطيع عنها تزوا إذا اجتمع عليه سلطان التنبؤ والكبر والرياء وحبالها والتعزز بالفضل وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

وهي أيضاً معلومة وهي وراء الجدال والراء فالراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة . والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار للدعوى وتقريرها والحصومة لجأج في الكلام ليستوفي به مال أوحق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والراء لا يكون إلا باعتراف على كلام سبق فقد قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أبغض الرجال إلى الله الألف الخصم» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع» (٣) وقال بعضهم إذاك والخصومة فاتها تحق الدين وقال ماخاضم ورع قط في الدين وقال ابن تيمية مري بغير من عبد الله ابن أبي بكره قال ما جعل لك مهنة قلت خصومة بيني وبين ابن عمي قال إن ليك مهنة يدنا وإن أريد أن أجزيك بها وإن والى ماراً يهتينا أذهب للدين ولا أخص للرومة ولا أضح للذة ولا أفلن للقلب من الخصومة قال قسماً لا تصرف فقال لي خصمي مالك قلت لا أخصمك قال إنك عرفت أن الحق قلت لا ولكن أكرم نفسي من هذا قال فاني لا أطلب منك شيئاً هو لك . فان قلت فإذا كان للإنسان حق فلا بد له من الخصومة في طلبه أوفى حفظه مع حافظه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تلم خصومه ، فاعلم أن هذا العلم يتناول الذي خصامه بالباطل والذي خصامه بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قيل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان فيخصام بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر الهدى في الخصومة على قصد التسلط أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يجهل على الخصومة محض الغناد لتهرب الخصم وكبره مع أنه قد يستحق ذلك القدر من اللال وفي الناس من يصرح به ويقول إنما قصدي عناده وكبر عتبه وإن كان أخذت منه هذا اللال ربحاً ربيته به في شر ولا بأل وهذا مقصوده الهدى والخصومة والاحتجاج وهو مملوم جداً فأما للظلم الذي ينصر حجة بطريق الشرع من غير ليد وإسراف وزيادة لجأج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد

(١) حديث رحم الله من كفلساته عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلًا ورواه أبو منصور والبيهقي في مسند القردوس من رواية هشام عن عائشة بفقرهم الله امرأ كفلساته عن أعراض المسلمين وهو منقطع وضعيف جداً .

( الآفة الخامسة : الحصومة )

(٢) حديث عائشة إن أبغض الرجال إلى الله الألف الخصم خ وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع ابن أبي الدنيا والأصفهاني في الترهيب وفيه رجاء أبو يحيى صفه الجهور .

بالأدب يفهم العلم وبالعلم  
يصح العمل وبالعمل  
تتال الحكمة والحكمة  
يقام الزهد وبالزهد  
تترك الدنيا وبترك  
الدنيا يرغب في الآخرة  
وبالرغبة في الآخرة  
تتال الرغبة عند الله  
تعالى . قيل لما ورد  
أبو حنيفة العراق جاء  
إليه الجليل فقرأ  
أصحاب أبي حنيفة  
وقولا على رأسه  
يا حمرون لأمره لا يخطئ  
أحد منهم فقال يا أبا  
حنيفة أدبت أصحابك  
أدب للسلوك فقال  
لا يا أبا القاسم ولكن  
حسن الأدب في الظاهر  
فصون الأدب في  
الباطن قال أبو الحسين  
التورى ليس لله في  
عبده مقام ولا حال  
ولا معرفة تسقط معها

وإذاعة قفقه ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا فإن منبسط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة تفرغ الصدر وتبرج التضب وإذاً هاج التضب نسي التنازع فيه وبقى الخلاف بين المتنازعين حتى يفرح كل واحد بمسأة صاحبه ويحزن بمسرة ويطلق اللسان في عرشه فمن بدأ بالخصومة قد تعرض لهذه المهدورات وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمسألة خصمه فلا يتيق الأمر على حد الواجب والخصومة مبدأ لكل شر وكذا للراء الجدل فينبغي أن لا يفتن بأبه الإلزامية وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعزجدا لمن انحصر على الواجب في خصومته سلم من الالم ولا تنتم خصومته إلا أنه إن كان مستخيا عن الخصومة فيأخضع فيه لأن عنده ما يكتفه فيكون تاركا للأولى ولا يكون آمنا، ثم أقل ما يفوته في الخصومة والراء والجدل طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار اللوافة ولا خشوة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه قد جهه أو كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم «يكنسكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» (١) وقد قال الله تعالى - وقولوا للناس حسنا - وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عليك من خلق الله فارده عليه السلام وإن كان مجوسيا إن الله تعالى يقول - وإن جئتم شيعة خيرا بأحسن منها أوردوها - وقال ابن عباس أيضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدما الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام» (٢) وروى أن عيسى عليه السلام من به خبز قال مر بإسلام فقبل ياروح الله أقول هذا خبز قال أكره أن أعود لسان الشر وقال نبينا عليه السلام «الكلمة الطيبة صدقة» (٣) وقال «أهوا النار ولو يبق ثمرة فإن لم تجدوا في كلمة طيبة» (٤) وقال عمر رضي الله عنه البر شيء حين وجه طليق وكلام لين . وقال بسن الحكماء الكلام اللين يسل الضفائن للستنة في الجوارح . وقال بسن الحكماء كل كلام لا يسطر ربك إلا أنك ترضى به جليسك فلا تكن به عليه خيلا فإنه له يومك منه ثواب المستعين وهذا كله فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والراء والجدل والواجب فإنه الكلام للسترة للوحش لا في القلب للنفس للمعش للبهج للفضيل لاوغر للصدر نال الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

## ( الآلة السادسة )

التصريح في الكلام بالتحقيق وتكليف السمع والقصاحة والتصنع فيه بالثبتيات والقديمات وما جرت به عادة المتخاصمين للدين للخطابة وكل ذلك من التصنع للذموم ومن التكليف للمعقوت الذي قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا وأخياء أمي برآء من التكليف» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أنسكم إلى وأبعدكم من مجلسا الثرثارون للثبتهون للتحديقون في الكلام» (٥) وقالت فاطمة رضي الله عنها (١) حديث يكتسبكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام الطبراني من حديث جابر وفيه من لأخبره وله من حديث هاني أن شريح أسند جيد يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام (٢) حديث أنس إن في الجنة لفرقا يرى ظاهرها من باطنها الحديث ت وقد تهم (٣) حديث الكلمة الطيبة صدقة م من حديث أبي هريرة (٤) حديث أهوا النار ولو يبق ثمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تهم .

## ( الآلة السادسة : التصريح في الكلام والتحقيق )

(٥) حديث إن أنسكم إلى الله وأبعدكم من مجلسا الثرثارون للثبتهون للتحديقون أحد من حديث

آداب الشريعة وآداب الشريعة حلية الظاهر والله تعالى لا يبيح تعطيل الجوارح من التحلي بمحاسن الآداب قال عبد الله بن المبارك آداب الحجة للبارك آداب الحجة أمز من الحجة . حكى عن أبي عبد القاسم بن سلام قال دخلت مكة فكت ربحا أمد جهاد الكعبة وربما كنت استلقي وأمد رجل فجاءني عائشة للكعبة فقالت لي يا أبا عبد قال إنك من أهل العلم أقبل من مكة لأعماله إلا بأدب ولا فيسقى اسمك من ديوان القربل أبو عبيد وكانت من العارفات . وقال ابن حنبل : النفس مجبوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شرار أمم الدين غنوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويشدقون في الكلام» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أهلك للتطون ثلاث شرار» (٢) والتطون هو التمتع والاستقصاء . وقال عمر رضي الله عنه : إن شغل الكلام من شغل الشيطان وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته يكلم فقال له سعد ما كنت من حاجتك بأهد منك اليوم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخل البقرة الكلا» (٣) وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والتقدمة للنوعية الشكفة ، وهذا أيضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل جمع متكلف وكذلك التفاضيل الخارج عن حد الحاجة وكذلك التكلف بالجمع في المحاورات «إذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة في الجنتين قال بمن قوم الجاني : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطال فقال أسجعا كسجج الأعراب» (٤) وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتضع بين عليه ، بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقتضود الكلام التفهيم للعرض وما وراء ذلك تسنع ملموم ولا يدخل في هذه تحسين ألقاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب فإن للتصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرخصة اللفظ تأثير فيه فهو لا تق به ، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف للملوم ولا باعث عليه إلا الإراء وإظهار القاصحة والتعزير بالبراعة وكل ذلك ملموم يكرهه الصريح ويؤجر عنه .

#### (الآفة السابعة : التحش والسب وبلادة اللسان)

وهو ملموم ومنه عنه ومصدره الحبث والظوم . قال صلى الله عليه وسلم «لما كنم والتحش فإن الله تعالى لا يحب التحش ولا التفضي» (٥) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن تسب قتل بدر من الشريكين قال «لا تسبوا هؤلاء فانه لا يغلس إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأبياء إلا إن البذاء لؤم» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس للؤم بالطمأن ولا الأمان ولا التماس ولا البلى» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم

أبي ثعلبة وهو عند من حديث جابر وحسنه بلفظ إن أضحك إلى (١) حديث فاطمة شرار أمم الدين غنوا بالنعيم الحديث وفيه ويشدقون ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب (٢) حديث ألا هلك للتطون من حديث ابن مسعود (٣) حديث سدياني على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخل البقرة الكلا» بلسانها روى أحمد (٤) حديث كيف ندى من لا شرب ولا أكل الحديث من حديث الثوري بن هبة وأبي هريرة وأسلمها عند ع أيضا .

#### (الآفة السابعة : التحش والسب وبلادة اللسان)

(٥) حديث لما كنم والتحش الحديث ن في الكبري في التفسير والحاكم وصحه من حديث عبد الله ابن عمرو ورواه ابن جبان من حديث أبي هريرة (٦) حديث التي عن سب قتل بدر من الشريكين الحديث ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن أبي الباقر مرسلًا ورجاله ثقات ولقناني من حديث ابن عباس بلسان صحيح إن رجلا وقع في أب إلياس كان في الجاهلية فطعمه الحديث وفيه لا تسبوا أمواتا فتؤذوا أحيانا (٧) حديث ليس للؤم بالطمأن ولا الأمان ولا التماس ولا البلى ت بساند صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصحه وروى موقوفًا قال البخاري في العلل وللوقوف أصح (٨) حديث الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

على سوء الأدب والصيد  
مأمور بلازمة الأدب  
والنفس تجرى بطباعها  
في ميدان الخافضة  
والصيد يردها بجهده  
إلى حسن للطالبة  
فمن أعرض عن  
الجدد قد أطلق  
عنان النفس وغفل  
عن الرماية ومهما  
أحاطا فهو شرير كما قال  
الجديد من أمان نفسه  
على هواها قد أشرك  
في قتل نفسه لأن  
المبودية بلادة الأدب  
والطغيان سوء الأدب  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن أبي قال أنا أبو القنص  
المحسوي قال أنا  
أبو النصر القرطبي قال  
أنا أبو محمد الجرجاني قال  
أنا أبو العباس المحمدي  
قال أنا أبو عيسى الترمذي

« أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما هم من الأذى يسمون بين الحميم والجميع يدعون بالويل والتبور : رجل يسيل فيه قهقريا وما يقال له ما بال الأبد قد أذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة قدمة خبيثة فيستلقها كما يستلق الرث (١) » وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة « يا عائشة لو كان التحفي رجلا لكان رجل سوء (٢) » وقال عليه السلام « البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق (٣) » فيحمل أن يراد بالبيان كشفها لا يجوز كشفه وحمل أيضا للبالغة في الإفصاح حتى ينسى إلى حد التكلف وحمل أيضا للبيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى فإن إلقاء ذلك مجالا إلى أصابع العوام أولى من البالغة في بيانها إلا قد يشور من غاية البيان فيه شكوك وسواس فإذا أجلت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه أن يكون للرأفة المجلهرة بما يستحي الإنسان من يائه فإن الأولى في مثله الإغماض والتخالف دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يحب الفاحشي للفضح الصباح في الأسواق (٤) » وقال جابر بن مرة « كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم وأبي أمامة فقال صلى الله عليه وسلم إن التحفي والفاحشي ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاما أحسنهم أخلاقا (٥) » وقال إبراهيم بن مسيرة قال يؤذي الفاحشي للفضح يوم القيامة في صورة كلب أوفى جوف كلب . وقال الأنصف ابن قيس الأصم « أذول الله اللسان اليدى والخلق الذي ، فهذه مذمة التحفي فأما حده وحقيقته فهو التعبير عن الأمور للستتابة بالبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في أنماط الواقع وما يتعلق به فأن لأهل النساء عبارات صريحة فاحشة يستعملونها في أهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكونونها ويبدلون طريا بالرموز فيذكرون ما جازها ويضلق بها ، وقال ابن عباس : إن الله حي كريم ينفو ويكنو كنى باللس من الجماع فالسيس والسيس والدخول والصعبة كتابات عن الواقع وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستتبع ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعريض وهذه العبارات متفاوتة في التحفي وبعضها أغشى من بعض ، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات ترد فيها وليس يختص هذا بالواقع بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والتائط أولى من قسط التقوط والخرأ وغيرها فإن هذا أيضا مما غنى وكل ما يغنى يستتبع منه فلا ينبغي أن يذكر ألقاظه الصريحة فانه أغشى وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء قلإل قالت زوجته كذا بل يقال قبل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد قالت لطف في هذه الأنماط محمود والتصرع فيها يفضى إلى التحفي وكذلك من به عيوب يستتبع منها فلا ينبغي أن يبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبولاسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري من حيث جده الله بن عمرو (١) حديث أربعة يؤذون أهل النار على ما هم من الأذى الحديث وفيه إن الأبد كان ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيستلقها كما يستلق الرث ابن أبي الدنيا من حديث شفي بن مانع واختلف في صفة ذكره أبو نعيم في الصحابة وذكره ح في التابعين (٧) حديث يا عائشة لو كان التحفي رجلا لكان رجل سوء ابن أبي الدنيا من رواية ابن خزيمة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها (٣) حديث البذاء والبيان شعبتان من النفاق وحسنه وك وضعه على شرطهما من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٤) حديث إن الله لا يحب الفاحشي ولا للفضح الصباح في الأسواق ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف وله ولطيراني من حديث أمامة بن زيد إن الله لا يحب الفاحشي للفضح وإسناده جيد (٥) حديث جابر بن مرة إن التحفي والتفضح ليسا من الإسلام في شيء الحديث أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح .

قال ثنا قتبية قال ثنا يحيى بن يحيى عن ناصح عن مالك عن جابر بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يؤذ الرجل عليه وسلم وله خير له من أن يتصدق بصاع » وروى أيضا أنه قال عليه السلام « ما فعل والله لو لمس نعمة أفضل من أدب حسن » وروى عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه » وقال أبو علي الحافظ الميبد يصل بطاعة إلى الجنة وبأدبه في طاعته إلى الله تعالى قال أبو القاسم القشيري رحمه الله كان

جره فالتصرع بذلك داخل في القمض وجميع ذلك من آفات اللسان . قال العلامة بن هرون : كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منقطه فخرج تحت إبطه خراج فأثنيه نساءه ترى ما يقول قلنا من أين خرج فقال من باطن اليد ، والباعث على القمض إما قصد الإلتواء إما الاعتداء بالحاصل من مخالطة الساق وأهل الحديث والثوم ومن عاداتهم السب ، وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يمله فبك فلا تغيره بشيء يمله فيه يكن وبالله عليه وأجره لك ولا تسب عينا قال لما سببت عينا بسده (١) ، وقال عياض بن حمار وقلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه فقال لللسان شيطانان يتناولان ويتبارجان (٢) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « سياب للؤمن فسوق وقتاله كفر » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « وسب للستيان ما قاله صلى الله عليه وسلم : « من سب والديه » وفي رواية : « من أكبر الكيأ أن يسب الرجل والديه » قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب أب الرجل فيسب الآخر أبه .

( الآفة الثامنة الامن )

إما لحوان أو جاد أو إنسان وكل ذلك مذموم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للؤمن ليس بلعان » (١) وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلاعنوا بلسنة الله ولا بفضيه ولا بجهنم » (٢) وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول ، وقال صمران بن حصين : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طاعة لها فضجرت منها فلعبنا فقال صلى الله عليه وسلم خلوا ما عليها وأعوها فانها ملعونة » (٣) قال فسكأت أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا تترس لها أحد . وقال أبو البراء : « ما من أحد الأرض إلا قالت لمن الله أعصا له . وقالت ثالثة رضي الله عنها » مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أب بكر وهو يلحن بسن رقيقه فالتفت إليه وقال يا أب بكر أصدقين ولما بين كلا ودب الكعبة مريين أو ثلاثا » (٤) فأتى أبو بكر يومئذ رقيقه وآتى النبي

(١) حديث قال أعرابي أوصني فقال عليك بتقوى الله وإن امرؤ عرك بشيء يمله فبك فلا تغيره بشيء يمله فيه الحديث أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري المجيب قيل اسمه جابر بن سليم وقيل سليم بن جابر (٢) حديث عياض بن حمار قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس أن أنتصر منه قال لللسان شيطانان يتكاذبان ويتبارجان د الطيالى وأصله عند أحمد (٣) حديث سياب السلم فسوق وقتاله كفر متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث للستيان ما قاله صلى الله عليه وسلم : « من سب والديه » وفي رواية : « من أكبر الكيأ أن يسب الرجل والديه الحديث أحمد وأبو الطيالى والطبراني من حديث ابن عباس باللفظ الأول بإسناد جيد واتفق الشيخان على اللفظ الثاني من حديث عبد الله بن عمرو

( الآفة الثامنة الامن )

(١) حديث للؤمن ليس بلعان تدم حديث ابن مسعود ليس للؤمن بالطمعان ولا اللسان الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثا ولقترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون للؤمن لسانا (٢) حديث لا تلاعنوا بلسنة الله الحديث ت د من حديث سمرة بن جندب قال ت حسن صحيح (٣) حديث صمران بن حصين بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار طاعة لها فضجرت منها فلعبنا الحديث رواه م (٤) حديث ثالثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أب بكر رضي الله عنه وهو يلحن بسن رقيقه فالتفت إليه فقال يا أب بكر لمانين وصديقين الحديث ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضغفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه .

الاستأذان على لا يستند إلى شيء فكان يوما في جمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهري لأني رأيته غير مستند فتسنى عن الوسادة قليلا فوجدته أنه توفي الوسادة لأني لم يكن عليها خرقة أو سجادة فقال لا أريد الاستناد فتأملت بسد ذلك فلفت أنه لا يستند إلى شيء أبدا . وقال الجليل البصري التوحيد واجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له والإيمان واجب التسمية فمن لا تسمية له لا إيمان له ولا توحيد له والأيمان واجب الأدب فمن لا أدب له لا تسمية له ولا إيمان له ولا توحيد له وقال بسنهم الزم الأدب

على الله عليه وسلم وقال لا أعوذ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن السائين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » (١) وقال أنس كان رجل يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لا تسير معنا على بئر ملعون » (٢) وقال ذلك إنكاراً عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تباعد من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي أن يتبع فيه فقط التبرع فإن في الأمانة خطراً لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد لللعن وذلك غيب لا اطلاع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أطلع الله عليه والصفات للتبعية للثلاثة الكفر والبدة والفسق واللعن في كل واحدة ثلاث مراتب : الأولى اللعن بالوصف الأعم كقولك لعنة الله على الكافر والبتديع والفسقة. الثانية اللعن بأوصاف أضيق منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخواارج والروافض أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا وكل ذلك جائز ولكن في لمن أوصاف للتبعية خطر لأن معرفة البدة غامضة ولم يرد فيه فقط مأثور فينبغي أن يمنع منه المولم لأن ذلك يستدعي المارئة بئره وغير زمان بين الناس وفساداً . الثالثة اللعن للشخص للعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنة الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع أو متفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنة شره فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنة الله وأبو جهل لعنة الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء مأثور على الكفر وعرف ذلك شره أما شخص يثبت في زمانه كقولك زيد لعنة الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مرقباً عند الله فكيف يحكم بكونه ملعوناً . فإن قلت يلحق لكونه كافراً في الحال كما يقال المسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وإن كان يتصور أن يرتد . فأعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبتته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر في ماهو سبب العنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائر أن يقال لعنة الله إن مات على الكفر وللعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري وللطلاق متردد بين الجهتين فحقيقه خطر وليس في ترك اللعن خطر وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلحق الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تغلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يجوز أن يسلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » (٣) وذكر جماعة قتلوا على الكفر يندر حق إن من لم يعلم حقيقته كان يلحقه قهري عنه إذ روي « أنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهر الفزلة قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء أو يوجب عليهم أو يذهب قاتلهم ظالمون » (٤) - يعني أنهم ربما يسلمون لأنهم لم يعلم أنهم ملعونون

(١) حديث إن السائين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة من حديث أبي هريرة (٧) حديث أنس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بئر فلحقه بئره فقال يا عبد الله لا تسير معنا على بئر ملعون ابن أبي الدنيا بإسناد جيد (٢) حديث الأهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة متفق عليه من حديث ابن مسعود (٤) حديث إنه كان يلحق الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قوته شهر الفزلة قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً الحديث وفي رواية لها قنت شهرًا يدعو على رجل وذو كان الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وكان يقول حين يفرغ من صلاة التجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه الأهم اللعن لحيان ورعلا الحديث

ظاهراً وباطناً أو أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوب باطناً . قال يضمنهم هو غلام الدقاق نظرت إلى غلام أمد فظنر إلى الدقاق وأنا أنظر إليه فقال تجدن غيا ولو بعد سنين قال فوجدت غيا بعد عشرين سنة أن أنسيت القرآن . وقال سري صليت وروى ليقتن ليالي ومددت رجلي في الحسراب فوجدت يسرى هكذا تجالس للوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك لآمدت رجلي أبداً وقال الجدي نيق ستين سنة مامد رجلي لئلا ولا نهالاً . قال عبد الله ابن المبارك من تهاون



وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لونه وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجر  
 كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد  
 الطائف فقال هذا قبر رجل كان مائيا على الله ورسوله وهو سعيد بن الماس قنصب ابنه عمرو  
 ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم الطعام وأضرب للهام من أذى قنابة قال أبو بكر  
 يكفى هذا يا رسول الله بئله هذا الكلام قال صلى الله عليه وسلم لا تكف عن أذى بكر فالعصف  
 ثم أقبل على أبي بكر فقال يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فمضوا فانكم إذا خصمتم قنصب الأبناء  
 لا بآء فكف الناس عن ذلك (١) وشرب نيمان الحمر خذ مرات في مجلس رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال بعض الصحابة لونه الله ما أكثر ما يؤذى به قال صلى الله عليه وسلم «لا تسكن عونا  
 للشيطان على أخيك (٢) وفي رواية لا تفل هذا فانه يحب الله ورسوله قتله عن ذلك وهذا يدل على  
 أن لمن فاسق بينه غير جائز وعلى الجلة في لمن الأضغاس خطر فليجنب ولا خطر في السكوت من لمن  
 إليس مثلاً فضلاء غيره . فان قيل هو يجوز لمن زيد لأنه قاتل الحسين وأمر به . قلنا هذا لم يثبت أصلاً  
 فلا يجوز أن يقال إنه قتله أو أمر به علم يثبت فضلاً عن الحق لأنه لا يجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير  
 تحقيق ، ثم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنهما فان ذلك ثبت متواتراً  
 فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر  
 ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك (٣) وقال عليه «ما شهد رجل على رجل  
 بالكفر إلا بآء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً قد كفر بتكفيره إليه (٤)  
 وهذا معناه أن يكفروه وهو لم أنه مسلم فان ظن أنه كافر ببيعة أو غيرها كان خطئاً لا كافراً وقائماً

وفيه ثم باننا أنه تركنا لعلنا أزل الشك من الأمر شي - فليظن (١) حديثان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان مائيا على  
 الله وعلى رسوله وهو سعيد بن الماس قنصب ابنه الحديث وفي الترمذي من رواية أبي بن ربيعة  
 قال لما انتسح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر  
 ومعه ابن سعيد بن الماس قال أبو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن الماس قال أبو بكر لمن  
 الله صاحب هذا القبر قال كان مجاهد الله ورسوله الحديث وفيه فإذا سببت المشركين فسيبهم جميعاً  
 (٢) حديث شرب نيمان الحمر خذ مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الصحابة  
 لونه الله ما أكثر ما يؤذى به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكن عونا للشيطان على أخيك  
 وفي رواية لا تفل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الترمذي بن بكار  
 من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا ومحمد هذا وفي حياته صلى الله عليه وسلم ومعه محمدًا وكناه  
 عبد الملك والبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه  
 عبدالله وكان يلقب حماراً وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جله في الشراب فأتى به  
 يوماً فأمر به فخطب فقال رجل من القوم اللهم اننه ما أكثر ما يؤذى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 لا تلنوه فوافقه ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه  
 لا تمينوا عليه الشيطان وفي رواية لا تكونوا عون الشيطان على أخيك (٣) حديث لا يرمي رجل رجلاً  
 بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك متفق عليه واللباق البخاري  
 من حديث أبي ذر عن جدهم ذكر الفسق (٤) حديث ما شهد رجل على رجل بالكفر إلا أتى أحدهما  
 إن كان كافراً فهو كما قال وإن لم يكن كافراً قد كفر بتكفيره إليهما أبو مسعود رضي الله عنهما في مسند القردوس  
 من حديث أبي سعيد بسند ضعيف .

بالأدب عوقب بهрман  
 السنن ومن تهاون  
 بالسنة عوقب بهрман  
 القرائن ومن تهاون  
 بالقرائن عوقب  
 بهрман للفرقة . وستل  
 السرى عن مسئة  
 في الصبر لجل يشكم  
 فيها فنب على رجه  
 فحرب فبصلت نصربه  
 بإبرها قيل له ألا  
 تدفعا من قسك  
 قال استسنى من الله  
 أن أنكم في حال  
 ثم أخالف ما أعلم فيه  
 وقيل من أدب  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال  
 «زوت لي الأرض  
 فأريت مشارقتها  
 ومنازرها» ولم يقل  
 رأيت . وقال أنس  
 ابن مالك الأدب  
 في العمل علامة قبول

قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أهلك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للاموات أشد» (١) قال سروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لئن قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا الأموات فانهم قد أقضوا إلى ما قضوا» (٢) وقال عليه السلام: «ولا تسبوا الأموات فتؤذوا به الأحياء» (٣) وقال عليه السلام: «أيها الناس احفظوني في أصحائي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات لبيت فاذكروا منه خيراً» (٤) فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لئن الله أو الأمر يقتله لئن الله؟ قلنا الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لئن الله لأنه لم يحصل أن يموت بسبب التوبة فإن وحشياً قاتل حمزة عمر رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر وأقبل على التوبة فقتل جميعاً ولا يجوز أن يلحق بالقتل كبيرة ولا تمتن إلى رتبة الكفر فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس بالجنة وإطلاق اللسان بها وللؤمن ليس بلمان فلا ينبغي أن يطلق اللسان بالجنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس للروفين بأوصافهم دون الأخصاس للبينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن في السكوت سلامة قال مكي بن إبراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي ردة فبصوا يلحنوه ويقعون فيه وابن عون ساكت قالوا يا ابن عون إنما ندكره لما ارتكب منك فقال إنما جاككتان فخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولئن الله فلانا فلان فخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلي من أن يخرج منها لئن الله فلانا . وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال: «أوصيك أن لا تكون لمانا» (٥) وقال ابن عمر: إن أفضن الناس إلى الله كل طمان لمان . وقال بعضهم لمن يؤمن يمدل قتله وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لوليت إني مرفوع لم أبال وعن أبي قتادة قال كان يقول: «ومن لمن مؤمناً فهو مثل أن يقتله» (٦) وقد قل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقرب من اللعن المصاح على الإنسان بالشر حق المصاح على الظالم كقول الإنسان مثلاً لصاحبه الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فان ذلك مذموم وفي الخبر: «إن للظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه» ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة (٧) .

- (١) حديث معاذ أهلك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً أبو نعم في الحلية في أثناء حديثه طويلاً
- (٢) حديث عائشة لا تسبوا الأموات فانهم قد أقضوا إلى ما قضوا وخ ذكر للصنف في أوله قصة لعائشة وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة (٣) حديث لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء الترمذي من حديث الثوري بن شعيب ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين التسمية وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم (٤) حديث أيها الناس احفظوني في أصحائي وإخواني وأصحابي ولا تسبوا أيها الناس إذا مات لبيت فاذكروا منه خيراً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري احفظوني في أصحائي وأصحابي وإسناده ضيف ولشيوخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة لا تسبوا أصحابي ولأن دلود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم ولقسان في حديث عائشة لا تذكروا موتاكم إلا بخير وإسناده جيد (٥) حديث قال رجل أوصني قال أوصيك أن لا تكون لمانا أحمد والطبراني وابن أبي حاتم في الأحاد والثاني من حديث جرير بن الحارث وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي حاتم (٦) حديث لمن يؤمن كفته متفق عليه من حديث ثابت بن الضحك (٧) حديث إن للظالم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة لم أقف على أصله والتزم من حديث عائشة بسند ضيف من دعا على من ظلمه فقد ابصر .

العمل . وقال ابن  
عطاء الأدب الوقوف  
مع المستحسنات  
قبل ما يستهجنه قال أن  
لما لم يسمع سرا وعلمنا  
بالأدب فإذا كنت  
كذلك كنت أدياً  
وإن كنت أهمياً ثم  
أنشد :  
إذا نلت جاد بك  
ملحة  
وإن سكنت جاد  
بك ملح  
وقال الجرجري منذ  
عشرين سنة ما مدت  
رجلي في الخوفة فان  
حسن الأدب مع الله  
أحسن وأولى . وقال  
أبو علي ترك الأدب  
موجب للظفر من أساء  
الأدب على البساطرد  
إلى الباب ومن أساء  
الأدب على الباب رد

## (الآفة التاسعة التناء والشعر)

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من التناء وما حل فلا نبيده وأما الشعر فكلما حسن وقيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم قال رسول الله ﷺ «لأن يمتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير له من أن يمتلى شعرا» (١) وعن مسروق أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه قبله في ذلك فقال أنا أكره أن يوجد في صحيفي شعر وسئل بعضهم عن شيء من الشعر قال اجعل مكانه هذا ذكرنا فان ذكر الله خير من الشعر . وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام يستكره قال صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» (٢) نعم مقصود الشعر للدخ والنغم والتشبيب وقد يدخله الكلب وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت الأنصاري بهجاه الكفار والتوسع في اللحن (٣) فانه وإن كان كذبا فانه لا يلحق في التحريم بالكلب كقول الشاعر :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليكن الله ساهله

فان هذا عبارة عن الوصف بنباهة السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وإن كان سخيا فالنباهة من صفة الشعر فلا يقصد منه أن يفتقد صورته وقد أنشدت أبيات بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه قالت عائشة رضى الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض فيه» وكنت جالسة أغزل فظفرت إليه لجل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبنت فظفر إلى فقال مالك بنت قنل يارسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رأته أبو كبير المذلي لم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير المذلي قلت يقول هذين البيتين :

ومبرا من كل غير حيشة ولساد مرضمة وداء مفيل

ولذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق المارض للتهلل

قال فوضع صلى الله عليه وسلم ما كان يده وقام إلى وقيل ما بين عينيه وقال جزاك الله خيرا يا عائشة ما سرورت منى كسرورى منك (٤) . ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم التناهي يوم حنين أمر العباس بن مرداس بأربع فلائس فاندفع يشكو في شعره وفي آخره :

وما مكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع

وما كنت دون امرئ منها ومن نفع اليوم لا يرفع

قال صلى الله عليه وسلم انقطعوا عنى لسانه فلقب به أبو بكر الصديق رضى الله عنه حتى اختار مائة

## (الآفة التاسعة التناء والشعر)

(١) حديث لأن يمتلى جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير من أن يمتلى شعرا مسلم من حديث سعد ابن أبي وقاص واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه والبخارى من حديث ابن عمر . وسلم من حديث أبي سعيد (٢) حديث إن من الشعر لحكمة تقدم في العلم وفي آداب السماع (٣) حديث أمره حسانا أن يهجو للشركين متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لسان اهجمهم وجبريل ملك (٤) حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض فيه وكنت أغزل قالت فظفرت إليه فجعل جبينه يرق وجعل عرقه يتولد نورا الحديث وفيه إنشاد عائشة لشعر أبي كبير المذلي :

ومبرا من كل غير حيشة ولساد مرضمة وداء مفيل

فانما نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق المارض للتهلل

إلى آخر الحديث روله البيهقي في دلائل النبوة .

إلى رسالة الشواب .  
[ الباب الثمانى  
والثلاثون في آداب  
الحضرة الالهية لأهل  
القرب ]

كل الآداب تتلقى من  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فانه عليه  
السلام مجمع الآداب  
ظاهرا وباطنا وآخر  
الله تعالى عن حسن  
أدبه في الحضرة بقوله  
تعالى - مازال البصر  
وما طغى - وهلم  
غامضة من غوامض  
الآداب اختص بها  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أخبر الله  
تعالى عن اعتدال  
قلبه القدس في  
الاعراض والاقبال  
أعرض عما سوى الله  
وتوجه إلى الله وترك  
وراء ظهره الأرضين

من الابل ثم رجع وهو من أرضي الناس قال له صلى الله عليه وسلم أقول في الشعر فصل يتندر إليه ويحول بأني أمت وأني لأجد للشعر ديبا على لساني كديب القمل ثم قرصني كايقرص القمل فلا أجد بدا من قول الشعر فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال لا تمنع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين (١) .

(الآفة الماشرة للزلج)

وأصله مملوم منهى عنه إلا قدر أسير يستثنى منه قل صلى الله عليه وسلم « لا تمارأ أخاك ولا تمارسه » قال قلت للمارة فيها إنياء لأن فيها تكديبا للأخ والصديق أو نجيبا له ، وأما الزلج فطافية وفيه أنيساط وطيب قلب ثم ينهى عنه ؟ فاعلم أن للشي عنه الإفراط فيه أو اللدومة عليه ما لللدومة فلا نه اشتغال بالحب والمزل فيه والحب مباح ولكن الواطبة عليه مملوم مقواما للإفراط فيها فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تبيث القلب ويورث الضئيلة في بعض الأحوال وتسقط لها بالوالوفار فاجلو عن هذه الأمور فلا يعلم كما روى النبي ﷺ أنه قال « إني لأمرح ولا أقول إلا حقا » (٢) إلا أن مثله يتدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقا وأما غيره إذا فتح باب الزلج كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل لينكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى في التار أبعد من التريا » (٣) وقال عمر رضى الله عنه : من كثرت ضحكته قلت هيته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياته ومن قل حياته قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولأن الضحك يدل على الضئيلة عن الآخرة قال صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لبكىتم كثيرا ولمضحكتم قليلا » (٤) وقال رجل لأخيه أبي هل أتاك ذلك أو ردا لتار قال نعم قال فهل أتاك أنك خارج منها قال لا قال فقيم الضحك أقل فما روى ضاحكا حتى مات . وقال يوسف ابن أسباط أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وقيل أقام عطاء السلي أربعين سنة لم يضحك ونظر وهيب ابن الورد إلى قوم يضحكون في عيد فطر فقال إن كان هؤلاء قد فطرهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يفرح لهم فما هذا فعل الخائفين . وكان عبد الله بن أبي جلي يقول أضحك ولعل أ كفتانك

(١) حديث لما قسم التناثم أمر للباس بن مرداس بأربع قلائص وفي آخره شعره :

وما سكان بدر ولا حابس يسودان مرداس في جمع  
وما كنت دون امرئ منها ومن تنفع اليوم لا يرغ

فقال صلى الله عليه وسلم اقلعوا عن لسانه الحديث مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب وسفوان بن أمية وعيينة بن حسن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل وأعطي عباس بن مرداس دون ذلك قال عباس بن مرداس :

أجمل نهي ونهي السبي مد بين هيئة والأقرع  
وما سكان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في جمع  
وما كنت دون امرئ منها ومن تنفع اليوم لا يرغ

قال قائم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وزاد في رواية أعطى علفنة بن حلافة مائة وأما زيادة اقلعوا عن لسانه فليست في شيء من الكتب للشهورة .

(الآفة الماشرة للزلج)

(٢) حديث لا تمارأ أخاك ولا تمارسه الترمذي وقد تقدم (٣) حديث إني أمرح ولا أقول إلا حقا

تقدم (٤) حديث إن الرجل لينكم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من التريا تقدم .

(٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكىتم كثيرا متفق عليه من حديث أنس وعائشة .

والدار الحاجة يحفظها  
والسموات والدار  
الآخرة يحفظها فسا  
التفت إلى ما عرض  
عنه ولا لقله الأسف  
على التائب في إعرافه  
قال الله تعالى سلبيلا  
تأملوا على ما فاتكم  
فهذا الخطاب للموم  
وما زلج البصر إخبار  
عن حال النبي عليه  
السلام بوصف غنى  
من معنى ما يطلب به  
الموم فكان ما زلج  
البصر حاله في طرف  
الأعراض وفي طرف  
الاقبال تلقى ماورد  
عليه في مقام قاب  
قوسين بالروح والقلب  
ثم فر من الله تعالى  
حياء منه ودية  
وإجلالا وطوى قبه  
بفراره في مطاوى  
انكساره واقتناره

قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من أذن ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يضحك وقال محمد بن واسع إذا رأيت في الجنة رجلا يضحك فاستجب من مكانه ؟ قيل بلى قال فاقضى يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أصح منه فيه أنه أفة الضحك وللنوم منه أن يستغرق ضحكا والحمد لله منه التيسم التي يكشف فيه السن ولا يسمع له صوت وكذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> قال القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم على قفوس له مص فلما جعل دنا من النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به لجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فقبل ذلك مرار ثم وقصه فقتله قبل يارسول الله إن الأعرابي قد صرعه قومه وقدمه لك فقال لهم وأفواكم ملائ من دمه <sup>(٢)</sup> وأما أداء الزاح إلى سقوط الوار قد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن النكدر قال لابي يابن لا تمزح الصبيان قهون عديم وقال سعيد بن العاص لا يمزح يابن لا تمزح الشريف فيخذ عليك ولا الله فيجزي عليك وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اتقوا الله ولياكم وللزاح فانه يورث الضغينة ويهر إلى التيسع تحذروا بالقرآن وتجالسوا به فان قل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر رضي الله عنه أندروهم متى لزاح مزاحا ؟ قالوا لا قال لأنه أزاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شيء بذور وبذور المدواة للزاح ويقال للزاح حلبة لئلا مقطعة للأصدقاء . فان قلت قد قيل للزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكيف ينبغي عنه . فأقول إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تخرج ولا تقول إلا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تخرط فيه وتعتصر عليه أيا ناطي الندور فلا خرج عليك فيه ولكن من القسط العظيم أن يتخذ الإنسان للزاح حرفة يواطى عليه وخرط فيه ثم يمسك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وهو كمن ينور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رءسهم ويمسك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لما نشأ في النظر إلى رءس الزنوج في يوم عيد وهو خطأ إذ من الصغار ما يصير كبيرة بالاصرار ومن البهات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي أن يفعل عن هذا <sup>(٣)</sup> ثم روى أبو هريرة أنهم قالوا « يارسول الله إنك تدعنا فقال إني وإن دعيتكم لأتوكم إلا حقا <sup>(٤)</sup> » وقال عطاء بن رزجال قال ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ؟ فقال نعم قال فما كان مزاحه ؟ قال كان مزاحه أنه صلى الله عليه وسلم كذا ذات يوم امرأة من نسائه فبولوا فقال لها البسه واحدى وجرى منه ذبلا كذبل العروس <sup>(٥)</sup> وقال أنس بن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفكك الناس مع نسائه <sup>(٦)</sup> وروى أنه كان كثير التيسم <sup>(٧)</sup> وعن الحسن قال أمت هجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم ولا يدخل الجنة هجوز فبكت فقال إنك لست بهجوز يومئذ قال الله تعالى - إنا أنشأناهم أنشاء فجلناهم أبكارا - <sup>(٨)</sup> وقال زيد بن أسلم إن امرأة يقال لها

(١) حديث كان ضحكك التيسم تهم (٢) حديث القاسم مولى معاوية أقبل أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم على قفوس له مص فلما جعل دنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله يخر به لجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون منه فقبل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله قبل يارسول الله إن الأعرابي قد صرعه قومه فقدمه لك قال لهم وأفواكم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل (٣) حديث إذ نشأ في النظر إلى رءس الزنوج في يوم عيد تهم (٤) حديث أبو هريرة قالوا إنك تدعنا قال إني وإن دعيتكم فلا أقول إلا حقا الترمذي وحسنه (٥) حديث عطاء بن رزجال سألت ابن عباس أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم الحديث قد ذكره عنه قوله لامرأة من نسائه البسه واحدى وجرى منه ذبلا كذبل العروس لم أقص عليه (٦) حديث أنس قال من أفكك الناس تهم (٧) حديث أنه كان كثير التيسم تهم (٨) حديث الحسن لا يدخل الجنة هجوز

لكيلا تبسط النفس  
فخطي فان الطمان  
عند الاستثناء وصف  
النفس قال الله تعالى  
- كلا إن الإنسان  
ليظنى أن رآه استغنى-  
والنفس عند اللوهاب  
الواردة على الروح  
والقلب تسترق السمع  
ومنى نالت قسطا من  
التع استخنت وطفنت  
والطمان يظهر منه  
فطر البسط والإفراط  
في البسط يمد باب  
الزهد وطماني النفس  
لضييق وطمانيها عن  
اللوهاب فوسى عليه  
السلام صح له في  
الحضرة أحد طرفي  
حازلغ الصروما التفت  
إلى ملائمة وما طماني  
متأسفا لحسن أدبه  
ولكن ابتلا من التبع  
واستقرت النفس السمع

أم أيمن جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت إن زوجي يدعوك قال ومن هو أهو الذي بينه ياض قالت والله ما بينه ياض قال بل إن بينه ياضا قالت لا والله قال صلى الله عليه وسلم : مامن أحد إلا وبينه ياض وأراد به البياض المحيط بالحلقة (١) وجاءت امرأة أخرى قالت ورسول الله أحملني على بئر فقال بل حملك على ابن البئر قالت ما أصنع به إنه لا يحملني قال (٢) : مامن بئر إلا وهو ابن بئر (٣) فكان يرحم به وقال أنس كان لأبي طلحة ابن قتادة أبو عمير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيهم ويقول «يا أبا عمير ما فعل التير» (٤) فتير كان يلعب به وهو فريح الصفور وقالت عائشة رضي الله عنها «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال تعالى حتى أسألك فشدت درع على يدي يلقم خططنا خطا قتنا عليه واستبقنا فسبقني وقال هل من مكان في الجواز» (٥) وذلك أنه جاء يوما ونحن بنى الجواز وأنا جارية قد بشى أبي يحيى فقال أعطينيه فأبيت وسميت وصي في أثرى فلم يدركني وقالت أيضا وسألت رسول الله (ﷺ) فسبقته فما حملت اللحم سألتني فسبقني وقال هذه تلك (٦) وقالت أيضا رضي الله عنها «كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنت حريرة ووجبت به قلت لسودة كلى قالت لأجبه قلت والله لتأكلن أو لأطعن به وجهك قالت ما أنا بذاهقة فأخلفت يدي من الصفحة شيئا منه فطغيت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فغضض لما رسول الله ركبته لتستقيم فتناولت من الصفحة شيئا فسمحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك» (٧) وروى «أن الضحاك بن سفيان الكلبي كان رجلا دمييا قبيحا فلما يابسه النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عندى امرأتين أحسن من هذه الجبراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤالها إياه لأنه كان دمييا (٨) . وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان صلى الله عليه وسلم يطلع لسانه للحنن ابن على عليها السلام فيرى الصبي لسانه فيحس له فقال له عينة بن بدر الفزاري والله ليكونن

التمنى في الثبائل هكذا مرسلًا وأسند ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (١) حديث زيد بن أسلم في قوله لامرأة يقال لها أم أيمن قالت إن زوجي يدعوك أهو الذي بينه ياض الحديث الثوري بن بكار في كتاب التسكاهة وللزجاج ورواه ابن أبي الدنيا من حديث صيدة بن سمم الثوري مع اختلاف (٢) حديث قوله لامرأة استعملت حملك على ابن البئر الحديث أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ أنا حاملك على ولد الناقة (٣) حديث أنس أبي عمير ماض التير متفق عليه وتقدم في أخلاق النبوة (٤) حديث عائشة في مسابقة صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فسبقها وقال هل من مكان في الجواز لم أجده أصلا ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر (٥) حديث عائشة سألتني فسبقته النساء وابن ماجه وقد تقدم في التسكاهة (٦) حديث عائشة في لطف وجه سودة بحريرة ولطف سودة وجه عائشة فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك الثوري بن بكار في كتاب التسكاهة وأبو يعلى بإسناد جيد (٧) حديث إن الضحاك بن سفيان الكلبي قال عندى امرأتان أحسن من هذه الجبراء أفلا أنزل لك عن إحداهما فتزوجها وعائشة جالسة قبل أن يشرع الحجاب قالت أمي أحسن أم أنت فقال بل أنا أحسن منها وأكرم فضحك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان دمييا الثوري بن بكار في التسكاهة من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو مضللًا وللدارقطني نحو هذه القصة مع عينة بن حسن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة .

وتطلعت إلى القسط والحظ فلما حظيت النعم استغنت وطمع عليها ما وصل إليها وضاق لطاقها فتجاوز الحد من فرط البسط وقال أرى أنظر إليك فلع لم يطلق في قضاء الزيد وظهر الفرق بين الحبيب والكريم عليها السلام وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنية فكل قبض يوجب عقوبة لأن كل قبض سدى وجسه باب الفتح والسقوية بالقبض أوجبت الإفراط في البسط ولو حصل الاعتدال في البسط ماوجب السقوية بالقبض والاعتدال في البسط بإخفاف النازل من التبع على الروح

لى الابن قد تزوج وبقل وجهه ومابله قط فقال صلى الله عليه وسلم « إن من لا يرحم لا يرحم » (١)  
فأكثر هذه لطايات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف  
قلوبهم من غير ميل إلى هزل وقال صلى الله عليه وسلم مرة لصوب وبه رمد وهو يأكل تمرًا  
وأما كل التمر وأنت رمد قال إنما أكل بالشق الآخر يارسل الله خبسم صلى الله عليه وسلم (٢)  
قال بمن الرواة حتى نظرت إلى نواجزه . وروى « أن خواتم بن جبير الأنصاري كان جالساً إلى نسوة  
من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يتنلن ضعفاً  
جللى شروء قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته ثم عاد فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجلل  
الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أضر منه كلما رأته حياء منه حتى قدمت للدينة  
وبعد ما قدمت للدينة قال فرأى في السجد يوماً أصلى فجلس إلى فطولت فقال لا تطول فاني أنتظرك  
فما سلت قال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجلل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قائم وكنت بعد ذلك  
أضر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد قال يا عبد الله أمارك ذلك  
الجلل الشراد بعد قلت والذي بك بالحق ما شرد منذ أسلت قال الله أكبر الله أكبر اللهم اهد  
يا عبد الله قال حسن إسلامه وهداه الله (٣) وكان ليمان الأنصاري رجلاً مزاحاً فكان يهرب الجحر  
في المدينة فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بضمه ويأمر أصحابه فيضربونه بضامهم فما أكثر  
ذلك منه قاله رجل من الصحابة لئنك الله قال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تضلم فانه يحب الله ورسوله  
وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتى بها النبي ﷺ فيقول يارسل الله هذا قد  
اشترىته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها بقتاضه بالتمن جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسل  
الله أعطه ثمن متاعه فيقول له صلى الله عليه وسلم أولم تهتم لنا فيقول يارمول الله إنه لم يكن عندي  
ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بشئ (٤) فهذه مطايات

(١) حديث أبي سلمة عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يدلغ لسانه للحنن بن علي فيرى  
الصبي لسانه فيبش إليه فقال عينة بن بدر القزاري والله ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه  
ومابله قط فقال إن من لا يرحم لا يرحم أبو يعلى من هذا الوجه دون ما في آخره من قول عينة  
ابن بدر وهو عينة بن حسن بن بدر ولرب إلى جده وحكي الخطيب في اللبغات قولين في قالني  
ذلك أحدهما أنه عينة بن حسن والثاني أنه الأقرع بن حابس وعند مسلم من رواية الزهري عن  
أبي سلمة عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن فقال  
إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ من لا يرحم لا يرحم (٢) حديث  
قال لصوب وبه رمد أكل التمر وأنت رمد قال إنما أكل بالشق الآخر خبسم النبي صلى الله  
عليه وسلم ابن ماجة والحاكم من حديث صبيب ورجاله ثقات (٣) حديث إن خواتم بن جبير كان  
جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله  
مالك مع النسوة فقال يتنلن ضعفاً جللى شروء قال فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته  
أسلم عن خواتم بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات وأدخل بعضهم بين زيد وبين خواتم ريمة  
ابن عمرو (٤) حديث كان ليمان رجلاً مزاحاً وكان يهرب الجحر فيؤتى به إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم فيضربه الحديث وفيه أنه كان يشتري الثمن ويهديه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم  
يجي بصاحبه فيقول أعطه ثمن متاعه الحديث الزبير بن بكار في الفسكة ومن طريقه ابن  
عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلًا وقد تقدم أوله .

والقلب والإخفاف على  
الروح والقلب بما  
ذكرناه من حال النبي  
عليه السلام من تنبيب  
النفس في مطاوى  
الانكسار فلك القرار  
من الله إلى الله وهو غاية  
الأدب عظمى به رسول  
الله عليه الصلاة  
والسلام فما قول  
بالقبض فلم يريد  
وكان قلب قوسين  
أو أدنى وبشاكل  
الشرح الذي شرحناه  
قول أبي العباس بن  
عطاء في قوله تعالى  
- ما زلج البصر  
وما طنى - قال لم يره  
بطيناً يعيل بل رآه على  
شرط اعتدال القوى  
وقال سهل بن عبد الله  
التستري لم يرجع  
رجول الله صلى الله عليه  
وسلم إلى شاهد نفسه

يأخ منها على الدور لاطى الدوام والواظية عليها هزل مذموم وسبب للضحك للميت لقلب .

### ( الآفة الحادية عشرة السفرة والاستهزاء )

وهذا عزم مهم كان مؤذيا كآقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خير منهم ولا تشاءوا من نساء عسى أن يكن خيرا منهن - ومعنى السفرة الاستهانة والتحقير والتبذير على الريبوبوالفحاشى على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالهاكة فى الفصل والقول وقد يكون بالأعارة والابناء وإذا كان بحضرة السهزأ به لم يسم ذلك غيبة ومعنى التية قالت عائشة رضى الله عنها حاكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « والله ما أحب أنى حاكيت إنسانا ولى كذا وكذا » وقال ابن عباس فى قوله تعالى - ياويلتعالفذا الكتاب لا يفلو صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - إن السفرة التسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة التفهية بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر . وعن عبدالله بن زمة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فوعظهم فى ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يضحك ؟ وقال صلى الله عليه وسلم « إن للسهرلين بالناس يفتح لأحدم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه ففتح له الباب فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فبازال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له لهم لهم فلا يأتية » وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم « من عير أخاه بذنب قد تاب عنه لم يمت حتى يمه » وكل هذا يرجع إلى إسقاط التبر والضحك على استهانة به واستفصارا له وعليه نيه قوله تعالى - عسى أن يكون خيرا منهم - أى لا تستقره استفصارا فله خير منك وهذا إنما يحرم فى حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به حكايات السفرة فى حق من جملة الزللح وقد سبق ما يلم منه وما يعيب وإنما المحرم استفصارا يتأذى به للسهرأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا خطب فيه ولم ينتظم أو على أفضاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطبه وعلى صنعة أو على صورته وخلقته إذا كان قصيرا أو ناقصا لبيب من الريبوب فالضحك من جميع ذلك داخل فى السفرة التى عنها .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

وهو منهى عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم

### ( الآفة الحادية عشرة السفرة والاستهزاء )

(١) حديث عائشة حكيت إنسانا فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم ما يسرى أنى حاكيت إنسانا لولى كذا وكذا أبو داود والترمذى وصححه (٢) حديث عبد الله بن زمة وعظهم فى الضحك من الضرطة وقال علام يضحك أحدكم مما يضحك متفق عليه (٣) حديث إن للسهرلين بالناس يفتح لأحدم باب من الجنة فيقال لهم لهم فيجى بكره وغمه فاذا جاء أغلق دونه الحديث ابن أبى الدنيا فى الصمت من حديث الحسن مرسلأ وروياه فى ثمانيات التحجب من رواية أبى هذبة أحد المالكيين عن أنس (٤) حديث معاذ بن جبل من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يمه الترمذى دون قوله قد تاب منه وقال حسن غريب وليس إسناده يتصل قال الترمذى قال أحمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه .

### ( الآفة الثانية عشرة إفشاء السر )

ولا إلى مشاهدتها وإنما كان مشاهدا بكيته لربه يشاهد ما يظهر عليه من الصفات التى أوجبت الثبوت فى ذلك المثل وهذا الكلام لمن اعتبر موافق لما شرعناه برمز فى ذلك عن سهل بن عبد الله ويؤيد ذلك أيضا ما أخرينا به شيئا ضياء الدين أبو التحجب السهروردى إجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص محمد بن محمد بن منصور الصفار التيسابورى قال أنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازى قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا نصر ابن عبد الله بن طى



« إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة<sup>(١)</sup> » وقال مطلقاً الحديث بينكم أمانة<sup>(٢)</sup> وقال الحسن إن من الحياة أن تحدث بسر أخيك . وروى أن معاوية رضى الله عنه أسرى إلى الوليد بن عتبة حديثاً قال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسرى إلى حديثاً وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كنت سره كان الخیار إليه ومن أفضاه كان الخیار عليه قال قلت يا أبت وإن هذا يدخل بين الرجل وبين ابنه قال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحد حديث السر قال فأنت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعفك أبوك من رقي الحظا فافشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولزم إن لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتبان السرقى كتاب آداب الصبغة فأغنى عن الإعادة.

### ( الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلقاً ولا ذكراً من أمارات التناقى قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - وقال صلى الله عليه وسلم « العدة عطية<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « الوأى مثل الدين أو أفضل<sup>(٤)</sup> » والوأى الوعد وقد اتفقوا على أنه لا يثبت له ضمان أصيل عليه السلام في كتابه العزيز قال - إنه كان صادق الوعد قيل إنه وعد إنساناً في موضع فرجع إليه ذلك الإنسان بل نسي فبقى اسمعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره . ولما حضرته عينه الله بن عمر الوفاء قال إنه كان خطب إلى أختي رجل من قريش وقد كان منى إليه فيه الوعد فوالله لا أتى الله بثلث التناقى أشدكم أنى قد زوجته الحق وعن عبد الله بن أبي الحنفية قال « يايت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت وبقية له بقية فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك فقصت يومى والتد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه قال يا فتى لقد عفت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك<sup>(٥)</sup> » وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل للحداد فلا يجيء قال ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي يجيء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وعد وعدا قال عسى<sup>(٦)</sup> وكان ابن مسعود لا يسعد إلا يقول إن شاء الله وهو الأولي ثم إذا فهم مع ذلك الحزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن ينتذر فإن كان عند الوعد ما طي أن لا يفي فهذا هو التناقى . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن سام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أتمن خان<sup>(٧)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا<sup>(٨)</sup> »

(١) حديث إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهى أمانة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث جابر (٢) حديث الحديث بينكم أمانة ابن أبي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسل .

### ( الآلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب )

(٣) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت والخرائط في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسل (٤) حديث الوأى مثل الدين أو أفضل ابن أبي الدنيا في الصمت من رواياتين لم يثبت مرسل وقال الوأى معنى الوعد ورواه أبو منصور الديلمى في مستند القردوس من حديث على بن سعيد (٥) حديث عبد الله بن أبي الحنفية يايت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده أن آتية بها في مكانه ذلك فقصت يومى والتد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه قال يا فتى قد عفت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك روى أبو داود واختلف في إسناده وقال ابن مهدي ما أظن لإبراهيم بن طهمان إلا أخطأ فيه (٦) حديث كان إذا وعد وعدا قال عسى لم أجده أصلاً (٧) حديث أنى هريرة ثلاث من كن فيه فهو منافق الحديث وفيه إذا وعد أخلف متفق عليه وقد تقدم

السراج قال أنا  
أبو الطيب السكى من  
أبي محمد الجبرى قال  
التسرع إلى استدراك  
علم الاقطاع وسية  
والوقوف على حد  
الاختصار نجاة والياد  
بالهرب من علم الدنو  
وصلة واستباح ترك  
المسواب ذخيرة  
والاعتصام من قبول  
دواوى استماع الخطاب  
تكلف وخوف فوت  
علم ما الطوى من  
فضاحة القهم في حين  
الإقبال المسابة والإصغاء  
إلى تلقى ما ينفع من  
معدته بدوا للاستسلام  
عند التلاقي جرامة  
والانسياط في محل  
الأذى غرة وهذه  
الكلمات كلها من  
آداب الحنفرة لأربابها  
وفي قوله تعالى سلازف

ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من الاتفاق حتى يدعى إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر (١) وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير علم فأما من عزم على الوفاء فمن له علم منه من الوفاء لم يكن مناقا وإن جرى عليه ما هو صورة الاتفاق ولكن ينبغي أن يحترز من صورة الاتفاق أيضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي أن يجعل قسه معلوما من غير ضرورة حادثة فقد روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتي بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقى واحد فأتت فاطمة رضى الله عنها تطلب منه خادما وتقول ألا ترى أثر الرخي يدي قد ذكر موعدة لأبي الهيثم فيصل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم (٢) فأتته به على فاطمة لما كان قد سبق من موعدة له مع أنها كانت تدبر الرخي يدها الضعيفة ولقد كان صلى الله عليه وسلم جالسا يسم غنائم هوازن حين نوقت عليه رجل من الناس فقال إن لي عندك موعدة يا رسول الله قال صدقت فأحكك ما هشت فقال أحكك ثمانين ضائكة وراعيا قال هي لك وقال أحككت يسرا (٣) لصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكا منك حين حكها موسى عليه السلام قالت : حكى أن تردني هاية وأدخل معك الجنة . قيل فكان الناس يفتخرون ما أحكك به حتى جعل مثلا لغيره أشع من صاحب الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الخلف أن يبدل الرجل الرجل وفي نيته أن يفي (٤) وفي لفظ آخر « إذا عبد الرجل أخذوا في نيته أن يفي فلم يعد فلا يفي عليه . »

#### ( الآلة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

وهو من قبايح الذنوب وفواحش الذنوب قال إسماعيل بن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا علم أولكم بى وقال لا يكتم والكذب فانه مع التجور وما في النار (٥) وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الكذب باب من أبواب النفاق (٦) وقال الحسن كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والفعل وللدخول والخروج وإن الأصل الذي يفي عليه

(١) حديث عبد الله بن عمرو أربع من كن فيه كان مناقا الحديث متفق عليه (٢) حديث كان وعد أبا الهيثم بن التيهان خادما فأتي بثلاثة من السي فاعطى اثنين وبقى واحد فجاءت فاطمة تطلب منه الحديث وفيه فيصل يقول كيف بموعدي لأبي الهيثم فأتته به على فاطمة فتدبر كرهت لأبي الهيثم في آداب الأكل وهي عند الترمذى من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر فاطمة (٣) حديث أنه كان جالسا يسم غنائم هوازن حين نوقت عليه رجل قال إن لي عندك موعدة قال صدقت فأحكك ما هشت الحديث وفيه لصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك الحديث ابن جابر والحاكم في المستدرک من حديث أبي موسى مع اختلاف قال الحاكم صحيح الإسناد وفيه نظر (٤) حديث ليس الخلف أن يبدل الرجل الرجل ومن نيته أن يفي وفي لفظ آخر إذا وعد الرجل أياه وفي نيته أن يفي فلم يعد فلا يفي عليه أبو داود والترمذى وضعه من حديث زيد بن أرقم باللفظ الثاني إلا أنها قالوا لم يفي .

#### ( الآلة الرابعة عشرة الكذب في القول واليمين )

(٥) حديث أبي بكر الصديق قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا علم أولكم بى وقال لا يكتم والكذب الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والآلة وجهه للصف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإسماعيل بن أوسط عن إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن حسن (٦) حديث أبي أمامة إن الكذب باب من أبواب النفاق ابن عدى في الكامل بسند ضعيف وفيه بخر بن موسى

البصر وما طوى -  
وجده آخر الطفسعا  
سبق : مازلج البصر  
حيث لم يتخلف عن  
البصرة ولم يتأخر  
وما طوى لم يسبق البصر  
البصرة فيتجاوز حده  
ويصدى مقامه بل  
استقام البصر مع  
البصرة والظاهر  
مع الباطن والقلب مع  
القلب والنظر مع القدم  
ففي قدم النظر على القدم  
طمان وللغى بالنظر  
علم والقدم حال القلب  
فلم يتقدم النظر على  
القدم فيكون طمانا  
ولم يتخلف القدم عن  
النظر فيكون قصيرا  
فلما اعتدلت الأحوال  
وصار قلبه كقابله  
وقاله كقلبه وظاهره  
كباطنه وباطنه  
كظاهره وبصره  
كبصره وبصره

التناق الكذب وقال عليه السلام «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت به كاذب»<sup>(١)</sup> وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا يزال العبد يكذب ويضجرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»<sup>(٢)</sup>. ومروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رجلين يتبايان شاة ويتحالان قول أحدهما ولا أنفك من كذبا وكذا يقول الآخر والله لا يزيد على كذا وكذا فرب الشاة وقد اشتراها أحدهما فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام «الكذب ينقص الرزق»<sup>(٤)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن التجار هم التجار قليل يارسول الله أليس قد أحل الله البيع؟ قال نعم ولكم علقون في أعون وعردون في كذبون»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاثة غير لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: للثان بطلته ولثاني سلمته بالخلف القاجر والسبل إزاره»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكبة في قلبه إلى يوم القيامة»<sup>(٧)</sup> وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ «ثلاثة يحبهم الله رجل كان في قبة فصب نحره حتى يتدل أو وضع الله عليه وعلى أصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصر على أذنه حتى يرقق بينهما موت أو ظمن ورجل كان معه قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أهرم أن يسوا الأرض فتركوا فتنى يسى حتى يوقظ أصحابه للرجل وثلاثة يشؤم الله التاجر أو البياع الخلف والفقير المحتال والبخل للثان»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ويل للقي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له»<sup>(٩)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي قم فقممت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يسد القائم كlob من حديد يلقمه في صدق الجالس فيجده حتى يبلغ كاهله الوجهى ضيف جداً وخفى عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وحديث أربيع من كن فيه كان منافقاً قال في كل منهما وإذا حدث كذب وما في الصحيحين وقد شهدنا في الآلة التي قبلها (١) حديث كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له كاذب البخاري في كتاب الأدب للفردي وأبو داود من حديث صفوان بن أسيد ووضعه ابن عدى ورواه أحمد والطبراني من حديث النوايس بن سيمان بإسناد جيد (٢) حديث ابن مسعود لا يزال العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً متفق عليه (٣) حديث من رجلين يتبايان شاة ويتحالان الحديث وفيه فقال أوجب أحدهما بالاثم والكفارة أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء للفردي من حديث نافع الحضرمي وهكذا رويناها في أمالي ابن ميمون وناسخ ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم هو عبد الله بن نافع (٤) حديث الكذب ينقص الرزق أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من حديث أبي هريرة وروناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضيف (٥) حديث إن التجار هم التجار الحديث وفيه وعردون في كذبون أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل (٦) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم للثان بطلته ولثاني سلمته بالخلف الكاذب والسبل إزاره مسلم من حديث أبي ذر (٧) حديث ما خلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بموضة إلا كانت نكبة في قلبه إلى يوم القيامة الترمذي والحاكم وصححه إسناده من حديث عبد الله بن أنس (٨) حديث أبي ذر ثلاثة يحبهم الله الحديث وفيه وثلاثة يشؤم الله التاجر أو البياع الخلف أحمد واللفظ له وفيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد والنسائي من حديث أبي هريرة أربعة يبغضهم الله البياع الخلف الحديث وإسناده جيد (٩) حديث ويل للقي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

كيسره حيث انتهى نظره وعلمه قارنه قدموه حاله ولهذا للنفى انكس حكم معناه ونوره على ظاهره وآتى البراق يتسبى خطوه حيث يتسبى نظره لا يتخلف قلب البراق عن موضع نظره كما جاء في حديث للعراج فكان البراق يتأله مشا كالمناه ومتصفا بصفة قوة حاله ومعناه وأشار في حديث للعراج إلى مقامات الأنبياء ورأى في كل صماء بعض الأنبياء إشارة إلى تمويشهم وتخليقهم عن عاوه ودرجته ورأى موسى في بعض السموات فن هو في بعض السموات يكون قوله لارنى أنظر إليك تجاوزا للنظر عن حد

ثم يجده بيمينه الجنب الآخر فيجده فإذا مده رجع الآخر كما كان قلت لأبي ما هذا؟ قال هذا رجل كذاب يذهب في قومه إلى يوم القيامة (١) وعن عبد الله بن جراد قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله هل ينزل المؤمن؟ قال قد يكون ذلك قال يا بني هل يكذب المؤمن؟ قال لا ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقوله الله تعالى - إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله - وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول في دعائه « اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من أثرا ولساني من الكذب (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب أليم : شحاذان، ومالك كذاب، وعاتل مستكبر (٣) » وقال عبد الله بن عامر « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى حتى أعطيك فقال صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال أما إنك لو لم تضل لكنت عليك كذبة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أفاء الله على نساء عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا يجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم وكان مستكبرا « ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الإشراف بالله وعقوق الوالدین ثم قد قال: ألا وقول الزور (٦) » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن البديل كذب الكذبة فيباعد الله عنه مسيرة ميل من نين مجاهه (٧) » وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم « تقبلوا إلى بيت أهبل لكم بالجنة قالوا وما هن؟ قال إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا اتهم فلا يئمن وغضا أو أصرارك واحتفظوا فروجكم وكفوا أيديكم (٨) » وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث رأيت كأن رجلا جاءني فقال لي قم فمعت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس يد القائم كلوب من حديد يلقمه في شق الجالس الحديث البخاري من حديث حمزة بن جندب في حديث طويل (٢) حديث عبد الله بن جراد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل ينزل المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لا الحديث ابن عبد البر في التهذيب بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصرا على الكذب وجعل السائل أبا الرداء (٣) حديث أبي سعيد اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجني من أثرا ولساني من الكذب هكذا وقع في نسخ الإحياء عن ابن سيد الأئمة عن أم عبد كذا روى الخطيب في التاريخ دون قوله وفرجني من أثرا وزاد وعلى من الرأى وعين من الحجة وإسناده ضعيف (٤) حديث ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم الحديث وفيه والإمام الكذاب مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطيك فقال وما أردت أن تعطيه قالت إنما قال إن لم تضل لكنت عليك كذبة روى أبو داود وفيه من لم يسم وقال الحاكم إن عبد الله بن عامر ولد في حياته صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه - قلت وشاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجعنا تحت إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة (٦) حديث لو أفاء الله على نساء عدد هذا الحصى قسمتها بينكم ثم لا يجدوني غيلا ولا كذبا ولا جبانا روى مسلم وهم في أخلاق النبوة (٧) حديث ألا أنبشكم بأكبر الكبائر الحديث وفيه ألا وقول الزور متفق عليه من حديث أبي بكر (٨) حديث ابن عمر إن البديل كذب الكذبة فيباعد الله عنه مسيرة ميل من نين مجاهه به الترمذي وقال حسن غريب (٩) حديث أنس تقبلوا إلى بيت أهبل لكم بالجنة إذا حدث أحدكم فلا يكذب الحديث الحاكم في المستدرک والحراطي في مكارم الأخلاق وفيه مدني سنن شفه أحمد والنسائي ورواه ابن معين ورواه الحاكم بنحوه من حديث صائدة بن الصامت وقال

القدم وتحققا للقدم  
عن النظر وهذا هو  
الاختلاف أحد الوصفين  
من قوله تعالى لا يزال  
البصر وما طوى -  
فرسول الله حمل مقترنا  
قدمه ونظره في جبال  
الحياة والتواضع ناظرا  
إلى قدمه قائما على  
نظره ولو خرج من  
جبال الحياة والتواضع  
وتطاول بالنظر متمديا  
حد القدم تمولى في  
بطن السموات  
كتموى غيره من  
الأنبياء فلم ينزل صلى  
الله عليه وسلم متجسسا  
جباله في خفارة أدب  
الله حتى خر في جيب  
السموات فانصبت إليه  
أقسام القرب الصبا  
واقتضت عنه  
سمات المحب جبالا  
جبالا حتى استقام على

« إن للشيطان كلا ولعوا ونشوقا أما لعوته فالكذب وأما نشوقه فالسب وأما كفه فالنوم<sup>(١)</sup> »  
 وخطب عمر رضي الله عنه يوما قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كقاييما هذا فيك فقال  
 « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يغشوا الكذب حتى يخاف الرجل على يمينه ولم يتحلف  
 ويشهد ولم يستشهد<sup>(٢)</sup> » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من حدث عن حديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين<sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من حلف على يمين يقطع به أماله لم يضره  
 مسلم غير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان<sup>(٤)</sup> » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها<sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها  
 للسلم إلا الحيانة والكذب<sup>(٦)</sup> » وقالت عائشة رضي الله عنها « ما كان من خلق أحد على أصحاب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل  
 من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها<sup>(٧)</sup> »  
 وقال موسى عليه السلام : يارب أي عبادك خير لك عملا ؟ قال من لا يكذب لسانه ولا يغير قلبه  
 ولا يزني فرجه ، وقال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فانه شئ كلهم الصفور مما يملأ به  
 ضاحيه ، وقال عليه السلام في منح الصدق « أربع إذا كنّ فيك لا يضرْك ما فاك من الدنيا  
 صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعضة طعمه<sup>(٨)</sup> » وقال أبو بكر رضي الله عنهما خطبة  
 بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامى هذا عام أول ثم بكى  
 وقال « عليكم بالصدق فانه مع البر<sup>(٩)</sup> » وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود وبهذا السلام وتحضن الجناح<sup>(١٠)</sup> »

صحيح الاسناد (١) حديث إن للشيطان كلا ولعوا الحديث الطبراني وأبو سيم من حديث أنس بسند  
 ضيف وقد تقدم (٢) حديث خطب عمر بالجالية الحديث وفيه ثم يغشوا الكذب الترمذي وصححه  
 والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر (٣) حديث من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب  
 فهو أحد الكاذبين مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب (٤) حديث من حلف على  
 يمين ما لم يقطع بها مال امرئ مسلم الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث أنه  
 رد شهادة رجل في كذبة كذبها ابن أبي الدنيا في السمعت من رواية موسى بن خزيمة عن حماد وموسى  
 روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل (٦) حديث على : كل خصلة يطبع أو يطوى عليها للؤمن  
 إلا الحيانة والكذب ابن أبي شيبة في اللصنف من حديث أبي أمامة بن زيد عن أبيه في مقدمة الكامل  
 من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر أيضا وأبي أمامة أيضا ورواه ابن أبي الدنيا في السمعت من  
 حديث سعد مرفوعا وموقوفا بالوقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في المال (٧) حديث ما كان  
 من خلق الله شيء أشد عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان يطلع على  
 الرجل من أصحابه على الكذب فما ينجل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث له منها ثوبا جديدا  
 حديث عائشة ورجاله تمت إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره وقد رواه أبو الشيخ في الطبقات  
 قتالدا ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح (٨) حديث أربع إذا كنّ فيك فلا يضرْك ما فاك من  
 من الدنيا صدق الحديث ، الحديث الحاكم والمحراطين في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو  
 وفيه ابن لهيعة (٩) حديث أبي بكر عليكم بالصدق فانه مع البر وجماعا في الجنة ابن ماجه والنسائي في  
 اليوم واليلة وقد تقدم بضه في أول هذا النوع (١٠) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق  
 الحديث أبو نعيم في الحلية وقد تقدم .

صراط - ما زاد البصر  
 وما طوى - فمركب البرق  
 الحافظ إلى ضجع  
 الوصل والطائفة وهذا  
 غايه في الأدب ونهاية في  
 الأرب . قال أبو محمد  
 ابن روم حين مثل  
 عن أدب للسافر قال  
 لا يجاوز حربه قدمه سفيث  
 وقب قلبه يكون مقفوه  
 أخبرنا شيخنا ضياء  
 الدين أبو التيجان بجازة  
 قالنا عمر بن أحمد قال  
 أنا أبو بكر بن خلف  
 قالنا أنا أبو عبد الرحمن  
 السلي قالنا القاضي  
 أبو محمد يحيى بن  
 منصور قال حدثنا  
 أبو عبد الله محمد بن  
 علي الترمذي قال حدثنا  
 محمد بن رزام الأيلي قال  
 حدثنا محمد بن عطاء  
 المديجي قال حدثنا  
 محمد بن نصير عن عطاء

وأما الآثار : ضد قال على رضى الله عنه : أعظم الخط يا عند الله اللسان الكذب وشر الندامة : الندامة يوم القيامة ، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه ما كذبت كذبة منذ شددت على إزارى ، وقال عمر رضى الله عنه : أحببنا عالم ترك أحسنكم أصبا فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقا فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة ، وعن ميمون بن أبي شبيب قال جلست أكتب كتابا فأتيت على حرف إن أنا كتبت زينت الكتاب وكنت قد كذبت فزمت على تركه فوديت من جانب البيت - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي : ما أدري أيهما أبعد فورا في النار الكذاب أو الخيل وقال ابن الهالك ما رأيت أوجر على ترك الكذب لأنى إنما أدعاه أخه ، وقيل لخالد بن صبيح أيسمى الرجل كاذبا بكذبة واحدة قال نعم وقال مالك بن دينار : قرأت في بعض الكتب مامن خطيب إلا وتعرض خطيبته على عمله فان كان صادقا صدق وإن كان كاذبا قرضت شفته بخار من نار كما قرضنا نيتنا . وقال مالك بن دينار : الصدق والكذب يتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد بن عبد الملك في شيء فقال له كذبت فقال عمر والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه .

( بيان مآرخس فيه من الكذب )

اعلم أن الكذب ليس حراما لئنه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره فان أكل درجته ان يستند الخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلا وقد يملق بمضر وغيره ورب جهل فيه منعة ومصلحة فالكذب حصل لذلك الجهل فيكون مأدوا فيه وربما كان واجبا . قال ميمون بن مهران الكذب في بعض اللواتن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلا سئل خلف إنسان بالسيف ليقته فدخل دارا فأنشئ إليه قال أرأيت فلانا ما كنت قال لا ألت هول بل أكره وما تصدق بموهذا الكذب واجب . فتقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرم وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح وإن كان تحصيل ذلك المقصد مباحا وواجب إن كان المقصود واجبا كما أن عصمة دم السلم واجبا لهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استقالة قلب المعنى عليه إلا يكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخسر أن يدعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الأصل إلا لضرورة . والذي يدل على الاستثناء ما روى عن أم كلثوم قالت « ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح والرجل يولد القول في الحرب والرجل يحدث امرأته أو تلهي زوجها (١) » وقالت أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو غي خيرا (٢) » وقالت أسماء بنت زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين يصلح بينهما (٣) » وروى عن أبي كهل قال « وقع بين اثنين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت مالك وقلان قد

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية - رب آزرني أنظر إليك - قال : قال ياموسى إنه لا يرى حتى إلا مات ولا يابس إلا تدمعه ولا رطب إلا تخرق إنما يرى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم . ومن آداب الحضرة ما قال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب وهذا يخص بعض الأحوال والأشياء دون البعض ليس هو على الإطلاق لأن الله تعالى أمر بالدهاء وإنما الامساك عن القول كما أمسك موسى عن الانبساط في طلب للكرب

(١) حديث أم كلثوم ما سمعته يرضى في شيء من الكذب إلا في ثلاث مسلم وقد تقدم (٢) حديث أم كلثوم أيضا ليس بكذاب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه وقد تقدم والذي قبله عند مسلم بهذا (٣) حديث أسماء بنت زيد كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذى مختصرا وحسنه .

سمعت عيسى عليه السلام ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حق أصطلحتم قلت أهلكتم شمس وأصلحت بين هذين فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا كاهل أصلح بين الناس (١) أي ولي الكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم « أ كذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدوا وأقول لها قال لا جناح عليك (٢) » وروى أن ابن أبي عذرة السؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلم النساء اللاتي يزوج بين فطارت له في الناس من ذلك أحد ويكرهها فاعلم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبخني قالت لا تشدني قال فاني أنشدك الله قالت نعم قال لابن الأرقم أنسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال إنكم لتحدثن أني أعظم النساء وأخلصن فأسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال أنت التي تحدثن لزوجك أنك تبخني قالت إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناعدني فخرجت أن أ كذب أمّا كذب يأمير المؤمنين قال نعم قال كذبي فان كانت إحداكن لأحب أحدنا فلا تحمده بذلك فان أقل البيوت الذي يفي على الحب ولكن الناس يتعشرون بالاسلام والأحساب ، وعن النوايس بن مهران الكلبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي أراكم تهاقون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم لعمالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة ويكون بين الرجلين شحنة فيصلي بينهما أو يحدث امرأته يرضى (٣) » وقال ثوبان الكذبي كله إنم إلا ما وقع به مسلما أو دفع عنه ضررا أو قال على رضي الله عنه : إذا حدثتكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا أن آخر من الماء أجاب إلى من أن أ كذب عليه وإذا حدثتكم بما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي منها ما عداه إذا أربط به بمقود صحيح له أو لغيره . أما ما له فثل أن يأخذ ما لا يملكه من ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن قاضية بينه وبين الله تعالى ارتكبا فله أن ينكر ذلك فيقول ما زنت وما سرقت ، وقال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٤) » وذلك أن إظهار القاضية فاجحة أخرى فلو جلي أن حفظه ماله الذي يؤخذ ظنا وعمرته بلسانه وإن كان كاذبا . وأما عرض غيره فبان يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الصرعات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إلي من كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعده لا يشر عليه فيعدها في الحال تطيبا قلبها أو يستدر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به ولكن المحدث من الكذب محدور ولو صدق في هذه المواضع توبه منه محدور فينبغي أن يقابل أحداهما بالآخر ويؤن بالميزان القسط فإذا علم أن المحدور الذي يحصل

(١) حديث أبي كاهل وقع بين رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام الحديث وفيه يا أبا كاهل أصلح بين الناس رواه الطبراني ولم يصح (٢) حديث عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم أ كذب على أهل قال لا خير في الكذب قال أعدوا وأقول لها قال لا جناح عليك ابن جند البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسل وهو في اللطاعن صفوان ابن سليم مضل من غير ذكر عطاء بن يسار (٣) حديث النوايس بن مهران مالي أراكم تهاقون في الكذب تهافت القرائش في النار كل الكذب مكتوب الحديث أبو بكر بن بلال في مفكرم الأخلاق بلفظ تنبأهم إلى قوله في النار دون ما يهده الطبراني وفيها شهر بن حوشب (٤) حديث من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن لم يستر منها فليستر بستر الله وإنسانه حسن .

والحاجات الدينية  
حق رضى الحق مقاماً  
في القرب وأذن له في  
الانبطاق وقال المطلب  
من ولو لمحا لمينك  
فما بسط انبطاق  
وب إلى لما أزلت  
إلى من خير قير -  
لأنه كان يسأل حوائج  
الآخره ويستعظم  
الحضرة أن يسأل  
حوائج الدنيا فخارتها  
وهو في حجاب الحشمة  
عن سؤال المحقرات  
ولهذا مثال في الشاهد  
فان للالك العظم يسأل  
للمعلمات ويحتم في  
طلب المحقرات فصار  
بساط حجاب الحشمة  
صار في مقام خاص من  
القرب يسأل المحقر كما  
يسأل الخطير قال  
ذو النون الصوري أدب  
العارف فوق كل أدب

بالصدق أشد وقفا في الشرع من الكذب لله الكذب وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران حيث يتردد فيما وعند ذلك الليل إلى الصدق أولى لأن الكذب يباح لفروضة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مشبهة بالأصل التحريم فيرجع إليه ولأجل غموض إدراك مراتب المقامد ينبغي أن يحذر الإنسان من الكذب ما أمكنه وكذلك مهما كانت الحاجة فيه فيستحب له أن يترك أغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تفاق بغيره فلا يجوز له الساعه خلق التغير والاضراء به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم ثم هو في بذات لئال والحياه والمموليس قوتها محنورا حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها ما تضر به وتكذب لأجل مراعاة الفرات وذلك حرام وقالت أسماء « سمعت امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت إنني ضرتوا في أكثر من زوجي عالم يعمل أضرارها بذلك فهل على شيء فيه فقال صلى الله عليه وسلم: للتشبع عالم يسل كلاب ثوب زور (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طعم بما لا يطعم أو قال لوليس له أو أعطيت ولم يسط فهو كلاب ثوب زور يوم القيامة ويدخل في هذا ثوب العالم بما لا يستحقه (٢) » وروايت الحديث الذي لا يثبت إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو ذلك يستكشف من أن يقول لأدري وهذا حرام ومما يشق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في اللعب إلا بوعده أو وعود أو تخوف كاذب كان ذلك بياها ، لم يرونا في الأخبار أن ذلك يكذب كذبا وأمكن الكذب للمباح أيضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطلب تصحيح قصده فيه ثم يفي عنه لأنه إما أن يحس بقصد الإصلاح ويتطرق إليه ضرر كبير فانه قد يكون الباعث له حفظه وغرضه الذي هو مستثن عنه وإنما يضل ظاهرا بالإصلاح فلماذا يكتب وكل من أتى بكذبة قد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن التصديق الكذب لأجله هل هو أم لا في الشرع من الصدق أم لا وذلك غامض جدا والحزم تركه إلا أن يصير واجبا حيث لا يجوز تركه كالو أدى إلى سفك دم أو ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن قانوناته يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التقصيد في المأسي وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ بعض إذ قال صلى الله عليه وسلم « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣) » وهذا لا يرتكب إلا لفروضة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب فتبادر من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها وقول القائل إن ذلك قد تكرر على الألسن وسقط وقصوه ما هو جديد فوقه أعظم فلهذا هو س إذ ليس هذا من الأغراض التي تخاف محذور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤذى فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أسلا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لا يقاومها شيء . نال الله العفو عنا وعن جميع المسلمين .

( بيان الحلو من الكذب بالماريض )

قد نزل عن السلف أن في الماريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه أما في الماريض ما يكتفي الرجل عن الكذب . وروى ذلك عن ابن عباس وغيره ما عدا أرادوا بذلك إذا نظر الإنسان إلى الكذب فأما إذا لم تكن حاجة فمجرد ضرورة فلا يجوز التبريز ولا التصريح بجمعا ولكن التبريز أهون ومثال التبريز ما روي أن مطرا دخل على زياد فانه يبطأ فظن بمرض وقال ما رفعت جنبي مذ فارقت

(١) حديث أسماء قالت امرأة إن لي ضرة وإنني أكثر من زوجي بما لم يفعل الحديث متفق عليه وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق (٢) حديث من طعم بما لا يطعم وقال لوليس له أو أعطيت ولم يسط كان كلاب ثوب زور يوم القيامة لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من طرق وقد تقدم في العلم .

لأن معروفه مؤدب قلبه . وقال بعضهم يقول الحق سبحانه وتعالى : من أقرته القيام مسح أسأى وصفاني أقرته الأدب ومن كشفه له من حقيقة ذاتي أقرته العطب . فاستر أبحا هلت الأدب والعطب القائل هذا إلى أن أسماء

صفات تستقل بوجوب محتاج إلى أدب لبقاء رسوم البشرية وحفظ النفس مع لسان نور عظيمة اللغات تتلاشى الآثار بالأنوار ويكون معنى العطب التصديق بالقراءة في ذلك العطب نهاية الأدب . وقال أبو عسى الاتفاق في قوله تعالى - وأيوب



الأمر إلا ما رضى الله وقال إبراهيم إذا بلغ الرجل عك شيء فكرهت أن تكذب قبل أن أتعالى  
ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرق نفي عند السمع وعنده الإبهام. وكان معاوية جبل  
عاملا لمرضى الله عنه فلما رجع قالت له إمرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم وما كان  
قد أتاهما شيء. فقال كان عندى ضاغط قالت كنت أمتنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند  
أبي بكر رضى الله عنه فبث عمر معك ضاغطا وقالت بذلك بين نساءنا واشتكت عمر فلما بلغته ذلك دعا  
معاذًا وقال بئت معك ضاغطا قال لم أجد ما أحذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضى الله عنه وأعطاه  
شيئا فقال أرضها به ومعنى قوله ضاغطا يخبر قبا وأراد به الله تعالى وكان النخيل لا يقول لا بئته أغشيتك  
سكرا بل يقول أرايت لو اشتريت لك سكرا فانه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلب من يكره  
أن يخرج إليه وهو في الدار قال للجارية قولى له اطلبه للسجود لا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا  
وكان النخيل إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية قنسى الأصبع فبأقولى ليس ههنا  
وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا ضمير للكذب وإن لم يكن اللفظ  
كذبا فهو مكروه في الجملة كما روى عبد الله بن حنبل قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد الله بن زحرمة  
عليه غرجت وطى ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير  
المؤمنين خيرا فقال لي أنى يأتي القى الكذب وما أشبهه فبأه عن ذلك لأن فيه تضررا لهم بل ظن كاذب  
لأجل غرض الفاحشة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه ، ثم للمريض بياض فحرف خفيف كتطبيب قلب  
الغيب بالزجاج كقوله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة جهوز» (١) وقوله «لا خير» (٢) الذى في عين زوجك  
بياض «ولا خير» (٣) تحصلك على ولد الغير «وما أعجبهم أوما الكذب الصريح كقوله نيمان الأنصاري مع  
عنان في قصة الغرير إذ قال له إنه نيمان وكما يتأده الناس من ملاعبة الحق يتبرؤم بأن امرأة قد  
رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يؤذى إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايته فلا  
يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال صلى الله عليه وسلم «لا يكمل للمرأة  
الإيمان حتى يحب لأخيها ما يحب لنفسه وحتى يهتنب الكذب في مزاحه» (٤) وأما قوله عليه السلام «إن  
الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها في النار أبعد من التراب» (٥) أراد به ما فيه غيبة مسلم  
أو إيذاء قلب دون محض اللزاح . ومن الكذب الذى لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في الباطنة كقوله  
طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فانه لا يريد به تعظيم للرات بصددها بل تعظيم للباطنة فان  
لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن كان طلبه مرات لا يتعاد مثله في الكثرة لا يأتى وإن لم تبلغ  
مائة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يتبادر الكذب فيه ويتساهل  
به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشبهه وذلك منبئ عنه وهو حرام وإن لم يكن فيه غرض محمى  
قال مجاهد قالت أسماء بنت حميس «كنت ساجدة عائشة في الليلة التى هانتها وأدختها على رسول الله

(١) حديث لا يدخل الجنة جهوز. وحديث في عين زوجك بياض وحديث تحصلك على ولد الغير  
تخدمت الثلاثة في الآفة العائشة (٢) حديث لا يستكمل المؤمن لإيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه  
وحتى يهتنب الكذب في مزاحه ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أنى ملكة الأنصاري  
وقال فيه نظر ولا يشيخ من حديث أنى لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولدا رقتنى  
في اللؤلئى والمتخلف من حديث أنى هرة لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه  
قال أحمد بن حنبل منكر (٣) حديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوى بها  
أبعد من التراب تخدم في الآفة الثالثة .

إلى نادى به أنى  
مضى الضر وأنت  
أرحم الراحمين لم يقل  
أرحمى لأنه غفأذب  
الخطاب وقال عيسى  
عليه السلام إن كنت  
قلته قد علمته - ولم  
يقُلْ لم أفل رماية لأدب  
الحضرة . وقال  
أبو نصر السراج أدب  
أهل الخصوصية من  
أهل الدين في طهارة  
القلوب ومراعاة  
الأسرار والوفاء بالعهود  
وحفظ الوقت وقلة  
الانكفات إلى الخواطر  
والعوارض والبوادر  
والعوائق والمستنواة  
السر والعلانية وحسن  
الأدب في مواقف  
الطلب ومقامات القرب  
وأوقات الحضور .  
والأدب أدبان أدب  
قول وأدب فعل فن

صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ما وجدنا عندك قرى إلا قد سحان من لبن فشرب ثم ثاوله عائشة قالت فاستحييت الجارية فقاتل لاردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فأخذت منه على حياء فشربته ثم قال ناولي موابحك قلان لا تشبه فقال لا تجتمعن جووا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت إحداها لىء تشبه لأخيه أيسد ذلك كذبا قال : إن الكذب ليكذب كذبا حتى تسكب الكذبية كذبية (١) « وقد كان أهل الورع يحترزون عن التماس مع مثل هذا الكذب قال البيهقي بن سعد كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينه فيقال له لو مسحت عينك فيقول وأين قول الطبيب لأعس عينك فأقول لأفضل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر . وعن خواتم التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فأنكبت عليه فقالت كيف أنت يا بنى فجلس الربيع وقال أرضنيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخى ضعقت ومن العادة أن يقول يلم الله قبل أن يلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يلم لملا يعلم وربما يكذب في حكاية للثام والاثم فيعظم إذ قال عليه السلام « إن من أعظم القرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه للثام مالم يرا أو يقول على مالم أقل (٢) » وقال عليه السلام « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يصدق بين شعيرتين وليس بإحد بينهما أبدا (٣) » .

( الآلة الخامسة عشرة التنية )

والنظر فيها طويل فلندكر أولا مذمة التنية وما ورد فيها من عواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على نهيا في كتابه وفيه صاحبها بكل حلم اللية قال تعالى - ولا يثبت بضعكم بضاً أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه - وقال عليه السلام « كل للسل على السلم حرلم دمه وماله وعرضه (٤) » والتنية تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والمسلم وقال أبو هريرة قال عليه السلام « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تتاجشوا ولا تدابروا ولا يثبت بضعكم بضاً وكونوا عباد الله إخوانا (٥) » وعن جابر وأبي سعيد قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيكم والتنية فإن التنية أهد من الزنا فإن الرجل قد زنى ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب التنية لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (٦) »

(١) حديث مجاهد عن أمهات بنت حميس كنت صاحبة عائشة التي حياتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجتمعن جووا وكذبا ابن أبي الدنيا في السمات والطيراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أمهات بنت زيد وهو الصواب لأن أمهات بنت حميس كانت إذ ذاك بالبيعة لكن في طبقات الأصمانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أمهات بنت حميس رزنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسنننا الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (٢) حديث ابن من أعظم القرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في للثام مالم يرا أو يقول على مالم أقل البخاري من حديث واثقه بن الأستغ وله من حديث ابن عمر من أقرى القرى أن يرى عينيه مالم يرا (٣) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يصدق بين شعيرة شعيرة البخاري من حديث ابن عباس .

( الآلة الخامسة عشرة التنية )

(٤) حديث كل السلم على السلم حرلم دمه وماله وعرضه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يثبت بضعكم بضاً وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليهن حديث أبي هريرة وأبى دون قوله ولا يثبت بضعكم بضاً وقد تقدم في آداب الصبغة (٦) حديث جابر وأبي سعيد إياكم التنية فإن التنية أهد من الزنا الحديث ابن أبي الدنيا في السمات وإن جابن الضعفاء وإن من دونه في التفسير .

تتروى إلى الله تعالى بأدب فعل منه عجة القلوب . قال ابن المبارك نحن إلى قليل من الأدب أخرج منا إلى كثير من العلم وقال أيضا الأدب للمعارف بمنزلة التوبة للسنن وقال الثوري من لم يتأدب الوقت فوقعه مقت وقال ذو النون إذا خرج المرء عن حد استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء وقال ابن المبارك أيضا قد أكثر الناس في الأدب ونحن هول هو معرفة النفس وهذه إشارة منه إلى أن النفس هي منبع الجهالات وترك الأدب من هزيمة الجهل فإذا عرف النفس صادف نور الرفقان على ماورد

وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مرت ليله أسرى بي على أقوام يغمشون وجوههم بأظفارهم قتلنا جابر بن حذافه ؟ قال هؤلاء الذين يتأبون الناس ويؤمنون في أعراضهم » وقال سليم بن جابر « أثبت التي عليه الصلاة والسلام قتلنا على خير أمتنع به قال لا تخزن من اللوف شيئا ولو أن حسب من دلوك في إثناء للسقي وأن تلقى أخاك يشرح حسن وإن أدبر فلا تخزنه » وقال البراء « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع السواق في يومين فقال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تفتابوا للسليين ولا تتبعوا عورتهم فانه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورة قوم تتبع الله عورته يفضحه في جوف يته » وقال أوحى الله إلى موسى عليه السلام: من مات تأبى من التوبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات معاصيا فهو أول من يدخل النار. وقال أنس « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بسوم يوم قال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس حتى إذا فسوا جبل الرجل يحمي فيقول يا رسول الله ظلمت ساعدا فاذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فأتان من أهلك ظلمت ساعتي وإنيما يستحي أن يأكل فاذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم ماودة فأعرض عنه ثم ماودة فقال إنيما لم يسوما وكيف يسوم من ظلمناه يا كل لحم الناس اذهب فمرها إن كانتا ساعتي أن تستقيتا فرجع إليهما فأخبرها فاستأذنا فأتاهما كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار » وفي رواية « أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله إنيما قد ماتا أو كادتا أن نوتما فقال صلى الله عليه وسلم التوتى بهما فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده فقال لإحدهما قتي قدامت من قبح ودم وصديد حتى ملأت القدر والآخرى قتي قدامت كذلك فقال إن هاتين سانتا عما أحل الله لهما وأفطرنا على ما حرم الله عليهما جلست إحدهما إلى الأخرى فيبعثتا تأكلان طوم الناس » وقال أنس « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم غناه فقال إن الحرم يصيه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخليفة من ست وثلاثين ذنية زينها الرجل وأرى الربا عرض للسلم » وقال جابر « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يندب صاحباهما فقال إنيما يندبان وما يندبان في كبر أما أحدهما فكان يخطب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجره فطرطبه وأجره يدين

(١) حديث أنس مرت ليله أسرى بي على قوم يغمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أبو داود مسندا ومرسلا للسند أصح (٢) حديث سليم بن جابر أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلنا على خير أمتنع به الحديث أحمد في السند وابن أبي الدنيا في السمات واللفظ ولم يقل فيه أحمد وإذا أدبر فلا تخزنه وفي إسنادها ضعف (٣) حديث البراء يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تفتابوا للسليين الحديث ابن أبي الدنيا هكذا رواه أبو دلود من حديث أبي برة هناد جيد (٤) حديث أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بسوم وقال لا يظن أحد حتى آذن له فقام الناس الحديث في ذكر المرأتين اللتين اختابتا في صيامهما قدامت كل واحدة منهما علقه من دم ابن أبي الدنيا في السمات وابن مردويه في التفسير من رواية يزيد الرقاشي عنه وزيد ضعيف (٥) حديث المرأتين للذكوريتين وقال فيه إن هاتين سانتا عما أحل الله لهما وأفطرنا على ما حرم الله عليهما الحديث أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه رجل لم يسم ورواه أبو يعلى في مسنده فأسقط منه ذكر رجل اللهم (٦) حديث أنس خطبنا قد كرا وعظم غناه الحديث وفيه وأرى الربا عرض الرجل للسلم ابن أبي الدنيا بسند ضعيف .

« من عرف نفسه قد عرف ربه » ولهذا النور لا تظهر النفس بمجالة إلا ويقمها بصرح العلم وحينئذ يتأدب ومن قام بأدب الحضرة فهو بشيرها أقوم وعليها أفدر .

[ الباب الثالث والتلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها ]

قال الله تعالى في وصف أصحاب الصفة - فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب الطاهرين - قيل في التفسير يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء . قال الكلبي هو غسل الأيدي بالماء وقال عطاء كانوا يستنجون بالماء ولا يأمون بالليل على

فكسرهما ثم أمس بكل كسرة فترست على قبر وقال أما إنه سهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو مام يمس (١) . « ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزا في أثرنا قال رجل لصاحبه بعدا أقص كما يقص الكلب فر صلى الله عليه وسلم وها معه بحيفة فقال تهشما منها فقالا يا رسول الله تهش حيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه (٢) « وكان الصحابة رضى الله عنهم يتلافون بالبشر ولا يتناوبون عند التوبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة الناقبين وقال أبو هريرة: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فأكله فينتزع ويكبح (٣) وروى مرفوعا كذلك . وروى أن رجلين كانا قاعدتين عند باب من أبواب المسجد فرهما رجل كان حشا ترك ذلك فقالا لقد بقي فيمنته شيء وأقيمت الصلاة فدخلنا ضلعا مع الناس فإكل في أنفسهما ما قالنا فأبنا عطاء فأنالاه فأمرهما أن يجيد الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين . وعن مجاهد أنه قال في - ويل لكل حمزة لمزة الحمزة للطمان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس . وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أجناس ثلث من التوبة ثلث من التوبة ثلث من التوبة ثلث من التوبة من البول وقال الحسن والله قنينة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكل في الجسد وقال بعضهم أفرنا السلف وهم لا يرون البداة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أضرار الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقال أبو هريرة يصير أحكم القدي في عين أخيه ولا يصير الجلع في عين قسه . وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تحسب حقيقة الإيمان حتى لا يريب الناس يريب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك الريب فخلصه من نفسك فإذا ضلت ذلك كان ضللك في خاصة نفسك وأحب الباء إلى الله من كان هكذا . وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بحيفة كلب فقال الحواريون : ما أنتن ربع هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنتن ياض أسنانه كأنه صلى الله عليه وسلم ناهم من غيبة الكلب ونههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه . وسمع علي بن الحسين رضى الله عنهما رجلا يشاب آخر فقال له إياك والتوبة فانها إدام كلاب الناس . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه فناء وإياكم وذكر الناس فانه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته .

( بيان معنى التوبة وحذوها )

اعلم أن حد التوبة أن تذكر أخطاك بما يكرهه لو بنفسه أو ذكره بنفس في بدته أو نسيه أو في خلقه أو في نفسه أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه أو درموه أو به . أما البدن فكذلك كرك المشي والحول والقرنح والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيمنا كان .

(١) حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سمر فأتى على قبرين ينضب صاحبهما فقال أما إني ليطبان وما يمدبان في كبير أما أحدهما فكان يشاب الناس الحديث ابن أبي الدنيا في السمات وأبو النبال السغول في كتب الآداب بإسناد جيد وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه التهمة بدل التوبة . ولطالما في قوله أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكر نحوه بإسناد جيد (٢) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق للزحوم هذا أقص كما يقص الكلب فر بحيفة فقال تهشما منها الحديث أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بإسناد جيد (٣) حديث أبي هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث ابن مردويه في الضمير مرفوعا وموقوفاً وفيه محمد بن إسحاق رواه بالسنعة .

الجنابة . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء لما نزلت عليه الآية « إن الله تعالى قد أتى عليكم في الطهور لما هو ؟ قالوا إنا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله إذا أتى أحدكم الحلاء فليستنج بثلاثة أجبار » وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء حتى نزلت الآية في أهل قباء . قيل لسلمان قد علمك نبيك كل شيء حتى الحراة فقال سلمان أجل ناهنا أن نستقبل التوبة بثالث أو بول أو نستنجي بالبحرين أو نستنجي أحدهما بأقل من ثلاثة أجبار أو نستنجي بجميع أو

وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خبيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كتمان كان . وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق يجبل متكبر مراد شديد الضرب جبان طاجز ضيف القلب مشهور وما يجري مجراه . وأما في أفضاله للثقة بالدين فمكوكك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من التنجاس أو ليس باراً بوالديه أو لا يفتح الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يجرس صومه عن الرث والتقية والتعرض لأعراض الناس . وأما فيه للخلق بالناس فكذلك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى في نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل ثموم بنام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه . وأما في توبه فكذلك إنه واسع الكم طويل الدليل وسخ الثياب وقال قوم لأغنية في الدين لأنه لم يمانعه الله تعالى فذكره بالخاص ومنه بما يجوز بدليل ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال « هي في النار » (١) وذكرته عنده امرأة أخرى بأنها غيلة فقال « لا خير لها إذن » (٢) فهذا فاسد لأهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التقيص ولا اعتناج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو متعاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد التوبة . وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به متعاب خاص لربه وأكل لحم أخيه بدليل ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هل تدرون ما التوبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكرهه قبل أن رأيت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتك وإن لم يكن فيه فقد بهته » (٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما همزة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتكم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه » (٤) وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة قالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتك » (٥) وقال الحسن ذكر القبر ثلاثة التوبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالتوبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما يهلك وذكر ابن سيرين رجلاً قال ذلك الرجل الأسود ثم قال استغفر الله إني أراي قد اغتبتك وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عنقه ولم يقل إلا العود وقالت عائشة لا يشأين أحدكم أحداً لأن قلت لامرأة مرة وأتاعد النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه طويلة إلى بل قال لي « الفظي القظي فلفظت مضفة لحم » (٦)

(١) حديث ذكره امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها قال في النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها غيلة قال لما خيرها إذن الحرطلي في مكالم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن طي مرسل ورويه في أمالي ابن فضال هكذا (٣) حديث هل تدرون ما التوبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكره الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٤) حديث معاذ ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما همزة فقال صلى الله عليه وسلم « اغتبتك » (٥) حديث عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت امرأة قالت إنها قصيرة فقال اغتبتك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند الصنفين حذيفة عن عائشة وكذا في الصمت لأن في الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كاعند أحمد وأبي داود والترمذي وسام أبي حذيفة سلمة بن صبيب (٦) حديث عائشة قلت لامرأة إن هذه طويلة الدليل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت مضمة من لحم أبي في الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لأعرقها .

عظم . حدثنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجيب  
إسلام قال أنا  
أبو منصور الحريري  
قال أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمر والمهاشمي  
قال أنا أبو الوليد  
قال أنا أبو داود قال  
حدثني عبد الله بن محمد  
قال حدثنا ابن المبارك  
عن ابن فضال عن  
القشعري عن أبي صالح  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه أنه قال : قال  
صلى الله عليه وسلم  
« إنما أنا لكم بمنزلة  
الوالد أطلبكم فإذا  
أبى أحدكم الفاطم  
فلا يستجب التوبة  
ولا يستدبرها ولا  
يستطيع ميمته » وكان  
يأمر بثلاثة أحبار  
ويمنى عن الروث  
والرمة . والنرض في

( بيان أن التوبة لا تقتصر على اللسان )

اعلم أن ذكر باللسان إنما حرم لأن فيه خييم القبر قصان أخيك وتعرضه بما يكرهه فالتعرض به كالتمسح والقفل فيه كالقول والإشارة والإيماء والتمسح والتمسك والكتابة والحركة وكل ما يهجم للتصود فهو داخل في التوبة وهو حرم لمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة ظنا ولت أومات يدي أنها قصيرة فقال عليه السلام « اغتبتها »<sup>(١)</sup> ومن ذلك الماكة كأن يمشي متعارجا أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أهد من التوبة لأنه أعظم في التصور والتفهم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة حاكمت امرأة قال « ما يسنن أني حاكيت إنسانا ولي كذا وكذا »<sup>(٢)</sup> وكذلك التوبة بالكتابة فإن القلم أحد اللسانين وذكر للصنف شخصا ميتا وتبيين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقرن به شيء من الأعداء المحوجة إلى ذكره كإساق ياته وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما التوبة تعرض لشخص معين إماحي وإماتت ومن التوبة أن تحول بعض من مربنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب عنهم منه شخصا ميتا لأن المخدور تخفيهم دون ما به اتفهم فاما إذا لم يفهم منه جاز . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كره من إنسان شيئا قال « ما بال أقول يفعلون كذا وكذا »<sup>(٣)</sup> فكان لا يمين وتوكل بعض من قدم من السفر أو بعض من يدي من يدعي العلم إن كان معه قرينة فهم عين الشخص فهي غيبة وأثبت أنواع التوبة غيبة القراءة للرايين فاتهم يفهمون للتصود على ميتة أهل السلاح ليظهروا من أنفسهم التصف من التوبة ويفهمون للتصود ولا يدرون بفهمهم أنهم جمعوا بين فاحشتين التوبة والرياء وذلك مثل أن يدكر عنه إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يتكنا بالله دخول على السلطان والتبذل في طلب الخطام أو يقول لعمد بالله من قلة الحياء نسال الله الله بصمتنا منها وإنما قصده أن يفهم عيب القبر فيذكره بصية الله عام . وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في البادات ولكن قدما قوله فتور وإجل بما يبتلى به كنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده أن ينم غيره فيضمن ذلك ويحسب نفسه بالتسبب بالصلحين بأن يلم نفسه فيكون ممتنا ومراثيا ومزكا تشه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يجهل بظن أنه من الصالحين للتفخيم عن التوبة ولذلك باب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتهم ويحيط بمكايده عملهم وينسحق عليهم ويسخر منهم ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتبته له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يمشي إليه ويسلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسم آله في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول سادى ماجرى على صديقنا من الاستخفاف به لنسال الله أن يروح نفسه فيكون كاذبا في دعوى الاعتماد على إظهار الدعاء له بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته تغيب مصلحته لو كان يقسم ولا غنى أيضا بظهور ما يكرهه وكذلك يقول ذلك للسكين قدبلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وحق قصده وهو لجهل لا يدري أنه قد تعرض لعظم ما تعرض له الجاهل إذا جاهروا . ومن ذلك الإصغاء إلى التوبة على سبيل التسبب فانه إنما يظهر التسبب ليزيد نشاط القاتب

(١) حديث عائشة دخلت علينا امرأة فأومات يدي أى قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها ابن أن الدنيا وابن مردودة من رواية حسان بن خازق عنها وحسان وثقه ابن حبان وباقهم تقات (٢) حديث ما يسنن أني حكيت ولي كذا وكذا تقدم في الآفة الحادية عشرة (٣) حديث كان إذا كره من إنسان شيئا قال ما بال أقول يفعلون كذا وكذا الحديث أبو داود من حديث عائشة دون قوله وكان لا يمين ورجاله رجال الصحيح .

الاستنجاء شيئا إزالة الخبث وطهارة الزيل وهو أن لا يكون رجيما وهو الروث ولا يستعمل مرة أخرى ولا مرة وهي عظم التوبة ووزر الاستنجاء سنة فلما ثلاثة أحجار أو خمس أو سبع واستعمل للاء بعد الحجر سنة وقد قيل في الآية - عيون أن ينظروا وما تستلوا عن ذلك قالوا كنا تتبع للاء الحجر والاستنجاء بالليل سنة ومسح اليد بالتراب بعد الاستنجاء سنة وهكذا يكون في الصحراء إذا كانت أرضا طاهرة ورتبا طاهرا . وحضيض الاستنجاء أن يأخذ الحجر يمسره وضعه على مقدم المخرج قبل

في التوبة فيدفع فيها وكأنه يستخرج التوبة منه بهذا الطريق فيقول يجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالحجر وكنت أحسب فيه غير هذا عاقبنا الله من بلاءه فإن كل ذلك تصديق للكتاب والتصديق بالتيه غيبة بل الساكت شريك للكتاب قال صلى الله عليه وسلم « للسمع أحد للتائبين (١) » وقد روى عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه إن فلانا لنثوم ثم إنهما طلبا آدماء من رسول الله ﷺ ليا كلا به الحجر فقال صلى الله عليه وسلم « قد اتدتمنا » فقالا ما نعلم قال بل إنكما أكلتما من لحم أخيكما (٢) فانظر كيف جمعهما وكان القاتل أحدهما والآخر مستمعا وقال للرجلين الذين قال أحدهما أقصص الرجل كما قصص الكلب « اتهمسان هذه الحيلة (٣) » فجمع بينهما فالسمع لا يخرج من يتم التوبة إلا أن ينكر بلسانه أو قبله إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل ثم إنه وإن قال بلسانه أسكت وهو مفتة لذلك قبله فلذلك فاق ولا يخرج من الإثم مالم يكرهه قبله ولا يكتفي في ذلك أن يشير بإيدى أسكت أو يشير بحاجبه وجيبته فإن ذلك استحقاق للمذكور بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذهب عنه صريحاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أذلت عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق (٤) » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة (٥) » وقال أيضاً « من ذب عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يحميه من النار (٦) » وقد ورد في صفة السليم في التوبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصلوة وحقوق السليمين فلا نطول بأحداثها .

#### ( بيان الأسباب الباعثة على التوبة )

اعلم أن البواعث على التوبة كثيرة ولكن يخصصها أحد عشر سبباً ثمانية منها تلحق في حق العامة وثلاثة تخص بأهل الدين والخاصة . أما الثمانية : فالأول أن يفتي التيب وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك مساوياً فيسبق اللسان إليه بالطلع إن لم يكن ثم دين ولازم وقد تمتع تشفي التيب عند الغضب فيجتنق الغضب في الباطن فيصير حقاً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لا ذكر للسواي فالغضب والغضب من البواعث العظيمة على التوبة . الثاني موافقة الآخرين وبجملته الرقاء ومساعدتهم على الكلام فاتهم إذا كانوا يتفكهون بذلك الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استقنوه وشروا عنه فيساعدكم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه

(١) حديث للسمع أحد للتائبين الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم عن التوبة وعن الاستماع إلى التوبة وهو ضعيف (٢) حديث أن أبا بكر وعمر قال أحدهما لصاحبه إن فلانا لنثوم ثم طلبا آدماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد اتدتمنا ؟ فقالا ما نعلم فقال بل ما أكلتما من لحم صاحبكما أبو العباس الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلاً نحوه (٣) حديث اتهمسان من هذه الحيلة قاله للرجلين الذين قال أحدهما أقصص الرجل كما قصص الكلب فقدم قبل هذا باثني عشر حديثاً (٤) حديث من أذلت عنده مؤمن فلم ينصره وهو قادر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق الطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن أبي عمير (٥) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة ابن أبي الدنيا في السمات وفيه شهر بن حوشب وهو عند الطبراني من وجه آخر يفتقر رد الله عن وجهه التوبة يوم القيامة وفي رواية له كان له حجاب من النار وكلامه ضعيف (٦) حديث من ذب عن عرض أخيه بالتيب كان حقا على الله أن يحميه من النار أحمد والطبراني من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد .

ملاقاة النجاسة وبجره  
بالسبح ويدير الحجر  
في مرة حتى لا ينقل  
النجاسة من موضع إلى  
موضع فيل ذلك إلى  
أن يتقى إلى مؤخر  
المخرج وأخذ الثاني  
وضعه على المؤخر  
كذلك ويسمح إلى  
للنقمة وأخذ الثالث  
ويديره حول السرية

وإن استجمر بحجر  
ذي ثلاث شعب جاز  
وأما الاستبراء إذا  
اشطع البول فيمد  
ذكره من أسفه ثلاثاً  
إلى الحشفة بالرفق ثلاثاً  
يندقق بقية البول ثم  
يشه ثلاثاً ويغتاط في  
الاستبراء بالاستقاء  
وهو أن يتنصع ثلاثاً  
لأن العروق تتحد من  
الحلق إلى المسكر  
وبالتنصع تتحرك

جملة في الصلابة وقد ينضب رهاؤه فيحتاج إلى أن ينضب لنضوبهم إظهارا للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر الصيوب والسوى . الثالث أن يستعمر من إنسان أنه يستعده ويطول لسانه عليه أو يتبع حاله عند عتيم أو يشهد عليه بجهالة فيأدره قبل أن يتبع هو حاله ويطعن فيه ليستدل أثر شهادته أو يبتدئ به ذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بهذه فيروج كذبه بالصدق الأول ويستعد ويتول ما من عادى الصكذب فأنى أخبركم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت . الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فيه وكان من حقه أن يرى نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركا له في الفعل ليعهد بذلك غير نفسه في نفسه . الخامس إرادة التصنع واللباهة وهو أن يرفع نفسه بتقصي غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ريك وكلامه ضئيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه وبرهيم أنه أعلم منه أو علل أن يعظم مثل تعظيمه فيدفع فيه لذلك . السادس الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبه ويكرمه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقلع فيه فيريد أن يقطع ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يضل عليه أن يسمع كلام الناس وتنادم عليه ولما كرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير القصد والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من التئوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق الحسن والرفيق للوافق . السابع اللب والمزل وللطاية وتزكية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل الماكاة ومنشؤه التكبر والسجب . الثامن السخيرة والاستهزاء واستحقارها فان ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضا في التوبة ومنشؤه التكبر واستعصار للشعرا به . وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي اغضبها وأدفعها لأنها شرور خباياها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر . الأول أن تنميت من الدين داعية النجس في إنكار للشكر والخطأ في الدين فيقول ما يجب مرايت من فلان فانه قد يكون به صادقا ويكون تصغيره للشكر ولكن كان حقه أن يصحب ولا يذكر اسمه فيسئل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتابا وأثما من حيث لا يدري ومن ذلك قول الرجل تسببت من فلان كيف يجب جلسته وهي قيمة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يتم بسبب ما ينبت به فيقول مسكين فلان قد غمى أمره وما اجتلي به فيكون صادقا في دعوى الاعتقام وطلبه التمس عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري والترحم والاعتقام يمكن دون ذكر اسمه فيرجعه الشيطان على ذكر اسمه ليطلب به ثواب اغتنامه وترحمه . الثالث النصب لله تعالى فانه قد ينسب على منسك ثقله لإنسان إذ أراد أن يسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فلهذا الثلاثة مما يضمن دركها على الماء فضلان العوام فانهم يظنون أن التعجب والرحمة والنصب إذا كان لله تعالى كان عدوا في ذكر الاسم وهو خطأ بل للرخس في التوبة حاجات خصوصية لا متدوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي ذكره . روى عن زاهر بن واثقة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم إني لأبغض هذا في الله تعالى فقال أهل المجلس لبس ما قلت والله لتنبئني ثم قالوا يا فلان لرجل منهم قم فأدركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأثنى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسأله أن يدعو له فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك

وتخلف ما لي جرى  
البسول فان مشى  
خطوات وزاد في  
التنصع فلا بأس  
ولكن براعي حد العلم  
ولا يحمل للشيطان  
عليه سبيلا بالسوءة  
فيضع الوقت ثم يمسح  
الله ثلاث مسحات  
أولا كثر لي أن لا يرى  
الرطوبة . وشبه بنسهم  
الله ك بالضرع وقال  
لا يزال تظهر منه  
الرطوبة مادام يجد  
غيراى الحد في ذلك  
ويراعى الوتر في ذلك  
أيضا للسحات تكون  
على الأرض الطاهرة  
أو حجر طاهر وإن  
احتاج إلى أخذ الحجر  
لصغره فلما أخذ الحجر  
بالعين والذكر باليسار  
ومسح على الحجر  
وتصكون الحركة



قال صلى الله عليه وسلم لم ينشأ ؟ فقال أنا جاره وأنا به خار والله ما رأيته يصل صلاة قط إلا هذه للكتوبة قال فبأنه بالرسول الله هل رأيت آخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو أكرع أو ألسجود فيها فسأله فقال لا فقال والله ما رأيته يصوم شهرا قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والقاجر قال فسأله بالرسول الله هل رأيته قط فطرته أو قصت من حقه شيئا فسأله عنه فقال والله ما رأيته يصل سائلا ولا مسكنا قط ولا رأته ينفق شيئا من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والقاجر قال فسأله بالرسول الله هل رأيته خمت منها أو ما كست فيها طالبا الذي يسألها فسأله فقال لا قال صلى الله عليه وسلم للرجل قم فله خير منك (١) .

( بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن التثنية )

اعلم أن مساوى الأخلاق كلها إما تعالج بمجون العلم والعمل وإما علاج كل علة بمضادة سببها ، فلننص عن سببها . وعلاج كلف اللسان عن التثنية على وجهين : أحدهما على الجلة والآخر على التفصيل . أما على الجلة فهو أن يصل تعرضه لسطح الله تعالى بنية بهذه الأخبار القروية ناجا وأن يعلم أنها عجيبة لحسناته يوم القيامة فأنها تغفل حسناته يوم القيامة إلى من اغتابه بدلا عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات قل إليه من سيئات خصمه وهو مع ذلك معرض لغت الله عز وجل ومشيبه عنده بأكل اللبنة بل البعد يدخل النار بأن ترجع كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تغفل إليه سيئة واحدة عن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وإنما أقل العرجات أن تقص من ثواب أعماله وذلك بعد التماسمة والطالعية والسؤال والجواب والحساب قال صلى الله عليه وسلم « ما أثار في اليبس بأسرع من التثنية في حسنات البعد (٢) » وروى أن رجلا قال للحسن : بلغني أنك تفتنني فقال ما بلغ من قدرك عندي أن أحكك في حسناتي فلهما آمن البعد بما ورد من الأخبار في التثنية لم يطلق لسانه بها خوفا من ذلك ونفثه أيضا أن يتدبر في نفسه فإن وجد فيها عيا اشتغل بيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس (٣) » ومهما وجد عيا فينبغي أن يستحي من أن يترك ذم نفسه ويغم غيرة بل ينبغي أن يشق أن يهز غيرة عن نفسه في التثنية عن ذلك اليبس كجوده وهذا إن كان ذلك عيا يتعلق بنفسه واختياره وإن كان أمرا خلقيا فالزم له ذم الخالق فإن من ذم صنعة قد ذم صانعها . قال رجل للحكيم يا قبيح الوجه : قال ما كان خلق وجهي إلى فأحسنه وإذا لم يجد البعد عيا في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يوثق نفسه بأعظم العيوب فإن لليب الناس وأكل لحم اللبنة من أعظم العيوب ونفثه أن يعلم أن تألم غيره بنية كنهه بنية غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن ينتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملة . أما التفصيل فهو أن ينظر في السبب الباعث له على التثنية فإن علاج العلة يقطع سببها . وقد قدما الأسباب . أما التثنية فبالحاجة بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو أن يقول : إني إذا أمشيت غضي عليه فلفل الله تعالى بغضه على بسبب التثنية إذ تنهى عنها فاجترأت على نهيه واستغفرت

باليسار لا باليمين ولا يكون محتجبا باليمين وإذا أراد استعمال الماء انقل إلى موضع آخر وجنح الحجر بالمترس البول على الحشفة وفي ترك الاستقاء في الاستبراء وعيد ورد فيها رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال لهما ليعدان وما يدبان في كبر أما هذا فكان لا يستبرأ ولا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمتن بالقيمة ثم دعا بسبب وطبقته اثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال له خفف عنهما ما لم ييبسا » والصيب الجريد وإذا

(١) حديث طاهر بن وثالة أن رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزه قالوا رجل منهم إني لأبغض هذا في الله الحديث بطوئه وفيه فقال قم فله خير منك أحمد بإسناد صحيح (٢) حديث ما أثار في اليبس بأسرع من التثنية في حسنات البعد لم أجده إلا (٣) حديث طوبى لمن شغفه عيه عن عيوب الناس الزلزم من حديث أنس بسند ضعيف .

بجزءه وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بمصيبة الله تعالى » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفيه دعه الله تعالى يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » (٣) وفي بعض الكتب النبيلة : يا ابن آدم إذا كرتي حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أحسبك فيمن أحق . وأما الواقعة فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توفى غيرة وتغفر مولاه فتترك رضا لرضاها إلا أن يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب أن تذكر للتغيب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب له إذا على رقتك إذا ذكره بالسوء فاتهم صورا ربك بألفاظ الذنوب وهي التوبة . وأما نزيه النفس بنسبة التبر إلى الحياة حيث يستحي عن ذكر التبر فتعلمه بأن تعرف أن التعرض لثقت الخالق أحد من التعرض لثقت المخلوقين وأنت بالتوبة متعرض لسخط الله فبقينا ولاندرى أنك تخلص من سخط الناس أم لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخرس حسناك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى قدما وتنتظر دفع ذم الخلق لسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان . وأما عندك كقولك إن أكلت الحرام فقلان يأكله وإن قبلت مال السلطان فقلان يجهل بهذا جهل لأنك تتأمل بالاعتداء على لا يجوز الاعتداء به فان من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كاتا من كان ولودخل غيرك لثارت وأنت قادر على أن لا تدخلها لم تواقه ولو واقته لنفسه عتلك قويا ذكرته غيبة وزيادة مصيبة أمقتها إلى ما اعتلرت عنه وسبغت مع الجلع بين الصبيتين على جهلك وغيابك وكنت كالشاة تنظر إلى النمرى ترى قسبا من قلة الجبل فهي أيضا ترى قسبا ولو كان لها لسان ناطق بالمدح وصرح بالمدح وقالت الفزأ أكيس مني وقد أهلكت قسبا فكذلك أنا أفضل لكنت تفحك من جهلك وحالك مثل حالنا ثم لا تسبج ولا تصالحك من فحك . وأما قصدك البهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تضح في غيرة فينبغي أن تعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما هوى اعتقادهم فيك إذا عرفوك بلب الناس فتكون قد بنت معاند الخالق يقيتا بما عند المخلوقين وهما ولوحصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لسكانوا لا يبنون عنك من الله شيئا . وأما التوبة لأجل الحمد فهو جمع بين عداوين لأنك حسدت على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذبا بالحمد لما تمت بذلك حتى أخضت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسرا نفسك في الدنيا خسرت أيضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين التكاليف فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناك فإذا أنت صديقه وعدو نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضره وتضيق إذ تتقل إليه حسناك أو تتقل إليك سيئاته ولا تفكرك وقد جمعت إلى حيث الحمد جهل الحساسة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أنشج لها لسان حصيد

وأما الاستهزاء فنقصوك منه إخراج غيرة عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند اللائكة

(١) حديث ابن لجهنم بابا لا يدخل منه إلا من شقي غيظه بمصيبة الله البزار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي والسمائي من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه أبو منصور الهيثمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف ورواه في الأربعين النهائية للسلقي (٣) حديث من كظم غيظه وهو قادر على أن ينفيه الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس .

كان في الصبراء يعد من الصيون . روى جابر رضي الله عنه « أن النبي عليه السلام كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يرأب أحد » وروى للثوري بن شيعة رضي الله عنه قال : « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأقرب اليه عليه السلام حاجته فأبدي للذهب » وروى « أن النبي عليه السلام كان ينسأ لحاجته كأيثيو الرجل للسرل ، وكان يستتر بهائل أو لشز من الأرض أو كوم من الحجارة » ويجوز أن يستتر الرجل براحتة في الصبراء أو يذهب إذا حفظ التوب من الرهاش ويستحب البول في أرض دمنة أو في تراب

والنبيين عليهم الصلاة والسلام فلو تضرعت في حشرتك وجنائك وخجلتك وخزيتك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساى إلى النار لأدهشك ذلك عن إخزاء صاحبك ولوعرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فأنك سخرت به عند شر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة يدك على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كإساق الحمار إلى النار مستهزأ بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك . وأما الرحمة له على أن يجمعوه حسن ولكن حسدك إليهم فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبرا لإثم للرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتقلب أنت مستحقا لأن تكون مرحوما إذ حبط أجره وتقصت من حسناتك وكذلك التضبط لله تعالى لا يوجب القية وإنما الشيطان حجب إليك القية ليحبط أجر غضبك وتضير مراضة الله عز وجل بالقية . وأما التصب إذا أخرجك إلى القية تصب من نفسك أنت كيف أهلك نفسك ودينك بدین غيرك وأبدنياء وأنت مع ذلك لاتأمن عقوبة الدنيا وهو أن يتك الله سترك كما تهتك بالتصبي ستر أخيك فاذن علاج جميع ذلك العرفة قط والتحقق بهذه الأمور التي من أبواب الإيمان فمن قوى إيمانه بجميع ذلك انكشف لسانه عن القية لاهلها .

### ( بيان محرم القية بالقلب )

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما حرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بما سوى القية فليس لك أن تحدث نفسك وتساء الظن بأخيك ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غير بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس فهو مفعول بل الشك أيضا مفعول ولكن للشيء من أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويحيل إليه القلب وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يطلعها إلا عالم الثيوب فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشف لك ببيان لا يقبل التأويل فند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بينك ولم تسمه بأذنك ثم وقع في قلبك فأنما الشيطان يلقى إليك فينبئ أن تكذبه فانه أفسق الساق وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة - فلا يجوز تصديق إبليس وإن كان ثم غيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يحز أن تصدق به لأن الناسق يتصور أن صدق في خبره ولكن لا يجوز ذلك أن تصدق به حتى إن من استسكه فوجد منه رائحة الجح لا يجوز أن يحدث إذ قال يمكن أن يكون قد تضمن بالخبر وجهها وما شربها أو حمل عليه فقيرا فكل ذلك لاعمال دلالة عتمة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله حرم من المسلم على ما له وأن يظن به ظن السوء » (١) « فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أوينة مائة فإذا لم يكن كذلك وخبرك عن سواس سوء الظن فينبئ أن تدفعه عن نفسك وتذر علبا أن حاله عندك مستور كالأن وأن مآلاته منه مخجل الحير والفر . فان قلت في هذا يرفعه عند الظن والشك فكذلك والتفتي تحدث . فقول : أماره عند سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان في نفسه فورا ما ويستتله ويقت عن مراعاته وتقدمه وإكرامه والافتخار بسببه فهذه أمارات عند الظن وتحقيقه وقد قال

(١) حديث إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء البقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولا يثبت ما به نحوه . من حديث ابن عمر .

مبيل قال أبو موسى :  
« كنت مع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فأراد أن يبول فأتى  
دنيا في أصل جدار  
فبالت ثم قال : إذا أراد  
أحدكم أن يبول  
فليد لبوله » ويبنى  
أن لا يستقبل القية  
ولا يستدبرها ولا  
يستقبل الشمس والقمر  
ولا يكره استقبال القية  
في البياض والأولى  
اجتنابه لذهب بعض  
الفقهاء إلى كراهية  
ذلك في البياض أيضا  
ولا يرفع ثوبه حتى  
يدنو من الأرض  
ويجنب مهاب الریح  
احترافا من الرعاض  
قال رجسلب بعض  
الصعابة من الأعراب  
وقد خاصمه لأحسبك  
تحسن الحرامه فقال

صل الله عليه وسلم «ثلاث في المؤمن وله منهن خرج فخرجه من سوء الظن أن لا يحق له» (١) وأما لا يحق له في نفسه بقدر لافل لاف القلوب لاف الجوارح، وأما في القلب فبقدره إلى التفرقة والكره، وأما في الجوارح فياخذ بالوجه والشرطان قد قرر على القلب بأدنى عجلة مسامة الناس ويلقى إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذالك وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر فيروى الشيطان وظلمته . وأما إذا أخبرك به عدل فالحظك إلى صدقته كنت مدبورا لأنك لو كذبت لكنت جانيا على هذا العدل إذ ظننت به الكذب وذلك أيضا من سوء الظن فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد سوى الآخر ثم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسنة وتحت فتطرق التهمة بسببه فقد رد الشرع شهادة الأب العدل لو لم تكن التهمة ورد شهادة المدعى (٢) فذلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلا فلا صدقه ولا تكذبه ولكن تحول في نفسك للذكر حاله كان عدلى في ستر الله تعالى وكان أمره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف في شيء من أمره وقد يكون الرجل طاهرا العدل والولا محاسنة بينه وبين المذكور ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوهم فهذا قد ينظر إن كان عدلا وليس بدل فان للكتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر التوبة ولم يكثر توبوا بتناول أعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فليكن أن تريد في مراعاته ودعوه بالخير فان ذلك يفيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك المخاطر السوء خيفة من اشتراك بالذم والبراءة ومهما عرفت حقوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخذلك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تقظه وأنت مسرور بالاعلاع على قصة لينظر إليك بين التعظيم وتظهر إليه بين الاستحقاق وترفع عليه بأبداء الوعظ وليكن قصدك خليفه من الأسماء وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك قصص في دينك وبنيت أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالصيحة فإذا أنت ضلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر التلم بصيته وأجر الامانة له على دينه . ومن نمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يتقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضا منهي عنه قال الله تعالى - ولا تجسسوا - فالتجسس وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهناك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستورا عنه كان أسلم لقلبه ودينه وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقته .

### ( بيان الأعداء للرخصة في التوبة )

اعلم أن الرخص في ذكر مساوي الخير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا بتدقيق ذلك ثم التيقن من أمور : الأول التعظم فان من ذكر قاصيا بالظلم والمجانة وأخذ الرشوة كان متتابا حاصيا إن لم يكن مظلوما ، أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسب إلى الظلم إلا لا يمكنه استئناف حقه إلا به قال صلى الله عليه وسلم «إن لمع صاحب الحق مقالاً» وقال عليه السلام

- (١) حديث ثلاث في المؤمن وله منهن خرج الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند متعريف
- (٢) حديث رد الشرع شهادة الوالد العدل وشهادة المدعى الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها لا يجوز شهادة خائن ولا خاتمة ولا جلود حنا ولا ذئب غير أخيه وفيه ولا ظن في ولاء ولا قرابة ولا يقرى داود وابن ماجه بإسناد جيد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن نجله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخاتمة وذئب القمير على أخيه (٣) حديث لصاحب الحق مقال متفق عليه من حديث أبي هريرة .

بلى وأبيك إلى بها لحاظ قال فسفها إلى قتال أمه البشير وأعد للردو استقبال الشيخ وأستدر الرمح وأقضى إقامه الظفي وأجمل إجمال التمام يمين أستقبل أصول الثبات من الشيخ وغيره وأستدبر الرمح استرزا من الرشاخ والإقامة ههنا أن يستوفى على صدور قديمي الأفعال أن يرفع حمزه ويقول عند الفراغ من الاستنباء : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وظهر قلبى من الرياء وحسن فرجى من القواضى ويكره أن يمول الرجل في التفضل . وروى عبد الله ابن مخنف أن النبي عليه السلام : «نهى أن

«مطل النبي ظلم» (١) وقال عليه السلام «لِيَ الْوَاجِدُ يَحِلُّ عُقُوبَتُهُ وَعَرَضُهُ» (٢) «الْثَانِي لَا اسْتِثْنَاءَ فِي تَعْيِيرِ الْمُسْكِرِ وَرَدَ الْعَاصِي إِلَى مَنَاجِيعِ الصَّلَاحِ كَمَا رَوَى أَن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ عَلَى عُبَّانٍ وَقِيلَ لَهُ طَلِجْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يَلْمِ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرِدِ السَّلَامَ فَلَمَّحَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ لِيُصَلِّحَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ غِيَةً عِنْدَهُمْ وَكَذَلِكَ لَمَّا بَلَغَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا جَنْدَلٍ قَدْ قَاتَرَ الْحَجَرَ بِالسَّلَامِ كَتَبَ إِلَيْهِ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَافْتَرَى الدُّنْبَ وَقَابَلَ التُّوبَ حَبِيدَ الْقَابِ - الْآيَةَ قَتَابَ وَلَمْ يَرِ ذَلِكَ عُمَرُ مِنْ أَيْلَهُ غِيَةً إِذْ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَشْكُرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَنَفِثَهُ نَفْثَهُ مَا لَا يَنْفَعُهُ نَصَحَ غَيْرُهُ وَإِنَّمَا بِإِحْتِدَابِ الْقَصْدِ الصَّحِيحِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِهِ الْقَصْدُ كَانَ حَرَامًا - الثَّالِثُ الْاسْتِغْنَاءُ كَمَا يَقُولُ الْمُفَقُّ ظَلَمَ أَيْ أَوْزُوجِي وَأَوْ أَخِي فَكَيْفَ طَرِيقِي فِي الْخِلَاصِ وَالْأَسْلَمِ التَّعْرِضُ بِأَنْ يَقُولَ : مَا هَوَاكُ فِي رَجُلٍ ظَلَمَ أَبَوَيْهُ أَوْ إِخْوَهُ أَوْ زَوْجِي وَلَكِنْ التَّعْيِينُ مَبَاحٌ بِهَذَا الْقَدْرِ لَمَّا رَوَى عَنْ هَنْدِ بِنْتِ عَتِيبَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لَنَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ شَجِيحٌ لَا يَطِيعُنِي مَا يَكْفِيُنِي أَنَا وَوَلَدِي أَفَأَتُخَذُ مِنْ غَيْرِ عَلَيْهِ قِتَالٌ : خَلَى مَا يَكْفِيُكَ وَوَلَدُكَ بِالْمَعْرُوفِ» (٣) فَذَكَرْتُ الشَّحَّ وَالظَّالِمَ لَهَا وَلَوْلَاهَا وَلَمْ يَزِرْهَا صَاحِبُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ كَانَ قَصْدُهَا الْاسْتِغْنَاءُ - الرَّابِعُ تَحْذِيرُ السَّلْمِ مِنَ الشَّرِّ فَإِذَا رَأَيْتَ قَتْبًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُتَبَدِّعٍ أَوْ فَاسِقٍ وَخَشْتَنَ أَنْ تَعْدِيَ إِلَيْهِ بِدَعْوَتِهِ وَفَسَقَهُ فَكَانَ أَنْ تَكْشِفَ لَهُ بَدْعَتَهُ وَفَسَقَهُ مِمَّا كَانَ الْبَاعِثُ لَكَ الْخَوْفُ عَلَيْهِ مِنْ سَرَابَةِ الْبَدْعَةِ وَالْفَسَقِ لِأَخِيهِ وَذَلِكَ مَوْضِعُ التَّرْوَرِ إِذْ قَدْ يَكُونُ الْحَسَدُ هُوَ الْبَاعِثُ وَيَلْبِسُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ بِإِظْهَارِ الشُّفْعَةِ عَلَى الْخَلْقِ وَكَذَلِكَ مَنْ اشْتَرَى عَمَلُوكَا وَقَدْ عَرَفْتَ لِلْمَالِكِ بِالسَّرِقَةِ أَوْ بِالْفَسْقِ أَوْ بِبِئْسَ أَجْرٍ فَلَكَ أَنْ تَذْكُرَ ذَلِكَ فَإِنْ فِي سَكُونِكَ ضَرَرٌ لِلشَّرِّ وَفِي ذِكْرِكَ ضَرَرٌ لِلْبَدِّ وَلِلشَّرِّ أَوْلَى بِمِرَاةِ جَانِبِهِ وَكَذَلِكَ الزُّكِّي إِذَا سَأَلَ عَنِ الشَّاهِدِ فَهُوَ الْعَلَمُ فِيهِ إِنْ عَلِمَ مَطْعَانًا وَكَذَلِكَ السُّتِشَارُ فِي الزُّوْجِ وَإِبْدَاعُ الْأَمَانَةِ أَنْ يَذْكُرَ مَا يَرْفَعُهُ عَلَى قَصْدِ النَّصِيحِ لِلْمُسْتَشِيرِ لَا عَلَى قَصْدِ الْوَقْفَانِ عَلِمَ أَنَّهُ يَذْكُرُ الزُّوْجَ بِمَجَرَّدِ قَوْلِهِ لَا صِلَحَ لَكَ فَهُوَ الْوَاجِبُ فِيهِ الْكُتَابَةُ وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَزِرُ جَرًّا إِلَّا بِالصَّرِيحِ بِبَيْسِهِ فَلَهُ أَنْ يَصْرَحَ بِهِ إِذْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «آرِعُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ اهْتَكَوْهُ حَتَّى يَرْفَعَهُ النَّاسُ إِذْ كَرِهُوا بِمَا فِيهِ حَتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ» (٤) «وَكَانُوا يَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ لَا غِيَةَ لَهُمُ: الْأَمَامُ الْجَائِرُ وَالتَّبَدُّعُ وَالْمَجَاهِرُ بِفُسْطِهِ الْخَامِسُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مَعْرُوفًا بَلَقَبٍ يَرْبِ عَنْ عِيهِ كَالْأَعْرَجِ وَالْأَعْمَى فَلَا يَمُحُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ رَوَى أَبُو الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ وَسَلْمَانَ عَنْ الْأَعْمَى وَمَا يَجْرِي جِوَارُهُ فَقَدْ فَعَلَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ لِفُرُورَةِ التَّحْرِيفِ وَلَآنَ ذَلِكَ قَدْ صَارَ مَحِثٌ لَا يَكْرِهُهُ صَاحِبُهُ لَوْ عَلِمَ بَدَنُ أَنْ قَدْ صَارَ مَشْهُورًا بِهِ ، نَمَ إِنْ وَجَدَ عَنْهُ مَعْدَلًا وَأَمَكَنَهُ التَّحْرِيفُ بِمِثَالِهِ أُخْرَى فَهُوَ أَوْلَى وَلَئِنْ كَانَ يُقَالُ لِلْأَعْمَى الْبَصِيرَ عَدُولًا عَنْ اسْمِ النَّفْسِ - السَّادِسُ أَنْ يَكُونَ مَجَاهِرًا بِالنِّسْبِ كَالْهَنْتِ وَصَاحِبًا لِلْخَاوِرِ وَالْمَجَاهِرُ يَجْرِبُ الْحَجَرَ وَمَصَادَرَةُ النَّاسِ وَكَانَ مِنْ يَتَظَاهَرُ بِهِ مَحِثٌ لَا يَسْتَكْفِي عَنْ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ وَلَا يَكْرِهُ أَنْ يَذْكُرَ بِهِ فَإِذَا ذَكَرْتُ فِيهِ مَا يَتَظَاهَرُ بِهِ فَلَا يَمُحُّ عَلَيْكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) حديث مطلق النبي ظلم متفق عليه من حديثه (٢) حديث لِيَ الْوَاجِدُ يَحِلُّ عُقُوبَتُهُ وَعَرَضُهُ وعقوبته أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الثريد بإسناد صحيح (٣) حديث إِنْ هَذَا قَالَتْ إِنْ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ شَجِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ (٤) حديث آرِعُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ اهْتَكَوْهُ حَتَّى يَرْفَعَهُ النَّاسُ إِذْ كَرِهُوا بِمَا فِيهِ يَحْذَرُهُ النَّاسُ الطبراني وابن جابر في الشفاء وابن عدي من رواية يَزِيدُ بْنُ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ دُونَ قَوْلِهِ حَتَّى يَرْفَعَهُ النَّاسُ وَرَوَاهُ يَهَنَةُ الثَّوَالِيَةُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الصَّمْتِ .

يُولِي الرِّجْلَ فِي مَسْتَحَبِّهِ  
وقال : إن عامة الوسواس  
منه وقال ابن المبارك :  
يوسع في البول في  
الستحم إذا جرى فيه  
للساء وإذا كان في  
البنيان يقدم رجليه  
اليسرى في دخول الحمام  
ويقول قبل الفحولة :  
باسم الله أعوذ بالله  
من الخبث والخبائث .  
حدثنا شيخنا شيخ  
الاسلام أبو النجيب  
السهروردي قال أنا  
أبو منصور القرطبي قال  
أنا أبو بكر الخطيب  
قال أنا أبو عمرو  
المهاضي قال أنا أبو طي  
القزويني قال أنا أبو داود  
قال حدثنا عمر وهو  
ابن مرزوق البصري .  
قال حدثنا شعبة عن  
قاعدة عن النضر  
ابن أنس عن زيد

« من أتى جلباب الحياء عن وجهه فلا غية له » (١) وقال عمر رضي الله عنه ليس لنا جرمه وأراد به الجاهر فسقه دون السر إذ السر لا يد من مراعاة جرمته . وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل القاسق للعلن بنجوره ذكرى له بما فيه غية له قال لا ولا كرامة . وقال الحسن ثلاثة لا يغيب لهم صاحب الموى والقاسق للعلن فسقه والامام الجارم في ثلاث لا يغيبهم ما هم يتظاهرون به ويرى يتفخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يتصدون لظهوره ، نعم لو ذكره بغير ما يتظاهرون به لم . وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتأولت عنده الجباج قال إن الله حكم عدل ينشتم الجباج عن اغتابه كما ينشتم من الجباج ابن ظله وإنك إذا قيت الله تعالى خدا كان أصغر ذنب أصبه أهد عليك من أعظم ذنب أصاب به الجباج .

( بيان كفارة النية )

اعلم أن الواجب على التائب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستعمل التائب ليحط فيخرج من مظلمته ويبنى أن يستحق وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ للرائي قد يستعمل لظهور من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد عارف بمعصية أخرى . وقال الحسن يكتبه الاستغفار دون الاستحلال وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفارة من اغتبه أن يستغفر له » (٢) وقال مجاهد كفارة ذلك علم أخيك أن تثنى عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من النية قال أن تثنى على صاحبك فتقول له كذبت فيا قلت وظلمتك وأسأت فان هئت أخذت منك وإن هئت عفوت وهذا هو الأصح ، وقول القائل العرض لا عوضه فلا يجب الاستحلال منه خلاف المال لا ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتجب للطالبة به . بل في الحديث الصحيح ما روى أنه قال « من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليستحلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم أيسأخو خلسن حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من حيثنا صاحب فزيت على سيئاته » (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها لأمراء قالت لأخري إنها طوية أقبل قد اغتبهها فاستحطها فاذن لا بد من الاستحلال إن قدر عليه فان كان غائبا أو ميتا فينبغي أن يكره الاستظهار والسماء ويكره من الحسنات . فان قلت فالتحليل هل يجب ؟ فأقول لا لأنه يجمع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسيل للعدل أن ياتى في التناء عليه والتودد إليه ويلزم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطيب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة النية في القيامة . وكان بعض السلف لا يحل . قال سعيد بن المسيب لا أحل من ظلمني وقال ابن سيرين إنى لم أحرمها عليه فأحلبها له إن أحرم النية عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبدا . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يبنى أن يستحلها وتحليل ما حرم الله تعالى غير ممكن . فتقول الرد به الضعف عن الظلمة لأن يتقلب الحرام حلالا وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل النية فانه لا يجوز أن يحل قبل النية . فان قلت فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « أيجز أحدكم أن يكون كأني ضميم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بمرضى على الناس » (٤) »

ابن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « وإن هذا المشغوف محضرة فاذا أتى أحدكم الحلاء فليل أعود بالله من الجبث والجبث » وأراد بالمشغوف الكنف وأصل الحش جماعة النخل الكيف كانوا يتشون حواشيهم إليها قبل أن تنفذ الكنف في السيوت وقوله محضرة أى محضرها الشياطين وفي الجلوس الحاجة يتمد على الرجل اليسرى ولا يتولج يده ولا يخط في الأرض والحائط وقت صومه ولا يكثر النظر إلى عورته إلا الحاجة إلى ذلك ولا يتكلم قد ورد أن رسول الله صلى الله

(١) حديث من أتى جلباب الحياء فلا غية له ابن عدى وأبو الشيخ في كتاب ثواب الأعمال من حديث أنس بسند ضعيف وقد ختم (٢) حديث كفارة من اغتبه أن يستغفر له ابن أبي الدنيا في السمعت والحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث من كانت له عند أخيه مظلة من عرض أو مال فليستحلها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أيجز أحدكم أن يكون كأني ضميم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إنى قد تصدقت بمرضى على الناس البزار وابن السني في اليوم واليلة والعقلى في الضفاء من حديث أنس بسند ضعيف وذكره

فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تتخذ صدقة فما معنى الحث عليه فتقول معناه إن لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أحاسمه ولا أفلاصير النية حلالاً ولا تقط للظلمة عنه لأنه غفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا حاسم فإن رجح وخاسم كان القياس كسائر الحقوق أن له ذلك بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حق من حد القذف ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالغفو أفضل . قال الحسن إذا جثت الأم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة تودوا ليت من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العاقلون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین - فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا العفو فقال إن الله تعالى يأمرك أن تغفو ممن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك <sup>(١)</sup> » . وروى عن الحسن أن رجلاً قال له إن فلاناً قد اغتياك فبعث إليه رطباً على طبق وقال قد بغني أنك أهديت إلى من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فأعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام .

### ( الآلة السادسة عشرة القيمة )

قال الله تعالى - مماز مشاء بنميم - ثم قال - هل بمدلك زعيم - قال عبدالله بن المبارك الزعيم وهو الزنا الذي لا يكتم الحديث وأما به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومضى بالقيمة دل على أنه يؤذي زناً استباحاً من قوله عز وجل - عتق بمدلك زعيم - والزعيم هو الدعي ، وقال تعالى - وويل لكل همزة لم يقل - الحمزة التمام وقال تعالى - حمزة الحطب - قيل لأنها كانت حمزة حمالة الحديث وقال تعالى - غناها ما فم يشينها من الله شيئاً - قيل كانت امرأة لوط خير بالضيغان وامرأة نوح خير أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة نمام <sup>(٢)</sup> » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبك إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوثون أكنافاً الذين يأقون ويؤلقون وإن أحسنكم إلى الله للشاءون بالقيمة للقرقون بين الأخوان للتمسكون للبراء الثبات <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بسرائركم قالوا بلى قال للشاءون بالقيمة للقصصون بين الأحبة الباغون للبراء العيب <sup>(٤)</sup> » وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أهاج على مسلم كفة ليشينه بها يضر حق شانه الله بها في النار يوم القيامة <sup>(٥)</sup> » وقال أبو البرداء قال رسول الله ﷺ « أيسر رجل أهاج على رجل كفة وهو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حطاً على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار <sup>(٦)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي صمضم في الصحابة قلت (وعمارة رجل من كان قبلنا كما عند البراء والمثيل (١) حديث نزول - خذ العفو - الآية قال يا جبريل ما هذا فقال إن الله يأمرك أن تغفو ممن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك تهتم في روضة النفس .

### ( الآلة السادسة عشرة القيمة )

(٢) حديث لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر قتات متفق عليهما من حديث حماد بن عمار (٣) حديث أبي هريرة وأحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقاً للوثون أكنافاً الطيراني في الأوسط الصغير وتهتم في آداب الصحة (٤) حديث ألا أخبركم بسرائركم قالوا بلى قال للشاءون بالقيمة الحديث أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وقد تهتم (٥) حديث أبي ذر من أهاج على مسلم كفة ليشينه بها يضر حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ابن أبي الدنيا في الصفت والطيراني في مكارم الأخلاق وفيه عبدالله بن مسعود فإن يكن التدليس فهو متروك الحديث (٦) حديث أبي البرداء أيسر رجل أهاج على رجل كفة هو منها برىء ليشينه بها في الدنيا كان حطاً على الله أن يذنيه بها يوم القيامة في النار ابن أبي الدنيا موقوفاً على أبي البرداء ،

عليه وسلم قال « لا يخرج  
الرجلان يضران  
الناظر كاهنيتين  
عورتاهما يتحدثان  
فإن الله يسألي عنت  
على ذلك » ويقول عند  
خروجه عنك الحمد  
لله الذي أذهب عني  
ما يؤذي وأبقى عني  
ما ينفعني ولا يستصعب  
معه شيئاً عليه اسم الله  
من ذهب وخاتم وغيره  
ولا يدخل حاسر الرأس  
ورث عائشة رضى الله  
عنها عن أبيها أن يكره  
رضي الله عنه أنه قال :  
استحيوا من الله فإني  
لأدخل الكهيف  
فأزقي ظهري وأغطي  
رأسي استحياء من  
ربي عز وجل .

[ الباب الرابع  
والثلاثون في آداب  
الوضوء وأسماؤه ]  
إذا أراد الوضوء

« من شهد على مسلم بزيادة ليس لها بأهل فليقبوا مقدمه من النار »<sup>(١)</sup> ويقال: إن ثلث عذاب القبر من القيمة . وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق الجنة قال لها تسلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله عزني وجلالي لا يسكن فيك ثمانية هزمن الناس : لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر » على أن هؤلاء كانت هوانا وهو التهام ولا يوث ولا تشر على ولا غش ولا قطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله إن لم أفضل كذا وكذا ثم لم يف به<sup>(٢)</sup> . وروى كعب الأسيار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فامسحوا فأوحى الله تعالى إليه : إنني لأستجيب لك ولئن ملك وفيكم تسلم قد أصرت على القيمة قال موسى يارب من هو دلي عليه حتى أخرجه من بيننا يا موسى أنما هم عن القيمة وأكون نماما فتأبوا جميعا فسقوا . وقال اتبع رجل حكما سبعانة فرسخ في سبع كلات ظم ظم عليه قال : إنني جئت لك لأتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن الباء وما أهل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أسمى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبعد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أدله منه قال له الحكيم : البتة على البريء أهل من السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرس والحدس أحر من النار والحانية إلى القرب إذا لم تتجح أبعد من الزمهرير وقلب الكافر أسمى من الجحير والتمام إذا بان أمره أدله من اليتيم .

( بيان حد القيمة وما يجب في ردها )

اعلم أن اسم القيمة إنما يطلق في الأكثر على من يتم قول التبر إلى القبول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست القيمة غنصة به بل حدها كشف ما يكره كغصاة كرهه للقول عنه أو للقول إليه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالأفعال وسواء كان للقول من الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيا وقصا للقول عنه أو لم يكن بل حقيقة القيمة إفشاء السر وجعل السر كما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكاية فائدة مسلم أو دفع لمصلحة كما إذا رأى من يتناول مال غيره فليعلم أن يشهد به مراعاة لحق للشهود . فأما إذا رآه غنى فلا لنفسه قد كره فهو قيمة وإفشاء لغيره فإن كان ما يتم به قصا وعيا في المحكي عنه كان قد جمع بين القيمة والقيمة فالقيمة على القيمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه القيمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل في حرك كذا أو هو يدري أن فلانا مكره أو في مخالفة عودك أو تضييع حاله أو ما يجري مجراه فليست أموره الأولى أن يصدقه لأن الغام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا بغيره إلا أن تأتيهم من بعد ذلك بتيقن فصدقوه - وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر - الثالث أن يرضخ في الله تعالى فانه يرضخ عند الله تعالى ويجب بفس من يرضخ الله تعالى . الرابع أن لا تظن بأخيك القاتل السوء قول الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم فاحسبوا أن لا يهلكك ما حكى لك على التجسس والبعث لتحقيق اتهامه قوله تعالى - ولا تجسسوا - الخامس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماما ومتتابا وقد تكون

وردوه الطراني بلفظ آخر مرفوعا من حديثه وقد تقدم (١) حديث أبي هريرة من شهد على مسلم بزيادة ليس لها بأهل فليقبوا مقدمه من النار أحمد وابن أبي الدنيا وفي رواية أحمد رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإتمام (٢) حديث ابن عمر إن الله خلق الجنة قال لها تسلمي

يبتدئ بالسؤال .  
حدثنا شيخنا  
أبو العتيب قال أنا  
أبو عبد الله الطائي  
قال أنا الحافظ القراء  
قال أنا عبد الواحد بن  
أحمد للبيهي قال أنا  
أبو منصور محمد بن  
أحمد قال أنا أبو جعفر  
محمد بن أحمد بن عبد  
الجبار قال أنا حيد بن  
زنجويه قال أنا علي  
ابن عبيد قال أنا محمد  
بن إسحاق عن محمد بن  
إبراهيم عن أبي سفيان  
ابن عبد الرحمن عن  
زيد بن خالد الجهني  
قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم « لولا  
أن أشق على أمتي  
لأخبرت المشركين بالثلاث  
الليل وأمرتهم بالسواك  
عند كل مكتوبة »



قد أثبت ما عنته نيت . وقد روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا فقال له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية - إن جاءك هاسق بذي خيوا - وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية - هازم ما عنته نيت - وإن شئت عفا عنك فقال العفو يأمر للؤمنين بالأعداء إليه أبدا . وذكر أن حكيم من الحكماء زاره بعض إخوانه فغفروه فغير عن بعض أصدقائه فقال له الحكماء قد أبطأت في الزيادة وأثبتت ثلاث جنات بنيت أثنى إلى وشئت قلب الفارغ واتهمت نفسك الأمية . وروى أن سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فاجتمع رجل فقال له سليمان بلني أنك وقتت في وقتك وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال سليمان إن الذي أخبرني صادق فقال له الزهري لا يكون النجم صادقا فقال سليمان صدقت ثم قال للرجل اذهب بسلام وقال الحسن من ثم إليك ثم عليك وهذا إشارة إلى أن النجم ينبغي أن يثبت ولا يوقف قوله ولا يصدقته وكيف لا يثبت وهو لا يثبت عن الكذب والقياس والتدبر والحياة والقتل والحسد والتفاؤل والإفاد بين الناس والحكمة وهو عن يسوع في قطع ما أمر الله بأن يوصل وغشود في الأرض وقال تعالى - إنما السبل على الذين يظلمون الناس ويغيرون في الأرض بغير الحق - والنجم منهم . وقال صلى الله عليه وسلم « إن من شرار الناس من اتهم الناس بشيء » والنجم منهم وقال « لا يدخل الجنة قاطع » قيل وما القاطع ؟ قال قاطع بين الناس (١) وهو النجم وقيل قاطع الرحم وروى عن علي رضي الله عنه أن رجلا سمى إليه رجل فقال له بهذا نحن نسأل عما قلت فإن كنت صادقا فمقتلك وإن كنت كاذبا عاقبك وإن شئت أن تقتلك أقنك قال ألقني يا أمير المؤمنين . وقيل لمحمد بن كعب القرظي أي خصال المؤمنين أوصف ؟ قال كثرة الكلام وإنشاء السر وقبول قول كل أحد وقال رجل لبيد الله بن عامر وكان أميرا بلني أن قلنا أعلم الأمير أي ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عنده قال ما أحب أن أشتت نفسي بلسان وحشي أي لم أصدق فيه فأخبرني بما قال عنك الوصال وذكر السعاية عند بعض السالحين قال ما ظنكم تقوم محمد الصادق من كل طائفة من الناس إلا أنهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازة فأخبر الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان ثبنا في صدقه حيث لم يحفظ الحرم ولم يستر العورة والسعاية النجاسة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبها سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم « الساعي بالناس إلى الناس ليرشده » (٢)

قالت سعد من دخلني قال الجبار وعزني وجالي لا يسكن فيك نجاسة فقد ذكر منها ولاقتات وهو النجم أحد هكلما تيممه ولا محمد لا يدخل الجنة عاققوا بالله ولا يولدوا ويوتوا والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ولا شبيخين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة قتاتين وهما من حديث جابر بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع وذكر صاحب القردوس من حديث ابن عباس لما خلق الله الجنة قال لها تسكني تري قترين قدالت طوي لمن دخلني ورضي عنه إلى قال الله عز وجل لا تسكني عنت ولا نامة (١) حديث إن من شر الناس من اتهم الناس بشيء متفق عليهما من حديث عائشة نحوه (٢) حديث لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه من حديث جابر بن مطعم (٣) حديث الساعي بالناس إلى الناس ليرشده الحاكم من حديث أبي موسى من سعى بالناس فهو ليرشده أو يفشي منها وقال له أسانيد هذا أمثها قلت فيه سهل بن عطية قال فيه ابن طاهر في التذكرة منكر الرواية قال والحديث لأصله وقد ذكر ابن جبان في التفات سهل بن عطية ورواه الطبراني باللفظ لا يسمى على الناس إلا أنه يفيء ولا من فيه عرق منه وفرد بين سهل وبين جلال بن أبي بردة أبا الوليد القرظي.

وروت عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « السواك مطهرة للهم من رضاء الرب » وعن حذيفة قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فله بالسواك » والشموس : الدالك ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وكذا تغير اللثم من أزم وغيره وأصل الأزم إمساك الأسنان بعضها على بعض وقيل لاسمكوت أزم لأن الأسنان تنطق وبذلك يغير اللثم ويكره اللصائم بعد الزوال ويستحب له قبل الزوال وأكثر استحبابه مع غسل الجملة وعند القيام من الليل ويندي

بني ليس بولد حلال ، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال إني مكلّمك  
 يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمه وإن كرّهته فإن وراءه صاحب إن قبلته فقال قل يا أمير المؤمنين  
 إنه قد اكتنفتك رجال ابتاعوا دينك بدينهم ورضوا بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك  
 فلا تأتهم على ما اتتكم الله عليه ولا تسخ إليهم فإي استخفك الله إياه فاتهم لن يألو في الأمة خسفا  
 وفي الأمانة خسفا والأعراض قطعاً وإنها كما أكل قريهم البني والنجمة وأجل وسألهم التيقن الواقعة  
 وأنتم مشول عما أجروا وليسوا للشولين عما أجبرتم فلا تصلح دينهم فساد آخرتك فإن أعظم  
 الناس غيباً من باع آخرته بدينه غيره ، وسى رجل يزيد الأحمم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع  
 بينهما للمواقفة فأقبل زيد على الرجل وقال :

فأنت امرؤ إما اتتكت خالياً تحت وإما قلت قولاً بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان يتنا بمسئلة بين الحياة والمم

وقال رجل لعمرو بن عبيد بن الأسوارى ما زال يدرك في قصصه شيء فقال له عمرو وإهدام عيت  
 حق جمالة الرجل حيث قلت إلينا حديثه ولا أدت حق حين أعطيت عن أبي ما كره ولكن  
 أعلم أن الموت يمننا والقبور يمننا والقيامة جمعنا والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين  
 ورض بسن السعاة إلى صاحب بن عباد رقة نيه في مال يقيم بحمله على أخيه لكثرة وقوع  
 على ظهرها الساية قبيحة وإن كانت حبيبة فإن كنت أجريتها جري النصح غفرانك فيها أفضل  
 من الرغ ومذاق الله أن قبل ميتوك في مستور ولولا أنك في خفارة شيتك قبالتك بما يقتضيه  
 فلك في مثلك فوق ياملون الميب فإن الله أعلم بالتب ، لبت رحمه الله واليتيم جبره الله واللال  
 نمره الله والساحي لته الله ، وقال لقمان لآله يا بني أوصيك بخلاف إن تمسكت بهن لم تزل سدا أبسط  
 خلقك القرب والبيد وأمسك جبهك عن الكرم والشم واحفظ إخوانك وصل أهلك واركب وأمنهم  
 من يقول قولساع أو صلح بلغ يريد فسادك وروم خدامك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك  
 لم تبهم ولم يبيوك ، وقال بضمهم النجعة بنية على الكذب والحسد والتفاني وهي أثنى الله وقال  
 بضمهم لوصح ماخذه الخمار إليك لكان هو المجترى بالشم عليك وللتقول عنه أولى جملك لأنه  
 لم يقابلك بضمك وعلى الجملة فسر الخمار عظيم ينبي أن يتوق قال حماد بن سلمة باع رجل عبداً  
 وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النجعة قال قد رزيت فاشتره فاشترى الوسى واحلق من شعر فقاء عند نومهم فترات  
 حتى أسجروا عليها فيحك ثم قال للزوج إن أسركك اتخذت خيلاً وتريد أن تتكلم فتناوم لها حتى  
 تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت للراء بالوسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجاء أهل الراء فقتلوا  
 الزوج ووقع القتال بين التيلتين ، فقال الله حسن التوفيق .

( الآية السابعة عشرة )

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين للتامدين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وقفاً يخون عنه  
 من يشاهد متعادين وذلك عين التفاني قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من تار يوم القيامة <sup>(١)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله

( الآية السابعة عشرة : كلام ذي اللسانين )

(١) حديث عمار بن ياسر : من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من تار يوم القيامة ، البخارى  
 في كتاب الأدب للترمذ وأبو داود بسند حسن

السواك اليابس بالماء  
 ويستاك عرضاً وطولاً  
 فإن اختصر ضرماً فاذا  
 فرغ من السواك يشبه  
 ويجلس كالوضوء  
 والأولى أن يصكون  
 مستقبل القبلة ويتدعى  
 بسم الله الرحمن الرحيم  
 ويقول سرباً أعوذ بك  
 من هزات الشياطين  
 وأعوذ بك رب أن  
 يحضروني ويقول عند  
 غسل اليد : اللهم إني  
 أسألك الجن والبركة  
 وأعوذ بك من الشؤم  
 والحسكة ويقول عند  
 للضمضة : اللهم صل  
 على محمد وعلى آل  
 محمد وأعطني على تلاوة  
 كتابك وكثرة الذكر  
 لك ويقول عند  
 الاستسقاء : اللهم صل  
 على محمد وعلى آل  
 محمد وأرحمني راحة

صلى الله عليه وسلم «يجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بغير وعده» وفي لفظ آخر «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهو لأبوجه» وقال أبو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أمينا عند الله ، وقال مالك بن دينار قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه يفتن بين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم «أبش خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللمتكبرون والذين يكفرون البضاء لآخرتهم في صدورهم فإذا لقوهم تلقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطلاء ، وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا» وقال ابن مسعود لا يكون أحدكم إمامة قالوا وما الإمامة ؟ قال الذي يجري مع كل ربح وانفقا على أن ملاقة الاثنين يوجهين اتفاق والاتفاق علامات كثيرة وهذه من جملة ما وقد روى أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفة فقال له عمر : يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تصل عليه فقال الأمير للأمنيين إنه منهم قال نشدك أن أتا منهم أم لا ؟ قال اللهم لا ولا أؤمن منها أحدا بذلك . فان قلت بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك ؟ فأقول إذا دخل في متعادين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه لم يكن مناهقا ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضيقة لا تنقي إلى حد الأخوة إذ لو تحققت الصداقة لانقضت معاملة الأعداء كما ذكرنا في كتاب آداب الصغيب والأخوة ، نعم لو قل كلام كل واحد منهما إلى الآخر فهو ذو لسانين وهو شر من النجاسة إذ يصير تساميا بأن ينقل من أحد الجانبين فقط فإذا قل من الجانبين فهو شر من التمام وإن لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من العادة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره وكذلك إذا أتى على كل واحد منهما في معادته وكذلك إذا أتى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يلمه فهو ذو لسانين بل ينبغي أن يسكت أو يثنى على الحق من المتعادين ويثنى عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوه ، قيل لا ين عمر رضي الله عنهما : إن تدخل في أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال كنا نعد هذا حقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وهذا حقا مهما كان مستغنيا عن السخول على الأمير . وعن التاء عليه فلو استغنى عن السخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو حقا لأنه الذي أحوج منه إلى ذلك فإن كان مستغنيا عن السخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاء فدخل لفرورة الجاء والتقى وأثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «حب المال يفتن بينات التفاف في القلب كما بينت للساء البقل» (٢) لأنه يهوج إلى الأمور وإلى مراتبهم ومراهم فأما إذا اجتنب بالضرورة وخلف إن لم يثن فهو مذمور فإن اتقاء الضرر سائر قال أبو الفداء رضي الله عنه إننا لتكثر في وجوه أقولم وإن قولنا لتلمنهم

(١) حديث أبي هريرة : يجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الحديث متفق عليه بلفظ تجد من شر الناس لفظ البخاري وهو عند أبي ابن الدنيا بلفظ السلف (٢) حديث أبش خليفة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون وللمتكبرون والذين يكفرون البضاء لآخرتهم في صدورهم فإذا لقوهم تلقوا لهم الحديث لم أنصف له على أصل (٣) حديث قيل لابن عمر إننا ندخل على أمرائنا . فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد هذا حقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والطبراني من طرق (٤) حديث حب الجاه واللال يفتن بينات التفاف في القلب كما بينت للساء البقل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال حب القضاء وقال الشيب مكان البقل .

الجنة وأنت عن راض  
ويقول عند الاستئثار:  
اللهم صل على محمد  
وعلى آل محمد وأعوذ  
بك من روائح النار  
وسوء الناس ، ويقول  
عند غسل الوجه: اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد . ويصلي  
وجبه يوم تبيض  
وجوه أوليائك  
ولا تسود وجوه يوم  
تسود وجوه أعدائك ،  
وعند غسل الجبين :  
اللهم صل على محمد وعلى  
آل محمد وآتي كتابي  
يعين وحاسبي حسابا  
يسرا ، وعند غسل  
الكف : اللهم إنني أعوذ  
بك أن تؤمني كتابي  
بجالي أو سن وراء  
ظهري ، وعند مسح  
الراس : اللهم صل على  
محمد وعلى آل محمد

وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذنونا فيفس رجل الشيرة هو ثم لما دخل لأن له القول فلما خرج قلت يارسول الله قلت فيه ما قلت ثم أنتبه القول فقال يا عائشة إن شر الناس الذي يكره انقاء شرة (١) « ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكسر والتبسم فأما التناء فهو كذب صريح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب به كما ذكرناه في آفة الكذب بل لا يجوز التناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرر على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر إن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر قلبه.

(الآفة الثامنة عشرة للحد)

وهو منهي عنه في بعض الواضع ، أما المسم فهو البقية والوقية وقد ذكرنا حكمها. وللحد بدخله ست آفات أربع في السامح واثنتان في المدوح . فأما السامح : فالأولى أنه قد يفرط فيبني على الكذب قال خاله بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رموس الأشهاد بهته الله يوم القيامة ينشر بلسانه . الثانية أنه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للجب وقد لا يكون مضمرا له ولا مقصدا لجميع ما يقوله فيصير به مرأيا منا قضا . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحقق ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ، روى « أن رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام : ورحك قطعت عنك صاحبك لو سمعنا ما أطلع ثم قال إن كان أحدكم لا يد مادحا أخاه فليقل حسب فلا تاولا أركي على الله أحدا حسيه الله إن كان يرى أنه كذلك (٢) « وهذه الآفة تنطرق إلى المدح بالأوصاف الناطقة التي تعرف بالأدلة كقولهم إنه متق وورع وزاهد وغير ما يجري مجراها فاما إذا قال رأيت يصلي بالليل ويصدق ويحج فهذه أمور مستتقة ومن ذلك قوله إنه عدل رضا فان ذلك حتى فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة بالطنة . سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثنى على رجل فقال أسأفرت معه قال لا ، قال أخاططه في البياية والمامة قال لا ، قال فأنت جاره صباحا ومساء قال لا ، قال والله الذي لا إله إلا هو لا أرا لا تعرفه . الرأية أنه قد يفرح المدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينضب إذا مدح الفاسق (٣) « وقال الحسن من دعا لنظام يطول البقاء قد أحب أن يسمى الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يندم ليقتم ولا يمدح ليفرح . وأما المدوح فيضره من وجهين : أحدهما أنه يحدث فيه كبرا وإعجابا وهما مهلكان قال الحسن رضي الله عنه : كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه المرأة والناس حوله إذ أقبل الجارود ابن لثندر فقال لرجل هذا سيد رمية فسمعها عمرو بن سولة وصمها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولاك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما قد سمعنا قال سمعنا له قال خفيت أن خاططك منك شيء فأجبت أن أخطي . منك . الثاني هو أنه إذا ثنى عليه بالخير فرح بوقته ورضي عن نفسه

(١) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذنونا فيفس رجل الشيرة الحديث ، وفيه إن شر الناس الذي يكره انقاء شرة متفق عليه وقد تقدم في الآفة قبلها .

(الآفة الثامنة عشرة للحد)

(٢) حديث إن رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورحك قطعت عنك صاحبك متفق عليه من حديث أبي بكر بن عمرو وهو في السمات لابن أبي الدنيا بلفظ المنصف (٣) حديث إن الله ينضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في السمات والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف ورواه أبو يعلى اللؤلؤي وابن عدي بلفظ إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتر الرش قال الذهبي في الميزان منكر وقد تقدم في آداب الكسب .

وغشني برحمتك وأزل على من ركبك وأظني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك عرشك ويقول عند مسح الأذنين : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلني من يسبح القول فيسبح أحسنه اللهم آمين منادي الجناسع الأبرار ويقول في مسح العنق : اللهم فك ربس من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ويقول عند غسل قدمه اليمنى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وجبت قدسي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، ويقول عند اليسرى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك أن تزل

ومن أحب نفسه قل تشجرة وإنما يشتمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الأسن بالتناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام « قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أطلع » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا » وقال أيضا لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله » وقال مطرف ما سمعت قطنا ولا مدحة إلا تصاغر إلى نفسي وقال زياد بن أبي مسلم ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحة إلا تراه إلى الشيطان ولكن المؤمن راجح فقال ابن المبارك لقد صدق كلاما أما ما ذكره زياد فذلك قلب العوالم وأما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخوارج وقال صلى الله عليه وسلم « لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه » وقال عمر رضي الله عنه للدع هو اللع وذلك لأن اللذوبع هو الذي يخر عن العمل والدع يوجب التنور أو لأن للدع يورث السبب والكبر وهما مهلكان كاللذع فذلك شبه به فان سلم للدع من هذه الآفات في حق السادح والمدوح لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا إليه وذلك اتفق رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة فقال « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح » وقال في عمر « لو لم أمت لبشت بإعمر » وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه صلى الله عليه وسلم قال عن صدق وبصرة وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا وهجبا وتخورا بل مدح الرجل نفسه يبيع لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر » أي لست أقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالتناء على أنفسهم وذلك لأن اختاره صلى الله عليه وسلم كان بالله والتقرب من الله لا بولد آدم وخدمته عليهم كما أن القبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إليه وبخبر لا يتقدم على بعض رعاياه ويتفضل هذه الآفات تهدر على الجمع بين دم للدع وبين الحق عليه قال صلى الله عليه وسلم « وجبت » لما اتفوا على بعض اللوث وقال مجاهد إن لبي آدم جلساء من لللائكة فإذا ذكر الرجل للسلم أخاه السلم غير قالت لللائكة ولك بمنه وإذا ذكره بسوء قالت لللائكة يا ابن آدم للسور عورتك أربع على خشك واحد الله الذي ستر عورتك فهكذا قالت للدع .

( بيان ما على المدوح )

اعلم أن على المدوح أن يكون شديد الاحترام عن آفة الكبر والعجب وآفة التنور ولا يتجوز منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فانه يعرف من نفسه مالا يعرفه للسادح ولو انكشف له جميع أسرارهم وما يجري على خواطره لكشف السادح عن مدحه وعليه

(١) حديث إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقه موسى وميثا ابن المبارك في الزهد والرفائق من رواية يحيى بن جابر مرسل (٢) حديث عقرت الرجل عقرك الله قاله لمن مدح رجلا لم أجد له أصلا (٣) حديث لو مشى رجل إلى رجل يسكين مرهف كان خيرا له من أن يثنى عليه في وجهه لم أجده أيضا (٤) حديث لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح خديج بن السلم (٥) حديث لو لم أمت لبشت بإعمر أبو منصور النيلي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو مسكر والرفوف من حديث عتبة بن طاهر لو كان يمدني نبي لكان عمر بن الخطاب يرواه الترمذي وحسنه (٦) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر ، الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت : أنا سيد الناس يوم القيامة ولا غر ، ولمسلم من حديث أبي هريرة : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة (٧) حديث وجبت ، قاله لا اتفوا على بعض اللوث متفق عليه من حديث أنس .

قدى عن الصراط يوم  
زلفه بأقدام الناقلين .

وإذا فرغ من الوضوء  
رفع رأسه إلى السماء  
ويقول : أشهد أن لا إله  
إلا الله وحده لا شريك  
له وأشهد أن محمدا  
عبد ورسوله سبحانه  
واللهم وصلي لا إله  
إلا أنت حملت سودا  
وظلمت نفسي أستغفر  
وأتوب إليك فاغفر لي  
وب علي إنك أنت  
التواب الرحيم اللهم  
صل على محمد وعلى  
آل محمد واجعلني من

التوابين واجعلني من  
المطهرين واجعلني  
صبوراً فاكروا واجعلني  
أذكرك كثيرا وأسبحك  
بكرة وأصليلا .  
وغفران الوضوء .  
الثبة عند غسل  
الوجه . وغسل الوجه

أن يظهر كراهة للبح لا ذلال للادح قال صلى الله عليه وسلم « احتوا التراب في وجوهكم لئلا يحزن الله » وقال سفيان بن عيينة لا يضر للبح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال الله إن هذا رجل لا يرفقني وأنت تعرفني ، وقال آخر لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا حرب إلى عمتك وأنا أشهدك على مقته . وقال على رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعل خيري بما يظنون . وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أهلكت ذنوبك فحسبك وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه جمع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك .

## ( الآلة التاسعة عشرة )

التففة عن دقائق الخطأ في لحوى الكلام لاسيافيا يتعلق بالله وصفاته ويربط بأمر الدين فلا يحد على قوم الغفط في أمور الدين إلا العلماء الصحاء فمن قصر في علم أو ضاعل دخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يصفو عنه لجهله ، مثاله ما قال حذيفة قال لاني صلى الله عليه وسلم « لا يقل أحدكم ماشاء الله وشئت ولكن يقل ماشاء الله ثم حثت <sup>(١)</sup> » وذلك لأن في السلف الطلق تشرى كواثره وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جاء رجل إلى رسول الله <sup>(ص)</sup> يكلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وعنت قال صلى الله عليه وسلم أجسنت لله عدلا بل ماشاء الله وحده <sup>(٢)</sup> . وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يعلم الله ورسوله قد رعد ومن يصم ما قد غوى قال قل : ومن يصم الله ورسوله قد غوى <sup>(٣)</sup> » فكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ومن يصمها لأنه تسوية وجمع وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعود بالله وبك ويجوز أن يقول أعود بالله ثم بك وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكراهة بعضهم أن يقول اللهم أعظمنا النار وكان يقول الحق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتوحدون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصبه شفاعة محمد <sup>(ص)</sup> قال حذيفة إن الله يفتي المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعة للمؤمنين من المسلمين وقال إبراهيم إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارا رايتي خلقته ، خنزيرا رايتي خلقته وغن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم ليترك حتى يترك بكبيه فيقول لولاه لسرقنا الليلة ، وقال عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلقوا بآبائكم من كان حلقا فليحف بالله أو ليصمت <sup>(٤)</sup> » قال عمر رضي الله عنه فو الله ما حلفت بها منذ صممتها ، وقال صلى الله عليه وسلم « لا تسوا النيب كراما إنما الكرم الرجل للعلم <sup>(٥)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقولن أحدكم عبيدي ولا أمق كلكم عبيد الله وكل نساءكم إماء الله وليلعل غلامي وجاريي ونقاي وفناني ولا تقول للملوك ربي ولا ربي وليلعل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى »

(١) حديث احتوا في وجوهكم للتدبير التراب مسلم من حديث القناد .

## ( الآلة التاسعة عشرة في التففة عن دقائق الخطأ )

- (٢) حديث حذيفة لا يقل أحدكم ماشاء الله وعنت الحديث أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح  
(٣) حديث ابن عباس جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم فسلمه في بعض الأمور فقال ماشاء الله وعنت قال أجسنت لله عدلا قل ماشاء الله وحده . الحديث في الكبرى بإسناد حسن وابن ماجه (٤) حديث خطب رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم قال من يعلم الله ورسوله قد رعد ومن يصم ما قد غوى الحديث مسلم من حديث عدي بن حاتم (٥) حديث عمر إن الله ينهاكم أن تحلقوا بآبائكم فتقولون عبيدي ولا تقول للملوك ربي ولا ربي وليلعل سيدي وسيدي فكلكم عبيد الله والرب الله سبحانه وتعالى

وحد الوجه من مبتدأ  
تسطح الوجه إلى  
متهى الذقن وما ظهر  
من الوجه وما استرسل  
منها ومن الأذن إلى  
الأذن عبر ضاوي دخل في  
الفصل البياض الذي  
بين الأذنين والحية  
وموضع الصلع  
وما انحسر عنه الشعر  
وهما الزنجان من الرأس  
ويستحب غسلهما مع  
الوجه ويوصل للساق  
إلى شرا التحذيف وهو  
القدر الذي يزيله النساء  
من الوجه ويوصل  
للساق إلى السفينة  
والشارب والحاجب  
والعذار وما عدا ذلك  
لا يجب ثم اللحية إن  
كانت خفيفة يجب  
إرسالها إلى البشرة  
وحد الخفيف أن ترى  
البشرة من تحتها وإن

وقال صلى الله عليه وسلم «لا تقولوا للفاسيق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم قد أسخطكم ربكم» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل وإن كان كاذبا قلن يرجع إلى الإسلام سالما» (٢) فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن خصره، ومن تأمل جميع ماوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سرّ قوله صلى الله عليه وسلم «من صمت بما» (٣) لأن هذه الآفات كلها هلك ومعايب وهي على طريق التكميل فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافق لسانه فصح وعلم غزير وورع حافظ وطور راقية لازمة ويحل من الكلام فسهل يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا يفتك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فتم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة إحدى التيمنين .

(الآلة الشريفة)

سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه عن الحروف وأنها قد بدت أو عرفت من جهم الاشتغال بالعلم بما في القرآن إلا أن ذلك سهل على النفوس والتفلسف على القلوب والاعتماد على الحواس في العلم إذ الشيطان يغفل إليه أنك من الماء وأهل الفضل ولا يزال يجب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العاصي فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم لاسيا فيما يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاعتغال بالعبادات والإيمان بماورد به القرآن والتسليم بما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غيرها يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون بالقتل من الله عز وجل ويشترطون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار اللؤلؤ وهو موجب للقبو وكلمن سأل عن علم غاض ولم يبلغ فهم تلك المبرجة فهو مذموم فإنه بالإضافة إلى العاصي وذلك قال صلى الله عليه وسلم «ذروني ما تركتكم فأتمها لكم من كان قبلكم بكثر سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم مما تركتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» (٤) وقال أنس «سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا عليه وأغضبوه فصد للبر وقال سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال أبوك حذافة فقام إليه شابان أخوان قتالا يارسول الله من أبونا فقال أبوكم الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل آخر فقال يارسول الله أفي الجنة أنا أم في النار فقال لا بل في النار فنادى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال رضي بالله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال اجلس يا عمر رحمتك الله إنك ما عرفت لموفق» (٥) وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «يوشك

(١) حديث لا تقولوا للمنافق سيدنا الحديث أبو دلود من حديث بريدة بسند صحيح (٢) حديث من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقا فهو كقائل الحديث النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح (٣) حديث من صمت بما التزمى وقد تقدم في أول آفات اللسان .

(الآلة الشريفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى)

(٤) حديث ذروني ما تركتكم فأتمها لكم من كان قبلكم بسؤالهم الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقالوا عليه وأغضبوه فصد للبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به الحديث متفق عليه مقتصر على سؤال عبد الله ابن حذافة وقول عمر ، وسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال من أبي فقال أبوك سامهولى شيعة . (٦) حديث النهي عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث الترمذي بن شعبة .

كانت كشيعة فلا يجب  
ويجهد في تنقيح جمع  
الكحل من مقدم  
العين الواجب الثالث:

غسل اليدين لله  
للرقيقين ويجب إدخال  
للرقيقين في النسل  
ويستحب غسلهما إلى  
أصاف الضمدين ،  
وان طالت الأظفار حتى  
خرجت من رؤوس  
الأصابع يجب غسل  
مأخضا على الأصبع .  
الواجب الرابع: مسح  
الرأس ويكتفى بما يطلق  
عليه اسم للمسح  
ولاستيجاب الرأس  
بالمسح سنة وهو أن  
يلصق رأس أصابع  
اليمين باليسرى  
وضمهما على مقدم  
الرأس وبعد جماعهما إلى القفا  
ثم يردهما إلى الوضع  
الذي بدأ منه ويتصف

الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك يقولوا - قل هو الله أحد الله الصمد - حتى تختموا السورة ثم لينفل أحدكم عن يساره ثلاثا وليستعد بالله من الشيطان الرجيم <sup>(١)</sup> وقال جابر: ما زلت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال <sup>(٢)</sup> وفي قصص موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على الخلق من السؤال قبل أو أن استحقاقه إذ قال - فان اتبعتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا - فما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال - لا تأخذني بمانسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال - هذا فراق بيني وبينك - وفارقه فسؤال الموام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهومن للثبرات الفتن فيجب قمعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حالهم من كتب للذكاء إليه كتابا ورسمه فيه أمورا فلم يشتغل بشيء منها ويضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث فاستحق بذلك العقوبة لاهالة فكذلك تضييع الناس حدود القرآن وإغفاله بحروفه أمي قديمة أم حديثة وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

### ﴿ كتاب ذم النصب والمقد والحسد ﴾

( وهو الكتاب الخامس من ربيع الهلكت من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي لا يتكلم على غفوه ورحمته إلا الراجون ، ولا يحذر سوء غضبه وسخطه إلا الخائفون ، الذي استدرج عباده من حيث لا يطلون ، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشعرون ، وإجلائهم بالنصب وكظمهم كظم النيط فبا يضضون ، ثم خففهم بالمكارة واللفات وأمل لهم لينظر كيف يملكون ، وامتنع بهم جهل يلم صدقهم فبا يدعون ، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون ، وحذرهم أن يأخذهم بتقوم لا يشعرون ، وقال - ما ينظرون إلا لصيغة واحدة تأخذهم وهم خصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون - والصلاة والسلام على محمد رسول الله الذي يسر تحت لوائه النبيون ، وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين ، والسادة الرضيين ، صلاة يوازي عددها عندما كان من خلق الله وما سيكون ، ويحظى بركتها الأولون والآخرون ، وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] فإن النصب شعبة نار اقتبست من نار الله اللوثة التي تطلع على الأفتنة ، وإنها المستكنة في طي القواد ، استكنان الجمر تحت الرماد ، ويستخرجها الكبر الذين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الجمر النار من الحديد ، وقد انكشف للتأخرين بنور اليقين ، أن الانسان ينزع منه عرق إلى الشيطان العيين ، فمن استنزته نار النصب فقد قوت فيه قرابة الشيطان حيث قال - خلقت من نار وخلقته من طين - فإن شأن الطين السكون والوقاؤا وشأن النار التأنط والامتار ، والحركة والاضطراب ، ومن نتائج النصب المقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد وفيضهما مفعنة إذا صلحت صلح معها حائر الجسد وإذا كان المقد والحسد والنصب ، مما يسوق العبد إلى مواطن الطب ، فما أوجه إلى معرفة معاطيه ومساويه لينظر ذلك وحقه ، ويعلمه عن القلب إن كان وظيفه ، وصالحه إن رسخ في قلبه وبدأويه ، فإن

بلل الكفين مستجلا ومستديرا ، والواجب الخامس: غسل القدمين وجب إدخال الكفين في النعل ويستحب غسلهما إلى أضاف السابق وقنع غسل القدمين من الكفين ويجب غسيل الأصابع للثفة فيخلل بخنصر يده اليسرى من باطن القدم ويبدأ بخنصر رجليه اليمنى ويضم خنصر اليسرى وإن كان في الرجل شقوق يجب إيصال الماء إلى باطنها وإن تركها فيها عيينا أو ضمما يجب إزالة عين ذلك الشيء .  
الواجب السادس: التريب على النطق للذكور في كلام الله تعالى .  
الواجب السابع: التتابع في القول القديم

(١) حديث يروكه الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٢) حديث جابر ما زلت آية التلاعين إلا لكثرة السؤال الدرواة البربارستانديد

﴿ كتاب النصب والمقد والحسد ﴾



من لا يعرف الشر يقع فيه . ومن عرفه فالمعرفة لا تسقيه . عالم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقيه . ونحن نذكر دم الضرب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وجميعها يان دم الضرب ثم يان حقيقة الضرب ثم يان أن الضرب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ثم يان الأسباب للهبطة للضرب ثم يان علاج الضرب بعد هيجانه ثم يان فضيلة نظم النظم ثم يان فضيلة الحلم ثم يان القدر الذي يجوز الاتصا والتمسك به من الكلام ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة الفتور والرفق ثم القول في دم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته ونفاته الواجب في إزالته ثم يان السبب في كثرة الحسد بين الأشكال والأقربان والإخوة وبين العلم والأقارب وتأكد موقفته في غيرهم وضغنه ثم يان الهواء الذي به ينشأ مرض الحسد عن القلب ثم يان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق .

( يان دم الضرب )

قال الله تعالى - إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحية حبة الجاهلية فأنزله الله سكينة على رسوله حتى ألزمتهم الآية . دم الكفار بما ظاهروا ومن الحية السائرة عن الضرب بالباطل ويمنع المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة وروى أبو هريرة أن رجلا قال « يا رسول الله مرني بعمل أو أقل قال لا تضرب ثم أعاد عليه فقال لا تضرب (١) » وقال ابن عمر « قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولاً وأقله لئلا أغضب قال لا تضرب فأعادت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلى لا تضرب (٢) » وعن عبد الله بن عمرو « أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقذني من غضب الله قال لا تضرب (٣) » وقال ابن مسعود قال النبي ﷺ « ما تدعون السرعة فيكم قلنا الذي لا نضره الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الضرب (٤) » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الضرب (٥) » وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كلف غضبه ستر الله عورته (٦) » وقال سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني لملك وكثرة الضرب فإن كثرة الضرب تستخف فؤاد الرجل الحليم . وعن عكرمة في قوله تعالى وسيداً وحسوراً قال السيد الذي لا يغلبه الضرب . وقال أبو هريرة « قلت يا رسول الله الذي على عمل يدخل الجنة قال لا تضرب (٧) » وقال يحيى بن سعيد بن عيسى عليهما السلام لا تضرب قال لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بهر قال لا تهتن مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم « الضرب يهدد الإيمان كما يهدد الصبر الصل (٨) » وقال جلي الله عليه وسلم « ما غضب أحد إلا أفضى إلى جهنم (٩) » وقال له رجل « أي شيء أشد

(١) حديث أبي هريرة إن رجلاً قال يا رسول الله مرني بعمل وأقل قال لا تضرب ثم أعاد عليه قال لا تضرب رواه البخاري (٢) حديث ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقل الحديث نحوه أبو جلي بإسناد حسن (٣) حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعني من غضب الله قال لا تضرب الطبراني في معارج الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد يستأذن حسن وهو عند أحمد وأن عبد الله بن عمرو هو السائل (٤) حديث ابن مسعود ما تدعون السرعة الحديث وللمسلم (٥) حديث أبي هريرة وليس الشديد بالصرعة الحديث متفق عليه (٦) حديث ابن عمر من كلف غضبه ستر الله عورته ثم أنى الله نيا في كتاب الفتور ودم الضرب وفي الصمت وتهدم في آفات اللسان (٧) حديث أبي هريرة دلي على عمل يدخل الجنة قال لا تضرب ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط بإسناد حسن (٨) حديث الضرب يهدد الإيمان كما يهدد الصبر الحديث الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية جهن بن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف (٩) حديث ما غضب أحد إلا أفضى إلى جهنم البرزخ وابن عدي من حديث ابن عباس ثلث باب لا يدخله إلا من شفي غيظه بحسية

عند الشافي رحمه الله  
تعالى وحد التفرق الذي  
يقطع التابع نشاف  
الضوم مع اعتدال  
المواء .

[ وسن الوشوء ثلاثة

عشر ]

التسمية في أول  
الطهارة . وغسل  
اليد إلى الكوعين  
والضمض والاستنشاق  
والباقية فيها فيغفر  
في الضمضة حتى يرد  
الساة إلى الصلصة  
ويستشفى الاستنشاق  
الساة بالقبس إلى  
الجيايم ويرفق في  
ذلك إن كان سائماً  
وتخليل اللحية السكة  
وتخليل الأصابع  
للتفرجة والبلادة  
باليامن وإطالة القرة  
والسحاب الرأس  
بلمس ومسح الأذنين

قال غضب الله قال لما يمدنى عن غضب الله قال لا تغضب (١) . الآثار : قال الحسن : يا ابن آدم كلما غضبت وثبت وبوشك أن تغب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين أنه لقي ملكا من الملائكة قال عني علما أزداد به إيمانا وقينا قال لا تغضب فإن الشيطان أقدر مايكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالنكتم وسكته بالثؤدة وإياك والصبغة فانك إذا جعلت أخطأت حثلك وكن سهلا لينا لقرب والبيد ولا تكن جبلا عريدا وعن وهب بن منبه أن راهبا كان في صومته فأراد الشيطان أن يثله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له اتصع فزجبه فقال اتصع فاني إن ذهبت ندمت فلم يثبته إليه فقال إني أنا السبع قال الراهب وإن كنت للسبع لما صنع بك أليس قد أمرت بالعبادة والاجتهاد ووعدتا القيامة فلو جئنا اليوم بغيره لم يثله منك قال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فزأستطع فثبكت لتسألني عما شئت فأخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شيء قال فولي مدرك قال الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بيني آدم أعونك عليهم قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا فليتناه كقلب الصياني الشكرة وقال خيصة الشيطان يقول كيف يثلي ابن آدم وإذا رضى جث حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الأنصار رأس الحق الحدة وقاله الغضب ومن رضى بالجهل استحق عن الجور والخير ومنصفوا الجاهل عين ومضرة والسكوت عن جواب الأحق جوابه . وقال مجاهد قال إبليس ما المحزن في بنو آدم قلن يحزنوني في ثلاث : إذا سكر أحدم أخذنا خزماته قد تناه حيث شئنا وعمل لنا بمأينا وإذا غضب قال بما لا يطمع عمل بما يندم وبخطه بما في يديه وغنيه بما لا يقدر عليه وقيل الحكيم ما ملك فلا تأنسه قال لأنه لا تله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يثليه الغضب وقال بعضهم إياك والغضب فانه يصرلك إلى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر السهل . وقال عبد الله بن مسعود انظر إلى حلم الرجل عند غضبه وأمانته عند طمعه وما عليك بجله إذا لم يغضب وما عليك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تتأجب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فاقب له على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوفا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش لمر بن عبد العزيز القول فأطرق عمر زمانا طويلا ثم قال أرمت أن يستغفرني الشيطان يمز السلطان فأقال منك اليوم ماتتاه مني غدا وقال بعضهم لانه يابى لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التائبين للسجدة فأقال الناس غضبا أعظمهم فان كان لدينا كان دهاء ومكرا وإن كان للأخرة كان حلا وعلا فقد قيل الغضب عدو القتل والغضب غول القتل وكان عمر رضى الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب وقال بعضهم من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار وقال الحسن من علامات السلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فقر وإحسان في قدر وقومح في رفقة وصبر في شدة وإثابة الغضب ولا تجمع به الحمية ولا ثلبة شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستغفره صرعه ولا تقتصر به تيته فينصر للظلم و برحم الضميف ولا يثعل ولا يندرو ولا يسرف ولا يكثر بغير إظهارهم ويسو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك أجب لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبى من الأنبياء لمن جمعه من يشكلك لي أن لا يغضب فيكون الله وإنسانه ضيف وتحم في آفات اللسان (١) حديث قال رجل أي شيء أهدى لي قال غضب الله قال لما يمدنى من غضب الله قال لا تغضب أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالشطر الأخيرة وقد تدم قلبه بست أحاديث .

والثالث ، وفي القول الجديد التابع ويحجب أن يزيد على الثلاث ولا يفيض إليه ولا يشكك في أثناء الموضوع ولا يطمع وجهه بالهاء لطما ويوجد بالهاء لموا مستحب بشرط أن يصل بالموضوع ما يفسر وإلا فتركوه .

[ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصولية في الموضوع ]  
آداب الصوفية بسد القيام بمعرفة الأحكام أدبهم في الموضوع حضور القلب في فعل الأعضاء . سمعت بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب الموضوع يحضر في الصلاة وإذا دخل السهو فليدخل

معى فى درجتى ويكون ببدى خليفى فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب أنا لوفى به  
فلا مات كان فى منزله بدمه وهو ذوالكفل مسمى به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب بن  
منه لكسر أربعة أركان : الغضب ، والشهوة والحرق ، والطمع .

( بيان حقيقة الغضب )

اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان ممرضا للفساد والوئان بأسباب فى داخل بدنه وأسباب خارجة عنه  
أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم معاه فى كتابه . أما السبب الداخلى  
فهو أنه ركب من الحرارة والرطوبة وجعل بين الحرارة والرطوبة عدواة ومضادة فلا تزال الحرارة  
تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخارا يتصاعد منها فلولم يصل بالرطوبة تمدد  
التذاء يجبرها لعل وتبخر من أجزاها قصد الحيوان خلق الله التذاء للوافق ليدن الحيوان وخلق  
فى الحيوان شهوة تبته على تناول التذاء كالموكل به فى خير ما تكسر وسد ما تليكون ذلك حافظا له  
من الهلاك بهذا السبب . وأما الأسباب الخارجة التى يتعرض لها الانسان فكالسيف والسم والسائر  
للهلكات التى يقصد بها فاقتر إلى قوة وحجة شور من باطنه فتدفع للهلكات عنه خلق الله الطبيعة  
الغضب من النار وغرزاها فى الانسان ومجها بطيته فيها صد عن غرض من أغراضه ومقصود من  
مقاصده اشعلت نار الغضب وثارت ثوراتها على به دم القلب ويكثر فى الروق ويرشح إلى أعالي  
البدن كما ترشح النار وكما يرشح اللآء الذى ينزل فى القدر فذلك ينصب إلى الوجه فيجعد الوجه  
والعين والبشرة لصفائها تحكى لون ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الرجا جة لون ما فيها وإعما ينسبط  
الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه بأس  
من الاتقام تولد منه اقباض الدم من ظاهر الجف إلى جوف القلب وصار حزنا وذلك يسفر اللون  
وإن كان الغضب على نظير يكف فيه تردد الدم بين الاقباض والانبساط فيجعد ويسفر ويضطرب  
وبالجلة قوة الغضب على القلب ومغلا غليان دم القلب يطلب الانتقام وإعما توجهه لعل القوة عند  
ثوراتها إلى دفع اللؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة  
وعشوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاث فى أول التعرض من  
التضريط والافراط والاعتدال . أما التعريض فمقد هذه القوة أضعفها وذلك لمنموم وهو الذى يقال  
فيه إنه لاجية له ولذلك قال الشافعى رحمه الله من استغضب فم غضب فهو حمار فى قدقوت الغضب والحية  
أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله سبحانه أصحاب النيران الذين لا يملكون ولا يملكون ولا يملكون ولا يملكون  
رحمهم بينهم - وقال ثيبه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار والمنافقين واغلبهم على الأيمان والظلمة  
والشدّة من آثار قوة الحية وهو الغضب . وأما الإفراط فهو أن تطلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة  
المقل والدين وطاعة ولا يلقى لمره معها بسيرة ونظر وفكرة ولا اختيار بل يصير صورة الشطر  
وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية قرب الانسان هو بالقطرة مستند لسرعة الغضب حتى كأن  
صورته فى القطرة صورة غضبان وبين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار (١) كما قال  
صلى الله عليه وسلم وإحما برودة الزاج تطفئه وتكسر صورته . وأما الأسباب الاعتيادية فهو  
أن يخالط قوما يتبعون بتشى التيقظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شعاعا تورجوا ليقول الواحد  
منهم أنا الذى لا أصبر على الفكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومنه لا عقل فى ولا حلم يذكره

الوسوسة فى الصلاة  
ومن آدابهم استدامة  
الوضوء والوضوء سلاح  
لؤمن والجوارح إذا  
كانت فى حماية الوضوء  
الذى هو أثره على  
طريق الشيطان عليها.  
قال عدى بن حاتم  
ما أقيمت صلاة منذ  
أسلمت إلا وأنا على  
وضوء . وقال أنس  
ابن مالك « قدم النبي  
عليه الصلاة والسلام  
للدنية وأنا يومئذ  
ابن ثمان سنين فقال  
لى : يا بنيان استطعت  
أن لا تزال على الطهارة  
فأقبل فانه من أتاه  
لوت وهو على الوضوء  
أعطى الشهادة ففأن  
العالم أن يكون أبدا  
مستعنا للوت ومن  
استعدا لوت يوم الطهارة  
وحكى عن المصرى

(١) حديث الغضب من النار الترمذى من حديث أبى سعيد بسند ضعيف الغضب حمرة فى قلب إن  
آدم ولأبى داود من حديث عطية السعدى أن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار.

في معرض الشرح يجهل من همه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التثبي بالقوم فيقوى به الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة فإذا عظم راسم بل زاده ذلك غضبا. وإذا استضاء ب نور غفه وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطق "نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتساعد عند شدة الغضب من غلبان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معدن الفكر وربما يمتد إلى معادن الحسن فتظلم عنه حتى لا يرى بينه وتعود عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطربت فيه نار فاسود جوه وحى مستقره ولتلا بالذخا ن جوانبه وكان فيه سراج ضئيف فامحى أو انطفأ نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا يرى فيه صورة ولا يحد على إطفائه لامن داخل وامن خارج بل يقضى أن يسر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يغفل الغضب بالقلب والدماغ وربما تهوى نار الغضب تخفى الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا كما تهوى النار في الكهف فينشق وتهدأ أعاليه من أسفه وذلك لا يبال النار ما في جوانبه من التوة المسكة الجامعة لأجزائه فكذلك حال القلب عند الغضب والحقيقة فالسيف في ملطم الأمواج عند اضطراب الريلع في لجة البحر أحسن حالا وأرجى سلامة من النفس للضطربة غيظا إذ في السفينة من عتال لتسكينها وتديورها وينظرها ويسوسها وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا عمه الغضب وأصمته ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تثير اللون وعبدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال من الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الرد على الأعداء وتحمر الأعداء وتقلب للناظر وتشتعل الحلقة ولوراء الضباب في حالة غشبه فيجب صورته لكن غشبه حياه من قبض صورته واستحالة خلقته وقبض بطنه أعظم من قبض غشبه فيجب صورته فان الظاهر ضوان الباطن وإعماقت صورة الباطن أولا ثم انشعرت في الظاهر تانيا فغير الظاهر عمرة تثير الباطن قصي الثمرة بالثمره فهذا أثره في الجسد. وأما أثره في اللسان فاطلاقه بالشتم والتفنى من الكلام الذي يستحي منه ذوالقل ويستحي منه ناله عند ثور الغضب وذلك مع تخطب النظم واضطراب اللفظ وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهمم والتعريق والقتل والجرح عند التفكير من غير مبالاة فان حرب منه للفتوب عليه أوقاته بسبب وهجز عن التفنى رجع الغضب على صاحبه فترق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب يده على الأرض ويسود عذو الواله السكران وللدهوش للتحير وربما يسقط مريعا لا يطيق العدو والهوش بسبب شدة الغضب وحتره مثل النفثه وربما يضرب الجادات والحيزانات فيضرب القصعة مثلا على الأرض وقد يكسر للسائدة إذا غضب عليها وضاطى أفعال الجانين فيتم البرهة والجنادات ويغاطبها ويقول إلى متى منك هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفته دابة فيفرض الدابة ويقابلها بذلك. وأما أثره في القلب مع للفتوب عليه فالخقد والحسد وإضمار السوء والحيانة بلسا آت والحنن بالسرور والزم على إثناء السرور هتك السر والاستهزاء وغير ذلك من التبايع فهذه عمرة الغضب للقرط وأما ثمرت الحية الضعيفة قتلة الأخوة مما يؤثف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة وأحوال اللدمن الأخشاء وسر النفس والتماسة وهو أيضا مملوم إذ من محرمة عدم التبرية على الحرم وهو خوثة قال صلى الله عليه وسلم «إن سعدا لثبور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني» (١) وإنما خلقت التبرية لحفظ الأنساب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ولذلك قيل كل أم قومضت التبرية

(١) حديث إن سعدا لثبور الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث للتبرية بنحوه وتقدم في الشكاح

أه قال بها أنشبه من الليل لا يعلمني النوم إلا بسد ما أقوم وأجدد الوضوء لئلا يسود إلى النوم وأنا على غير طهارة وصمت من صعب الشيخ على بن الهيثمي أنه كان يمد الليل جيمه فان غلبه النوم يكون قاعدا كذلك وكما اتبته يقول لا أكون أسأت الأدب فيقوم ويجدد الوضوء وصلى ركعتين . وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند سلات الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فاني سمعتك فليكن بيني وبينك في الجنة قال ما عملت عملا في الإسلام

في رجلها وضمت الصيابة في نساها ومن ضف الغضب الحور والسكوت عدم مشاهدته للكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير أمت أحداؤها »<sup>(١)</sup> يعني في الله وقال تعالى ولا تأخذكم بهما أرقت دين الله - بل من قد الغضب هجر عن رياضة نفسه إذ لا تتم الرياضة إلا بتسلط الغضب على الشهوة حتى يضبط على نفسه عند الليل إلى الشهوات الحسية فقد الغضب مذموم وإنما الممدود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبت حيث تجب الحمية وينطق حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « خير الأمور أوسطها »<sup>(٢)</sup> فمن مال غضبه إلى القنور حتى أحس من نفسه بضغف القنور وخسة النفس في احتال القل والضيق في غير محله فينبغي أن يبلغ نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور والاحتكام القواحي فينبغي أن يبلغ نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشرة وأحسن للسلف فان هجر عنه فليطلب القرب منه قال تعالى - ولن تستطيعوا أن تملوا بين النساء ولو حرصتم فلا تبواكل الليل فخذوها كملقة - فليس كل من هجر عن الايمان بالخير كله ينجى أن يأتي بالشر كله ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض فهذه حقيقة الغضب ودرجاته نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير .

( بيان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا )

اعلم أنه ظنون أنه يتصور نحو الغضب بالسكية وزعموا أن الرياضة إليه توجه لإزالة حدس وظن آخرون أنها أصل لا يقبل العلاج وهذا رأي من يظن أن الحلق كالخلق وكلامه لا يقبل التنيير ولا يرى من ضيف بل الحق فيه ما نذكر وهو أنه ما يقب الإنسان يجب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو من اللبث والغضب وما دام يواقع شيء ويخالقه آخر فلا بد من أن يحب ما واقعته ويكره ما خالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما أخذ منه محبوبه غضب لاهالة وإذا قصد بكمروه غضب لاهالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الأول ما هو ضرورة في حق المكافة كالتوث والسكن واللبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يضبط وكذلك إذا أخذ منه قوبه الذي يستر عورته وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لمطشه فلهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها . القسم الثاني ما ليس ضروريا لأحد من الخلق كالباه والليل الكثير والقلان والدواب فان هذه الأمور صارت محبوبة بالمادة والجهل بقاصد الأمور حتى صار القبح والقضة محبوبين في أنفسهما فيكثران ويضبط على من يسرقهما وإن كان مستغنيا عنها في القوت فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه فإذا كانت له دار زائلة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يضبط إذ يجوز أن يكون بصيرا بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يضبط بأخذها فانه لا يجب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجلو الميت والتصدري في المجالس واللباهة في العلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يضبط إذ لا محالة من التصدي في المجالس ومن لا يجب ذلك فلا يالى ولو جلس في صف الثمال فلا يضبط إذا جلس غيره فوته وهذه العادات الرديئة هي التي أكثر حب الإنسان ومكراهه فأكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات

(١) حديث خير أمت أحداؤها الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بن سعيد بن مسروق وزاد الدين إذا غضبوا وجسوا (٢) حديث خير الأمور أوسطها البيهقي في الشعب مسند مسروق بن جهم.

أرجى هندی آئی لم  
تظہر طہرا فی ساعۃ لیل  
أونہا لإصلیت لربی  
عزوجل بک الطہور  
ماکتب لی أن أصلی  
ومن آدمہم الطہارة  
ترک الاسراف فی اللہاء  
والوقوف علی حدالم  
أخبرنا الشیخ العالم  
ضیاء الدین عبد الوہاب  
ابن علی قال أنا أبو الفتح  
المروئی قال أنا أبو نصر  
الترغائی قال أخبرنا  
أبو محمد الجراہی قال  
أنا أبو الباس المروئی  
قال أنا أبو عیسی  
الترمذی قال حدثنا  
عبد بن یسار قال حدثنا  
أبو داود قال حدثنا  
خارجة بن مصعب  
عن یونس بن عیید  
عن الحسن بن عی  
ابن ضمرۃ البمدی عن  
ابی بن کعب عن النبی

أكثر كان صاحباً أحط رتبة وأخص لأن الحاجة صفة قصص فيها كثرت كثير النقص والجاهل بدأ جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شروعاته وهو لا يدري أنه مستكمل من أسباب التمر والحزن حتى يتسنى بعض الجهال بالمعدات الرديئة وغالطة قرناء السوء إلى أن يضرب لوقيل له إنك لا تحسن اللعب بالبيور واللب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجرى هذا من الرذائل فانضبط على هذا الجنس ليس بضروري لأن فيه ليس بضروري . القسم الثالث ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض الكتاب مثلاً في حق العالم لأنه مضطر إليه فيجبه فيضبط على من يحرقه ويفرقه وكذلك أدوات الصناعات في حق للكاتب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بما فأن ما هو وسيلة إلى الضروري والمحبوب يصير ضرورياً ومحبوها وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذوفاً » (١) ومن كان يصير اعتناقي الأمور وسلم هذه الثلاثة يتصور أن لا يضبط في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلندكر طائفة الرياضة في كل واحد منها . أما القسم الأول : فليست الرياضة فيه ليتم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على أن لا يطبع النضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل وذلك يمكن بالمجاهدة وتكليف الحلم والاحتياط مدته حتى يصير الحلم والاحتياط خلقاً راسخاً فأما مع أصل القبط من القلب فلا يمكن متضي الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضييقه حتى لا يشتد هيجانه النبط في الباطن وينتهي شغفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يمنعه من القبط استثناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضيق هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه . وأما القسم الثاني : فيمكن التوصل بالرياضة إلى الاشكالك عن النضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القاب وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وأن الدنيا مغير مجر عليها ويتردد منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبالذات وطنه ومستقره هذا الذي يوافق حبه من قلبه ولو كان للإنسان قلب لا يحبه لا يضبط إذا ضربه غيره فانضبط تبع لعب فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل النضب وهو نادر جداً وقد تنهى إلى اللع من استعمال النضب والعمل بموجبه وهو أهون . فإن قلت : الضروري من القسم الأول التأمل في غرائب المحتاج إلى العون النضب فمن له شاة مثلاً وهي قوته ثمانية لا يضبط على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فإن الإنسان يتألم بالقصد والمجاهدة ولا يضبط على التصاد والمجاهد فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يضبط على أحد من خلقه إلا بإمرام مسخرين في قبضة قدرته كالتقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يضبط على القلم فلا يضبط على من يدبج عاتقه انتهى قوته كما لا يضبط على موته إذ يرى الدبج واللوت من الله عز وجل فيندفع النضب بجلبة التوحيد ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن السكل من الله وأن الله لا يجر له إلا ما فيه الخير وربما تكون الخير في مرضه وجوعه وجرحه وقتله فلا يضبط كما لا يضبط على التصاد والمجاهد لأنه يرى أن الخير في فيقول هذا على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف قلب في أحول مختلفة ولا يندوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذوفاً هذا الخبر الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن حصن دون قوله بحذوفاً هذا الخبر الترمذي حسن غريب .

صلى الله عليه وسلم أنه قال وللنضوب شرطان يقال له ألومان فاقوا وسأوس للساء قال أبو عبد الله الرزدياري إن الشيطان يقبض أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يزال أن يأخذ نصيبه بأن يزدلوا فيما أمروا بأوامرهم نصيبه . وحكى عن ابن الكرخي أنه أصابت جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة تحية غليظة فجاء إلى المذبة وكان يردد يد طرقت تحسه عن الدخول في الساء لشدة البرد فطرح تحسه في الساء مع رقبته خرج من الماء وقال عقدت أن لا أزعمه من بدني حتى تحبلى فمكنت

فانه كان يغضب حق محرم وجنتاه (١) حق قال « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأبى مسلم بيته أولمته أو ضربته فاجعلنا من صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة (٢) » وقال عبيد الله بن عمرو بن الماس « بإرسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يرضى الحق نبياً ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه (٣) « فقل لي إن لا يغضب ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق أي لا أعلم بموجب الغضب » وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك قالت ومالك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسلم فلا يأمري إلا بالخير (٤) » ولم يقل لا شيطان لي وأراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر » وقال علي رضي الله عنه « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغضب لادنياه فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يتم غضبه شيء حتى يتصره (٥) » فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لم فهو الثفات إلى الوساطة على الجملة بل كل من يغضب على من يأخذ ضرره وقوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فأغضب غضباً فلا يمكن الاضطرار عنه . نعم قد يفقد أصل الغضب فيها هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه فلا يكون في القلب متسع لغضب لا يشغله غيره فان استغرق القلب بعض الهمات يتبع الاحساس بمعادله ، وهذا كما أن لساناً لما شتم قال إن خفت موازيني فأنا شر مما خول وإن تقلت موازيني لم يشرني ما خول قد كان مأموراً بالخير والبر إلى الآخرة فلم يأت قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم قال : يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتي لم يشرني ما خول وإن لم أقطعي فأنا شر مما خول . وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال ماستر الله عنك أكثر فكأته كان مشغولاً بالنظر في تفسير نفسه عن أن يتقى الله حق قناته ويرفعه حق معرفته فلم يغضب نسبة غيره إليه إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بين النقصان وذلك جلالة قدره ، وقالت امرأة لملك بن دينار يأمري قال ما عرفني غيرك فبكأته كان مشغولاً بأن يتقى عن نفسه آفة الرءاء ومنكرها على نفسه ما يليق الشيطان إليه فلم يغضب بالنسب إليه . وسب رجل النبي فقال إن كنت صادقاً فضر الله لي وإن كنت كاذباً فضر الله لك فهذه الأولاد دالة في الظاهر على أنهم لم يشعروا باختلاف قلوبهم بمهمات دينهم ورحمهم أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشعروا به واختلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم فإذا اشتغل القلب ببعض الهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض الهبات فإذا تصور قد القيظ إما باختلال القلب بهم أو بظلمة نظر التوحيد أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب من أن لا يتخطط على شدة حبه لله فيظله وذلك غير حال في أحوال نادرة وقد عرفت بهذا أن الطريق للانحلال من نار الغضب

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم يغضب حق محرم وجنتاه مسلم من حديث جابر كان إذا غضب احمرت عيناه وعلو صوته واشتد غضبه ولما تم كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وقد تقدم في أخلاق النبوة (٢) حديث اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر الحديث مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أغضب كما يغضب البشر وقال جده بدله في رواية الإمام أحمد جبري يغضب كما يغضب البشر وأما ما تقدم عليه فقد مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه وأغضب كما يغضب البشر ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد أضرته (٣) حديث عبيد الله بن عمرو بإرسول الله أكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا قال أكتب فوالله يرضى الحق ما يخرج منه إلا حق وأشار إلى لسانه أبو داود بنحوه (٤) حديث غضبت عائشة قالت النبي صلى الله عليه وسلم مالك جارك شيطانك الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث علي كان لا يغضب لادنياه الحديث الترمذي في المعالي وقد تقدم.

عليه شهراً لثغابها  
وغلظها أدب بديك  
نفسه لما حررت عن  
الافتقار لأمر الله تعالى  
وقيل إن سهل بن  
عبد الله كان يث  
أصحابه على كثرة شرب  
الماء وقلة صبه على  
الأرض وكان يريان  
في الإكثار من شرب  
الماء ضعف النفس  
وإمالة السموات وكسر  
القوة ومن أفعال  
الصوفية الاحتياط في  
استبقاء الماء لقوضه  
تيسل كان إبراهيم  
الخواري إذا دخل  
البادية لا يحمل معه  
الإبركة من الماء وربما  
كان لا يشرب منها  
إلا القليل فيحفظ للماء  
لغوضه وقيل إنه كان  
يخرج من مكة إلى  
السكوة ولا يحتاج إلى

موجب الله ناعن القلب وذلك بمعرفة آيات الدنيا وغوايتها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن أخرج حب الدنيا عن القلب غلب من أكثر أسباب الفتب وما لا يمكن عوده يمكن كسره وتصفيفه فيضف الفتب بسببه ويهون دمه ، نأله الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه إنه على كل شيء قدير والحمد لله وحده .

( بيان الأسباب للهجة للفتب )

قد عرفت أن علاج كل علة جسم مدتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الفتب ، وقد قال يحيى لميلى عليها السلام أى شيء أشد قال غضب الله قال لما يقرب من غضب الله قال أن تغضب قال فايدي الغضب وما يثبت قال عيسى : الكبر والفتور والتعزز والحيرة والأسباب للهجة للفتب هي الغرور والحب والزهو والفرح والمزول والمزوء والتعير والمارة والصادرة والتدبر وهذه الحرس على فضول اللسان والمجاهة وهي بأجمها أخلق رديئة مضمومة شرها ولا خلاص من الغضب مع غامهذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها ، فينبغي أن يمتنع الغرور بالتواضع وتبعت العجب بمرتكب بنفسك كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفتور بأنك من جنس عبيدك إذا الناس يصعبهم في الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا في الفضل أشتات فتواكم جنس واحد وإنما الفتور بالنشأ ، والفتور والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أسوأها ورأسها فإذا لم تخلص عنها فلا تفضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبيدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة . وأما الزهو فترديه بالتشاكل بالهلمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك . وأما المزول فترديه بالجلد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبذلك إلى سعادة الآخرة . وأما المزوء فترديه بالتكريم عن إهداء الناس وبسياسة النفس عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فالخبر عن القول القبيح صيانة النفس عن مر الجواب . وأما هذه الحرس على مزاي العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لزال الاستغناء وترغماً عن ذلك الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصف من هذه الصفات يفتخر في علاجه إلى رياضة وعمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة الغوايات التي تغيب عن النفس عنها وتفر عن قبحها ثم الواظبة على مباحثرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير العادة مألوفاً حينئذ على النفس فإذا امتحنت عن النفس قد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها ومن أهدأ البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهية وتلقية بالألقاب الممودة غباوة وجهاً حتى يحيل النفس إلى مستحسنة وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض اللبس بالشجاعة والتفوس ما إلى التقية بالأكابر فيجيب الغضب إلى القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب وتقصان غفل وهو نصف النفس وقصائنها وأيضاً نصف النفس أن الرئس أسرع غضبان من الصبيح والرائة أسرع غضبان من الرجل والصبي أسرع غضبان من الرجل الكبير والشعب الغضب أسرع غضبان من الكهل وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبان من صاحب الفضائل فالرذيل غضبان لشهوته إذا فاته القصة وليلخله إذا فاته الحبة حتى إنه يغضب على أهله وولده وأصحابه بالملقوى من عكاه نفسه عند الغضب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ليس الشديد بالصرفة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (١) بل ينبغي أن يبلغ هذا الجهال بأن تتلى عليه كتابات أهل الحلم والعمو وما استحسن منهم من كظم البقل فان ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء ومن ذلك منقول عن الأكابر والأئمة والوجهة والأغنياء الذين لا يعقول لهم ولا تفضل فيهم .

(١) حدث ليس الشديد بالصرفة يخدم قبله .

التيم يحفظ اللاء  
لوضوءه ويمنع بالقليل  
لشرب . وقيل إذا  
رأيت الصوفى ليس معه  
د كوفته وكوز فاعلم أنه  
قد عزم على ترك الصلاة  
هـ أم أبى . وحكى عن  
بعضهم أنه أدب نفسه  
في الطهارة إلى حد أنه  
أقام بين ظهراني جماعة  
من التماسك وم  
مجنون في دار فأكاد  
أحد منهم أنه دخل  
الحللاء لأنه كان يقضي  
حاجته إذا خلا للوضوء  
في وقت يريد تأديب  
نفسه ، وقيل مات  
الحواص في جامع  
الرى في وسط اللاء  
وذلك أنه كان به علة  
البطن وكما قام دخل  
للأه وشغل نفسه  
فدخله مرة ومات فيه  
كل ذلك لحظته على



( بيان علاج الغضب بعد هيجانه )

ما ذكرناه هو جسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يسيج فإذا جرى سببه هيجانه فندب عليه التثبت حتى لا ينظر صاحبه إلى العمل به على الوجه للثبوت وإنما يبلغ الغضب عند هيجانه بمجون العلم والعلل . أما العلم فهو ستة أمور : الأول يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فصل كظم اللغظ والغف والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فتضمنه هذه الحرس على ثواب الكظم عن اللغظ والافتقار وينطقى عنه غيظه قال مالك بن أوس بن الحدثان غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت بأمر المؤمنين - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان عمر يقول - خذ الغفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - فكان يتأمل في الآية وكان وقفا عند كتاب الله مهما تلى عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وعلى الرجل وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى - والكاظمين - التيط - قال لئلا يخل عنه . الثاني أن يخوف نفسه بكتاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو أمشيت غضبي عليه لم آمن أن يعضي الله غضبه على يوم القيامة أوحى ما كرون إلى الغفو قد قال تعالى في بعض الكتب القديمة : يا ابن آدم إذا كرت حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أعفك فيمن أعتق . وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفا إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال « لولا التماس لأوجبتك » أي التماس في القيامة وقبل ما كان في بني إسرائيل ملك بالومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : ارحم المسكين واخش الوتواتر الأخره فكان يقرأها حتى يسكن غضبه . الثالث أن يجلد نفسه عاقبة الدواوة والانتقام وتغمر الدلو لثباته والسعي في هدم أغراضه والفتاة بصاليه وهو لا يخلو من للصاب فيخوف نفسه بواجب الغضب في الدنيا إن كان لاخاف من الأخره وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الأخره ولأنواب عليه لأنه متردد على حظوظه الحاجه يقدم بضها على بعض إلا أن يكون محنوره أن تتشوش عليه في الدنيا فراغته للحلم والعمل وما بينه على الأخره فيكون مثابا عليه . الرابع أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبح العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنياب والأولياء والعلماء والحكماء وغيره في أن يتشبه بالكلاب والسياب وأرادل الناس وبين أن يتشبه بالماء والأنبياء في عادتهم فيجمل نفسه إلى حب الاقتداء هؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل . الخامس أن يتفكر في السبب الذي يدعو إلى الانتقام ويمنعه من كظم اللغظ ولا بد وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له إن هذا عمل منك على الصبر وصبر النفس والذلة والمهانة وتصبر خيرا في أمين الناس فيقول لنفسه ما أحبك تأخزين من الاحتمال الآن ولتأخزين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا يدك واعتقم منه وتخبرين من أن تصبرين في أعين الناس ولا تخبرين من أن تصبرين عند الله ولللاذكية والتبيين فمهما كظم التيط فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله فماله وللناس وذلك من ظله يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن أولا يجب أن يكون هو القائم إذا تودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا نفسه وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يكرره على قلبه . السادس أن يعلم أن غضبه من تسببه من جريان الله على وفق مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ويؤذك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه . وأما العمل فإن تحول بلسانك

(١) حديث لولا التماس لأوجبتك أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند صحيح .

الوضوء والطهارة وقيل  
كان إبراهيم بن آدم به  
قيام قائم في ليلة  
واحدة ثوبا وسبعين  
مرة كل مرة يجدد  
الوضوء ويصل ركعتين  
وقيل إن بعضهم أدب  
نفسه حتى لا يخرج  
منه الريح إلا في وقت  
البزاء يراعى الأدب  
في الخفوات واتخاذ  
للنديل بعد الوضوء  
كرهه قوم وقالوا إن  
الوضوء يوزن وأجازه  
بعضهم ودليلهم  
ما أخرنا الشيخ العالم  
صياحه الدين عبد الوهاب  
ابن أبي ثناء أبو الفتح  
المروى قال أنا أبو نصر  
قال أنا أبو محمد قال  
أنا أبو العباس قال  
أنا أبو عيسى الترمذى  
قال حدثنا سفيان بن  
وكيع قال حدثنا عبد الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند القبض (١) « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضبت عائشة أخذ بأُخُمها وقال يا عيشة قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن » (٢) فيستحب أن تقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذلك تسك وإطلب الجُلوس والاضطجاع السكون لأن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الغضب جرة توقد في القلب » (٣) ثم اتروا إلى التماخ أو داجه وحرمة عينه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليتم فإن لم يزل ذلك فليتنوضأ بالماء البارد أو يمشي فإن النار لا يطفئها إلا الماء فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا غضب أحدكم فليتنوضأ بالماء قائماً الغضب من النار » (٤) وفي رواية إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتنوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا غضبت فامسكت » (٥) وقال أبو هريرة « كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه » (٦) وقال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم » (٧) ألا ترون إلى حرمة عينه واتساع أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليصق يده بالأرض وكان هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل للواضع وهو التراب للتشعر به النفس البذل وتزاييل به العزة وإثرو الذي هو سبب الغضب . وروى أن عمر غضب يوماً فقام بما قام فاستنشق وقال إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن عبد الله استعملت على ابنين قال لي أي أويت قلت نعم قال فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتي ثم عظم خاتمتها . وروى « أن أبا ذر قال لرجل يابن الخزءاء في خصومة بينهما فبلغ ذلك رسول الله

ابن وهب عن زيد ابن جابر عن أبي معاذ عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرة ينشف بها أعضائه بسد الوضوء . وروى معاذ ابن جبل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه واستنصاه الصوفية في تطهير البواطن من الصفات الرديئة والأخلاق للسمومة لا الاستنصاء في طهارة الظاهر إلى حد يخرج عن حد العلم وتوضأ عمر رضى الله عنه من جرة ضرارية مع كون الصاري لا يمتزجون عن الخمر وأجرى الأمر

(١) حديث الأمر بالتوضأ بالله من الشيطان الرجيم عند القبض متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يسبقان فأحدهما أحمر وجهه واتسعت أوداجه الحديث وفيه لوفال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فذهب عنه ما عهد فقالوا له إن النبي صلى الله عليه وسلم قال توضأ بالله من الشيطان الرجيم الحديث (٢) حديث كان إذا غضبت عائشة أخذ بأُخُمها وقال يا عيشة قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن إلى السقي في اليوم والليجة من حديث أبي سعيد دون قوله وقد تقدم ورواه بهنيد اللفظة البيهقي في الشعب (٣) حديث إذا غضب أحدكم فليتنوضأ بالماء البارد الحديث أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله بالماء البارد وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها للصف وقد تقدم (٤) حديث ابن عباس إذا غضبت فامسكت الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ليث بن أبي سليم (٥) حديث أبي هريرة كان إذا غضب وهو قائم جلس وإذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يمسح ولا يمسح باستنجد في أثناء حديث فيه وكان أبو ذر قائماً فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع وللرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود (٦) حديث أبي سعيد ألا إن الغضب جرة في قلب ابن آدم الحديث الترمذي وقال حسن .

صلى الله عليه وسلم قال ياأبذر بلقي أنك اليوم عيرت أخاك بأمة فقال تم فانتظر أبو ذر ليرضى صاحبه فسبى الرجل فلم عليه فقد ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبذر ذر ارفع ريسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تضله بعمل ثم قال إذا غضبت فإن كنت فأعسا فأفقد وإن كنت فاعسا فأتسكى وإن كنت متكئا فاضطجع <sup>(١)</sup> وقال للمتعبين سلجان كان رجل من كان قبلكم يضرب فيشتد غضبه نكسب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلا وقال للأول إذا غضبت فأعطني هذه وقال لثاني إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه وقال لثالث إذا ذهب غضبي فأعطني هذه فاشتد غضبه يوما فأعطى الصحيفة الأولى فإذا فيها ماأنت وهذا النصب إنك لست بالله إنما أنت جبر يوشك أن يأكل بشك بضاً فسكن بعض غضبه فأعطى الثانية فإذا فيها أرحم من في الأرض ربحكم من الباء فأعطى الثالثة فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلهم إلا ذلك أي لا تامل الحدود . وغضب للهدى على رجل فقال شبيب لا تنصب لله بأحد من غضبه لنفسه فقال خواراً سيئه .

## (فضيلة كظم الغيظ)

قال الله تعالى - والكاملين الغيظ - وذكر ذلك في معرض للدخ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من كف غضبه كفى الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته <sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « أهدكم من غلب نفسه عند النصب وأسلمكم من عفا عند القدرة <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لمضاهلاً الله قلبه يوم القيامة رضا - وفي رواية ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً <sup>(٤)</sup> » وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتداء وجه الله تعالى <sup>(٥)</sup> » وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم « إن لجنتم بها لا يدخله إلا من هنى

(١) حديث أبي ذر أنه قال لرجل ياأبا الحراء في لصومة بينهما فإني ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فقال ياأبذر ارفع راسك فانظر الحديث وفيه ثم قال إذا غضبت إلى آخره ابن أبي الدنيا في الغفوفم الغضب بساند صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمة أجمية فغيرته بأمة فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياأبذر إنك امرؤ فيك جاهلية ولو أهدأه صلى الله عليه وسلم قال له انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تضله بتقوى ووجهاته.

## (فضيلة كظم الغيظ)

(٢) حديث من كف غضبه كفى الله عنه عذابه الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ من حديث أنس بساند ضعيف ولا يثبت في أبي الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه بقاء الله عذابه الحديث وقد تقدم في آفات اللسان (٣) حديث أهدكم من غلب نفسه عند النصب وأسلمكم من عفا عند القدرة ابن أبي الدنيا من حديث أبي بريد ضعيف والبيهقي في الشعب بالشرط الأول من رواية عبد الله بن ابن هبيل مرسل بساند جيد ولا يثبت الطبراني في معارج الأئمة واللفظ من حديث أهدكم ما لم يملك نفسه عند النصب وفيه عمران القطان مختلف فيه (٤) حديث من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملاً الله قلبه يوم القيامة رضا وفي رواية أمناً وإيماناً ابن أبي الدنيا بالرواية الأولى من حديث ابن عمر وفيه سكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان وأبو داود بالرواية الثانية من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أبيه ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يمس (٥) حديث ابن عمر ما جرع رجل جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتداء وجه الله ابن ماجه.

على الظاهر وأصل الطهارة وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون على الأرض من غير سباجة ويمشون حفاة في الطرقات وقد كانوا لا يعملون وقت النوم بينهم وبين التراب حائل وقد حكواوا يقتصرون على الحجر في الاستنجاء في بعض الأوقات وكان أمرهم في الطهارة الظاهرة على التسهيل واستحضارهم في الطهارة الباطنة وهكذا غسل الصوفية وقد يكون في بعض الأشخاص تشدد في الطهارة ويكون مستند ذلك هموة النفس فلا اتسع ثوبه فخرج ولا يبالى بما في باطنه من النمل والحقد والكبر

غظه بحسبة الله تعالى (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملائكة الله قلبه إيماناً » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينقله دمه الله على ردوس الخلائق ويغيره من أي الحور شاء » (٣) الآثار : قال عمر رضي عنه من أتى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولو لا يوم القيامة لكان غير مآرون . وقال لقمان لابنه : يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسأة ولا تشف غيظك بغضبك واعرف قدرك فتصك معيقتك . وقال أيوب حلم ساعة يدفع شراً كثيراً ، واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة البر بوعي والفضل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجموا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والسبر عند الجزع . وقال رجل لمرضى الله عنه والله ما تضيء الليل ولا تطفى الجوز فتضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول سخذ الغو وأمر بالفرف وأعرض عن الجاهلين - فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكأنما كانت ناراً فأطفئت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله إذا رضي لم يدخله رضا في الباطل وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ماله شيء . وجاء رجل إلى سلمان فقال يا عبد الله أوصني قال لا تغضب قال فأن غضبت فأمسك لسانك وبك .

### ( بيان فضية الحلم )

اعلم أن الحلم أفضل من كظم التيطان لأن كظم التيطان عبارة عن التحمل أي كظم الحلم ولا يحتاج إلى كظم التيطان إلا من حاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة عديدة ولكن إذا تمود ذلك مدة صار ذلك احتياداً فلا ييجع التيطان وإن حاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دالة كمال العقل واستيلائه وانسكار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداء التحمل وكظم التيطان كفا قال صلى الله عليه وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحمل ومن يشتر الجرم يطه ومن يتوق الشر يوقه » (٤) وأما هذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحمل أولاً وتكفئه كآناً اكتساب العلم طريقه التحمل . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولئن تعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيطلب جهلكم حكمكم » (٥) وأما هذا إلى أن التسكروا والتجبر هو الذي يبيح الغضب ويمنع من الحلم واللين ، وكان من دعائه عليه السلام « اللهم أغني بالعلم وزني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالمافية » (٦) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « ابتغوا الرضا عند الله قالوا وماهي يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتطي من حرمك وتحلم عن جهل عليك » (٧)

(١) حديث ابن عباس إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شق غيظه بحسبة الله تقدم في آفات اللسان  
(٢) حديث ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبداً كظمها عبد إلا ملائكة الله قلبه إيماناً ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وفيه ضعف وثلق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدم (٣) حديث من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينقله دمه الله على ردوس الخلائق حتى يغيره من أي الحور شاء تقدم في آفات اللسان .

### ( فضية الحلم )

(٤) حديث إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحمل الحديث الطبراني والدارقطني في الملائم من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٥) حديث أبي هريرة الطبراني والدارقطني في الملائم من حديث ابن السكيت والدارقطني في الملائم من حديث ابن السكيت (٦) حديث كان من دعائه عليه السلام « اللهم أغني بالعلم وزني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالمافية » (٧) حديث ابن أبي الدنيا قالوا وماهي يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك الحديث الحاكم والبيهقي وقد تقدم .

والحجب والرياء والتفاني  
ولله يصكر على  
الشخص لو دلس  
الأرض خالفاً مع وجود  
رخصة الشرع ولا  
يشكره عليه أن يشككم  
بكلمة غيبة يغرب بها  
دينه وكل ذلك من قلة  
العلم وترك التأديب  
بحسبة الصادقين من  
العلماء الراستين وكانوا  
يكبرون كثرة الملك  
في الاستبراء لأمرهم  
بسترى المرقول  
يمسك البول ويثوب  
منه القطر للفرط .  
ومن حكايات التصوفة  
في الوضوء والطهارات  
أن أبا عمرو الرزاز جالس  
جاور بمكة ثلاثين سنة  
وكان لا ينطو في الحلم  
ويخرج إلى الحل وأقل  
ذلك فرسح . وقيل  
كان بسهم على وجهه

وقال صلى الله عليه وسلم « خمس من سنن للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتضرع أبو بكر بن أبي عامر  
على كرم الله وجهه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل للسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه  
ليكتب جبارا عبدا ولا يعلك إلا أهل بيته » وقال أبو هريرة « إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة  
أصلهم ويقطعون وأحسن إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم قال إن كان يحاقول فكأنما  
تسهم لل ول لا يزال ملك من الله ظهير مادمت على ذلك » ولل يمين به الرمل وقال رجل من السليين  
واللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو عليه صدقة فأوحى الله تعالى  
إلى النبي ﷺ « إني قد غفرت له » وقال صلى الله عليه وسلم « أيسر أحد إن يكون كأي مضمض  
قالوا وما أبو مضمض قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم برضى على  
من ظفني » وقيل في قوله تعالى - ربانين - أي علماء عباد وعن الحسن في قوله تعالى - وإذا ظفهم  
الجاهلون قالوا سلاما - قال حماد إن جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن أبي رباح - عشون على الأرض  
هوتا - أي حملا وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل - وكهلا قال الكهل انتهى الحلم. وقال حماد  
- وإذا صرنا بالثوم صرنا كراما أي إذا أوصوا وروى « أن ابن مسعود مر بمرضا فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود وأمسى كريما » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة هو الذي روى قوله تعالى  
- وإذا مروا باللغو مروا كراما - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان  
لا يتيمون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب المحبين والمستحبين السنة العرب » وقال  
صلى الله عليه وسلم « ليلين منكم ذوو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا  
تختلف قلوبكم ولا يكملن ههنا إلا منكم » وروى « أنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الأشعث فأنشأ  
راحلة ثم عطفها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من الحية ثوبين حستين فلبسهما ذلك بين  
يدين

(١) حديث خمس من سنن للرسلين الحياء والحلم والحجامة والسواك والتضرع أبو بكر بن أبي عامر  
في الثنائي والأحد والترمذي الحكيم في تواتر الأصول من رواية ملبح بن عبد الله الحطيمي عن  
أبيه عن جده والترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب أربع فأسقط الحلم والحجامة وزاد التسليم  
(٢) حديث على « إن الرجل للسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم الحديث الطبراني الأوسط بسند  
ضعيف (٣) حديث أبي هريرة إن رجلا قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعون وأحسن  
إليهم ويسئون إلي ويجهلون علي وأحلم عنهم الحديث روله مسلم (٤) حديث قال رجل من السليين  
اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأبى رجل أصاب من عرضي شيئا فهو صدقة عليه الحديث  
أبو نعيم في الصحابة والبيهقي في الشعب من رواية عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه من جده  
بإسناد لين زاد البيهقي عن علي بن يزيد وعليه هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث وذكر ابن عبد البر  
في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا من  
السليين ولم يسمه وقال أنه أبا مضمض قلت وليس بأبي مضمض إنما هو علي بن زيد وأبو مضمض  
ليس له حجة وإنما هو مقدم (٥) حديث أيسر أحد أن يكون كأي مضمض الحديث تقدم في  
آيات المسان (٦) حديث إن ابن مسعود مر بمرضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح ابن مسعود  
وأمسى كريما ابن المبارك في البر والصلح (٧) حديث اللهم لا يدركني ولا أدرك زمان لا يتيمون فيه  
العلم ولا يستحيون فيه من الحليم الحديث أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف (٨) حديث  
ليلين منكم ذوو الأحلام والنهي الحديث مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله ولا تختلفوا تختلف  
قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه وهي عند مسلم في حديث آخر لابن مسعود.

قرح لم يضلعت اثني  
عشرة سنة لأن الماء  
كان يضره وكان مع  
ذلك لا يبع تجديد  
الوضوء عند كل  
فرصة وبضم زل  
في عينه الماء فجعلوا  
إليه للداوي وبدلوا  
له مالا كثيرا لداويه  
قال للداوي يحتاج  
إلى ترك الوضوء أياها  
ويكون مستقيا على  
قده فلم يضل ذلك  
واختار ذهب بصره  
على ترك الوضوء .  
[ الباب السادس  
والثلاثون في فضيلة  
الصلاة وكبر شأنها ]  
روى عن عبد الله بن  
حباس رضى الله عنهما  
أنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« لما خلق الله تعالى  
جنة عدن وخلق فيها

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام إن فيك يا أنس خلتين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بأني أنت وأبي رسول الله قال الحياء والأمانة قال خلتان خلتني أودعتني أودعتني عليهما قال بل خلتان حبلك الله عليهما قال الحمد لله الذي جاني على خلتين يحبهما الله ورسوله <sup>(١)</sup> وقال <sup>(٢)</sup> «إِنَّ اللَّهَ يَجِبُ الْحِلْمَ عَلَى الْخَلْقِ لِيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ»

ويضع الفاحش البذي السائل للتحلف التبي <sup>(٣)</sup> وقال ابن عباس قال التبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تصدوا بشيء من عمله تخوى تحجزة عن معاصي الله عز وجل وحلم يكف به السفيه وخلق يمشي به في الناس <sup>(٤)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا جمع الله الخلاق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس وهم يبرفون فيقولون سرنا إلى الجنة فنتقاهم للآلئكة فيقولون لهم إننا نراكم سرنا إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم ما كان فضلكم فيقولون كنا إذا طمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حملنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين <sup>(٥)</sup> . الآثار : قال عمر رضي الله عنه تملوا العلم وتملوا العلم السكين والحمد لله الذي رضى الله عنه ليس الخير أن يكثر مالك وولده ولكن الخير أن يكثر عملك ويصغر حملك وأن لا يباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت الله تعالى وقال الحسن الطليوالي العلم وزينه بالوفاء والحلم . وقال أكنم بن سفيان دامة العقل والحلم وجماع الأمر الصبر . وقال أبو الدرداء أدركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورق فيه إن عرقهم هذوك وإن تركهم تركوك قالوا كيف نصنع قال ترضيهم عن عرضك يوم قهرك . وقال ثي رضي الله عنه إن أول ما عوذ الحليم من خلقه أن الناس كلهم أمواته على الجاهل . وقال معاوية رحمه الله تعالى لا يبلغ مبلغ الرأي حتى يثلب حمله جهله وصبره شهوره ولا يبلغ ذلك إلا بقوله عالم . وقال معاوية للمروزي لأهمل أي الجاهل أشجع قال من رد جهله بحمله قال أي الرجل أسخى قال من يبلد دنياه لصالح دينه . وقال أنس بن مالك في قوله تعالى - فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - إلى قوله - عظيم - هو الرجل يشتم أخوه فيقول إن كنت كاذبا ففقر الله لك وإن كنت صادقا ففقر الله لي . وقال بعضهم شتمت فلانا من أهل البصرة فحل على فاستبدني بها زمانا . وقال معاوية لمروزي إن أوسم بدت قومك بإعراية قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم من جاهلهم وأعلى سائلهم وأسمى في حوائجهم فمن فعل فعل في قومك ومن جاوزني فهو أفضل مني ومن قصر عني فأنا خير منه . وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فتفضها فنكس الرجل رأسه واستحي . وقال رجل لمعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تبذل شهادتي . وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بحجيرة كانت عليه وأمره بأنف درهم قال بينهم جمع له خمس خصال محمودة : الحلم - وإحاطة الأذى وتخليص الرجل بما يمد من الله عز وجل وحملة على التمدد والتوبة

- (١) حديث يافع إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة الحديث متفق عليه (٢) حديث أبي الحبيب الحلي الحليم التقي للتحلف الطبراني من حديث سعد بن الله يحب البذر التي التي الحلي (٣) حديث ابن عباس ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تصدوا بشيء من عمله أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين وقد تقدم في آداب الصحة (٤) حديث إذا جمع الخلاق نادى مناد أين أهل الفضل فيقوم ناس الحديث وفيه إذا جهل علينا حملنا البيهقي في شعب الإيمان من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال البيهقي في إسناده ضعف .

ورجوعه إلى مدح بعد التمس اشتري جميع ذلك بشي من الدنيا يسرو وقال رجل لجعفر بن محمد إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخى أن يقال لي إن تركه له ذلك قال جعفر إنما الدليل الظالم وقال الخليل بن أحمد كان يقال من أساء فأحسن إليه فقد جعل له حازم من قلبه يردعه عن مثل إساءته وقال الأحنف بن قيس لست بحليم ولكني أعلم وقال وهب بن منبه من رحم برحم ومن يسمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يسجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يبيع للراء يشتت ومن لا يتول الله ينجس ومن لا يسأل الله يفتخر ومن يأمن مكر الله يخذل ومن يستن بالله ينظر وقال رجل لماك بن دينار بلغني أنك ذكرتني بسوء قال أنت إذن أكرم علي من حسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسني . وقال بعض العلماء العلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لأحببتك سباً يدخل معك في قبرك فقال معك يدخل لامي ومراً للشيخ ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيراً فقبله إتهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً فقال كل ينفع بما عنده وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة لا يعرف الحليم إلا عند التقصب ولا الشجاع إلا عند الخوف ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه ودخل على بعض الحكماء صديق له قدم إليه طعاماً فخرجت امرأة الحكميم وكانت سيفة الخلق فرضت للسائدة وأقبلت على شتم الحكميم فخرج الصديق مضطرباً فتمه الحكميم وقال له تذكر يوم كنا في منزلك نظم فتمتعت بدجاجة على السائدة فأفسدت ما عليها فلم يضرب أحد منا قال نعم قال فاحبب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال صدق الحكم العلم شفاء من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يضرب قتيل له في ذلك قال لئن لم تقم جبرشتمت بمقتضيت الضرب وقال محمود الدوراني:

سأزعم قسي الصنع عن كل مذنب وإن سكوت منه على الجرائم  
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقادوم  
فأما الذي فوق فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازم  
وأما الذي دوني فإن قال صفت عن إجابته عرضي وإن لام لأتم  
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ففضلت إن الفضل بالعلم حاكم

(بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام)

الصل من وهج  
السلوة الإلمية  
والنظمة الراجية  
ما يزل به أعوجاجه  
بل يتحقق به معراج  
فأصل كالصلي بالنار  
ومن اصطنع بنار الصلاة  
وزال بها أعوجاجه  
لا يرضى على نار جهنم  
إلا لاختار القسم . أخبرنا  
الشيخ العالم رضى  
الله عنه أحمد بن إسماعيل  
القزويني إجازة قال أنا  
أبو سعيد محمد بن أبي  
العباس بن محمد بن أبي  
العباس الخليل قال أنا  
أبو سعيد القزويني  
قال أنا أبو إسحاق أحمد  
ابن محمد قال أنا  
أبو القاسم الحسن بن  
محمد بن الحسن قال أنا  
أبو زكريا يحيى بن محمد  
النبيري قال أنا جعفر  
ابن أحمد بن الحافظ

أعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا يجوز مقابله بالنية بالنية ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السب بالسب وكذلك سائر المعاصي وإنما القصاص والقرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفتنة . وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه» (١) وقال «الستبان ما قالوا فهو على البادي ما لم يتد للظالم» وقال «الستبان شيطانان يتهاوران» (٢) «وشتم رجل أباً بكر الصديق رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر إنك كنت ساكناً لما شتمني فلما تكلمت قلت قال لأن لللك كان يجب عنك قلنا تكلمت ذهب لللك وجاء الشيطان فأن كن لأجلس في مجلس فيه الشيطان» (٣)

(١) حديث إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه أحمد من حديث جابر بن مسلم وقد حتم  
(٢) حديث الستبان شيطانان يتهاوران حتم (٣) حديث شتم رجل أباً بكر رضى الله عنه وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام قال رسول الله عليه وسلم الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بمتصلاً ومرولاً قال البخاري للرملة أصح .

وقال قوم يجوز للعاقة بئالا كذب فيه وإنما هي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعبير بئله  
 هي تزيه والأفضل تركه ولكنه لا يهي به والذي يرخس فيه أن تحول من أنت وهل أنت إلا من  
 بنى فلان قال سعد لابن مسعود وهل أنت إلا من بنى هذيل وقال ابن مسعود وهل أنت إلا من بنى  
 أية ومثل قوله يا أحمق قال مطرف كل الناس أحمق فيها بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة  
 من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حقي في ذات الله تعالى (١) وكذلك قوله  
 يا جاهل إذا من أحد إلا وفي جهل قد آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا بني الخلق يا صديق الوجه  
 يا لئلا للأعراس وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياة لما تكلمت وما أحقرك في عيني بما  
 فعلت وأخزأك الله وانتقم منك . فأما الخيعة والنية والكتب وسب الوالد من حرام إلا ضاق لما روى  
 أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدًا عند سعد فقال سعد ما إن ما بيننا لم يبلغ  
 دينًا يعني أن يأثم بضنا في بسن ظم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله للبلطى جواز ما ليس  
 بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والتعش والسب ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي صلى  
 الله عليه وسلم أرسلن إليه فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألك العدل في  
 ابنة أبي تمالة والنبي صلى الله عليه وسلم تأثم قال يا بنية أعيبن ما أحب قالت نعم قال فما هي هذه فرجعت  
 إليهن فأخبرتهن بذلك فقلن ما أغضبت عنا شيئًا فأرسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تسميني  
 في الحب فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فأذن لي فسيبها حتى جف لساني قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم : « لا إنا ابنه أبي بكر » (٢) يعني أنك لا تهتمين في الكلام قطو قوله لم يسيبها ليس المراد به التعش  
 بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللسان ما قاله أفضل  
 البائس منها حتى يتدى للظلم » (٣) فأثبت المظلوم انتصار إلى أن يتدى فهذا القدر هو الذي أباحه  
 هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا يمد إلى رخصة في هذا القدر ولكن الأفضل  
 تركه فانه مجر به إلى ما وراءه ولا يمكنه الانتصار على قدر الحق فيه أو السكوت عن أصل الجواب لماله يسر  
 من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه  
 في فورة الغضب ولكن يسود سريعًا ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يعقد في الدوام والناس  
 في الغضب أربعة فبعضهم كالخفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالنضابيط الوقود بطيء الخمود  
 وهذا هو بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمق ما لم يته إلى ثور الخيل والثير توبعضهم سريع الوقود  
 بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر « المؤمن سريع الغضب سريع الرضى لهذه تلك » (٤) وقال  
 الشافعي رحمه الله من استغضب ظم يغضب فهو حمار ومن استرضى ظم يرض فهو شيطان وقد قال  
 أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بين آدم خلقوا على طبقات حتى  
 ففهم بطيء الغضب سريع النوى ومنهم سريع الغضب سريع النوى ففهم تلك تلك ومنهم سريع  
 الغضب بطيء النوى ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع النوى وشرهم السريع الغضب البطيء النوى » (٥)

قال أنا أحمد بن نصير  
 قال ثنا آدم بن أبي  
 إياس عن ابن ميمان  
 عن السلاء بن  
 عبد الرحمن عن أبيه  
 عن أبي هريرة رضى  
 الله عنه أن النبي صلى  
 الله عليه وسلم قال يقول  
 الله عز وجل قسمت  
 الصلاة بيني وبين  
 عبدي نصفين فإذا قال  
 العبد بسم الله الرحمن  
 الرحيم قال الله عز وجل  
 عبدي عبدي فإذا  
 قال الحمد لله رب العالمين  
 قال الله تعالى حمدني  
 عبدي فإذا قال  
 الرحمن الرحيم قال الله  
 تعالى أني على عبدي  
 فإذا قال مالك يوم  
 الدين قال فوض إلى  
 عبدي فإذا قال إليك  
 نبيد وإليك نستعين  
 قال هذا بيني وبين

- (١) حديث ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حقي في ذات الله عز وجل تحمدي في العلم
- (٢) حديث عائشة إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أرسلن فاطمة فقالت يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألك العدل في ابنة أبي تمالة الحديث رواه مسلم (٣) حديث للسان ما قاله أفضل البائس الحديث رواه مسلم وقد فهم (٤) حديث للؤمن سريع الغضب سريع الرضى تقدم .
- (٥) حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بين آدم خلقوا على طبقات الحديث تقدم .



ولما كان الضرب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يصاب أحدا في حال غضبه لأنه ربما يتعدى الواجب ولأنه ربما يكون متخطيا عليه فيكون متفتيا ليطئه ومرحبا بفساد نفسه من ألم الرطب فيكون صاحب حظ فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه . ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويمزقه ففتحه السكران فرجع عمر قتيلا بأمر المؤمنين لما شتمك تركته قال لأنه أغضبني ولو عزرتك لكان ذلك أغضبني لنفسى ولم أحب أن أضرب مسلما حية لنفسى . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه لولا أنك أغضبتى لمأقتك .

### ( القول في معنى الحقد وتأثيره وفضيلة الغفو والرفق )

اعلم أن الضرب إذا لم يكلفه لجزء من التفتي في الحال رجوع إلى الباطن واحتقن فيه ضار حقا ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استمالة والبغضاء والتفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم «لؤمن ليس بمقود» (١) فالحقد عمرة الضرب والحقد يشر ثمانية أمور: الأول الحسد وهو أن يحسدك الحقد على أن تمنى زوال النعمة عنه فتمنى بفسادها إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى . الثاني أن تريد على إفساد الحقد في الباطن فقتلت بما أصابه من البلاء . الثالث أن تهجره وتصله وتقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك . الرابع وهو دونه أن تعرض عنه استمثاره . الخامس أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك سر وغيره . السادس أن تحاكي استهزاه به وسخرية منه . السابع إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه . الثامن أن تمنعه من قضاء دين أو صلح أو زعم أو رد مظالم أو كل ذلك حرام وأقل درجات الحقد أن تحترق من الآفات الجليلة للذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تنهى الله به ولكن تستغله في الباطن ولا تنهى قلبك عن فضله حتى تنتهك عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والمناقب والقيام بحاجاته والمجالية معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على النعمة له أو ترك الدماء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجاتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جليل وإن كان لا يبرئك من عقاب الله ولا حلف أبوبكر رضي الله عنه أن لا ينطق على مسطح وكان قريبه لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - إلى قوله - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - قال أبوبكر نعم نحب ذلك وعاد إلى الاتفاق عليه (٢) والأولى أن يبق على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة لنفسه وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال التربين فللمقود ثلاثة أحوال عند القدرة . أحدها أن يستوفى حقه الذي يستحقه من غير زيادة وهضم وهو العدل . الثاني أن يحسن إليه بالنفو والصلة وذلك هو الفضل . الثالث أن يظلمه بما يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل والثاني هو اختيار الصديقين والأول هو منتهى درجات الصالحين ولذا ذكر الآن فضيلة الغفو والاحسان .

### ( فضيلة الغفو والاحسان )

اعلم أن معنى الغفو أن يستحق حقا فيستغفر ويرى عنه من قصاص أو عقاب وهو غير الحلم وكظم

### ( فضيلة الغفو )

(١) حديث للؤمن ليس بمقود ختم في العلم (٢) حديث لما حلف أبوبكر أن لا ينطق على مسطح نزل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الآية متفق عليه من حديث عائشة .

عبدى فاذا قال ما هدانا  
السرراط الدين أنست  
عليهم غير للضوب  
عليهم ولا الضالين  
قال الله تعالى هلما  
لبدي ولبيدي ما سال  
فالمصلحة بين الرب  
والبد وما كان صلة  
بينه وبين الله خلق  
العبد أن يكون خافعا  
لصوفة الربوبية على  
البردية وقد ورد أن  
الله تعالى إذا تامل  
لشيء خضع له ومن  
يتحقق بالصلاة في الصلاة  
تبع له طوابع التجلي  
فيخشع والتفاح للذين  
هم في صلاتهم خاشعون  
وبإتفاء الحشوم يفتنى  
النجاح وقال الله تعالى  
- وأقم الصلاة لذكري -  
وإذا كانت الصلاة  
لذكر كيف يتبع

التينظ فذلك أفردناه قال الله تعالى - خذ الصو وأمر بالرف وأعرض عن الجاهلين - سورة الله تعالى - وأن تصوا أثرب للثوى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث والذى تسمى يمدلو كنت حلالا خلقت عليهن ما من من صدقة تصدقوا ولا عا رجل عن مظلة يتننى بها وجه الله لإزاده الله بها عزا يوم القيامة ولا تنح رجل على شبه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب قرى » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد البعد إلا رفة فواضعوا برضكم الله والصو لا يزيد البعد إلا عزا فاعفوا بمنكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة تصدقوا برحمتكم الله » وقالت عائشة رضى الله عنها « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلها قط ما لم يتمك من عارم الله فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشد من ذلك غضبا وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » وقال عتبة « قتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فابتدرته فأخذت يده أوبرنى فأخذ يدي فقال : يا عتبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فصل من قطعك ونطس من حرمك وتصفو عنك ذلك » وقال صلى الله عليه وسلم « قال موسى عليه السلام يا رب أى عبادة أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا » وكذلك مثل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذى يفو إذا قدر فاعفوا بمنكم الله « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس وأراد أن يأخذها بمظلة فقال له صلى الله عليه وسلم إن للظلمين هم للظلمين يوم القيامة » فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا بث الله الحلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثا أصوات يابسه للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليص بعضكم من بعض » وعن أبي هريرة « وأن رسول الله

فيها النسيان قال الله تعالى - لا تحربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون - قال ولا يعلم ما يقول كيف صلى وقد نهاه الله عن ذلك فالسكران يقول الذى لا يحضور عقل والتأمل صلى لا يحضور عقل فهو كالسكران وقيل في غرائب التفسير في قوة تعالى - فاخلع نعليك إنك بالواد للقدس طوى - قيل نعليك همك بامرأتك وغنمك فالاهتمام بغير الله تعالى سكر في الصلاة وقيل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفون أبا صهم إلى السماء في الصلاة وينظرون عينوا شهلا فلما نزلت

(١) حديث ثلاث والذى تسمى يده إن كنت حاقا خلقت عليهن ما تممت صدقة من مال الحديث الترمذي من حديث أبي كيفة الأعمري ولمسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة (٢) حديث التواضع لا يزيد البعد إلا رفة فواضعوا برضكم الله الأصمغاني في الترهيب والترهيب وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلة ظلها قط الحديث الترمذي في الشبائل وهو عند مسلم بلفظ آخر وقد تقدم (٤) حديث عتبة بن عاص يا عتبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة فصل من قطعك الحديث ابن أبي الدنيا والطبراني في معارج الأخلاق والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم (٥) حديث قال موسى يارب أى عبادة أعز عليك قال الذى إذا قدر عفا الخراطل في معارج الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن أبي الدنيا (٦) حديث إن للظلمين هم للظلمين يوم القيامة وفي أوله قصة ابن أبي الدنيا في كتاب الصوف من رواية أبي صالح الحنفي مرسل (٧) حديث أنس إذا بث الله عز وجل الحلاق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثا أصوات يابسه للوحدين إن الله قد عفا عنكم فليص بعضكم من بعض أحمد بن إبراهيم القرطبي في كتاب التبصرة والذكرة بلفظ ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيامة يأمة محمد إن الله تعالى يقول ما كان في قبلكم فقد ربه لكم وقيمت النعمات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي وإسناد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ نادى مناد يا أهل الجبل تاركوا للظالم بينكم وفوا بكم على وله من حديث أم هانئ ينادى مناد يا أهل التوحيد ليص بعضكم من بعض وعلى الثواب .

صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأتى خذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تقولون فقالوا قولنا نحن وإبن عمك صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (١) قال فخرجوا كأنهم تشربوا من القبور فدخلوا في الاسلام . وعن سويل بن عمرو قال (٢) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة والتاس حوله قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعدو نصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تقولون ؟ قال قلت يا رسول الله قول خيرا ولنظن خيرا أشج كريم وإبن عم رحيم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى يوسف - لا تشرب عليكم اليوم يفر الله لكم - (٣) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجرك على الله فليدخل الجنة قبل ومن ذا الذي على الله أجر » قال الماعون عن الناس فيقوم كذا وكذا أنها فيخلونها بغير حساب (٤) وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينهى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه الله وفرضه » الغفر ثم قرأ - وليفوا وليمضوا - الآية (٥) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من أى ديننا خفيا وقرأ في در كل صلاة - قل هو الله أحد - عشر مرات وعوضا عن ثلثة قال أبو بكر وأحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٦) . - الآثار : قال إبراهيم التيمي إن الرجل ليطلق فأرحمه وعدا إحسان وراء الغفر لأنه يشتغل قلبه بعرضه لمصلحة الله تعالى بالنظر وأنه يطلب يوم القيامة فلا يكون له جواب . وقال بعضهم إذا أراد الله أن يصف عبدا فيض له من ينظره ويدخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فيسأل يسأله رجل غلظه ويقع فيه فقال له عمر إنك أن تلقى الله ومثلتك كلهم خير لك من أن تلقاه وقد اتصفتها . وقال يزيد بن مسيرة إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن عثت استعينا لك وأجينا عليك وإن عثت آخرتكما إلى يوم القيامة فيسماك غفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم إلى ظلمه فانه أسرع إليه من دفاعك عليه إلا أن يتدارك به بعد وقل أن لا يضل . وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقيم فيقوم أهل الغفر فيكافئهم الله بما كان من غفوم عن الناس . وعن هشام بن عمار قال أتى النعمان بن النضر رجلين قد أذنب أحدهما ذنبا عظيما فضا عنه والآخر أذنب ذنبا خفيفا فضاقيه وقال :

غفوا لله عن العظيم من الذنوب بفضلها

وقد تعاقب في اليسير وليس ذلك لجلبها

(١) حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بضادى الباب فقال ما تقولون وما تقولون الحديث رواه ابن الجوزى في الوفاء من طريق أبى أن الدنيا وفيه ينفذ (٢) حديث سويل بن عمرو لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يديه على باب الكعبة الحديث بنحوه لم أجده (٣) حديث أنس إذا وقف العباد نادى مناد ليقيم من أجرك على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى أجرك على الله قال الماعون عن الناس الحديث الطبراني في معجم الأئمة وفيه التفضل ابن يسار ولا يتابع على حديثه (٤) حديث ابن مسعود لا ينهى لوالى أمر أن يؤتى بحد إلا أقامه الله وفرضه غفوى حب الغفر الحديث أحمد والحاكم وصحبه وتقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة من أى أبواب الجنة شاء وأحداهن يا رسول الله قال أو إحداهن (٦) في الدعاء بسند ضعيف.

- الدين هم في صلاحهم  
خاشعون - جعلوا  
وجوههم حيث  
يسجدون وما روى بهد  
ذلك أحد منهم ينظر  
إلا إلى الأرض وروى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
« إن العبد إذا قام إلى  
الصلاة فانه بين يدي  
الرحمن فإذا تلفت قال  
ه الرب إلى من تلفت  
إلى من هو خير لك منى  
إن آثم أقبل إلى فأنا  
خير لك من تلفت  
إليه » وأبصر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
رجلا يبيت ببلدته في  
الصلاة فقال لو خشع  
قلب هذا خشعت  
جوارحه - وقد قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا صليت

إلا يعرف حلها ويخاف شدة دخلها

وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر قال فسكنت عنده إذ أتى رجل فأمر بقتله قتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت يأمر المؤمنين ألا يحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو ؟ قلت سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعون الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا قال والله لقد سمعته من الحسن قتل والله لسمعته منه فقال خلتنا عنه . وقال معاوية عليكم بالعلم والاحسان حتى تمسككم القرعة فإذا أمسكتكم فليكم بالصدق والإفضال . وروى أن رهايا دخل على هشام بن عبد الملك قال لرهاب أ رأيت ذا القرنين ؟ قال نيا ؟ فقال لا ولكنه إنما أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه : كان إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا حدث صدق ولا يجمع شغل اليوم لقد . وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر أتمهم ولكن الحليم من ظلم ظلم حتى إذا قدر عفا . وقال زياد القدرة تذهب الخليفة بمنى القند والتضيب . وأتى هشام رجل بلفهته أمر فلا أقيم بين يديه جل يتكلم بحجة فقال له هشام وتسلمكم أيضا ؟ فقال رجل يأمر المؤمنين قال الله عز وجل - يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها - أفتجادل الله تعالى ولا تسلمكم بين يديكم كلاما . قال هشام بل يوحك تسلم . وروى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر فسبني قتيلا له قطعته فانه من اعتدائه فقال بل أستر عليه لعل الله يستر على يوم القيامة . وجلس ابن مسعود في السوق يتابع طعاما فاتبع ثم طلب الهرام وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال قد جلست وإيها لمي فبصلا يدعون على من أخذها ويقولون : اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم اقل به كذا قال عبد الله اللهم إن كان حله على أخذها حاجة فيارك له فيها وإن كان حلتها جرأة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه . وقال الفضيل ما رأيت أزهده من رجل من أهل خراسان جلس إلى في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فصرقت دنانير كانت معه فبصل يكي قتلته على الدنانير يكي ؟ قال لا ولكن مثلتي وإياه يدعى الله عز وجل فأشرف على إدحاض حبة فبكأن رحمة له وقال مالك بن دينار أئمتنا منزل الحكم ابن أيوب ليا وهو على البصرة أمير وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فإكنا مع الحسن إلا بمنزلة القراريق قد كر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع بإخوته من نعمهم إياهم ورحمهم له في الحب قال باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر مالتى من كيد النساء ومن الجبن ثم لآبيا الأمير . ماذا صنع الله به آذاه منهم ورفع ذكره وأعلى كنه وجهه على خزائن الأرض لماذا صنع حينما كل له أمره وجمع له أهله - قال لا تنرب عليكم اليوم يخبر الله لكم وهو أرحم الراحمين - عرض الحكم بالعفو عن أصحابه قال الحكم فأنأ أقول لا تنرب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا نوبى هذا لو أنرتكم نعته وكتب ابن التلعق إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوة فلان هارب من زلته إلى عفوك لأنه منك بك . وأعلم أنه لن يزداد الذنب عفا إلا لزاد العفو فضلا . وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث فقال لرهاب بن حيوة ماري ؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ماغب من الظفر فأعط الله ماغب من العفو نفا عنهم . وروى أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأقلت منه فأخذ أنا فقال له إن جئت بأخيك ولا ضربت عنقه قال أ رأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلى سبيل قال نعم قال فأنأ أتيتك بكتاب من النزر الحكيم وأقيم عليه شاهد من إبراهيم وموسى ثم تلا - أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى أن لا تزوروا زورا وتزوروا أخرى فقال زيادوا عليه سيئه هذا رجل قد لقن حجة . وقيل مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه قد غفر له الشيطان .

فصل صلاة مودع

قال علي سائر إلى الله تعالى قبله بوجهه ووجهه ودينه وكل شيء رسول الله والصلوة في الجنة هي المصدا فكان الصلوة يدعو الله تعالى بجميع جوارحه فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعوها ظاهرها وباطنها ويشترك الظاهر والباطن بالضرع والقلب واليدين في علقات متفرعة سائل محتاج فإذا دعا بكلمته أجابه مولاه لأنه وعده فقال - ادعوني استجب لكم - كان خالد بن برمك يقول سمعت هذه الآية - ادعوني استجب لكم - أكرم بالعبادة وودعهم بالإجابة ليس بينهما شرط والاستجابة والإجابة

## ( فضيلة الرفق )

اعلم أن الرفق محمود وزياده العنف والحدة والنسف نتيجة التضييق والظلمة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة التضييق وقد يكون سببها الخرس والتململ بحيث يهش عن التفكير ويحجب عن التثبت فالرفق في الأمور نعمة لا يضرها إلا حسن الخلق ولا يعمن الخلق إلا بضبط قوة التضييق وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال ولأجل هذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال «يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق قد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يملأ على الرفق ما لا يملأ على الخرق وإذا أحب الله عبد أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا حبة الله تعالى» (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله رفيق يحب الرفق ويسطي عليه ما لا يسطي على العنف» (٤) وقال ﷺ «يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «من حرم الرفق حرم الخير كله» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «أعمال والى فرقى ولان رفق الله تعالى بيوم القيامة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «تدرون من حرم على النار يوم القيامة كل حين سهل قريب» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «الرفق بين والخرق شؤم» (٩) وقال ﷺ «التأقمن المؤمنات المؤمنات من الشيطان» (١٠) وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال يا رسول الله «إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاحصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال هل أمتستوصر من بين أو ثلاثاً قال نعم قال إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رعداً فأمنه وإن كان سوي ذلك فاقته» (١١)

## ( فضيلة الرفق )

(١) حديث يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق قد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة الحديث أحمد والقبلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر اللبكي وضمه عن القاسم عن عائشة وفي الصحيحين من حديثها يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله (٢) حديث إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق أحمد بسند جيد والبيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عائشة (٣) حديث إن الله يملأ على الرفق ما لا يملأ على الخرق الحديث الطبراني في الكبير من حديث جرير بن أسد ضعيف (٤) حديث إن الله رفيق يحب الرفق الحديث مسلم من حديث عائشة (٥) حديث يا عائشة ارفقي إن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلم على باب الرفق أحمد من حديث عائشة وفيه إقطاع ولأبي داود يا عائشة ارفقي (٦) حديث من حرم الرفق حرم الخير كله مسلم من حديث جرير بن أسد قوله كله فهي عند أبي داود (٧) حديث أيضاً والى فلان ورفق رفق الله بيوم القيامة مسلم من حديث عائشة وفي حديث فيه ومن والى من أمر أمي حيثما فرقى بهم فالرفق به (٨) حديث تدرون على من حرم النار على كل حين سهل قريب الترمذي من حديث ابن مسعود وتقدم في آداب السجدة (٩) حديث الرفق بين والخرق شؤم الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف (١٠) حديث التأقمن المؤمنات المؤمنات من الشيطان أبو يعلى بن حديث أنس ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن مسعود بلغة التأقمن الله وقد تقدم (١١) حديث أتاه رجل فقال يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك الحديث وفيه ما إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رعداً فأمنه الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر

في ثبوت دعاء العبد  
فإن الداعي الصادق  
العا لم يمن بدعوه بنور  
يقينه تفرق الحجب  
وهب الدعوة بين  
يدى الله تعالى متفانية  
للعاجية وخمس الله  
تعالى هذه الأمة أزال  
قاعة الكتاب وفيها  
تقديم الثناء على الدعاء  
ليكون أسرع إلى  
الاجابة وهي تلمح الله  
تعالى عبادته حكيمة  
الدعاء وقاعة الكتاب  
في السبوح الثاني  
والفرقان العظيم قبل  
سميت ثنائياً لأنها زلت  
على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مرتين مرة  
بكرة ومرة بالمدينة  
وكان لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
تكرمة زلت مناهم  
آخر بل كان لرسول

وعن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بئر صعب فجعلت تصرفه بيننا وهما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زنة ولا ينزع من شيء إلا شاة » (١) . الآثار : يبلغ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عمله فأمرهم أن يوافوه فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أيها الرعية إن لنا عليكم حقا الصيحة بالتيب والملاوة على الخير ، أيها الرعاة إن الرعية عليكم حقا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورعته وليس جهل أبغض إلى الله ولا أعظم من جهل إمام وخرقه ، واعلموا أنه من يأخذ بالمافية فيدين ظهره برزق المافية بمن هو دونه . وقال وهب بن منبه الرقيق شيء الحلم ، وفي الخبر موقوفا ومرقوعا « العلم خليل للؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قربه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده » (٢) . وقال بعضهم : ما أحسن الإيمان بزينة العلم وما أحسن العلم بزينة العمل وما أحسن العمل بزينة الرقيق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم . وقال عمرو بن العاص لينة عبد الله : ما للرفق ؟ قال أن تكون ذات ثلثين ولولا . قال فما الخرق ؟ قال معاملة إيمانك ومناوأة من يقدر على ضررك . وقال سفيان لأصحابه تدمرون ما للرفق قالوا قل يا أحمد قال أن تنزع الأمور من مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعها واللين في موضعها والوسط في موضعها ، وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج النظم واللين والفظظة بالرفق كما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالهلا مضر كوضع السيف في موضع الندى  
فالهمود وسط بين العنف واللين كالسائر الأخلاق ولكن لما كانت الطباع إلى الضعف والحدة تأميل  
كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر فلذلك كثرت له الشريعة على جانب الرفق دون العنف  
وإن كان العنف في محله حسنا كما أن الرفق في محله حسن فإذا كان الواجب هو العنف فتدو القبح الحق  
المحوى وهو الحسن الثوب بالهد وهكذا . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : روي أن عمرو بن  
العاص كتب إلى معاوية يمانية في الثاني فكتب إليه معاوية . أما بعد : فإن التفتهم في الخير زيادة  
رشد وإن الرعيد من رشد عن السبلة وإن الخائب من خاب عن الأناة وإن التثبت مصيب أو كاد  
أن يكون مصيبا وإن السجل غشفي أو كاد أن يكون غشنا وإن من لا ينفعه الرفق يضربه الحرق ومن  
لا ينفعه التجارب لا يدرك له شيء ، وعن أبي عون الأنصاري قال ماتكم الناس بكلمة تصيبة إلا وإلى  
جانبا كلة ألين منها تجري مجراها . وقال أبو حمزة الكوفي لا تتخذ من الحدم إلا ما لا بد منه فإن مع  
كل إنسان شيطانا واعلم أنهم لا يسطونك بالشدة شيئا إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه . وقال الحسن  
تؤمن وقاف متأن وليس كعاطب ليل فهذا تمام أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر  
الأحوال وأغلب الأمور والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على التدور وإتمام الكامل من غير مزو اقع  
الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من  
الوقائع فليكن يده إلى الرفق فإن التبجح معه في الأكثر .

هو التسمي عبد الله بن مسور المجهني ضيف جدا ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل  
الأنصاري عن أبيه عن جده إذا هممت بأمر فاجلس فقدر عاقبته وإسناده ضيف (١) حديث عائشة  
عليها السلام فإنه لا يدخل في شيء إلا زنة الحديث روى مسلم (٢) حديث العلم خليل للؤمن والحلم  
وزير العقل دليله والعمل تأمسه والرفق والده أبو الشيخ في كتاب التواب وفضائل الأعمال من حديث  
أنس بن مالك ضيف ورواه الترمذي في مستند الشهاب من حديث أبي الدرداء عن أبي هريرة روى كلاهما ضيف.

الله صلى الله عليه وسلم  
بكل مرة يقرأها على  
الترديد مع طول الزمان  
فهم آخر وهكذا الصلوات  
المنتقون من أمته  
يتكشف لهم هجاب  
أسرارها وتكشف لهم  
كل مرة درج عمارها  
وقيل سميت ثانيا لأنها  
استنبتت من الرسل  
وهي سبع آيات ورويت  
أم رومان قالت رأيت  
أبو بكر وأنا أتأمل في  
الصلوة فزجرني فزجرا  
كذبت أن أنصرف  
عن صلاتي ثم قال  
صمت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
« إذا قام أحدكم إلى  
الصلوة فليستنكر طرفه  
لا يتأمل قيل اليهود فإن  
سكون الأطراف من  
تعماد الصلاة » وقال  
رسول الله صلى الله

(القول في دم الحسد وفي حقيقته وآسيابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)

(بيان دم الحسد)

اعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله ثم إن للحسد من الفروع القديمة ما لا يكاد يحصى ، وقد ورد في دم الحسد خاصة أخبار كثيرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١) وقال صلى الله عليه وسلم في النبي عن الحسد وآسيابه وغمراته « لا تحاسدوا ولا تهاطلوا ولا تباغضوا ولا تباروا وكونوا عباد الله إخوانا » (٢) وقال أنس « كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان القد قال صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تيمم عبد الله بن عمرو ابن العاص قال له إني لأحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا فلان رأيت أن تؤذي به إليك حتى تمضي الثلاث فقلت قال نعم فأتت عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا ذهب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير أني ما سمعت يقول إلا خيرا فلما مضت الثلاث وكردت أن أحقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملا كثيرا لما الذي بلغ بك ذلك فقال ما هو إلا ما رأيت فلما وليت دعائي فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لأجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه قال عبد الله قلت له هي التي بليت بك وهي التي لا تطيق » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا ينجون من أحد الظن والظنير والظنير والحسد وسأحدثكم بالخروج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا طهريت فامض وإذا حسدت فلا تبغ » (٤) وفي رواية « ثلاثة لا ينجو منهم أحد وقد من ينجو منهم » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة وقال صلى الله عليه وسلم « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحاقلة لا أقول حاقة الشعر ولكن حاقة الدين والدي نفس عهد يده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما ثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم

(القول في دم الحسد)

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث لا تهاطلوا ولا تباروا ولا تباغضوا الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث أنس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة الحديث بطوله وفيه أن ذلك الرجل قال لا أجد على أحد من المسلمين في نفس غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين ورواه البزار وصحى الرجل في رواية له سعدا وفيها ابن لهيعة (٤) حديث ثلاث لا ينجو منهم أحد الظن والظنير والحسد الحديث وفي رواية وقد من ينجو منهم ابن أبي الدنيا في كتاب دم الحسد من حديث أبي هريرة وفيه بنحو بن محمد الزهري وموسى بن يعقوب الأرمي منهم ما للجمهور والرواية الثانية رواها ابن أبي الدنيا أيضا من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف والطبراني من حديث حارثة ابن النعمان نحوه وضم في آفات اللسان (٥) حديث دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء الحديث الترمذي من حديث مولى الزبير عن الزبير .

عليه وسلم « تمودوا بالله من خشوع الفئاق قيل وما خشوع الفئاق قال خشوع البدن وخشوع القلب » . أما غيل اليهود قيل كان موسى يعامل بني إسرائيل على ظاهر الأمور ولقد مالى بأطمع فكان يهيء الأمور ويضاهيها ولهذا لما أوحى الله تعالى إليه أن يحمل التوراة بالذهب ، ووقع والله أعلم أن موسى كان يرد عليه الوارد في صلاته ومجالس مناجاته فيموج به بأطنه كبحر ساكن تهب عليه الريح فتتلاطم الأمواج فكان يعامل موسى عليه السلام تلاطم أمواج بحر القلب إذا هب عليه نهات

« كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يذاب القدر » (١) « وقال صلى الله عليه وسلم « إنه سيصيب أمي داء الأم قالوا وما داء الأم قال الأثر والبطر والتكاثر والتأني في الدنيا والتباعد والنحاحد حتى يكون البني ثم المخرج » (٢) « وقال صلى الله عليه وسلم « لا تظهر الثابتة بأخيك فإخيه الله يبتليك » (٣) وروى أن موسى عليه السلام لما تجبل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش جلاظيته يكلمه فقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال أحدثك من عمله ثلاث : كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يقي والداه ولا يثنى بالنيمة وقال ذكرنا عليه السلام قال الله تعالى : الحمد عدو لعمى منسخط قضائي غير راض يسمي التي قسمت بين عبادي. وقال صلى الله عليه وسلم « أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتلون » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « إن لم لله أعداء قيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ستة يدخلون النار قيل الحساب بسنة قيل يارسول الله من هم قال الأمر بالجهل والهرج والربب بالصية والمهاقين بالتكبر والتجار بالحياة وأهل الرستاق بالجيلة والعلماء بالحسد » (٧) الآثار : قال بعض السلف أول خيلة كانت هي الحمد حسد إليس آدم عليه السلام في رتبته فأنى أن يسجد له فخذه الحسد على المصية . وحكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل الهلبي وكان يومئذ على واسط فقال لي أريد أن أعظك بشيء فقال وما هو قال إليك والكبر فانه أول ذنب عصى الله به ثم قرأ - وإذا قلنا فلتأمنه اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس - الآية وإليك والحرس فانه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها لى شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ - اهبطوا منها - إلى آخر الآيات وإليك والحسد تأمنا نقل

الفضل وربما كانت الروح تطلع إلى الحضرة الالهية قه بالاستعلاء والقلب بها تشبك وامزاج فيضطرب القلب ويشايل فرأى اليهود ظاهره فبايوا من غير حظ لبواطهم من ذلك ولهذا لى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكرا على أهل الوموسة « هكذا خرجت عظيمة الله من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أيداهم وقابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرئ لا يهد فيها قلبه كما يهد بدنه وإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرين إذا كان قلبه ساهيا لاهيا واعلم أن الله تعالى

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا وكاد الحمد أن يذاب القدر أبو سلم الكشي والبيهقي في الشعب من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ورواه الطبراني في الأوسط من وجه آخر يلفظ كادت الحاجة أن تكون كفرا وفيه ضعف أيضا (٢) حديث إنه سيصيب أمي داء الأم فليكن قالوا وما داء الأم قال الأثر والبطر الحديث ابن أبي الدنيا في دم الحسد والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث لا تظهر الثابتة بأخيك فإخيه الله يبتليك الترمذي من حديث وثالة بن الأسقع وقال حسن غريب وفي رواية ابن أبي الدنيا في رحمه الله (٤) حديث أخوف ما أخاف على أمي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحمد من حديث أبي عامر الأشعري وفيه ثابت بن أبي ثابت وجهه أبو جاتم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد بن عوف البخاري في شعبه ما يفتخ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها ولهما من حديث عمرو بن عوف البصري والشمس القرطبي في شعبه عليكم ولكم أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الحديث وسلم من حديث عبد الله بن عمر وإذا قضت عليكم فارس والروم الحديث وفيه يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتداربون الحديث ولحمود الزائر من حديث عمر لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة (٥) حديث استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بن عبد الله بن فضال الحديث وفيه أعداء قيل ومن أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس إن أهل النعم حسادا فأحذروهم (٦) حديث ستة يدخلون النار قيل الحساب بسنة قيل يارسول الله ومن هم قال الأمر بالجهل والهرج الحديث وفيه العلماء بالحسد أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بن مالك في شعبه



إن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ - وأتلى عليهم نبأ ابن آدم بالحق - الآيات، وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فألمسك وإذا ذكر القدر فأسكت وإذا ذكرت التجويع فأسكت. وقال بكر بن عبد الله كان رجل يشقى بعض الناس فيقوم بحذاء ذلك فيقول أحسن إلى الحسن بأحسنه لأن الناس سيكتفون بإسائه فحسده رجل على ذلك القام والكلام فسمى به إلى اللك فقال إن هذا الذي يقوم بهذا لك ويقول ما يقول زعم أن اللك أجبر فقال له اللك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعو إليك فانه إذا دعانا منك وضع يده على أذنه ثلاثين ريع البحر قال له انصرف حتى أنظر فخرج من عندنا فقدمنا الرجل إلى منزله فأطمعته طعاما فيه قوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء ذلك على عادته فقال أحسن إلى الحسن بأحسنه فان السوء سيكتفون بإسائه فقال له اللك ادن مني فدنا منه فوضع يده على فمه فغاصت فيه اللك منه رغبة القوم فقال اللك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق قال وكان لللك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو سله فكتب له كتابا غطاه إلى حامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحشى جلده تبنا وابتس به إلى فأخذ الكتاب وخرج فأتاه الرجل الذي سمى به فقال له هذا الكتاب قال خط اللك لي بسلة فقال جبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى به إلى الصامل فقال الصامل في كتابك أن أذبحك وأسألك قال إن الكتاب ليس هو لي قاله الله في أمري حتى تراجع لللك فقال ليس لكتاب لللك مراجعة فذبحه واسلخه وحشا جلده تبنا وابتس به ثم عاد الرجل إلى اللك كعادته وقال مثل قوله فصبب لللك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيت فلانا فاستوجه من فوجهته له قال له اللك إنه ذكر لي أنك زعم أني أجبر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على فمك قال لأنه أطمعني طعاما فيه قوم ففكرت أن تشبهه قال صدقت أرجع إلى مكانك فقد كفى للسوء إسائه . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حدثت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أسأده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أسأده على أمر الدنيا وهو بصير إلى النار وقال رجل لجلسن هل يحسد المؤمن قال ما أسألك بنى يتقون نعم ولكن غم في صدره فانه لا يضره ما لم تعد به بدا ولا لسانا . وقال أبو الهرداء ما أكثر عيذ ذكرنا لوت إلا قلنا فرحوا بقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حامد نعمة فانه لا يرضيه إلا زوالها وقد لك قيل :

كل الصداوات قد ترجى إيمانها إلا عداوة من فادك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسد ما يلقى . وقال أمراعي ما رأيت ظالما أعبه بمظلوم من حامد إنه يرى النعمة عليك فحسد عليه . وقال الحسن بإبن آدم لم تحسد أخاك فان كان الذي أعطاه لك امرأته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار . وقال بعضهم الحاسد لا يتال من الجاهل إلا نعمة ودلا ولا يتال من اللاتكة إلا لئمة وبضا ولا يتال من الخلق إلا جزعا وغما ولا يتال عند الزرع إلا هدة وهولا ولا يتال عند الوقف إلا فضيحة ونكالا .

( بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومرايته )

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أتم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان : إحداهما أن تكره تلك النعمة وتب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حدة كراهة للنعمتين وتب زوالهما عن النعم عليه . الحالة الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وله تسمى غبطة وقد يخص باسم للناتفة وقد تسمى للثائفة حسدا ( الحسد منافاة موضع أحد العطفين موضع الآخر ولا حجر في الأسماء بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن يغبط

أوجب الصلوات الخمس  
وقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« الصلاة عماد الدين  
فمن ترك الصلاة فقد  
كفر » في الصلاة تحقيق  
العبودية وأداء حق  
الربوبية وسائر  
العبادات وسائل إلى  
تحقيق سر الصلاة .  
قال سهل بن عبد الله  
يحتاج البدي إلى السنن  
والرواتب لتكامل  
القرائن ويحتاج إلى  
النوافل لتكامل  
السنن ويحتاج إلى  
الآداب لتكامل  
النوافل ومن الأدب  
ترك الدنيا والى ذكره  
سهل هو معنى ما قال  
عمر على الشبر إن  
الرجل ليشيب عارضا  
في الإسلام وما أكل  
قه صلاة قيل وكيف

( بيان حقيقة الحسد وحكمه )

والنفاق محمد (١) فأما الأول فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تسييح الفتنة وإفساد دات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها وعينك لا والها فانك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آفة الفساد ولو أمنت فسادك لم ينسك بتمتعك وبديل على تحريم الحسد الأخبار التي قلناها وأن هذه الكراهة تسخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله - إن تمسك حسنة تؤم - وإن تصبى سيئة يفرحوا بها - وهذا الفرح ثبابة الحسد والتمهاتة يتلازمان وقال تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم - فأخبر تعالى أن جميع زوال نعمة الإيمان حسد وقال عز وجل - ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء ود كراهة تعالى حسداً إخوة يوسف عليه السلام وعبه عما في قلوبهم بقوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين - اتخاوا يوسف وأطاحوه أرضاً غل لكرهه أبائكم - فلما كرهوا أحب أجمع له وساءم ذلك وأجروا زواله عنه فقبوه عنه وقال تعالى - ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يتضيق صدورهم به ولا يشتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وقال تعالى - كان الناس أمموا حدثت إلى قوله - إلا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - قيل في التفسير حسداً وقال تعالى - هو ما فرغوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم - فأزل الله العلم ليجتمعهم ويقول في بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألقوا بالعلم فتحدسوا واختلقوا إذ أراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرياسة ويقول القول فرد بينهم على بعض قال ابن عباس - كانت اليهود قبل أن يمت النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساءك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسه وبالكاتب الذي نزلنا الامامة رتاً (٢) فكانوا يصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من وفد اسمعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى - وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا فما جاءهم ما عرفوا كفروا به - إلى قوله - إن كفروا بما أنزل الله بغيا - أى حسداً - وقالت صفية بنت حيى لشيء صلى الله عليه وسلم - جاءني وعسى من عندك يوما قال أبي لشيء ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال أرى معاداة أئمة الحياة (٣) فهذا حكم الحسد في التحريم - وأما للنافعة فليس حرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل للنافعة وللنافعة بدل الحسد

(١) حديث لؤي بن ربيعة والنفاق محمد لم أجده أصلاً مرفوعاً وإنما هو من قول الفضل بن عياض كذلك روى ابن أبي الدنيا في ذم الحسد (٢) حديث ابن عباس قوله كانت اليهود قبل أن يمت النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتلوا قوما قالوا نساءك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسه الحديث في نزول قوله تعالى - وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا - ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتون على الأوس والخزرج بحول الله صلى الله عليه وسلم قد كره نحوه وهو منقطع (٣) حديث قالت صفية بنت حيى للنبي صلى الله عليه وسلم - جاءني وعسى من عندك يوما قال أبي لشيء ما تقول فيه قال أقول إنه النبي الذي بشر به موسى الحديث ابن إسحاق في السيرة قاله حدثني أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال حديث عن صفية قد كره نحوه وهو منقطع أيضاً .

ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقد ورد في الأخبار «إن البدياننا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه الكريم وقامت لللائكة من لدن منسكية إلى الهواء يسألون بصلاته ويؤمنون على دعائه وإن للملئ يشرع عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ويناديه مناد لو علم للصل من ينجي ما التفت» أو ما اختل وقد جمع الله تعالى للصالحين في كل ركة ما فرق على أهل السموات فلهذا تكثر في الركوع منذ خلقهم الله لا يرفسون من

ول تَمَّ بن العباس لما أراد هو والضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرهما على الصدقة فلا لى حين قال لهما لا تنهيا إليه فإنه لا يؤمر كما عليا قال لا ما هل منكم إلا نفاة الله قد زوجك ابنة لى فتمنا ذلك عليك (١) لى هذا منك حسد وما حسدناك لى تزوجه إليك فاطمة ولثاناسة في الفقة مشتقة من النفاة والذى يدل على إباحة النفاة قوله تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال تعالى ساجدوا إلى مقرن من ربكم - وإنما السابقة عند خوف القوت وهو كالبدن يتساقان إلى خدمة مولاهما إذ يخرج كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها فكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال ولا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويلمه الناس (٢) ثم فر ذلك في حديث أبي كبشة الأشعري قال و مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل ماله فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل ماله فلان لكنت أتحفه في مثل ما تحفه فيمن للمعاصي فهما في الوزر سواء (٣) فقدمه روح الله صلى الله عليه وسلم من جهة تبيينه للمعصية لأن جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاهرج على من يضيء غيره في نعمة ويستبى لنفسه عليها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية وأجبية كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النفاة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإشاق الأموال في السكرم والصدقات فالنفاة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتم بها على وجه مبالغ فالثاناسة فيها باهتوك كل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للتم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلف عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحة ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن القامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان ، وهنا دقيقة فاضحة : وهو أنه إذا أيس من أن يقال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا حاجة بحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانها بما أن يقال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الأخرى إذ زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشق عند من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو أنقى الأمر الإبرور

(١) حديث قال تَمَّ بن العباس لما أراد هو والضل أن يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله أن يؤمرهما على الصدقة فلا لى الحديث هكذا وقع للمصنف أن تَمَّ بن العباس والتضلل والتضلل للطلب ابن ريمه كما رواه مسلم من حديث للطلب بن ريمه بن الحارث قال اجتمع ريمه بن الحارث والعباس بن عبد اللطاب قتالا والله لو يشا هذين التلامذتين قال لى للفضل بن عباس اتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما فذكر الحديث (٢) حديث لاحد إلا في اثنين الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم في العلم (٣) حديث أبي كبشة مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل ماله فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته علما ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل ماله فلان لكنت أتحفه في مثل ما تحفه فيمن للمعاصي فهما في الوزر سواء (٣) فقدمه روح الله صلى الله عليه وسلم من جهة تبيينه للمعصية لأن جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله فإذا لاهرج على من يضيء غيره في نعمة ويستبى لنفسه عليها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية وأجبية كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه النفاة واجبة وهو أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وإن كانت النعمة من الفضائل كإشاق الأموال في السكرم والصدقات فالنفاة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتم بها على وجه مبالغ فالثاناسة فيها باهتوك كل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته والحق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة أمران أحدهما راحة للتم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلف عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في الباحة ، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا وعجب عن القامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان ، وهنا دقيقة فاضحة : وهو أنه إذا أيس من أن يقال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانها فلا حاجة بحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانها بما أن يقال مثل ذلك أو بأن يزول نعمة المحسود فإذا انسأ أحد الطرفين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الأخرى إذ زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشق عند من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو أنقى الأمر الإبرور

آتاه الله مالا الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح

الركوع إلى يوم القيامة  
وهكذا في السجود  
والقيام والتسود والعباد  
للتيقظ بنصف في  
ركوعه بصفة الراكين  
منهم وفي السجود  
بصفة الساجدين وفي  
كل هيئة هكذا يكون  
كالواحد منهم وبينهم  
وفي غير الفريضة  
يبنى المعنى أن يعكث  
في ركوعه متقلبا  
بالركوع غير مهم  
بالرفع منه فان طرقت  
ساعة يحكم الجلوس  
استغفر منها ويستدبر  
تلك الهيئة ويتطلع  
أن يردق الخشوع  
اللائق بهذه الهيئة  
ليسير قلبه بلون الهيئة  
ورعايتها إلى الأكم  
الحق أنه إن سبق  
هم في حال الركوع  
أو السجود إلى

إلى اختياره لسي في إزالة العمة عنه فهو حود حسداً مذموماً وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك فيضي عما يجد في طبعه من الارتياح إلى زوال النعمة عن محسودها كان كارهاً لذلك من نفسه بقوله ودينه ولله تلقى قوله على الله عليه وسلم «ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة» (١) ثم قال «وه منهن» مخرج إذا حدث فلا تبغ «أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به بعيداً أن يكون الإنسان مردياً للحاق بأخيه في النعمة فيحسب عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد له محالة ترجيحاً له على دوامها فهذا الحسد من الثافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي أن يختلط فيه فانه موضع الخطر ومامن إنباهن الإلهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوى الإيمان وزين التقوى ومهما كان محرره خوف العاوت وظهور تشانه عن غيره جره ذلك إلى الحسد للثوم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه حتى ينزل هو إلى مساواته إذ لم يدر هو أن يرتقي إلى مساواته بادره النعمة وذلك لارخصة أسلافه هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ولكن يعني عنه في ذلك ما لم يرسل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته للبائس من نفسه كفارة له فله حقيقة الحسد وأحكامه وأما امرأته فأربع: الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا يقتل إليه وهذا غاية الحب الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولائاً ثافسة أو سعة نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لارزوالها عنه ومكرهه فقدان النعمة لاتباع غيره بها. الثالثة: أن لا يشتهي عنها نفسه بل يشتهي مثلها فمن هجر عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما. الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فان لم تحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الأخير هو للعفو عنه إن كان في الدنيا وللندوب إليه إن كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم وهو الثانية أشرف من الثالثة الأولى لمذموم حسن وتسمية الرتبة حسداً فيه يجوز وتوسع ولو كنهه لمذموم لقوله تعالى - ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمتلك ذلك غيره منه وهو أما تخية بين ذلك فهو مذموم.

( بيان أسباب الحسد والثافسة )

أما الثافسة فببها حب ما فيه الدافسة فان كان ذلك أمراً يفيها فسيبه حب الله تعالى وحب طاعته وإن كان دينياً فسيبه حب بابات الدنيا والتمتع فيها وإنما نظرنا الآن في الحسد للثوم ومداخله كثيرة جداً ولكن يحصر جملة سبعة أبواب: العداوة والتميز والسيكروا تنسب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وحب النفس وغلبا فانه مما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس ذلك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه الأولى من هذه وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وخافره لمره نفسه وهو للراد بالتميز وإما أن يكون في طبعه أن يشكر على المحسود ويمتدح ذلك عليه لعمته وهو للراد بالشكر وإما أن تكون النعمة عظيمة والتمتع عليها فيجب من فوز مثله بثل تلك النعمة وهو للراد بالتعجب وإما أن يخاف من فواته مقاصد بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمة في أفراسه وإما أن يكون يحب الرياسة التي تنبئ على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها وإما أن لا يكون بسبب من هذه الأسباب بل حب النفس وعشها بالخير لعباد الله تعالى ولا بد من شرح هذه الأسباب. السبب الأول: العداوة والبغضاء وهذا أحد أسباب الحسد

الرفع منه ما وفي الحديث  
حسداً فيصكون همه  
الهيئة مستخرلاً فيها  
شوقاً لها عن غيرها  
من الحيات فيذلك  
يتوفر حظه من ركة  
كل هيئة فان السرعة  
التي يتقاضى بها الطبع  
تسبب التفرق ويقتف  
في مهاب النفحات  
الإلهية حتى يشكلك  
حظ البند فتشمعي  
آثاره بحسن الاسترسال  
ويستقر في مقصد  
الوصال. وقيل في  
السبب أربع هيأت  
وسنة أذكار فالحيات  
الأربع القيام والقعود  
والركوع والسجود  
والأذكار الستة الثلاثة  
والتيه. والحسد  
والاستغفار والهدوء  
والصلاة على النبي عليه  
الصلاة والسلام فصارت

(١) حديث ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن: الحسد والظن والطيرة الحديث تقدم غير مرة.

( بيان أسباب الحسد والثافسة )

فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أن يفسد قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضى التثني والانتقام فإن عجز للبعض عن أن يثني بنفسه أسباباً ينشئ منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فلهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظنّها مكافأة له من جهة الله على بضئه وأنها لأجله وبهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه منته من ادور بما يحظر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنتم عليه. وبالجملة الحسد يلزم البغض والمداوة ولا يشاركها وإنما غاية التقي أن لا يثنى وأن يكره ذلك من نفسه فأما أن يبغض إنساناً لم يستوى عنده مسرته ومساوئه فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعنى الحسد المدور بما إذا قال الله تعالى - وإذا قوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلق قلوبهم تواً حتى إذا تكلموا بالله عابى صدورهم - إن تمسكتم حسنة تؤم - الآية ، وكذلك قال تعالى - ودواما عنكم قد بدت البضاض من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر - والحسد بسبب البغض ربما يغشى على التنازع والقتال واستمرار العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهناك السر وما يجري مجراه. السبب الثاني: التعز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بسبب أمثاله ولاية أو علماً أو مالا خلفه أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسخ نفسه باحتيال صلفه وتغاضره عليه ليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضى بمساوئه مثلاً ولكن لا يرضى بالترفع عليه. السبب الثالث: التكبر وهو أن يكون في طبعه أن يشكبر عليه ويستغفره ويستغفره منه والاحياء والتابعة في أغراضه فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره وترفع عن متابعته أو ربما يقتشف إلى مساوئه أو إلى أن يرفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه ومن التكبر والتمز كان حسداً أكثر الكفار رسول الله ﷺ إذ قالوا كيف يقدم علينا غلاماً يتهم وكيف نطأ على رؤسنا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - (١) أى كان لا يثقل علينا أن نتواضع له وقتبه إذا كان عظيماً قال تعالى يصف قول قريش - أمولاء من الله عليهم من بيننا - كالاستحقاق لهم والأعظامهم. السبب الرابع: التعصب كالخبر الله تعالى عن الأمم الساقية إذ قالوا لعلنا لا نأجر مثلاً وقالوا - أنؤمن لبشر مثلاً - ولئن أطمع بشر مثلكم إنكم إذا لحاسرون - فنجبوا من أن يؤزر برتبة الساق والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلكم لحسودهم وأحبوا زوال الثبوة منهم جزماً أن يغضل عليهم من هو مثله في الحلقة لا عن قصد تكبر وطلب ربيعة وتقدم عدواؤه أو سبب آخر من مائر الأسباب وقالوا متحبين - أبش الله بشراً رسولاً - وقالوا - لولا أنزل علينا للآفة - وقال تعالى سأوعيثم أن جاء كذا كر من ربكم على رجل منكم - الآية . السبب الخامس: الخوف من قوت القاصد وذلك يخص غير اثنين على مقصود واحد فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الأثراد بمقصود ومن هذا الجنس تحاسد الضرائق في الزاحم على مقاصد الزوجات وتحاسد الإخوة في الزاحم على نيل للزلة في قلب الأبوين لتوصل به إلى مقاصد الكرامة والبالو كذلك تحاسد التلذين لا ستأوا واحد على نيل للزلة من قلب الأستاذ وتحاسد تدماء للآفة وخواص في نيل للزلة من قلبه لتوصل به إلى اللان

(١) حديث سبب نزول قوله تعالى - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - ذكره ابن إسحاق في السيرة وإن قائل ذلك الوليد بن النضر قال أنزل على محمد وآركوا أن كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن ميمر الثقفي سيد تهيف فحن عظام القريتين فأزل الله بها بطن هذه الآية ورواه أبو محمد بن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا أنها قال مسعود بن عمرو وفي رواية لابن مردويه حبيب بن ميمر الثقفي وهو صيف .

عشرة كاملة شرى  
هذه العشرة على عشرة  
صوف من اللاتكة  
كل صف عشرة آلاف  
فيجمع في الركبتين  
ما يفرق على مائة ألف  
من اللاتكة .

[ السبب السابع  
والايزون في وصف  
صلاة أهل القرب ]  
ونذكر في هذا الفصل  
كيفية الصلاة بها  
وشروطها وآدابها  
الظاهرة والباطنة على  
الكامل بأقصى ما انتهى  
إليه فهما وعلنا على  
الوجه مع الأعراض  
عن قول الأئوال في  
كل شيء من ذلك إنشئ  
ذلك كثرة ويخرج  
عن حسد الاختصار  
والإيجاز للتصديق  
وبالله التوفيق : ينبغي  
لعبد أن يستمدح الصلاة

والجاء وكذلك تحاسد الواعظين للزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول وعدم وكذلك تحاسد المالكين للزاحمين على طاعة من لشقته محصورين إذ يطلب كل واحد منهم في قلوبهم لتوصل بهم إلى أغراض له . السبب السادس : حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى القصد وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب التباه واستغزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد البهر وفريد الصبر في فنه وأنه لا نظير له فانه لو مع نظيره في أقصى العالم لساء ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في الفزعة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو روعة أو غير ذلك مما يشدهو ويوفره بسبب ضرره وليس السبب في هذا عدواة ولا تمزاول ولا تكبر على المسود ولا خوف من فوات القصد سوى محض الرياسة بدعوى الاغتراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه وللزفة في قلوب الناس لتوصل إلى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستباحهم منها نسخ عليهم السبب السابع : خبث النفس وعصياها بالخبر لبياد الله تعالى فانك تجد من لا يشغل رياسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنقص عيشهم فرح به فهو أبدا يحب الإدبار لغيره ويحفل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وزناته وقال البغيل من يحفل بمال نفسه والشحيح هو الذي يحفل بمال غيره فهذا يحفل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عدواة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس وذهالة في الطبع عليوقت الحيلة ومما يجتهد شديدة لأن الحسد الثالث يسائر الأسباب أسبابا عارضة تصور زوالها فيقطع في إزالتها وهذا خبث في الحيلة لاعتق سبب طارض قصير إزالتها إذ يستعمل في العادة إزالتها فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بين هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعا في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والحماقة بل ينتكح حجاب الحماقة وتظهر العدواة بالمكشوفة وأكثر المحامدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب ولما يتجرد سبب واحد منها .

( بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقربان والإخوة وبني الم والم والأقارب وتأكدته وقلته في غيرهم وضفه )

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها ولا ينفرد بها قوم مجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتظاهر إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يجتمع عن قبول التكبر ولأنه يشكر ولأنه عدو ولغير ذلك من الأسباب وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجميعهم روابط يجمعون بينهم في عمالي المخاطبات ويتواردون على الأغراض فإذا خالفوا واحدا منهم صاحبه في غرض من الأغراض همر طبعه عنه وأفضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقه ويشكر عليه ويكافئه على عاقبته لقرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توفى له إلى أغراضه وتترادف جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباعدتين فلا يكون بينهما عداوة وكذلك في عاتين ، ثم إذا تجاورا في سكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تناقض فيها أغراضها فيثور من التناقض والتنافس والتباغض ومه تتورجيه أسباب الحسد ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الأكاف يحسد الأكاف ولا يحسد البراء إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرمة ويحسد الرجل أخاه من عملا أكثر مما يحسد الأجانب

قبل دخول وقتها بالوضوء ولا يوقع الوضوء في وقت الصلاة فذلك من المحافظة عليها ويحتاج في معرفة الوقت إلى معرفة الزوال وغاوت الأقدام لطول النهار وقصره ويستر الزوال بأن الظل مادام في الانقصاص فهو النصف الأول من النهار فإذا أخذ الظل في الانزياح فهو النصف الآخر وقد زالت الشمس وإذا عرف الزوال وإن الشمس على كم قدم تزول يعرف أول الوقت وآخره ووقت الصبر ويحتاج إلى معرفة التناول ليعلم طلوع القمر ويصل أوقات الليل وشرح ذلك يطول ويحتاج أن يفرد باب فإذا دخل وقت الصلاة

ولراء محمد ضربتها وسرية زوجها أكثر مما محمد أم الزوج وابنه لأن مقصد البرزخ مقصد الاسكاف فلا يترامحون على القاصد إذ مقصد البراز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزيون وإعانة نازعه فيه برز آخر إذ حريف البراز لا يطليه الاسكاف بل البراز ثم مزاحمة البراز الجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها ويفرد بهذه الحصة ولا يزاخمه العالم على هذا الفرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقير والطبيب لأن التزامح بينهما على مقصود واحد خاص فأصل هذا لما حسدات العداوة وأصل العداوة التزامح بينهما على غرض واحد والفرض الواحد لا يجمع متباعين بل متساينين فذلك يكثر الحسد بينهما ، نعم من اشتهد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وإن يمد بمن يساهم في الحصة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تنضيق على للتراحين أما الآخرة فلا تنضيق فيها وإنما مثال الآخرة تعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأتباعه وملوكوت مموته ولورثته لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضا لأن للفرقة لا تنضيق عن العارفين بل للموهم الواحد يلهه النفس ألسن عالم وفرح بمرسته ويثب به ولا تنقص لفته واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأوس وغيرة الاستفادة والآلة فذلك لا يكون بين عطاء الدين حاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا تنضيق فيه وفرسهم المزة عند الله ولا تنضيق أيضا فيا عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من التيم لفته قائم وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا تنضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأوس بكثرهم ، نعم إذا قصد العلماء العلم للمال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام وإذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما التلا قلب شخص بتظيم عالم انصرف عن تظيم الآخر أو قص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للحاسدة وإذا امتلأ قلب بالفرح بمرقة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يحتل قلب غيره بها وأن فرح بذلك والفرق بين العلم والمال أن المال لا يهل في يد عالم يرمل عن اليد الأخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويهل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه والمال أجسام وأعيان ولها نهاية فلوملك الانسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فن عود نفسه الفسح في جلال المنوعظمة وملوكوت أرضه وسبأه صار ذلك له عنده من كل نعيم ولم يكن يمنوحا ممنولا من احمافيه فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره أيضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لفته بل زاد لفته بتواستفحون لفته هؤلاء في مطالعة صحائب لللكوت على الموالم أعظم من لفته من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعم العارف وجته معرفته التي هي صفاته يأمن زوالها وهو أبدا يحيى بمحارها فهو بروحه وقلبه مفتد بغاكهة عليه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دائية فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبدا ترمع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا أكاف فيهم رب العالمين - ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين - فهذا حالهم وهم يمد في الدنيا فإذا نظن بهم عند انكشاف الظلمة وشاهدة المحبوب في النبي فاذن لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدوا لأن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضاينة فيها ولا مزاحمة ولا تال لإلمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضا فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من

يقدّم السنة الرابتنقي  
ذلك سر وسكته وذلك  
والله أعلم أن البسد  
تفتض اطنو تفرق همه  
لا بل بمن الحالاطمن  
الناس وقياهم بهام  
للعاش أوسو جري  
يوضع الجبة أو صرف  
م إلى أكل أو نوم  
بتمتنى العادة فاذا قد تم  
السنة ينجلد باطنه إلى  
الصلاة ويشتا للسانه  
وينهب بالسنة الرابنة  
أثر النلفة والكندورة  
من الباطن فينصلح  
الباطن ويصير مستعدا  
للفريضة فالسنة مقدمة  
صالحة يستنزل بها  
البركات وتطرق  
التفحات ثم يردد التوبة  
مع الله تعالى عند  
الفرضة عن كل ذنب  
عمله ومن الذنوب عامة  
وخاصة فالعادة الكبار

صفات الجدين من سعة عليين إلى ضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على ماخس به من الاجتهاد ولما دعى إلى السجود استكبر وأبى ونمرّد وعصى فقد عرفت أنه لاحسد إلا لتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسنون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسنون على رؤية البسائين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالاضافة إلى السماء ولكن السماء لسة الأقطار وافية بجميع الأبدان فلم يكن فيها تزام ولا تحاسد أصلاً فليكن إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب لنفسك لراحة فيها ولذة لا كدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وهما باب ملكوت السموات والأرض ولا يزال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً فإن كنت لا تشاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وقر عينك رأيك وضعت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العين لا يشاق إلى لذة الواقع والهي لا يشاق إلى لذة الملك فإن هذه لذات شخص بإدراكها الرجال بدون الصيانه والختين فكذلك لذة المعرفة شخص بإدراكها الرجال - رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - ولا يشاق إلى هذه المعرفة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق ومن لم يلق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشاق ومن لم يشاق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المهرولين في أسفل السافلين - ومن يش عن ذكر الرحمن فيض له شيطاناً فهو له قرين - .

( بيان الدواء الذي ينقي مرض الحسد عن القلب )

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تدل على أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيراً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا من بصيرة لم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فأرقت الحسد لاجتماعاً أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباد الله وعدله الذي أقامه في ملكه بحفي حكمته فاستكرت ذلك وامتنعت عنه وهذه جناية على حقيقة التوحيد وقضى في عين الإيمان وناهيك بها جناية على الدين وقد اضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحتك وفارقت أولياء الله وأتيناك في حبه الخير لبيادته تعالى وهاكرت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايا في السلب تأكل حسنت القلب كما تأكل النار الخطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بحسبك في الدنيا أو تمنعك ولا تزال في كد وغم إذ أعدائك لا يظلم الله تعالى عن نعم خيضا عليهم فلا تزال تنضب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بيلة تصرف عنهم فتبقى معنوماً محروماً متشبب القلب ضيق الصدر قد تزل بك ما يشيه الأعداء وتقتنيه الأعداء لك ضد كبت تريد الحق لعدوك فتجوزت في الحال عنتك وغمك قدما ومع هذا فلا تزال تنعم عن المحسود بحسبك ولو لم تكن تؤمن بالمت والحساب لكان مقتضى القطة إن كنت عاقلاً أن تخبر من الحسد لما فيه من أذى القلب ومساء مع عدم النفع فكيف هو أنت عالم بما على الحسد من الذباب الشديد في الآخرة فما أحبب من العاقل كيف يمرض لسطه الله تعالى من غير قمع ناله بل مع ضرر يعمه والى غيابه فيهلك دينه ودينه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودينه فما أوضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسبك بل ما قدره الله تعالى من إقباله ونعمة فلا بد أن يكون له إلى أجل معلوم قد ربه الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عند بقدره ولكل أجل كتاب ولذلك فكان مني من الأتينا من امرأة ظالمة مستولية على الخلق قاوحى الله إليها من قبلها حتى تقتضى إياها أي ما قدرته من الأزل

والصائر مما أواماً إليه الصرع ونطق به الكتاب والسنة والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عيب على قدر صفاء حاله له ذنوب تلائم حاله ويرى فيها صاحبها وقيل حسنت الأبرار سيئات للقرين .

ثم لا يصل إلا لاجتماع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل صلاة الجماعة صلاة القدر سبع وعشرين درجة ثم يستقبل القبلة بظاهره والخفيرة الإلهية ياطنه ويرأى - قل أعوذ برب الناس - سورتي آية التوجه وهذا التوجه قبل الصلاة والافتتاح قبل الصلاة لوجهه الظاهر بانصرافه إلى القبلة وتخصيص



لأسبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضى للذة التى سبق القضاء بدولم إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن لي الحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة ولكل حوله ليت النعمة كانت تزول عن الحسود بحسدى ، وهذا غاية الجهل فانه بلاه فتشبهت أولا لنفسك فانك أيضا لا تخاف من عدو بحسبك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نصرة ولا على أحد من الخلق ولا نصرة للايمان أيضا لأن الكفار يحسدون للمؤمنين على الايمان . قال الله تعالى - ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم - إذ ما يريد الحسود لا يكون ، ثم هو يضل ببارادته الضلال لغيره فان إرادة الكفر كفر ، فمن انتهى أن تزول النعمة عن الحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا سائر النعم ، وإن اشتيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسبك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والباطل فإن كل واحد من حقى الحساد أيضا يشتهي أن يفسد بهذه الحامية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تشكرها . وأما أن الحسود يفتن به في الدين والدنيا فواضع . أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لاسيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والقيل بالنية والقيل فيه وهتك ستره وذكر مساويه فنهذه هدالها تهديها إليه ؛ أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانت أردت زوال النعمة عنه فلم تزل . ثم كان لله عليه نعمة إذ وثقت له حسنات فقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة . وأما منفعة في الدنيا فهو أن أم أغراض الخلق مساة الأعداء ونهمهم وشقاوتهم وكونهم ممدئين مضمومين ولا عذاب أهدما أنت فيه من ألم الحسد وغاية أمانك بأعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة يسبهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا ينتهى عدوك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد تنتظر إلى نعمة الله عليه فيقطع قلبك حسدا ، ولذلك قيل :

لامات أعدائك بل خلجوا حتى يروا فيك الذى يكذب

لأزلت محسودا على نعمة فانما الكمل من محسد

ففرح عدوك بضعك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة ودية عنده لما أنت فيها تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهي عدوك فإذا تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذا تطايت ما تقررت به في الدنيا والآخرة واتضع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مدموما عند الخالق والخالق متقيا في الحال والآل ونعمة الحسود دعة غثت أم أبيت باقية ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت إلى إدخال أعظم ضرور على إبليس الذى هو أعدى أعدائك لأنه لما أراك محروما من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذى اختص به عدوك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته الحاقى بدرجة الأكبر في الدين لم يفته ثواب المحبة لمحبهم ما أحب ذلك غاف لإبليس أن تحب ما أتم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا يطيقه بحبك كما لم تلحقه بسببك . وقد قال أعرابي لعبي صلى الله عليه وسلم وإرسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : للرمع من أحب<sup>(١)</sup> وقها أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف فقال : إرسول الله متى الساعة فقال ما أعدت لها؟

(١) حديث الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من أحب متفق عليهم حديث ابن مسعود

جهته بالتوجه دون  
جهة الصلاة ثم يرفع  
يده حلو منكبيه  
بحيث تكون كفاه  
حلو منكبيه إلهامه  
عند هجمة أذنيه  
ورؤوس الأصابع مع  
الأذين ويضم الأصابع  
وإن نضرها جزوا نهم  
أولى فانه قيل التشر  
نسر الكف لتسر  
الأصابع ويكر ولا  
يدخل بين يده أكبر  
ورائه ألقا يجرم أكبر  
ويجبل للذ في الله ولا  
يبلغ في ضم الماء من  
الله ولا يشدى  
بالشكير إلا إذا  
استقرت اليدين حلو  
للكبين ويرسلها مع  
التكبير من غير قض  
فالوقار إذا سكن القلب  
تفككت به الجوارح  
وتأيدت بالأولى

قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم أتسمع من أحببت (١) « قال أنسى لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرهم يومئذ إشارة إلى أن أكبريتهم كانت حب الله ورسوله قال أنسى فحنن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعلم مثل عملهم وزوجو أن نكون معهم . وقال أبو موسى قلت « يا رسول الله الرجل يحب للصلين ولا يسلي ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من أحب (٢) « وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالما فكن عالما فإن لم تستطع أن تكون عالما فكن متعلما فإن لم تستطع أن تكون متعلما فأحجم فإن لم تستطع فلا تبضهم فقال سبحانه الله قد جعل الله لنا غزريا فانظر الآن كيف حسدك إلي ليس قوتك عليك ثواب الحب ثم لم يتج به حتى يرض إليك آثاك وحملك على الكراهة حتى أتت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من أهل المواعظ أن يغضي في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح وتجب أن يخرس لسانه حتى لا يشك أم يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأنى يتم يزيد على ذلك فليتك إذ فاك الحاقق به ثم اغتممت بسببه ملت من الأمم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث « أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحبة والكفاف عنه (٣) « أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض فانظر كيف أجهدك إليس عن جميع الدلائل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها أئنة قد قد فيك حسد إليس وما قد حسدك في عدوك بل على نفسك بل لو كرهت فحالك في قطرة أو منام رأيت نفسك أي الحاسد في صورة من يرى سبها إلى عدوه ليسبب مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حقيقته التي يقللها فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرى أهد من الأولى فيرجع إلى منه الأخرى فيعمها فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشبه عدوه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى وأعداؤه حوله يفرحون به ويضجون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمة العائدت تهاوت إلا العيين ولو بقيتا قاتلتا بالوت لأعماله والحسد يعود بالأمم والأهم لا يوت بالوت والله يسوقه إلى غضب الله الأولى النار فلا تنعجب عنه في الدنيا خير له من أن يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها الحبيب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم ير لها عنه ثم أزالها عن الحاسد إذ أزاله من الآم نعمة والسلامة من التهم والسكدة نعمة قدزالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحق للكراسي إلا بأهلها - وربما يتلى بين ما يشتهيه لعدوه وقفا شمت عانت بمسامة إلا ويتلى بثلها حتى قالت عاتقة رضى الله عنها : ما عنيت لثمان شيئا إلا تزل في حتى لو عنيت له القتل قتلت ، فهذا إثم الحسد حقه فكيف ما يجز إليه الحسد من الاختلاف وجعود الحق وإطلاق اللسان واليه بالقواسم في التشفي من الأعداء وهو الهاء الذي فيه هلك الأم الساقطة ، فهذه هي الأدوية الطبية فما تشكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انتفقت آثار الحسد من قلبه وعلم أنه مهلك فهو مفرج عدوه ومسخط ربه ومنصف عيشه . وأما السمل الذافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يقضاه الحسد من قول وقيل فينبغي أن يكلف نفسه حقيقه فإن بث الحسد على التسخ في محمودة كلف لسانه للبح والتناء عليه وإن سمع على التكبر عليه أزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه وإن به على كفا الإنعام

- (١) حديث سؤال الأعرابي متى الساعة فقال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس
- (٢) حديث أبي موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب للصلين ولا يسلي الحديث وفيه هو مع من أحب متفق عليه من حديث بلقيظ آخر مختصرا الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال له هو مع من أحب .
- (٣) حديث أهل الجنة ثلاثة : الحسن والمحبة والكفاف عنه له والكفاف عنه لم أجد له أصلا .

والأصوب ويجمع بين  
نية الصلاة والتكبير  
بحيث لا ينيب عن قلبه  
حالة التكبير أنه يحسب  
الصلاة بينهما . وحكى  
عن الجنيد أنه قال  
لكل شيء صفوة وصفوة  
الصلاة التكبير  
الأولى وإنما كانت  
التكبير صفوة لأنها  
موضع الثبة وأول  
الصلاة . قال أبو نصر  
السراج سمعت ابن سالم  
يقول النية بالله ثم  
ومن الله والآفات التي  
تدخل في صلاة العبد  
بعد النية من العدو  
وقصيب العدو وإن كثرت  
لا يوازن بالنية التي هي  
له بالله وإن قل .  
وسئل أبو سعيد الخدري  
كيف الدخول في  
الصلاة ؟ قال هو أن  
يقبل على الله تعالى

عليه أكرم غشه الزيادة في الانعام عليه فهما قل ذلك عن تكلف وعرفة الحسود طاب قلبه وأحبه ومهما ظهر حبه عاد الحسد فأحبه وتولد من ذلك اللواطة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء واللمح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب للنم عليه ويسترقه ويستطفه ومعه على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه ويصير مائتلفه أولا طيبا آخره ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت وأتيت عليه حملك العدو على الصبر أو على التفاني أو الخوف أو أن ذلك مثله ومهانة وذلك من خدع الشيطان ومكائده بل الهامة تكلفا كانت أو طيبا تكمسورة مداواة من الجانبين وتقل مرغوها وتعود القلوب التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد ونغم التباغض فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جدا إلا إهمارة على القلوب جدا ولكن النعم في الدواء للرفق لم يصبر على مرارة الدواء لم يزل حلاوة الشفاء وإنما تهون مرارة هذا الدواء على التواضع للأعداء والتقرب إليهم باللمح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحسب ما حبه وعزة النفس وترضاها عن أن يكون في العالم شيء من خلاف مرادها جهل وعند ذلك يريد مالا يكون إلا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات الراد له وخسوف الطريق إلى الخلاص من هذا الدل إلا بأحد أمرين إما بأن يكون مأريدا أو بأن تريد ما يكون الأول وليس إلا ولا مدخل لتكلف والمجاهدة فيه وأما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيه بالرياسة يمكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء السلي فاما الدواء للتفصيل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما يثنى ويساقى تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله تعالى فانها مواد هذا المرض ولا يقع للمرض إلا بجمع السادة فان لم يجمع للسادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتلطيف ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع قيامه لضعفاته مادام يحبا للعباء فلا بد وأن يحسد من استأثر بالجاه وللزفة في قلوب الناس دونه وريشه ذلك لاهامة وإنما غايته أن يهون التمس على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه رأسا فلا يملك والله الوفاق.

( بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب )

اعلم أن للؤذي محموت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبضه غالبا فانما تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تسكرها له حتى يستوى عندك حسن حال عدوك وسوء حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له ولكن إن قوى ذلك فيك حتى يثبك على ظهور الحسد يقول أو قل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعال الاختيارية فأنت حشود طاب بحسبك وإن كفت ظاهرك بالكلية إلا أنك ياطنك حب زوال النعمة وليس في شك كراهة هذه الماخلافات أيضا حشود طاب لأن الحسد صفة القلب لاصفة القلب قال الله تعالى - ولا يحدون في صديروهم حاجة مما أوتوا - وقال عز وجل - ودوا لو تسكروا كما كفروا فتكفرون أو ما سوا قال - إن تسكب حسنة تسؤم - أما القتل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل عمل الحسد القلب دون الجوارح ثم هذا الحسد ليس مظنة يجب الاستحلال منها بل هو مصيبة يتجنبها الله تعالى وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح فاما إذا كفت ظاهرك وأزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تحقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة دليل من جهة الطبع فقد أدبت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا فاما تيسر الطبع ليستوى عند اللؤذي والحسن ويكون فرحه أوفيه بما تيسر لهما من نعمة أو تصب عليها من بلية سواء فهذا مما لا يطالع اطمع عليه ادم

إقبالك عليه يوم القيامة ووقوفك بين يدي الله ليس بينك وبينه ترجمان وهو مقبل عليك وأنت تاجيه وتعلم بين يدي من أنت واقف فانه للك العظيم . وقيل ليس العارفين كيف تكبر التكبير الأولى قال ينبغي إذا قلت الله أكبر أن يكون مصحوبك في الله التنظيم مع الألف والهبة مع اللام والرفقة والتقرب مع الحياء . واعلم أن من الناس من إذا قال الله أكبر غاب في مطالبة العظمة والكبرياء وامتناعا بطنه نورا ودار الكون بأسره في فناء شرح صدره بتكرره بأرض فلاة

مشتا إلى حظوظ الدنيا إلا أن يصبر مستقرا يحب الله تعالى . مثل السكران الواله فقد انتهى أمره إلى أن لا يثبت قلبه إلى خصال أحوال المباد بل ينظر إلى الكل بمن واحدته عين الرحمن ويرى الكل عباد الله وأهلهم أفعالا لله وبرام مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود البدن إلى منازعته أعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فيما قابل ذلك بكرهته وأثم قلبه هذه الحالة قد أدى ما كلفه . وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأم إلا يظهر الحسد على جوارحه لما روى عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال غمه فانه لا يشرك ما لم يبد . وروى عنه موقوفا ومرقوما إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يغفون للؤمن وله منهن خرج فخرجه من الحسن إلا يرضى » والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع ثم نعمة البدن وتلك الكراهة عنه من البنى والإيذاء فان جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم ثم الحسد عبارة عن صفات القلب لا عن الأفعال فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث اللغى إذ يعد أن يعنى عن البدن إزادته إساءة مسلم وإشغاله بالقلب على ذلك من غير كراهة وقد عرفت من هذا أن ذلك في أعدائك ثلاثة أحوال : أحدها أن تحب مساوئهم ببلبك ومكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بقلبك ونجت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الليل منك وهذا مضو عنه قطعا فلا بد أن يدخل تحت الأخبار أكثر منه . الثاني أن تحب ذلك وتظهر القبح عساه إما بلسانك أو بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا . الثالث وهو بين الطرفين أن تحسد القلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وصفه والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

### ﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

( وهو الكتاب السادس من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي عرف أوليائه غوائل الدنيا وآفاتنا . وكشف لهم من عيوبها وصوراتها حتى نظروا إلى هوانها وآفاتنا ووزنوا بحسناتها سيئاتها فلعوا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بتوقعها ولا يسلم طلوها من كسوها ولكفا في صورة أمر أقبلية تستبيل للناس بمجملها ولها أسرار سوء فبأنج تلك الراغبين في صالحها ثم هي قرارة عن طلائعها شجيرة إقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبلها إن أحسنت ساعة أساءت سنة وإن أسأت مرة جلتها سنة فتوأت إقبالها على القنارب بدائرة وتجارة فيها خسارة بآثرة وآفاتنا على التوالي لصدور طلابها لشفق عياري أحوالها بذلك طالبيها ناطقة فكل مفروغ بها إلى الدل مضيره وكل متكبر بها إلى التضرع مسيره فأنها الحرب من طالبيها والطلب لها ربها ومن خدمها فاته ومن أعرض عنها لا يخلو صفوها عن هواها الكدورات ولا ينك سرورها عن النقصات سلامتها تحب السقم وعجايبها يسوق إلى الحرم ونعيمها لا يشمر إلا الحسرة والدم فهي خداعة مكارة طيارة قرارة لأزال تفرين لطلابها حتى إذا صاروا من أجبائها كثرت لهم عن آياتها وشوشت عليهم مناظم أسبابها وكشمت لهم عن مكنون عجايبها فأذاقتهم قاتل صامسا

### ﴿ كتاب ذم الدنيا ﴾

ثم تأتي الحردة في غنى من الوسوسة وحديث النفس وما يتناهل في الباطن من السكون الذي صار بمثابة الحردة فألقبت فكيف تراحم الوسوسة وحديث النفس مثل هذا البدن وقد تراحم مطالعة العظمة والنيوبة في ذلك كون النية غير أنه غاية لطف الحال يخص الروح بمطالعة العظمة والقلب يتميز بالية فكون النية موجودة بالقلب صفاتها مندرجة في نور العظمة اندراج الكواكب في ضوء الشمس ثم يقبض يده اليمنى بماليسرى ويحملها بين السرة والمصدر واليمنى

ورثتهم بصواب سبامهما بينا أصحابها منها في سرور وإندام إذ تولت عنهم كأنها أضاعت أحلامهم عكرت عليهم بدواها فطمحت طعن الحسود ووارثهم في أكفائهم تحت الصيد إن ملكك واحدا منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حبيدا كأن لم يكن بالأس منى أصحابا سرورا وعدم غرورا حتى يأملون كثيرا ويننون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجميعهم يورا وسر مهيا متورا ودقاوم يورا هنة صفتا وكان أسرا لله قدرا مقدورا، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله للرب إلى المالمين بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا وعلى من كان من أهلها وأصحابه له في الدين ظهير أو طي الظالمين نصيرا وسلم تسليما كثيرا.

[ أما بعد ] فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأوليائه الله وعدوة لأعداء الله أماعداوتها لله فاتها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها، وأماعداوتها لأوليائه الله عز وجل فاتها تزينت لهم زينتها وعظم زهرتها ونضارتها حتى جرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها، وأماعداوتها لأعداء الله فاتها استندرجتهم بعكرها وكيدها فاقتضيتهم بشكتها حتى وهواها وعوتوا عليها غفلتهم أوجح ما كانوا إليها فاجتنبوا منها حسرة تقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم المعادة أبدالآباد فيهم على قرأها يتحسرون ومن مكابها يستغيثون ولا يثاقون بل يقال لهم - استخوا فيها ولا تسكنون - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون - وإذا عظمت غوائل الدنيا وشروها فلا بد أولا من معرفة حقيقة الدنيا وماهى وما الحكمة في خلقها مع عدلوها وما مدخل غرورها وشروها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأضال للتلقي بها ووجه الحاجة إلى أصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بنشولها إن شاء الله تعالى وهو للمعين على ما يرغبه .

( بيان ذم الدنيا )

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يثبوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستنباد بآيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها قدروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال : آرون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا من هوأتها آتوها قال والذي تسمى بيده الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تمحل عند الله جناح يموضة لمسق كافرا منها شربة ماء » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « الدنيا سجن للؤمنين » (٢) وقال « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان فيها » (٣) وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب دنياه أضرباً خرت به من أحب آخرته أشرب دنياه فأتروا ما يتي على ما يتي » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (٥)

(١) حديث مر على شاة ميتة فقال آرون هذه الشاة هينة على أصحابي الحديث ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد وآخره عند الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث للستود بن شداد دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر (٢) حديث الدنيا سجن للؤمنين ووجه الكافر مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد لإذكر الله وما والاوعالم وتمثل (٤) حديث أبي موسى الأشعري من أحب دنياه أضرباً خرت به آخره الحديث أحمد والبرار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه (٥) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا واليهي في شعب الإيمان من طريقه من رواية الحسن مرسل .

لكرامتها تجعل فوق

اليسرى وعد السبعة

والوسطى على الساعد

وتقبض بالثلاثة

البواقي اليسرى من

الطرفين وقدر أمير

لؤلؤتين على رضى

الله عنه قوله تعالى

- فصل ربك وانعم -

قال إنه وضع اليمنى على

التيال تحت الصدر

وذلك أن تحت الصدر

عرقا يقال له الناحر

أى شئ يدل على الناحر

قال بعضهم وأخرى

استقبل القبة ببحره

وفى ذلك سر حتى

يكافى به من وراء

أستار التيب وذلك أن

الله تعالى بلطيف

حكمة خلق الأدمى

وشرفه وكرمه وجهه

عمل نظره ومورد حبه

ونحية ما فى أرضه

وقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعدنا شراب فأبى بماء وعسل فلما أدناه من فيه حتى حبى أبكى أصحابه وسكنوا وماسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرين على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يرفع عن نفسه شيئاً ولم أره أحدًا قبلت يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا » ثم قالت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت مني لم يفلت مني من بعدك (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبيد الله الجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القصور (٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذوا خرداً فادبوا على تلك للزينة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا (٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تستمر عظاماً بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب (٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تسخروا الدنيا ربنا اتخذكم عبداً اكثروا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يلجش الحواريين إنني قد كبت لكم الدنيا على وجعها فلا تمسوها بعدى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألقا عيروا الدنيا ولا تمسوها واعطوا أن أصل كل خطيئة الدنيا رب شهر تسعة أو رمت أهلها حزناً طويلاً وقال أيضاً : بسطت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تبارك عنكم فيها للولك والنساء فأما ثلوك فلا تبارك عنكم الدنيا فانهلهم يمرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فانهلهم من الصوم والصلاة وقال أيضاً الدنيا طالية ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها زهره وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي « الموت فيأخذ بمنته . وقاله موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبشأ إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها (٥) » وروى أن سليمان بن داود عليها السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرما به من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيف من مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقي وقال صلى الله عليه وسلم « ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو صدقت فأبقيت (٦) »

وماله روحانيا  
وجسمانيا أرضيا وسماويا  
منتصب القائمة مرتفع  
المحيط قصفه الأعلى  
من حد الفؤاد مستودع  
أسرار السموات ونصفه  
الأسفل مستودع  
أسرار الأرض فحل  
نفسه ومركزها النصف  
الأسفل وحمل روحه  
الروحاني والقلب  
النصف الأعلى لجوانب  
الروح مع جوانب  
النفس يتطاردان  
ويتحاربان وباعتبار  
تطاردهما وتخالهما  
تكون لمة تلك ولمة  
الشيطان ووقت الصلاة  
يكثر التطارد لوجود  
التجاذب بين الإيمان  
والطبع فيصكاشف  
للصل الذي سارقه بين  
سماويا ومترحدا بين  
القاء والبقاء لجوانب

(١) حديث زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر فعدنا شراب فأبى بماء وعسل فلما أدناه من فيه حتى حبى أبكى أصحابه وسكنوا وماسكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرين على مسأله قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما بك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يرفع عن نفسه شيئاً ولم أره أحدًا قبلت يارسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال « هذه الدنيا » ثم قالت لها إليك عني ثم رجعت فقالت إنك إن أفلتت مني لم يفلت مني من بعدك (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا عبيد الله الجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار القصور (٢) » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قال « هلوا إلى الدنيا وأخذوا خرداً فادبوا على تلك للزينة وعظما قد نخرت فقال هذه الدنيا (٣) » وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا مستخلق مثل تلك الحرق وأن الأجسام التي ترى بها تستمر عظاماً بالية وقال صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فانظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب (٤) » وقال عيسى عليه السلام : لا تسخروا الدنيا ربنا اتخذكم عبداً اكثروا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « يلجش الحواريين إنني قد كبت لكم الدنيا على وجعها فلا تمسوها بعدى فإن من خبت الدنيا أن عصى الله فيها وإن من خبت الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألقا عيروا الدنيا ولا تمسوها واعطوا أن أصل كل خطيئة الدنيا رب شهر تسعة أو رمت أهلها حزناً طويلاً وقال أيضاً : بسطت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا تبارك عنكم فيها للولك والنساء فأما ثلوك فلا تبارك عنكم الدنيا فانهلهم يمرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فانهلهم من الصوم والصلاة وقال أيضاً الدنيا طالية ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها زهره وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجي « الموت فيأخذ بمنته . وقاله موسى بن يسار قال النبي ﷺ « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبشأ إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها (٥) » وروى أن سليمان بن داود عليها السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال فرما به من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً قال فسمع سليمان وقال : لتسبيحة في صحيف من مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود يذهب والتسبيحة تبقي وقال صلى الله عليه وسلم « ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو صدقت فأبقيت (٦) »

قال صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامل له ولها جمع من لا عقل له وعليها  
يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا حقه له ولها يسى من لا دين له» (١) وقال صلى الله عليه وسلم  
«من أسبح الدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال: ما لا ينقطع عنه أبدا  
وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منه أبدا» (٢) وقال أبو هريرة قال  
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله  
فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فلما مزبلة فيها ردوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال  
يا أبا هريرة هذه الردوس كانت تحرس كرمكم وتأمل كآمالك ثم هي اليوم عظام بلا جنة ثم هي صارة  
رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قففوها في بطونهم  
فأصبحت والناس يحتاجونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولياسهم فأصبحت والريح تصفها  
وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتنجسون عليها أطراف البلاد فمن كان يا كيا على الدنيا فليكن  
قال فما برحنا حتى أخذت بكأنا (٣) وروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له ابن الخراب  
ولد للفناء. وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين  
صنعت وتركت لهم إلى فدت في قلوبهم بضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون على منك  
كل شأنك خفيرو إلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوى لأحد ولا يدوم لك أحد  
وإن خل بك صاحبك وشغ عليك طوبى للأبرار الذين أطعنوا من قلوبهم على الرضا ومن ضيبر  
على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا التوريسى  
أمامهم وللأسكحة خافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
«الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني  
لأدنى أولئك اليوم نسيا يقول اصتنى بالآخرة إلى هنا راضك لم يرضى الدنيا أراضك لم يرضى اليوم» (٤) وروى  
في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت مدته لخروج النفل ولم يكن ذلك جمولا  
في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر  
الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أي شيء تريد؟ قال آدم أريد أن أضغ ما في بطني من الأذى  
فتقبل فلقط قل له في أي مكان تريد أن تضعه ألقى القرش أم على السرور أم على الأنهار أم تحت ظلال  
الأشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لك؟ أهبط إلى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «ليجين أن أولم يوم

التكاثر يقول آدم مالى مالى الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير (١) حديث الدنيا  
دار من لادار له الحديث أحمد من حديث عائشة مقتصرا على هذا وعلى قوله ولها جمع من لا عقل  
له دون بقية وزاد ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه ومال من لامل له وإسناده جيد  
(٢) حديث من أسبح الدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وأثم الله قلبه أربع خصال الحديث  
الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله وأثم الله قلبه الخ وكذلك رواه ابن أبي  
الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه القصة منفردة  
صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف (٣) حديث أبي هريرة ألا أريك الدنيا  
جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فلما مزبلة فيها  
ردوس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الردوس كانت تحرس كرمكم وتأمل كآمالك  
ثم هي اليوم عظام بلا جنة ثم هي صارة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث  
اكتسبوها ثم قففوها في بطونهم فأصبحت والناس يحتاجونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم  
ولياسهم فأصبحت والريح تصفها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا يتنجسون عليها أطراف  
البلاد فمن كان يا كيا على الدنيا فليكن قال فما برحنا حتى أخذت بكأنا (٤) وروى

النفس متصاعدة من  
مركزها ولجوارح  
ومصرها وحركتها  
مع معاني الباطن  
ارتباط وموازنة  
قبوض البنى على الشلال  
حصر النفس ومنع  
من صعود جوارحها  
وأثر ذلك يظهر بدفع  
الوسوسة وزوال  
حدوث النفس في  
الصلاة ثم إذا استولت  
جوارح الروح  
وتعلكت من الفرق  
إلى القدم عند كمال  
الأنس وتحقق قرة  
العين واستيلاء سلطان  
لشاهدة صير النفس  
مقهورة ذليلة ويستدير  
مركزها بنور الروح  
وتقطع جنتها واذب  
النفس وعلى تسدير  
استئثار مركز النفس  
يزول كل العبادة

القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار . قالوا يا رسول الله مصليين ؟ قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون حنة من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وميوا عليه <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم في بسى خطبه « **لؤلؤ من بين عناقين بين أجل قد مضى لا يدري ما لله صانع فيؤين بآجل قد بقى لا يدري ما لله قاض فيه فيلترود العبد من حسه نفسه ومن دنياه لأخرته ومن حياته لموتهم من شيا به لمره فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للأخرة والى حصى يده ما بهد اللوت من مستحب ولا بهد الدنيل من دار إلا الجنة أو النار <sup>(٢)</sup> » وقال عيسى عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الأنياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدرا لها بادن دخلت من أحدها وخرجت من الآخر وقيل لميس عليه السلام لو اتخذت بيتا يتيك قال يكتينا حقائق من كان قبلنا وقال نينا صلى الله عليه وسلم « **احلروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت <sup>(٣)</sup> » وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجه بصيرا ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمه فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أعمى أعطاه الله علما غير علم وهدى غير هداية ألا إنه سيكون بدمكم قوم لا يستقيم لهم لثلك إلا بالتل والتجبر ولا التقي إلا بالفسخ والبخل ولا المحبة إلا باتباع الهوى إلا لمن أدرك ذلك الزمان منكم فصر على الفقر وهو يقدر على التقي وصر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصر على اللذ وهو يقدر على العز لا يريد بذك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب حسين صدقا <sup>(٤)</sup> » وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه للطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوشت عينه على خيمة من يصدفاتها لا ذافها امرأة غدا غدا فانها هو يكف في جبل فأعلاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال يلجأ جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فأوحى الله تعالى إليه مأواك في مستقر رضى لأزواجك يوم القيامة مائة حوراء خلقتا يدي ولأعظم في عرسك أربة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولا من متنا ديا ينادى أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزهاد في الدنيا عيسى ابن مريم . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وقمره وأمنها وثيقها وتخله وويل للمفترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والحطاب عمله كيف يشتفع غدا بذنبه . وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : « **يا موسى ما لك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بقلك فبئت الدار هي إلا العاقل يعمل فيها فعمت الدار هي يا موسى إلى مرصد للظالم حق أخذ منه للظالم » . وروى « أن رسول الله <sup>(ﷺ)</sup> بعث أبا عبيدة بن الجراح فجا بعال من البحرين فسمعت الأنصار يقدمون أن عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم******

(١) حديث لبيش أن يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة بسند ضيف وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضيف أيضا (٢) حديث لؤلؤ من بين عناقين بين أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من حديث الحسن عن رجل من أصحاب النبي <sup>(ﷺ)</sup> وفيه انقطاع (٣) حديث أحلروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الراوى مرسل وقال البيهقي إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة قاله النبي لا يدري من أبو الدرداء قال وهذا منكر لا أصل له (٤) حديث الحسن هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرعلا وفيه إبراهيم بن الأعمش تكلم فيه أبو حاتم.

ورسنى حيثك عن مقاومة النفس ومنع جوازها بوضع العين على الكمال فيسبل حيثك ولعل لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى مسلا وهو مذهب مالك رحمه الله ثم قرأ سوحت وجهي والآية وهذا التوجه إقناعا لوجه قلبه والذي قبل الصلاة لوجهه قاله ثم يقول سبحانه اللهم محمدك وباركك وصلى جسدك ولا إله غيرك اللهم أنت لللك لا إله إلا أنت سبحانهك ومحمدك أنت ربى وأنا صبيدك ظلت نفسي واخرت فبني فاغفرلى ذنوبى جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وأهدنى لأحسن



فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتمرضوا له فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين  
 رآهم ثم قال انظروكم بمن أن أبأ عبدة قمع جدي قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا  
 ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تنحط عليكم الدنيا كما ينحط  
 على من كان قبلكم فتتافسوها كما تنافسوها قبلكم كما أهلكتهم <sup>(١)</sup> وقال أبو سعيد الجدي  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أكثر ما أخلف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض  
 قبل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا <sup>(٢)</sup> . وقال <sup>(٣)</sup> ولا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا <sup>(٤)</sup> فبقي عن  
 ذكرها فضلا عن إصابه عنها . وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرة فاذا أهلها موتى  
 في الألفية والطرق قال يا معشر الجواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك  
 لكانوا قالوا يا روح الله وددنا أن لو علنا خيرم فقال الله تعالى فأوصي إليه إذا كان الليل فادهم  
 بيجوك فلما كان الليل أشرف على نفض ثم نادى يا أهل القرية فأجابه عجب ليك يا روح الله قال  
 ما حالكم وما قصتكم قال بننا في عافية وأصبنا في المساواة قال وكيف ذاك ؟ قال نجنا الدنيا  
 وطاعتنا أهل الناصي قال وكيف كان حيكم لدينا ؟ قال حب الصبي لأنه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا  
 أدبرت حزنا وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يهينوني قال لأنهم ملجئون بيلم من نار بأدى  
 ملائكة غلاظ شداد قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم أكن منهم فلما  
 نزل بهم العذاب أصابني معهم فأنا ملحق على غيري جهنم لأندى الأجور منها أم أكبكب فيها فقال  
 للسبح للحواريين لأكل خبز التمرير الملع الجريش وليس للسوح والثوم على الزواجل كثير مع  
 عافية الدنيا والآخرة . وقال أنس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الضياء لاسبق فبها  
 أعرابي ناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم « إنه حق على الله أن لا يرزق  
 شيئا من الدنيا إلا وضمه <sup>(٥)</sup> » وقال عيسى عليه السلام من الذي يني على موج البحر دلر عنكم  
 الدنيا فلا تتخلوها قرارا وقيل ليسى عليه السلام علنا علنا واحدا نجنا الله عليه قال أيضا  
 الدنيا نجيتكم الله تعالى وقال أبو الدرداء قال رسول الله <sup>(٦)</sup> « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم  
 كثيرا ولمهنت عليكم الدنيا ولآتيتكم الآخرة <sup>(٧)</sup> » ثم قال أبو الدنيا من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم  
 لخرجتم إلى الصعدات تجارون ويكونون على أهكم ولتركت أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها  
 إلا ما لا بد لكم منه ولكن شيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل ضارت الدنيا أملك  
 بأعمالكم وصيرتم كالدبر لا يملكون فبضكم ثم من البهائم التي لا تدع هولها عافة بما في مقبعتها لكم  
 لا تحايون ولا تاحسون وأنتم إخوان على دين الله مافرق بين أهوائكم إلا خيبر سرائركم ولو اجتمعتم

الأخلاق فانه لا يهدى  
 لأحسنها إلا أنت  
 واصرف عني سيئها  
 فانه لا يصرف عني  
 سيئها إلا أنت ليك  
 وسديك فالخير  
 كله بيديك تباركت  
 وتعاليت أستغفرك  
 وأتوب إليك وبطرق  
 رأسه في قامه ويكون  
 نظره إلى موضع  
 السجود ويكمل القيام  
 باتصاب القامة ونزع  
 يديه الانطواء عن  
 الركبتين والخواصر  
 ومماطف البدن  
 ويقف كأنه ناظر  
 بجميع جسده إلى  
 الأرض فهكذا من  
 خشوع سائر الأجزاء  
 ويتكون الجسد  
 بشكون القلب من  
 الخشوع وراوح بين  
 القدمين بمقدار أربع  
 أصابع فان ضم السكبين

على البر لثما يعمي مالم تتاحسون في أمر الدنيا ولا تاحسون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يجه ويسته على أمر آخره ماهذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم تؤمنون بغير الآخرة وشهرها كاتون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموكم . فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجلة من الدنيا للأجل منها تكسبون أخسكم بالمشقة والاختراق في طلب أمر لعلكم لا تدركونه بفئس القوم أتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم فان كنتم في شك بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالتفتوا لبين لكم والزيك من النور ماظمين إليه قلوبكم والله ما أتم بالمتفوضة عقولكم فعدركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالخزم في أموركم كمالكم فخرجون اليسير من الدنيا تصبونه وتحزنون على اليسير منها يغوتكم حتى يبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها الحائص وتحيون فيها للآتم وعانتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إلى الأرى الله قد برأ منكم باق يصكم بضاً بالسرو وكله بكم ما أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بثله فاصطحبتم على القتل وثبتت صرايحكم على الدمن وتضافتم على رضى الأجل ولوددت أن الله تعالى أراخي منكم وألقني عن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصارك فان كان فيكم خير قد أصمتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجوده يسر أوابه أستعين على نفسي وعليكم . وثال عيسى عليه السلام : يا مضر الحوارين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كارضى أهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا ، وفي معناه قيل :

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قتلوا وما أراهم رضوا في البعوى بالدون  
فلست عن الدين عن دنيا لولك كالم تنفى للولك بدنيام عن الدين

وقال عيسى عليه السلام : يا طالب الدنيا لير ترك الدنيا أبر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم ولما يتنكم بدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب (١) « وأوصي الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ، وموسى عليه السلام رجل وهو يركى ورجع وهو يركى قال موسى يارب عبدك يركى من مخاضك قال بإذن مهران لو سأل دماغه مع دموع عينيه ورفغ يديه حتى يسقط لم أغفر له وهو يحب الدنيا . الآثار : قال على رضى الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع لقينة مطلبها ولا عن النار مهراً أولها : من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فصاه وعرف الحق فأتبعه وعرف الباطل فأفهام وعرف الدنيا فرضاها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم ودية فأدوها إلى من اتهمهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضاً رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دينك فأفهام في محرمه وقال لقمان عليه السلام لا يه : يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلستكن سفيتك فيها تخوى الله عز وجل وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراعيها التوكل على الله عز وجل لعلك تتجو وما أراك تاجيا ، وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية - إنا جعلنا مائل الأرض زينة لكما لتبؤم أبهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صيدا جزا - وقال بسن الحكاء : إنك لن تصبح في ثمن من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وفداء يوم فلا تملك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وورعها النار وقيل ليسن الربان كيف ترى الدهر ؟ قال خلق الأبدان ويجدد الآمال وقرب للنبي ويسد الأمنية . قيل فما حال أهله ؟ قال من ظفر به حب ومن فاته نصب ، وفي ذلك قيل :

(١) حديث لثايتكم بدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، لم أجد له أصلا .

هو الصدف للهي عنه  
ولا يرفع إحدى  
الرجلين فانه السفن  
للبس عنه نهي رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
عن السفن والصدف  
وإذا كان السفن منها  
عنه ففي زفافة الاعتاد  
على إحدى الرجلين  
دون الأخرى مع  
من السفن فالأولى  
رعاية الاعتدال في  
الاعتاد على الرجلين  
جميعا ، ويكره اشتغال  
الصماء وهو أن يخرج  
يده من قبل صدره  
وجتنب السدل وهو  
أن يرضى أطراف  
الثوب إلى الأرض فيه  
معنى الحيلة وقيل هو  
الذى ياتف بالثوب  
ويجعل يديه من داخل  
فيرك ويسجد كذلك  
وفي معناه ما إذا جل

ومن يحمد الدنيا لينسى سره سوف لعمري عن قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على الوراء حسرة وإن أقبلت كانت كثير همومها

وقال بعض الحكماء : كانت الدنيا ولما كن فيها وتذهب الدنيا ولا يكون فيها فلا سكن البهائم عيشها  
نكد صوفوها كندر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أو بليّة نازلة أو بمنية ضاربة . وقال بعضهم :  
من عيب الدنيا أنها لا تمطي أحدا ما يستحق لكثبا إما أن تزيد وإما أن تنقص ، وقال سفيان أمارى  
النم كأنها منضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على  
الحمية لها لم يسط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على الحمية لها لم يسط منها شيئا إلا أراد  
أكثر وليس لهذا غاية . وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بد إلا فقال انظر  
ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ من الأمن حله ولا تنضمه إلا في حقه ولا يضر لك حب الدنيا وإنما قال  
هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لأضيق حتى يثربم بالدنيا ويطلب الخروج منها ، وقال يحيى بن معاذ :  
الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجسه في طلبه فيأخذك ، وقال الفضيل لو كانت  
الدنيا من ذهب يقنى والآخرة من خرف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختر خرفا يبقى على ذهب يقنى  
فكيف وقد اخترنا خرفا يقنى على ذهب يبقى ، وقال أبو حازم لما كره الدنيا فانه يئس أن يوفق البليد  
يوم القيامة إذا كان معظما للدنيا فقال هذا عظم ما سخره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحمد من  
الناس إلا وهو ضيف وماله حارية قال الضيف مر محل والعارية محدودة ، وفي ذلك قيل :

وما لك والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن تردّ الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها قالت لسكوان عن ذكرها قالوا لموقع من قلوبكم  
ما أكثرتم من ذكرها إلا من أحب شيئا أكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن آدم كيف أنت قال :  
ترفع دنيانا بتمزيق دنيا فلا دنيا يقنى ولا مائتق  
فلطوي لبيد أثر الله ربه وجاد بدنياء لما يتوقع

وقيل أيضا في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره وتال من الدنيا سرورا وألما  
صعبان ينى بئسانه فأقامه فلما استوى ما قد بناء تهما

وقيل أيضا في ذلك :

هب الدنيا فماتى إليك عفا أليس مصير ذلك إلى انتقال  
وما دنياك إلا مثل فيه أظلك ثم آذن بالزوال

وقال ثمان لانه يابى بيع دنياك بأخرتك ترجها جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا .  
وقال مطرف بن الصخير لا تنظر إلى خفض عيش اللوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعتهم  
وسوء منقلبهم . وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للنافق وجزء  
للكافر فالؤمن يتزود والنافق يتزين والكافر يتمتع . وقال بعضهم الدنيا جيفة فمَنْ أراد منها شيئا  
فليصبر على معاينة الكلاب ، وفي ذلك قيل :

يا مخاطب الدنيا إلى نفسها تتج عن خطبتها تسل  
إن اتى خطب غيلة قرية العرس من لأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يرضى إلا بها ولا يتألم ما عذب إلا بتركها ، وفي ذلك قيل :  
إذا امتحن الدنيا لييب تكشف له عن علو في ثياب صدق

يديه داخل القميص  
ويجنب الكف وهو  
أن يرفع ثيابه يديه  
عند السجود ويكره  
الاختصار وهو أن  
يجعل يده على الخاصرة  
ويكره الصلب وهو  
وضع اليدين جميعا على  
الحصرين ويجعل  
الضدين فاذنوا وقضى  
الصلاة على الهيئة التي  
ذكرناها تجتنبنا للسكره  
قد تنعم التيام وكله  
فيقرأ آية التوجه  
والنداء كما ذكرنا ثم  
يقول أعوذ بالله من  
الشیطان الرجيم ويقولها  
في كل ركعة أمام  
القراءة ويقرأ القنحة  
وما بعدها بخوض قلب  
وجمع ثم ومواظبين  
القلب واللسان يحفظ  
وافر من الوصلة والدنو  
والهية والخشوع

وقيل أيضا : يارائد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرغن أسحارا  
أفنى القرون التي كانت منعمة كزّ الجديدين إقبالا وإدبارا  
كم قد أبدلت صروف الدهر من ملك قد كان في البحر فشا وضرارا  
يا من يسانق دنيا لا تناه لها عسى ويصبح في دنياه سفارا  
هلا تركت من الدنيا معاينة حتى تمانق في القردوس أكلارا  
إن كنت تجني جان الحلة تسكتها فينبغي لك أن لاتأمن النبارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه لما سمع محمد صلى الله عليه وسلم أتت إبليس جنوده فقالوا قد بعث  
في وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا ؟ قالوا نعم قال لأن كانوا يحبون الدنيا ما إلى أن لا يبدوا الأوثان  
وإنما أعدو عليهم وأرواح ثلاث أشدّ السال من خير حقه وإخافه في غير حقه وإسأكه عن  
حقه والشرّ كله من ههنا نبع . وقال رجل لبيّ كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال:  
وما أصف لك من دار من مص فيها سقم ومن أمن فيها نعم ومن أضر فيها حزن ومن استغنى فيها افتقار  
في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابها الضارب ، وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول كدام  
أضرب قيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب ، وقال مالك بن دينار هو السحابة فاتها تسرح  
قلوب السماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا نارا أحما فإذا  
كانت الدنيا في القلب لم ترأها الآخرة لأن الآخرة ككرة والدنيا لينة ، وهذا تشديد عظيم ورجو  
أن يكون ما ذكره سيابرين الحكم أصحّ إذلال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان  
الآخر تيمنا له ، وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن  
للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك ، وهذا اقتباس مما قاله في كرم الله وجهه حيث قال : الدنيا  
والآخرة ضربتان فقدر ماضى إحداها تسخط الأخرى ، وقال الحسن والله لقد أدركت أقواما  
كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يولون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت  
إلى ذا أو ذهبت إلى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه  
أحسن له أن يتصدق فيه ؟ يعني يتم قال لا وكانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف وبقدر  
ذلك ليوم قهره ، وقال الفضل لو أن الدنيا غدا فخرها عرست على حلال لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت  
أخذتها كما يتخذ أحدكم الحيفة إذ امر بها أن تصيب ثوبه ، وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام  
فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقته عظومة بجمل فلم يسأله ثم أتى منزله فرفقه إلا سيفه ورسنه  
ورحله فقال له عمر رضي الله عنه لو أخذت متاعا قال يا أمير المؤمنين إن هذا يفتل القليل وقال سليمان  
خذ من الدنيا ليدتك وخذ من الآخرة لقلبك ، وقال الحسن والله قد بعثت بنو إسرائيل الأصنام بعد  
عبادتهم الرحمن بجهنم للدنيا ، وقال وهب قرأت في بعض الكتب الدنيا غنية لا أكياس و غنية الجبال  
لم يرفعوها حتى خرجوا منها فأسألو الرجلة فلم يرجعوا ، وقال لقمان لابن أبيه إنك استدبرت الدنيا  
من يوم زلتها واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار هرب منها أقرب من دار تباعد عنها ، وقال سعيد بن مسعود  
إذا رأيت البعد تزداد دنياه وتقص آخرته وهو به راض فذلك الثوب الذي يلعب به وجهه هو لا يشمر  
وقال عمرو بن العاص على تلبيز : والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم والله ما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له (١)

(١) حديث عمرو بن العاص والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يزهد فيه منكم الحديث الحاكم وصححه ورواه أحمد وابن حبان بنحوه .

والحسنة والتعظيم  
والوقار والشهادة  
وللناجاة وإن قرأ بين  
الفاحة وما يقرأ بينها  
إذا سكن إماما في  
السكنة الثانية : اللهم  
باعد بيني وبين خطيئتي  
كما باعدت بين للشرقي  
والغرب وتقص من  
الخطايا كما يقضي القوب  
الأبيض من الناس  
اللهم اغسل خطيئتي  
بالماء والتابع والبرد  
لحسن ، وإن قالها في  
السكنة الأولى لحسن  
روى عن النبي عليه  
الصلاة والسلام أنه قال  
ذلك وإن كان منفردا  
يقولها قبل القراءة  
ويعلم البعد أن ثلاثه  
نطق اللسان ومعناها  
نطق القلب وكل  
عاطف للشخص  
يشكم بلسانه ولسانه

وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى - فلا تترنم الحياة الدنيا - من قال ذا قاله من خافها ومن هو أعلم بها إما كم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأفعال لا يفتش رجل على نفسه باب شغل الأولئك ذلك الباب أن يفتش عليه عشرة أبواب . وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله فخرج بصيته في دينه ويخرج من مصيته في دينه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك . أما بعد : فكأنك بأخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل . وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد . وقال بعضهم عجباً لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ويهيج لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك ويهيج لمن رأى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ويهيج لمن يعلم أن القدر حق كيف ينسب . وقدم على معاوية رضى الله عنه رجل من بجران عمره مائتا سنة له عن الدنيا كيف وجدها قال سنيت بلاء وسنيت رخاء يوم فيوم ولية قليلة يولد ولد يهلك هالك فلولاً للولود بلاد الخلق ولولا الهلاك ضاقت الدنيا عن فيها فقال له هل ماشئت قال عمر مضى قتره أو أجل حضر قد ضعه قال لا أملاك ذلك قال لأحاجة لى إليك . وقال داود الطائي رحمه الله ابن آدم فرحت يلوغ أملاك وإنما بلغته بأهضاء أهلك ثم سوف يملك كأن منفضة لتتركه وقال بشر من سأل الله الدنيا فأعسا بسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مالى الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئاً يسوءه . وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بمسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما ملأ ولم يحسن الزاد لما قدم عليه . وقيل لبعض الباطنية قلت الفنى قال إنما تال الفنى من عتق من رقى الدنيا . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلاحاً على حب الدنيا فلا يأمر بفسننا بفسا ولا ينهى بفسنا بفسا ولا يدعنا الله على هذا فليت شرى أى عذاب الله يزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ماهى لأحد بأهناً منها لمن أهانها . وقال أيضاً إذا أراد الله بعبده خيراً أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا تهدأ عليه وإذا هان عليه عبد بسيط له الدنيا بسيطاً . وكان بعضهم يقول في دعائه بيمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بذنبتك أمسك الدنيا عني وقال محمد بن النكدر أرايت لو أن رجلاً صام الدهر لا يطر وقام الليل لا ينام وتصدق بما له واجهد في سبيل الله واجتنب محارم الله فغير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صفر الله وصفر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عند منع ما اقترنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم لشدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فأنك لا تجد عليها أعواناً وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تتادى ربهما منذ خلقها إلى يوم يفتيها يارب يارب لم تمنعني يقول لها اسكني إلا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والله توبيت القلب قد احتشته فنى يصل الحجر إليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بجىء من الدنيا قدناً خطأ الحكمة ومن جبل شهوة تحت قدميه غرق الشيطان من ظله ومن غلب عليه هواه فهو التائب وقيل لبشر مات فلان قال جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له إنه كان يفعل ويضل وكروا أبو بامن البرق قال وما ينفذ هذا وهو يجمع الدنيا . وقال بعضهم الدنيا تبض إلىنا فنهضوا ونحن نجها فكيف لو نجبت إلينا وقيل لحكيم الدنيا ما هي قال لن تركها تقبل الآخرة هل هي قال لن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخر

يسرهما في قلبه ولو  
أسكن للتكلم إنهم  
من يكلمه من غير  
لسان ضل ولكن  
حيث تنزل الأنعام  
إلا بالكلام جعل اللسان  
رجحاناً فقال باللسان  
من غير موافاة القلب  
فما اللسان رجحاناً ولا  
الغاري متكلماً قاصداً  
إسباع الله حاجته  
ولا مستمعا إلى الله  
فأما عنه سبحانه  
ما خاطبه وما عنده غير  
حركة اللسان قلب  
قائب عن قصد  
ما يقول فينبى أن  
يكون متكلماً مناجياً  
أو مستمعا راعياً فأقل  
مراتب أهل الخصوص  
في الصلاة الجمع بين  
القلب واللسان في  
التلاوة ووراء ذلك  
أحوال الخاص يعطون

منها قلب من يصرها والجنة دار عمران وأمر منها قلب من يطاها. وقال الجندب كان الشافعي رحمه الله من الريدين الطاهرين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاه في الله وخوفه بالله فقال يا أخى إن الدنيا حوض مزلقة ودار مذلة عمراتها إلى الحراب صائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى القفر مصروف إلا كثر فيها إفسار والإفسار فيها يسار فافزع إلى الله ولا ترض برزق الله لا تتسلف من دار فأتاك إلى دار فأتاك فإن عيشك في زائل وجدار مائل أكثر من حملك وأضر من أملاك. وقال إبراهيم بن آدم لرجل أدرم في اللثام أحب إليك أم دينار في البقطة فقال دينار في البقطة فقال كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في اللثام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في البقطة. وعن إسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك غنايا خنزيرة فلو وجدوا لها إسماء أقيح من هذا لسموها به. وقال كعب لتجبن إليك الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن يبدخه وأرضى خالفه قبل أن يلقاه. وقال أيضا الدنيا باع من شؤمها أن تنكح لما يلوك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغن عن الدنيا بالدنيا كان كملبي النار البتين وقال دينار إذا رأيت أبناء الدنيا يشككون في الزهد فاعلم أنهم في سفرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت نيرانها حتى الحرس حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقت نيران التوحيد فصار جوهرًا لا حد لقيمه. ونال على كرم الله وجهه إنما الدنيا ست أعياها معلوم ومستر وبه وملبوس ومركوب ومنكوح ومشعوم فأشرف للعلومات السلل وهو مدقة ذباب وأشرف للشروبات السام ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف للبوليات الحرير وهو نسج دودة وأشرف للركوبات القرس وعليه يقتل الرجال وأشرف للتسكحات للرأه وهي مبال في مبال وإن الرأه لقوين أحسن شيء منها إيراد أقيح شيء منها وأشرف للشعومات للمك وهو دم.

(بيان للواعظ في ذم الدنيا وصفاتها)

قال بعضهم يأبها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تقنروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا فاتها غدا قد تزخرت لكم بمرورها وتفتككم بأمانها وتزيت لخطاياها فأصبحت كالروس الهلية الصيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها طائفة فكمن من طامق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت فانظروا إليها بين الحقيقة فاتها دلو كثير يوافيها وذمها خالفها جديدها يبلى وملكها ينفى وعزها يبدل وكثيرها يذل ودها يموت وخيرها يموت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم واتنبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدقق تهيل فهل على الدواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فخدس لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى وملكه أحصى ثم يقال قد قتل لسانه لما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه فغرق عند ذلك جينك وتابع أثنينك وبنت جينك وطمحت جنونك وصدقت ظنونك وتلجج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تطق وختم على لسانك فلا يطلع ثم حلبك القضاء وانزعرت قسك من الأعضاء ثم عرج بها إلى الساء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحزرت أكنانك ففسلك وحكفوك فاقطع عوادك واستراح حادك وانصرف أملاكك إلى مالك وبقيت مرتها بأعمالك. وقال بعضهم لبعض للوكة إن أحق الناس بلم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لأنه يتوقع آفة تعدو

شرحها. قال : بعضهم ما دخلت في صلاة قط فأنهني فيها غير ما أقول وقيل لاسم ابن عبد الله هل تجد في الصلاة شيئا من أمور الدنيا قال لأن تختلف على الأنسة أحب إلى من أن أجد في الصلاة تجدون. وقيل لبعضهم هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا قال لا في الصلاة ولا في غيرهما من الناس من إذا أقبل على الله في صلاته يتحقق معنى الإنابة لأن الله تعالى قدم الإنابة وقال : متبين إليه واتقوه وأقيموا الصلوة فينبى إلى الله تعالى ويتق الله تعالى بالتبى عما سواه ويتم الصلاة بسعد مشرح

على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه، أوتاني سلطانته فقدمه من القواعد أوتدب إلى جسمه فتقسمه  
أوضحه بشيء هو متين به بين أحبابه فالله يأتى بالقلم هي الأخف ما تطلعي الراجحة فيها تهب بيناهي  
تضحك صاحبها إذ أضحكته منه غيره وبيناهي تبيك له إذ أبكت عليه وبيناهي تبسط كفتها بالأعطاء  
إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتفرقه بالتراب غدًا سواء عليها ذهاب ما ذهب  
وبقاء ما بقي تجدد في الباقي من الأدهاب خلقًا وترضى بكل من كل بدلا. وكتب الحسن البصري إلى  
عمر بن عبد العزيز: أما بعد: فإن الدنيا دار ظن ليست بدار إقامة وإنما أزل آدم عليه السلام من  
الجنة إليها عقوبة فأحضرها يأمر المؤمنين فإن أراد منها تركها والتي منها قهر لها في كل حين قتل  
تذلل من أعزها وتفرق من جمعها هي كالمياه ماله من لا يبرقه وفيه خضفة فكن فيها كالدواي جراحه  
يغشى قليلا عفاة ما يكره طويلا ويصبر على هذه الهوان عفاة طول الداء فأحضر هذه الداء الدارة  
أحالة الحداثة التي قد تزيت بخدعها وكنت بفرورها وحلت بأملها وسوقت خطاياها فأصبحت  
كالروس الجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب على الوالهة والنفس لها عاقبة وهي لأزواجها كلبهم قالة  
فلا الباقي بالمساخي، صبر ولا الآخر بالأوك مزجر ولا السارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر  
فماشق لها قد ظفر منها حاجته فاعترى وطوى ونسى للماد فتغل فيها له حتى زالت به قدمه فتعلقت  
زدامته وكثرت حسره واجتمعت عليه سكرات لوث وتآله وحسرات القوت بضته وراغب فيها  
لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التبغ فخرج بغير زاد قدمه في غير مهاد فأحضرها أمير المؤمنين  
وكن أسرا ما تكون فيها عذرا ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كالأعنان منها في سرور أعفسته  
إلى مكروه السار في أهلها ظار والنافع فيها غدار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها  
إلى فناء فسروها مشوب بالأحزان لا يرجع منها مولى وأدير ولا يدري ما هوأت فينتظر بأمانها  
كاذبة وآمالها باطلة وصنوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر إن عقل ونظر فهو من  
التماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخالق في خبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت  
الدنيا قد أيقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل فيها زاجر وفيها واعظ  
فما لها عند الله جلّ تزيؤه قدر وانظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم  
بمناجيتها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح يموضة فأبى أن يقبلها (١) إذ كره أن يخالف على الله  
أمره أو يحجب ما أبغضه خالفه أو يرفع ما وضع عليه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لأعدائه  
اغتزارا فيظن للضرورة بها للتندر عليها أنه أكرم بها ونسى ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه  
وسلم حين شد الحجر على بطنه (٢) ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه عز وجل أنه قال لوسى عليه  
السلام: إذا رأيت التي مقبلا قل ذنب جعلت عقوبتي وإذا رأيت الفقر مقبلا قل مرحبا بشمار الصالحين  
وإن شئت اتقيت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول إداي الجوع  
وتشاري الخوف وليأسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودايق رجالي

(١) حديث الحسن وكتب به إلى عمر بن عبد العزيز عرضت أي الدنيا على نبيك صلى الله عليه وسلم  
وسلم بمناجيتها وخزائنها الحديث ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا ورواه أحمد والطبراني متصلًا من حديث  
أبي مويبة في أثناء حديث فيه إني قد أعطيت خزائن الدنيا والمخدرات الحديث وسنده صحيح  
ولقرئ من حديث أبي أمامة عرض على ربي ليحبل لي بطعام مكة فيها الحديث (٢) حديث  
الحسن مرسلًا في هذه الحجة على بطنه ابن أبي الدنيا أيضًا هكذا ولبخاري من حديث أنس رفنا  
عن بطون نافع حجر حجر فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرتين وقال حديث غريب.

بالإسلام وقلب مفتوح  
بنور الإلهام فتخرج  
الكلمة من القرآن  
من لسانه ويسمعا  
قبله فتقع الكلمة  
في فضاء قلب ليس فيه  
غيرها فيتمسكها القلب  
بحسن التمسك واليد  
نعمة الإسفاه  
ويشكرها بحلاوة  
الاستماع وكال الوحي  
ويدرك لطيف معناها  
وشريف غوامضها  
تلطف عن فهميل  
الدكر وتشكل خفي  
النكر ويصير الظاهر  
من معاني القرآن قوت  
النفس فالنفس للطمعة  
متوسمة بمعاي القرآن  
عن حديقها لكونها  
معاني ظاهرة متوجبة  
إلى عالم الحسنة  
والشهادة فتصرب  
مناسبتها من النفس

وطماح وكفاقي ما بنيت الأرض آيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الأرض  
 أحد أغنى مني. وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام إلى فرعون  
 قال لا يروعنك إلهه الذي ليس من الدنيا فإن ناصيته يدي ليس ينطق ولا يطفرف ولا يتنفس  
 إلا بأذى ولا يمينك ما معتم به منها فأما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة للترفين فلو شئت أن أزيحك  
 بزينة من الدنيا يصر فرعون حين رآها أن قدرته تصير مما أوتيتا فقلت ولكني أرغب سكا  
 عن ذلك فأزوي ذلك عنك وكذلك أهل بأوليائي إلى لأدوم عن نعيمها كما يلود الراعي الشفيق  
 غنمه عن مراعي الهلكة وإلى لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن ننازل الفرة وما ذاك  
 لمواظبه على ولكن ليستكملوا نصيبهم كرامق سالما موغرا إنما يزين لي أوليائي بالذل والخوف  
 والخضوع والتقوى تبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون وديارهم الذي يظهرون  
 وضيقهم الذي يستمترون ونجاتهم التي بها يؤزون ورجاؤهم الذي يملكون ومجدهم الذي يفتخرون  
 وسياهم التي بها يبرفون فإذا لقيتهم فاختف لهم جناحك وذلك لهم قلبك ولسانك واعلم أن من أخاف على  
 وليا قد بارزى بالمخاربة ثم أنا التأثير يوم القيامة. وخطب على كرم الله وجهه يوم ما خطب قال فيها:  
 اعلموا أنكم ميتون وميعونون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزون بها فلا تترك  
 الحياة الدنيا قائما بالبلاد مخوفة وبالقضاء معروفة وبالقدر موصوفة وكل ما فيها إلى زوال وهي بين  
 أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها زلها. بينا أهلها منها في رخاوس وروادف  
 منها في بلاد وغرور أحوال غشقة وتراوت منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما  
 أهلها فيها أفراس مستهدة ترميهم بسهامها وتضميهم بحماها وكل حثفه فيها مقدور وحظه فيها  
 موفور. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى من كان أطول  
 منكم أمهرا وأشد منكم بطشا وأجبر ديارا وأبعد آثارا أصبحت أسوأهم هامة خادمتهم بعد طول  
 تعلقها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم طافية واستبدلوا بالقصور للبيدة والسرر  
 والمارق للمهدة الصفور والأحجار للسنديق القبور اللطخة للحمدة فلعلمها مقرب حواسها مقرب  
 بين أهل عمارة موحشين وأهل حلة متشاغلين لا يستأنسون بالمران ولا يتواصلون أوصل الجيران  
 والإخوان على ما بينهم من قرب السكان والجوار ودنو النار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طعنهم  
 بكل كسله البلاء وكلهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتا وبعد فضاة العيش رفقا تلج بهم  
 الأحباب وسكنوا تحت التراب وظنوا فليس لهم إياب هيئات هيئات - كلا إنما كلمة هو فأنزلوا ومن  
 ورائهم برزخ إلى يوم يحشون - فكان قد صرتم إلى ماساروا إليه من البلاء الوحدة في ديار اللثوى  
 وارتفعت في ذلك الضجع وضمت ذلك للتودع فكيف بكم لو طاعتكم الأمور وبشرت القبور وحصل  
 مالى الصدور وأوقمت لتفصيل بين يدي تلك الجليل فطارت القلوب لإفهامها من سائق الذنوب  
 وهتكت عنك الحجب والأسرار وظهرت منكم السيوب والأسرار هناك تجزى كل نفس بما  
 كسبت إن الله عز وجل يقول - ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى -  
 وقال تعالى - ووضعت الكتاب قبرى المجرمين مشفقين مما فيه - الآية جلنا الله وليا كما ملين بكتابه  
 متبعين لأوليائه حتى جلنا ولياكم دار للقائمة من فضله إنه حميد مجيد. وقال بعض الحكماء: الأيام  
 سهام والناس أغراض والدمع يرمى كل يوم يساهمه ويخترمك ببالية وأيامه حتى يسترق جميع  
 أجزائك فكيف جاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة القبال في يدك لو كشف لك عما أحدثت  
 الأيام فيك من النفس لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستقلت عمر الساعة بك ولو لكن تدبر الله

للكوة لاقامة رسم  
 الحكمة ومعاني القرائن  
 الباطنة التي يكشف بها  
 من للكنوت قوت  
 القلب وخلص الروح  
 للتدسس إلى أوائل  
 سرادقات الجبروت  
 بمطالعة عظيمة للتكلم  
 ومثل هذه المطالعة  
 يكون كالاستغراق  
 في ليج الأشواق كما  
 قل عن مسلم بن يسار  
 أنه صلى ذات يوم في  
 مسجد البصرة فوقف  
 أسطوانة تسمع  
 يفتوحها أهل السوق  
 وهو واقف في الصلاة لم  
 يعلم بذلك ثم إذا أراد  
 أن يركع فحصل بين  
 القراءة والركع ثم  
 يركع منطوي القائمة  
 والنصف الأسفل بحاله  
 في القيام من غير انطواء  
 بالركعتين ويجافي



فوق تدبير الاعتبار وبالسوا عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من الملمات إذ انجذب بالحكم  
وقد أعيت الواصف ليوبها بظواهر أضلالها وما تأتي به من الصائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم  
أرعدنا إلى الصواب . وقال بعض الحكماء : وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال : الدنيا وقتك الذي  
يرجع إليك فيه طرفك لأن ماضى عنك قد فاكك لإدراكه وما لم يأت فلا علم لك به واليه يوم مقبل  
تتساءل ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتيقن والتمسك بالله وموكل بقتنشت الجاعات  
واغتراف الشمل وتقتل الدول والأمل طويل والمرر قصير وإلى الله نصير الأمور . وخطب عمر بن  
عبد العزيز رحمه الله عليه فقال : يا أيها الناس إنكم خلقتن لأمر إن كنتم تصدقون به فانكم حق  
وإن كنتم تكذبون به فانكم هلكن إنما خلقتن للأبد ولكنكم من دار إلى دار تتقنون عباد الله  
إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص . ومن شرابكم شرقة لا تصفونكم نعمة ترون بها الإغراق  
أخرى تسكرون فراقها فأعمالوا لما أنتم صائرُونَ إليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء وزل . وقال على  
كرم الله وجهه في خطبته : أومسك بقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها  
لليلة أجسامكم وأنتم تريدون تعذيبها فأعما مثلكم ومثلا قتل قوم في سفر سلوكوا طرقاتهم  
قد قطعوه وأضوا إلى علم فسكاهم بلفوه وكم عسى أن يمرى المجرى حتى ينتهى إلى الناقية وكفى  
أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حيث يطلب حتى يارها فلا يجز عوالبها فاضرها فاه إلى انقطاع  
ولا تضرخوا بتاعها ونعماها فانه إلى زوال هيجت لطالب الدنيا وللت طلبه وغافل وليس بمغفل عنه  
وقال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والفرقة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم  
يرضا لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من  
فحتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وعزوا ما يلبي لبسوا من الثياب ما ستر  
العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بين أيها فانية وإلى الآخرة قائما  
باقية فزودوا من الدنيا كزاد الراكب غرخوا الدنيا وعمرخوا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة فقلوبهم  
ضلوا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم  
تبعوا قليلا وتسموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاكم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم .  
( بيان صفة الدنيا بالأمثلة )

اعلم أن الدنيا سرعة الفناء قرية الاقضاء تصد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء تنظر إليها فترها  
ما كنت مستقرة وهي سائرة سيرا عثيفا ومرحمة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لا يحس  
بحركتها فيطعن إليها وإنما يحس عند انقضائها ومثلها الظل فانه متحرك ساكن ، متحرك في  
الحقبة ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبرص الظاهر بل بالبرص الباطنة ولما ذكرت الدنيا  
عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال :

أحلام نوم أو كطل زائل إن اليبس بتلها لا يضيع

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يشتم كثيرا ويقول :

يا أهل لذات دنيا لا يقاء لها إن اضرارا بطل زائل حتى

وقيل إن هذا من قوله . ويقال إن أعرابيا نزل يقوم قدموا إليه طعاما فأكل ثم قام إلى ظل خيمة  
لهم فقام هناك فالتقوا الخيمة فأصابته الشمس فأتته قام وهو يقول :

ألا إنما الدنيا كطل نية ولا بد يوما أن ظلك زائل

وكذلك قيل : وإن اسرا دنياه أكبر هم لمستمك منها جهل غرور

مرقبه عن جنیه  
وبعد عنقه مع ظهره  
وبضع راحیه علی  
رکبته منشورة  
الأسابع . روى مصعب  
ابن سعد قال صليت إلى  
جنب سعد بن مالك  
فجلت يدي عن ركبتي  
وبين غلدي ولبتيهما  
فغروب يدي وقال  
اضرب بكفك على  
ركبتك وقال يا بني إنا  
كنا نعمل ذلك فأمرنا  
أن نغرب بالأكف  
على الركب ، ويقول :  
سبحان رب العظيم  
ثلاثا وهو أدنى الكمال  
والكمال أن يقول  
إحدى ضربة وما يأتي  
به من الصديقون بعد  
التحكن من الركوع  
ومن غير أن يخرج آخر  
ذلك بالرفع ورفعه يديه  
للكوع والرفع من

[ مثال آخر للدنيا من حيث التزوير بخيالها ثم الإفلاس منها بعد إغلائها ] أنشبه خيالات المنام وأستأثم الأحلام قال رسول الله ﷺ « الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون <sup>(١)</sup> » وقال يونس بن عبد ماسبيت خشي في الدنيا إلا كرجل تام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فيها فهو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس أيام فلذا ماتوا اتقيوا فلذا ليس بأيديهم شيء عار كقولهم فرحوا به . وقيل ليس الحكماء أي شيء أشبه بالدنيا قال أحلام النائم [ مثال آخر للدنيا في عدولتها لأهلها وإهلاكها ليئها ] اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أولا والتوصل إلى الإهلاك آخر وهي كاسرة تزين للخطباء حتى إذا نكسهم بهم وعقدتهم وقد روي أن عيسى عليه السلام كوعف بالدنيا فرأها في صورة هجوز هناء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لأحسبهم قال فكلمهم مات عنك أم كلمهم طلقك قالت بل كلمهم قلت فقال عيسى عليه السلام يؤمنا لأزواجك الباقين كيف لا يتبرون بأزواجك للساخنين كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر [ مثال آخر للدنيا في عاقلة ظاهرها لباطنها ] اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرار وهي شبه هجوز مزينة تخضع للناس بظاهرها فلذا تقفوا على باطنها وكشفوا التناع عن وجهها تتل لهم قبايعها فتدعوا على اتباعها وخجلوا من خضع عقولهم لها في الأغترار بظاهرها وقال الصادق ابن زياد رأيت في المنام هجوزا كبيرة منتصبة الجسد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها جثث ونظرت وتبعيت من نظرتهم إليها وإقبالها عليها قتلت لها وبك من أنت ؟ قالت أو ما تعرفني . قلت لأدري من أنت قالت أنا الدنيا قلت أعوذ بالله من شركك قالت إن أحببت أن تماد من شري فأبض الدم . وقال أبو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم هجوزا مشوهة مغطاة تصفق يديها وخلفها خلق يتبعونها بصفتون ويرقصون فلما كانت بهذا ألقابها قالت لو نظرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقبل إلى بغداد . وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤذي الدنيا يوم القيامة في صورة هجوز مغطاة زرقاء أنيابها بأداة مشوهة خلقها كتحرق على الحلاق فيقال لهم أنصرفون هذه يقولون نفوذنا بمن معرفتكم هذه الدنيا التي تاحرتم عليها بها خاطمتهم الأرحام وبها تحاسدتم وبها غضتم وغترتم ثم يخلف بها جهم فتنادي أي رب أين أنبيائي وأهليي فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها وقال الفضيل بلغني أن رجلا خرج روحه فلذا امرأة على قاعة الطريق عليها من كل زينة من الحلى والثياب وإذا بالمر بها أحد إلا جرحته فافذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس هجوز مغطاة زرقاء ممشاء قال قتلت أعوذ بالله منك قالت لا والله لا يبيدك الله من حق نفخس الدم قال قتلت من أنت ؟ قالت أنا الدنيا [ مثال آخر للدنيا وعمور الإنسان بها ] اعلم أن الأحوال ثلاثة : حالة لم تكن فيها هيئا وهي ما قبل وجودك إلى الأزل . وحالة لا تكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد . وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي ألبها ما تكفي الدنيا فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصر في سفر يبيد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « مالي والدنيا وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرقت له جيرة فقال تحت ظلي ساعة ثم راح وتركها <sup>(٢)</sup> » ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها

(١) حديث الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون لم أجده أصلا (٢) حديث مالي ولادنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود نحوه ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس .

الركوع ويكون في ركوعه ناظرا نحو قدميه فهو أقرب إلى الخسوع من النظر إلى موضع السجود وإنما ينظر إلى موضع سجوده في قيامه ويقول بعد التسبيح : اللهم لك ركنك ولك خضعت وبك آمنت ولك أسلمت خضع لك سمى وبصرى وعظمى وعنى وحصى ويكون قلبه في الركوع متصفا بحصى الركوع من التواضع والإخبات ثم يرفع رأسه قائلا مع الله لمن حمد طالما بقلبه ما يقول فلذا استوى قائما بحمد ويقول : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت

وَمِثَالُ كَيْفَ انْضَمَّتْ أُمَمُهُ فِي حَرِّ وَضِيقِ أَوَّلِي سَعَةِ وَرَهَابِهِ بِأَلْبَانِي لَيْتَهُ لِي لَيْتَهُ وَتَوَتَّى رَسُولَهُ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا وَضَعَ لَيْتَهُ لَيْتَهُ وَلَاصِقَةً عَلَى قَبْرِهِ (١) وَرَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ يَتَنَبَّأَنُ مِنْ جِئِ  
قَوْلٍ : «رَأَى الْأَمْسَى أَهْلُكُمْ هَذَا أَوْ كَرَّكَ» (٢) وَإِلَى هَذَا أَشَارَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ الدُّنْيَا  
قَطْرَةٌ تَابِعُوهَا وَلَا تَتَمَرَّوْهَا وَهُوَ مِثَالُ وَاسْتَحْثَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِمِثَالِ الْآخِرَةِ وَتَوَلَّاهُوهَا لِلدُّنْيَا أَوَّلِي  
مِنَ الْفَنَظَرَةِ وَالْآخِرُ هُوَ لِلدُّنْيَا وَبَيْنَهُمَا سَافَةٌ عَدُودَةٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَطَعَ نَصْفَ الْقَنْطَرَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
قَطَعَ ثَلَاثًا وَمِنْهُمْ قَطَعَ ثَلَاثِيهَا وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَلْمِزْ فِي الْإِخْلَاقَةِ وَاحِدَةً وَهُوَ غَافِلٌ مَا يَوْكُفُ مَا كَانَ قَلَابِدَهُ مِنْ  
الْبُيُورِ وَالْبِنَاءِ فِي الْفَنَظَرَةِ وَتَرْبِيَّتِهَا أَصْنَافٌ أَرْبَعَةٌ وَأَوْتَمَرُ عَابِرٌ عَلَيْهَا غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْخَذَلَانِ [مِثَالُ الْآخِرِ  
لِلدُّنْيَا فِي لَيْتِ مَوْرَدِهَا وَخَشَوْتُهُ مَعْدِيرُهَا] أَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ الدُّنْيَا تَبْدُو هَيْئَةً لَيْتَهُ يَنْتَظِرُ الْخُسْفَانُ فِيهَا أَنْ  
حَلَاوَةً خَفَضَهَا كَحَلَاوَةِ الْخُفُوفِ فِيهَا وَهِيَ بَاتٌ لَأَنَّ الْخُفُوفَ فِي الدُّنْيَا سَهْلٌ وَالْخُرُوجُ مِنْهَا مَعَ السَّلَامَةِ  
شَدِيدٌ وَقَدْ كَتَبَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى سَلْمَانَ الْقَارِصِيِّ بِشَيْءٍ خَالِفِ الْمَثَلِ الدُّنْيَا لِلْحَيَاةِ نِجَاسٌ سَبَّاهُ وَقَتْلُ  
بِهَا فَأَعْرَضَ عَمَّا يَجِبُكَ مِنْهَا قَلِيلًا مَا يَصْجِدُكَ مِنْهَا وَضَعْتُكَ هُمُومًا بِمَا أَقْبَتَتْ مِنْ فِرَاقِهَا وَكَانَ أَسْرَ  
مَا تَكُونُ فِيهَا أَضْعَفُ مَا تَكُونُ لَهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَالْإِنْسَانِ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ تُخْصِصُهُ عَنْكُمْ وَرُوحَهُ السَّلَامَ  
[مِثَالُ آخِرِ الدُّنْيَا فِي قَدَرِ الْخِلَاصِ مِنْ تَبَيُّنِهَا بِمَدِّ الْخُفُوفِ فِيهَا] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَيَمَّا  
مِثْلُ صَاحِبِ الدُّنْيَا كَالْمَاثِي فِي اللَّيَالِي يَسْتَطِيعُ الَّذِي يَتَّبِعُ فِي لَيْلَاءِ لَيْتِهِ لَيْتَهُ لَيْتَهُ] (٣) وَهَذَا يَرُفَقُ  
بِجَهْلَةِ قَوْمٍ قَتَلُوا أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ فِي نَعْمِ الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ وَقَوْمُهُمْ مِنْهَا بِطَرَفٍ وَرُوحَهُمَا قَاعًا عَنْ رُوحَهُمْ مُنْقَلِقَةً  
وَذَلِكَ مَكِيدَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ بِأَنَّ لَوَاحِجًا عَامًّا فِيهِ لَكَانُوا مِنْ أَكْثَرِ النَّجَسِينَ بِفِرَاقِهَا فَكَانَ النَّاسُ  
عَلَى اللَّيَالِي يَتَّبِعُونَ بِهَا لَاحِظَةً يَلْتَصِقُ بِهَا قَلْبُهُمْ فَكَذَلِكَ مَلَابِسُ الدُّنْيَا تَحْتَضِي عِلَاقَةً وَظِلَّةً فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ  
عِلَاقَةَ الدُّنْيَا مَعَ الْقَلْبِ تَنْتَعِ حَلَاوَةُ الْبَيَادَةِ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ كَيْ يَنْتَظِرُ الرِّضَى إِلَى  
الطَّعَامِ فَلَا يَبْدُو مِنْ هَذِهِ الْوَجْعِ كَذَلِكَ صَاحِبُ الدُّنْيَا لَا يَلْتَذُّ بِالْبَيَادَةِ وَلَا يَجِدُ حَلَاوَتَهَا مَعَ مَا يَجِدُ  
مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَبِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ إِنَّ الدَّابَّةَ إِذَا لَمْ تَرْكَبْ وَتَعْمَلْ نَصَبَ وَتَبْتَغِ خَلْقَهَا كَذَلِكَ الْقَالِبُ  
إِذَا لَمْ تَرْفُقْ بِذِكْرِ لَوْتِ وَنَصَبِ الْبَيَادَةِ تَهْوُو وَتَقْلَقُ وَبِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ إِنَّ الرَّاغِبَ إِلَى مَالٍ يَنْفَرُ إِلَى أَوْجَعٍ  
يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ وَهَاءَ لَعَلَّ كَذَلِكَ الْقَالِبُ مَا لَمْ تَخْرِقْهَا التَّهَوُّاتِ أَوْ يَدْنِسَهَا الطَّمَعُ أَوْ يَتَسَبَّبَ النَّعْمُ  
فَسَوْفَ تَكُونُ أَوْعِيَةً لِلْحَكْمَةِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَيَمَّا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِلَاءٌ وَقَتَّةٌ وَيَمَّا  
مِثْلُ حَمَلٍ أَحَدُكُمْ كَيْتَلُ الْوَعَاءَ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإِذَا خِثَّ أَعْلَاهُ خِثَّ أَسْفَلُهُ] (٤) [مِثَالُ  
آخِرِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَقَتْلَهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَمِثْلُ هَذِهِ الدُّنْيَا  
مِثْلُ تَوْبٍ شَقِيقٍ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَبَقِيَ مُتَقَلِّبًا مِثْلَ خِطِّ آخِرِهِ فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخِطُّ أَنْ يَنْقَطَعَ] (٥)

من ثم يهدى بهم يقول  
أهل الثناء والحمد  
سبح مآل الله ربنا  
لك عبد لا مانع لما  
أعطيت ولا معسر لما  
منعت ولا ينفع  
هذا منك الجذبان  
أطال في النافعة القيام  
بعد الرغز من الركوع  
فقل لرب الحمد  
مكررا ذلك مهاماه  
فأما في الفرض فلا  
يطول تطويلا يزيد  
على الحد زيادة يئنة  
ويستعفى في الرغز من  
الركوع بنام الاعتدال  
فكلمة الصلابة ورد  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أنه قال  
ولا يضر الله شيء من  
لا يقيم عليه بين  
الركوع والسجود  
ثم يهوي ساجدا  
ويكون في هويته كبرا

(١) حديث ما وضع لينة في لبنة الحديث ابن حبان في الثقات والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا دينكم بالهلع والعجلة فقلت يا رسول الله كأنني مريض فماذا أفعل فقال لي يا أبا عبد الله إنك رجل عاقل فليكن لك نصيب من ذلك يعني أن ينظر إلى النظر إلى أمثله صاحب مشعر لم يضع لينة على لبنة الحديث (٢) حديث رأى بعض أصحابي بيني وبيننا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا أبو داود والترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وقال حسن صحيح (٣) حديث إسماعيل صاحب الدنيا كمثل اللآتي في الماء الحديث ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من رواية الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلذلك روي عنه البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس (٤) حديث إنما يمي من الدنيا بلاء وقتة الحديث ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات (٥) حديث مثل هذه الدنيا كمثل ثوب خرق من أوله إلى آخره أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب اليعمان من حديث أنس بسند ضعيف.

[مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك] قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله [مثال آخر لحالة آخر الدنيا أولها ولتناشئة أولها وخبت عواقبها] اعلم أن شهوات الدنيا في القلب قليلة كشهوات الأطعمة في المعدة وسجدة العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من السكراة والبن والقبح ما يجده لا طعامه اللذيذة إذا بانست في المعدة عايرًا وكذا أن الطعام كلما كان الله طعاما أكثر دساوا ظهر حلاوة كان رجسه أقدر وأشد تنافسًا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى والد أقوى فتتها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة فإن من نسيته داره وأخذ أهله وماله وولده فتكون مصيبته والمعوضه في كل ما قد قدر قدرته به وجهه له وحرمه عليه فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده والد فهو عند التقدير أشهى وأمر ولا معنى للموت إلا قد ماتي الدنيا وقد روى «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحك بن سفيان الكلاني: أأست توثي بطعامك وقد ملع وقرح ثم تشرب عليه ابن ولدا قال بل قال فلان يسير قال إلى ما قد علمت يا رسول الله قال الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم» (١) وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قدسه وملكه إلام يسير» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثالا وإن قرح حمله» (٣) وقال الحسن قد رأيته يطبونه بالأقاويه والطيب ثم رمونه به حيث رأيتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الإنسان إلى طعامه قال ابن عباس إلى رجيته وقال رجل لابن عمر إن أردنا أن نأكل وأنتجي قال فلا تستحي واسأل قال إذا قضى أحدنا حاجته قدام ينظر إلى ذلك منه قال نعم إن ذلك يقول الله عز وجل فلينظر إلى ما غلبت به انظر إلى ما ذا صار . وكان ضرب كعب قوله انطلقوا حتى أرىكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعصائهم وحجهم [مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما الدنيا إلا كمثل ما يجمل أحدكم أصبعه في البم فلينظر أحدكم يرجع إليه» (٤) [مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها] اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فاشتبه بهم إلى جزيرة فأمرهم للراح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم للتعلم وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة قضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف للسكان خالا فأخذ أوسع الأماكن وألينا وأوقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها الصبية وغياضها للفتنة وتغامت طيورها العلية وألحائها للوزونة الترية وصار يلطم من ربتها أحجارها وجوارحها ومادتها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة للنظر الصبية النقوش السالبة أعين الناظرين

(١) حديث أنه قال للضحك بن سفيان الكلاني أأست توثي بطعامك وقد ملع وقرح فخرج الحديث وفيه قال الله ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم أحمد والطبراني من حديثه بنحوه وفيه على بن زيد بن جهمان مختلف فيه (٢) حديث أبي بن كعب إن الدنيا ضربت مثلا لابن آدم الحديث الطبراني وابن جبان يلفظ إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا ورواه عبيد الله بن أحمد في زياداته يلفظ جبل (٣) حديث إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلا وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلا الحديث الشطر الأول منه غريب والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان إن الله ضرب ما يخرج من بني آدم مثلا للدنيا (٤) حديث ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجمل أحدكم أصبعه في البم فلينظر به يرجع إليه مسلم من حديث التستور بن شداد .

مستقيظا حاضرا خاشعا  
علما بما يهوى فيه  
وإليه وله من  
الساجدين من يكشف  
أنه يهوى إلى تخوم  
الأرضين متشبا في  
أجزاء تلك لامتلاء  
قلبه من الخياء  
واستثمار روحه عظيم  
الكبرياء كما ورد أن  
جبرائيل عليه السلام  
تسترها فيه من جناحه  
حياء من الله تعالى .  
ومن الساجدين من  
يكشف أنه يملو  
بسجوده بساط  
الضخون ولللكان  
ويسرح قلبه في فضاء  
الكشف والبيان  
قهوى دون هوى  
أطباق السموات  
وتسمى قوة شهوة  
تماثيل الكائنات  
ويسجد على طرف

بحسن زرعها وعجب صورها ثم تنبه لخطر قوات السفينة فرحس إليها فلم يصادف إلا مكانا شيقا  
 حرجا فاستقر فيه وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإحلالها  
 فاستصحب منها جملة فلم يبعد في السفينة إلا مكانا شيقا وزاده ماحله من الحجارة شيقا وصار يميل عليه  
 ووالا قدم على أخذه ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على  
 أخذه وليس ينفعه التأسف وبعضهم توجع التياض ونسى للركب وبعد في متفرجه ومنزعه منه حتى  
 لم يبقته نداه للراح لاستغاله بأكل تلك الثمار واستنجام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأحجار وهو  
 مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خائف من السقطات والتكبات ولا منفك عن خوف ينشب بياها  
 وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفرح منه وعوسج يحرق ثيابه ويهتك  
 عورتها ويمنعه من الانصراف لو أراد فلما بلغته نداه أهل السفينة انصرف متقلبا بما سمع ولم يجد  
 ركب موضعا بقي في الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يملكه النداء وسارت السفينة فيهم من اقترنت  
 السباع ومنهم من تاه فقام على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الأوحال ومنهم من نهشت الحيات  
 ففترقا كالخيف للفتنة ، وأما من وصل إلى الركب بقل ما أخذه من الأزهار والأحجار فقد استرقت  
 وشغله الحزن وعظفها والخوف من قوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذلت تلك الأزهار وكنت  
 تلك الألوان والأحجار فظهرت رثاها فصارت مع كونهما ضيقة عليه مؤذية بنتها وحشتها فلم يجد  
 حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربا منها وقد أثر فيه ما أكل منها فبرئت إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه  
 الأقيام بظلم الروائح فبلغ سبيا مدبرا ومن رجع قريبا ماله إلا سعة الملل فتأذى بشيق الكلالمة  
 ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولا وجد الكلالمة الأوسع ووصل إلى الوطن سالما فهذا  
 حال أهل الدنيا في اشتغالهم بمخلوطهم العاجلة ونسيانهم مودهم وصدمهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم  
 وما أقبح من يزعم أنه يسير عاقل أن تحرق أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وحشيش التبت وهي زينة  
 الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يسير كلا وبوالا عليه وهو في الحال شاعل بالحرز  
 والحوف عليه وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل [مثال آخر لا يفتقر إلى الخلق بالدنيا ومنصف  
 إيمانهم] قال الحسن رحمه الله بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مثل ومثلكم  
 ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها كثيرا وما بقي أهواؤهم إلا  
 وخسروا الظهر ويحوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حيلة فأقنعوا بالملك فبيناهم كذلك إذ خرج  
 عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا هذا قريب عهد بربف وما جاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى  
 إليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال علام أنتم تقولون على ما ترى فقال أرايت إن هديتكم إلى ماء رواء  
 ورياض خضر ما تعلمون ؟ قالوا لا نصيبك شيئا قال عهدكم ومواثيقكم بالله فأعطوه عهدكم ومواثيقكم  
 بالله لا يصحبه شيئا قال فأوردكم ماء رواء ورياضا خضرا فكشك فيهم مشاء الله ثم قال يا هؤلاء  
 يا هذا قالوا الرجل قال إلى أين قالوا إلى ماء ليس كالصبي وإلى رياض ليست كرياضكم قالوا كثرتم  
 والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أننا لن نجد وما تصنع بجيش خير من هذا وقالوا طاعتهم أم ظلمهم أم تسخطوا  
 هذا الرجل عهدكم ومواثيقكم بالله أن لا تصوه شيئا وقد صدقكم في أول حديثه فوالله لا يسدقكم  
 في آخره فراح فيمن اتبعوه وخلف بقتهم فبدرهم عدو فأصبحوا بين أسير وقيل [مثال آخر لستم

رداء العظمة وذلك  
 أنصى ما ينسب إليه  
 طائر الهمة البشرية  
 وتقي بالوصول إليه  
 القوى الانسانية  
 ويضاهي الأنبياء  
 والأولياء في مراتب  
 العظمة واستنصار  
 كنهها لكل منهم على  
 قدره حظ من ذلك  
 وفوق كل ذي علم عليم  
 ومن الساجدين من  
 يتبع وطؤه ويتكسر  
 ضياله وعظمى  
 بالصفين ويبسط  
 الجناحين فيتواضع  
 قبله إجلالا وبرفع  
 بروحه إكراما وإفضالا  
 فيجتمع له الأنس  
 والمهية والخشوع  
 واليقين والقرار والقرار  
 والإسمرار والمجاهار  
 فيكون في سجوده  
 ساجدا في بحر شهوده

(١) حديث الحسن بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه [إنما مثل ومثلكم ومثل  
 الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء الحديث ابن أبي الدنيا حكى بطوله لأحمد والبراء والطبراني من  
 حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فبا برى التائب ملكان الحديث وفيه قال

الانس بالدنيا ثم ضجهم على فراها [ اعلم ان مثل الناس فيا أطول من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزرنا وهو يدعو إلى داره على الترتيب يوما واحدا بعد واحد فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ووراحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا يملكه وبأخذه لجهل ربحه وظن أنه قد وهب ذلك منه فخلق به قلبه لما ظن أنه له فلما استرجع منه ضجر وضجع ومن كان طالبا ربحه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانسراح صدر وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيقة سبيلت على المختارين لاني للتعيين ليزودوا منها ويتفموا بما فيها كما ينتفع للساغفون بالمواري ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراغها فهذه أمثلة الدنيا وآفاتا وغوائلها نسأل الله تعالى العتاف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

### ( بيان حقيقة الدنيا وما هيها في حق العبد )

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لأنتك ذلك مالم تحرف الدنيا للذمومة ما هي أو ما الذي ينبغي أن يجنب منها وما الذي لا يجنب فلا بد وأن تبين الدنيا للذمومة للأدور بجنباتها لكونها عدة قطعة للطريق إلى الهامى فنقول دنياك وأخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ذاتين الأولى دنيا هوكل ما قبل الموت ولتأخرى للتأخر يسمى آخرتوهوما بعد الموت فكل مالك فيمضو نصيب وغرض وشهوة ولقد عاجل الحال قبل الوفاة ففى الدنيا في حرك إلا أن جميع مالك إلى الميل وفيه نصيب وحظ فليس بضموم بل هو ثلاثة أقسام . القسم الأول : ما يصيبك في الآخرة توتق بمك غره بعد الموت وهو شيان العلم والمعلم فقط وأنى العلم بالله وصفاته وأفعاله وملاكته وكتبه ورسده وملكوته أرضه وسماه والعلم بشريعة نبيه وأنى بالعمل البائدة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنى العالم بالعلم حتى يصير ذلك أحد الأشياء عنده فيهر النوم والطعم والتكع في لله لأنه أجهى عنده من جميع ذلك قد صار حقا عاجلا في الدنيا ولكننا إذا ذكرنا الدنيا للذمومة لم نعد هذان الدنيا أصلا بل لنا إيمان الآخرة وكذلك العابد قد يأنى بعبادته فيستلها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما أخف من الموت إلا من حيث يحول بين وبين قيام الليل وكان آخر قوله اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلاة عنده من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكننا لساننا بالدنيا للذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم « حب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرعة عني في الصلاة » (١) فيصل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وكذلك كل ما يدخل في الحس والشهادة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا واتخذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنعما يكون في الدنيا فذلك أسأفنا إلى الدنيا إلا أن السأف في هذا الكتاب تعرض إلا للدنيا للذمومة فتقول هذه ليست من الدنيا . القسم الثاني . وهو التقابل على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولائمة له في الآخرة أصلا كاللذة بالمعاصي وكل ما ألتزم بالمحبات الإرفادة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة القاهية والوعايات كالتمسك بالقناطر للتنظر من الذهب والنضة والحيل للومة والأنعام والحراث واللسان والجواري والحلول واللواشى والتصور والدور ورفع الثياب والذلة الأعلمة فخط العبد من هذا كله هي الدنيا للذمومة وفيها بعد فضول أو في عمل الحاجة نظر طويل إذ روى عن عمر رضى الله عنه أنه استعمل أبا الدداه على حصص فأنخذ كتبنا فحق أى أحد للسكين إن مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر اشبهوا إلى مفازة قد فكر نحو أخسر منه وليسأله حسن (١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرعة عني في الصلاة للسأف والمالك من حديث أنس دون قوله ثلاث وتقدم في النكاح .

لم يتخلف منه عن السجود شعرة كإفاله سيد البشر في سجدوه مسجد لك سواذى وخيال - وهه مسجد من في السموات والأرض طوتا وكراهه الطوبى لروح والقلب لما فيها من الأعلى والكبره من النفس لما فيها من الأجنية ويقول في سجدوه : سبحان ربى الأعلى ثلاثا إلى الضم الذى هو الكمال ويكون في السجود مفتوح العينين لأهسما يسجدان وفي الموى يضع ركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأهه ويكون ناظرا نحو أربعة أهه في السجود فهو أبلغ في الخشوع لسايد ويأشر بكنيته للصل

عليه درمحين فكتب إليه عمر من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمر بن عبد العزيز كان ذلك في عام ثمان وأربعين  
ماتتني في عن عمر بن الدنيا حين أرا الله خرابها فإذا أتاك كتابي هذا فاستفسر تلك إلى دمشق أنت وأهلك  
فمن يزل بها حق مات فهذا رأي فضولا من الدنيا تأمل فيه. القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل من  
حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر التوفيق من الطعام والقميص الواحد الخش وكل ما لا يد  
منه لئلا يأنس البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول  
لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فربما تناوله البعد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل  
لا يمكن به متاولا لدنيا ولم يصبر به من أبناء الدنيا وإن كان باعته الحظ العاجل دون الاستعانة  
على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جهة الدنيا ولا يبقى مع البعد عند الموت إلا ثلاث صفات مفاد  
أقلب أعني طهارته عن الأدناس وأنه يذكر الله تعالى وجهه عز وجل وسفاه القلب وطهارته  
لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والورابة عليه  
والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ولا يحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي للنجاة  
للسعداء بعد الموت. أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من النجاة إذ تكون جنة بين  
البعد وبين عذاب الله كما ورد في الأخبار وإن أعمال البعد تتاحل عنه فإذا جاء العذاب من قبله جلي  
جاء قيام الليل يدفع عنه وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه (١) الحديث وما أمال الأنس  
والحب فيها من السعداء وما موصلا البعد إلى لذة اللقاء وللشاهدة وهذه السعادة تتجلى غيب  
الوثن إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر  
عليه روضة من رياض الجنة لم يكن له إلا محبوب واحد وكانت المواقف تسوقه عن دوا المأس بدوام  
ذكره ومطالبة جهالة فارقت المواقف وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبه بهتم بهتم عليه مسرورا  
سليا من اللواتع آتينا من المواقف وكيف لا يكون عيب الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب  
إلا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الخلية في الرجوع إليه ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحب الدنيا وقد رمى على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة والواظب على  
أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الفكر والفكر والعمل الذي يطمع به عن شهوات الدنيا ويضئ إليه  
ملاذها ويغطفه عنها وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تتل إلا بقوت ومليح ومسكن  
ومحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذته العبد من الدنيا الآخرة لم  
يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس على قصد التتم  
صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يمرض صاحبه  
لعذاب الآخرة ويسمى ذلك حراما وإلى ما يجوز بينه وبين المهرجات الملا ويمر منه طول الحساب  
ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم أن طول الوقت في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أضاع عذاب الله  
نوقس الحساب عذب (٢) إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرامها عذاب» (٣)

(١) حديث مناسلة أعمال البعد عنه فإذا جاء العذاب من قبله رجلى جاء قيام الليل فدفع عنه الحديث  
الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله وفيه خالد بن عبد الرحمن الخزوي ضمه البخاري  
وأبو حاتم ولأحمد من حديث أساء بنت أبي بكر إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا حزن به عمله  
الصلاة والصيام الحديث وإنسانه صحيح (٢) حديث من نوقس الحساب عذب مثق عليه من  
حديث عائشة (٣) حديث حلالها حساب وحرامها عذاب ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه

ولا يقفها في القوب  
ويكون رأسه بين  
كفيه وبده حذو  
منكبيه غير آتامن  
ومتيسر بهاء وبزول  
بصد التيسيع: اللهم  
لك مجدت وبك  
آمنت ولك أسلت  
سجد وجهي لذي  
خلقته وصوره وحق  
سمه وبصره تبارك  
الله أحسن الخالقين.  
وروي أمير المؤمنين  
على رضى الله عنه «إن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم كان يقول في  
سجوده ذلك» وإن قال  
سبوح قدوس رب  
اللائكة والروح حسن  
روت عائشة رضى الله  
عنها أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم كان  
يقول في سجوده ذلك  
ويحاني مرهقه عن

وقد قال أيضا: حلالها عذاب. لأنه إذا عذاب أخضع من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما خوت من الدرجات العلا في الجنة وما يرد على القلب من التضرع على تضرعها لحظوظ حقيقة خسية لا ينام لها هو أيضا عذاب وقس به حاله في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتطعم قلبك عليها حسرات مع عكسك بأنها سعادات متصرفة لآتيها لها ومنصبة بكدورات لاصفاد لها فما حاله في قوات سمادة لا يحيط الوصف بطنينها وتتقطع النهور دون غايتها فكل من تم في الدنيا ولو بسجع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة أضاعه وهو لما في بقوله صلى الله عليه وسلم لمرضى الله عنه وهذا من التيمم الذي تستل عنه (١) : فإشبهه إلى الساء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك من خصائص الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه عز وجل أعني حسان حين كان يعطش فمرض عليه ماء بارد يصل فأدركه في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا لها كثير حرامها وحلالها ملوثة إلا ما أمان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأخف كان حظه من نعيم الدنيا أشد حتى إن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما تم مراده لم يمتلئ به إبليس وقال رغبت في الدنيا وحتى إن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لئلا تذلل أطمعه وهو يأكل خبز الشعير فجعل ذلك على نفسه بهذا الطريق امتنا وعبدتنا الصبر عن لذات الأطمعه مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روى أن الله تعالى «زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوى أياما» (٢) «وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع» (٣) ولهذا سئل الله البلاء والهن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل كل ذلك نظرا لهم وامتناناً عليهم ليتوفروا من الآخرة عظمهم كما يمنع الله الشقي ولعله لما قالوا أنه ويلكم أيا الصدوق الجاهل شفقة عليه ووجها لئلا يغلب عليه وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو في ذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله. فأقول الأشياء ثلاثة أقسام: منها ما لا يتصور أن يكون لله وهو الذي جبر عنه بالماضي والمختورات وأنواع التبعات في الباحات وهي الدنيا الهشة الذميمة القبيحة الدنيا سورة ومعنى ومنها ما صورته لله ويمكن أن يحصل لغيره فهو ثلاثة النكر والذكر والسكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة إذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي قد ليست من الدنيا وإن كان القرض من النكر طلب العلم للتعرف به وطلب النبوة بين الخلق بأظهار المعرفة أو كان القرض من ترك الشهوة حفظ للسل أو الحمية لصحة البدن والاشتهار بالزهد فقد صار هذان الدنيا بالتي وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله وذلك كالأكل والشكح وكل ما يرتبط به مجاؤه وقامه ليدفن كان القصد حفظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة بعمل التقوى فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم «من طلب الدنيا حلالا مكارها مفاخر ألقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استغافا فغن للساءة موقوقا على حق» بن أبي طالب يستند منتقع يلتقط حرامها النار ولم أجده مرفوعا (١) حديث هذا من التيمم الذي تستل عنه جهم في الأطمعة (٢) حديث زوى الله الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوى أياما محمد بن خفيف في شرف القراء من حديث عمر بن الخطاب قال قلت يا رسول الله عيبا لمن بسط الله لهم الدنيا وزولها عنك الحديث وهو من طريق إسحاق معنضا واقرئني وابن ماجه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالي للتابية طائوا وأمله الحديث قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث كان يشد الحجر على بطنه من الجوع جهم .

جنبيه ويوجه أصابعه في السجود نحو القبلة وضم أصابع كفيه مع الأبهام ولا يفرض ذراعيه على الأرض ثم يرفع رأسه ويكبرها ويجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى موحها بالأصابع إلى القبلة ويضع اليدين على الفخذين من غير تكافف لمهما وتفرجهما ويقول : رب اغفر لي وارحمي واحسن لي واجبرني ووافني واعف عني ولا تبطل هسله الجلسة في القرضه أما في النافقة فلا بأس معها أطال قال لا رب اغفر وارحم مكررا ذلك ثم يسجد السجدة الثانية مكبرا ويكره الإصاقل القعود وهو ههنا أن يضع



وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر <sup>(١)</sup> فانظر كيف اختلف ذلك بالصدق اذا الدنيا حطت نفسك الساجد الذي لاحاجة اليه لأمر الآخرة ويمر عنه بهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى - ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي التأوى - وبجامع الهوى خسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرف ذلك، تمام الحياة الدنيا - قد عرفت أن كل ما هو في فليس من الدنيا وقد ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو في أن قصد به وجه الله والاستكثار منه تتم وهو لغير الله وبين التتم والضرورة درجة يمرعها بالحاجة ولها طرفان وأوسطة طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضرب أن الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف زاحم جانب التتم وقرب منه وبين أن يحد منه وبينهما وسائط متشابهة تهيئ حام حول الحى يوشك أن يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة تماماً يمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذا كانوا يريدون أنفسهم إلى حد الضرورة حتى لو أن يسألوا لقرئ كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تنقيته على نفسه فينزل له يتأذى باب دارهم فكان يأتي عليهم السنون الستة والثلاث لا يرون له وجهاً وكان يخرج أول الأذان ويأتي إلى منزله بعد المشاء الآخرة وكان طعامه أن يقطع التوى وكما أصاب حشفة ثيابها لإفطاره وإن لم يسب ما يقوته من الحشفة باع التوى ولفترى بشه ما يقوته وكان لباسه بما يتقطع من الزابل من قطع الأكسية فيفسلها في الفراش يلقى جنبها إلى بطن ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان ربما من الصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم يا إخوتاه إن كنتم ولا بد أن ترموني فارموني بأحجار صفار فاني أخاف أن تدعوا نفي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب للساء فيكذلك كانت سيرته ولقد عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره فقال « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن <sup>(٢)</sup> » إشارة إلى رحمه الله ولما دلى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أيها الناس من كان منكم من العراق فليتم قل قداموا فقال اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من مراد فجلسوا فقال اجلسوا إلا من كان من قرن فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً فقال له عمر أقرن أنت؟ فقال نعم فقال أنصرف أويس بن عامر القرنى فوفسه له ؟ فقال نعم وما ذاك فقال عنه يأمر المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا جن، نه ولا وحش منه ولا أدنى منه فيك عمر رضى الله عنه ثم قال ما قلت ما قلت إلا لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر <sup>(٣)</sup> » فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة فلم يكن لي هم إلا أن تطلب أويس القرنى وأسأل عنه حتى سمعت عليه جالساً على شاطئ القرات نصف النهار يتوضأ ويصل ثوبه قال ففرقه بالتمت الذى نمت لى فاذا رجل لحيم شديد الأمة ملحوى الرأس كتبت الحية متخبر جداً كره الوجه متعجب النظر قال

(١) حديث من طلب الدنيا حللاً مكارهاً مفارهاً لى الله وهو عليه غضبان الحديث أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أهله إلى أويس القرنى تقدم في قواعد العقائد لم أجده أصلاً (٣) حديث عمر يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر يريد أويسا وروثاه في جزء ابن المبارك من حديث أبي أمامة يدخل الجنة يشفاعه رجل من أمي أكثر من ربيعة ومضر ويسنده حسن وليس فيه ذكر لأويس بل في آخره فكان للشعبة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان.

إليه على عقبيه ثم إذا أراد التبوؤ إلى الركعة الثانية يجلس جلسة خفيفة للاستراحة ويضع يديه بقبلة الركعات هكذا ثم يقصد وفى الصلاة التمس للمراج وهو معراج القلوب والتشديد مقر الوصول بقطع مسافات الحيات على تدرج طبقات السموات والتحتيات سلام على رب البريات فليهن لما يقول وتأتى مع من يقول ويدرك مكيف يقول ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويخذه بين عيني قلبه ويسلم على عباد الله الصالحين فلا يلق عبد في السماء ولا فى الأرض من عباد الله إلا ويسلم عليه بالنسبة الروحية

دلت عليه فرد على السلام ونظر إلى ضلّ حياك الله من رجل ومددت يدي لأماطه فأبى أن  
يصالحي فقلت رحمك الله يا أبايوس وغفر لك كيف أنت رحمك الله ثم خففت العبرة من حيي إياه  
ورفقي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى قتال وأنت حياك الله يا هرم بن حيان كيف  
أنت يا أخي ومن ذلك على دلّ قالت الله قال لإياه إلا الله سبحانه الله - إن كان وعد ربنا لمفعولا -  
قال نعمت حين عرفني ولا والله ما رأيت قبل ذلك ولا رأي قبلت من أين عرفت اسمي واسم أبي  
وما رأيك قبل اليوم ؟ - قال بآني الطيب الخير - وعرفت رومي روحك حين كنت تضيء نفسك إن  
الأرواح لها أضيء كأضواء الأجساد وإن المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتعابون بروح الله وإن لم  
يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدهر وتفرقت بهم التنازل قال قلت حدثني رحمك الله  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحدث اسمه منك قال إن لم أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ولم تكن لي معه حبة بآني وأبى رسول الله ولكن رأيت رجلا قد صبوه وبلغني من حديثه كابلنك  
ولست أحب أن أقص على قبي هذا الباب أن أكون محدثا أو متفيا أو قاضيا في قبي شغل عن  
الناس يا هرم بن حيان فقلت يا أخي اقرأ على آية من القرآن أممها منك وانبع لي بدعوات وأوصني  
بوصية أحفظك عنك فاني أحبك قال الله حيا حديدا قال قلم وأخذ يدي على شاطئي الفرات ثم قال  
أعود بالله السبع الطيب من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال : قال ربي والحق قول ربي وأصدق  
الحديث حديث وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عين.  
ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون - حتى انتهى إلى قوله إنه هو العزيز الرحيم - فمشق شقعة  
ظننت أنه قد غشي عليه ثم قال يا ابن حيان مات أبوك حيان وبوذك أن تموت فلما إلى جنة وإما إلى  
نار ومات أبوك آدم ومات أمك حواء ومات نوح ومات إبراهيم خليل الرحمن ومات موسى نبي  
الرحمن ومات داود خليفة للرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وهو رسول رب العالمين  
ومات أبو بكر خليفة للمسلمين ومات عمر بن الخطاب أخي وصي ثم قال يا هرم يا هرم ما قال قلت رحمك  
الله إن عمر لم يمت قال قد ناه إلى ربي ونسي إلى قبي ثم قال أنا وأنت في اللقي كأنه قد كان ثم  
صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيقي إليك يا هرم بن حيان  
كتاب الله ونهج الصالحين للمؤمنين قد نفيت إلى قبي ونسك عليك بدكر لوت لا غارق قلبك  
طرفة عين ما بقيت وأندرك قومك إذا رجعت إليهم وانصع للأمة جميعا وإياك أن تشارك الجماعة في شرب  
خفارق دينك وأنت لا تعلم قد دخل النار يوم القيامة ادع إلى وتفسك ثم قال اللهم إن هذا يزعم  
أنه مجنى فيك وزلزلي من أجلك فرفني وجهي في الجنة وأدخله على في دارك دار السلام واحفظه  
مادام في الدنيا حيا كان وضم عليه شيعته وأرضه من الدنيا باليسير وما أعطيت من الدنيا فيفسره  
له بيسيرا واجعله لما أعطيت من نفاك من الشاكيرين واجزه عن خير الجزاء ثم قال استودعك الله  
يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تظنني فاني أكره  
الشهرة والوحدة أحب إلى من كثير الملم شديد التمس مع هؤلاء الناس ما تمت حيا فلا تسأل عني  
ولا تظنني واعلم أنك متى في بال وإني لم أرك ولم ترني فاذا كرني وانض لي فاصأذكرك وأدعوك  
إن شاء الله انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا فخرست أن أمشي معه ساعة فاني على وفارقه  
فبكي وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السلك ثم سألت عنه بعد ذلك لما وجدت أحدا  
يخبرني عنه بهرحمه الله وغفر له فكذلك كانت سيرة أبنائه الأئمة للرشحين عن الدنيا وقد عرفت  
عما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما ظلت له الحسراء وأقلته التبراه

والخاصة الفطرية ووضعه  
يده إلى على غنمه  
التي مقبوضة الأمايع  
إلا للسبعة وربع  
للسبعة في الشهادة في  
إلا الله لا في كلمة النفي  
ولا يرفها منصبة بل  
مائلة برأسها إلى التخذ  
منطوية فهذه هي  
خفوع السبعة ودليل  
سراية خفوع القلب  
إليها ويدعو في آخر  
صلاته لنفسه والمؤمنين  
وإن كان إماما ينبغي  
أن لا ينفرد بالصلاة بل  
يدهو لنفسه ولن  
وراه فان الامام للثبوت  
في الصلاة كجاء دخل  
على سلطان ووراه  
أصحاب الحوائج يسأل  
لهم ومرض حاجتهم  
وللمؤمنون كاليان  
يشد بعضه بعضا وهذا  
وصفهم الله تعالى في

إلا ما كان لله عز وجل من ذلك وحده الدنيا والآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى بما يؤخذ بقدر  
الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا ويثبت هذا بثال وهو أن الحاج  
إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بشيء الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل  
وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يثبت في بيته ولم يكن مشغولا بشيء الحج فكذلك البدن  
مركب النفس تقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك الطريق بالمع والعدل  
هو من الآخرة لا من الدنيا ، ثم إذا قصد تقلد البدن وتمسه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفا عن  
الآخرة ورمى على قلبه القسوة ذل الطناقى : كنت على باب بيت شية في المسجد الحرام سبعة أيام  
طاويا فسعدتني الآية الثامنة مناديا وأنا بين القنطة والنوم : ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج  
إليه أعمى الله عين قلبه فلما يبان حقيقة الدنيا في حقا فاعلم ذلك رعد إن شاء الله تعالى .

( يان حقيقة الدنيا في نفسها وأنها لها التي استخرت هم الحاق حتى أنسهم أنفسهم

وخالفهم ومصدرهم وموردهم )

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ وله في إصلاحها مثل فعله ثلاثا أمور  
قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك ، أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها  
فهى الأرض وما عليها ذل الله تعالى - إنا جئنا ماعلى الأرض زينة لها لنباوم أيهم أحسن عملا -  
فالأرض فراش للأسمين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملابس ومطعم ومشرب ومنكح  
ويجمع ماعلى الأرض ثلاثة أقسام : للمادن والنبات والحيوان . أما النبات فيطلبه الأذى للاقتيات  
والدواوى وأما المادن فيطلبها للالات والأواني كالنحاس والبرصاى ولتعدد كالحطب والقنعة وغير  
ذلك من القاصد وأما الحيوان فينقسم إلى الانسان والبهائم أما البهائم فيطلب منها لحومها لمأكلا  
وظهورها للمركب والفرسة وأما الانسان فقد يطلب الأذى أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم  
ويستغفرهم كالظلمان أو ليتمتع بهم كالجوارى والنساء ويطلب قلوب الناس ليلكبها بأن فرس  
فيها المتظيم والأكرام وهو الذى يبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الأسمين فهذه هى الأعيان  
التي يبر عنها بالدنيا وقد جمعا الله تعالى في قوله - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا  
من الإنسى - والقناطر للنفطرة من الذهب والقنعة - وهذا من الجواهر والمادن وفيه تنبيه على غيرها  
من اللاتى واليوالقت وغيرها - الجليل للسومة والاقام - وهى البهائم والحيوانات تسوا الحمر تسوا النيات  
والزرع فهذه هى أعيان الدنيا إلا أن لها مع البعد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه  
منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كاليد أو الحب للستر بالدنيا وبذلك في هذه العلاقة جميع  
صفات القلب للعلقة بالدنيا كالسكر والنقل والحسد والرياء والسمة وسوء الظن واللاهات فوجبت له  
وحب التكاثر والافتخار وهذه هى الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهى الأعيان التي ذكرناها . العلاقة  
الثانية مع البدن وهو اشتغاله بأصلاح هذه الأعيان لتصلح لخطوطه وحفظه غيره وهى حجة  
الصناعات والحرف التي الحلق مشغولون بها والحلق إنما نسوا أنفسهم وبآبهم ومنظهم بالدنيا لهما بين  
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالمثل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا  
وسرها علم أن هذه الأعيان التي ميتهاها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعطى  
بالدابة لبدن فانه لا يلقى إلا بعلم ومشرب وملبس ومسكن كالإمى الجمل في طريق الحج إلا لطف وما وجل  
ومثال البعد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذى يقف في منازل الطريق ولا يزال يلف  
الناقة ويشتمها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب ويحمل إليها أنواع الحشيش ويرد لها الساجد الخ حتى

كلامة بقوله سبحانه -

كأنهم بين يديه رصوص -

وفي وصف هذه الأمة

في الكتب السابقة

صفتهم في صلاتهم

كصفتهم في قتالهم .

حدثنا بذلك شيخنا

ضياء الدين أبو العتيج

السرودى إمامه قال

أنا أبو عبد الرحمن محمد

ابن عيسى بن شعيب

اللافى قال أنا أبو الحسن

عبد الرحمن بن محمد

القفى الواعظ قال

أنا أبو محمد عبد الله

ابن أحمد السرخسى

قال أنا أبو عمران

عيسى بن عمر بن

العباس السمرقندى

قال أنا أبو محمد عبد الله

ابن عبيد الرحمن

الدارى قال أنا جاهد

ابن موسى قال ثامن

هو ابن عيسى أنه سأل

فخوته القافة وهو غافل عن السمع وعن مرور القافة وعن بقائه في البداية فريسة للسباع هو نواته والهاج البصير لايحه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على التمسك به وقبلة إلى الحكمة والسمع وإنما ينتقل إلى الناقة بقدر الضرورة ، فكذلك البصير في السفر إلى الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجها من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن ومن ههنا ما يدخل بطنه قيمته ما خرج منها أو أكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن ، فإن القوت ضروري وأمر للسكن ولللبس أهون ولوعر فوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور وانحصروا عليه لم تسترقهم أشغال الدنيا وإنما استرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتاهت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها ونحن ندكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنتمت عاقبة أمورهم . فتقول : الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منسكين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطرب إلى ثلاث القوت وللنفس ولللبس والقوت للغذاء والماء ولللبس دفع الحر والبرد وللنفس دفع الحر والبرد ولدفع أسباب الخلاف عن الأهل وللنفس دفع الحر والبرد ولللبس دفع الحر والبرد يستغنى عن صنعة الإنسان فيه ، ثم خلق ذلك للقيام بالنبات يغذي الحيوان من غير طبعه والبر لا يؤثر في بدنه فيستغنى عن البناء ويقنع بالصحراء ولباسه شعورها وجلودها تقتضي عن اللباس والإنسان ليس كذلك غرست الحاجة ذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتصاد والحياكة والبناء . أما البناء فله مسكن والحياكة وما يكتفينا من أمر النزول والحياطة قللمس ، والفلاحة قللمطعم والرعاية قللمواسي والخلق بالعلم والركب ، والاقتصاد غنى به تحصيل ما خلق الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب فالخلق يحصل النباتات والرعي يحفظ الحيوانات ويستحبها ، وللتنصيص يحصل ما نبت ونسج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونسج بالاقتصاد ويدخل تحت صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تخفف إلى أدوات وآلات كالخياكة والفلاحة والبناء والاقتصاد والآلات إنما تؤخذ إما من النباتات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرها أو من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخرى من الصناعات التجارة والمداغة والحز وهو لاهم عمل الآلات ونسج التجارة كل عامل في الحطب . كيفما كان وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والبرص وغيرها فذكر الأجناس فأما حد الحرف فكثيرة . وأما الحرايز فنسج به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها فهذه أمهات الصناعات . ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره . من أبعاد جسده وذلك لسببين : أحدهما حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع . كره والأشعر عشرتهما . والثاني التعاون على تهيئة أسباب اللطم واللبس ولزينة الولد فإن الاجتماع يغني إلى الولد لا بمجالة الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع أهل والولدي للزنى بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم يجتمع طائفة كثيرة لينكف كل واحد بصناعة فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار ومحتاج الطعام إلى طهارة وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصين اللبنة وهو يحتاج إلى حراسة القطن والآلات الحياكة والحياطة

كعب الأجار كيف تجد نعمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال نجاه محمد ابن عبد الله يولد بمكة وباجر لطيفة ويكون ملكه بالشام وليس بفاحش ولا صبا في الأسواق ولا يكافى بالسيطة البسيطة ولكن ينفو ويغفر ، أمته الجادون يمدون الله في كل سراد ويكبرون الله على كل عجب يوسنون أطرافهم ويأثرون في أوساطهم يصفون في صلاههم كما يصفون في كتابهم دبرهم في مساجد كدوى النحل يسمع متادهم في جو السماء فالإمام في الصلوة مقممة الصف في محاربة الشيطان فهو أولى

والآلات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع ثم لواجتماعهم وافقهم امره مكتسوة لتأخذوا بالحر والبرد والظفر والاصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبعمامة من الآلات والأثاث وللتنازل تدفع الحر والبرد والظفر وتدفع أذى الجيران من الصوصية وغيرها لكن للتنازل قد قصدها جماعة من الصوص خارج للتنازل فافتقر أهل التنازل إلى التناصر والتعاون والتحسن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتماثلوا تولدت بينهم خصومات إذ تحدث رغبة وولادة للزوج في الزوجات وولادة للأبوين على الولد لأنه ضيف يحتاج إلى قوام بهومها حصلت الولادة على ما قلنا أقصى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم إذ ليس لها قوة الخاصة وإن ظلمت فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد فتخاصم الأبوين هذا في النزول ، وأما أهل البلد أيضا فيتماثلون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لأحالة ثم قد يجز بسبهم عن الفلاحة والصناعة بسمى أو مرض أو هرم أو قهر أو مرض أو غرض غشافة ولو تركوا ضالما فملك ولو وكل غشافة إلى الجميع لتنازلوا ولو خسر واحد من غير سبب فغشافة لا بدعنه له فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الخاصة بالاجتماع صناعات أخرى فمنها صناعة للسلاح التي بها تعرف مقادير الأرض لتتمكن القصة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع الصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل فحصل الحصومة ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الحق ويأمروا بالوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المملكات وشروطها فيه أمور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها إلا خصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتجرب والمهابة وإذا اشتغلوا بها لم يفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى الدس ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلا تمطلت الصناعات ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح للصناعات لطلب القوات تمطلت البلاد من الحراس واستمر الناس فستالحاجة إلى أن يصرف إلى معاشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا ممالك لها إن كانت أو عصفرت النعام إليهم إن كانت المداوة مع الكفار فإن كانوا أهل ديانة ودور نعموا بالقليل من أموال الصالح وإن أرادوا التوجه خمس الحاجة لأحالة إلى أن يدم أهل البلد بأموالهم ليهوم بالحراسة فحدثت الحاجة إلى الحراج ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الحراج الحاجة لصناعات أخرى إذ يحتاج إلى من يوظف الحراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال وإلى من يسوق منهم بالرفق وهم الجبابة والفرجون وإلى من يجمع عنده ليخطفه إلى وقت الثفرقة وهم الخزان وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض لساكر وهذه الأعمال لتوطلها عدد لا يحصى رابطة أخرم النظام فحدثت منه الحاجة إلى ملك يديرهم وأمير مطاع يبين لكل عمل فخصا ويختار لكل واحدا يليق بوظيفه يتصفق في أخذ الحراج وإعطائه ولستمعنا الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بد الجند الذين هم أهل السلاح وبد ذلك الذي يراقبهم بالبن الكاتبة يديرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجبابة والعمال ثم هؤلاء أيضا يحتاجون إلى مبيشة ولا يمكنهم الاغتيال بالحرف فحدثت الحاجة إلى مال القربع مع مال الأصل وهو للسعي فرع الحراج ، وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف الفلاحون والرعاة والمترقون ، والثانية الجندية الحماة بالسيف والثالثة للقدودون بين الطائفتين في الأخذ والعطاء وهم العمال والجبابة وأما علم ، فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوات للبلد

الصليين بالحشوع  
والانبيان بوظائف  
الأدب ظاهرا وباطنا  
والصاؤون للتعقظون كما  
اجتمعت ظواهرهم  
تجمع بوظائفهم  
وتتناصر وتتضاد  
وتسرى من البعض  
إلى البعض أنوار  
وبركات بل جميع  
للصليين الصليين في  
أقطار الأرض بينهم  
تعاقد وتناصر بحسب  
الاقول ونسب الاسلام  
ورابطة الايمان بل  
يدم الله تعالى بالملائكة  
الكرام كأمه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
بالملائكة المؤمنين  
فحاجتهم إلى عناية  
الشیطان أس من  
حاجتهم إلى عناية  
الكفار ولهذا كان  
يقول رسول الله صلى

وللسكن وإلى ماذا انتهى وهكذا أمور الدنيا لا ينتج منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخرى وهكذا تنتهي إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لنهاية لمعناها من وقع في مهولة منها سقط منها إلى أخرى وهكذا إلى التوالى فنفذ هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات وللعبارة عن أعيان الأرض ومن عليها مما ينتفع به وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوى الإنسان إليها وهي الدور ثم الأمكنة التي يسمى فيها لتعيش كالطوائف والأسواق والزرايع ثم الكسوة ثم أثاث البيت والآلات ثم آلات الآلات وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد والبقر آلة الحراثة والقرس آلة الركوب في الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن القلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة والحداد والتجار يسكنون قرية لا يمكن فيها الزراعة لضرورة محتاج الفلاح إليها ويحتاج إلى الفلاح فيحتاج أحدهما أن يئذل ماعنه للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاونة إلا أن التجار مثلا إذا طلب من القلاح الغذاء يأكله ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى أن يئذل ماعنه وإذ طلب الآلة من التجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه يستوفى إلى الأغراض فاضطروا إلى حاوت يجمع آلة كل صناعة ليرصد بها صاحبها أرباب الحاجات وإلى آيات يجمع إليها ما يعمل القلاحون فيشتريه منهم صاحب الآيات ليرصد به أرباب الحاجات فظهرت تلك الأسواق والمخازن فيعمل القلاح الجيوب فإذا لم يصادف محتاجا باعها بشئ رخيص من الباعة فيبذلونها في انتظار أرباب الحاجات طعاما في الرعي وكذلك في جميع الأئمة والأموال ثم عدت لاهالة بين البلاد والقرى ترد فترصد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات وينفون ذلك ويتيسرون ثم لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم لذلك ربما لا توجد فيه كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام فالحض يحتاج إلى البض فيجوز إلى النقل فيحدث التجار للتسكول بالنقل وباعهم عليه حرص جمع السال لاهالة فيتمون طول الليل والنهار في الأسفار لقرض غيرهم ونصيبهم منها جمع السال الذي يأكل لاهالة غيرهم إما فاطح طريق ولما سلطان ظالم ولكن جل الله تعالى في غلتم وجعلهم نظاما لبلاد ومصلحة للبلاد بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالتفتوخة المحمة ولو عقل الناس وارتفعت همهم لزهدها في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش ولو بطلت المعاش كواو لمالك إلا هاديا. ثم هذه الأموال التي تدل لا تقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها وأصحاب السال قد لا تكون له دابة تحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة ويصير الكراء نوعا من الاكساب أيضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدين فإن من يريد أن يشتري طعاما يتوبلن أن يدرى للقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كبيع ثوب بطما وحيوان يتوب وعنده أمور لا تناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين التباين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك الدل من أعيان الأموال ثم يحتاج إلى مال يطول بقاءه لأن الحاجة إليه تدوم أبقى الأموال للمالدين فانتقلت النقود من الذهب والفضة والنحاس ثم مست الحاجة إلى القرب والفضة والتقدير فاست الحاجة إلى دار القرب والسيارة وهكذا تتدهى الأشغال والأعمال بسببها إلى بعض حق انتهت إلى مآثره فيسلك أشغال الخلق وهي معاشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بوضع تعلم وتعب في الابتداء وفي الناس من يتخل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكساب لجزءه عن الحرف فيحتاج إلى أن يأكل مما يسمى فيه غيره فيحدث منه حرفان خسينتان الموصية والكديبة إذ يجمعهما أيهما يأكلان من سعى غيرها ثم الناس يحترزون من الموصى وتلك الذين يحفظون عنهم أموالهم فاضطروا إلى صرف عقولهم في استنباط

الله عليه وسلم لا رجنا  
من الجهاد الأصغر إلى  
الجهاد الأكبر  
تتداركهم الأملاك  
بل بأغاسيم الصادقة  
تداسك الأفلاك فإذا  
أراد الخروج من  
الصلاة يسلم على يمينه  
ويبوي مع التسليم  
الخروج من الصلاة  
والسلام على لئلا تكة  
والحاضرين من المؤمنين  
ومؤمنات الجن ويجعل  
خدمتهما على عينه  
إلا والله عفة وفضل  
بين هذا السلام  
والسلام عن يساره  
قد ورد النبي عن  
لواصلة وللواصلة  
خمس اثنتان تحسن  
بالامام وهو أن لا يوصل  
المرأة بالتكبير  
والركوع بالقرامة  
واثنتان في المأموم وهو

الحيل والتدبير . أما الصوص : فهم من يطلب أعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيحتصمون ويتكاثرون ويغطون الطريق بالأعراب والأكراد . وأما الضغائن منهم فيغزءون إلى الحيل إما بالقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الفتنة وإما بأن يكون طرادا أو سلالا إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتج الأفكار المصروفة إلى استباطها . وأما الكسدي فانه إذا طلب ماسي فيغيره وقيله الحب واحمل كما حمل غيرك فلذلك والبطالة فلا يحل هبنا فافترنا إلى حرة في استخراج الأموال وتعميد الصنر لأحسهم في البطالة فاحتالوا لتمام البعز إما بالحققة بكماعة يعمون أولادهم وأحسهم بالحيلة ليبدروا بالعمى فعمطون وإما بالتامس والتفالج والتجانس والتعارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك حيلة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يمتصون قوا والأوصال يصعب الناس منها حتى تيسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسحقوا برغف اليد عن قليل من المال في حال التمسج ثم قد يندم بعد زوال التمسج ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتعسر والمحا كالتفصيلية والأوصال للضحكة وقد يكون بالأشعار الترية والكلام للشور للسجع مع حسن الصوت والشعر للوزون أشد تأثيرا في النفس لاسيما إذا كان فيه تصب يتعلق بالمذاهب كأشعار منابغ الصحابة وضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية الشوق من أهل المهابة كصنعة الطبايع في الأسواق وصنعة ما يشبه الوضو وليس بموضع كسب التصديقات والخشيش الذي يخيّل بالله أنها أدوية فيخضع بذلك السياني والجهال وكأصحاب القرعة والقائد من للتجيين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والكسبون على رموس التناثر إذا لم يكن وراهم طائل على وكان غرضهم إسالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأواعها تزيد على ألف نوع والذين وكل ذلك استنبط يدققي الفكرة لأجل اللبسة فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكوا عليها وجرم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوة والبكوة ولكم نسوا إلى أثناء ذلك أنفسهم ومقصورهم ومقتلهم ومآبهم فهاهو وضلوا وسبق إلى عقولهم الضميمة بدران كدورتها زحمة الاشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة فاحسنت ملههم واختلعت أراؤهم على عدة أوجه : فطاعة غلبهم الجهل والفتنة فلم تفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا للتصود أن نصير أيا ما في الدنيا فنبتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نغوى على الكسب ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا وهذا مله الفلاحين والمهترفين ومن ليس له تتم في الدنيا ولا نعم في الدين فانه يتعب نهارا ليأكل ليلا ويأكل ليلا ليتب نهارا وذلك كثير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت وطاعة أخرى زعموا أنهم غفلوا لأمس وهو أنه ليس للتصود أن يشقى الانسان بالعمل ولا يتسقى في الدنيا بل بالسعادة في أن يقضى وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج فهو لا بد نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع النساء ونجع الدابة الأطمعة يأكلون كما تأكل الأنعام وينظرون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدرکوا غاية السعادة فتشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطاعة نظروا أن السعادة في كثرة المال والاستثناء بكثره الكنوز فأسهبوا ليلهم وأنهبوا نهارهم في الخبث فهم يتسبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحوا ومجلا عليها أن تنقص وهذه قدتهم وفي ذلك دأبهم وحرکتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات والذبات فيكون للجامع تمبه ووباله وللآكل قدته ثم الدين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يمتبرون . وطاعة نظروا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء وللحسب بالتعجل والارودة فهو لا يتبون في كسب العايش وضيقون على أحسهم في الطعم والشرب ويصرفون جميع ماله إلى الملابس الحسنة والدواب

أن لا يوصل تكبيرة  
الاحرام بتكبيرة  
الامام ولا تسليمة  
بتسليمة واحدة على  
الامام والمأمومين وهو  
أن لا يوصل تسليم  
الفرس بتسليم النفل  
ويجزم التسليم ولا يند  
مدا ثم يدعو بعد  
التسليم بما يشاء من  
أمر دينه ودنياه  
ويدعو قبل التسليم  
أجنا في صلب الصلاة  
فانه يستجاب ومن  
أقام الصلوات الخمس  
في جماعة قد ملأ  
البر والبحر عبادة  
وكل المقامات والأحوال  
زبدتها المسلمات  
الحسن في جماعة وهي  
سر الدين وكفارة  
الؤمن وتعميس  
للخطايا على ما أخبرنا  
شيخنا شيخ الاسلام

النفيسة ويرزخون أبواب الدور وما يقع عليها أيسار الناس حتى يقال إنه غفر وإنه ذو بريرة ويطنون  
أن ذلك هي السعادة فهمهم في نهارهم وليهم في تمهد موقع نظر الناس . طائفة أخرى ظنوا  
أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس واقتياح الخلق بالتواضع والتوقير صرخوا همهم إلى  
استعجار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من  
الناس فيرون أنهم إذا استمت ولا ينهم وانتادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية  
الطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الناس من الناس فهو لا غلوم حب تواضع الناس لهم عن  
التواضع له وعن عبادته وعن التفكير في آخرتهم ومعادهم . ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد  
على ثيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وإنما عايرهم إلى جميع ذلك حاجة للطعم  
ولليس ولكن نسوا ما أراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها وأخرجت بهم وألقت أسبابها  
إلى أواخرها وتداعى بهم ذلك إلى مهاول يمكنهم الرقي منها فن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب  
والأغفال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في هزل وحرفة وعمل إلا وهو عاجز مقصوده وعالم بحفظه  
ونصيه منه وأن غاية مقصوده تصدقته بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيتميل  
التقليل انقضت الأغفال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت المهمة إلى الاستعداد له  
وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأغفال وتداعى البعض إلى البسوس وتسلسل إلى غير نهاية فتشعب  
به المهوم ومن تشعبت به المهوم في أودية الدنيا فلا يبالى التقوى وأدأه لك منها فبدأنا أن للتمكين  
في أشغال الدنيا وتنبه له ذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسد لهم الشيطان ولم يتركهم وأضلهم إلى الأراض  
أيضا حتى انغمسوا إلى طوائف ظننت طائفة أن الدنيا دار بلاء وعنة والآخرة دار سعادة لكل من  
وصل إليها سواء تصدق في الدنيا أو لم يتصدق فأروا أن الصواب في أن يتفأوا أنفسهم للسلامة من عنة  
الدنيا وإليه ذهب طوائف من البعاد من أهل الهند فهم يتجهون إلى النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق  
ويظنون أن ذلك خلاص لهم من عمن الدنيا وظننت طائفة أخرى أن القتل لأخلص بل لا بد ولا من  
إمارة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية وأن السعادة في قطع الشهوة والتضخم ثم أقبلوا  
على المجاهدة وهددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم قسد عقله وحين وجهم  
مرض وانسد عليه الطريق في العبادة وجهمهم هجز عن قلع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه  
الشرع حال وأن الشرع تلبس لأصل له فوقع في الإلحاد وظهر ليضمهم أن هذا التبع كله له وأن  
الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عبيان عاص ولا تزيد عبادة متباعد فادوا إلى الشهوات  
وسلكوا مسلك الإباحة وطووا بساط الشرع والأحكام وزعموا أن ذلك من صفات توحيدهم حيث  
اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد وظن طائفة أن التصودق من البادات المجاهدة حتى يصل  
العبد بها إلى معرفة الله تعالى فإذا حصلت للفرقة قد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيمة  
فتركوا السعى والعبادة وزعموا أنه ارتفع عنهم في معرفة الله سبحانه عن أن يتجهنوا بالتكاليف  
وأنما التكليف على عوالم الخلق ووراء هذا مناهج طائفة وضلالات طائفة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ  
نيفا وسبعين فرقة وإنما الذي منها فرقة واحدة وهي السالك ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقطع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر  
تزاد وأما الشهوات فيقطع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والنقل ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل  
شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود  
كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يخفى به البدن على العبادة

حياء الدين أبو النجيب  
السهروردي رحمه الله  
إجازة قال أنا أبو منصور  
محمد بن عبد الملك بن  
خيرون قال أنا أبو محمد  
الحسن بن علي  
الجوهري إجازة قال  
أنا أبو عمر محمد بن  
العباس بن زكريا قال  
ثنا أبو محمد يحيى بن  
محمد بن ساعد قال  
ثنا الحسين بن الحسن  
المروزي قال أنا عبد الله  
ابن المبارك قال أنا يحيى  
ابن عبد الله قال سمعت  
أبي يقول سمعت أبا  
هريرة رضي الله عنه  
يقول قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« السلوات الخمس  
كفارات لأخطاياكم وروا  
إن شتمت إن الحسنات  
يتجهن البيئات ذلك  
ذكرى لهذا كرم » .



ومن الممكن ما يحفظ عن الموصوف والمزبذ ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكه همة واشتغل بالله كره والتسكط طول الصروبى ملازم لمباشرة الشهوات ومراقبها لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يهمل فصيل ذلك إلا بالاكتهاد بالفرقة الناجية ثم الصحابة فانه عليه السلام لما قال : «الناجى منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم ؟ قال أهل السنة والجماعة قتل ومن أهل السنة والجماعة ؟ قتل ما نأنا عليه وأصحابي» (١) وقد كانوا على التبع القصد وعلى السبيل الواضح الذى فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكسبية وما كان لهم فى الأمور تخريط ولا إفراط بل كان أمرهم بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سبق ذكره فى مواضع والله أعلم .

ثم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

### (كتاب ذم البخل وذم حب المال)

(وهو الكتاب السابع من ربيع للهالكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مستوجب الحمد بركته للسلوة ، وكشف الضر بعد النقطة ، الذى خلق الخلق ، ووسع الرزق ، وأفاض على العالمين أصناف الأموال ، وأجلبهم فيها بتقلب الأحوال . ورددهم فيها بين السر والبسر والتقى والفقر والطمع واليأس والثروة والإفلاس والعجز والاستطاعة والحرس والقناعة والبخل والجود والفرح بالوجود والانساف على للفقود والإيثار والإحسان والتوسع والإيلاق والتبذير والتقتير والرضا بالقليل واستغفار الكثير كل ذلك ليأمرهم أحسن عملا وينظر إليهم أثر الله فى الآخرة بدلا وابتلى عن الآخرة عدولا وحولا وأخذ الدنيا ذخيرة وخولا . والصلاة على محمد الذى نسخ عليه ملا وطوى بشرته أنينا ونحلا وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللا وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن فتن الدنيا كثيرة الشبه والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال أعظم فتنها وأطمع عنها وأعظم فتنة فيها أنه لاغنى لأحد عنها ثم إذا وجدت فلا سلامة منها فإن قد لال حصل منه الفقر الذى يكاد أن يكون كفرا وإن وجد حصل منه العتيان الذى لا تكون عاقبة أمره إلا خسرا . وبالجملة فهي لا تخطو من القوائد والآفات وفوائدها من للنتيبات وأقاربها من للهالكات وتميز خيرها عن شرها من للوصفات التى لا تقوى عليها إلا ذنوب البصائر فى الدين من الماء الراسخين دون المترمين المترين وشرح ذلك مهم على الأفراد فإن ما ذكرناه فى كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا فى المال خاصة بل فى الدنيا عامة إذا الدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بمن أجزاء الدنيا والجاه بعضها وأبواب شهوة البطن والفرج بعضها ونشئ التيقظ بحكم الغضب والحسد

(١) حديث اترافى الأمة وفيه الناجى منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث الترمذى من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه تترقى أمق على ثلاث وسبعين مئة كلهم فى النار إلا ملة واحدة فقالوا من هى يا رسول الله قال ما نأنا عليه وأصحابي ولأبي داود من حديث معاوية بن عماره من حديث أنس وعوف بن مالك وهى الجماعة وأسانيدها جيد .

(كتاب ذم البخل وذم حب المال)

[الباب الحادى عشر]  
والشائون فى ذكر  
آداب الصلاة  
وأمرها

أحسن آداب الصلاة  
أن لا يكون مشغول  
القلب بشىء قلبا أو كثر  
لأن الأكياس لم يرضوا

الدنيا إلا ليقبوا  
الصلاة كما أمروا لأن  
الدنيا وأفئدتها لما  
كانت مشغلة لقلب  
رضوها شغيرة على  
عمل المناجاة ورغبة  
فى أوطان القسرات  
وإذاعات بالباطن لرب

البريات لأن حضور  
الصلاة بالظاهر إذعان  
لظاهر وفراغ القلب  
فى الصلاة عماسوى  
الله تعالى إذعان الباطن  
فم رواحشور الظاهر  
وتخلف الباطن حق  
لا يغفل إذعاتهم فتتفرم  
عوبديتهم فيجتب أن

بشها والكبر وطلب المال بعضها ولها أبحاث كثيرة وبجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرا الآن في هذا الكتاب في لئال وحده إذ فيه آفات وغوائل وللانسان من قدده صفة الفقر ومن وجوده وصف الثنى وما حاثان يحصل بهما الاختيار والامتحان . ثم لفافد حاثان: اقتناء المحرص وإحداها مذمومة والأخرى محمودة والمحرص حاثان طمع في أيدى الناس وتقصير للحرف والصناعات مع اليأس عن الحلق والطمع شر الحاثين وللاواجد حالان إما سلك حكم البخل والشح وإتفاق وإحداها مذمومة والأخرى محمودة وللشفق حاثان تبرز واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف النطاء عن التوض فيها مهم . ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلا إن شاء الله تعالى وهو بيان ذم لئال ثم مدحه ثم تحصيل فوائد لئال وآفاته ثم ذم المحرص والطمع ثم علاج المحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الأغنياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخله ثم الآثار وقضه ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع القواطع في لئال ثم ذم الثنى ومدح الفقر إن شاء الله تعالى .

( بيان ذم لئال وكرهه حبه )

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تليكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يضل ذلك فأولئك هم الخاسرون - وقال تعالى - إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم - فمن اختار ماله وولفه على ما عند الله فقد خسر وخسرنا عظيما ، وقال عز وجل - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها - الآية وقال تعالى - إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - وقال تعالى - المأكم الكفار - . وقال رسول الله ﷺ - حب لئال والتصرف بيننا في النفاق في القلب كما يثبت لله البقل (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذل من ضاربان أرسلنا في زرية غنم بأكثر إفسادها منها من حب الشرف واللئال والجاه في دين الرجل السلم » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « هلك للسكران إلا من قال به في عبادته هكذا وهكذا قليل مأم » (٣) وقيل « يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « سيأتى بعدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها وركبون

يكون باطنه مرتينا  
بشيء ويدخل الصلاة  
وقيل من قته الرجل  
أن يبدأ بشيء حاجته  
قبل الصلاة ولهذا  
ورد « إذا حضر المشاء  
والشاء تقدموا المشاء  
على المشاء » ولا يصلى  
وهو جافق يطالبه البول  
ولا حازق يطالبه النافق  
والحرز أيضا شيق  
الحلف ولا يصلى أيضا  
وخفه شيق يشغل قلبه  
قد قيل لا رأى لحازق  
قيل الذي يكون معه  
شيق وفي الجنة ليس من  
الأدب أن يصلى وعنده  
ما يشير مزاج باطنه عن  
الاعتدال كذه الأشياء  
التي ذكرناها وإعظام  
للقرط والتشب فوق  
الحبر ولا يدخل أحدكم  
في الصلاة وهو مقطب  
ولا يصلى أحدكم وهو

(١) حديث حب لئال والتصرف بيننا في النفاق في القلب كما يثبت لله البقل لم أجده بهذا اللفظ ذكره  
بهذا بلطف الجاه بدل الشرف (٢) حديث ما ذل من ضاربان أرسلنا في زرية غنم بأكثر إفسادا  
لها من حب لئال والجاه في دين الرجل السلم الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك  
وقالا جاثمان مكان ضاريان ولم يقلوا في زرية وقالوا الشرف بدل الجاه قال الترمذي حسن صحيح  
ولطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد ماذبيان ضاريان في زرية ثم الحديث وللزبان من حديث  
أبي هريرة ضاريان جاثمان واستاد الطبراني فيها ضعيف (٣) حديث هلك الأكثرون إلا من قال  
به في عبادته هكذا وهكذا الحديث الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بلفظ للسكران ولجمل  
في عباد الله ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ للسكران وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ  
هم الأفسرون قال أبوذر من هم قتالهم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا الحديث (٤) حديث  
قيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الأغنياء غرب لم أجده بهذا اللفظ ولطبراني في الأوسط  
والباقى في الشعب من حديث عبد الله بن جعفر شرار أمي الدين ولوا في الصيم وغدا به يكون  
من الطعام ألوانا وفيه أمرم بن حوشب ضعيف ورواه هناد بن السري في إرذهله من رواية  
عروة بن رزوم مرسل وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إن من شرار أمي الدين غدا  
الصيم وثبت عليه أجسامهم .

فره الخليل وألوانها ويشكون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأغس بالكثير لا تنقع ما تكون على الدنيا يندون وروحون إليها اغنوها الخلق من دون المجه وربا دون ربه إلى أمرها يتقون ولهموا يتبعون فزعة من محمد بن عبد الله إن أدرك ذلك الزمان من عقب عقب وخلف خلقه أن لا يسلم عليهم ولا يودهم منهم ولا يتبع جنازهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام (١) وقال صلى الله عليه وسلم «دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكتفيه أخذ حقه وهو لا يشمر (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقولون ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأفنت (٣)» وقال رجل «يا رسول الله مالي لأحب لثوبت فقال هل معك من مال؟ قال نعم يا رسول الله قال فقمه الله فان قلب للؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يبعه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه (٤)» وقال عليه السلام «والأخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى عشرة فالحق يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله والحق يتبعه إلى قبره فهو أمه والحق يتبعه إلى عشرة فهو عمله (٥)» وقال الحواريون ليس عليه السلام : مالك تنسى على اللآل ولا تدر على ذلك ؟ قال لهم ما منزلة الله ينار والهمهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما وللدر عندي سواء . وكتب سلمان القارسي إلى أبي البرداء رضى الله عنهما : يا أخى إليك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «عجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه كلب مكفأ به الصراط قال ماله آمن قد أدبت حق الله في ثم عجاء بصاحب الدنيا الذى لم يطع الله فيها وماله بين كنفه كلب مكفأ به الصراط قال له ماله وملك ألا أدبت حق الله في لما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور (٦)» وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفرق في دم الفنى ومدح التفرج رجع جميعه إلى دم اللآل فلا تطول بشكره وكذا كل ما ذكرناه في دم الدنيا فيقتال دم اللآل بحكم الصوم لأن اللآل أعظم أركان الدنيا وإيمانك كرا لأن ماورد في اللآل خاصة دل على الله عليه وسلم «إذ ماتت البديت قالت للآل مكفأ فقدم وقال الناس ما خلف (٧)»

- (١) حديث سياتى بصدكم قوم يأكلون أطياب الدنيا وألوانها ويشكون أجمل النساء وألوانها الحديث بطوله الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة سيكون رجال من أممكم يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب يتصدقون في الكلام أولئك شرار أمم وستندم ضعيف ولم أجعل لباقيهم أصلا (٢) حديث دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكتفيه أخذ حقه وهو لا يشمر البزار من حديث أنس وفيه هامى بن التوكل ضعه ابن حبان (٣) حديث يقول البديت مالي مالي الحديث مسلم من حديث عبد الله بن الشخير وأبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث قال رجل يا رسول الله مالي لأحب لثوبت الحديث لم أتعب عليه (٥) حديث أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره الحديث أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث الثمان بن بشير بلساند جيد نحوه ورواه أبو داود الطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضا وفي الكبير من حديث حمزة بن جندب وللشيخين من حديث أنس يبيع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد الحديث (٦) حديث كتب سلمان إلى أبي البرداء وفيه سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول عجاء بصاحب الدنيا الذى أطاع الله فيها وماله بين يديه الحديث . قلت ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي البرداء أنه كتب إلى سلمان كذا روله البرقي في الشعب وقال بدل الدنيا اللآل وهو منقطع حديث إذ ماتت البديت قالت للآل مكفأ ما قدم الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة

فضبان «لا يغنى العبد أن يلبس بالصلاة إلا وهو على أتم الحيات وأحسن لبسة المصلى يحكون الأطراف وعسم الالتفات والإطراق ووضع الجبين على الشبه لما أحسها من هيئة صيد ذليل واقف بين يدي ملك عزيز وفي رخصة الصبر دون الثلاث حركات متواليات جائز وأرباب الرعية يتركون الحركة في الصلاة جملة وقد حركت يدي في الصلاة وعندى شخص من الصالحين فلما انصرفت من الصلاة أنكرت على وقال عندها إن البديت إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جمادا جمدا لا يتحرك منه شيء . وقد جاء

وقال صلى الله عليه وسلم « لاتدخلوا الجنة حتى تنظروا الدنيا (١) ». الآثار : روى أن رجلا قال من أنى المرداء وأراه سودا فقال اللهم من فعل بي سودا فأصعب جسمي وأطل عمري وأكره ما أنظر كيف رأى كثرة اللال غاية البلاد مع صفة الجسم وطول العمر لأنه لا يد وأن يقضى إلى الطغيان. ووضع على كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما إنك ما لم تخرج عن لانتضى. وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بمطاطها فقالت ما هذا ؟ قالوا أرسل إليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله ثم سلت سترًا كان لها قطعت وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأبناها ثم رقت يديها وقالت : اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد ماى هذا فكانت أول نساء رمول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذه الله وقيل إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رخصها إليس ثم وضعها على جبينه ثم قبلها وقال من أحبها فهو عبدي حقا وقال سميط بن محلان إن الدرهم والدنانير أزمة للتافقين يقدون بها إلى النار . وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقر فأن لم تحسن رقبته فلا تأخذه فانه إن لدنك تلك صبه قيل وما رقبته قال أخذه من حله ووضعه في سقه وقال الهادي بن زياد تثلث لي الدنيا وعليها من كل زينة قللت أعوذ بالله من شركه فقالت إن شركه أن يمدح الله منى فأبض الدرهم والدنانير وذلك لأن الدرهم والدنانير هما الدنيا كلها إذ يتوصل بها إلى جميع أصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل :

إني وجدت فلا تظنوا غيره أن التوبع عند هذا الدرهم  
فلما قدرت عليه ثم ركنه فاعلم بأن هناك ثوى للسر

وفي ذلك قيل أيضا :

لا يشرنك من الره ليس رقه أو إزار فوق عظم الساق منه رقه  
أو جبين لاح فيه أو قد خلعه أنه الدرهم تصرف به أو ورعه  
وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فغند موته قال يا أمير المؤمنين سنت صنيا لم يصبه أحد قبلك تركت وذلك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر أقصدوني فأصدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فاني لم أمتهم فخالهم ولم أعطيهم حقا لتبرهم وإنما ولدي أحد زجلين إما مطيع لله فأنه كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبال على ماوقع . وروى أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقبل له لو ادخرته لمولدك من يمدك قال لا ولكن أدخره نفسي عند ربى وأدخره في يولى. وروى أن رجلا قال لا يعبدر بها شيء لا تنهب بشر وتترك أولادك غير فأخرج أبو عبدر بمن ماله ما كان لنفس درهم وقال يحيى بن معاذ مدينتان لم يسمع الأولون والآخرون بثلثهما فبعد في ماله عند موته قبل وما ماله يؤخضته كله ويستل عنه كله.

( بيان مدح لئال والجمع بين الله )

اعلم أن الله تعالى قد مسمى للال خبر إلى مواضع من كتابنا في الميزن قال جل وعز - إن ترك خير - لا الآيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم للال الصالح للرجل الصالح (٢) » وكل مجاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء للال إذ لا يمكن الوصول إليها إلا به وقال تعالى - ويستخرجنا كثيرها رحمة من ربك - وقال تعالى فتننا على عباده - ويعتدكم بأموال وبنين ويعمل لكم جنات ويعجل لكم

يبلغ به وقد تقدم في آداب الصلوة (١) حديث لاتدخلوا الجنة حتى تنظروا الدنيا الترمذي والحاكم وصح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ تغربوا (٢) حديث نعم للال الصالح للرجل الصالح أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ نما ولا للمرد.

في الخبر « صفة أعيان في الصلاة من الشيطان: الرعاف والتماس والوسوسة والتأنيب والحكاك والافتات » والبث بالهمى من الشيطان وبضا وقيل السهو والذكاء ، وقد روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن المصروع في الصلاة أن لا يعرف للصلى من على عينه وشماله. وقيل عن سفيان أنه قال : من لم يخشع فسدت صلاته، وروى عن معاذ ابن جبل أنه من ذلك قال : من عرف من عن عينه وشماله في الصلاة متعمدا فلا صلاة له وقال يحيى للهاد من قرأ كلمة مكتوبة في سائط أو

أنهارا - وقال صلى الله عليه وسلم «كاد للقرآن أن يكون كفرة»<sup>(١)</sup> وهو شامط للال ولا تحفظ على وجه الجمع  
 بد القم وللح الأبان تعرف حكمة السال ومقصوده ما كانت موعود الله حتى ينكشف لك أعين من وجه  
 وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خير ومنموم من حيث هو شر فانه ليس غير محسن ولا هو شر محسن  
 بل هو سبب للأمرين جميعا وهذا وصفه فيه مدح لالة تارة ويلمأ أخرى ولكن البصير المميز يدرك أن  
 الممود منه غير للنموم وبيانه بالاستعداد بما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخير والتوفيق  
 درجات النعم والتقدير للفتح فيه هو أن مقصد الأكراس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعم الدائم  
 وللك النعم والتقدير هذا دأب الكرام والأكراس إذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «من أكرم  
 الناس وأكرهم؟ قال: أكرم الموت ذكرأ وأعدمه»<sup>(٢)</sup> وهذه السعادة لا تتأثر إلا بثلاث  
 وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل البدنية كالصحة والسلامة والفضائل  
 الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب وأعمالها النفسية البدنية الخارجية فالخارجة أحسنها واللال  
 من جملة الخارجات وأدناها الدرام والناتج فانها خادمان ولا خادم لهما ورايان لغيرهما ولا يرادان  
 لقاتهما إذ النفس هي الجواهر النفيس للطلوب سعادتها وأنها تخضع العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق  
 لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخضع النفس بواسطة الحواس والأعضاء والطعام ولللابس تخضع  
 البدن وقد سبق أن المقصود من الطعام إبقاء البدن ومن الثياب إبقاء النسل ومن البدن تشكيل  
 النفس وتركيبها وتزيينها بالملم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر اللال ووجوه شره  
 وأنه من حيث هو ضرورة الطعام ولللابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس  
 الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وفائده ومقصوده واستعمله لذلك التامة ملتذا إليها غير ناس لها فقد  
 أحسن واتبع وكان ما حصل له العرض محمودا في حقه فاذن للال آفة ووسيلة إلى مقصود صحيح وصليح  
 أن يشتد آفة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي لقاصد السادة عن سعادة الآخرة وتوسيد العلم والعمل  
 فهو إذا محمود منموم محمود بالإضافة إلى المقصود الممود ومنموم بالإضافة إلى المقصود للنموم من أخشن  
 الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو لا يشعر<sup>(٣)</sup> كأورد به الخبر ولما كانت الطباع مائلة إلى  
 اتباع الشهوات القاطمة لسيل الله وكان للال مسهلها وآفة إليها عظم الخطر فبازيد على قدر الكفاية  
 فاستأذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام «اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا»<sup>(٤)</sup>  
 فلم يطلب من الدنيا إلا ما يمتنع من شره وقال «اللهم أحمي مسكينا وأمتي مسكينا واحشني في زمرة  
 الساكين»<sup>(٥)</sup> واستأذ إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال - واجنبي وبني أن نبيد الأصنام وعشيرة  
 هذين الجبرين للهب والقتة إذ رتبة النبوة أجل من يخشى عليها أن تتخذ الإلجية في شيء من هذه  
 المجازاة إذ أذا كفي قبل النبوة عبادتها مع العفر وإنما معنى عبادتها جميعا والاعتقاد بهما والركون

(١) حديث كاد للقرآن أن يكون كفرة أبو مسلم البجلي في سننه والبيهقي في هب الأيمان من حديث  
 أنس وقد تقدم في كتاب فم التضب (٢) حديث من أكرم الناس وأكرهم قال أكرمهم الموت  
 ذكر الحديث ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ أي المؤمنين أكرس وروله ابن أبي الدنيا في الموت  
 بلفظ المصنف وإسناده جيد (٣) حديث من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حظه وهو  
 لا يشعر تقدم قبله بقسة أحاديث وهو جية احشروا الدنيا (٤) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد  
 كقافا منق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث اللهم أحمي مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي  
 من حديث أنس وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث أبي سعيد وقد تقدم .

بساط في صلته فصلاته  
 باطلة قال بسهم لأن  
 ذلك عدوه عملا وبقي  
 في تفسير قوله تعالى  
 - والذين هم على ملاتهم  
 فاعون - قيل هو  
 مسكون الأطراف  
 والطائفة . قال  
 بسهم إذا سكبت  
 التكبيرة الأولى فاعلم  
 أن الله ناظر إلى شخصك  
 عالم بما في ضميرك  
 ومثل في صلاتك الجنة  
 عن بينك والنار من  
 جهلك وإنما ذكرنا  
 أن تحمل الجنة والنار  
 لأن القلب إذا اعتدل  
 بذكر الآخرة ينقطع  
 عنه الوساوس فيكون  
 هذا التحيل تدابوا  
 القلب دفع الوساوس .  
 أخبرنا شيخنا  
 ضياء الدين أبو النجيب  
 السهرودي بإجازة قال

إليه قال ليتنا صلى الله عليه وسلم لا نرى عبد الدينار ونرى عبد الهرم نس ولا نتش وإذا  
شك فلا نتش<sup>(١)</sup> فين أن عمرها ما يلها ومن عي جرافها ما يصم كل من كان عبدا لغير الله  
فهو ما يد صنم أي من قلمه ذلك عن الله تعالى وعن أماء حقه فهو كما يصم وهو شرك إلا أن الشرك  
شرك كان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وهما ينفك عنه المؤمنين فانه أخفى من ديب النمل  
وشرك جلي يوجب الخلود في النار فهو ذاك من الجميع .

### ( بيان تفصيل آفات اللال وفوائده )

اعلم أن اللال مثل حية فيها سم وتراقى فوائده تزيقه وغوائه موممة فمن عرف غوائه وفوائده  
أمكنه أن يحرز من شره ويستدر من خيره . أما القوائد : فهي تنقسم إلى دينية وقودية : أما الدينية  
فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهاكوا على  
طلبها وأما الدينية فتتصغر جميعا في ثلاثة أنواع : النوع الأول : أن ينفض على نفسه إمامي عبادة  
أولى الاستماعة على عبادة أما في العبادة فهو كالاستماعة به على الحج والجهاد فانه لا يتوصل إليه إلا  
بالمال وهما من أمهات القربات والفقر محروم من فضلها وأما فيما يقويه على العبادة فذلك هو العلم  
واللبس والسكنى وللتكسب وضرورات العيشة فان هذه الحاجات إذا تميسر كان القلب مصروفا  
إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين ومالا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة فأخذ السكينة من الدنيا أجل  
الاستماعة على الدين من القوائد الدينية ولا يدخل في هذا التتم والزيادة على الحاجة فان ذلك من  
حظوظ الدنيا فقط . النوع الثاني : ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة والمروءة وولاية  
العرض وأجرة الاستخدام . أما الصدقة فلا يغني ثوابها وإنها تطلق غضب الرب تعالى وقد ذكرنا  
فضلها فيما تقدم . وأما المروءة فتصفي بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية  
وإطعام وما يجري مجراها فان هذه لا تسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من  
القوائد الدينية إذ به يتكسب البعد الإخوان والأصدقاء وبه يكتب صفه السخاء ويعتق بزرمة  
الأغنياء فلا يوصف بالجهود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضا  
يسظم الثواب فيه وقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اعتراط  
الفقر والفاقة في مصارفها . وأما ولاية العرض فتصفي به بذل المال لدفع هجر الشعراء وتلب السفهاء  
وقطع التسمم ودفع شرهم وهو أيضا مع تجزئ فائدته في الحاجة من الحظوظ الدينية قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وما وقي به المرء عرضه كتب له به صدقة<sup>(٢)</sup> وكيف لا وفيه من المتاب عن مصيبة  
النية واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود  
العرضة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان تهيئة أسبابها كثيرة ولولاها  
بنفسه ضاعت أوقاته وتضرر عليه حاله سبيل الآخر تباكسر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين  
ومن لا ماله فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة قسم من شراء الطعام وطحنه وكس البيت حتى نسخ الكتاب  
الذي يحتاج إليه وكل ما يتصور أن يقوم به غيره ويحصل به عرضك فأنت متعوب إذا اشتغل به إذ  
عليك من العلم والعمل والذكر والتفكير مالا يتصور أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره شرا

(١) حديث تميم عبد الدينار تميم عبد الدرهم الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ولم يقل  
واشتش وإنما علق آخره بلفظ تميم واشتس ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم (٢) حديث  
ما وقي المرء عرضه به فهو صدقة أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم .

أنا عمر بن أحمد  
الضفار قال أنا أبو بكر  
ابن خلف قال أنا  
أبو عبد الرحمن قال  
سمعت أبا الحسين  
القارسي يقول سمعت  
محمد بن الحسين يقول  
قال سهل من خلائقه  
عن ذكره الأخرى  
تعرض لوساوس  
الشیطان فامتنع بالشر  
باطنه صفو اليقين  
ونور للفرقة فيستغنى  
بشاهد عن تمثيل  
مشاهدة قال أبو سعيد  
الحراز إذا ركع فالأدب  
في ركوعه أن يتصب  
ويدنو ويشد في  
ركوعه حتى لا يبقى  
منه منفصل إلا هو  
متصب نحو العرش  
الطهر ثم يطمع الله  
تعالى حتى لا يكون  
في قلبه شيء أعظم

النوع الثالث : مالا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء للساجد والقنابر والرباطات وحور الرضى ونصب الجباب في الطريق وغير ذلك من الأوتاف للرصدة لخيرات وهي من الخيرات للزبدة العذبة بعد لوت السجلة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات مبادية وناهيك بها خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتناق بالحظوظ الساجدة من التخلص من ذل السؤال وحفارة الفقر والوصول إلى الرز والجد بين الحاق وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدينية . وأما الآفات فدينية ودنيوية أما الدينية ثلاث . الأولى : أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاسدة والميزنة يحول بين الرز والصية ومن العصمة أن لا يجد وبهما كان الإنسان آسأ عن نوع من الصية لم يتحرك داعيته فإذا استثمر القدرة عليها انبثت داعيته وللمال نوع من القدرة غير كد داعية المعاصي وارتكاب السجور فإن اتهم ما يشاهد حلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وقتنا السراء أعظم من فتنة الضراء . الثانية : أنه يجر إلى التمس في الباحات وهذا أول السجرات في جند صاحب المال على أن يتناول خبز الصبر ويلبس التوب الحشن ويترك الدائد الأظعمة كما كان يقدر عليه سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه فأحسن أحواله أن يتم بالدنيا ويمرن عليها فنه فيصير التمس مألوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البس من إلى البس فإذا اشتد نسه برى بالاعتدلى التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتسم الشهات ويغوض في الرامة وللداهنة والكذب والتفاق وسائر الأخلاق الرديئة ليتنظ له أمر دنياه ويتيسر له تمسه فإن من كثر ماله كثر حاجته إلى الناس ومن احتاج إلى الناس فلا بد وأن ياتهم ويصى الله في طلب رضام فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم من هذه أصلا ومن الحاجة إلى الخلق تنور المداوة والصدقة وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والفجأة وسائر المعاصي التي تفسد القلب واللسان ولا يغلو عن التدنى أيضا إلى سائر الجوارح وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه . الثالثة : وهي التي لا يفتك عنها أحد وهو أنه يلزمه إصلاح ماله . عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل البعد عن الله فهو خسار ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام : في المال ثلاث آفات أن يأخذ من غير حقه ، قيل إن أخذ من حقه ؟ فقال يضعه في غير حقه قيل إن وضعه في حقه فقال ينفقه لإصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الماء الضال فإن أصل العبادات وعنها وسرها ذكر الله والتفكير في جلالة ذلك يستدعى قلبا فارغا وصاحب الضيقة يحس ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسنة ولى خصومة الثركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة أعوان السلطان في الخراج وخصومة الأجراء على التصدير في العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه واتفراده بالربح وتصديره في العمل وتقصيره للمال وكذلك صاحب الملوثة وهكذا سائر أصناف الأموال وأبداها عن كثرة الشغل التقيد للمكوز تحت الأرض ولا يزال التفكير يتجدد فبا يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يشتر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه وأوديته تآكل الدنيا لانهاء لها والذى معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يتقاسمها أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والتم والملم والتعب في دفع الحساد ونعيم المصاعب في حفظ المال وكسبه فاذن ترى المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك محوم وآفات نساء الله تعالى السلامة وحسن النون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير .

من الله ويصفر في نفسه حتى يكون أقل من المياه وإذا رغب رأسه وحده الله يعلم أنه سبحانه وتعالى يسمع ذلك . وقال أيضا ويكون منه من الخشية ما يكاد يذوب به . قال السراج إذا أشد العبد في التسلاة فالأدب في ذلك أن يشاهد ويسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى أو كأنه يقرأ على الله تعالى . وقال السراج أيضا من أديهم قبل الصلاة إلى أقبية مرعاة القلب من الحواطر والعيارض ونفى كل شيء غير الله تعالى فإذا قاموا إلى الصلاة محضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيكون مع النفس

(بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والياس بما في أيدي الناس)

اعلم أن الفقر محمود كما أوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً بقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصاً على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يفتح جند الضرورة من العلم واللبس والسكن ويقتصر على الله قدره وأخيه نوماً ويرد أمه إلى يومه أو إلى شهره ولا يشغل قلبه بما يد يد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمه لانه عن القناعة وتدنى لعلالة الطمع وذل الحرص وجبر الحرص والطمع إلى مدوى الأخلاق وإرتكاب التكرات الخلقية للمروآت وقد جبل الأدعي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (١) وعن أبي واقد الليثي قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوحى إليه أنيائه يملأ بما أوحى إليه فجته ذات يوم فقال : إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثامن ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٢) وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو برامة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقولم لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتي واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «منهومان لا يشمان منهوم العلم ومنهوم المال» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو قال» (٥) ولما كانت هذه حجة للأدعي مضرة وغرزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم «طوب لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد فقير ولا غني إلا دأب يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «ليس الثني عن كثرة العرش إنما الثني غنى النفس» (٨) ونهى عن شدة الحرص والبالغة في الطلب فقال «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة» (٩)

- (١) حديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يبتغي لهما ثالثاً الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس وأنس (٢) حديث أبي واقد الليثي إن الله عز وجل يقول : إنا أنزلنا للمال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الحديث أحمد والبيهقي في الشعب بسند صحيح (٣) حديث أبي موسى نزلت سورة نحو برامة ثم رقت وحفظ منها إن الله يؤيد هذا الدين بأقولم لا خلاق لهم لو أن لابن آدم واديين من مال الحديث مسلم مع اختلاف دون قوله إن الله يؤيد هذا الدين ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه على بن زيد متكمل فيه (٤) حديث منهومان لا يشمان منهوم الحديث الطبراني من حديث بن مسعود بسند ضعيف (٥) حديث يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحديث يتفق عليه من حديث أنس (٦) حديث طوب لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من حديث فضالة بن عبيد ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو قد أفلح من أسلم وورق كفافاً وقنع الله بما آتاه (٧) حديث ما من أحد غني ولا فقير إلا ودأب يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا قوتا ابن ماجه من رواية قبيص بن الحارث عن أنس وقبيص ضعيف (٨) حديث ليس الثني عن كثرة العرش إنما الثني غنى النفس متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فانه ليس لبد إلا ما كتب له الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه إسناده وقد تقدم في آداب السكينة والياس .

والفعل الذين دخلوا في الصلاة بهما فلما خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حلمهم من حضور القلب فكانهم أبدا في الصلاة فهذا هو أعيب الصلاة وقيل كان بعضهم لا يبتغي له حفظ العدد من كمال استغراقه وكان يجلس واحد من أصحابه يجدد عليه كم ركة صلى . وقيل : للصلاة أربع شعب حضور القلب في الحراب وشهود العقل عند ذلك الوهاب وشعور القلب بلا ارتباب وخضوع الأركان بلا ارتباب لأن عند حضور القلب يرفع الحجاب وعند شهود العقل يرفع الثاب ومن حضور النفس فتح الأبواب وعند خضوع



وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغني؟ قال أنتم بما أعطيتهم قال فأبهم أعدل؟ قال من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي إن تسال إن تموت حق تستكمل رزقك فاتقوا الله وأجروا في الطلب» (١) وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فليكن رغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قسا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما أحب لنفسك تكن مؤمنا» (٢) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطعم فيما رواه أبو أيوب الأنصاري «أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظمي وأوجري فقال: إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن» بحديث تفتخر منه غذا وأجمع اليأس عما في أيدي الناس (٣) وقال عوف بن مالك الأشجعي «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله قلنا أو ليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فلي ماذا تبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتعلموا أن الله لا يظلم شيئا ولا يمدح عليه ولا تسألوا الناس شيئا» (٤) قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن ينأوه إليه. الآثار: قال عمر رضى الله عنه: «إن الطعم قتل وإن اليأس غنى وإنه من يئس مما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما ألتقى؟ قال قلة تخليك ورضاك بما يبتدئك وفي ذلك قيل:

اليمى ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر  
والعيش ساعات تمر

وكان محمد بن واسع يمل الحزب اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم ينجح إلى أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تتجلبوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم. وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكتفيك خير من كثير يطيئك. وقال سميط بن هجنان: إنما يطنك يا ابن آدم خير في هبر قل يدخلك النار. وقيل لحكيم ما مالك قال التجل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس عما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأت الرجل فيقول إنك وإنك يقطع ظهري فأما يأتيه ما قسم له من الرزق أو مازرق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يئزم عليه إلا رضى إليه حوائجهم فكتب إليه قد رقت حوائجهم إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت

(١) حديث ابن مسعود إن روح القدس نفث في روعي إن تسال إن تموت حق تستكمل رزقك الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحلم مع اختلاف وقد تقدم فيه (٢) حديث أبي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٣) حديث أبي أيوب إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تفتخر منه غذا وأجمع اليأس عما في أيدي الناس ابن ماجه وقد تقدم في الصلاة والحلم كبحوه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاستاذ (٤) حديث عوف بن مالك كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون الحديث وفيه ولا تسألوا الناس. مسلم من حديثه لم يقل قال قائل ولا قال تسعوا وقال سوط أحدكم وهي عند أبي داود وابن ماجه كاذرها لصف

الأركان وجود الثواب  
فإن أت الصلاة بلا  
حضور القلب فهو  
مصل لاه ومن أتاها  
بلا شهود العقل فهو  
مصل لاه ومن أتاها  
بلا خضوع النفس فهو  
مصل خاطي ومن  
أتاها بلا خضوع  
الأركان فهو مصل  
جاف ومن أتاها كما  
وصف فهو مصل وافد  
وقد ورد عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
«إذا قام البد إلى  
الصلاة المكتوبة مقبلا  
على الله بقلبه وسمعه  
وبصره انصرف من  
صلاته وقد خرج من  
ذوقه كيوم ولدته أمه  
وإن الله لا يفر بصل الوجه  
خطيئة أصابها وبصل  
يديه خطيئة أصابها  
وبصل رجله خطيئة

وما أمسك عن قمت . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أسر للعامل وأما شيء أعون على دفع الحزن ؟  
 قال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعوها له على دفع الحزن الرضا ببحوم القضاء . وقيل بعض  
 الحكماء : وجدت أطول الناس غما الحسود وأهانهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحرص إذا  
 طمع وأخضعهم عيشا أرضهم لندنا وأعظمهم ندامة العالم القنوط وفي ذلك قيل :  
 ارفه يال فتى أمسى على قفة إن الذي قسم الأرزاق يرزقه  
 فالحرص منه مصون لا يندسه والوجه منه جديد ليس يحلقه  
 إن القناعة من محل يساحتها لم يلق في دهره شيئا يؤرقه  
 وقد قيل أيضا :

حق من أنا في حلل وترحال وطول سعي وإدبار وإقبال  
 وتلوح الدار لا أضحك مقربا عن الأحبة لا يدرون ما حالي  
 بمشرق الأرض طورائهم مغربها لا يخطر للوئيم حرصي على مالي  
 ولو قمت أناني الرزق في دعة إن القنوع التي لا كثرة للمال

وقال عمر رضي الله عنه : ألا أخبركم بما استعمل من مال الله تعالى حلتان لثانتي وقيتي وما يسنى  
 من الظاهر لحبي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريبي لست بأرضهم ولا بأوضهم  
 فوالله ما أدري أحل ذلك أم لا كأنه حك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تحب  
 القناعة بها . وعاب أعرابي أخاه على الحرص قال يأخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لاضوته  
 وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما باب منك قد كشف لك وما أنت فيه قد قلت عنه كأنك يأخى  
 لم تر حرصا محروما وزاهدا مرذوقا . وفي ذلك قيل :

أراك يزيدك الإراء حرصا على الدنيا كأنك لا تموت  
 فهل لك غاية إن صرت يوما إليها قلت حسي قد رعبت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة قتلت ما تريد أن تصنع بي ؟ قال أذبحك وأكلك قالت والله  
 ما أنفي من قرم ولا أبيع من جوع ولكن أضحك ثلاث خصال هي خير لك من أكلتي ، أما واحدة  
 فأهلك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل فالداهات  
 الأولى قالت : لا تلتهن على ما فاك غلاها فما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن  
 بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل قالت يا بني لو ذهبت لأخرجت من حوصلي  
 درين زنة كل درة عثرون متقالا قال فض على غننه وظهف وقال هات الثالثة قالت أنت  
 قد نسيت الاثنين فكيف أخبرك بالثالثة أم أقل لك لا تلتهن على ما فاك ولا تصدقن بما لا يكون  
 أنا لحى ودوى ورشي لا يكون عشرين متقالا فكيف يكون في حوصلي درتان كل واحد عثرون  
 متقالا ثم طارت فنهبت وهذا مثال قنوط طمع الأدنى فانه يبعيه عن درك الحق حتى يقدر  
 ما لا يكون أنه يكون . وقال ابن الهك : إن الرجاء جبل في قلبك وفيه في رجلك فأخرج الرجاء  
 من قلبك فخرج القيد من رجلك . وقال أبو محمد اليزيدي : دخلت على الريد فوجدته ينظر في  
 ورقة مكتوب فيها باللعب فما رأى تبسم قلت فائدة أصح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين  
 البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأشدنى :

إذا حد باب عنك من دون حاجة فعد لأخرى ينفع لك بابها  
 فإن قرب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سواك الأمور واجتباها

أحبها حتى يدخل في  
 صلاته وليس عليه  
 وزر . وذكر السرة  
 عند رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 قال أي السرة أبيع  
 فقالوا الله ورسوله أعلم  
 قال إن أبيع السرة  
 أن يسرق الرجل من  
 صلاته قالوا كيف يسرق  
 الرجل من صلاته ؟  
 قال لا يتم ركوعها ولا  
 سجودها ولا خشوعها  
 ولا القسامة فيها .

وروى عن أبي عمرو بن  
 العلاء أنه قدم للإمامة  
 فقال لأصحابه فما أحوال  
 عليه كبر فضى عليه  
 قد موألاما آخرها  
 أفاق سئل قال لما  
 قلت استنوا هتف بي  
 هاتف هل استوت  
 أنت مع الله قط . وقال  
 عليه السلام إن البعد

ولذلك مبذلاً لمرضك واجتنب ركوب للنصي يجتنب عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العالم من قلوب السوء بعد إذ وعوها وعذرها قال الطمع وشبه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل فسرى قوله لكعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلب فيه يذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب أن يفوته شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قضاه لك خزم وأهلك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن حيك لك الدنيا سلت عليه إذا مررت به وعده إذا مرض لم تسلم عليه له عز وجل ولم تدهه له فلم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك ثم قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . قال بعض الحكماء : من عيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجح أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة النعم وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت برعاب قتلته من أين تأكل ؟ قال من يدرك اللطيف الخبير الذي خلق الرجا يأتها بالطمعين وأوماً يده إلى رجا أضراسه فسبحان التدبير الخبير .

( بيان علاج الحرص والطمع والله الذي يكتب به صفة القناعة )

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة أمور : الأول وهو العمل ، الاقتصاد في اللبشة والرفق في الاتفاق فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسدّ عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه ويردّ نفسه إلى ما لا بدّ له منه فمن أكثر خربه والتسع إذا فاقه لم يمتكح القناعة بل إن كان وحده فينبغي أن يفتح أبواب واحد خشن ويحتم بأيّ طلم كان ويقلل من الإدما ما أمكنه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر فإن هذا التدبير ييسر بأدنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب والاقتصاد في اللبشة وهو الأصل في القناعة ونفى به الرفق في الإتفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « ما عال من اتصد » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث منجيات : خشية الله في السر والعلانية والتصد في الثنى والفقير والعسل في الرضا والتضيق » (٣) وروى أن رجلاً أبصر أبا الدرداء يلتقط حبا من الأرض وهو يقول : إن من قهقهة رفقك في معيشتك وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الاقتصاد وحسن السم والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة » (٤) وفي الخبر « التدبير نصف اللبشة » (٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من اتصد أشاء الله ومن بلوا قرءه القوم من ذكر الله عز وجل

(١) حديث إن الله يحب الرفق في الأمر كله متفق عليه من حديث عائشة وقد هــم (٢) حديث ما عال من اتصد أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود ورواه من حديث ابن عباس يلفظ مقتصد (٣) حديث ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والتصد في الثنى والفقير والعسل في التضييق البزاد والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث ابن عباس الاقتصاد وحسن السم والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة أبو داود من حديث ابن عباس مع تقدم وتأخير وقال السم الصالح وقال من خمسة وعشرين ورواه الترمذي وحسنه من حديث صيد الله بن سرجس وقال التؤدة بدل الهدى الصالح وقال من أربعة (٥) حديث التدبير نصف اللبشة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه خلاف بن عيسى جبه القليل ووثقه ابن معين

إذا أحسن الوضوء  
وصلّى الصلاة لوقتها  
وحافظ على ركوعها  
وسجودها ومواقبتها  
قالت حفظك الله كما  
حفظني ثم صعدت ولها  
نور حتى تلتقي إلى  
السما وحتى تصل إلى  
الله فتشفع لصاحبها  
وإذا أضعافا قالت  
ضيحك الله كما ضحيتني  
ثم صعدت ولها ظلمة  
حتى تلتقي إلى أبواب  
السما فتلقى دونها ثم  
تلف كما يلف التوب  
الحلق فيضرب بها  
وجه صاحبها وقال  
أبو سليمان الداراني إذا  
وقب البعد في الصلاة  
يقول الله تعالى ارفعوا  
الحجب فيما بيني وبين  
عبدي فإذا التفت  
يقول الله أرخواها فما  
بين يمينه وشماله

أحبه الله <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا <sup>(٢)</sup> » والتؤدة في الاخاق من أمم الأمور . الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يبغيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل وبسببه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدره لابد وأن يأتيه . وإن لم يشتد حرصه فانه قد عدا الحرص ليست هي السبيل لوصول الرزاق بل ينبغي أن يكون وانما يوجد الله تعالى إذ قال عز وجل - وما من دابة في الأرض إلا على إمدادنا - وذلك لأن الشيطان يمد القتر ويأمره بالقنصا ، ويقول إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمض وربما تنجز وتحتاج إلى احتال القدر في السؤال فلا يزال طول العمر يتبعه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتاله التعب قد دام الثقة عن الله ثموم تسب في ثاني الحال وربما لا يكون . وفي مثل قيل:

ومن يتفق الساعات في جمع ماله  
عخافة قفر فإدى فصل الفقر

وقد دخل ابنه خاله في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحما « لا تأيسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما فان الانسان قلبه أمة أحر ليس عليه تضر ثم يرزقه الله تعالى <sup>(٣)</sup> » ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مسعود وهو حزين فقال له « لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا يا أيها الناس أجمعوا في الطلب فانه ليس لبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة <sup>(٥)</sup> » هو لا يترك الانسان عن الحرص إلا بحسن تهيئة تهيئة الله تعالى في تقدير أرزاق العباد وأن ذلك يحصل لاهلها مع الاجمال في الطلب بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله لعبد من حيث لا يحتسب أكثر قال الله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله . وقال صلى الله عليه وسلم « وأن الله أن يرزق عبده للؤمن إلامن حيث لا يحتسب <sup>(٦)</sup> » وقاسميفان اتفق الله لما رأيت فيها محتاجا أي لا يترك الشيء وقد انصروته في باقي الله في غلاب السليين أي يوصلوا إليه رزقه ، وقال الفضل النبي قلت لأعرابي من أين معاك قال نذر الحاج قلت فاذا صدقوا بك وقال لولم نعمي إلامن حيث تدرى لم نعمي . وقال أبو حازم رضي الله عنه وجدت الدنيا عيشة شيئا منها هو لي فلن أجمعه قبل وقته ولو ملطته بقوة السموات والأرض وعيشة منها هو لغيري فلذلك لم أجمعها مضى فلا أرجوه فبقا بقي يجمع الذي لغيري متى كما يجمع الذي لي من غيري في أي هذين أتني حمري فهذا دواء من جهة المعرفة لابد منه لدفع خويف الشيطان وإنذاره بالفقر . الثالث أن يصر في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من القدر فاذا تحقق تندد ذلك انبثرت رغبته إلى القناعة لأنه

صبدي وما اختار نفسه . وقال أبو بكر الوراق ربما أصلى ركعتين فأصرف منهما وأنا متسجي من الله حيا رجل أنصرف من أثرنا قوله هذا لعظم الأديب عنده وسعة كل إنسان بأديب الصلاة على قدر حظه من القرب . وقيل لموسى بن جعفر إن الناس أنسلوا عليك الصلاة بمحرم بين يدك قال إنه الذي أصلى له أقرب إلى من الذي يمشي بين يدي وتيل كان زين العابدين على بن الحسين رضي الله عنهما إذا أراد أن يخرج إلى الصلاة لا يعرف من تغير لونه فيقال له في ذلك فيقول أتدرون بين يدي

(١) حديث من قصد أعتاه الله الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله ومن ذكر الله أحبه الله وعينه فيه عمران بن هارون البصري قال الذهبي شيخ لا يعرف حاله أتى خبر منكر أي هذا الحديث وأحمد وأبي يعلى في حديث لأبي سعيد ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله . (٢) حديث إذا أردت أمرا فليكن بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا رواه ابن المبارك في البر والسنن وقد تقدم (٣) حديث لا تأيسا من الرزق ما تهزمت رءوسكما الحديث ابن ماجه من حديث حبة وسواء ابن خاتم وقد تقدم (٤) حديث لا تسكر همك ما قدر يكن وما ترزق يأتك قاله ابن مسعود أبو نعيم من حديث خاتم بن رافع وقد اختلف في صحبه ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمرو النافري مرسل (٥) حديث ألا يا أيها الناس أجمعوا في الطلب الحديث قد قيل هذا ثلاثة عشر حديثا (٦) حديث أبي القاسم أن يرزق عبده للؤمن إلامن حيث لا يحتسب ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بن أسناد رواه ابن الجوزي في الموضوعات .

في الحرس لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفتور وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الويل واللائم ثم يغوته عز النفس والقدرة على متابة الحق فان من كثرت طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يملكه دعوتهم إلى الحق ويتركه للداهية وذلك هلاك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان قال صلى الله عليه وسلم « عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس » (١) وفي القناعة الحرية والعز ، ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أميره وأحسن إلى من شئت تكن أميره . الرابع أن يكثر تأمله في تتم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحق أن الكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر إلى أحوال الأتقياء والأولياء وإلى صمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطلع أحوالهم وغيره فيبين أن يكون على مشابة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الشنك والقناعة باليسر فانه إن تتم في البطن فالخمار كثيرا كلا منه وإن تتم في الواقع فالخزير أكل رتبة منه وإن تزين في اللبس والحيل في اليهود من هو أكل زينة منه وإن قنع بالقليل ورضى به لم يساهم في رتبته إلا الأتقياء والأولياء . الخامس أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آيات السال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليمن الأمن والفرار ويتأمل ما ذكرناه في آيات المال وما فيه من الدافعية عن باب الجنة إلى حسمه فانه إذا لم يتنع بما يملكه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء ويتم ذلك بأن ينظر أبدا إلى من دونه في الدنيا لا إلى من فوقه فان الشيطان أبدا يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول لم يفتخر عن الطلوع بأرباب الأموال يتسمون في اللباس ولللباس وصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول ولم يفتخر على تصك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتتم فلم تريد أن تتميز عنهم . قال أبو ذر أوصاني خليلي صلات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقني (٢) أي في الدنيا . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه عن فضل عليه » (٣) فبهذه الأمور يهدى على اكتساب خلق القناعة وعهاد الأمر الصبر وقصر الأمل وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قليل لا تتمتع دهرها طويلا فيكون كالرئيس الذي يصبر على مرارة الفؤاد لشدة طمعه في انتظار الشفاء .

( بيان فضيلة السجاء )

اعلم أن السال إن كان مقنودا فينبغي أن يكون حاله البعد القناعة وقلة الحرس وإن كان موجودا فينبغي أن يكون حاله الإيتار والسجاء واسطناع للمعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السجاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة ، وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال « السجاء شجرة من هجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بسنن منها فقد ذلك »

(١) حديث عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس الطبراني في الأوسط والحاكم وصححه إسماعيل أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث وفيه زفر بن سبجان عن محمد بن عيسى وكلاهما مختلف فيه وجعله القاضي في مستدركه من قول النبي صلى الله عليه وسلم (٢) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر لمن هو فوقني أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم (٣) حديث أبي هريرة إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في السال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه عن فضل عليه متفق عليه وقد تقدم .

من أريد أن أنقب .

وروى عمار بن ياسر

عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه قال

« لا يكتب للعبد من

صلاته إلا ما يقبل » وقد

ورد في نسخت آخر

« منكم من يصلي

الصلاة كاملة ومنكم

من يصلي النصف

والثلث والربع والخمس

حتى يبلغ العشر » قال

الحواصم ينفى للرجل

أن يسوى نوافله

لنقصان فرائضه فان

لم ينوها لم يحسبه

منها شيئا . بلنا أن الله

لا يقبل نافلة حتى

تؤدي فريضة يقول

الله تعالى يمتلك كل

البعد السوء بدأ

بالهدية قبل قضاء

الدين ، وقال أيضا

اقطع الخلق عن الله

النسب إلى الجنة <sup>(١)</sup> » وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى إن ههنا دين ارتضيته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم <sup>(٢)</sup> » وفي رواية « فأكرموه بهما ما محبتوه » وعن عائشة الصديقة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جل الله تعالى ولياه إلا على حسن الخلق والسخاء <sup>(٣)</sup> » وعن جابر قال « قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟ قال الصبر والسخاء <sup>(٤)</sup> » وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خلقان يجيها الله عز وجل وخلقان يفضيها الله عز وجل فأما الأذان يجيها الله تعالى حسن الخلق والسخاء وأما الأذان يفضيها الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبده خيرا استعمله في قضاء حوائج الناس <sup>(٥)</sup> » وروى للقدماء بن شريح عن أبيه عن جده قال « قلت يا رسول الله دلتى على عمل يدخلنى الجنة قال إن من موجبات للنفرة بذل الطعام وإنشاء السلام وحسن الكلام <sup>(٦)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخاء شجرة فى الجنة من كان سببا أخذ بضمن منها فلم يتركه ذلك التنس حتى يدخله الجنة والشح شجرة فى النار فمن كان شحيما أخذ بضمن من أغصانها فلم يتركه ذلك التنس حتى يدخله النار <sup>(٧)</sup> » وقال أبو سعيد الخدرى قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان عبادى تعيشوا فى أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القامية قلوبهم فاني جعلت فيهم منعتى <sup>(٨)</sup> »

(١) حديث السخاء شجرة فى الجنة الحديث ابن حبان فى الفضلاء من حديث عائشة وابن عدى واللهار قطفى فى السجدة من حديث أبى هريرة وسبأى بعده وأبو نعيم من حديث جابر وكلامه ضيف ورواه ابن الجوزى فى اللوؤعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبى سعيد <sup>(٢)</sup> حديث جابر مرفوعا حكاية عن جبريل عن الله تعالى إن ههنا دين رضىته لنفسى ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق واللهار قطفى فى السجدة وقد تضمن <sup>(٣)</sup> حديث عائشة ما جعل الله ولياه إلا على السخاء وحسن الخلق واللهار قطفى فى السجدة دون قوله وحسن الخلق بسند ضعيف ومن طريقه ابن الجوزى فى اللوؤعات وذكره بهله الزيادة ابن عدى من رواية بقية عن يوسف بن أبى السفر عن الأوزاعي عن الزهرى عن عروة عن عائشة ويوسف ضعيف جدا <sup>(٤)</sup> حديث جابر أى الإيمان أفضل قال الصبر والسخاء أبو يمل وابن حبان فى الفضلاء بلفظ سئل عن الإيمان وفيه يوسف بن محمد بن للتكدر ضعف الجمهور ورواه أحمد من حديث عائشة وعمر بن عتبة بلفظ ما الإيمان قال الصبر والسخاء وفيه شهر بن حوشب ورواه البيهقى فى الزهد بلفظ أى الأعمال أفضل قال الصبر والسخاء وحسن الخلق وإسناده صحيح <sup>(٥)</sup> حديث عبد الله بن عمرو خلقان يجيها الله وخلقان يفضيها الله فأما الأذان يجيها الله فحسن الخلق والسخاء الحديث أبو منصور الديلمى دون قوله فى آخره وإذا أراد الله بعبده خيرا وقال فيه الشجاعة بدل حسن الخلق وفيه محمد بن يونس الكديمى كذبه أبو داود وموسى ابن هارون وغيرهما ووجه الخطيب وروى الأصفهاني جميع الحديث موقوف على عبد الله بن عمرو وروى الديلمى أيضا من حديث أنس إذا أراد الله بعبده خيرا صير حوائج الناس إلى يوفيه يحيى بن شبيب ضعفه ابن حبان <sup>(٦)</sup> حديث للقدماء بن شريح عن أبيه عن جده إن من موجبات للنفرة بذل الطعام وإنشاء السلام وحسن الكلام الطبراني بلفظ بذل السلام وحسن الكلام وفي رواية يوجب الجنة إطعام الطعام وإنشاء السلام وفي رواية له عليك بحسن الكلام وبذل الطعام <sup>(٧)</sup> حديث أبى هريرة السخاء شجرة فى الجنة الحديث وفيه والشح شجرة فى النار الحديث واللهار قطفى فى السجدة وفيه عبد الله بن عمران الزهرى ضعيف جدا <sup>(٨)</sup> حديث أبى سعيد يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحمان من عبادى تعيشوا فى أكنافهم الحديث ابن حبان فى الفضلاء والحرالطى فى مكارم الأخلاق والطبراني

تعالى بخصتين إحداها أنهم طلبوا التواضع وضربوا القرائن والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق فيها والنصح لها وإن الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق وتصح العين فى المسئلة أولى من تضمين العين إلا أن يتفقت همه بشرق النظر فيضمض العين للاستماع على الموضوع وإن تناوب فى الصلاة يضم شففيه بقدر الامكان ولا يلقى ذقه بصدرة ولا ينام فى الصلاة غيره قيل ذهب للزحوم صلاة الزحام وقيل من ترك الصف الأول حافة أن يضيق

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر<sup>(١)</sup>» وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم «الرزق إلى مطعم الطام أسرع من السكن إلى ذروة الجير وإن الله تعالى ليأهي مطعم الطام للانسكة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاهتها<sup>(٣)</sup>» وقال أنس «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وأما رجل فقاه فأمره له بشاء كثير بين جبلين من هاهنا الصدقة فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا لأن محمدا يعطي عطاء من لا يخف الفاقة<sup>(٤)</sup>» وقال ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يختصم بالتم لمافع العبادين رجل تلك لتنافع على العباد قلها الله تعالى عنه وحوها إلى غيره<sup>(٥)</sup>» وعن الهلال قال «آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفراد منهم رجلا فقال بنى أبى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله أرب واحد والله بن واحد والذنب واحد فهايل هذا من بينهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نزل على جبريل فقال اقتل هؤلاء وأترك هذا فان الله تعالى شكره سخاء فيه<sup>(٦)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسجيل السراح<sup>(٧)</sup>» وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء<sup>(٨)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم

في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الضعيف ورواه القتيبي في الفضلاء فقهه عبد الرحمن السدي وقال إنه مجهول وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك بن الخطاب وقد غرره ابن القطان وتابعه عليه عبد الصغار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم لأبأس بحديثه وتكلم فيه الجوزجاني والأزدى ورواه الحاكم من حديث طى وقال إنه صحيح الإسناد وليس بمقلد<sup>(١)</sup> حديث ابن عباس تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عثر الطيراني في الأوسط والحراطيني في مكارم الأخلاق . وقال الحراطيني «أيقوا السخي زلته وفيه ليث بن أبى سليم يختلف فيه ورواه الطبراني فيه وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بأسناد ضعيف ورواه ابن الجوزي في اللوؤعات من طريق الدار قطنى<sup>(٢)</sup>» حديث ابن مسعود الرزق إلى مطعم الطام أسرع من السكن إلى ذروة الجير الحديث لم أجده من حديث ابن مسعود ورواه ابن ماجه من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ الخير أسرع إلى البيت القى يضى وفي حديث ابن عباس يؤكل قيعن الشفرة إلى سنام العير ولأبى الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر الرزق إلى أهل البيت الذى فيه السخاء الحديث وكلها ضعيفة<sup>(٣)</sup> حديث إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأمور ويكره سفاهتها الحراطيني في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كرز وهذا مرسل ولاطبراني في الكبير والأوسط والحاكم البيهقي من حديث سهل بن سعد إن الله كرم يحب الكرم ويحب معالي الأمور وفي الكبير والبيهقي معالي الأخلاق الحديث وإسناده صحيح وتقدم آخر الحديث في أخلاق النبوة<sup>(٤)</sup> حديث أنس لم يسأل على الإسلام شيئا إلا أعطاه فأمره له بشاء كثير بين جباين الحديث مسلم وتقدم في أخلاق النبوة<sup>(٥)</sup> حديث ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم «إن لله عبادا يختصم بالتم لمافع العباد الحديث الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السقي وفيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبى عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدى<sup>(٦)</sup>» حديث الهلال آتى النبي صلى الله عليه وسلم بأسرى من بني النضير فأمر يقتلهم وأفراد منهم رجلا الحديث وفيه فان الله شكره سخاء فيه لم أجده أصلا<sup>(٧)</sup> حديث إن لكل شيء ثمرة وثمرته للعرف تسجيل السراح لم ألقه على أصل<sup>(٨)</sup> حديث نافع عن ابن عمر طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ابن عدى والدار قطنى في غرائب مالك وأبو حنيفة في عوالي قال رجاء

على أهله قام في الثاني أعطاه الله مثل ثواب الصف الأول من غير أن ينقص من أجورهم شيء وقيل إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة يسبح خفقان قلبه من ميل . وروى عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح من صدده أربى كآربى الرجل حتى كان يسبح في بعض سكك المدينة وسئل الجليل ما فرضة الصلاة ؟ قال قطع الملاقى وجمع المم والحضور بين يدي الله وقال الحسن ماذا يميز عليك من أمر دينك إذا هانت عليك صلاتك . وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض





« كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة (١) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل الناسمى فانه سخي وقال جابر « بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فخر لهم قيس تسع ركائب لخدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٢) . الآثار : قال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت (٣) . عليك الدنيا فأفق منها فأفيا لاخى وإذا أدبرت عنك فأفق منها فأفيا لايتقى وأنشد :

لايتخفن بدنيا وهي مقبلة فليس يتقصها التذير والسرف  
وإن تولت فأحرى أن تجود بها فالحذر منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الروعة والتجدة والكرم فقال أما الروعة فحفظ الرجل دينه وحذره نفسه وحسن قيامه بنفسه وحسن للنازعة والاقدم في الكرامة . وأما التجدة فالب عن الجار والصبر في اللواطن وأما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرفقة بالسائل مع بذل النائل . ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية قليله يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعتي ثم رددت الجواب على قدر ذلك قال يسألني الله عز وجل عن ذلك مقامه بين يدي حق أقرا رقعتي . وقال ابن السكيت هبت لمن يشتري للمالك بماله ولا يشتري الأحرار بمروره . وسئل بعض الأعراب من سيديكم فقال من احتمل شتمنا وأعطى ما لنا وأغضى عن جاهنا . وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما من وصف يذلل ماله لطلابه لم يكن سخيًا وإنما السخي من يتعدى بعتوق الله تعالى في أهل طاحته ولا تنازعه عنه إلى حب الشكره إذا كان يشبه ثواب الله تاما . وقيل للحسن البصري ما السخاء ؟ فقال أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم ؟ قال أن تمنع مالك فية قيل فما الاسراف ؟ قال الاتفاق لحب الرياسة . وقال جعفر الصادق رحمه الله عليه لا مال أعون من القل ولا مصيبة أعظم من الجهل ولا مظاهره كالشاوره إلا أن الله عز وجل يقول : إن جولد كرم لا يجاورني ثلم والاثم من الكفر وأهل الكفر في النار والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة . وقال حذيفة رضي الله عنه عاب جابر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بساخته . وروى أن الأخف بن قيس رأى رجلا في يده درهم فقال لمن هذا درهم فقال لي قال أما إنه ليس لك حق يخرج من يدك وفي مناه قول : أنت لصال إذا أمسكتك فإذا أخفقت فامسك لك

وسمى واصل بن عطاء التزائل لأنه كان يجلس إلى التزائلين فإذا رأى امرأة ضيفة أعطاها شيئا . وقال الأصمعي كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يشبه عليه في إعطاء الفقراء فكسب إليه خير المال ما وفي به المرض . وقيل لسفيان بن عيينة ما السخاء قال السخاء البر بالإخوان والجود بالمال . قال وورث أبي خنيس ألف درهم فبث بها صررا إلى إخوانه . وقال قد كنت

والله يجب إغانة الفقراء المار قطي في السجدة من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده والحجاج ضيف وقد جاء مفرقا فالجنة الأولى تجتهد فيه والجنة الثانية تجتهد في العلم من حديث أنس وغيره والجنة الثالثة رواها أبو ميل من حديث أنس أيضا وفيها زيادة في شريف (١) حديث كل معروف فضله إلى غنى أو فقير صدقة المار قطي فيه من حديث أبي سعيد وجابر والطبراني والحرثي كلاهما في مكابر الأخلاق من حديث ابن مسعود وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضيفين (٢) حديث جابر بث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثا عليهم قيس بن سعد ابن عبادة فجهدوا فخر لهم قيس فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم إن الجود لمن شيعة أهل ذلك البيت المار قطي فيه من رواية أبي حمزة الخيمري عن جابر ولا يعرف اسمه ولا حله .

الناس أحسن أن  
صلى الله عليه وسلم قال كيف  
صلى الله عليه وسلم قال أقوم بالأمر  
وأمشي بالخشية  
وأدخل بالمهية وأكبر  
بالعظمة وأقرأ بالتزليل  
وأركب بالحشوع  
وأسجد بالتواضع  
وأقعد للتعبد بالتمام  
وأسلم على السنة  
وأسلما إلى ربي  
وأحفظها أيم حياتي  
وأرجع باليوم على نفسي  
وأخاف أن لا تهبل  
من وأرجو أن تهبل  
من وأنا بين الخوف  
والرجاء وأسكن من  
عقلي وأطعم من  
سألي وأحمد ربي إذ  
هداني قال محمد بن  
يوسف مثلك يصلح  
أن يكون واعظا وقوله  
تعالى - لا تهروا  
الصلاة وأنتم سكارى-

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى لِأَخَوَانِي الْجَنَةِ فِي صَلَاتِي أَمَا جُعِلَ عَلَيْهِمُ بِالْمَالِ . وَقَالَ الْحَسَنُ بِنْدُ الْيَهُودِ فِي بَيْتِ الْوُجُودِ مَتَيْبِي الْجُودِ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَّامِ مَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيْكَ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدِي قِيلَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ مَنْ كَثُرَتْ أَيَادِيهِ عِنْدَهُ . وَقَالَ عَبْدِ الْعَزِزِّ بْنِ مِرْوَانَ إِذَا الرَّجُلُ امْتَكَنَ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى امْتَنَعَ مَرْوُفِي عِنْدَهُ فَيَدَى عِنْدِي مِثْلُ يَدِي عِنْدَهُ وَقَالَ الْهَدْيُ لِشَيْبِ بْنِ غِيَاةٍ كَيْفَ رَأَيْتَ النَّاسَ فِي دَارِي قَدْ لَمْ يَأْمُرِ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنْ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِيَدْخُلَ رَاجِئًا وَيُخْرَجَ رَاضِيًا وَيَتَخَلَّ مِثْلُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ :

إِنْ السَّمِيَّةُ لَا تَحْتَكُونَ سَمِيَّةً حَتَّى يَصَابَ بِهَا طَرِيقُ الصَّنْعِ  
فَإِذَا اصْطَلَتْ سَمِيَّةً فَاصْهَمْ بِهَا اللَّهُ أَوْ لَدَوِي الْقَرَابَةَ أَوْدَعُ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ إِنْ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ لِيَخْلُتَا النَّاسَ وَلَكِنْ أَمْطَرُ لِلرُّوْفِ مَطَرًا فَإِنْ أَصَابَ الْكَرْمَ كَانُوا لَهُ أَهْلًا وَإِنْ أَصَابَ الْكَلَامَ كُنْتَ لَهُ أَهْلًا .

### (حكايات الأسخياء)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّكْدَرِ عَنْ أُمِّ دُرَّةٍ وَكَانَتْ تَخْدُمُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ إِنْ مَعَاوِيَةَ بَشَّ إِلَيَّ بِعَالٍ فِي غُرَابَيْنِ تَحْمِلَانِ وَمَالَةَ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَدَعَتْ بِطَبِيقٍ فَجَلَسَتْ تَحْتَهُ بَيْنَ النَّاسِ فَلَمَّا مَسَتْ لَتَ بِأَجَارِيَةٍ هَلَسَى فَطَوْرِي فَبَاهَتْهَا بِخَبْزٍ وَزَيْتٍ فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ دُرَّةٍ مَا اسْتَطَعْتَ لِيَا قَسَمْتُ الْيَوْمَ أَنْ تَلْقَى لَنَا بِدَرَمٍ حَتَّى تَقَطُرَ عَلَيْهِ فَقَالَتْ لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي قَطَعْتَ . وَعَنْ أَبِي بَرٍّ عَنْ عِيَّانَ قَالَ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَشَارَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَاسٍ فَأَتَى وَجْهَ قَرِيْبِي قَالَ يَقُولُ لَكُمْ عِبْدُ اللَّهِ تَعْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ فَأَتَوْهُ حَتَّى مَلَّؤُوا عَلَيْهِ الْهَارَ فَقَالَ مَا هَذَا فَأَخْبَرَ الْحَبْرَ فَأَمَرَ عَبِيدَ اللَّهِ بِشِرَاءِهَا فَكَفَّ وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا وَخَبَزُوا وَقَدَّمَتْ الْفَاكِهَةَ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْرُغُوا مِنْهَا حَتَّى وَصَلَتْ لِلْوَالِدِ فَأَكَلُوا حَتَّى صَدُرُوا وَقَالَ عِبْدُ اللَّهِ لَوْ كَلَّاهُ أَوْ وَجَدْتُهُ لَنَا هَذَا كُلَّ يَوْمٍ قَالُوا نَحْنُ قَالَتْ فَلْيَتَّخِذْ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَقَالَ مَصْبُوحُ بْنُ الْوَيْهَجِ حَجَّ مَعَاوِيَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَخِيهِ الْحَسَنِ لَأَتْلُقَهُ وَلَا تَسْلَمُ عَلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ مَعَاوِيَةَ قَالَ الْحَسَنُ إِنَّ عَلِيًّا دِينًا فَلَا بَدَ لَنَا مِنْ إِيَّائِهِ فَرَكِبَ فِي آتَمِهِ وَلَحِقَهُ فَلَمَّ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ بِدِينِهِ فَأَرَوْا عَلَيْهِ يَمْنَعُ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَقَدْ أَهْيَا وَتَخَلَّفَ عَنِ الْإِبِلِ وَقَوْمٌ يَسُوقُوهُ قَالَ مَعَاوِيَةُ مَا هَذَا قَدْ كَرِهَ قَالَ اصْرَفُوهُ بَعَا عَلَيْهِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ . وَعَنْ وَاقِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْوَقْدِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ رَفَعَ رَقْعَةً إِلَى الْأُمَمُونَ يَذْكُرُ فِيهَا كَثْرَةَ الدِّينِ وَقَعَهُ صَبْرُهُ عَلَيْهِ فَوَقَعَ الْأُمَمُونَ عَلَى ظَهْرِ رَقْعَتِهِ إِنَّكَ رَجُلٌ اجْتَمَعَ فِيكَ خَصْلَتَانِ السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ فَأَمَّا السَّخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أُلْخِقَ مَالِي بِإِيْدِيكَ وَأَمَّا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَصَبْتُ فَزَادَتْ فِي بَسْطِ يَدِكَ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَصَبْتُ فَجَانِبْتُكَ عَلَى تَهْنِئَةٍ وَأَمْتُ حَدَّثَنِي وَكُنْتُ عَلَى قَضَاءِ الرَّشِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الْأَثَرِيِّ عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَزَيْرِ بْنِ الْعَرَامِ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعَالَمِ بَابُ الْعَرْشِ يَمُتُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ بِقَدْرِ نَفَقَتِهِ لِمَنْ كَثُرَتْ لَهُ وَمَنْ قَلَّتْ قَلِيلَةٌ وَأَمْتُ اعْلَمْ <sup>(١)</sup> قَالَ الْوَاقِدِيُّ فَوَاللهِ لَمَّا كَرِهَ الْأُمَمُونَ إِلَيَّ بِالْحَدِيثِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْجَنَّةِ وَهِيَ مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ . وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حَاجَةً لَهُ لَهَا فَبَدَأَ بِهَا حَتَّى سَأَلَتْهُ إِلَى مِثْلِهَا وَهِيَ مِثْلُهَا وَمَعْرِفَتِي بِمَا يَجِبُ لَكَ تَكْرِيْمًا وَرَيْدِي تَجَزُّعًا عَنْ نَيْلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ وَالْكَبِيرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَلِيلٌ وَمَا فِي مَلِكِي وَفَاءٌ لَشَاكِرِكَ فَإِنْ قَبِلْتَ الْيَسِيرَ وَرَفَضْتَ

قِيلَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا  
وَقِيلَ مِنَ الْإِهْتِمَامِ وَقَالَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ صَلَّى  
وَكَتَبَ وَلَمْ يَحْدَثْ  
نَفْسَهُ يَهْجُرُ مِنَ الدُّنْيَا  
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا مَضَى مِنْ  
ذَنْبِهِ . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ  
الصَّلَاحِ عَسَكَنَ وَتَوَاضَعَ  
وَتَضَرَّعَ وَتَوَدَّدَ وَتَرَفَّعَ  
يَدَيْكَ وَقَوْلُ : اللَّهُمَّ  
اللَّهُمَّ لَنْ لَا يَخْلُصَ ذَلِكَ  
لِيُفِي خِدَاجٍ أَيْ نَاصَةِ  
وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا  
تَوَضَّأَ لِقِسْطَةٍ تَبَاعَدَ  
عَنْ الشَّيْطَانِ فِي  
أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفًا مِنْهُ  
لَأَنَّهُ تَأَهُبُ لِدُخُولِهَا  
لِللَّحِقِ فَإِذَا كَبَّرَ حَسِبَ  
عَنْهُ إِبْلِيسُ قِيلَ  
يَضْرِبُ يَسْجَهُ وَيَتَنَبَّهُ  
سَرَادِقُ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ  
وَوَاجِهُ الْجِبَارِ بِوَجْهِهِ  
فَإِذَا قَالَ اللَّهُ أَكْبَرًا اطَّلَعَ  
لِللَّحِقِ فِي قَلْبِهِ فَإِذَا لَمْ

(١) حَدِيثُ أَنَسٍ يَا زَيْرُ اعْلَمْ أَنَّ مَفَاتِيحَ أَرْزَاقِ الْعَالَمِ بَابُ الْعَرْشِ الْحَدِيثُ فِي أَوَّلِهِ فَتَصْنَعُ لِلْأُمَمُونَ الْهَارَ قَطْعِي فِيهِ وَفِي إِسْنَادِهِ الْوَاقِدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ الْأَثَرِيِّ عَنْ زَيْدِ بْنِ مَرْثَدَةَ وَلَا يَجُزُّ .

عن مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتسكفه من واجب حقك قلت فقال يا ابن رسول الله أتقبلوا شكري  
الطبة وأعذرني للتعديما الحسن بوكيه وجعل عاصبه على قفاته حتى استسحقها قالها اتفضل من  
الثلاثة أبق درهم فأخضر خسين ألفا قال لما قلت بالحكمة دينار قال هي عندي قال أحضرها  
فأخضرها فدفع الله تانير والبرام إلى الرجل وقال هات من عملها لك فاتاه بحالين فدفع إلى الحسن  
رداه لكره الخالين فقال له مواله والله ما عندنا درهم قال أرجوا أن يكون لي عند الله أجر عظيم  
واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو طامل بالبصرة فقالوا لتاجر صوام قولهم متى كل واحدنا  
أن يكون مثله وقد زوج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن  
عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وقص صندوقا فأخرج منه ست بدر قال اسلموا لحوا قال  
ابن عباس ما أصفناه أعطيتنا ما يشبه عن قيامه وصيامه أرجوا بنا نكف أعوانه على تجهيزها  
فليس الدنيا من القدر ما يشغل مؤننا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولاه الله تعالى  
فضل وفضلا - وحكي أنه لما أعجب الناس بمصر وعبد الحيد بن سعد أميرهم قال والله لأعلن  
الشيطان أني عدوه فمال محابهم إلى أن رخصت الأسرار ثم عزل عنهم فرحل ولتجار عليه ألف  
ألف درهم ففرهم بها حل نسائه وقيمتها خسة ألف ألف فلما تضرعوا عليه رجعها كتب إليهم ببسها  
ودفع القاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تله صلاته - وكان أبو طاهر بن كثير شيئا فقال له رجل  
بحق على بن طالب لما وهبت لي غنلك بموضع كذا وكذا قال قد فعلت وحقه لأعطيك ما يليها  
وكان ذلك أضاف ما طلب الرجل وكان أبو مرثد أحد الكرماء قدحه بعض الثمرات قال الشاعر:  
والله ما عاضدي ما أعطيك ولكن قمضي إلى الله شي وأدع على بشرة آلاف درهم حتى أفرقك بها  
ثم احبسي فان أهل لا يتركوك محبوسا فقل ذلك فلم يسح حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج  
أبو مرثد من الحبس - وكان ممن بن زائدة طاملا على الرافقين بالبصرة فغضب به شاعر فأقامه  
وأراد الدخول على ممن فلم يتيأ به فقال يوما لمض خذلهم من إذا دخل الأمير البستان فترقي فلما  
دخل الأمير البستان أعله فكذب الشاعر بيتا له خيبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان  
ممن على رأس الماء فلما بسر بالحبة أدخلها وقرأها فلما مكتوب عليها:

أيا جود ممن تاج معنا بحقيق نسالى إلى ممن سواك شفيع

فقال من صاحب هذه فدعى الرجل فقال له كيف قلت فقال فأمره بشرب بدرا فأنشأ ووضع الأمير  
الحبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا للرجل فدفع إليه  
مائة ألف درهم فلما أنشأ الرجل شكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه غرغ فلما كان في اليوم  
الثالث قرأها فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد قد ل ممن حتى إلى أن أعطيه حتى لا يبق في بيتي تعالى  
درهم ولا دينار - وقال أبو الحسن الداعي خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حين جافاهم تعاليم  
لجافوا وعطشوا فأمروا بصجور في خباء فلما قالوا هل من شراب أقذلت لهم فأنشأوا إلى ابليس لما  
إلا شوية في كسر الحمية فالت أحلبوها وامتنقوا إليها فذالك ثم قالوا لها هل من طعام قالت  
لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهوى لكم ماتا تكون قد تم إليها أحدم وذبحها وكطها ثم  
حيات لهم طعاما فأكلوا وأقاموا حتى ابردوا فلما ارحلوا قالوا نحن نمر من قريش تريد هذا  
الوجه فلما رجعتا سألين فأبى بنا دنا صانون بك خبرا ثم ارحلوا وأتوا زوجها فأنشأ به خبر القوم  
والشاة فغضب الرجل وقدرت تدبهن شاتي قنوم لاسر فيهم ثم تحولين قريش قال ثم بعد  
مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلها وجلسا بستان البحر إليها وبساتين وتبستان بشدة

يكن في قلبه أكبر  
من الله تعالى يقول:  
صدقت الله في قلبك  
كما تقول وتسمع من  
قلبه نور يلقي  
بما يحوت العرش  
ويكشفه بذلك النور  
ملكوت السموات  
والأرض ويكتب له  
حشر ذلك النور  
حسنات وإن الجاهل  
التائل إذا قام إلى الصلاة  
احتوشه الشياطين كما  
يحوشى الذباب على  
قطعة العسل فلذا كبر  
اطلع الله على قلبه فلذا  
كان شيء في قلبه أكبر  
من الله تعالى عنده  
يقول له كذبت ليس  
الله تعالى أكبر في  
قلبك كما تقول فيثور  
من قلبه دخان يلقي  
ببنا الماء فيكون  
حجابا لقلبه من

فمرت السجود بيض سكاك للدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره صرف السجود وهي له منكورة فبعث غلامه قداما بالسجود وقال لها يا أمه الله أنصرتني ؟ قالت لا قال أنا ضيفك يوم كذا وكذا قالت السجود بأبي أنت وأمي أنت هو ؟ قال نعم ثم أمر الحسن فاشترى لها من غلامان غلاما الصدة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين بك وصلك أخى ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها الحسين أيضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله ابن جعفر فقال لها بك وصلك الحسن والحسين ؟ قالت بألف شاة وألف دينار فأمر لها عبد الله بألف شاة وألف دينار وقال لها لو بدأت بي لأحبتهما فرجعت السجود إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار . وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من للسجد يريد منزله وهو وحده فقام إليه غلام من تيف فمضى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام ؟ قال صلاحك وفلاحك رأيك تمشي وحده قلت أتيتك بنسى وأعوذ بالله إن طار بجناحك مكروه فأخذ عبد الله يده ومضى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فهدىها إلى التمام وقال استنق هذه فتم ما ديك أهلك . وحكى أن قوما من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخياءهم للزيارة فزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك أن تبادل بيديك بغيرك بغيرك وكان السخى الليت قد خلف نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بغير ميتين فقال له في النوم نعم فباعه في النوم ببيده بغيره فما وقع بينهما القدر حمد هذا الرجل إلى بيده فصره في النوم فاقبته الرجل من نومه فاذا بهم شيخ من عمر ببيده فقام الرجل فصره وقسم ليله فليخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال أنا فقال هل بعث من فلان بن فلان شيئا ذكر لييت صاحب القبر قال نعم بعثت منه ببيدي بغيري بغيري في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو أبى وقد رأيته في النوم وهو يقول إن كنت أبى فادفع نجيبى إلى فلان بن فلان وسواه . وقسم رجل من قريش من السفر لرجل من الأعراب على قنطرة الطريق قد أقصده الدهر وأصر به للرض فقال يا هذا أعنا على الدهر قال الرجل لتلاعه ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه فقبب التمام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم فقبب لينض فلم يقد من النصف فيسب فقال له الرجل ما ييكك لملكك استقلت ما أعطيتك ؟ قال لا ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني . واشترى عبد الله بن عامر من خاله بن عتبة بن أبي سبيط حماره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل صبح بكاء أهل خاله فقال لأهله ما هؤلاء ؟ قالوا ليكون لهمرام فقال يا غلام اتهم فأعلمهم أن السال والدلهرم جميعا . وقيل بعث هرون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله فحسبته دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فأخذ إليه ألف دينار فقبض هرون وقال أعطيت حبيبا وتعطيه ألقا وأنت من رعيته قال يا أمير المؤمنين إن لي من غلق كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم . وحكى أنه لم نجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار . وحكى أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمه الله عليه شيئا من عمل فأمرها ببق من عمل فقيل له إنها كانت تنقع بدون هذا ؟ فقال إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيا على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يصدق على ثلثائة وستين مسكينا . وقال الأعمش اشتكت شاة عندي فكان خيشمة بن عبد الرحمن يموهها بالندة والشيء ويسألني هل استوفت علقها وكيف صبر الصبيان منذ قدوا لبها وكان نحيي لبد أجلس عليه فاذا خرج قل خذ ما تحت اليد حتى وصل إلى في صلاة الشاة أكثر من ثلثائة

الملكوت فيزداد ذلك الحجاب صلاة ويكتم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيسه ويوش ويومس إليه ويترن حتى يصرف من صلاته ولا يفلح ما كان فيه . وفي الخبر ولولا أن الشياطين يهزمون على قلوب في آدم لنظروا إلى ملكوت السماء والتعوب الصافية التي كل أدبها أكمل أدب قوالها تصير مساوية تدخل باليسكير في السماء كما تدخل في الصلاة والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين فالتعوب الجاوي لاسيل للشيطان إليه فتبقى هواجس فسانية عند ذلك لاتقطع بالتحسن بالهاء كقطع تصرف

دينار من بره حتى تخميت أن الشاة لم تهرأ . وقال عبد الملك بن مروان لأساء بن خازجة بلقي عنك خصال خلدني بها ، قال هي من غيري أحسن منها مني قال عزمت عليك إلا حدثني بها قال يا أمير المؤمنين ما حدثت رجلى بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فعدوت عليه فوما إلا كانوا أمن لي من عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فتسكرت شيئا أعطته إياه . ودخل سعيد بن خالد بن سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله سكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر إليه سليمان بخل بهذا البيت فقال :

إني سمعت مع الصباح مناديا بأمن يمين على الحق للموان

ثم قال ما حاجتك ؟ قال ديني قال وكم هو ؟ قال ثلاثون ألف دينار قال لك دينك ومثله . وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقبل له إهم يستحيون من مالك عليهم من الدين قال أخرى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ثم أمر مناديا فنادى من كان عليه قيس بن سعد حتى فهو منه برى . قال فانكسرت درجته بالشئ لكثرة من زاروه وعاده . وعن أبي إسحق قال صليت التجر في مسجد الأعمش بالكوفة أطلب غريبا لي فلما صليت وضع يمين يدي حقة . فملا فقلت لست من أهل هذا المسجد فقالوا إن الأعمش بن قيس الكندي قدم البصرة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد حقة وفلين . وقال الشيخ أبو سعد الحر كوشى النيسابوري رحمه الله : سمعت محمد ابن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول : كان بمصر رجل عرف بأن يجمع الفقهاء بيتا فوله لبعضهم مولود قال بخت إليه وقلت له وله في مولود وليس معي شئ فقام يسرى ودخل على جماعة فلم يفتح بيته فبعاد إلى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمة الله كنت فعلت وقصصت وإني درت اليوم على جماعة فكشفتم دفع شئ لمولود فلم يفتح لي شئ . قال ثم قاموا خرج دينارا وقصصه نصفين وتناولوا نصفه وقال هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بيته . قال فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الآية ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لأولادى يغفروا مكان الكانون وخرجوا أقرابة فيها خبطة دينار فاحملها إلى هذا الرجل فلما كان من الندم تقدم إلى منزله ليث وقص عليهم القصة فقالوا الله اجلس وغفروا للوضع وأخرجوا الدينارين وجادوا بها فوضوها بين يديه فقال هذا المكوي ليس لرؤى حكم فقالوا هو يتسخر ميتا ولا يتسخر نحن أحياء فلما ألحوا عليه حمل الدينارين إلى الرجل صاحب اللود وذكر له القصة قال فأخذ منها دينارا فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء فقال أبو سعيد فلا أدري أى هؤلاء ما يحسن . وروى أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال مروا فلا تأسئني فوفى بطلبه فوافقه فاستغفر وقال ائتوني بتدكرته فأني بها فطر فيها فإذا على الشافعي سبعون ألف درهم دين فكتبها على نفسه وفضاها عنه وقال هذا غشلي إياه أى أراد به هذا . وقال أبو سعيد الواعظ الحر كوشى لما تقدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدفقوا عليه فرأيت جماعة من أخضاده وزرتهم فرأيت فيهم سبالا فخر وأثار الفضل فقلت بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تعالى - وكان أبوها صالحا - وقال الشافعي رحمه الله لا أنزل أحب حماد بن أبي سليمان شئ يلقى عنه أنه كان ذات يوم راكبا حماره فمركه فاقطع زره فرط على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوى زره فقال الخياط والله لا نزلت قدام الخياط إليه فسوى زره فأخرج إليه مرة فيها حشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتلر إليه من قلبها وأثمد الشافعي رحمه الله نفسه :

الشیطان والقباب

الردة بالقرب مندرج

بالقرب وتخرج في

طبقات السموات وفي

كل طبقة من أطباق

البهاء يتخلف شئ من

ظلمة النفس وبقدر

ذلك يقل الحاجس إلى

أن يتجاوز السموات

ويقف أمام العرش

فصد ذلك يذهب

بالكلية حاجس النفس

باسطع نور العرش

وتدرج ظلمات النفس

في نور القلب اندراج

الليل في النهار وتأتى

حيث تدور الأدب

على وجه الصواب .

وما ذكرنا من أدب

الصلاة يسير من كثير

وعان الصلاة أكبر

من وسفنا وكل من

ذكرنا وقد غلط

أقروا وعشوا أن

بالمف قلبى على مال أجود به على للتلين من أهل الروات  
إن اعتنارى إلى من جاء يسألنى مالى عندى لمن إحدى الصيات  
وعن الريح بن سليمان قد أخذ رجل يركب الشافى رحمه الله قال ياريس أعطه أربعة دنانير  
واعتد إليه عنى . وقال الريح سمعت الجيدى يقول قدم الشافى من صنعاء إلى مكة بشرة آلاف  
دينار ففقرت خبائه في موضع خارج عن مكة وشرها على فوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض  
له قبضة ويصله حتى صلى الظهر وتض الثوب وليس عليه ثوب . وعن أبى نور قال أراد الشافى  
الحروج إلى مكة ومعه مال وكان قفا يمسك شيئا من سياحه قفلت له ينيى أن تشتري بهذا المال  
ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسأته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة  
يتكفى أن أشتريها لعرفى بأصلها وقد وقف أكثرها ولكن يبيت بمنى مضربا يكون لأصحابنا إذا  
حجوا أن يزلوا فيه وأنشد الشافى رحمه الله نفسه يقول :

أرى ضى تولى إلى أمور يخص دون ملتقى مالى  
فضى لا تطاوعى يخل ومالى لا يلقى فمالى

وقال محمد بن عباد الهادي دخل أبى على للأمون فوصه بمائة ألف درهم فلما قدم من عنده قصد قريبا  
فأخبر بذلك للأمون فلما عاد إليه غابته للأمون في ذلك قال بأمر المؤمنين: منع الوجود، سوء ظن  
المبود، فوصه بمائة ألف أخرى . وقام رجل إلى سيد بن الصاس فسأه فأمره بمائة ألف درهم  
فبكى قال له سيد ما يبكيك ؟ قال أبكى على الأرض أن تأكل مثلك فأمره بمائة ألف أخرى .  
ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأيات امتدحه بها فوجد عبد القليل منه للخدمة وأمر حاربية  
بئيه ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضى فأكلته فأقام شهرين فأوحشه طول اللقائم فكتب  
إليه يقول : إن حرما يقول مدحتنا وترك ما ترمى من الصفد  
كما التزم والله نائبة في البسج حرام إلا يدا سيد  
فلما وصل البيتاني إلى إبراهيم قال لحاجبه كم أقام بالباب ؟ قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا  
وجنى بدوة فكتب إليه :

أهجتنا فأكله حاجل برنا قلا ولو أهلتنا لم تفل  
غدا القليل وكن كأنك لم تفل وتقول نحن كأننا لم تفل

وروى أنه كان لعنان على طلحة رضى الله عنهما خمسون ألف درهم فخرج عنان يوما إلى المسجد  
فقال له طلحة قد تبا مالك فاقضه فقال هو لك يا أبا محمد مائة لك على مروءتك . وقالت سمدي  
بنت عوف دخلت على طلحة فرايت منه قفلا قفلت له مائة . قال اجتمع عندي مال وقد غنى قفلت  
وما يملك ادع قومك فقال باغلام على بقوى قسمه فيهم فسألت الخادم كم كان ؟ قال أربعة آلاف .  
وجاء أعراى إلى طلحة فسأه وتغرب إليه برحم فقال إن هذه الرحم مائة منى بها أحد قبلك إن لى  
أرضا قد أعطاني بها عنان ثمانية آلاف فان شئت فاقبضها وإن شئت فبها من عنان ودعت إليك  
الغن قال الغن فباعها من عنان ودفع إليه الغن . وقيل بكى على كرم الله وجهه يوما قبل ما يبكيك  
فقال لم يأتى صريف منذ سبعة أيام أخلف أن يكون الله قد أهاننى . وأبى رجل صديقا له فدق عليه  
الباب فقال ما جاء بك ؟ قال على أربعة آلاف درهم دين فوزن أربعة آلاف درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي  
فقالت امرأته لم أعطيه إذ شق عليك فقال إنما أبكى لأنى لم أفتقد حاله حتى احتاج إلى مفاغنى  
فرحم الله من هذه صفاتهم وضر لهم أجمعين .

للقصود من الصلاة  
ذكر الله تعالى وإذا  
حصل الله كرفى  
حاجة إلى الصلاة  
وسلكوا طرعا من  
الضلال وركنوا إلى  
أباطيل الخيال وهو  
المرسوم والأحكام  
ورفضوا الحلال  
والحرام وقوم آخرون  
سلكوا في ذلك طرعا  
أدبهم إلى قصان الحال  
حيث سلخوا من  
الضلال لأنهم اعترفوا  
بالقرائن وأنكروا  
فضل التواضع واقتروا  
يسير روح الحال  
وأهلوا فضل الأعمال  
ولم يفلوا أن الله في  
كل هيئة من الميزات  
وكل حركة من  
الحركات أسرارها  
وحكما لا توجد في شيء  
من الأدكار والأحوال

(بيان ذم البخل)

قال الله تعالى - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - وقال تعالى ولا يحب الذين يتناجون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم يسلطونون ما نجوا به يوم القيمة وقال تعالى - الذين يتناجون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله - وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ما هم على أن فسكوا دماءهم واستحلوا خبائرهم»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا خبائرهم ودعاهم فقتلوا أرحامهم»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة غيل ولا خبولا خائن ولا سوء المسكة»<sup>(٣)</sup> وفي رواية ولا يجاروني روايتون لئلا يقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإغصاب الرء بنفسه»<sup>(٤)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يبض ثلاثة الشيخ الزاني والبخل للنان واللبل الختال»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «مثل للنفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبان من حديد من لدن تديهما إلى رقابهما فأما للنفق فلا ينفق شيئا إلا سبقت أو وفرت على جفده حتى تخفى ثيابه وأما البخل فلا يرد أن ينفق شيئا إلا قاصت ولو تمكلت حلقة مكاتها حتى أخذت بترابيه فمر بوسمها ولا تنس»<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «خسانتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر»<sup>(٨)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والتعصبي إن الله لا يحب الفاضل ولا التعصبي وإياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالنطيمة فظلموا»<sup>(٩)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم

والأعمال ودوح وجبان وما دام البعد في دار الدنيا إضراره عن الأحمال عين الطغيان فالأعمال تزكو بالأحوال والأحوال تنمو بالأعمال .

[ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحنن آثره ]  
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر» وقيل ما في عمل ابن آدم شيء إلا وينبغي بره للظالم إلا الصوم فإنه لا يدخله قصاص ويقول الله تعالى يوم القيامة هذا لي فلا ينقص أحد منه شيئا . وفي الخبر والصوم وأنا أجزى به « قبل أضافه إلى

(١) حديث إياكم والشح الحديث مسلم من حديث جابر بافظ واتقوا الشح فإن الشح الحديث لولاي داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو إياكم والشح فأما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالنطيمة فظلموا وأمرهم بالتجور فجبجروا (٢) حديث إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا خبائرهم ودعاهم فقتلوا أرحامهم الحديث ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ حرمتهم مكان أرحامهم وقال صحيح على شرط مسلم (٣) حديث لا يدخل الجنة غيل ولا خب ولا خائن ولا سوء المسكة وفي رواية لئلا يقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث مهلكات الشح المطاع وهوى المتبع وإغصاب الرء بنفسه» (٤) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم في العلم (٥) حديث إن الله يبض ثلاثة الشيخ الزاني والبخل للنان واللبل الختال الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله البخل للنان وقال فيه التي الظالم وقد تقدم والظلم في الأوسط من حديث علي بن الله ليض التي الظالم والشح المجهول والمائل الختال وسنده ضعيف (٦) حديث مثل للنفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبان من حديد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث خسانتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب (٨) حديث اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن الحديث البخاري من حديث سعد وتقدم في الأذكار (٩) حديث إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة الحديث الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا قال عوضا عنها وبالبخل فبخلوا وبالتجور فجبجروا وكذا رواه أبو داود مقتصرا على ذكر الشح

« ثم ماتي الرجل شح هالـع وجبن خالـع <sup>(١)</sup> » وقتل شيد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية قالت : واتشدها فقال صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أنه شيد فلهـه كان يتكلم فيها لا يـسـيـه أو يـسـيـل بما لا ينـصـه <sup>(٢)</sup> » وقال جبر بن مطعم « يتناحـن نـسـيـمـع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومـه الناس مقفلة من خـيـر إذ عـلـقت رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى حمرة غلظت ردها فوقت صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عند هذه الضاء نـمـا قـسـمتـه يـنـكـم ثم لا تجـلـون خيلا ولا كذا ولا جبانا <sup>(٣)</sup> » وقال عمر رضي الله عنه « قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبا قلت غير هؤلاء كان أحق به منهم فقال أنهم يخبروني بين أن يسألوني بالقحش أو يـسـيـلـون ولست ياخذ <sup>(٤)</sup> » وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان في رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن بئر فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقبهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفا وهكرا ما صنع بهما فدخل عمر في رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا فقال صلى الله عليه وسلم « لكن فلان أعطيت ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسأني فينطلق في مسأته ما يطأها وهي تارقال عمر فلم تعطيهما هونار قال يا بون إلا أن يسألوني ويأني الله في البخل <sup>(٥)</sup> » وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجود من جود الله تعالى فيجودوا يجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فيـه في صورة رجل وجعل رأسه راسـطا في أصل شجرة طوي وهذا غصنها بأغصان سدر للنتهى ودلى بطن أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بطن منها أدخله الجنة ألا إن السخا من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل رأسه راسـطا في أصل شجرة الزقوم ودلى بطن أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بطن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار <sup>(٦)</sup> » وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يبلغ النار إلا بخل <sup>(٧)</sup> »

وقد تقدم قبله بسبـة الحديث ولـمـن من حديث جابر أنـهوا الظلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة وتواتروا الشـعـف فـد كـره بلفظ آخر ولم يذكر القحش <sup>(١)</sup> حديث شرمافي الرجل شح هالـع وجبن خالـع أبو داود من حديث جابر بسند جيد <sup>(٢)</sup> حديث وما يدريك أنه شيد فلهـه كان يتكلم فيها لا يـسـيـه أو يـسـيـل بما لا ينـصـه أبو يـسـيـل من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والبرقي في الشعب من حديث أنس أن أمه قالت لهنك القهـاة وهو عند الترمذي إلا أن رجلا قال له أبشر بالجنة <sup>(٣)</sup> حديث جبر بن مطعم يتناحـن نـسـيـمـع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومـه الناس مقفلة من حين عـلـقت الأعراب به الحديث البخاري وتقدم في أخلاق النبوة <sup>(٤)</sup> حديث عمر قسم التي صلى الله عليه وسلم قبا الحديث وفيه ولست ياخذ <sup>(٥)</sup> حديث أبي سعيد في الرجلين القنين أعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارين فلقبهما عمر فأثنيا وقالا معروفا الحديث وفيه ويأني الله في البخل رواه أحمد وأبو يـسـيـل والبرزخ نحوه ولم يقل أحمد إتهما سألاه عن بئر ورواه البرزخ من رواية أبي سعيد عن عمر ورجل أسألهما فقلت <sup>(٦)</sup> حديث ابن عباس الجود من جود الله فيجودوا يجد الله لكم الحديث بطوله ذكره صاحب القردوس ولم يخرجـه ولله في مسنده ولم أقف له على إسناد <sup>(٧)</sup> حديث السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يبلغ إلا سخي الحديث تقدم دون قوله فلا يبلغ في الجنة إلى آخره وذكره بهذه الزيادة صاحب القردوس من حديث علي ولم يخرجـه ولله في مسنده .

تسه لأن فيه خلقا من أخلاق الصمدية وإيضا لأنه من أعمال السر من قبيل التروك لا يطلع عليه أحد إلا الله وقيل في تفسير قوله تعالى : الصالحون الصالحون لأنهم ساحتوا إلى الله تعالى بموعدهم وعطشهم وقيل في قوله تعالى : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - هم الصالحون لأن الصبر اسم من أسماء الصوم ويخرج للصائم إفراغا وبجائز في مجازفة وقيل أحد الوجوه في قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - كان عملهم الصوم . وقال



وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان ؟ قالوا سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجوح <sup>(١)</sup> » وفي رواية أنهم قالوا « سيدنا جد بن قيس » فقال هم تسودونه ؟ قالوا إنه أكثر مالا وإنا على ذلك نرى منه البخل فقال عليه السلام : وأى داء أدوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال سيدكم بشر بن البراء « وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يفض البخل في حياته السخى عند موته <sup>(٢)</sup> » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السخى المجهول أحب إلى الله من العابد البخل <sup>(٣)</sup> » وقال أيضا قال صلى الله عليه وسلم « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد <sup>(٤)</sup> » وقال أيضا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق <sup>(٥)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يبنى المؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا <sup>(٦)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأى ظلم أعظم عند الله من الشح حلف الله تعالى بزمه وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل <sup>(٧)</sup> » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : هجرة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال صلى الله عليه وسلم وما ذنبك منه لي فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال وحبك ذنبك أعظم أم الأرضون فقال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الجبال قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم البحار قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم السموات قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم العرش قال بل ذنبي أعظم يا رسول الله قال فذنبك أعظم أم الله قال بل الله أعظم وأخفى قال وحبك نصف لي ذنبك قال يا رسول الله إني رجل ذو نروة من اللال وإن السائل لأبني يسأني فسكنا بمسبتي بشملة من نار فقال صلى الله عليه وسلم إليك عني لأعرقني ببارك فو الذي يمضي بالمداية والكرامة لوقت بين الركن ولقائم ثم صليت إلى ألف عام ثم بكيت حتى تجرعى من دموعك الأنهار وتسقى بها الأشجار ثم مت وأنت تميم لأبكك الله في النار وحبك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار وحبك أما علمت أن الله تعالى يقول - ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه - ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون - <sup>(٨)</sup> » الآثار ، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله

يحيى بن معاذ إذا  
أبتلى للريد بكثرة  
الأكل بكت عليه  
لثلاثه رحمة له ومن  
أبتلى بجرس الأكل  
قد أحرق بنار الشهوة  
وفي قص ابن آدم  
ألف صو من الشر  
كلها في كنف الشيطان  
متعلق بها فلذا جوع  
بطنه وأخذ حلقه  
وراض نفسه يس كل  
ضواؤه أحرق بنار  
الجوع وفر الشيطان  
من ظله وإذا أهب  
بطنه وترك حلقه  
في لثالة الشهوات قد  
رطب أعضائه وأمكن  
الشيطان ، والشح نهر  
في النفس ترويه  
الشياطين والجوع  
نهر في الروح ترويه  
للثلاثه ونهر من  
الشيطان من جالهم نهم  
فكيف إذا كان

(١) حديث أبي هريرة من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا جد بن قيس الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء وأما الرواية التي قال فيها سيدكم عمرو ابن الجوح فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن (٢) حديث علي بن الله يفيض البخل في حياته السخى عند موته ذكره صاحب القردوس ولم يخرج له ولمه في مسنده ولم أجده إسنادا (٣) حديث أبي هريرة السخى المجهول أحب إلى الله من العابد البخل الترمذي بلفظ ولجاهل سخي وهو بقية حديث إن السخى قريب من الله وقد تقدم (٤) حديث أبي هريرة لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد القسائي وفي إسناده اختلاف (٥) حديث خصلتان لا يجتمعان في مؤمن الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٦) حديث لا يبنى المؤمن أن يكون جبانا ولا بخيلا لم أره بهذا اللفظ (٧) حديث يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أعظم من الشح الحديث وفيه لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل لم أجده شامه ولقردوس من حديث أبي بكر لا يدخل الجنة بخيل وقد تقدم (٨) حديث كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقوم بهجرة هذا البيت إلا غفرت لي الحديث في دم البخل وفيه قال إليك عني لأعرقني ببارك الحديث بطوله وهو باطل لأصله .

جئة عند قال لها تزيئي قزيت ، ثم قال لها أظهرى أنهارك فأظهرت عين السلسيل وعين الكافور وعين التسنيم فتعير منها في الجنان أنهار المحرومات والنسل والابن ثم قال لها أظهرى سرورك وحبالك وكرميك وحليك وحوالك وعورك فأظهرت فطر إلى قال تكلمي قالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزى لأنسك بخيلا . وقالت أم البنين أخت عمر بن عبد المزمز : أف للبخيل لو كان البخيل قريبا مالهته ولو كان طريقا مالهسكته ، وقال طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نصبر ، وقال محمد بن النكدر كان يقال : إذا أراد الله ب قوم شرًا أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي غلاتهم ، وقال علي كرم الله وجهه في خطبته إنه سيأتي على الناس زمان مضوض يضض للوسر على ما في يدهم ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال عبدالله بن عمرو الشح أشد من البخيل لأن الشحيح هو الذى يشح على ما في يده غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذى يبخل بما في يده . وقال الصبي لأخري أيها أمد غورا في نار جهنم البخيل أو الكذب . وقيل ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم قال للهندي تكلم قال خير الناس من ألقى سخيا وعند الضرب وقورا وفي القول متأنيا وفي الرقة متواضعا وعلى كل ذي رسم مشفقا ، وقام الروي قال من كان بخيلا ورث عدو . ماله ومن قد شكره لم يزل التبع وأهل الكذب مدمومون وأهل النجاة يعوتون قراءه ومن لم يرسم سلط عليه من لبرحه . وقال الضحك في قوه تعالى - إنا جفنا في أعناقهم خلا قال البخيل أسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يصرون الهدى ، وقال كعب : مامن صباح إلا وقد وكل به . لمسكن يناديان الأدم هبل لمسك غفا وعجل لمنق خلفا . وقال الأصبى سمعت أبا أياد قد وصف رجلا قال قد سفر فلان في عني لعظم الدنيا في عيه وكأني أرى السائل ملك اللوت إذا تاه . وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى أن أعدل بخيلا لأن البخيل يحمله على الاستمضاء فيأخذ فوق حقه خفة من أن ينهن فن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . وقال علي كرم الله وجهه : واقعه ما تسمى كرم قط حقه . قال الله تعالى - عرف بضه وأعرض عن بضى - وقال الجاحظ ما بيني من الذات الثلاث ذم البخلاء وأكل التديد وحك الجرب . وقال جرير الحرت البخيل لا خية له قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك إذا لبخيل <sup>(١)</sup> » . وحدثت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا امرأة إلا أن فيها بخلا قال لما خيرا إذا <sup>(٢)</sup> » وقال بشر : النظر إلى البخيل يفسد القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين ، وقال يحيى بن معاذ : ما لي القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا أفاعلا أو بخلاء إلا بضى ولو كانوا أبرارا . وقال ابن التمر : أهل الناس بماله أجودهم برضه . ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إلياس في صورته قال له يا إلياس : أخبرني بأحب الناس إليك وأبض الناس إليك قال أحب الناس إلى المؤمنين البخيل وأبض الناس إلى القاسق السخي قال له قال لأن البخيل قد كفاني بخله والقاسق السخي أخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبه ثم ولي وهو يقول لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

### (حكايات البخلاء)

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فنداه بضى جيرانه وقدم إليه طباهجة بيض فأكل منه فأكثر

(١) حديث أنك لبخيل [١] (٢) حديث مدحت امرأة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوما إلا أن فيها بخلا الحديث تقدم في آفات اللسان .

[١] قول الرافعي أنك لبخيل ، هكذا بالنسخ من غير ذكره ولم يخرج الشارح أيضا فيلنظر اهـ .

قائما ومانق الشيطان  
هيمانا قائما فكيف  
إذا كان قائما قلب  
الريد الصادق يصرخ  
إلى الله تعالى من طلب  
التفس الطامع والشرب  
دخل رجل إلى  
الطبايى وهو يأكل  
خبزا يابس قد به بالماء  
مع ملح جريش قال  
له كيف تشهى هذا  
قال أدمه حتى أشتيه  
وقيل من أسرف في  
مطعمه ومشر به يبخل  
الصنار والد إلى في  
دنياه قبل آخرته وقال  
بضهم الباب العظيم  
الذى يدخل منه إلى  
الله تعالى قطع الغذاء  
وقال بشر بن الجوع  
يسنى التؤاد ويميت  
الموى ويورث السلم  
الديق وقال دوانون  
ما أكلت حتى شيمت

وجعل يضرب الماء دأستخ بطنه وتزل به الكرب ولتوت جمل يتولى فجا جهده الأمر وصف حاله  
الطبيب فقال لأياس عليك : تها ما أكلت فقال هاه أنجأ طباعية يدي التوت ولاذلكه وقيل أنبل  
أعراي بطاب رجلا وبين يديه تين قطعي التين بكائه جلس الأعراي فقال له الرجل هل نحن  
من القرآن شيئا قال نعم قرأوا الزيتون وطور سينين فقال وأين التين قال هو تحت كائنك . ودعا  
بضم أخاه ولم يطعمه شيئا فغضب إلى النصر حتى اشتد جوعه وأخذته مثل الجنون فأخذ صاحب  
البيت الود وقال له بحاي أي صوت تشتهي أن أسمعك قال صوت للقي . ويحك أن محمد بن يحيى  
إن خالد بن برمك كان غيلا قبيح البخل فقتل نسيب له كان يعرفه عنه فقال له قال مصلي ما لفته  
قال هي قتر في قتر ومخافه منقورة من حب الخشخاش قيل لمن حضرها قال الكرم الكاتبون قال  
ثا يأكل منه أحد قال بل اللباب فقال سواك بدت وأنت خاص بوثوبك عرق قال أنا والله أقدر  
على إبرة أخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة لمولوا إبراهيم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما  
يقوت النبي عليه السلام يطلبون . منه إبرة ويسألونه إزارتهم ليها ليخيط بها قيس يوسف الذي  
قد من در ماضل . وقال كان مروان بن أبي خصة لا يأكل اللحم خلا حتى يجرم إليه فإذا قرأ إليه  
أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله قيل له ترك لا تأكل إلا الدروس في السيف والقتال فلم يختار  
ذلك قال نعم الرأس أعرف سره فكان خيانة العلام ولا يستطيع أن يثني فيه وليس يلجم بطنه  
الغلام فيقدر أن يأكل منه إن مس عينا أو أذنا أو خذا وقت على ذلك وأكل منه ألوانا عنه لونا  
وأذنه لونا ولسانه لونا وغلصته لونا ومخاضه لونا وكفى مؤنة بطنه قد اجتمعت لي فيه مرافق  
وخرج يوما يريد الخليفة للهدى فقالت له امرأة من أهله مالي عليك إن رجعت بالجائزة قال إن أعطيت  
مائة ألف أعطيتك درهما فأعطى ستم ألفا فأعطاه أربعة دنانير واشترى مرة لحا بدوم فداء  
صديق له فرد اللحم إلى التصاب بقصان دائق وقال أكره الاسراف ، وكان للأعمش جار وكان  
لا يزال يمرض عليه المنزل ويقول : لودخلت فأكلت كسرة وملعا فإني عليه الأعمش فرض عليه  
ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال سربنا فدخل منزله فحرب إليه كسرة وملعا فداء سأل فقال  
له رب المنزل بورك فيك فأعاد عليه للسنة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قاله اذهب والإواظ  
خرجت إليك بالصا قال فادله الأعمش وقال اذهب ويحك فلا والله ما رأت أحدا أصرق موايد  
منه هو منذ مدة يدهون على كسرة وملع فوالله ما زادني عليهما .

( بيان الإشار وفنه )

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجة السخاء الإشار وهو أن يجد بالمال  
مع الحاجة إليه وإعما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه لاحتاج أولئك محتاج والبذل مع الحاجة  
أشد . وكما أن السخاوة قد تنبئ إلى أن يسخر الإنسان على غيره مع الحاجة فالخيل قد ينسب إلى أن  
يخل على نفسه مع الحاجة فكم من رجل يملك للال ويعرض فلا يتدأوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعه  
منها إلا البخل بالثمن ولو وجدها جانا لا أكلها ، فهذا رجل على قسم مع الحاجة فذلك يؤثر على نفسه غيره  
مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين فإن الأخلاق علما يضمها الله حيث يشاء وليس بعد الإشار  
درجة في السخاء ، وقد أتى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان  
هم خصاصة - وقال النبي صلى الله عليه وسلم وأبما امرئ انتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه  
غفر له (١) وقالت عائشة رضي الله عنها وما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متوالية  
(١) حديث أبى رجل اشتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ

ولاشريت حتى رويت  
إلا عصيت الله وأوعمت  
بمعية . وروى القاسم  
ابن محمد عن عائشة  
رضي الله عنها قالت :  
كان يأتي علينا الشمر  
وضف شمر ما تدخل  
بيتنا نار لا تصباح  
ولا نسيده قال قالت  
سبحان الله فأي  
شئ كنتم تبيعون  
قالت بالتمر والساء وكان  
لنا جيران من الأنصار  
جزايم الله خير أكانت  
لهم منافع فربوا وسونا  
يحيى . وروى أن  
خصة بنت عمر رضي  
الله عنها قالت لأبها  
إن الله قد أوعى الرزق  
فلو أكلت طعاما  
أكثر من طعامك  
ولست ثابا ألين من  
نبيك فقال إن  
أخاصك لي تشك

حق طارق الدنيا ولوشنا لشبنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا (١) ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بضيف إلى أهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته بإفقاء السراج وجعل يعذبه إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكل الضيف فذا أصبح قال له رسول الله ﷺ قد عجب الله من ضيفك إليه إلى ضيفكم ونزل - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (٢) قاله خلق من أخلاق الله تعالى والإيثار أعلى درجات السخاء ، وكان ذلك من أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيما فقال تعالى : وإنك لمن خلق عظيم - وقال سهل بن عبد الله التستري : قال موسى عليه السلام : يارب أرني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وأمتة قال : يا موسى إنك لن تطيق ذلك ولكن أريك منزلة من منزلة جليلة عظيمة فضلت بها عليك حتى جميع خلق قال فكشفت له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تلتف حوله من أنوارها وقربها من الله تعالى قال يارب بماذا بلغت به إلى هذه الكرامة قال بخالق اختصته به من بينهم وهو الإيثار ، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتا من عمره إلا استحييت من محاسبه وبوأته من جنح حيث يشاء ، وقيل خرج عبدالله ابن جعفر إلى ضيعة له فوُزِل على غيل قوم وفيه غلام أسود يمل فيه إذ أتى السلام بقوة فدخل الحامل كلب ودنا من التلام فرى إليه التلام فبرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا ففكرت أن أشبع وهو جائع قال لما أتت صانع اليوم قال أطوى يدي هذا ، قال عبد الله بن جعفر : ألام على السخاء إن هذا التلام لأسخى مني فافترى الحامل والتلام ومافيه من الآلات فأعقت التلام ووجه منه ، وقال عمر رضي الله عنه : أهدى إلى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة قال : إن أخى كان أوسع مني إليه فبعت به إليه فلم يزل كل واحد يثب به إلى آخر حتى تداوله سبعه آيات ورجع إلى الأول ، وبات على كرم الله وجهه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام : اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأبكا بؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاما للحياة وأحبها ، فأوحى الله عز وجل لهما أفلا كنتم مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبي محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه بقديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبط إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجله وجبريل عليه السلام يقول حج ضمن مثلك يا ابن أبي طالب والله تعالى يباهي بك للأنبياء فأنزل الله تعالى : ومن الناس من هجرى همة ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد - (٣) وعن أبي الحسن الأنطاكي : احتاجتم

في الثوب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم (١) حديث ثائفة ماضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام متواليات ولوشنا لشبنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا البيهقي في الشعب بلقط ولكنه كان يؤثر على نفسه وأول الحديث عند مسلم بلقط ماضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبر برحق ماضع لسيده ولقشين ماضع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعا حتى قبض ، زاد مسلم من طعام (٢) حديث نزل به ضيف فلم يجد عند أهله شيئا فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب به إلى أهله الحديث في نزول قوله تعالى - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر

ألم يصحكن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كننا يقول مرارا فبكث قال قد أخبرتك والله لأشاركه في عيشه الشديد لم أصب عيشة الرخاء . وقال بعضهم ما نخلت لسر ديقا إلا وأنا له حاس . وقالت عائشة رضي الله عنها ما لم يبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام من خبز برحق ماض لسيده . وقالت عائشة رضي الله عنها : أديعوا قرع باب للكنوز يفتح لكم قالوا كيف نديم قالت بالجوع والسطوة والنظام . وقيل ظهر إليس ليحي بن زكريا عليهما السلام وعليه مالبق قال ما هله قال

عنده ثيف وثلاثون قسما وكأوا في قرية قرب الرى ولم أرقة مملودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطافوا السراج وجلسوا للطعام فلما رضع فلما الطعام عاله ولم يأكل أحد منه شيئا فإثارا لصاحبه على نفسه . وروى أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء فترج خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه . وقال حذيفة المدنى انطلقت يوم اليرموك لأطلب ابن عمى لى ومضى شيء من ماوانا أقول إن كان به رفق سقيته ومسحت به وجهه فإذا أتاه قلت نسيتك فأشار إلى أن نعم فإذا رجل يقول آه فأشار ابن عمى إلى أن انطلق به إليه فجثته فإذا هو هشام بن العاص قلت أسيتك فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام المطلق به إليه فجثته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات فوجه الله عليها جميعين . وقال عباس بن دهقان : ماخرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بصر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فزنع إليه وقسمه وأعطاه إياه واستعار ثوبا فلبس فيه . وعن بعض الصوفية قال : كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فجبنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بداية ميتة فصدنا إلى موضع حال وقدنا فلما نظر الكلب إلى الميت رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فبها إلى تلك الميتة وقد ناهية ووقفت الكلاب في الميتة لما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقى العظم ورجعت الكلاب إلى البلد فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقى عليها قليلا ثم انصرف ، وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل .

( بيان حد السقاء والبخل وحقيتهما )

لهلك يقول قد عرف بشواهد التصريح أن البخل من الهلكات ولكن ما حد البخل وماذا يصير للانسان غيلا ؟ وما من إنسان إلا هو يرى نفسه سخيًا وبما يراه غيره غيلا وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا غل ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من إنسان إلا ويحمد من نفسه جبا للسعال ولأجله يحفظ السعال وعسكه فإن كان يصير إمساك للسعال غيلا فإذا لا يملك أحد عن البخل وإذا كان الإمساك مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل إلا الإمساك لما الذي يوجب الهلاك وما حد السقاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة ونوابها فنقول : قد قال ثلاثون حد البخل منع الواجب فكل من أدى ما يجب عليه فليس بغيل وهذا غير كاف فإن من يرد العمل مثلا إلى التصالب والحيل للخبز ينتصان حبة أو نصف حبة فانه يد غيلا بالإتفاق وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يرضه القاضي ثم يضايجه في قصة ازدادوها عليه أو تمره أكلوها من ماله يد غيلا ومن كان بين يديه رغيغ فخمر من يظن أنه يأكل معه فأخذه عنه يد غيلا وقال ثلاثون : البخل هو الذي يستصعب العطية وهو أيضا قاصر فانه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من غيل لا يستصعب العطية القليلة كالجبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوق ذلك وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فمن جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو السال العظم فهذا لا يوجب المحسك بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من وإسقاط من غير روية . وقيل الجود عطاء

الحديث في نزول قوله تعالى . ومن الناس من يصرى نفسه إيتاء مرضات الله . أحد مختصرا من حديث ابن عباس شري على نفسه فليس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أتفق لهذه الزيادة على أصل ، وفيه أبو بلج يختلف فيه والحديث منكسر .

الشهوات التي أصيب بها ابن آدم قال هل تجد لى فيها شهوة قد لا غير أنك شبت لية فتقلناك عن الصلاة والله كره فقال لا جرم إلى لا أصبح أبدا قال لا ليس لا جرم إلى لا أنصح أحدا أبدا . وقال شقيق العبادة حرقوا حانونتها الخلوه وآلاتها الجوع . وقال لقمان لأبنيه إذا ملكت الصدقة نامت الفكرة وخرست الحصكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال الحسن لأجمعوا بين الأديين فانه من طعام للناقين وقال بعضهم أعوذ بالله من زاهد قد أفدت معدته إخوان الأغذية فيكره للريد أن يوالى في الإفطار أكثر

من غير مسأله على رؤيه التخليل . وقيل الجود السرور بالسائل والترح بالمطاء لما أمكن وقيل الجود عطاء على رؤيه أن الله تعالى والبدن عز وجل فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤيه التفر وقيل من أعطى البخل وأبقى البنس فهو صاحب سخاء ومن بذل أكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وأكر غيره بالبلغة فهو صاحب لئال ومن لم يذل شيئا فهو صاحب بخل وجهه هذه الكلمات غير محيطة بحقيقه الجود والبخل بل قول : لئال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاح حاجات الخلق ويمكن إسكاه عن الصرف إلى ما خلق الصرف إليه ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يهين الصرف إليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويذل حيث يجب البذل فلا إسكاه حيث يجب البذل بل البذل حيث يجب الإسكاه بغير وبينهما وسط وهو الحمود وبينى أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء وقد قيل له - ولا يحمل يده مغلوله إلى عنقك ولا تيسطها كل البسط - وقال تعالى - والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا ولا يتقوا وكان بين ذلك قواما - فالجود وسط بين الاسراف والاكثر وبين البسط والتبش وهو أن يغير بذله وإسكاه بقدر الواجب ولا يكتفى أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير متنازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل وعنه تنازع وهو يسأرها فهو مستغف وليس بسخي بل ينبغي أن لا يكون قلبه علاقه مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه . فان قلت فقد صار هذا موقفا على معرفة الواجب فإلى يجب بذله . فأقول : إن الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالرودة والدانة والسخي هو الذى لا يمنع واجب الشرع ولا واجب الرودة فان منع واحدا منهما فهو بخل ولكن الذى يمنع واجب الشرع أبطل كالى يمنع أداء الزكاة ومنع عياله وأهله النفقة أو يؤديها ولكنه يبقى عليه فاته بخل بالطبع وإنما يسخى بالتسكف أو الذى يتيمم الحديث من ماله ولا يلبط قلبه أن يعطى من أحب ماله أو من وسطه فهذا كله بخل . وأما واجب الرودة فهو ترك الضائقة والاستقصاء في المحرمات فان ذلك مستحب واستيفاء ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله استحب منه مالا يستحب من الفقير من الضائقة ويستحب من الرجل الضائقة مع أهله وأقاربه وماله كماله مالا يستحب مع الأجانب ويستحب من الجار مالا يستحب مع البعيد ويستحب من الضائقة من الضائقة مالا يستحب في العامة فيختلف ذلك عاقبه من الضائقة في ضائقة أو معاملة ومعا به الضائقة من طام أو غوب إذ يستحب في الأطعمة مالا يستحب في غيرها ويستحب في شراء السكن مثلا أو شراء الأئمة أو شراء خير الصدقة مالا يستحب في غيره من الضائقة وكذلك بمن معه الضائقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي ومن منه للضائقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو غلام أو غلام أو جاهل أو موسر أو فقير فالبخل هو الذى يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بكم الشرع ولما يحكم للرودة وذلك لا يمكن التمسك على مقداره ولعل حد البخل هو إسكاه المال عن غرض ذلك الترض هو أم من حفظ المال فان صيانة الدين أم من حفظ المال لئال فإع الزكاة والنفقة بخل وصيانة الرودة أم من حفظ المال والضائقة في الحقائق مع من لا تحسن الضائقة معه هانك ستر الرودة لئال لئال فهو بخل ثم تبقى درجة أخرى وهو أن يكون الرجل ممن يؤدى الواجب ويحفظ الرودة ولكن به مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين فقد تخالط غرض حفظ المال ليكون له عنة على ثواب الزمان وغرض الثواب ليكون رافضا لبرجته في الآخرة وإسكاه المال عن هذا الترض بخل عند الأكسكاس وليس يحتل عند عوام الخلق ، وذلك لأن نظر العوام قصور على حظوظ الدنيا فيرون إسكاه لئال ثواب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام أيضا

من أربعة أيم فان النفس عند ذلك تركن إلى العادة وتوسع بالنسوة . وقيل الدنيا بطنك فقل قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . وقال عليه السلام « مالا أرمى وعاء شرا من يطن حسب ابن آدم لثبات يقرن عليه فان كان لاحالة ثلث طعامه وثلث لثرايه وثلث لنفسه » وقال فتح الوصل : سمعت ثلاثين شبيحا كل يؤمى عند مفارقتهم إياه بترك عشرة الأحداث وقلة الأكل .

في ال صوم [ - لئال

سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فتمه وقال قد أدبت الزكاة الواجبة وليس على غيره ما يختلف استيعاب ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه فمن أدى واجب الشرع وواجب الروعة الثلاثة به فقد تبرأ من البخل ، ثم لا تصف بصفة الجود والسخاء ما لم يندل زيادة على ذلك لطلب القضية ونيل الدرجات فإذا استمتت منه لئلا يندل للال حيث لا يرجد التبرع ولا تتوجه إليه اللامة في المادة فهو جواد بقدر ما تنفع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض فاصطاع للزكوة وراء ما يوجبه المادة والروعة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو يبايع وليس بجواد فإنه يشتري اللبص بماله وللصديق وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى وأما الآدمي فاسم الجود عليه مجاز إذ لا يندل الشيء إلا لفرض ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب قضية الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من المجاهة مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقه من شعرة من الله من التنب عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه يفسد إليه بهذه البواعث وهي أحوالهم محبة له عليه فهو متمسك بالجود كما روى عن بعض الله ذات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت هل فيكم من أسأله عن مسألة فقالوا لهاسألي عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عنكم قالوا العطاء والبذل والابتزاز قالت هذا السخاء في الدنيا أما السخاء في الدين قالوا أن نبيد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكروهة قالت تريدون على ذلك أجراً ؟ قالوا نعم قالت ولما قالوا لأن الله تعالى وعدنا الحسن عشر أمثالها قالت سبحانه الله فإذا أعطيت واحدته وأخذت عشرة فبأي شيء تستعين عليه قالوا لها فما السخاء عنكم يرحمك الله قالت السخاء عندي أن نبيدوا الله متممين متلذذين بطلاعته غير كارهين لارتيدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً ؟ إن هذا في الدنيا قبيح وقالت بعض للتبذات لا تحسبون أن السخاء في الدين هو والله يترك قط قيل فقيم قالت السخاء عندي في الحج وقال الهاسي السخاء في الدين أن تسخو بنفسك تلقها ثم عز وجل ويسخو قلبك يندل ههنا وإهراق دمك لله تعالى بساحمان غير إكراه ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا أجلاً وإن كنت غير مستعين عن الثواب ولكن يندل على نفسك حين كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختار لنفسك .

## ( بيان علاج البخل )

اعلم أن البخل سببه حب المال ولحب المال سبيلان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يندل عاله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو شهر أو في سنة قريب وإن كان قصر الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام طول الأمل فإنه يقدر بقاؤه كبقائه نفسه فيفسك لأجلهم ولذلك قال عليه السلام « الولد بمخبة جنة جهنم (١) » فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وتلقاها سبب الرزق قوى البخل لاعتلاء السبب الثاني : أن يحب عين المال بين الناس من معه ، أي كنهه لبقية عمره إذا انقصر على ما جرت به عادته بفتنة وتفضل آلائه وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة ولا تسمح نفسه بأخراج الزكاة ولا عدلواة نفسه عند

(١) حديث الولد بمخبة زاذلي رواية عن عزة ابن ماجه بن حديث يلى بن مرة دون قوله عز تزكروا بهذا الزيادة أبو يلى والبراز من حديث أبي سعيد والهاكم من حديث أسود بن خلف وإسناده صحيح .

الصوفية كالتواضع والصوم في السفر والحضر على الصوم حتى يخطوا بالله تعالى . وكان أبو عبد الله بن جابر قد صام ثلثاً وخمسين سنة لا يطر في السفر والحضر فبهده به أصحابه يوماً فأفطر فاقبل من ذلك أياماً فإذا رأى المرء صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً وينع للانقطاع جانباً فهو عون حسن له على ما يريد . روى أبو موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صام الدهر ضيق عليه جهنم هكذا وعدت سبعين » أي لم يكن له فيها موضع وكره قوم صوم الدهر وقد ورد

للرس بل صار حيا الفناير عشقا لما لئذ بوجودها في يده وقدرته عليها في كثرها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت تخضع أو يأخذها أعداؤه ومع هذا فلا تسمع منه بأن يأكل أو يصدق منها بحجة واحدة وهذا مرض القلب عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فأحب رسوله نفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الفناير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لأن الوصول إلى اللذبة لا يذنب قد نسي الحاجات وصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الشلال بل من رأى بينه وبين الحبر فرأى فهو جاهل بالإمن حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحبر بمثابة واحدة فهذه أسباب حب المال وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فصالح حب الشهوات بالقناعة باليسير والبصر وتعالج طول الأمل بذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تمهيم في جمع المال وضاعة بعدهم وتعالج انشغال القلب إلى الوله بأن خالفه خلق معه رزقه ولكم من وله لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولاه يريده أن يترك وله خير ويغلب هو إلى شروان وله إن كان ثريا سالحا فانه كافي وإن كان فاسقا فيستعين بماله على الصبية وترجع مظلمته إليه ويصلح أيضا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الأدوية النافعة كثرة التأمل في أحوال البخل والخلافة وقررة الطبع عنهم واستباحهم له فانه مامن خيل إلى الاستسبح البخل من غيره ويستقل كل خيل من أصحابه فيعلم أنه مستقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويصلح أيضا قلبه بأن يتشكر في مقاصد اللال وأنه لما دخل خلق ولا يحفظ من اللال إلا بقدر حاجة إليه والباقي يذخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذهبه فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة حاجت رغبته في البذل إن كان كافلا فان تحرك الشهوة فينبغي أن يجيب الحاضر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يمدد الفقر وخوفه ويصد عنه . حتى أن أبا الحسن البويعني كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذا له ودل اتزع عن القميص وادفنه إلى فلان فقال هلا صيرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي أن تتغير وكان قد خطر لي بذه ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكسفا كالا يزول العشق إلا بفقرارة للمعشوق بالفرغ من مستقره حتى إذا سافر وفارق تكسفا وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل فينبغي أن يشارك المال تكسفا بأن يذله بل لورماه في اللال كان أولى بمن إساكه إلياه مع الحب له ومن لطائف الخيل فيه أن يضع نفسه بحسن الاسم والاهتبار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل وأكسب بها خبث الرياء ولكن ينمطف بعد ذلك على الرياء ويزبه بملاجه ويكون طلب الاسم كالتسلي على النفس عند فطامها عن المال كقصد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي بالحب بالاصانير وغيرها لا يخلو واللب ولكن لينفك عن الثدي إليه ثم ينقل عنه إلى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة فينبغي أن يسلب بعضها على بعض كالسلب الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ويسلب الغضب على الشهوة وتكسر رعوته بها إلا أن هذا من عسير في حق من كان البذل أغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الأقوى بالأضعف فان كان الجاه محبوا عنده كالسالم فلا فائدة فيه فإنه يخلق من علة وزيد في أخرى مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يخل على البذل لأجل الرياء فذلك يبين أن الرياء أغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فان ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما قال إن ذللت استحيل جميع أجزائه دودا ثم يأكل بعض الديدان البص حتى يقل عدده

في ذلك ماروا ما بوقةادة  
قال مثل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
كيف عين صام الدهر  
قال ولا صام ولا أفطره  
وأول قوم أن صوم  
الدهر هو أن لا يفطر  
الصديقين وأيام التصديق  
فهو الذي يكره وإذا  
أفطره هذه الأيام فليس  
هو الصوم الذي كرهه  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ومنهم من  
كان يصوم يوما ويفطر  
يوما وقد ورد وأفضل  
للسيام صوم أخى داود  
عليه السلام كان يصوم  
يوما ويفطر يوما  
واستحسن ذلك قوم  
من الصالحين ليكون  
بين حال الصبر وحال  
الشكر . ومنهم من  
كان يصوم يومين  
وفطر يوما أو يصوم



ثم يأكل بضها يضاحق ترجع إلى اثنين قوتين عظيمتين ثم لاتزالان تتماثلان إلى أن تغلب إحداها  
الأخرى فتأكلها وتضمن بها ثم لاتزال تبقى جامعة وحدها إلى أن تموت فكذلك هذه الصفات الحسية  
يمكن أن يسقط بضها على من حق يتسما ويحمل الأضف قوتا للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة  
ثم تقع الناية بمحوها وإزالتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل  
بمقتضاها فانها تقتضى لاعالة أعمالا وإذا خولفت خدت الصفات وامتنعت البطل فانه يقتضى إمساك  
للحال فإذا منع مقتضاه وبذل الحال مع المجهود مرة بعد أخرى ماتت صفات البطل وصار البطل طليما وسقط  
الحب فيه فان علاج البطل يعلم وعمل فالمرجوع إلى معرفة آفة البطل وقائلة الجود والعمل يرجع  
إلى الجود والبذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البطل بحيث يسمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة  
فيه وإذا لم يتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى المزمومة كالمرض الذي يمنع معرفة  
الدواء وإمكان استعماله فانه لاحية فيه إلا الصبر إلى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية  
في معالجة علة البطل في للريدين أن ينههم من الاختصاص بزواياهم وكان إذا توم في مرير فرحه  
بزائوته ومافيا تله إلى زاوية غيرها وقتل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع مملكته وإزاره  
بلفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بشلبيها إلى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل  
إليه قلبه فهذا يتجلى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها فان كان له  
ألف متاع كان له ألف محبوب ولذلك إذا سرق كل واحد متاعا به مصيبة بقدر حبه فإذ ماتت نزل  
به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب السكل وقد صلبت به هو في حياته على خطر للصيبة بالقد  
والهلاك . حمل إلى بعض اللوك قدح من فيروز مرص بالجواهر ثم ربه نظير قدح اللوك بذلك فرحا  
شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال أراه مصيبة أو قرا قال كيف قال إن كسر كان  
مصيبة لا يجربها وإن سرق صرت فقيرا إلى يوم لم يجده وقد كنت قبل أن تعمل إليك في أمن من للصيبة  
والفقر ثم اتقى يوما أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة اللوك عليه فقال صدق الحكماء ليه لم يعمل  
إلينا وهذا شأن جميع أسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى الذر وعدوة لأولياء الله  
إذ تنهمم بالصبر عنها وعدوة الله إذا قطع طريقه على عبادته وعدوة تحبها تأكل تحبها فان اللال  
لا يحفظ إلا بالحرز والحراس والحزان والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذر الدرهم والدنانير  
فالمال يأكل شمه وضاد ذاته حتى يغنى ومن عرف آفة اللال لم يأمن به ولم يفرح به ولم يأخذ منه  
إلا بقدر حاجته ومن فتح بقدر الحاجة فلا يضل لأن ما أمسكه حاجته فليس يضل ولا يحتاج إليه فلا  
ينصب نفسه يحفظه فينبه بل كلاما على شط الدجاة إذ لا يضل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة.

( بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله )

اعلم أن اللال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية يأخذها الرائي ويستخرج منها  
الريق ويأخذها الغافل فيقتله معها من حيث لا يدري ولا يخبر أحد عن سم اللال إلا بالهافظة على  
خس وظائف . الأولى : أن يعرف مقصود اللال وأنه لما خلق وأعلم عجزه إلى حق يكتب ولا يحفظ  
إلا قدر الحاجة ولا يصلي من همه فوق ما يستحقه . الثانية : أن يراعى جبة دخل اللال فيجنب الحرام  
الحسن وما اتألب عليه الحرام كمال السلطان ويحجب الجهات للكروية القادة في الرودة كالحدايا  
التي فيها شوائب الخروقة وكالسؤال الذي فيه آفة وهتك للرودة وما يجري مجراه . الثالثة : في التقدر  
الذي يكتبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل التقدر الواجب ومياريه الحاجات والحاجة ليس وممكن  
ومطم ولكل واحد ثلاث درجات أدنى وأوسط وأعلى ومادام ماثلا إلى جانب الله ومتربل من حد

يوما وفطر يومين  
ومنهم من كان يصوم  
يوم الاثنين والخميس  
والجمعة . وقيل : كان  
سهل بن عبد الله يأكل  
في كل خمسة عشر يوما  
مرة وفي رمضان يأكل  
أكلة واحدة وكان  
يفطر بالماء القراح  
للسنة . وحكى عن  
الجنيدي أنه كان يصوم  
على الدوام فإذا دخل  
عليه إخوانه أفطر معهم  
ويقول ليس فضل  
للساعة مع الإخوان  
بأقل من فضل الصوم  
غير أن هذا الاقطار  
يحتاج إلى علم قد  
يكون الداعي إلى ذلك  
شره النفس لاينة  
للوافة وتخليص النية  
لحسن اللواقعة مع  
وجود شره النفس  
صعب وصمت شيئا

الضرورة كان حقا وبجي\* من جملة المحققين وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لمتعتها وتذكرنا  
تخصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد . الرابطة : أن راضي جهة المخرج ويتصدق في الاضيق غير  
مبذر ولا مفرط كاذكرناه فيضع ما اكتسبه من حقه ولا ينفقه في غير حقه فان الامم في  
الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء . الخامسة : أن يصلح نيته في الأخذ والترك  
والاقتناع والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستين به على العبادية ويترك ما يترك زهدا فيه واستخارا له  
إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال والقدرة قال على رضي الله عنه لو أن رجلا أخذ جميع مافي الأرض  
وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس زاهدا فلتكن  
جميع حركاتك وسكناتك في مقصورة على عبادة أو مابين على العبادية فان أبعد الحركات عن  
العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معنيان على العبادية فإذا كان ذلك تصدك بهما صار ذلك عبادة  
في حقك وكذلك ينبغي أن تكون غيتك في كل ما يحفظك من قبض وإزار ورفاق وآنية لأن  
كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن يتفنع به بعد من  
عباد الله ولا ينفقه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وتركها  
واتقى منها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رجع في الدين قومه وعظم فيه عمله  
والصافي إذا تشبه بالعام في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء السحابة شابه الصبي الذي  
يرى الزعم الحائلي يأخذ الحية وتصرف فيها فيخرج ترقيها فيقتدي به ويظن أنه أخذها مستجنا  
صورتها وحكها ومستلينا جلها فيأخذها اقتداء به فيقتله في الحال إلا أن قيل الحية يدري أنه  
تتيل وتقتل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية قيل :

هي دنيا كية تنفث السم وإن كانت الحية لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالمر في تحطى ظل الجبال وأطراف البحر والطرق للشوك كالجمال  
أن يتشبه العاوي بالعام بالعام الكامل في تناول المال .

( بيان ثم التني ومدح القفر )

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تخصيل التني الشاكر على القفر الصابوقد أوردنا ذلك في كتاب القفر  
والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب ندل أن القفر أفضل وأعلى من التني  
على الجملة من غير التفات إلى تخصيل الأحوال وتخصر فيه على حكاية فصل ذكره الحارث المحاسي  
رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العامة من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصعابوبكثرة  
مال عبد الرحمن بن عوف وعنه نفسه بهم والمحاسي رحمه الله حبر الأمة في علم الناس قوله السابق على جميع  
الباحثين عن عيوب النفس وأوقات الأعمال وأغوار العبادات وكمالها جدير بأن يحكى على وجهه وقد قال  
بعد كلامه في الرد على علماء السوء : بلنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام لا يعلو السوء مقسومون  
وتسبون وتصدقون ولا تصلون ماتومرون وتدرسون من الماسلون فيأسوء ما تمكون توبرون بالقول  
والأمانى وتسبون بالقوى وما يرضي عنكم أن تقوا جلودكم وتقولكم دفة بحق أقول لكم لا تسكونوا  
كالنخل يخرج منه الحقيق الطيب ويبقى فيه النخلة كذلك أتم يخرجون الحكم من أفواهكم  
ويبقى القلب في سدوركم بإعبد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفنى من الدنيا شهوته ولا تقطع  
منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم بيكن من أعمالكم جعلت الدنيا تحت ألبستكم والعدل  
تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقصدتم آخرتكم صلاح الدنيا أحب إليكم من صانع الآخرة فأى  
الناس أخسر منكم لو تعلمون ويلكم حتام تصفون الطريق للهدلين وتيمنون في عمل التبعين

يقول لى ستين ما أكلت  
شيئا بشهوة نفس ابتداء  
واستدعاء بل يقدم إلى  
النفس فأراه من فضل  
الله ونعمته وقوله  
فأوافق الحق في فعله .  
وذكر أنه في ذات يوم  
اشتهى الطعام ولم يضر  
من ماله تقديم الطعام  
إليه قال فتنت باب  
البيت الذي فيه الطعام  
وأخذت رمانة لأكلها  
فدخلت السنور  
وأخذت دجاجة كانت  
هناك فقلت هذا عقوبة  
على من تصرف في أخذ  
الرمانة . ورأيت الشيخ  
أبا السعد رحمه الله  
يتناول الطعام في اليوم  
مرتين وأى وقت أحضر  
الطعام أكل منه  
وبرى أن تناوله الطعام  
موافقة الحق لأن الله  
مع القادر ترك الاختيار  
في ما كوله وملبوسه

كأنكم تدعون أهل الدنيا ليرتكبوها لكم مهلا مهلا وليكم ماذا يبقى عن البيت النظم أن يوضع  
السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يبقى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم  
منه وحشة متقطعة بإعياد الدنيا لا أكيد أنباء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تفلكم عن  
أصولكم فتلتكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم تدفعكم  
من خلفكم حتى تسلكم إلى الملك العيان عرلة فرادى فوقكم على سواكم ثم يهزركم بسوء  
أعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله إخواني هؤلاء علماء السوء هياطين الإنس وقتة على الناس رغبوا  
في عرش الدنيا ورفضها وأكروها على الآخرة وأذلوا الدين الذي فيها في الساجل عار وشين وفي الآخرة  
هم الخاسرون أو يصفو الكرم غضبه [وبعد] فاق رأيت لما لك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنصيص  
فيغشيه عنه أنواع الممومون فثوب الناس وإلى البوار والتلف مصيره فرح المالك برباه فلم يبق له  
دينه ولم يعلم له دينه - خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الحشران للبين - فيالها من مصيبة ما أظلمها  
ورزية ما أجهلها الأفرايقوا لله إخوان ولا يترنم الشيطان وأولياؤه الأسنين بالحجج الداحضة  
عند الله فانهم يتكلمون على الدنيا ثم يطلبون لأعصم الماذير والحجج ويؤمنون أن أصحاب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فيترنم الموررون بذكر الصعابة ليعذرهم الناس على  
جمع المال ولقد دعاهم الشيطان وما يشعرون وحك أيها الفتون إن احتياجاك بمال عبد الرحمن  
ابن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك قلبك لأنك متى زعمت أن أشرار الصعابة  
أرادوا المال لتكثر والشرف والثروة قد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ومتى زعمت أن  
جمع المال الحلال أظلم وأضل من تركه قد أزدريت عمدا والمرسلين ونسبتهم إلى قلة الرغبة والرهدة  
في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال  
كما جمعت ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أظلم من تركه قد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
لم ينصح للأمة إلا زناهم عن جمع المال (١) وقد علم أن جمع المال خير إلا أنه قد غشهم زعمك  
حين نهم عن جمع المال كذبت ورب الساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للأمة  
ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ومتى زعمت أن جمع المال أفضل قد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر  
لباعه حين نهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير لهم أوزعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل  
في الجمع فذلك نهم عنه وأنت تعلم بما في المال من الخير والفضل فذلك رغبت في الاستكثار كأنك  
أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها الفتون تدبر بقولك مادهاك به الشيطان  
حين زين لك الاحتياج بمال الصعابة وركب ما يفتك الاحتياج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد  
ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتة ولقد بلغني أنه لما توفى عبد الرحمن  
ابن عوف رضى الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إننا نخاف على عبد الرحمن  
فيا ترك فقال كعب سبحان الله وما نخافون على عبد الرحمن كعب طيبا وأحق طيبا وعرك طيبا  
فلن ذلك أبا ذر فخرج مضطربا يريد كعبا فمر بسلم على بئر فأخذه يده ثم انطلق يريد كعبا فقبل  
لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان بن عفان فاستخفى به وأخبره الخبر وأقبل أبو ذر  
يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من

(١) حديث الترمذي عن جمع المال ابن عدى من حديث ابن مسعود ما أوحى الله إلى أن أجمع  
للمال وأكون من التاجر من الحديث ولأبي نعيم والحطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد من حديث  
الحارث بن سويد في أثناء الحديث لا يجمعوا مالا تأكلون وكلاما ضيف .

وجميع قصارىه وكان  
حاله الوقوف مع فعل  
الحق وقد كان له في  
ذلك بداية يميز مثلها  
حتى قل أنه كان يبق  
أيما لا يأكل ولا يعلم  
أحد بماله ولا يتصرف  
هو نفسه ولا يتسبب  
إلى تناول شيء وينظر  
فعل الحق لسياقه الرزق  
إليه ولم يشر أحد  
بما همدة من الزمان ثم  
إن الله تعالى أظهر حاله  
وأقام له الأسباب  
والسلامة وكانوا  
يتكفون الأطمعة  
ويأتون به إليه وهو  
يرى في ذلك فضل الحق  
ولو لا قوة سمعت يقول  
أصبح كل يوم وأحب  
نا إلى الصوم ويقتض  
الحق على بحق الصوم  
بفضله فأوافق الحق في  
فضله - وحكى عن بعض

أبي ذر قال له أبو ذر هيه يا ابن اليهودية زعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ولقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو أحد وأمامه فقال : يا بأذر قلت ليك يارسول الله فقال : الأكثرون هم الأنلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدمه وخلفه وقيل ما من ثم قال يا بأذر قلت نعم يارسول الله بأبي أنت وأمي ، قال مايسرني أن ألقى مثل أحد أقامته في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين قلت أو قطارين يارسول الله ؟ قال بل قيراطان ثم قال يا بأذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل (١) فمرسوله الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفا حتى خرج وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت للدينة ضجة واحدة قالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إني رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين يدخلون سبياً ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف يدخلها معهم جوا (٢) فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحررا لعل أن أدخلها معهم سبياً وبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن عوف : أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كنت أن تدخلها إلا جوا (٣) وبهك أيتها الفتون لسا احتجابك بالسك والهدا عبد الرحمن في فضله ونحوه وصانعه للعروف وبلغه الأموال في سبيل الله مع محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإشراة بالجنة (٤) أيضا يوقف في مصرات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال فتصف ولست للعروف وأحق منه تصدا وأعطى في سبيل الله سمعا منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء للمهاجرين وصار يجي في آثارهم جوا ، فشاظنك بأمثالنا الفرق في فن الدنيا وبعد الصلح كل الصلح لك يفتنون تترغ في تخالط الشهوات والسحت وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة واللهاة وتقلب في فن الدنيا ثم تخرج عبد الرحمن وتزعم

(١) حديث أبي ذر : الأكثرون هم الأنلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الحديث متفق عليه وقد تقدم دون هذه الزيادة التي أوله من قول كعب جبن مات عبد الرحمن بن عوف كسب طيبا وترك طيبا وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد المحاسبي يفتني كاذكره للصف وقد رواها أحمد وأبو يعلى أخضر من هذا ولقد كتب إذا كان قضى عنه حق الله فلا بأس به فرفض أبو ذر عصاه فغضب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو كان هذا الجبل لي فيها الحديث وفيه ابن لمية (٢) حديث عائشة رأيت الجنة فرأيت قراء المهاجرين وللسلمين فشا الحديث في أن عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بجوا رواه أحمد مختصرا في كون عبد الرحمن يدخل جوا دون ذكر قراء المهاجرين وللسلمين وفيه بحارة بن زاذان مختلف في الحديث (٣) حديث أنه قال أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمي وما كنت أن تدخلها إلا جوا البزار من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولني يدخل الجنة إلا زحفا وقال صحيح الإسناد قلت بل ضعيف فيه خالف بن أبي مالك منحه الجمهور (٤) حديث بشر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف بالجنة الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه أبو بكر في الجنة الحديث وفيه وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال البخاري والترمذي وهذا أصح

الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان. وقال أبو نصر السراج أنكر قوم هذه الخافقة وإن كان الصوم تطوعا واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد تمتع برؤية علم المجتمع برؤية الصوم وهذا يتسلسل الألق بمواقفة العلم إمامه الصوم قال الله تعالى ولا تطولوا أعمالكم ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يعملون فلا يمارضون والصدق

أَتَىكَ إِنْ جُمِعَ اللَّيْلُ قَدْ جُمِعَ الصَّاحِبَةُ كَأَنَّكَ أَصْبَحْتَ السَّلَفَ وَفَلَهُمْ وَيَحِكُ إِنْ هَذَا مِنْ قَبْلِ  
إِبْلِيسَ وَمَنْ قِيَاهُ أَوْلِيَاهُ وَسَأُفِيكَ أَسْوَاطُكَ وَأَحْوَالُ السَّلَفِ لَتُفَرِّقَ فُضَاغُكَ وَفَضْلُ الصَّاحِبَةِ  
وَلَمَعَرَى قَدْ كَانَ لِمَنْ الصَّاحِبَةُ أَمْوَالُهَا أَرَادَهَا تَخْتَفِضُ وَالْبَذَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَكْسِبُوا حَلَالًا  
وَأَكْلُوا طَيِّبًا وَآخِفُوا قَسْدًا وَتَدْمُوا فَوَاضِلًا وَمِنْهَا خَالٍ وَمِنْهَا يَخْلُفُ بِهَا لَكُمْ جَدَاوِلُ اللَّهِ  
بِأَكْرَهَا وَجَادٍ بِضَمِّهِمْ جَمِيعًا وَفِي الشَّدَةِ أَتَوْا اللَّهَ عَلَى أَشْهُمٍ كَثِيرًا فَإِنَّهُ أَكْذَبُكَ أَنْتَ وَاللَّهُ  
إِنَّكَ لَبِيدُ النَّفْسِ بِالْقَوْمِ [ وَبَدَأَ ] قَالَ « أَخْبَارُ الصَّاحِبَةِ كَانُوا السَّكَنَةَ حَيِّينَ وَمِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ آتَيْنِ  
وَاللَّهُ فِي أَرْزَاقِهِمُ الْوَاتِقِينَ وَبِقَادِرِ اللَّهِ مَسْرُورِينَ وَفِي الْبِلَاءِ رَاضِينَ وَفِي الْفِرَاقِ عَاكِرِينَ وَفِي  
الضَّرَاءِ صَابِرِينَ وَفِي السَّرِّ سَادِمِينَ وَكَانُوا قَسْمَتَيْنِ وَحِينَ حَبِّ السَّوِّ وَالْكَثَرِ وَرَعِينِ إِيَّانَا  
مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لِلْبَاحِ لَمْ وَرَضُوا بِالْفَيْتَةِ مِنْهَا وَزَجَا الدُّنْيَا وَصَبَرُوا عَلَى مَكْرَاهِهَا وَتَجَرَّعُوا حَمْرَهَا  
وَزَهَّدُوا فِي نَيْمِهَا وَزَهَرَتْهَا فَإِنَّهُ أَكْذَبُكَ أَنْتَ . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَمَلَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِمْ  
حَزَنًا وَفَالُوا ذَنْبَ حَمَلَتْ عَقَبَتَهُ مِنْ اللَّهِ وَإِذَا رَأَوْا الْفَقْرَ قَمَلُوا مَحِبًّا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ وَبَلَّغْنَا  
أَنْ بِضَمِّهِمْ كَانَ إِذَا أَمِجَ وَخَدَّ عَالِي شَيْءٍ أَمِجَ كَيْفِيَا حَزَنًا وَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ أَمِجَ  
فَرَحًا مَسْرُورًا قَبِيلَ إِنْ هَذَا النَّاسِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ حَزَنُوا وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَرَحُوا وَأَنْتَ  
لَسْتَ كَذَبُكَ قَالَ إِنْ إِذَا أَمِجَتْ وَلَيْسَ عِنْدَ عَالِي شَيْءٍ فَرَحَتْ إِذَا كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ أَمُوءَةٌ وَإِذَا كَانَ عِنْدَ عَالِي شَيْءٍ اخْتَضَعَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ عَهْدُ أَمُوءَةٍ وَبَلَّغْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا  
سَلَكَ بِهِمْ سَبِيلُ الرِّخَاءِ حَزَنُوا وَآخَفُوا وَفَالُوا مَا نَالُوا وَلَقَدْ بَايَعُوا وَمَارَادَ فَكَاظَمَهُمْ عَلَى جَنَاحِ خَوْفٍ  
وَإِذَا سَلَكَ بِهِمْ سَبِيلُ الْبِلَاءِ فَرَحُوا وَاسْتَبَشَرُوا وَفَالُوا الْآنَ تَاهَدُنَا رَبَّنَا فِيمَا أَحْوَالُ السَّلَفِ وَفَتَمِّهِمْ  
وَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ أَكْثَرُ مَا وَصَفْنَا . فَإِنَّهُ أَكْذَبُكَ أَنْتَ إِنَّكَ لَبِيدُ الشَّبَابِ بِالْقَوْمِ وَسَأُفِيكَ  
أَسْوَاطُكَ أَيْهَا الْفَقْرَاءُ ضِدًّا لِأَسْوَاطِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَعْلَى عِنْدَ الْفَقْرِ وَتَسْتَخِفُّ عِنْدَ الرِّخَاءِ وَتَمُوجُ عِنْدَ  
السَّرِّاءِ وَتَقِفُ عَنِ شُكْرِ ذِي النِّعَمَاءِ وَتَقِفُ عِنْدَ الضَّرَاءِ وَتَسْخَطُ عِنْدَ الْبِلَاءِ وَتَلْتَزِي الْقَضَاءِ  
نَهْمٌ وَيُضِيقُ الْفَقْرُ وَتَأْتِي مِنَ السَّكَنَةِ ذِكْرُ الرِّسَالَيْنِ وَأَنْتَ تَأْتِي مِنَ غَرَمٍ وَأَنْتَ تَدْرُكُ لَدَى  
وَنَجْمِهِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ وَذَلِكَ مِنْ سَوَاءِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفَقْدِ الْيَقِينِ بِضَاهِ وَكَفَى بِهِ إِعْجَابًا وَعَسَاكَ  
يُجْمَعُ لِلْمَالِ لَتَمِيزَ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا وَشَوَّاهَا وَلَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ  
سَرَارُ أَمَقِّ الدِّينِ غُلَاوَاتُهُمْ فَرِيَتْ عَلَيْهِمْ أَجْسَامُهُمْ (١) وَبَلَّغْنَا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ لِيَجِيءَ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَوْمٌ يَطْلُبُونَ حَسَنَاتِهِمْ فَيَقَالُ لَهُمْ - أَدْعَيْتُمْ طِيَانَتَكُمْ فِي حِيَاسِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَعْتَمْتُمْ  
بِهَا - وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ قَدْ حَرَمْتَ نَفْسَ الْآخِرَةِ بِسَبَبِ نَفْسِ الدُّنْيَا فَيَلْبَسُ حَسْرَةً وَمَعِيَّةً لَهُمْ وَعَسَاكَ  
يُجْمَعُ لِلْمَالِ لَتَسْكَتَارُ وَالسَّوِّ وَالْفَخْرُ وَالرِّيشَةُ فِي الدُّنْيَا . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا لَتَسْكَتَارُ  
أَوَّلُ الْفَخْرِ لِقَى إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ ضِيَابٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مَكْرُوثٍ بِمَا حَلَّ بِكَ مِنْ غَيْبِ رَبِّكَ مِنْ جِبْرِ أَرَدْتَ  
التَّسْكَاتَارَ وَالسَّوِّ لَهُمْ وَعَسَاكَ لَلْكَفِّ فِي الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ التَّقِيَّةِ إِلَى جَوَارِ اللَّهِ فَأَنْتَ تَكْتَرُهُ  
لِقَاءَ اللَّهِ وَاللَّهُ قَتْلَاكَ أَكْرَهُ وَأَنْتَ فِي غَفْلَةٍ وَعَسَاكَ تَأْتِي عَلَى مَا لَكَ مِنْ عَرْضِ الدُّنْيَا . وَقَدْ بَلَّغْنَا  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ أَسْفَى عَلَى دُنْيَا فَاتَهُ أَتَقَرَّبَ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ شَهْرِ وَقِيلَ  
سَنَةً » وَأَنْتَ تَأْتِي عَلَى مَا لَكَ مِنْ غَيْرِ مَكْرُوثٍ بِفَرِيكِكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ثُمَّ وَلَقَدْ تَخْرِجُ مِنْ بَيْتِكَ  
أَسْبَاغًا تَتَوَفَّى ذِيكَ وَتَخْرُجُ بِإِقْبَالِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَتَرْتَجِعُ لَكَ سُرُورًا بِهَا . وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ

(١) حَدِيثُ سَرَارِ أَمَقِّ الدِّينِ غُلَاوَاتُهُمْ بِالنَّفْسِ الْحَدِيثِ هَدَمَ ذِكْرُهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ قَدِ الْبَيْتِ عِنْدَ  
الْحَدِيثِ الرَّابِعِ مِنْهُ مَنْ أَسْفَى عَلَى دُنْيَا فَاتَهُ أَتَقَرَّبَ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ سَنَةٍ .

موجود لہٰذا کیف کان  
والصادق في خفارة  
صحة كيف قلب وقال  
بعضهم اذا رايت  
السوفى يوم سوم  
الطوق فاقمها فاعد  
اجتمع مع شئ من  
الدنيا . وقيل اذا كان  
جماعة متواقفين  
شكلا وظهر مرید  
عشوة على الصيام فان  
لم يناعوه جهنما  
لاقطارہ وشککوا  
رقابہ ولا عملوا حلا  
على حالهم وان كانوا  
جماعة مع شيخ  
يسرمون لفسده  
ويعطرون لافطاره ولا  
من بأمره الشيخ غير  
ذلك . وقيل ان بعضهم  
صام سنين بسبب شرب  
كان يصحبه حتى ينظر  
الشاب إليه في تأدب  
به ويصوم بصلابه .

على الله عليه وسلم قال «من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه» (١) وبلغنا أن بعض أهل العلم قال إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا وتحاسب بفركك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدينك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك تضي بأمر دينك أضعاف ما مضى بأمر آخرتك وعساك ترى مصيبتك في ماصيك أهون من مصيبتك في انقاس دينك نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من القنوب وعساك تجمل للناس ما حجت من الأوساخ كماها للعفو والرفقة في الدنيا وعساك ترضى الخلوقة من مساختها لله تعالى كما تترك وتظم ويحك فكأن احتقر الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إليك وعساك تحنى من الخلوقة مساويك ولا تكثر باطلاع الله عليك فيها فكأن القضيحة عند الله أهون عليك من القضيحة عند الناس فكأن العيد أظى عندك قدرا من الله ، تعالى الله عن جهلك فكيف تتطرق عند ذوى الأبواب وهذه اللاب فيك أفى لك متولوا بالأفذار وتحتج بحال الأبرار هيئات ما أبدك من السلف الأخير والله قد بلغنى أنهم كانوا فيما أحل لهم أرهد منكم فيما حرم عليهم إن الذى لا بأس به عندكم كان من اللوقات عديم وكانوا لفرقة الصغرة أشد استغظاما منكم لكباركم للعاصى فليت أطييب مالك وأحبه مثل هيئات أموالهم وليتك أخفقت من سينائك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تخيل ليت سومك على مثال إضطارم وليت اجتهدك فى العبادة على مثل قوروم ونومهم وليت جيع حسناتك مثل واحدة من سيناتهم وقد بلغنى عن بعض الصعابة أنه قال غنيعة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهيمهم مازوى عنهم منها لن لم يكن كذلك فليس معهم فى الدنيا ولا معهم فى الآخرة فيحبا الله كم بين الفريقين من التفاوت فربق خيار الصعابة فى العلو عند الله وفريق أمثالكم فى السفالة أو يوفو الله الكريم فضله [وبعد] فانك إن زعمت أنك متأس بالصعابة بجميع لئال الصنف والبلذ فى سبيل الله تدبر أمرك ويحك هل تجد من الحلال فى دهرك كما وجدوا فى دهرهم وأعجب أنك عتاط فى طلب الحلال كما احتاطوا. لقد بلغنى أن بسى الصعابة قال كنا نضع سبعين بابا من الحلال عمارة أن تقع فى باب من الحرام اقتطع من نفسك فى مثل هذا الاحتياط لا وذب السكبة ما أحسبك كذلك ويحك كن على يقين أن جمع لئال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر فى اكتساب الشهات المزوجة بالسمت والحرام وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من اجتأ على الشهات أوشك أن يقع فى الحرام» (٢) أيها الثرور أما علمت أن خوفك من اقتحام الشهات أظى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشهات وبلغنا فى سبيل الله وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال لأن جمع درهما واحدا عمارة أن لا يكون حلالا خير لك من أن تصدق بألف دينار من شبهة لا تدرى أهل لك أم لا فان زعمت أنك أتقى وأورع من أن تلبس بالشهات. وإنما تجمع لئال بزعمك من الحلال لئلا فى سبيل الله ويحك إن كنت كما زعمت بالفا فى الورع فلا تعرض لحساب فان خيار الصعابة خافوا للسأة وبلغنا أن بسى الصعابة قال ما سرنى أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأتقها فى طاعة الله ولم يشغلنى الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذاك رحمتك الله ؟ قال لأنى غنى عن مقام يوم القيامة فيقول

وحكى عن أبي الحسن  
اللسكى أنه كان يصوم  
الدهر وكان مقيا  
بالصرة وكان لا يأكل  
الحبز إلا ليلة الجمعة  
وكان قوته فى كل شهر  
أربع دنانير يحصل  
يسده حبال الخيف  
ويبيعها وكان الشيخ  
أبو الحسن بن سالم  
يقول لا أسلم عليه  
إلا أن يطر ويأكل  
وكان ابن سالم أتهمه  
بشيوة خفيته فى ذلك  
لأنه كان مشهورا  
بسبب الناس وقال  
بعضهم ما أخلص لله  
عبد قط إلا أحب أن  
يكون فى جب لا يعرف  
ومن أكل فضلا من  
الطعام أخرج فضلا  
من الكلام وقيل أقام  
أبو الحسن التبتى

(١) حديث من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه لم أجده إلا بلغا للحارث بن أسد الهامسى كما ذكره الصنف عنه (٢) حديث من اجتأ على الشهات أوشك أن يقع فى الحرام متفق عليه من حديث التبعان بن شير نحوه وقد تقدم فى كتاب الحلال والحرام أول الحديث .

عبدى من أين اكتسبت وفى أى شيء أهقت فهؤلاء للتقوى كانوا فى جنة الاسلام والحلال الموجود  
لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بمرموات ثيابة الأمن والحلال فى دهره  
مفقود تتكاثر على الأوساخ ثم زعم أنك تجمع المال من الحلال وبحك أين الحلال تتجمل به [وحد]  
فلو كان الحلال موجودا لديك أما تخاف أن يتغير عند التقي قلبك وقد بلغنا أن بسى الصبا به كان يرث  
المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه أنقطع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصبا فلا يزول عن  
شيء من الخلق فى أمره وأحواله لكن ظننت ذلك قد أحسنت الظن بنفسك الأماز بالسوء وبحك  
إلى لك ناصح أرى لك أن تنزع بالبلغة ولا تجمع للمال لأعمال البر ولا تعرض للحساب فانه بلغنا عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نوقى الحساب عذب »<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام « يؤذى رجل  
يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأهقته فى حرام فيقال انهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا  
من حلال وأهقته فى حرام فيقال انهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا من حرام وأهقته فى حلال  
فيقال انهبوا به إلى النار ويؤذى رجل قد جمع مالا من حلال وأهقته فى حلال فيقال له قلبك لك قصر  
فى طلب هذا شيء مما فرضت عليك من صلاة لم تسلمها لوقتها وفرطت فى شيء من ركوعها وسجودها  
ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلال وأهقت فى حلال ولم أمتنع شيئا مما فرضت على فيقال لك  
اختلت فى هذا المال فى شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباهى في شيء فيقال  
لملك منعت حق أحد أمرتك أن تعطي من ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا  
يارب كسبت من حلال وأهقت فى حلال ولم أمتنع شيئا مما فرضت على ولم أختل ولم أباهى في شيء فيقال  
أحد أمرتك أن أعطيه قال بغيره أولئك فيسأله فيقولون يارب أعطيه وأغنيت وجهه بين  
أظفرتها وأمرته أن يعطينا فان كان أعطاهم وما ضيع من ذلك شيئا من الفرائض ولم يخل فى شيء فيقال قلب  
الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لغة فلا يزال يسأل<sup>(٢)</sup> وبحك فمن ذا  
الذى يتعرض لهذه اللساة التى كانت لهذا الرجل الذى تنقلب فى الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى  
الفرائض بمجدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الترقى فى دين الدنيا وتخليطها  
وشبهاتها وشهواتها وزينتها وبحك لأجل هذه السائل يخاف للتقوى أن تلبسوا بالله نافر ضوا الكفاف  
منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال فلك وبحك هؤلاء الأخيار أسوة فان آيت ذلك وزعمت أنك  
بالغ فى الورع والتقوى ولم تجمع للمال إلا من حلال بزعمك لتخفف والبلد فى سبيل الله ولم تنفق شيئا  
من الحلال إلا بحق ولم يتغير بسبب المال قلبك مما يحب الله ولم تخطئ الله فى شيء من سرارك وعلايتك  
وبحك فان كنت كذلك ولست كذلك قد ينهى لك أن ترضى بالبلغة وتزول ذوى الأموال إذا  
وقفوا للسؤال وتسق مع الرعي الأول فى زمرة الصلطفى لا حبس عليك للمساءلة والحساب فإسلامة  
ولما عطي ، فانه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل صمالك المهاجرين قبل  
أغنيائهم الجنة بحسبة عام »<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام « يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم

(١) حديث من نوقى الحساب عذب متفق عليه من حديث عائشة وقد فهم (٢) حديث يؤذى  
بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالا من حرام وأهقته فى حرام فيقال انهبوا به إلى النار الحديث بطوله  
لم أتفق على أصل (٣) حديث يدخل صمالك المهاجرين قبل أغنيائهم الجنة بحسبة عام التزمى  
وحسنه وابن ماجه من حديث أبى سعيد بلطف قراء مكان صمالك ولها وقنسائى فى الكبرى  
من حديث أبى هريرة يدخل القراء الجنة الحديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر إن قراء  
للمهاجرين يسبقون الأغنياء إلى الجنة بأربعين خرفا .

بالحرم مع أصحابه سبعة  
أيام لم يأكلوا غرغ  
بسبب أصحابه ليتطهر  
فأرى قهر بطيخ  
فأخذه وأكله فراه  
إنسان فاتبع أثره وجاء  
برفق فوضه بين يدي  
القوم فقال الشيخ من  
جنى منك هذه الجناية  
قال الرجل أنا وجدت  
قهر بطيخ فأكلته  
قال كن أنت مع  
جنايتك ورحك قال  
أنا تألب من جنايتي  
قال لا كلام بعد التوبة  
وكانوا يستحبون  
صيام أيام البيض وهى  
الثلاث عشر والرابع  
عشر والخامس عشر  
روى أن آدم عليه  
السلام لما أهبط إلى  
الأرض أسود جسده  
من أثر اللصية فلما  
تاب الله عليه أمره أن

فأكون ويستمعون والآخرون جئاء على ركبهم فيقول فبكم طلبت أنتم حكم الناس وما لكم بهم فأروني ماذا حسنتم فيها أعطيتكم (١) « وبلغنا أن بعض أهل العلم قالوا سئروا أن لي حرامهم ولا كون في الرعي الأول مع محمد عليه السلام وحزه يقوم فاستبقوا السابق مع الحنفين في زمة للرسلين عليهم السلام وكونوا وجيلين من الصلح والاشطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجل التفتين لقد بئس وأن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضى الله عنه عطش فاستسقى فأتى بحربة من ماء وعسل فغذاه فاخته العبرة ثم بكى وأبكى ثم مسح السموع عن وجهه وذهب ليتكلم فساد في البكاء فلما أكثر البكاء قيل له كل هذا من أجل هذه الحربة قال نعم بينا أنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أحدني البيت غريي لجل يدفع عن نفسه وهو يقول إليك عنى قتلت ه فذاك أنا وأمي ما رى بين يديك أحدا في خطابي فقال هذه الدنيا تطاولت إلى بنتها ورأسها قتالت إلى أحمد خذني قتلت إليك عنى قتالت إن تخرج مني بعد فانه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني فخطبني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) « يقوم فيؤلاه الأخيار بكوا وجلا أن تخطمهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حلال وحكم أنت في أنواع من التهم والشهوات من مكسب السمح والشبهات لا تخشى الاضطعاق أفك ما أعظم جهك وهك فان تخلفت عن القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد للسطنى لتنتظرن إلى أهوال جرعت منها للناكسة والأثيباء ولأن قصرت عن السابق فيطولن عليك الحاقق ولأن أردت السكوة نصيرن إلى حساب صير ولأن لم تمنع بالليل نصيرن إلى وقوف طويل وصرايح وعويل ولأن رضىت بأحوال التفتين تخطن عن أصحاب المؤمنين وعن رسول رب العالمين ولتطعن عن نهم التفتين ولأن خالفت أحوال التفتين لتكونن من المحتسبين في أهوال يوم الدين قد رويك ما حسنت [ وجد ] فان زعمت أنك في مثال خيال السلف فتح بالليلز لهدى الحلال بنولك مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئا فذلك يفض للتكاثر والتقى راض بالفقر والبلا فرح بالفاقة والسكوة سرور بالمال والشمعة كره للمو والرفعة قوى في أمرك لا يضر عن الرشد فذلك قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله وان توقفت للسائقين لحاسبتهك من التفتين وإنما تجمع للال الحلال للبلد في سبيل الله وهك أبى للفرور قد بر الأمر وأمن النظر أماعه أن ترك الاشتغال بالمال وفرغ القلب للذكر والتذكر والتذكروا الفكر والاعتبار أسلم الدين وأيسر الحاسب وأخف المسألة وأمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضافا فلبعض بعض الصحابة أنه قال لو أن رجلا في حجرة دنائير يطعها والآخر يذ الله كان الله أكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال تركه أبر به وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالا فأصابها فوصل بها رحمه وقسم نفسه وأما الآخر فانه جافها فطلبها ولم يتاولها فأفها أفضل قال بيد الله ما بينهما الذى جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها وهك فهذا أفضل لك ترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأمن لميشك وأرضى لبالك وأقل لعمومك لما عذر لك في جمع المال وإن ترك المال أفضل من طلب المال لأعمال البر نعم وهك في ذكر الله أفضل من بدل المال في سبيل الله

يصوم أيام البيض  
فأبيض ثلث جسده  
بكل يوم صامه حتى  
ايض جميع جسده  
بصيام أيام البيض  
ويستحبون صوم  
النصف الأول من  
شعبان وإفطار نصفه  
الأخير وإن واصل بين  
شعبان ورمضان فلا  
بأس به ولكن إن  
لم يكن صام فلا يستقبل  
رمضان يصوم أو  
يومين وكان يكره  
بعضهم أن يصام رجب  
جمله كراهة المضاهاة  
برمضان ويستحب  
صوم الشهر من ذى  
الحجة والشهر من  
المهر ويستحب الخمس  
والجمعة والسبت أن  
يصام من الأثمن الحرام  
وورد في الخبر من صام  
ثلاثة أيام من شهر

- (١) حديث يدخل قراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون الحديث لم أره أصلا
- (٢) حديث أن بعض الصحابة عطش فاستسقى فأتى بحربة من ماء وعسل الحديث في دفع النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا عن نفسه وقوله إليك عنى الحديث البرار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال كنا عند أبي بكر فحدثنا جراب فأتى بماء وعسل الحديث قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل ضعيف



فاجتمع لك راحة الساجل مع السلامة والفضل في الأجل . [ وبعد ] فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تأسي بنيك إذ هذا لك به وتزى ما استأثره نفسه من جانية الدنيا وركك تدبر ما صممت وكن على يقين أن السعادة والتوفيق جانية الدنيا فسرهم لواء الصلطي سابقا إلى جنة الآوى فانه يفتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « سادات للؤمنين في الجنة من إذا تعدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضا وليس فضل كسوة إلا ما يورثه أولادهم من الجنة من إذا ما يفتيه يمسى مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه . فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا <sup>(١)</sup> » ألا يخفى متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فأنك تبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تحمعه لاولئك خوفا من القفر تحمعه ولتتم وإثره يتوالى الكثر والفضل والمال والرياء والسمة والتعظيم والكرمة تحمعه ثم زعم أنك لأعمال البر تجمع المال وركك راقب الله واستحي من دعواك أيها للزور وركك إن كنت مفتونا عجب للمال والدينيا فكنت مقرآن الفضل والخير في الرضا بالجنة وجانية الفضول . نعم وكن عند جمع المال من رايك نفسك مستقر فإسألك وجلا من الحساب فذلك أجي لك وأقرب إلى الفضل من طلب المصيح للبح لال . إخواني اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع ذلك من أروع الناس وأزهدهم في طلب المصالح ومن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ببلغ القوت وستر المورة فأما جمع المال في دهر نافع فأخذنا الله وإياكم منه [ وبعد ] فإين لنا بطل تهوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم وإين لنا مثل ضائرهم وحسن نياتهم دهننا ورب البناء بأدواء النفوس وأهواؤها وعن قريب يكون الورد وفي سعادة الخلقين يوم التشور وحزن طويل لأهل الكفاية والتخاليط وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل وقتنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين . هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل القفر على التقى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب القفر وإثره ويشهد له أيضا ما روى عن أبي أمامة الباهلي « أن ثعلبة بن حاطب قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطعنه قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة ماله في أسوة أما ترى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والله نفي يده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والله يبتك بالحق نيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأضلعن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فأتخذ ثعلبة فتمت كما يشمو اليهود فضاعت عليه المدينة فخرج منها قتل ولديا من أوديتها حتى جعل يمشي للظهر والصبر في الجافة ويبيع ما سواه ثم تمت وكثرت حتى ترك الجماعة إلا الجملة وهي تموا كما يشمو اليهود حتى ترك الجملة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ قيل يارسول الله أتخذ ثعلبة فضاعت عليه المدينة وأخذت بأمره كله فقال يارب ثعلبة يارب ثعلبة يارب ثعلبة قال وأزل الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم . وأزل الله تعالى غرض الصدقة فيمتر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وحمل رجلا من جينة ورجلا من بني سلم على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذ الصدقة وأمرهم أن يخرجوا فأتوا الصدقة من السلمين والقرام <sup>(٢)</sup> بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سلم وخذا صدقة كما

وقد تقدم قبل هذا في هذا الكتاب (١) حديث سادات للؤمنين في الجنة من إذا تعدى لم يجد عشاء الحديث عزاء صاحب مسند القردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرا بلفظ سادة القرام في الجنة الحديث ولم أره في ما جاء الطبراني .

حرام الخبيس والجملة  
والسبت بعد من النار  
سبعائة عام .  
[ الباب الحسادى  
والأربون في آداب  
الصوم ومهامه ]  
آداب الصويفية في  
الصوم ضبط الظاهر  
والباطن وسكف  
الجوارح عن الآثام  
كعب النفس عن الطعام  
ثم كف النفس عن  
الاهتمام بالأقسام سميت  
أن بعض الصالحين  
بالعراق كان طريقه  
وطريق أصحابهم  
كانوا يصومون وكما  
فتح عليهم قبل وقت  
الانقضاء يخرجونه ولا  
يفطرون إلا على ما فتح  
لهم وقت الانقضاء  
وليس من الأدب أن  
يسكك للريد عن  
الباح وغطر عرلم

غرفا حتى أتيا ثلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى عرفا ثم تمردا إلى فانطلقا نحو السليبي فسمع بهما فقام إلى خيبر استأن إلى فخرها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأوها قالوا لا يجب عليك ذلك وما تريد تأخذ هذا منك قال بل خذوها نسي بها طيبة وإعماهي لتأخذوها فلما فرقا من صدقاتهما رجعا حتى مرا يثلبة فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فخر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال يا وبع ثلبة قبل أن يكلمكما ودعا السليبي فأخبراه باقي صنع ثلبة وبالقى صنع السليبي فأئزل الله تعالى في ثلبة - ومنهم من ماهد الله لأن أمانا من فضله لتصدقن ولكن كن من الصالحين فقد أتاكم من فضله بخوا بهوتوا وروم معروضون فأعجبهم حقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخفقوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أهل ثلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثلبة فقال لأم لك يا ثلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله مني أن أقبل منك صدقتك قبل يجرى التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمك أمرك فلم تلعن فلما أتى أن يقبل منه شيئا رجح إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثلبة بعد في خلافة عثمان <sup>(١)</sup> فهذا طينان المال وغوومه وقد عرفته من هذا الحديث ولأجل بركة الفقر وشوهم التقي آخر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روى عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال كانت لي من رسول الله منزلة وجاءه فقال و يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله فقال وأنت معي حتى وقت ياب منزل لاطمة قمرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل قالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يارسول الله قال عمران بن حصين فقالت والهي بشك بالحق نياما على الإيعاءة قال اسنى بها هكذا وهكذا وأشار يده فقالت هذا جسد قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها لامة كانت عليه خلقة فقال هدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليك يا بنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي أتى لست أقدر على طعام أكله فقد أجبرتني الجوع فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإلى لأكرم على الله منك ولوسألت ربى لأطعمن ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب يده على منكها وقالها أجزى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قال آسية سيدة نساء عليها ومريم سيدة نساء عليها وخديجة سيدة نساء عليها وأتسيدة نساء عليها إنك في بيوت من صلب لأذى فيها ولا صلب ثم قال لها اتقي بأبن عمك فوالله قد نزع وجتك سيداتي الأربعة في الآخرة <sup>(٢)</sup>

الأمان قال أبو الهرداه  
يا حبذا نوم الأكياس  
وفطرم كيف يفتنون  
قيام الحق وسامهم  
وقدرة من ذي جين  
وتقوى أفضل من  
أمثال الجبال من  
أعمال للقرين ومن  
فضية الصوم وأدب أن  
يقبل الطمان عن الحدة  
الذي كان يا ككه  
وهو مفطر وإلا فاذا  
جمع الأكلات بأ ككه  
واحدة قد أدرك بها  
ما فوت ومتصودا تقوم  
من الصوم قهر النفس  
ومنها عن الاتساع  
وأخذهم من الطعام قدر  
الضرورة عليهم أن  
الاعتصار على الضرورة  
يجلب النفس من  
سائر الأفعال والأقوال  
إلى الضرورة والنفس  
من طبعها أنها إذا

فانظر الآن إلى حال طامية رضى الله عنها وهى بضمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أثرت القفر وتركزت للال ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم لم يشك في أن قد لال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات إذ أقل ما فيه من أداء الحقوق والتوق من الشهات والصرف إلى الخيرات لاشتغال المم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل اللال ، وقد روى عن جرير عن إبي قال سمعت جبريل عيسى بن مريم عليه السلام قال أكون معك وأصحبك فانطلقا فأتينا إلى شط نهر فجلسا بيمينين ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فغرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لأدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعهما خشفان لها قال قدما أحدهما فأتاه قدحهم فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل ثم قال لاخشف قم باذن الله فذهب فقال للرجل أسألك بأدى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري ثم أتيا إلى وادى ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فشا على اللاء فلما جلوسا قال له أسألك بأدى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لأدري فأتيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام بجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبيا باذن الله تعالى فصار ذهبيا قسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثالث وثلاث وثلاث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذى أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتيا إليه رجلا في المفازة ومعه اللال فأراد أن يأخذهما منه ويقتله فقال هو بيننا أناثا فأتيا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما تأكله قال فبشوا أحدهم فقال الذى يشت لى شىء أقسم هؤلاء هذا للال لكى أشبع في هذا الطعام صبا فأقبلهما وأخذ للال وحدى قال ففعل وقال ذلك الجان لى شىء نجعل لهذا ثلث للال ولكن إذا رجع فقلناه واقتسمنا للال بيننا قال فمارجع إليهما فقلنا كلا الطعام فلما بقي ذلك للال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتل فر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه فاحذروها . وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شىء مما يستمتع به الناس من ديام قد احضروا قبورا فاذا أصبحوا صعدوا تلك القبور وكسوها واصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيس لهم في ذلك ما ييس من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال ما لى إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتى فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتى فأيتى فما أنا قد جئت فقال لو كان لى إليك حاجة لأتيتك فقال له ذو القرنين ما لى أراك على حالة فأرأى أحدا من الأمم عليها قال وماذا قال ليس لك دنيا ولا شىء ألا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا نعم أكرهناها لأن أحدا لم يمتنع مما شئنا إلا تأقت قسه ودعته إلى ما هو أفضل منه فقال ما بالك قد احضرت قبورا فاذا أصبحت تهاذبتموها فكشتموها وصليتم عندها قالوا أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منتعنا قبورتنا من الأمل . قال وأراك لا طعام لك إلا البقل من الأرض ألا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتبستموها وركبتموها فاستمتعتم بها قالوا كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في نبات الأرض بلاؤا لى بكنى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأبى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجعله طعاما كأننا ما كان من الطعام بيسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول حجمة فقال إذا القرنين أتى من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فتشتم ووظفوا عننا فأرأى الشعب ما به ذلك منه حسنه بالوت فصار كالخجر لللقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يحز به في آخرته ثم تناول علما وأعظمهم علما وإنسانه صحيح .

أثرت لله تعالى في شىء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحواله فيصير بالأكل النوم ضرورة والقول والفعل ضرورة وهذا باب كبير من أبواب الحق لأهل الله تعالى يجب رحابته واقتضاه ولا يخفى بلم الضرورة وفائدتها وطوبى للإعبد إريد الله تعالى أن يقر به ويدنيه ويصطفيه ويريه ويختفى من ملاعبة الأهل وللأسفة فان ذلك أثره للصوم وينسحر استملا لسة وهو ادهى إلى إنباض الصوم لمخين أحدها عود بركة السنة عليه . والثاني القوة بالطعام على

جمعة أخرى بالية قال إذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك مسلكه الله  
جده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله باليس من التسم والظلم والتجبر فتواضع وخشع وعز وجل وأمر  
بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ثم أهوى إلى جمعة  
ذى القرنين وقال وهذه الجمجمة قد كانت كذابين فانظر إذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين  
هل لك في صحتي فأخذه أخا ووزيرا وشريكا فأتاني الله من هذا السال قال ما أصابك أنا وأنت في  
مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم ؟ قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو لي صديق قال  
ولم قال يامدونك لسا في يديك من للكل وللحال والدنيا ولا أجد أحدا يناديني في ذلك ولما عدنى  
من الحاجة وقلة الشيء قال فأنصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا بفنائه الحكايات تلك على  
آفات التي مع ما تمنه من قبل وبالله التوفيق .

(تم كتاب ذم السال والبخل بمحمد الله تعالى وعونه ، ويلي كتاب ذم الجاه والرياء .)

### (كتاب ذم الجاه والرياء)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع للهلكات من كتاب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله علام التيوب ، الطلع على سرائر القلوب ، للتجاوز عن كثر الأدوب ، العالم بما يجنيه الضماير  
من خفايا التيوب ، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات ، الذي لا يقيس من الأعمال إلا ما كل ووفى  
ونخلص عن غوايب الرياء والشرك وصفا ، فإنه للفرد بالمكسوت ، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك ،  
والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه للبرين من الحياة والإفك ، وسلم تسليما كثيرا .

[أما جد] قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوف ما أخاف على أمي الرياء والشهوة  
الحقة التي هي أغنى من ديب النقة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء » (١) ، ولذلك هجر عن التوفيق  
على غوائلها محاربة الطماء فضلا عن عامة العباد والأغنياء وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن  
مكائدها وإنما يبتلى به الطماء والعباد وللشمر من ساق الجدلس لوسيل الآخرة قاتلهم بها قاتلوا  
أشبههم وجاهدوها وقطعوها عن الشهوات وصانوها عن الشهوات وجعلوها القهر على أصناف العبادات  
عجزت فوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواضحة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى النظاير بالخير  
وأظهار السبل والعلم فوجدت خلاصا من مشقة المجاهدة إلى لغة التبول عند الخلق ونظرهم إليه بين الوفاق  
والتنظيم فصارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى اطلاع الخلق ولم تنع باطلاع الخلق وفرحت بمحمد الناس  
ولم تنع بمحمد الله وخدموعت أنهم إذ عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشهات وتحمله مشاق العبادات  
أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وباتوا في الترفيق والإطراء ونظروا إليه بين التوقير والاحترام وتبركوا  
بمشاهدته وقاتلوا غرورا في تركه ما هو حرموا على اتباعه أبو فاعلموه بالخدماء والسلام أكرموه في الحافل  
غاية الإكرام وسامعوه في البيع وللمال والقدوم في المجالس وآثروا بالمطامير واللابس وتضاعفوا له  
متواضعين واتخذوا له في أغراضه موقرين فأصاب النفس في ذلك قدته أعظم اللذات وشهوة هي أغلب  
الشهوات فاستخرت فيه ترك المعاصي والمفونات ولست لانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها

### (مكتبات ذم الجاه والرياء)

(١) حديث إن أخوف ما أخاف على أمي الرياء والشهوة الحقة ابن ماجه والحاكم من حديث شداد  
ابن أوس وقالا الشرك بدل الرياء وقسراه بالرياء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت بل بضمه وهو عند  
ابن المبارك في الزهد ومن طريقه عند البيهقي في الشعب بلقط المصنف .

الصيام ، وروى أنس  
ابن مالك عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال « تسحروا فان في  
السجود بركة »  
ويسجل القطر عملا  
بالسنة فان لم يرد تناول  
الطعام إلا بعد السجاء  
ويريد إحياء ما بين  
المشادين بغير الماء  
أو على أصداد من  
التراب أو الترس أو  
ياكل لقيات إن كانت  
النفس تنازع ليصفوه  
الوقت بين المشادين  
فاحياء ذلك له فضل  
كثير . وإلا فيقتصر  
على الماء لأجل السنة  
أخبرنا الشيخ العالم  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن علي قال أنا أبو القاسم  
الهريري قال أنا أبو نصر  
الريائي قال أنا أبو محمد

في الباطن لمة اللذات وشهوة الشهوات فهو يظن أن حياته بالله وعبادته الرضية وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تسمى عن دركها القول النافذة القوية ويرى أنه مخاض في طاعة الله ومجتنب لحرام الله والنفس قد أبطلت هذه الشهوة تزيينا للعباد وعصما للخلق وفرجا عما نالت من اللزقة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال وقد أثبتت اسمه في جريدة للتائقين وهو يظن أنه عند الله من الترقين وهذه مكيدة للنفس لا يلبس منها إلا الصديقون ومهواة لا يرق منها إلا الترقيون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرئاسة وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه ونصح القرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين : الشطر الأول في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوا أشد من حب المال وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكامل حقيقي وبيان ما عمد من حب الجاه وما يلم وبيان السبب في حب للدخ والثناء وكراهة القم وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة القم وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والقم فهي انتشار فضلا منها منشأ معاني الرياء فلا بد من تحذيرها والله للوفيق للصلوات بلطفه ومنه وكرمه .

( بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت )

اعلم أصلحك الله أن أصل الجامع وانتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول لا من شهره الله تعالى لشتر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب امرئ من الشر أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله » وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله » السوء أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » وقد ذكر الحسن رحمه الله الحديث تأويلا ولا بأس به إذا روي هذا الحديث فقيله يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال إنه لم يمين هذا وإنما معنى المتبع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرم الله وجهه تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلموا كتم واصمت تلمس الأبرار وتقيظ القجار وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب السخيتاني والله ما صدق الله عبده إلا سره أن لا يشر بمكانه . وعن خالد بن معدان أنه كان إذا كثرت خفتته قام حفاة الشهرة . وعن أبي العالقة أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثين . ورأى طلحة قوما يمشون معه نحو من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار . وقال سلم بن حفص بن حذاف عن حذاف بن عباد بن كعب عن أبيه عن حمير ضله بالمره قال انظر يا أبا سلمة المؤمن ما صنع فقال إن ههنا ثلاثين وقتة للتبوع . وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوم من منزله فابته ناس فالتفت إليهم فقال علم تبصرون

(١) حديث أنس حسب امرئ من الشر إلا من عصمه أن يشر الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه واليهي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث جابر بحسب امرئ من الشر الحديث منه و زاد في آخره أن لا ينظر إلى صوركم الحديث هو غير معروف من حديث جابر معروف من حديث أبي هريرة رواه الطبراني في الأوسط واليهي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوله ورواه مسلم مقتصرين على الزيادة التي في آخره وروى الطبراني واليهي في الشعب أوله من حديث عمران بن حصين بلطف كفي بالمره وإنما ورواه ابن يونس في تاريخ التبراه من حديث ابن عمر بلطف هلاك بالرجل وفسر دينه بالدعة ودنياه بالحق وإسنادها ضعيف .

الجراسي قال أنا  
أبو العباس الجويني  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال أنا  
اسحق بن موسى  
الأنصاري قال أنا  
الوليد بن مسلم عن  
الأوزاعي عن قرة عن  
الزهري عن أبي سلمة  
عن أبي هريرة رضي  
الله عنه قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
حكاية عن ربه قال  
الله عز وجل « أحب  
عبادي إليّ » أحبه  
قطرا « وقال عليه  
السلام « لا يزال الناس  
خير ما عجلوا القدر »  
والانقطاع قبل الصلاة  
سنة كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يفطر على جرعة من لبن  
ماء أو مذقة من لبن



قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبيحك ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن البير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأخفاء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصاييح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » وقال محمد بن سويد قسط أهل الدين وكان يهازل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيبنيهم في دعاهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فضلى ركبتين أوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يارب أقسمت عليك ألا أسطرت علينا الساعة فترى رد يديه ولم يتعلع دعاه حتى تشفت السياه بالسلام وأسطروا حتى صلح أهل المدينة من عناية الترقى قال يارب إن كنت تعلم أنهم قد اكفوا فارفع عنهم وسكن وبيع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخشى بدعوة قال سبحان الله أنت أنت وتساوى أن أخشك بدعوة ثم قال ما الذي بلك ما رأيت قال أخطت الله فم امرئ ونهاني فسألت الله فأعطاني . وقال ابن مسعود كونوا بتاييح العلم مصاييح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السياه وتخفون في أهل الأرض . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى « إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحلال فوخط من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعة في السر وكان فاضلا في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم مبر على ذلك قال ثم هز رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال جعلت منيته وقل تراء وتقلت بوا كيه » وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أحب عباد الله إلى الله التراء قيل ومن التراء ؟ قال الفارون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى السليح عليه السلام . وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما عين به على عبده ألم انهم عليك ألم أتركك ألم أدخل ذكرك . وكان الحليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك وقال الثوري وجدت قاضيا يصلح بمكة وللمدينة مع قوم غرياء أصحاب قوس وعود . وقال إبراهيم بن آدم ما قرأت عني يوما في الدنيا قط إلا مرة يت ليلي في بعض مساجد قرى الشام وكان في البطن جثي لؤلؤ بن رجل حتى أخرجني من المسجد . وقال الفضيل إن قدرت على أن لا تعرف فاضل وماعليك أن لا تعرف وماعليك أن لا تفي عليك وماعليك أن تكون ملموما عند الناس إذا كنت محمدا عند الله تعالى فهذه الآثر والأخبار تعرفك منمة الشهرة وفضية الحول وإعمال الطوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والترف في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد . فان قلت فأى شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء والرشد في وأئمة الطاء فكيف فاتهم فضية الحول . فاعلم أن للمصوم طلب الشهرة فأما وجوده من جهة الله سبحانه من غير تكلف من الصديقين علومهم وهم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء وهم كالترقي الضعيف إذا كان معه جماعة من الترقى فالأولى به أن لا يعرف أحد منهم فاتهم يطمقون به فيضف عنهم فيهلك معهم وأما القوي فالأولى أن يعرفه الترقى لينطقوا به فينجبهم ويثاب على ذلك .

### ( بيان ثم حب الجله )

قال الله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً جمع بين إرادة الفساد والعلو وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الإرادتين جميعا وقال عز وجل لمن كان يريد الحياة

(١) حديث معاذ بن جبل إن البير من الرياء شرك وإن الله يحب الأخياء الأخفاء الحديث الطبراني والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد قلت بل ضيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرق مترك (٢) حديث أبي أمامة إن أغبط أوليائي عندى مؤمن خفيف الحاد الحديث الترمذى وابن ماجه بإسنادين ضعيفين .

والطغي من آخر  
التبار حتى كادتا أن  
تهلكا فبشتا إلى  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم تسأذانه  
في الإفطار فأرسل  
إليهما قدحاً وقال  
قولوا لهما قشاً فيه  
ما أكلتا قشاً إحداهما  
نصفه دما عيطا ولحا  
غريضا وقامت الأخرى  
مثل ذلك حتى ملأته  
فصحب الناس من ذلك  
فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم هاتان  
صانعا وأفطرتا على  
ما حرم الله عليهما  
وقال عليه الصلاة  
والسلام « إذا كان  
يوم صوم أحدكم فلا  
يرفث ولا يجهل فإن  
امرؤ شامع فليقل  
إني صائم » . وفي الخبر  
« إن الصوم أمانة

الدينا وزيتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يمشون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون - وهذا أيضا متناول بسموه . حب الجاه فانه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زيتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب للنال والجاه يبتان النفاق في القلب كما يثبت اللد البقل (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما ذبيان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الشرف والنال في دين الرجل للسلم (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم لعل كرم الله وجهه « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب التناء (٣) » نسأل الله العفو والعافية بينه وكرمه .

### ( بيان معنى الجاه وحقيقته )

اعلم أن الجاه والنال هما ركنا الدنيا ومعنى نال ملك الأعيان للتشبع بها ومعنى الجاه ملك النلوب للطلب تظليها وطاعتها وكما أن النقي هو الذي يملك الدرهم والدنانير أي يقدر عليها ليتوصل بها إلى الأغراض والمقاصد قضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه وما ربه وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من العاملات ولا تصير القلوب مسخرة إلا للعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال اقتاده وتسير له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كالأول ويدفع قلبه للوصوف به اعتقادا ضروريا بحسب اعتقاده فان اعتقاد القلب حال لقلب وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعولمها وتغلبها وكما أن حب للنال يطلب ملك الأرقاء والسيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم وملك رعايهم يملك قلوبهم بل الرقي الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم لأن لئالك يملك السيد قهرا والسيد متأبط بطبعه ولو خلى ورأى المسلم عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويضئ أن تكون له الأحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الترح بالعبودية والطاعة له لما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرقي بكثير فاذا معنى الجاه قيام التزعة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب تمت من نوب الكمال فيه فيقدر ما يعتقدون من كماله تدفع له قلوبهم ويقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب ويقدر قدرته على القلوب يكون فرجه وجهه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كاللذخ والإطراء فان للشد للكمال لا يستعن عن ذكر ما يعتقد فيقضي عليه كالخدمة والإعانة فانه لا يخلل يذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون مسخرة له مثل السيد في أغراضه وكالإيثار وترك لنزاعة والتعظيم والتوقير بالخدمة والسلام وتسلم الصدر في المحافل والاضمير في جميع المقاصد فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه في القلب احتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما يعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية

(١) حديث للنال والجاه يبتان النفاق الحديث تقدم في أول هذا الباب ولم أجد (٢) حديث ما ذبيان ضاريان أرسلتا في زريبة غنم بأسرع إفسادا من حب الشرف والنال في دين الرجل للسلم (٣) حديث إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب التناء لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع الحديث ولأبي منصور الهذلي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بسند ضعيف حب التناء من الناس معنى وهم .

فليحفظ أحكامااته  
والصوفي الذي لا يرجع  
إلى معلوم ولا يندى  
مق يساق إلى الرزق  
فاذا ساق إلى إليه  
الرزق تناوله بالأدب  
وهو دائم للرابطة  
لوقته وهو في إبطاره  
أفضل من الذي له  
معلوم ممد فان  
كان مع ذلك يوم  
قد أكل الفضل .  
حكى عن روم قال  
اجتزت في الهاجرة  
يعض سلك بغداد  
فطشت فتقدمت إلى  
باب دار فاستقيت  
فاذا جارية قد خرجت  
ومعها كوز جديد  
ملآن من لاء البرد  
فما أردت أن أتاول  
مسن يدها قالت  
صوفي وشرب بالهار  
وضربت بالعكوز



أو جمال في صورة أو قوة في بدن أو شيء مما يحقده الناس كالأصاف كلها تنظم بحسب  
في القلوب فتكون سببا لقيام الجاه والله تعالى أعلم .

( بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة )

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الآل عموما هو بهيئة يقتضي كون  
الجاه محبوبا بل يقتضي أن يكون أحب من اللال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة سببا  
تناوبا في القدار وهو أنك تعلم أن الدرهم والدينار لا غرض في أعيانها إلا لصلح لمعلم ولا مشرب  
ولا منسك ولا ملبس وإنما هي والحصاء يتناولوا حتى كنهما محبوبان لهما وسيلة إلى جميع المحاب  
وخدمة إلى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب وكما أن ملك الذهب والفضة  
يغيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراض فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استئصالها  
يغيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض فالاشتراك في السبب يقتضي الاشتراك في المحبة وترجيح  
الجاه على اللال يقتضي أن يكون الجاه أحب من اللال وملك الجاه ترجيح على ملك اللال من ثلاثة  
أوجه : الأول ، أن اتوصل بالجاه إلى اللال أسير من التوصل باللال إلى الجاه فالعالم بالآل والجاه الذي  
تقرر له جله في القلوب لو قصد اكتساب اللال يسره فإن أموال أرباب القلوب مسخرة لقلوب وميلولة  
لأن اعتد فيه الكمال ، وأما الرجل المحسب الذي لا يصف بصفة كمال إذا وجد كزرا ولم يكن له جاه  
يحفظ ماله أراد أن يتوصل باللال إلى الجاه لم يسره له فاذن الجاه آفة ووسيلة إلى اللال فإن ملك الجاه  
قدد ملك اللال ومن ملك اللال لم يملك الجاه بكل حال فذلك صار الجاه أحب . الثاني هو أن اللال معرض  
للبلوى والتلف بأن يسرق ويضرب ويطلع فيه للوك والطفلة ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراس  
والخزائن ويترقى إليه أخطار كثيرة وأما القلوب إذا ملكتها فلا تعرض لحمل الآفات فهي على  
التعقيق خزانة حكيمة لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها أذى التهاب والتصاب وأمن الأموال بالشار  
ولا يؤمن فيه النصب والظلم ولا يستغنى عن الرقابة والحفظ وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محرمة  
بأهسها والجاه في أمن وأمان من النصب والسرقة فيها ، ثم إنما تصيب القلوب بالمرغوب وتنجس  
الحال وتثير الاعتقاد فيها صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر في محاولة دفعه .  
الثالث أن ملك القلوب يسرى ويضئ ويتزايد من غير حاجة إلى تصب ومقاساة فإن القلوب إذا ذهبت  
لشخص وانضمت كاله بلم أو عمل أو غير ما فصحت الألسنة لا محالة بما فيها فيصفا بمقتضى ما يمتنع  
ذلك القلب أيضا ولهذا السبب الطبع الصيت وانتشار الذكر لأن ذلك إذا استطاع في الأقطار اقتصر  
القلوب ودعاه إلى الإذعان والتعظيم فلا يزال يسرى من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له مرجع  
وأما اللال فمن ملك منه شيئا فهو مالكه ولا يقدر على استئانه إلا بتصب ومقاساة والجاه لا بد في القضاء  
بنفسه ولا مرد لوقته واللاواقف ولهذا الإذعان العظيم والجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة لانتشار استقرت  
الأموال في مقابلته فهذه جميع ترجيحات الجاه على اللال وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيع . فان  
قلت فالإشكال قائم في اللال والجاه جميعا فلا ينبغي أن يحب الإنسان اللال والجاه ، نعم القدر الذي يتوصل  
به إلى جلب اللال ودفع الضرر معلوم كالحاجة إلى اللبس والطعم أو كاليتل برض مرض أو يقوية  
إذا كان لا يتوصل إلى دفع الفتوة عن نفسه إلا بمال أو جاه فبالحال والجاه معلوم إذ كل مال لا يتوصل  
إلى المطلوب إلا به فهو محبوب وفي الطباع أمر عيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال كترك الكوز  
وإدخار الدخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات حتى لو كان للمجدد أديان من ذهب لا ينبغي لها  
ثالثا وكذلك يحب الإنسان امتناع الجاه وانتشار الصيت إلى أقصى البلاد التي يعلم قطع أنه لا يطؤها ولا يشاهد  
أصحابها ليعظموا أو ليروا بمال أو ليعتبه على غرض من أغراضه ومع الناس من ذلك فانه يلتذبه

على الأرض والعصر  
قال روم فاستحييت  
من ذلك وتذرت  
أن لا أفطر أبدا  
والجماعة الذين كرهوا  
دوام الصوم كرهوه  
لأن أن النفس إذا  
أثمت الصوم وتوعدته  
اعتد عليها الإفطار  
وهكذا يتوعدا  
الإفطار تكره للصوم  
فيرون الفضل في أن  
لا تترك النفس إلى  
حالة ورأوا أن الإفطار  
يوم وصوم يوم أشد  
على النفس . ومن  
أدب القسراء أن  
الواحد إذا كان  
بين جمع وفي محبة  
جماعة لا يسوم إلا  
يأثم وإنما كان ذلك  
لأن قلوب الجمع متعلقة  
بظهوره وهم في غير  
معلوم فان صام يذعن

غاية الاندفاع وحسب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن أن ذلك جبل قام حب المالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة . فقول نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب . وه سيبان : أحدهما جلي بذكره السكافة . والآخر خفي وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاها وأبعدهما عن أفهام الأذكاء فضلا عن الأشياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكة في الطبع لا يكاد يفهم عليها إلا القاصون . فأما السبب الأول فهو دفع ألم الحوف لأن الشفيق بسوء الظن مولى والالسان وإن كان مكفيا في الحال فانه طويل الأمل ويخطر بباله أن السال الذي فيه كفايته ربما يلف ويحتاج إلى غيره فإذا خطر ذلك ياله حاج الحوف من قلبه ولا يدفع ألم الحوف إلا الأمن الحاصل بوجوده ما آخر يزعج إليه إن أصابت هذا السال جاحمة فهو أبدا لشفتته على نفسه وجبه للحياة يقدر طول الحياة وقدّر هجوم الحمايات وقدّر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الحوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة السال حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من السال فذلك لم يكن لثمنه قسما إلى أن يملك جميع مافي الدنيا وذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « منومان لا يشبان منوم العلم ومنوم السال<sup>(١)</sup> » ومثل هذه الملة تطرد في وجه قيام التركة والبقاء في قلوب الأبعاد عن وطنه وبه فانه لا يغلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويخضع إلى الاستعانة بهم ومنها كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلا إجابة ظاهرة كان لنفسه فرح ودفعة قيام البقاء في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الحوف . وأما السبب الثاني وهو الأقوى أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي - أو معنى كونه رباني به وصفه من أسرار علوم الكشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> ولكنتك قبل معرفة ذلك فلم أن القلب ميلا إلى صفات بهيمة كالأكل والواقع وإلى صفات سميعة كالتقلب والفرس والإيلاء وإلى صفات شيطانية كالسكر والحذية والإغواء وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتعجب وطلب الاستعلاء وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتخصيلها فقولنا فيه من الأمر الرباني محب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوا بالطبع للالسان والكمال بالتفرد بالوجود فان للشاركة في الوجود نفس لامحالة فكأن الشمس في أمها موجودة وحدها فلو كان معها نفس أخرى لكان ذلك قصا في حقها إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية وللتفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواء فان ماسوله أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به فلم يكن موجودا معه لأن الشية توجب المساواة في الرتبة والمساواة في الرتبة قصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما أن إشراق نور الشمس في أقطار الأفاق ليس قصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وإنما قصان الشمس بوجود نفس أخرى تماثلها في الرتبة مع الاستثناء عنها فكذلك وجود كل مافي العالم يرجع إلى إشراق آوار القدرة فيكون تارة لا يكون متماثلا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل إنسان فانه بطبعه محب لأن يكون هو التفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية : ما من إنسان إلا وفي باطنه ماصر به فرعون من قومه أثار يكمل الأمل -

(١) حديث منومان لا يشبان الحديث الطبراني من حديث أبي مسعود بسند ضيف والبراز والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس بسند لين وقد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم لم يظهر سر الروح البخاري من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

الجمع وفتح عليهم شيء لا يقرهم إذ خالروهم الصائم مع الصائم بأن الجمع للقطرين يحتاجون إلى ذلك فان امتلأ بالإنسان بالصائم بركة إلا أن يكون الصائم يحتاج إلى الفرق لنفسه حاله أو ضيف ينتسبه لشيوخه أو غير ذلك وهكذا الصائم لا يلبق أن يأخذ نصيبه فيذكره لأن ذلك من ضيف الحال فان كان ضيفا يسترف بهاله وضفة فيخرعوا إلى ذكره لأقوام هم على غير معلوم فأما الصوفية للقيمون في رابط على معلوم فالألقى عالم الصيام ولا يلزمهم مواقة الجمع في الإفطار وهذا يظهر في جميعهم ثم معلوم يقدم لهم

ولكنه ليس بجداً جلالاً وهو كما قال فإن البيودة قهر على النفس والريوية محبوبة بالطبع وذلك لقسبة الربانية التي أوما إليها قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - ولكن لما عجزت النفس عن ذلك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبة للكمال ومشتية به ومثلثة به لذاته لا لمشي آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته وإعسا الكمال بسد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فإن أكل الكمال أن يكون وجود غيره منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه فصار الاستيلاء على السكل محبوا بالطبع لأنه نوع كمال وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه وعلى تغييره بحسب الإرادة وكونه مسخر لك تزده كيف تشاء فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منتزعة إلى ما لا يقبل التغير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته وإلى ما يقبل التغير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق كالأنفك والكواكب وملوك السموات وقوس اللائكة والجن والشياطين وكالجيال والبحار وما تحت الجبال والبحار وإلى ما يقبل التغير بقدرة السيد كالأرض وأجزائها وما عليها من اللادن والنبات والحيوان ومن جعلها قلوب الناس فاتها قابلية للتأثير والتغير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات فإذا انتمت للوجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى ولللائكة والسموات أحب الانساب أن يستولى على السموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على أسرارها فإن ذلك نوع استيلاء إذا للعلوم الحاطة به كما داخل تحت العلم والعالم كاستولى عليه فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى ولللائكة والأملك والكواكب وجميع جهاب السموات وجميع جهاب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا يشاهي اشتياق من هجر عن صنعة محبة إلى معرفة طريق الصفة فيها كن سبج عن وضع الشطر فانه قد يشتهي أن يعرف السبب به وأنه كيف وضعه ولكن يرى صنعة محبة في الهندسة أو الشيلة أوجز التثليل أو غيره وهو مستشعر في شدة بسن السبج والتصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفية تفرقه متألم ببعض السبج متلذذ بكمال العلم إن علمه . وأما القسم الثاني وهو الأرضيات التي يندر الإنسان عليها فانه يحب بالطبع أن يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسبان : أجساد وأرواح أما الأجساد فهي الدوام والذات غير الأمتة فيجب أن يكون قادر عليها فعمل فيها ما شاء من الرق والوانع والتسلم ولتتق فان ذلك قدرته القدرة كمال والكمال من صفات الربوية والربوية محبوبة بالطبع فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ما به ومطعمه في شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق السيد واستنباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والتلبه حتى يتصرف في أجسادهم وأعضائهم بالاستمخار وإن لم يملك قلوبهم فاتها ربما لم تمتد كاله حتى يصير محبوا لها ويقوم القهر منزلة فيها فان الحشية البهيرة أيضاً لذبة لما فيها من القدرة . القسم الثاني : قوس الآمين وقلوبهم وهي أغنى ما على وجه الأرض فهو محب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفه تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوية والقلوب إنما تتسخر بالحلب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمشي الرباني من جهة معاني الإنسان وهو الذي لا يليه الموت فيعلمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه عمل الإيمان والفرقة هو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخره القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء

بالبهار فأما إذا كانوا على غير معلوم فتدقيل مساعده السوالم فتفطرين أحسن من استعلاء اللوافة من القطين للصوام وأمر القوم مبنه على الصدق ومن الصدق افتقاد البية وأحوال النفس فكل ما صحت التيقية من الصوم والافطار واللوافة وترك اللوافة فهو الأفضل فأما من حيث السنة فمن يوافق له وجه إذا كان سامعاً وأفطر للوافة وإن صام ولم يوافق فله وجه فأما وجه من يخطئ ويوافق فهو ما أخبرنا به أبو زرعة طاهر عن أبيه أبي الفضل الحافظ التميمي قال أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله قال أنا السيد

كال وهو من أوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبيعته الكال بالعلم والقدرة وللأجل والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للقدورات وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والفتنة لا يزول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «من يومنا لا يشبعان» فاذن مطلوب القلوب الكال والكال الكال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسور كل إنسان وقد يتقدم ما يدركه من الكال فهذا هو السبب في كون العلم وللحال والجاه محبوبا وهو أمر وراء كونه محبوبا لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يجب الإنسان من المعلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع الجوانب والشكوك لأن في العلم استقلاء على المعلوم وهو نوع من الكال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة عقالا يُلط لا بد من بيان أن شاء الله تعالى.

(بيان الكال الحقيقي والكال الوهمي الذي لاحقة ٤)

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرّد بالوجود إلا في العلم والقدرة ولكن الكال الحقيقي فيه ملتبس بالكال الوهمي وبأنه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه: أحدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فذلك كمالا كانت علوم البعد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى. الثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكتشفا به ككفا تماما فإن للمعلومات مكتشوفة لله تعالى بأنهم أنواع الكشف على ما هو عليه فذلك مهما كان علم البعد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى. الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الأبد بحيث لا يتغير ولا يزول فانه علم الله تعالى باقى لا يتصور أن يتغير فكذلك مهما كان علم البعد بمعلومات لا يقبل التغير والاختلاف كان أقرب إلى الله تعالى والمعلومات فكلما: متغيرات وأزليات. أما التغيرات فتعلمها العلم يكون زيد في الله فانه علمه معلوم ولكنه يتصور أن يخرج زيد من المبدأ ويرتقى اعتقاد كونه في المبدأ كان كالكال فينقلب جهلا فيكون قصصا لا كالا فكذلك اعتقد اعتقادا موافقا وتصور أن ينقلب للصدق فاما اعتقده كنت يصدق أن ينقلب كالكال قصصا ويصدق جهلا ويتحقق بهذا الثلاث جميع متغيرات العلم كملك مثلا يارتفع جبل ومساحة أرض ويبدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ وسائر ما يدكر في السالك واللبالك وكذلك العلم بالصفات التي هي اصطلاحات تتغير يتغير الأعصار والأهم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الترتيب تتغير من حال إلى حال فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كالا في القلب.

انضم الثاني: هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات وتوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فإن هذه معلومات أزلية أبدية إذ لا يستحيل الواجب قط جائزا ولا الجائز عملا ولا المحال واجبا فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في أفعاله فالعلم بالله تعالى وبنفسه وأفعاله وحكمته في مأكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا وآخر قوما يتعلق به هو الكال الحقيقي الذي تجرب من يتصف به من الله تعالى ويعتق كماله لنفسه ببدلوت وتكون هذه المعرفة نوراً للهارفين ببدلوت - يسمى بين أيديهم وبأسمائهم يقولون ربنا نعم لنا نور - أي تكون هذه المعرفة قسراً ما يصل إلى كشف ما لم يتكشف في الدنيا كما أن من معه سراج خفي فانه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور يسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستبصار ومن ليس معه أصل السراج فلا مطعم له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطعم في هذه التوريقية - كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها - بل - كظلمات في بحر لحي يشبه موج من فوته موج من فوقه سبحانه

أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال أنا أبو بكر محمد بن حدوده قال ثنا جده الله بن حماد قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني عماد بن خالد عن حماد بن جريد عن محمد بن النضر عن أبي سعيد الخدري قال اصطلحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فلما قدم إليهم قال رجل من القوم إلى صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «دعكم أخواكم تكلف لكم ثم تقولون صائم الطير والغنم يوما مكانه» وأما وجه من لا يوافق قدور ودان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أكلوا وبلل صائم

ظلمات بعضها فوق بعض - فاذن لاساعدة إلا في معرفة الله تعالى وأسماءه وذلك من المعارف بما لا فائدة  
 له أصلا كمعرفة الشمس وأنساب العرب وغيرها ومنها ما لا منفعة في الاعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة  
 العرب والتفسير والفقهاء والأخبار فإن معرفة لغة العرب تبين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة تفسير تبين  
 على معرفة مافي القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تنيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية  
 النفس تنيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى - قد أفصح من  
 زكاهنا - وقال عز وجل - والذين جاهدوا فينا لهديهم سبلنا فكانوا جملة هذه المعارف كالوسائل إلى  
 تحقيق معرفة الله تعالى وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأصنافه وينطوي فيه جميع المعارف  
 المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أصنافه فمن عرف من حيث هي فعل الله تعالى ومن حيث ارتباطها  
 بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تمسكة معرفة الله تعالى وهذا حكم كمال العلم ذكرنا وإن لم يكن لها  
 بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال - وأما القدرة فليس فيها كمال حقيق العبد  
 بل للعبد علم حقيق وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة  
 العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بحدوث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي  
 مواضع شتى من ربيع النجيات فكما لم يبق معه بعد الموت يوصيه إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا  
 ثم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلاطة أطراف وقوة يده  
 البطش ورجله للمشي وحواصه للدراك فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج  
 في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه لتتوصل به إلى العلم والشرب واللبس ولكن ذلك  
 إلى قدر معلوم فإن لم يستتمه الوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيما لبته إلا من حيث القوة الحالية  
 التي تقتضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل الخلق أكثرهم هالكون في غمر هذه الجهل فاهم  
 يفتنون أن القدرة على الأجساد بغير الحشمة وعلى أعيان الأموال بصفة التقى وعلى تقطيع القلوب بصفة  
 الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ففسدوا  
 الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية أما العلم فلما ذكرناه  
 من معرفة الله تعالى وأما الحرية فإخلاص من أسرار الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تسبها  
 للملائكة الذين لا تستغفم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من  
 الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التأثير عليه فمن كان  
 عن التأثير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله تعالى أقرب والملائكة أغيبوا منزلته عند الله أعظم وهذا  
 كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وإنما في نوره في أقسام الكمال لأن حقيقة ترفع إلى عدم نقصان  
 فإن التأثير نقصان إذا هو عبارة عن عدم كاتبة وهلاكها والحدائق في صفات الكمال  
 فاذن الكمال ثلاثة إن عدنا عدم التأثير بالشهوات وعدم الاعتقاد لها كمالا ككمال العلم وكالحرية  
 وأغنى به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية وكالقدرة للعبد طريق إلى اكتساب  
 كمال العلم وكالحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته إذ قدرته على أعيان  
 الأموال وعلى استئصال القلوب والأبدان تقطع بالوفاة ومعرفة وحريته لا يستند بالوفاة بل بقيان  
 كمالا فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى فانتظر كيف أهمل الباهلون وانكبوا على وجوههم انكباب  
 السيان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه وللجهل الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا جأه وأعرضوا  
 عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبديا لا تضاعف له هؤلاء الذين اشتروا الحياة الدنيا بالأخرة  
 فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وهم الذين لم يهتموا بقوله تعالى - بالدال والنون زينة

قال رسول الله أنا كل  
 رزقا ورزق بلال في  
 الجنة « فإذا علم أن  
 هناك قلبا يتأذى أو  
 فضلا يرجى من موافقة  
 من يضمن موافقة  
 يخطر بجنس النية  
 لأحكام الطبع وتضاميه  
 فإن لم يجد هذا للمنى  
 لا ينبغي أن يتأبى عليه  
 الشهوة وداعية النفس  
 بالنية فليتم سومه  
 وقد تكون الاجابة  
 لداعية النفس لاقتضاء  
 حق أخيه . ومن  
 أحسن آداب التقدير  
 الطالب أنه إذا أقطر  
 وتناول الطعام ربحا  
 يجد باطنه متخيرا عن  
 هيئته وضه متباعدة  
 عن أدائه وظائف  
 العيادة فيقبل مزاج  
 القلب للتغير بالذهب  
 الضيق عنه ويذهب

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وسير أعلاما لعلم الحريص على الباقيات الصالحات التي تبقى كالا في النفس وللجاه هو الذي يتنقى على القرب بهو كامن له تعالى حيث قال - إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض - الآية وقال تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء - إلى قوله - فأصبح حشيا فنفروا إلى بلع - وكل ما تذكروا مع الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات قد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كل على لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه ونظره مقصود فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب بقوله :  
ومن يتفق الساعات في جمع ماله عفاة قهر فلهي فضل القهر  
إلا قدر البهنة منهما إلى الكمال الحقيق اللهم اجعلنا ممن وقته للخير وهديته بلطفك .

( بيان ما محمد من حب الجاه وما ينف )

مهما عرفت أن معنى الجامع ملك القلوب والقدرة عليها حكمه حكم الأموال فانه عرض من أعراض الحياة الدنيا ويتقطع بالموث كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يزود منه للآخرة وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة اللطم وللشرب ولللبس فلا بد من أدنى جاء لضرورة اللبسة مع الخلق والانسان كالا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يتناوله الطعام فكذلك لا يخفى عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يمشي به وأستاذ يرشده وسلطان يحمسه ويدفع عنه ظلم الأشرار عليه لأن يكون له في قلب خادمه من المل ما يدعو إلى الخدمة ليس بعموم وجه لأن يكون له في قلب رفيقه من المل ما يحسن به مرافقته وسماوته ليس بعموم وجه لأن يكون له في قلب أستاذه من المل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والتأية به ليس بعموم وجه لأن يكون له من المل في قلب سلطانه ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه ليس بعموم فان الجامع وسيلة إلى الأرض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يخفى إلى أن لا يكون للمال والجاه بأعينهما محبوسين بل بل يزول ذلك منزلة حب الانسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه قضاء حاجته ويود أن لا يستغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغنى عن بيت الماء فهذا على التحقيق ليس محاليت للماء فكل ما يراى للتوصل به إلى محبوب فالجواب هو للتوصل للتوصل إليه وتذكرك المثرة بئال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث إنه يدفع بها فضة الشهوة كما يدفع بيت الماء فضة الطعام ولو كفى مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب الانسان زوجته لذاتها حب المشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصعبا لتكاحها فلهذا هو الحب دون الأول وكذلك الجاه وللحال وقد حب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحيما لأجل التوصل بهما إلى مهمات البدن غير مدموم وخبيما لأصايتها فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجة مدموم ولكنه لا يوصف صاحب بالفسق والصيان مالم يحمله الحب على مباشرة مصيبة وما يتوصل به إلى اكتساب يكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة فان التوصل إلى الجاه وللحال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي . فان قلت : طلبه للزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان أو يصلح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص . فأقول : يطلب ذلك على ثلاثة أوجه : وجهان مباحان ووجه محظور . أما الوجه المحظور فهو أن يطلب قيام للزلة في قلوبهم باقتضاهم فيه صفة وهو متفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوى أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك فهذا حرام لأنه كذب وتلبس إما بالقول أو بالجملة . وأما أحد الباحين فهو أن يطلب للزلة بصفة هو متصف بها

الطعام بركات يصلها  
أو بآيات يتلوها أو  
بأذكار واستغاريات

به قد ورد في الخبر

« أذنبوا طعامكم

بالكر » ومن مهم

آداب الصوم كتابته

مهما أمكن إلا أن

يكون متمكنا من

الاخلاص فلا يزال

ظهر أم بطن .

[ الباب الثاني

والأربعون في ذكر

الطعام وما فيه من

المصلحة والفسدة ]

الصولي بحسن نيته

ومحبة مقصده ووفور

علمه وإتيانه بأدابه

تصير طائفته عبادة

والصولي موهوب وقته

له ويريد حياته له كما

قال الله تعالى لبيد آخر

له - قل إن سئلتني

ونسكى وعجيا وعجاني

له رب العالمين -

تدخل على الصوفى

أمر المأذون لموضع

حاجته وضرورة

بشرته وبغض بادهته

نور يظنه وحسن

نيتة فتثور العادات

وتتفكك بالعبادات

ولهذا ورد «نوم العالم

عبادة وقنسه تسبيح»

هذا مع كون النوم

عين النفل ولكن كل

ما يستعان به على العبادة

يكون عبادة فتناول

الطعام أصل كبير

يحتاج إلى علوم كثيرة

لاعتنا على المصالح

الدينية والأخلاقية

وتلقى أثره بالقلب

والقالب وبقيام البدن

بأمر سنة الله تعالى

بذلك والقالب مركب

القلب وبهما صمارة

الدنيا والآخرة وقد

كقول يوسف صلى الله عليه وسلم فيما أخبرته الرب تعالى - اجلس على خزائن الأرض إلى حفيظ علم - فانه طلب للثروة في قلبه بكونه حفيظا عليها وكان محتاجا إليه وكان صادقا فيه . والثاني أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعيبة من معاصيه حتى لا يعلم فلا تقول منزله به فهذا أيضا مباح لأن حفظ السر على التابع جائز ولا يجوز حثك السر وإظهار السيئ وهذا ليس فيه تلبس بل هو سد لطريق العلم بحالا قائمة في العلم به كالحق غنى عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا ياتي إلى أنه ودرع فان قوله إلى ودرع تلبس وعدم إقراره بالتشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالتشرب . ومن جهة المنظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتناؤه فان ذلك رياء وهو ملبس إذ غيبل إليه أنه من المحصلين الحاشعين لله وهو مرء بما يشبه فكيف يكون غلطا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبس في عوض أو في غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب أعظم من ملك الأموال .

( بيان السبب في حب اللذخ والثناء وإرتياع النفس به وميل

الطبع إليه وبغضها للدم وحرمتها منه )

اعلم أن حب اللذخ والثناء القلب به أربعة أسباب : السبب الأول وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فانا نبتنا أن الكمال محبوب وكل محبوب قادرا أهله به فلهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واحتضنت وتلذذت وللذخ يشعر نفس للمدح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جليا ظاهرا أو يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة به أقل ولكنها لا تخلو عن لذة كشافه عليه بأنه طويل القائمة أيضا القون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تنفل عنه فتخار عن لذته فاذا استقهرت لم يخل حدوث الشعور من حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إلى الشك فاللذة فيه أعظم كالتناء عليه بكمال العلم أو كمال الورع أو بالحسن للخلق فان الانسان ربما يكون شاكيا في كمال حسنه وفي كمال علمه كمال ورعه ويكون مشتاقا إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقنا لسكوته عدم النظر في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه فاذا ذكره غيره أوردت ذلك طمأنينة فتوقفت باستشمار ذلك الكمال فتظم لذته وإنما تظم اللذة بهذه المصلحة مهمات الثناء من سبب هذه الصفات خير بها لا يخالف في القول إلا عن تحقيق وذلك كنفخ التيفيد بثناء أستاذة عليه بالكياسة والدكاء وغزارة النضل فانه في غاية اللذة وإن صدر عن مجاز في الكلام ولا يكون بصيرا بذلك الوصف ضفت اللذة وبهذه الملة يفيض الدم أيضا ويكره لأنه يشعر بتقصان شمه والتقصان ضد الكمال المحبوب فهو يمتنع والشعور به مؤلم ولذلك يمتنع الألم إذا صدر الدم من بصير موقوف به كذا كراه في اللذخ . السبب الثاني : أن اللذخ يدل على أن قلب اللذخ ملوك للمدح وأنه مريد له ومتعديه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذته وبهذه الملة تظم اللذة منها مصدر الثناء بمن تتسع قدرته ويضع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر وضف مهمات كان اللذخ بمن لا يؤبه به ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر خفي فلا يدل اللذخ إلا على قدرة قاصرة وبهذه الملة أيضا يكره الدم ويؤثم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن القاتبة به أعظم . السبب الثالث : أن ثناء الله ومدح المصالح سبب لاصطاد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك بمن ينفذ إلى قوله ومدح ثناءه وهذا محض بقاء يقع على المصالح لجرم كمالها المجد أو كبره للشيء أجدر بأن ينفذ إلى قوله كان اللذخ ألد والنم أشد على النفس . السبب الرابع : أن اللذخ يدل

على حشمة للمدح واضطرار للادح إلى اطلاق اللسان بالثناء على المدحوخ إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لا بد منها فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان اللادح لا يعتقد الباطن بالمدح به ولكن كونه مضطرا إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع اللادح وقوته فتكون لذته ثناء القوى للمتنع عن التواضع بالثناء أشد فلهذا الأسباب الأربعة تجمع في مدح مباح واحد فيعظم بها الالتذاد وقد تفرق تقتضى اللذة بها أما اللذة الأولى وهي استشعار الكمال فتدفع بأن يعلم المدحوخ أنه غير صادق في قوله كما إذا مدح بأنه نسيب أو سخي أو عاقل يعلم أو متورع عن المخطورات وهو يعلم من حقه ضد ذلك قزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذته الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن اللادح ليس يستعد بما جوفه ويعلم خلوه عن هذه الصفة يطلب اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذته الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك من خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلا لذته لقوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشفه التطاء عن علة التذاد النفس للمدحوخ تأمل بسبب النظم إنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحسب الحمدة وخوف اللذمة فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب للرغش والله الوفي بكرمه ولطفه وسلي الله على كل عبد مصطفى.

### ( بيان علاج حب الجاه )

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصورا على مرعاة الخلق مشغولا بالتودد إليهم وللرعاة لأجلهم ولا يزال في أوقافه وأعماله ملتصقا إلى ما يستقيم منزلته عندهم وذلك بخبر النفاق وأصل الفساد وغير ذلك لا حاجة إلى التساهل في العبادات وللرعاة بها وإلى احتكام المخطورات فتوصل إلى اقتباس القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وإفسادها قدين بدينين متارين وقال عليه السلام « إنه بيت النفاق كما بيت الماء البقل » إذا نفاق هو خيانة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل وكل من طلب للزفة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بحسن حاله حتى يخالعها وذلك هو عين النفاق فحب الجاه إذن من الهلكات فيجب علاجه وإزالته عن القلب فانه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآثره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بساط الأرض من الشرق إلى المغرب فيلقى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود ولا يكون حالك كحال من مات قبلك من ذوى الجاه مع المتواضعين فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا تقاطع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحق العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد ، فيكأنك تأخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كاتوا كذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه ، أما بعد فكأنك بالدينيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فلو لم كان التفاهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالقوى إذ علوا أن العاقبة للثنتين فاستحقروا الجاه والمال في الله وابتاعوا بصار أكثر الخلق ضغينة مقصورة على العاجلة لا يمتدونها إلى مشاهمة العواقب ولذلك قال تعالى - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى سواء عز وجل - كلابل تحيون العاجلة وتلدنون الآخرة فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار

ورد « أرض الجنة  
قيان نباتها التسيح  
والتقديس » والقالب  
بغفره على طيبة  
الحيوانات يستأن به  
على عمارة الدنيا والروح  
والقلب على طيبة  
الملائكة يستأن بهما  
على عمارة الآخرة  
وباجتماعهما صلحا  
لمسارة المارين والله  
تعالى رب الأمسى  
بلطف حكمته  
من أحسن جساوه  
المسببات والروحانيات  
وجعلهم تودع خلاصة  
الأرضين والسماوات  
جسد عالم الشهادة  
وما فيها من النبات  
والحيوان لقولهم بدن



التي يستدلف لها أرباب الجاه في الدنيا فإن كل ذى جله محمود ومقصود بالأيذاء وخائف على الدوام على جاهه وعزيمته من أن تتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيراً من القدر في غلباتها وهي مترددة بين الإقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يشاهى ما يبنى على أمواج البحر فانه لا يثبت له والاشتغال بعراض القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غنوم عاجلة ومكسدة للذة الجاه فلا يبنى في الدنيا مرجوها بتغيرها فضلاً عما يغوث في الآخرة فيها يبنى أن تعالج البصيرة التصفية وأما من غلبت بصيرته وقوى إيمانه فلا يفتخ إلى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم . وأما من حيث العمل فاستعاض الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يستطعن أعين الخلق وتضارعه لذة القبول ويأس بالتحول ويرد الخلق ويخضع بالقبول من الخلق وهذا هو منهج اللامية إذ اتحموا التواضع في صورتها ليستطاعوا أخسهم من أعين الناس فيسلوا من أفة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب السليين وأما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك بل له أن يغفل من الباحات ما يقطع قدره عند الناس كإروى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد فسا علم قربه منه استدعى طعاماً وبقلاً وأخذ يأكل بشره ويظمم القصة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شراباً حلالاً في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيستطعن أعين الناس وهذا في جوارحه نظر من حيث الحق إلا أن أرباب الأحوال ربما يبالغون أخسهم بما لا يغنيهم بالفتنة مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه فدخل حماماً ولبس ثياب غير مخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا إنه طرار وهجروه وأدوى الطرق في تطلع الجاه الاعتزال عن الناس والمهجرة إلى موضع المحلول فان المهرل في بيته في اليك الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزله فانه ربما يظن أنه ليس بذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها قد تقدرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذهوه وأنسوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وثألت وربما وصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإمالة ذلك التبارع عن قلوبهم وربما احتاج إلى إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتليس ولا يأتى به وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فان لذة الجاه أعظم ولا يمكن أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس مادام يطعم في الناس فاذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع لهمه عن الناس رأساً أصبح الناس كلهم عنده كالأردال فلا يأتى أكان لمنزلة في قلوبهم لم يكن ذلك إلا يأتى بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يرام ولا يطعم قيم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن نتج استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن قيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك : بالخير الواردة في ذم الجاه ومدح المحلول والذم مثل قولهم للمؤمن لا تخاومن ذلة أؤدة وأوعه ونظر في أحوال السلف وإشارتهم للذم على المز وغبته في ثواب الآخرة رضى الله عنهم أجمعين .

( بيان وجه العلاج لحب الملح وكرهه الدم )

اعلم أن أكبر الناس إنما هللكوا بخوف منعمة الناس وحسد مدحهم فصار حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفاً من الذم وذلك من الملهكات فيجب عليه المتوطر منه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم . أما السبب الأول : فهو استقمار الكمال بسبب قول

الآدمي قال الله تعالى  
- خلق لكم ما في  
الأرض جميعاً فكونوا  
الطامع وهي الحرارة  
والرطوبة والبرودة  
والبيوسة وسكون  
بواسطها النبات وحمل  
النبات قوام الحيوانات  
مسخرة لآدمي يستعين  
بها على أمر معاشه فلولم  
بدنه فالطعام يصل إلى  
اللمعة وفي المنة طبع  
أربع على الطعام طبع  
أربع فإذا أراد الله  
اعتدال مزاج البدن  
أخذ كل طبع من  
طبع المنة ضدّه من  
الطعام فتأخذ الحرارة  
للبودة والرطوبة  
للبيووسة فيعتدل

لللدح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا فإن كنت متصفا بها فهي إما صفة تستحق بها اللدح كالدم والورع وإما صفة لا تستحق اللدح كالزور والجلد والأعراض البدنية فإن كانت من الأعراض البدنية فالردح بها كالردح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هتيا تدرؤه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال النبي: **أهدأتم عندي في سرور** يتقن عنه صاحبه اعتضالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بمرض الدنيا وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح اللدح بها بل بوجودها وللدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصفة مما يستحق الردح بها كالدم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الحاجة غير معلومة وهذا إنما يقتضى الردح لأنه يقرب عند الله زلي وخطر الحاجة باقي في الخوف من سوء الحاجة فخل عن الردح بكل مافي الدنيا بل الدنيا دار أحران وغموم لا ديار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الحاجة فينبغي أن يكون فرحك بغض الله عليك بالدم والتقوى لا يمدح اللدح فإن الله في استمثار الكمال والكمال موجود من فضل الله لأن اللدح والدم تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالدم والدم لا يزيدك فضلا وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالدم فإية الجنون ومثاله مثال من يهزأ به إنسان ويقول سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تخرج منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشتمل عليه معاؤه من الأقدار والأثان ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أتوا عليك بالصلح والورع ففرح به والله مطلع على خيانتك بطعنك وغوائل سريرتك وأقدار صفاتك كان ذلك من فاية الجهل فاذا المدح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وإن كذب فينبغي أن يفسك ذلك ولا تفرح به. وأما السبب الثاني وهو دلالة اللدح على تسخير قلب المدح وكونه سببا لتسخير قلب آخر فهذا يرجع إلى حب الجاه والمزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المزلة عند الله، وبأن تعلم أن طليق المزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلك عند الله فكيف تفرح به. وأما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت للمدح إلى اللدح فهو أيضا يرجع إلى قذرة عارضة لا يات لها ولا تستحق الردح بل ينبغي أن يفسك مدح المدح وتكرهه وتغضب به كما فعل ذلك عن السلف لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان. قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم الرجل أنت فسكان أحب إليك من أن يقال لك بشي الرجل أنت فأنت والله بشي الرجل، ووروى في بعض الأخبار قال صح فهو قاصم للظهور « أن رجلا أتى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت لجات في ذلك دخل النار (١) » وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمدح « وهك صمست ظهرك لو صمكت ما أفلح إلى يوم القيامة (٢) » وقال عليه السلام « ألا لا تمدحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا في وجوههم التراب (٣) » فلماذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وقتته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به حتى إن بعض الخفاء الراشدين سأل رجلا عن شيء فقال أنت يأمر المؤمنين خرمي مني وأعلم فغضب وقال إنني لم أترك بأن تركني، وقيل لبعض الصحابة لا يزال الناس غير ما أجادك الله تغضب وقال

- (١) حديث أن رجلا أتى على رجل خيرا فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت ومات على ذلك دخل النار (٢) أصلا (٣) حديث ومك قطعت ظهره الحديث قاله للمدح تخدم .  
(٣) حديث ألا لا تمدحوا وإذا رأيتم المادحين فاحشوا في وجوههم التراب تهدموا بقوله ألا لا تمدحوا.

للزاح ويأمن الأعوجاج  
وإذا أراد الله تعالى  
إفناء قالب وتخريب  
بينة أخذت كل  
طبيعة جنبها من  
للأكل قتل  
الطباع ويضطرب  
المزاج ويسقم البدن  
فلك تقدير المرز  
السلیم . روى عن  
وهب بن منبه قال :  
وجدت في التوراة صفة  
أتم عليه السلام إلى  
خلفت آدم وركبت  
جسده من أروية  
أشياء من رطب  
وإيس وبارد وسخن  
وذلك لأن خلقته من  
التراب وهو إيس  
ورطوبته من الماء

إني لأحسبك عراقيا ، وقال بعضهم لما مسح : اللهم إن عبدك تقرب إلى عتقك فأنت عبدك على مقته وإنما كرهوا للبح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم يخشون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله ينقض إريم مدح الخلق لأن المدح هو القرب عند الله وللنوم بالحقيقة هو الجسد من الله للخلق في النار مع الأشرار ، فهذا المدح إن كان عند الله من أهل النار لما أعظم جهنم إذا فرح بملح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وتمامه عليه ولذلك أمره يد الخلق ، ومهما علم أن الأرزاق والأجل بيد الله تعالى قل التماس إلى مدح الخلق ونهم وسقط من قلبه حب للبح واشتغل بما يهيمه من أمر دينه ، والله للوفيق للصواب برحمته .

### ( بيان علاج كراهة الله )

وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح وحلفت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هن : ملاك الجسم يذوق وجن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا يتنعم منهن واحدة إلا بأخرى منهن : لذة السوداء ولذة الصفراء والهم والبأس ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض قبلى مسكن اليوسة في اللذة السوداء ومسكن الرطوبة في اللذة الصفراء ومسكن الحرارة في النهم ومسكن البرودة

قد سبق أن العلة في كراهة الله هو ضد العلة في حب للبح فضلا عما فيها من القبول والوجوب فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال : إما أن يكون قد صدق فيها قال وقصد به الصبح والشفقة ، وإما أن يكون صادقا ولكن قصد الأبداء والتشتت ، وإما أن يكون كاذبا لأن كان صادقا وقصد التسبب فلا ينبغي أن تلمه وتضب عليه وتعد بسببه بل ينبغي أن تتفقد منه فان من أهدى إليك عيوبك فقد أهداك إلى اللهاك حتى يتقبح فينبغي أن تشرح به وتشتغل بأزالة الصفة للنوم عن عسك إن قدرت عليها فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إله فانه غاية الجهل وإن كان قصد التشتت فأنت قد انتضت بقوله إذ أهداك إلى عيبك إن كنت جاهلا به أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه في عيبك لينبش حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدت منه فاشتغل بطلب السعادة قد أتبع لك أسبابها بسبب مامعته من اللذات فمما قصدت الدخول على ملك وتوثبك ملوث بالعمرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخت أن يحرق ريتك لتأويك جلسته بالعمرة فقال لك قائل أيها اللوث بالعمرة طهر عسك فينبغي أن تشرح به لأن تنبشك بقوله غيبة وجميع مساوى الأخلاق مهلكة في الآخرة والآنسان إنما يفرح من قول الله أنه لا ينبغي أن تقتنمه . وأما قصد المدو التشتت بخيانة منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تضب عليه يقول انتضت به أنت وتضرر هو به . الحالة الثالثة : أن يغترى عليك بما أنت برى منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تسكره ذلك ولا تشتغل بنمه بل تتسكر في ثلاثة أمور : أحدها أنك إن خلوت بمن ذلك العيب فلا يخلو عن أمثاله وأشباهه وما ستره الله من عيوبك أكثر فأشكر الله تعالى إذ لم يطلع على عيوبك ودفنه عنك يذكر ما أنت برى منه ، والثاني أن ذلك كفارات ليقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بسبب أنت برى منه وطهرتك من ذنوب أنت ملوث بها وكل من اغتتابك قد أهدى إليك حسنة وكل من مدحك قد قطع ظهرك ، فإياك تشرح بقطع الظهر وتحزن لحدايا الحسنات التي تحريك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله . وأما الثالث فهو أن للسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه باقرائه وتعرض لهما بالآلهم فلا ينبغي أن تضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان ويقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي اللهم اهد قومي فآلهم لا يملكون » لما أن كسروا نذته وشجوا وجهه وقتلوا همه حمزة يوم أحد ودعا إبراهيم بن آدم لمن شج رأسه بالعمرة قيل له في ذلك فقال علت آتى مأجور بسببه وما تالى منه إلا خير فلا رضى أن يكون

(١) حديث اللهم اغفر لقومي فآلهم لا يملكون قاله لما ضربه قومه البيهقي في دلائل النبوة وقد تقدم والحديث في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه .

هو معاقبا بسبي وما يهون عليك كراهة اللذعة قطع الطمع فان من استغنى عنه معاذمك لم يستطع أن ذلك في قلبه وأصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن اللالو الجاهل مادام الطمع قائما كان حب الجاهل للذع في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت ممتك إلى تحصيل اللذة في قلبه مصر وقولوا نال ذلك إلا بهم الدين فلا ينبغي أن يطعم طالب المال والجاه وعب للذم ومبعض القم في سلامته يناف ذلك بيد جدا .

( بيان اختلاف أحوال الناس في اللذع والهم )

اعلم أن الناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الدام والذبح : الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشفكر اللذع ونضب من الهم ويحمد على الدام ويكافئه أو يحب مكافأته وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات الصبية في هذا الباب . الحالة الثانية أن يمتنع في الباطن على الذم ولكن يسك لسانه ويجوارحه عن مكافأته وشرح باطنه ويرتلح للمدح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من التقصان إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال . الحالة الثالثة وهي أول درجات الكمال أن يستوى عنده ذمهم ومادحه فلا تهم للذمة ولا تسره للذعة وهذا قد ينطه بعض الباد بنفسه ويكون مغرورا إن لم يمتنع نفسه بعلاماته ، وعلاماته أن لا يجد في نفسه استقلالاً للذام عند تطويعه الجالس عندما أكثر ما يمدح في اللذع وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج اللذع فوق ما يجده في قضاء حاجات الذم وأن لا يكون انقطاع الذم عن جلسته أهون عليه من انقطاع المدح وأن لا يكون موت اللذع المطرقة أشد نكابة في قلبه من موت الذم وأن لا يكون غمه بصية المدح وما ينافيه من أعدائه أكثر مما يكون بصية الذم وأن لا تكون زلة المدح أخف على قلبه في عينه من زلة الذم فها خب الذم على قلبه كما خف المدح واستوى من كل وجه قد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر الباد فرحهم بلح الناس لهم مستططن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتنعون أن تقسم بهذه الصلوات وربما هم العابد يميل قلبه إلى المدح دون الذم والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذم قد عصى الله بعملك والمدح قد أطاع الله بحدك فكيف تسوى بينهما وإنما استقلالك للذم من الدين المحض وهذا محض التلبس فان العابد لو تضرع علم أن في الناس من ارتكب كبار المعاصي أكثر مما ارتكب الذم في مذمة ثم إنه لا يستظلم ولا يفر عنهم ويعلم أن المدح الذي منح لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه ثرة عنه بمذمة غيره كما يجد للمذمة قصه والمذمة من حيث إنها مصيبة لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره فاذن العابد للفرور لنفسه ينضب وهو لا يمتنع ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يميل على الله بهواه فيزيد ذلك بسا من الله ومن لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فأكثر مباداته تب ضائع يغوث عليه الدنيا وغشيره في الآخرة وفيهم قال الله تعالى قل هل يتبينكم بالآخرين أعمالا الذين مثل سقيم في الحياة الدنيا وهم يعجبون أنهم يحسنون صنعا . الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة أن يكره اللذع ويقت المدح إذ يعلم أنه فضيلة قاصمة تظهر مضرة في الدين ويجب الذم إذ يعلم أنه مهدي إليه عيه وشره إلى مهموم به إليه حسنة قد قال عليه السلام « رأس التواضع أن تذكره أن تذكر بالبر والتقوى » (١) وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أرائنا إن صح إذ روى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ويل للصائم ويول لقاتم ويول لصاحب الصوف إلا من ، قيل يا رسول الله إلا من ؟ قال إلا من تزهت نفسه عن الدنيا وأيض للذعة واستحب المذمة » (٢)

(١) حديث رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى لم أجده إلا أصلا (٢) حديث ويل للصائم ويول لقاتم ويول لصاحب الصوف الحديث لم أجده هكذا وذكر صاحب التردوس من حديث أنس ويول لمن ليس الصوف غالف عنه قوله ولم يخرجوه ولهم في مستنده .

في الباطن فأعيا جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكة وقولاه فكانت كل واحدة منهن ربما لا يزيد ولا ينقص كلفت صحته واحتلت بنته فان زادت منهن واحدة عليهن هزمتن وماتن بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى يضعف عن طاقته ويضع عن مقداره في أهم الأمور في الطعام أن يكون حلالا وكل ما لا يذمه الشرع حلال رخصة ورحمة من الله لعباده ولولا رخصة الشرع

وحذا شديد جدا وغاية أمثالا الطمع في الحالة الثانية وهو أن يضرم القرح والكراهة على القلب واللاح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين اللاح واللاح فلست نطمع فيها نهان طالبا أنفسنا بملامة الحالة الثانية فانها لا تفي بها لأنها لا بد وأن تتسارع إلى إكرام الساحب وقضاء حاجاته وتتأخر على إكرام اللاح والشاء عليه وقضاء حوائجه ولا حذر على أن نسوي بينهما في القصد الظاهر كما لا حذر على سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين اللاح واللاح في ظاهر القلب فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فاته الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى فكيف بما يسه من الربيتين وكل واحدة من هذه الرتب أضافها درجاتاً أما الدرجات في اللوح فهو أن من الناس من يتنى للدعة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرى بالعبادات ولا يزال بمفارقة المحظورات لاسمالة قلوب الناس واستطلاق ألسنتهم بالمدح وهذا من المالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا ياتر المحظورات وهذا على شفا جرفه حار فان حدود الكلام الذي يستعمل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكن أن يضبطها في وقت أن يقع فيها لأجل لئيل الحمد فهو قريب من المالكين جدا ومنهم من لا يريد للدخول لاسم لطلبها ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبض السرور إليه بالتشكر في آفات للوح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من إذا مدح للوح لم يسر به ولم يتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص ومنهم من يكره اللوح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يهبط على اللوح ويشكر عليه وأقصى درجاته أن يكره ويهبط ويظهر التضرع وهو صادق فيه لا أن يظهر التضرع وقلبه عيب له فان ذلك عين اتفاق لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالمدح من هذا تتفاوت الأحوال في حق اللاح وأول درجاته إظهار التضرع وأخراها إظهار القرح ولا يكون القرح وإظهاره إلا بمن في قلبه حق وحقد على نفسه لمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتعليقها الحبيثة فيفضها بض العدو والانسان يفرح بمن يمدح عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر اللام على ذلك ويعتقد فطنته وذلكاه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كاللشني له من نفسه ويكون غنينة عنه إذا صار بالذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتل شتة الناس وإذا سبقت إليه حسنت لم ينصب فيها قصاه يكون خيرا لنيوه التي هو عاجز عن إبطالها ولوجاهد الريد نفسه طول عمره في هذه الصفة الواحدة وهو أن يستوى عنده ذمّه ومادحه لكان له عقل شاغل فيه لا يفرغ منه لشبهه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها ولا يقطع شيئا منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

( الشطر الثاني : من الكساب في طلب الجاه والقرّة بالعبادات )

وهو الرّاء وفيه بيان ذم الرّاء وبيان حقيقة الرّاء وما يرائى به وبيان درجات الرّاء وبيان الرّاء الخفى وبيان ما يحيط العمل من الرّاء وما لا يحيط وبيان دواء الرّاء وعلاجه وبيان الرّاحة في أعظم الرّاءات وبيان الرّاحة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرّاء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على الريد أن يقوم به قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول وبالله التوفيق .

حسب الأمر والأمر  
طلب الخلا . ومن  
أدب الصوفية رؤية  
لنعم على النعمة وأن  
يتدنى بصل اليد  
قبل الطعام فالرسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
والوضوء قبل الطعام  
ينفي القربة وإنما كان  
موجبا لنفي الفقر لأن  
غسل اليد قبل الطعام  
استقبال النعمة بالأدب  
وذلك من حسب  
النعمة والشكر  
يستوجب المزيد فصار  
غسل اليد مستجلبا  
لنعمة . لما للفقر  
وقد روى أنس بن  
مالك رضي الله عنه  
عن النبي صلى الله

## ( بيان ذم الرياء )

اعلم أن الرياء حرام ولله في ذلك حكمة وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار . أما الآيات :  
 قوله تعالى - فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم راؤون - وقوله عز وجل - والذين  
 يكررون الصلوات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور - قال مجاهد : هم أهل الرياء وقال تعالى - إنما  
 نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فصح المخلصين يتنى كل إرادته سوى وجه الله والرياء  
 ضده وقال تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (١) نزل  
 ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته وأعماله . وأما الأخبار : فقد قال عليه السلام حين سأله رجل فقال  
 يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال « أن لا يسلم اليد بيد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال أبو هريرة في حديث  
 الثلاثة : للقول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارىء لكتاب الله كما أوردنا في كتاب الاخلاص وإن  
 الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد كذبت بل أردت أن يقال  
 فلان شجاع كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء تأخير صلى الله عليه وسلم وأهمهم لما يؤاؤن رياء وهو  
 الذي أحبط أعمالهم (٢) وقال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رأى رياء رأى الله  
 به ومن سمع مع الله به (٣) » وفي حديث آخر طويل « إن الله تعالى يقول لا تكتبه إن هذا لم يردى بصله  
 فاجعله في سجين (٤) » وقال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر  
 يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم انذهبوا إلى الذين كنتم  
 تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندم الجزاء (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « استميدوا بالله عز وجل  
 من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء للرائين (٦) » وقال عليه السلام « يقول الله  
 عز وجل : من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له وأنا متري به » وأما عن الأغنياء عن الشرك (٧) »

(١) حديث نزول قوله تعالى - من كان يرجو لقاء ربه - الآية فيمن يطلب الأجر والحمد بعبادته  
 وأعماله الحاكم من حديث طاوس قال رجل إلى أنف للوقف أبغى وجه الله وأحب أن يرى موطن  
 فلم يرد عليه حتى زلت هذه الآية هكذا في نسخ من تستدرك ولله سقطته ابن عباس أو أبو هريرة  
 والجزء من حديث معاذ بسند ضعيف من سام رياء قد أشرك الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم  
 تلاه هذه الآية (٢) حديث أبي هريرة في الثلاثة : للقول في سبيل الله وللتصدق بماله والقارىء  
 لكتابه فإن الله يقول لكل واحد منهم كذبت رياء مسلم ونسأى في كتاب الاخلاص (٣) حديث  
 ابن عمر من رأى رياء رأى الله به ومن سمع مع الله به متفق عليهما حديث جندب بن عبد الله ما حديث  
 ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ من  
 سمع الناس مع الله به سامع خلقه وحقه وصفه وفي الزهد لابن المبارك وسند أحمد بن منيع أنه  
 من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث إن الله يقول لا تكتبه إن هذا لم يردى بصله فاجعله في سجين  
 ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الاخلاص . وأبو الشيخ في كتاب العظمة من  
 رواية حمزة بن حبيب حملا ورواه ابن الجوزي في اللطائف (٥) حديث إن أخوف ما أخاف  
 عليكم الشرك الأصغر الحديث أحمد والبيهقي في الشعب من حديث حماد بن ليث وهو رياء ورجاه  
 قتات ورواه الطبراني من رواية حماد بن ليث عن رافع بن خديج (٦) حديث استميدوا بالله من  
 جب الحزن قيل وما هو ورواه الألبان واد في جهنم أعد للقراء للرائين الترمذي وقال غير ما بن ماجه من حديث  
 أبي هريرة وصحه ابن عدى (٧) حديث يقول الله من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كذا

عليه وسلم أنه قال  
 « من أحب أن يكثر  
 خير دينه فليتوضأ إذا  
 حضر غداؤه ثم يمسى  
 الله تعالى » قوله تعالى  
 - ولا تأكلوا مما  
 لم يذكر اسم الله عليه  
 تحميمه تسمية الله تعالى  
 عند ذبح الحيوان .  
 واختلف الشافعي  
 وأبو حنيفة رحهما  
 الله في وجوب ذلك  
 وفهم السوفي من ذلك  
 بسد القيام بظاهر  
 التفسير أن لا يأكل  
 الطعام إلا المقروءة بالذكر  
 فقرنه فريضة وقته  
 وأدبه ويري أن تناول  
 الطعام ولقاء يتبع من  
 إقامة النفس ومتابعة

وقال عيسى السبيح صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم صوم أحدكم فليدن رأسه وليتبوع عيسه فشيئته  
 لتأري الناس أنه صائم وإذا أعطى يمينه فليخف عن شيائه وإذا صلى فليخسر ستره فإنه والله يقسم  
 التائب كما يقسم الزق ، وقال نينا صلى الله عليه وسلم « لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرمن  
 رياء » (١) وقال عمر لما ذبن جبل حين رآه يكي ما يكيك ؟ قال حديث سمعت من صاحب هذا  
 القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن أدنى الرياء شرك » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم  
 « أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية » (٣) وهى أيضا ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه  
 وقال صلى الله عليه وسلم « إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجالا تصدق يمينه فساد خبيثا عن  
 شيائه » (٤) وقال ورد « أن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا » (٥) ودل على الله عليه  
 وسلم « إن الرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر ضل عملك وحبط أجر لك انفسه فخذ  
 أجره من كنت تعمل له » (٦) وقال شداد بن أوس « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يكي قلت  
 ما يكيك يا رسول الله ؟ قال إنى تخوف على أمي الشرك أما إنهم لا يبعدون صبا ولا غصا ولا قرأ  
 ولا حجرا ولكمهم يرادون بأعمالهم » (٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الأرض مادت  
 بأهلها فخلق الجبال فصرها أو تادا للأرض قالت للأرض ما خلق ربنا خلقا هو أشد من الجبال  
 فخلق الله الحديد فقطع الجبال ثم خلق النار فأذابت الحديد ثم أمر الله الماء بإلقاء النار وأمر البرق  
 فكسرت الماء فاختلقت للملائكة قالت نساء الله تعالى قالوا يارب ما أشد ما خلقت من خلقك ؟  
 قال الله تعالى لم أخلق خلقا هو أشد على من قلب ابن آدم حين تصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن  
 شيائه فهذا أشد خلقا خلقته » (٨) وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لما ذبن جبل  
 حدثني حديثا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكنت  
 ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال لي « يا معاذ قلت ليك بأني أنت وأنى يا رسول الله قال  
 الحديث مالك واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا منه برىء ومسلم مع تدهيم وتأخير دونها  
 أيضا وهى عند ابن ماجه بسند صحيح (١) حديث لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء لم أجده  
 هكذا (٢) حديث معاذ بن أنس أدنى الرياء شرك الطبرانى هكذا والحاكم بالفظ إن اليسير من الرياء شرك  
 وقد تقدم قيل هذه الورقة (٣) حديث أخوف ما أخاف عليكم الرياء الحديث تقدم في أول هذا الكتاب  
 (٤) حديث إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجالا تصدق يمينه فساد فساد أن يخفيها عن شيائه  
 متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه في حديث سبعة يظلم الله في ظله (٥) حديث خضيل  
 عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفا البزقي في الشعب من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل  
 العمل فيكذب له عمل صالح معمول به في السرىض أجره سبعين ضعفا قال البيهقي هذا من أفراد بدية  
 عن شيوخه المجهولين وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف فضل  
 الله الحفى الذى لا تسهم الحفظة على الله كره الذى تسهم الحفظة سبعين درجة (٧) حديث إن  
 للرائي ينادى يوم القيامة يا فاجر يا فاجر يا فاجر يا فاجر ضل عملك وحبط أجر لك الحديث ابن أبي الدنيا من  
 رواية جبهة الجصى عن صفوان لم يسم وزاد يا كافر يا كافر ولم يقل يا فاجر وإسناده ضعيف  
 (٧) حديث شداد بن أوس إنى تخوف على أمي الشرك الحديث ابن ماجه والحاكم نحوه وقد تقدم  
 قرىبا (٨) حديث لما خلق الله الأرض مادت بأهلها الحديث وفيه لم أخلق خلقا هو أشد من ابن آدم  
 يصدق بحديثه فيخفيها عن شيائه الترمذى من حديث أنس مع اختلاف وقال غريب .

هو اها وبرى ذكر الله  
 تعالى دواء ورياته .  
 روت عائشة رضى الله  
 عنها قالت كان رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم  
 يأكل الطعام في ستة  
 قمر من أصحابه فجاء  
 أعرابي فأكله بقمتين  
 فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أما إنه  
 لو كان يسمى الله  
 لكناكم فاذا أكل  
 أحدكم طعاما فليقل  
 بسم الله فإن نسي أن  
 يقول بسم الله فليقل  
 بسم الله أوله وآخره  
 ويستحب أن يقول في  
 أول قمة بسم الله  
 الثانية بسم الله الرحمن  
 الرحيم والثالثة بسم الله

إلى محدثك حديثاً إن أنت حفظته فمك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه اضطلت حبكت عند الله يوم  
القيامة يامعاذ الله إن الله تعالى خالق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات  
فبصل لكل ساء من السبعة ملكاً يوليا عليها قد جلها عظماء قصداً الحفظة بصل المبدن حين أصبح  
إلى حين أمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صمدت به إلى الساء الدنيا زكته ففكرته فيقول لللك  
الحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب القية أمرني ربّي أن لا أضع عمل من اغتاب  
الناس يجاوزني إلى غيري قال ثم تأتي الحفظة بصل صالح من أعمال المبدن تضر به فزكته وتكرهه  
حتى تبلغ به إلى الساء الثانية فيقول لهم لللك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه  
أراد بصله هذا عرض الدنيا أمرني ربّي أن لا أضع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يختصر به على  
الناس في مجالسهم قال وتصد الحفظة بصل المبدن يتبجح نورا من صدقة وصيام وصلاة قد أحجب  
الحفظة فيجاوزون به إلى الساء الثالثة فيقول لهم لللك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه  
صاحبه أنا ملك الكبير أمرني ربّي أن لا أضع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يشكر على الناس في  
مجالسهم قال وتصد الحفظة بصل المبدن يزهركا يزهركا يزهركا الكوكب المبري له دوى من تسبيح وصلاة  
وسج وعمرة حتى يجاوزوا به الساء الرابعة فيقول لهم لللك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل  
وجه صاحبه اضربوا به ظهره ويطنه أنا صاحب السبب أمرني ربّي أن لا أضع عمله يجاوزني إلى  
غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل السبب في عمله قال وتصد الحفظة بصل المبدن حتى يجاوزوا به  
الساء الخامسة كأنه العروس للزفوفة إلى أهلها فيقول لهم لللك للوكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل  
وجه صاحبه واحملوه على قافه أنا ملك الحمد إنه كان يحسد الناس من يشتم ويسلم بثل عمله وكل  
من كان يأخذ فضلاً من البادية يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربّي أن لا أضع عمله يجاوزني إلى غيري  
قال وتصد الحفظة بصل المبدن من صلاة وزكاة وسج وعمرة وصيام فيجاوزون بها إلى الساء  
السادسة فيقول لهم لللك للوكل بها قفوا اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم أنسانيق  
من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضر به بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربّي أن لا أضع  
عمله يجاوزني إلى غيري قال وتصد الحفظة بصل المبدن إلى الساء السابعة من صوم وصلاة وثقة  
وزكاة واجتهاد وورع له دوى كدوى الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون  
به إلى الساء السابعة فيقول لهم لللك للوكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه : اضربوا به  
جوارحه اقشوا به على قلبه إنني أحجب عن ربّي كل عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد عمله غير الله  
تعالى إنه أراد رفعة عند التقياء وذكراً عند العلماء وصيتاً في اللذان أمرني ربّي أن لا أضع عمله  
يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل الرائي قال وتصد الحفظة  
بصل المبدن من صلاة وزكاة وصيام وسج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشميه  
ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل فيقولون بين يديه ويشهدون له  
بالعمل الصالح المخلص قال فيقول الله لهم أتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على نفسه  
إن لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فليعه لعني فتقول للملائكة كلهم عليه لتستك ولتنتا  
وتقول السموات كلها عليه لمة الله ولتنتا وتلمن السموات السبع والأرض ومن فيهن قال معاذ  
قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقد بي وإن كان في عملك نفس يامعاذ حافظ على  
لسانك من الوقية في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحمليها عليهم ولا تترك  
عصمتهم ولا ترفع عصمتهم عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك

لله صلاة أخاف  
يقول في أول نفس  
بالحمد في إذا شربوني  
الثانية الحمد لله رب  
العالمين وفي الثالثة الحمد  
له رب العالمين الرحمن  
الرحيم وكما أن للعمدة  
طعاماً تتذكر كذا كرامه  
بمواقة طابع الطعام  
مقلقب أيضاً مزاج  
وطابع لأرباب التفقد  
والرأيا والبقطة يعرف  
انحراف مزاج القلب  
من القيمة للتناولة تارة  
تحدث من القيمة  
حسرة الطيش  
بالهوس إلى الفضول  
وتارة تحدث في القلب  
برودة الكسل بالتقاعد  
عن وظيفة الوقت وتارة



لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تاتج رجلا وعندك آخر ولا تنظم على الناس فيقطع عنك خبر الدنيا ولا تحذر في الناس قسمة ذلك كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى - والناشطات نططا - أتدري من هن؟ قلت يا معاذ؟ قلت ما هن؟ بآي أنت وأمي يارسول الله؟ قال كلاب في النار تنشط اللحم والمطم. قلت بآي أنت وأمي يارسول الله فمن يطبق هذه الحصال ومن ينجو منها؟ قال يا معاذ إنه ليسر على من يسره الله عليه <sup>(١)</sup> قال فما رأيت أكثر ثلاثة للقرآن من معاذ الجندر بما في هذا الحديث. وأما الآثار : فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا يطأ في رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب ورأى أبو أمامة الباهلي رجلا في المسجد يسكن في سجوده فقال أنت أنت لو كان هذا في بيتك.

وقال علي <sup>(٢)</sup> كرم الله وجهه : لمرأى ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أتى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لبيدة بن الصامت أقاتل بسقي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمد الناس قال لا شيء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك ثم قال في الثالثة إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث. وسأل رجل سميد بن السيب فقال إن أجدنا يسطع العروق حبب أن يحمده ويؤجر فقال له أحب أن يمتح؟ قال لا قال فإذا عملت له عملا فأخلصه. وقال الضحاك : لا يقول أحدكم هذا لوجه الشيوخ لا يقولون هذا في الرسم فإن الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالرة ثم قال له اقتس مني قال لا ليل أدعها له وذلك فقال له عمر ما صنعت شيئا إنا أنا تدعنا لي فأقرض ذلك أو تدعها له وحده فقال ودعها له وحده فقال نعم إذن. وقال الحسن : لقد صحبت أنوما إن كان أحدهم تعرض له الحكمة لوفلق بها لفتحت وهفت أصحابه وما يمنعه منها إلا حافة الشجرة وإن كان أحدهم لمير فيرى الأذى في الطريق فاشتمه أن ينحبه إلا حافة الشجرة. ويقال إن للرأى ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يارسول الله يا غادر يا خاسر يا فاجر انهب غدا أجرك عن عملك له فلا أجر لك عندنا. وقال الفضيل بن عياض : كانوا يرادون بما يعملون وصاروا اليوم يرادون بما لا يعملون. وقال عكرمة : إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يسطيه على عمله لأن النية لا يراى فيها. وقال الحسن رضي الله عنه : للرأى يراد أن ينلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح وكيف يقولون وقد دل من ربه بعمل الأرواء فلا بد له قلوب للؤمنين أن تعرفه. وقال قتادة : إذا رأى العبد يقول الله تعالى انظروا إلى عبيدي يستهزؤ بي. وقال مالك بن دينار : القراء ثلاثة قراء الرحمن وقراء الدنيا وقراء للوكة وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن. وقال الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مرآة فليظفر إلى. وقال محمد بن المبارك السوري : أظهر السمات بالليل فإنه أشرف من سمك بالهار لأن السمات بالهار للسمك والظن وحسن الليل لرب السالين. وقال أبو سليمان : التوفيق عن العمل أمد من العمل. وقال ابن المبارك : إن كان الرجل ليطوف بالبيت وهو غرسان قبيل له وكيف ذلك؟ قال يجب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال إبراهيم بن آدم : ماصدق الله من أراد أن يشتر.

(١) حديث معاذ الطويل عن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل منها من السبعة ملكا يوابا عليها الحديث بطوله في سمود الحنفية يحمل البعد ورد للامكة له من كل جاء ورد الله تعالى له بعد ذلك عزاء للصف إلى رواية عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل عن معاذ وهو قال قال رواء في الزهد وفي إسناده كما ذكر من لم يسم ورواه ابن الجوزي في الموضوعات.

حدث رطوبة السهو  
والشفة وتارة يوسة  
الحسم والحزن بسبب  
الخطوط الماحقة فيه  
كلها عوارض تمنع  
لها للتيقظ ويرى تنير  
القلب بهذه العوارض  
تغير مزاج القلب عن  
الاعتدال والاعتدال  
كما هو مهم طلبه  
القلب فلقب أم  
وأولى وطريق  
الاخفاف إلى القلب  
أسرع منه إلى القلب  
ومن الاخفاف ما يقيم  
به القلب فيموت ثلوث  
القلب واسم الله تعالى  
دواء نافع حبر يقي  
الأسواء وينصب إلهاء  
ويجلب الشفاء. حكى

( بيان حقيقة الرياء وما يرامى به )

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرأى أصله طلب للزلة في قلوب الناس لإرغامهم خصال الخير إلا أن الجاه ولزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب العبادات واسم الرياء خصوص بحكم المادة يطلب للزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها عند الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالرائى هو العابد والرائى هو الناس للطلوب رؤيتهم بطلب للزلة في قلوبهم وللرائى به هو الحاصل الذي قصد للرائى إظهارها والرياء هو قصد إظهار ذلك وللرائى به كثير وبجسمه خمسة أقسام وهي جماع ما يزين به العبد لنفسه وهو البدن والري والقول والسل والأفعال والأغنياء الخافضون كذلك أهل الدنيا يرامون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات.

[ القسم الأول : الرياء في الدين بالدين ] وذلك بإظهار التحول والصغار ليوم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة وليلد التحول على قلة الأكل والصغار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين وكذلك يرأى بثبوت الشمر ليدب على استغراق العلم بالدين وعدم التفرغ لتسرع الشر وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمزقتهم فذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لئلا تترك الاحتراق من هذا خضض الصوت وإفارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على أنه موافق على الصوم وأن وقار الصرع هو الذي خضض من صوته وأوضف الجوع هو الذي خضض من قوته وعن هذا قال السبيح عليه السلام : إذا صام أحدكم فليدع رأسه وبرجله وشمعه ويكمل عينه. وكذلك روى عن أبي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من تزغ الشيطان بالرياء ، وذلك قال ابن مسعود أصبوا صياما معنيين فهذه مرادة أهل الدين بالدين ، فأما أهل الدنيا فيرامون بإظهار السنن ومضاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتساها.

[ الثاني : الرياء بالمليحة والري ] أما المليحة فتشتمل على الرأس وحق الشارب وإطراق الرأس في الكفى والهدوء في الحركة وإبقاء أثر الجود على الوجه وظل الشارب وليس الصوف وتشمير هال إلى قريب من الساق وتقصير الأكام وترك تنظيف الثوب وتركه خروفا كل ذلك يرأى به ليظهر من نفسه أنه متبع لسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومن ذلك ليس للزلة والصلاة على السجادة وليس الثياب التي ترق تشبها بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التفتيح بالازار فوق الصامدة وإسبال الرداء على العينين ليرى به أنه قد انتهى تشبهه إلى الحذر من غيار الطريق وتقصير إليه الأعين بسبب تميز تلك السلامة ومنه اللعانة والطليسان بلبسه من هو خاف عن العلم ليوم أنه من أهل العلم والراودن بالري على طبقات ففهم من يطلب للزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسعة القصيرة النظيفة ليرأى بظلمتها ووسخها وقصرها وتخرفها أنه غير مكثرت بالدينا ولو كلف أن يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الدجج وذلك خوفاً أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من اللوك والوزراء والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدريهم أعين اللوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا فذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة وللرقات للصبوغة والقوط الرقيقة فيلبسوها ولعل تجمعة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيته لون

أن الشيخ محمد  
التزالي لما رجع إلى  
طوس وصف له في  
بعض القرى عبد صالح  
قصد زائراً فصادفه  
وهو في صحراء فيلذ  
المنطقة في الأرض فلما  
رأى الشيخ هذا جاء  
إليه وأقبل عليه فجاء  
رجل من أصحابه  
وطلب منه البدر  
ليبوب عن الشيخ  
في ذلك وقت اشتغاله  
بالتزالي فامتنع ولم يسطع  
البدر فساءه التزالي  
عن سبب امتناعه  
فقال لأنى أبذر هذا  
البدر بقلب حاضر  
ولسان ذاكر أرجو  
البركة فيه لسلك من

ثياب السلحاء فيلبسوا القبول عند القرينين وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عديم كالدعج خوفا من السقوط من أعين اللوك والأغنياء ولو كلفوا لبس الديق والكتان الديق الأبيض والقصب العلم وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لمطم ذلك عليهم خوفا من أن يقول أهل الصلاح قد رغبوا في زى أهل الدنيا وكل طبقة منهم رأى منزلة في زى مخصوص فيقل عليه الانتحال إلى مادونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحا خيفة من اللزمة ، وأما أهل الدنيا فرأاهم بالثياب النفيسة والراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في اللبس والسكن وأثاث البيت وفرة الخيول وبالثياب الصبغة والطبالة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فاتهم يلبسون في يومهم الثياب الخشنة ويشدد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة مالم يأتوا في الزينة .

[ الثالث : الرياء بالقول ] ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحسنة وحفظ الأخبار والآثار لأجل الاستعمال في المحاوراة وإظهارها لتزارة الطرود لاطل عدة العناية بأحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمير بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق وإظهار التعجب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقرأة القرآن ليدل بذلك على الحزن والحزن وادعاء حفظ الحديث وقراءة الشيوخ والفق على من يروى الحديث بيان خلل في قفله يعرف أنه يصير بالأحاديث والبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد إغلام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير وأنواعه لاتحصر . وأما أهل الدنيا فرأاهم بالقول يحفظ الأسماء والأمثال والتفاسيح في العبارات وحفظ النحو الترب لأغراب على أهل القتل وإظهار التودد إلى الناس لاستيابة الثواب .

[ الرابع : الرياء بالعمل ] كإماتة الصلوة بطول القيام ومد الظهور وطول السجود والركوع وإطراق الرأس وترك الانصات وإظهار الهدوء والسكون وتوسيع القمين واليدين وكذلك الصوم والوتر والمج وبالصدة وإطعام الطعام وبالإيثار في الشيء عند اللقاء كلوا الخافون وتنكيس الرأس والوفاء في الكلام حتى إن الرائي قد يسرع في الشيء إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوفاء وإطراق الرأس خوفا من أن ينسبه إلى البخل وقلة الوفاء فإن غاب الرجل عاد إلى محبته فإذا عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون مجدد الخشوع له بل هو لا اطلاع إنسان عليه غنى أن لا يتعد فيه أنه من الباد والصلحاء ومنهم من إذا سمع هذا استحي من أن يخالف مشيته في الخلو مشيته يرى من الناس فيكلف قسه للشيء الحسنة في الخلو حتى إذا رآه الناس لم يشتر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياءه فانه صار في خلوته أيضا مرايا فانه إنما يحسن مشيته في خلوة ليكون كذلك في اللأ لاخوف من الله وحياه منه ، وأما أهل الدنيا فرأاهم بالتبذير والاختيال وتحريك الدين وتزوير الخطأ والأخذ بأطراف الدين والادارة المظنين ليدلوا بذلك على الجاه الحسنة .

[ الخامس : الرأاة بالأصحاب والزرائن والمخالطين ] كالذي يتكلف أن يستزير علما من العلماء ليقال إن فلانا قد زار فلانا أو ما هذا من الباد ليقال إن أهل الدين يشتركون زيارته ويرتدون إليه أو ملكا من اللوك أو ما هذا من عمال السلطان ليقال لهم يشتركون به لمظهر بته في الدين وكالذي يذكر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيئا كثيرا واستفاد منها فيهاى بشيوخه ومباهاته ومرااته تترحم منه عند غناصته فيقول لغيره من قيت من الشيوخ وأنا قد قيت فلانا ودرت إليلا وخدمت الشيوخ وما يعزى جبراه فهذه جماع ما يرائى به الرادون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والترف في قلوب الباد ومنهم من يتبع بحسن الاعتقادات فيه فكأن من راهب أنزوى إلى دبره سنين كثيرة وكأن من جاهد أعزل

يتناول منه شيئا فلا أحب أن أسله إلى هذا فيلزم بلسان غير ذا كرو قلب غير حاضر وكان بعض الفقهاء عند الأكل يشرع في تلاوة سورة من القرآن يحضر الوقت بذلك حتى تتضر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يقرب الطعام مكروه ويضرب مزاج القلب وقد كان شيئا أبو النبي السهروردي يقول أنا أكل وأنا أصل يشير إلى حضور القلب في الطعام وربما كان يوقف من يتبع عنه الشواغل وقت أكله فلا يفرق هـ

إلى قلة جبل مدة مديدة وإنما خيأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولوعرف أنهم نسبوه إلى جرة في ذره أو صومته لتشوش قلبه ولم يتنع بلم الله برباطه ساحة بل يشتد قلبه فحتم يسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمسه من أموالهم ولكنه يجب جرد الجاه بالاعتقاد كاذرناه في أسبابه فاته نوع قدرة وكال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يتقر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال ومن المرأين من لا يتنع بقيام منزله بل ينتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالتأني والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه ومنهم من يريد الانتشار عند اللول لتقبل شفاعة وتجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوفاد وأموال التي لا يفيدها غير ذلك من الحرام وهو لا يشترط طبقات للرأين الذين يرايون بالأسباب التي ذكرناها هذه حقيقة لا يوافقها شيء الرأه. فإن قلت فالرياء حرام ومكر وهوا وميل أو فيه فضيل. فأقول فيه فضيل فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا محرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه وإن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الأفتاء أيضا محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال - إني خفيظ علم سو كان للمال فيقسم نافع ودر نافع فكذلك الجاه وإن كان كثير للمال يلمى ويطنى وفضى ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أهد وفتنة لجاه أعظم من فتنة المال وكأنا لا حول تلك المال الكبير حرام فلا حول أيضا تلك القلوب الكبيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة مالا يجوز. ثم انصرف الملم إلى سعة الجاه مبدأ القنور كاصراف الملم إلى كثرة المال ولا يقدر حب الجاه والمال على ترك ما صلى القلب واللسان وغيره وأوامعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير إغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه فلا جأه أو مع من جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الخلفاء الراشدين ومن يبدى من علماء الدين ولكن انصرف الملم إلى طلب الجاه قصان في الدين ولا يوصف بالتحريم قبل هذا قول حسين الكوثب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مرادة وهو ليس حرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل جميل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوما إلى الصحابة فكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره وقالت أو تفضل ذلك يا رسول الله قال نعم إن الله تعالى يحب من البعد أن يتزين لأخواته إذا خرج إليهم (١) ثم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لأنه كان مأمورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الإيمان وأما بقولهم لو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر لهم عمامان أحواله ولا تزدري أعينهم فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصدا لرسول الله ﷺ ولكن لو قصد ما قصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حراما من فمهم ولومهم واستروا إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمرا باحا إذ للإنسان أن يمتدح من ألم للتمتع بطلب راحة الألسن لا يخون ومهما استقلوا واستقروا لم يلأ ناس بهم فاذن للرائة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون مباحة وقد تكون مباحة وقد تكون مباحة حسب الترض للطلوب بها ولذلك قول الرجل إذا ألقى على جماعة من الأغنياء لاقى مرضى العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مرادة وليس حراما وكذلك أمثاله. أما العبادات فالصدقة

(١) حديث عائشة أراد أن يخرج على أصحابه وكان ينظر في حب اللاء ويسوى عمامته وشعره الحديث ابن عدى في الكامل وقد تقدم في الطهارة.

وقت الأكل ويرى  
لذكر وحضور القلب  
في الأكل إنما كبريا  
لا يسه الإجمال فمن  
الله كرسب الأكل  
التكفيا بها الله تعالى  
من الأمان المنة على  
الأكل فيها الكسرة  
ومنها القاطعة ومنها  
الطاحنة وما جعل الله  
تعالى من الماء الحلو في  
القيم حتى لا يتغير اللقوى  
كما جعل ماء العين مالحا  
لما كان شعما حتى  
لا يفسد وكيف جعل  
الندوة تلتصق من أرجاء  
اللسان والقم ليعين  
ذلك على المضغ والسوق  
وكيف جعل القوة  
الغاشمة مسطرة على

والصلاة والصيام والنفوس والحج فله رأى فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون له قصد إلا الرياء لنفسه دون الأجر وهذا يعطل عبادته لأن الأعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يتصور على إحباط عبادته حتى تقول صار كما كان قبل العبادة بل يسمى بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات. وللخفي فيه أمران أحدهما يتعلق بالعباد وهو التلبس ولكل لأنه خيل إليهم أنه غلب مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك والتلبس في أمر الدنيا حرام أيضا حتى لو توفى دين جماعة وخيل للناس أنه يتبرع عليهم ليمتدوا سخاوتهم ثم به لما فيه من التلبس وتعلق القلوب بالخداع والكر. والثاني يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد عبادة الله تعالى خلق الله فهو على مستوى بالله وذلك قال قتادة إن الرأى البذل لله الملائكة انظروا إليه كيف يستوى في ومثاله أن يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الحمد وإنما وقوفه للملاحظة جارية من جوارى الملك أو غلام من غلمان هذا استواء بالملك إذ لم يقصد التعرّب إلى الملك خدمته بل قصد بذلك عبدا من عبده فأى استحقاق يزيد على أن يقصد البذل بطاعة الله تعالى مرادة عبد ضيف لا يملك له ضرا ولا تمنا وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك البذل أقدر على تحصيل أغراضه من الله وأنه أولى بالتعرب إليه من الله إذ أثره على ملك الملوك فيه مقصود عبادته وأى استواء يزيد على رفع البذل فوق الولي فهذه من كبار اللبسكات ولهذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر <sup>(١)</sup>، نعم بعض درجات الرياء أهدى من بعض كاسياتي يات في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ولا يخفى شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به الرأى أو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لله لكان فيه كفاية فانه وإن لم يقصد التعرّب إلى الله فقد قصد غير الله ولم يرمع عظم غير الله بالسجود والكفر كرا جليا إلا أن الرياء هو الكفر الخفى لأن الرأى عظم في قلبه الناس فالتفت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعلنون بالسجود ومن وجوههما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك لإلانة قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم له فمن هذا كان شركا خفيا لا شر كرا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العبادة علىكون من ضره وقصه ورزقه وأجبه ومصالح حاله وما أنه أكثر مما يملكه الله تعالى فذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يمكنون لأنفسهم شعوا ولا ضرا فكيف يمكنون لتبرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يعزى والدع ولد ولا مولود هو جاز عن والده مشيئا بل يقول الأبناء فيه نفسى نفسى فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتبه بطمه الكلاب في الدنيا من الناس فلا ينبغي أن نشك في أن الرأى بطاعة الله في سحق الفهم حيث القتل والقياس جميعا هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعا في مدته وأوصاله فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما قلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: إنه لا أجر له فيه أصلا.

(بيان درجات الرياء)

اعلم أن بعض أبواب الرياء تعد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات

(١) حديث ميمى الرياء الشرك الأصغر أحمد من حديث محمود بن ليد وقد خدم ورواه الطبراني من رواية محمود بن ليد عن رافع بن خديج فجاء في مسند رافع وتقدم قريبا ولحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس كذا نعت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء الشرك الأصغر.

الطعام نفسه ويجزئه متعلقا بمدحه بالكبد والكبد بمثابة النار وللصحة بمثابة القدر وعلى قدر فساد الكبد تقل الحاجة وضد الطعام ولا يفصل ولا يصل إلى كل عضو نصيبه وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين ويطول شرح ذلك فمن أراد الاعتبار فليطالع قسما من الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى من تماثل الأعضاء وتماثلها وتعلق بعضها ببعض في إصلاح الغذاء واستجداب

فيه وأركانه ثلاثة الرأى به والرأى لأجله ونفس قصد الرياء . الركن الأول : نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجردا دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعة . الأولى : وهي أغفلها : أن لا يكون مراد الثواب أصلا كالأدى صلى بين أظهر الناس ولو اتهمه لكان لا يصلح ليدعى صلى من غير طهارة مع الناس فهذا مجرد قصد إلى الرياء فهو المعقود عند الله تعالى وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من ملزمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أذاعها فهذه الدرجة العليا من الرياء . الثانية : أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضيقا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يسهل ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله ومعاقبه من ضائق قصد ثواب لا يستقل عمله على العمل لا يفي عنه لقت والإيم . الثالثة : أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يسهل على السهل لما اجتمعا انبثت الرغبة أو كان كل واحد منهما حال وانفرد لاستقل عمله على العمل فهذا قد أقصد مثل ما أصلح قرجوان سلم وأمراس لا لاله عليه ويكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنها لا يسلم وقد كتبتنا عليه في كتاب الإخلاص . الرابعة : أن يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالنبي نطقه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يماثل على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا أغنى الأغنياء عن الشرك » فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح . الركن الثاني : للرأى به وهو الطاعات وذلك يقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها . القسم الأول وهو الأغفل الرياء بالأسول وهو على ثلاث درجات : الأولى الرياء بأهل الإيمان وهذا أغفل أبواب الرياء وصاحبه غفل في النار وهو الذي يظهر كفى الشهادة وباطنه مشحون بالكذب ولكنه يرأى بظاهر الإسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع غنى كقوله عز وجل - إذا جاءك للناقون قالوا شهدناك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن الناقين لكاذبون - أي في دلائهم يقولهم على ضائرهم وقال تعالى ومن الناس من يجادل في قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها - الآية وقال تعالى - وإذا تقومكم قالوا آتينا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الفيلز - وقال تعالى - يرمون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبحين بين ذلك - والآيات فيهم كثيرة وكان الاتفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لفرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر خلق من يسئل من الدين بلطفا فيجمع الجبة والنار والدار الآخرة ميلا إلى قول للجنة أو متعدي بساط الفرح والأحكام ميلا إلى أهل الإباحة أو متعدي كفرا أو بدعة وهو يظهر خلافة هؤلاء من الناقين وللابين الخفيين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء أشد حال من الكفار المجاهرين فانهم جموا بين كفر الباطن وشاق الظاهر . الثانية : الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأهل الدين وهذا أيضا عظيم عند الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله أن يكون مال الرجل في بدعيه فيأمره بأخراج الزكاة خوفا من ذمه والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجهما أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة وكذلك صوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولو لا خوف للتمسك لكان لا يحضرها أو يصلح رجما أو يروى الله لا عن رغبة ولكن

القوة منه للأعضاء واتصافه إلى الدم والقتل والابن لثدية للولد من بين فرث ودم لنا خالصا سالما لشارين فبارك الله أحسن الخالقين فافكر في ذلك وقت الطعام وعصر لطيف الحكم والتقدير فيه من الذكر وما ينهب داء الطعام لتغير مزاج القلب أن يدعو في أول الطعام ورسائل الله تعالى أن يحمله عونا على الطاعة ويكون من دعائه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومارزقتنا مما تحب اجعله عونا لنا على

خوفا من الناس أو يتركو أو يحج كذلك فهذا مراد منه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا يعبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لتبره لم يفعل ولكنه يترك البادات للكل وينشط عند طاعة الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق وخوفه من منعة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ورغبته في محبتهم أشد من رغبته في ثواب الله ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالقت وإن كان غير منفصل عن أصل الإيمان من حيث الاعتقاد الثالثة : أن لا يرأى بالإيمان ولا بالقرائن ولكنه يرأى بالتواضع والسنن التي لو تركها لا يصح ولكنه يكسل عنها في الخلوة لتصور رغبته في ثوابها وإيتار لذة الكسل على ما يجرى من الثواب ثم يمتعه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعبادة المريض وإتيان الجنائز وغسل الميت وكالتجسس بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس ، قد يفعل للرأى جملة ذلك خوفا من اللزعة وطلباً للمحبة ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء القرائن فهذا أيضا عظيم ولكنه يكون ماقبله فإن الذي قبله أثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا أيضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله ، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقاباً على تركه لثقة أن لو تركها وكأنه على الشطر من الأول وعقاب نصف عقاب فهذا هو الرياء بأصول البادات . القسم الثاني : الرياء بأوصاف البادات لا بأصولها وهو أيضا على ثلاث درجات : الأولى أن يرأى بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتم التمود بين السجدين ، وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستين بها ربه عز وجل : أي أنه ليس يبالي بإطلاع الله عليه في الخلوة فإذا اطلع عليه أتمى أحسن الصلاة ومن جلس بين يدي إنسان تربيا أو متكئا قد دخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تدبعا للسلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة . وهذا حال الرأى بتحسين الصلاة في اللأ دون الخلوة وكذلك الذي يمتد إخراج الركعة من الله تائير الرديئة وأحسن الحب الردية فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفا من ملسته وكذلك الصائم يصوم صومه عن التوبة والرفق لأجل الخلق لا إكالا لعبادة الصوم خوفا من اللزعة ، فهذا أيضا من الرياء المخطوول لأن فيه تدبعا للمخلوقين على الخالق ولكنه دون الرياء بأصول التطلعات فإن قال للرأى إنما فعلت ذلك صيانة لأستهم عن التوبة فأنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والتوبة وإنما قصدت صياتهم عن هذه للصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان عندك وتليس وليس الأمر كذلك فإن ضررك من حصان صلاتك وهي خدمة منك لولائك أعظم من ضررك بنية غيرك فلو كان باخذك الدين لكان هفتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كن بهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلا وولاية يتلها فيها يدبها إليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان لللك وحده وإذا كان عنده بعض غفائه امتنع خوفا من مدمه غفائه وذلك عمال بل من يراعى جانب غلام لللك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر ، نعم للرأى في حالتان : إحداها أن يطلب بذلك للزعة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا . والثانية : أن يقول ليس يحضرن الإخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خفت كانت صلاتي عند الله ناقصة وأذاني الناس بنهم وغيتهم فاستفيد بتحسين الحية دفع لمنهم ولا أرجو عليه ثوابا فهو خير من أن ترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل اللزعة فهذا فيه أدنى نظر ، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص فان لم يحضره التبة فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع التلم بالمرأة بطاعة الله

مأخوذ وما زويت عنا  
بما تحب اجعله قراة  
لنا فيما عبي .

[ الباب الثالث  
والأربعون في آداب  
الأكمل ]

فمن ذلك أن يتدبر  
بالملح ويحتم به روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال لمن  
رضى الله عنه « يا أي  
أبدا طعامك بالملح  
واختم بالملح فإن للملح  
شفاء من سبعين داء  
منها الجنون والجذام  
والبرص ووجع البطن  
ووجع الأخراس »  
وروت عائشة رضي الله  
عنها قالت وبلغ رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

فإن ذلك استهزاء كما سبق . الدرجة الثانية : أن يرأى يخل مالا قصان في تركه ولكن فضله في حكم التسكعة والتمتع لبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الخيطة ورفع اليدين والبادرة إلى التكبير الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة للعادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت واختيار الأجود على الجيد في الزكاة وإعطاء الرقبة التالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه . الثالثة : أن يرأى زيادات خارجة عن نفس النوافل أيضا كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأول وتوجهه إلى بين الإمام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالى أين وقصودهم بهم بالصلاة فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرأى به وبه أشد من بعض والنكل مذموم . الركن الثالث : للرأى لأجله فإن المرأى مقصودا لاهالة وإعنا يرأى لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لاهالة وله أيضا ثلاث درجات : الأولى وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التحسّن من مصيبة كالذي يرأى مباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولي القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه ثمرته أو الكفاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها أو يوعد الودائع فيأخذها ويعيدها أو تسلّم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيعتزل بعضها أو كلها أو يتوسل بها إلى استتباع الحبيج ويتوسل بقوتهم إلى مقاصد القاسدة في الماصي ، وقد يظهر بعضهم زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإعنا قصده التحجب إلى امرأة أو غلام لأجل العجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرهم الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم بملاحظة النساء والصبيان أو يخرج إلى الحج ويقصده الظفر بمن في الرقعة من امرأة أو غلام وهؤلاء أبغض للرأى إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهما سلمى إلى مصيئته وأخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسخهم وغرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترع جرعة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد ودبة واتهمه الناس بها فيصدق بالمال ليقال إنه يصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره ، وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى . الثانية : أن يكون غرضه نيل حظ مبلغ من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء فيقصده إما امرأة بينيا لينكحها أو امرأة شريفة على الجملة ، وكالذي يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليغرب في تزوجه ابنته فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأول فإن المطلوب بهذا مبلغ في نفسه . الثالثة : أن لا يتصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من أن ينظر إليه بين الناس فينقص ولا يجد من الخاصة والزهاد ويصدق أنه من جملة العامة كالذي يمشى مستجلا فيطلع عليه الناس فيحسّن للشي ويترك العجلة كيلا يقال إنه من أهل اللهو والسهو لأن أهل الوفاء ، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدمائه للزواج فيخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتفضي الصدقاء وإظهار الحزن ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم أنه لو كان في خلوة لما كان يخل عليه ذاك وإنما يخاف أن ينظر إليه بين الاحتقار لا بين التوقير ، كالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتجهّدون أو يصومون الخفيس والاثني أو يصدقون فيواقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان

في إيهامه من رجس  
اليسرى بسفه فقال على  
بذلك الأيض الذي  
يكون في السجين جفتا  
بلع فوضه في كفه  
ثم لقم منه ثلاث لغات  
ثم وضع بقية على  
اللغة فسكنت عنه  
ويستحب الاجتماع  
على الطعام وهو سنة  
الصوفية في الربط  
وغيرها . روى جابر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال « من  
أحب الطعام إلى الله  
تعالى ما كثرت عليه  
الأيدي » وروى أنه  
قال « لا يروى الله  
إننا نأكل ولا نشبع



لا يشمل شيئاً من ذلك وكأني يحس يوم عرفة أو عشوراء أو في الأشهر الحرم فلا شرب خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجله أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأني صائم ولكن يقول لي عذر وهو جمع بين خيبتين فإنه يرى أنه صائم ثم يرى أنه محض ليس بمراءٍ وأنه يمتزج من أن يذكر عبادة الناس فيكون مرائياً فيبدأن يقال إنه سائر لعبادته ثم إن انصرف إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر نفسه فيه عند انصرافها وعرضاً بأن يتصل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم أو يقول أظفرت تطليماً لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشيء به كي لا يظن به أنه يتصل براء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره فيمرض حكاية عرضاً مثل أن يقول إن فلانا يحب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد أعلم على اليوم ولم أجد بداً من تطيب قلبه ومثل أن يقول إن أي ضيقة القلب محقة على ظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعى أصوم فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرؤس عرق الرياء في الباطن أما الخلفاء فإنه لا يبالي كيف نظر الحلق إلىه فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يتخذ غيره ما يخالف علم الله فيكون مليساً وإن كان له رغبة في الصوم لم تنفع يعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره وقد يحظر له أن في إظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفي مكيدة وغرور وسبأ في شرح ذلك وشروطه فيتمردت الرياء، راتب أصناف للرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهو من أشد للهلاكات وإن من شدته أن فيه شرابيه أخفى من ديب القتل كما ورد به الخبر يزل فيه حلول الطماء فضلاً عن العباد الجاهل بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

(بيان الرياء الحفي الذي هو أخفى من ديب القتل)

اعلم أن الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يمتدح على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو أجلاد وأخفى منه قليلاً هو مالا يحمل على العمل بمجرد إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله كاتى بتاد التجهد كل ليفة ويقتل عليه فإذا نزل عنه ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لو لا رجاء الثواب لكان لا يصل لمجرد رياء الضيفان وأخفى من ذلك مالا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في العمل إلى البقاء إلى العلامات وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته قرب عبد يخلص في عمله ولا يتخذ الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وانرتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرضح السرور ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكناً في القلب مستكناً النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور ثم إذا استمر رقة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيسر ذلك قوتا وغذاء لفرق الحفي من الرياء حتى يشرك على نفسه حركة خفية فيقتاضى لها خافياً حتى أن تكلف سبياً يطلع عليه بالترخيص وإلقاء الكلام عرضاً وإن كان لا يدعو إلى التصريح وقد يخفى فلا يدعو إلى الاظهار بالنطق تعريضاً وتصريحاً ولكن بالقبائل كما يظهر النحول والصفار وخفى الصوت وليس الشفتين وبجفاف الريق وآثار السموم وغلبة الحاس المال على طول التهجيد وأخفى من ذلك أن يخفى بحث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحياناً يمدوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن ينشأوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حاجته وأن يساعوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في للكان فإن قصر فيه مقصر مثل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كأنه يقتاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه ولو

قال لسبحم مخترقون  
على طعابكم اجتمعوا  
واذكروا اسم الله عليه  
يشارك لكم فيه ومن  
عادة الصوفية الأكل  
على السفر وهو سنة  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم. أخبرنا  
الشيخ أبو زرعة  
عن القومى بسنده  
إلى ابن ماجه الحافظ  
القزويني. قال أنا محمد  
ابن الحسن قال ثنا معاذ  
ابن هشام قال ثنا أبي  
عن يونس بن القرات  
عن قتادة عن أنس  
ابن مالك قال ما أكل  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم على خوان  
ولا في سكرجة قال

لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تحصيل الناس في حقّه ومهما لم يكن وجود العبادة كمنهيا في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد تنع بلم الله ولم يكن خالعا عن شوب خفى من الرياء أخفى من ديب الخلق (١) وكل ذلك يوشك أن يحيط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون. وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: إن الله عز وجل يقول لقراء يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السر أم تكونوا تتبدؤون بالسلام ألم تكونوا تفضي لكم الحوائج وفي الحديث: لا أجر لكم قد استوفيت أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه أنه قال: إن رجلا من السواح قال لأصحابه إنا إنما نأرقنا الأموال والأولاد عنانة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم إن أحدنا إذا لقي أحب أن يظلم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تفضي له لمكان دينه وإن اشتري شيئا أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في مركب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح لهما هذا هذا لك قد أشاك فقال لهما لئلا نطعم فأما يمل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو هذه ويأكل أكل خيفا فقال لك أين صاحبك؟ فقالوا هذا قال كيف أنت قال كئاس، وفي حديث آخر غيره قال لك ما عند هذا من خير فأصرف عنه فقال السائح الحمد لله أبقى صرفك عنى وأنت لى ذام فلم يزل المحصلون خائفين من الرياء الخفى يجتهدون ذلك في عيادة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرسون على إختافها أعظم مما يحرس الناس على إختاف فواحشهم كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بآخلاصهم على ملا من الخلق إذ علوا أن الله لا يقبل في القيامة إلا الخالص وطعوا شدة حاجتهم وفاقهم في القيامة وأنه يوم لا ينفع فيه مال ولا بون ولا يجزى والله عن ولده ويستل الصديقون بأنفسهم يقول كل واحد قسى نفس فعلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فاهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب الثوب الخالص لهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والتبهرج والحاجة تقتد في البادية ولا وطن يخرع إليه ولا حميم يتسك به فلا ينحى إلا الخالص من التقديف كذا شاهد أرباب الثوب يوم القيامة وأزادنى برؤوده له من التقوى فإذن هوائب الرياء الخفى كثيرة لا تحصر ومهما أدرك من نفسه فرة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو برهة فقيه عمية من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم إلى مال حفره البهائم أو الصبيان الرضع أم قابوا، الملموا على حركته أم لم يملوا فلو كان غلصا فاما بلم الله لا تستقر عقلاء العباد كما استقر صبياتهم ومجانيتهم وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة أبواب وقصان عقاب كالا يقدرون على البهائم والصبيان والمجانين فإذا لم يجد ذلك فيعقوب خفى ولكن ليس كل هوب يحيط للأجر مقسدا للعل بل فيه تغيل. فان قلت فما ترى أهدى منك عن السرور إذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله أو بسنه محمود وبسنة مذموم. فتقول أولا: كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم، فأما محمود فأربعة أقسام: الأول أن يكون قصده إختفاء الطاعة والأخلاص له ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلهم وأظهر الجليل من أحواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظرة إليه وإلطائه به فانه يستر الطاعة وللصية ثم الله يستر عليه للصية ويظهر الطاعة ولا تطف أعظم من ستر التبصيح وإظهار الجليل ليكون فرحه بمجمل نظره لله لا بمجد الناس

فلام كانوا يأكلون؟  
قال على السفر وصغر  
القصة ويهود الأكل  
بالمنع وينظر بين  
يديه ولا يطلع وجوه  
الأكليين وقد على  
رجله اليسرى ونصب  
اليمنى ويجلس جلسة  
التواضع غير متكبر  
ولا تميز في رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
أن يأكل الرجل  
متكبرا وروى أنه  
أهدى لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
شاة فجاء رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
على ركبتيه يأكل  
فقال أصحابي ما هذه  
الجلسة يا رسول الله؟

(١) حديث في الرياء هوائب أخفى من ديب الخلق أحمد والطبراني من حديث أنعموس الأشعري  
أقوا هذا الشرك فانه أخفى من ديب الخلق ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق  
وضحه هو والله اعلم.

وقيام التزلة في قلوبهم وقد قال تعالى - دل بفضل الله وبرحمته فبذلك دليفر حواسفكاً يظهر له أنه عند الله مقبول قرح به . الثاني أن يستدل بظاهر الله الجليل وسره التبع عليه في الدنيا أنه كذلك يصل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ «ماستر الله على عبد ذنباً في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة (١)» فيكون الأول فرحاً بالقول في الحال من غير ملاحظة للمستقبل وهذا الثبات إلى المستقبل. الثالث أن يظن رغبة اللطمين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العالين بما أظهر آخره وأجر السر بما قصده أولاً ومن اتقى به في طاعة الله مثل أجر أعمال القندين بمن غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور فإن ظهور غايل الرعب قد وموجب للسرور لهالة . الرابع أن يحمد اللطمين على طاعته فيخرج بطاعتهم لله في مدحهم وعيهم بالمطيع ويعيل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمته وعنده أوديه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمد عليه فهذا فرح بمن إيمان عباد الله وعلامة الاخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه محمداً غير مثل فرحه بمحمد ﷺ . وأما للذموم وهو الخامس فهو أن يكون فرحه بقيام منزلة في قلوب الناس حتى يمدحوه ويمظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالأكرام في مصادره وموارده فهذا مكرهه والله تعالى أعلم .

( بيان ما يحيط العمل من الرياء والحي والجل وما يحيط )

فتقول فيه : إذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ثم ورد عليه ولورد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه به - فراغه من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يسد العمل إذ العمل قد تم في نعت الاخلاص سالماً عن الرياء فأبطل به فيرجو أن لا يعطف عليه لأنه لا سبب إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يمتن إظهاره وذكره ولكن اتفق ظهوره بظاهره فهو لم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه ، نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير اعتدائه ولكن ظهرت له به رغبة في الاظهار تحدث به وأظهره فهذا يخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه يحيط قد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول قرأت البقرة فقال ذلك حظه من أوروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل قاله صمت الدهر بأمر رسول الله فقال له «ما صمت ولا أنطرت (٢)» فقال بعضهم إنما قال ذلك لأنه أظهره وقبله وإشارة إلى كراهة صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالاً على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يزيد أن يكون ما يطرأ بعد العمل بمثل الثواب العمل بل الأقيس أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مرأاته بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تميز عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فإن ذلك قد يطل الصلاة ويحيط العمل وأما إذا ورد واد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في أثناءها واد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثاً على العمل فإن كان باعثاً على العمل وحتم العبادة به حبط أجره ، ومثاله أن يكون في تطوع فتجسدت له نظارة

(١) حديث ماستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث قال لرجل قال صمت الدهر ، ما صمت ولا أنطرت . مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف عن صوم الدهر قال لاصام ولا أنطرت وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه قال رجل إن صائم قال يمين التوم إنه لا يخطر إته بصوم كل يوم قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصام ولا أنطرت من صام الأب يد لم أجده بلفظ الخطاب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلقني عبداً ولم يخلقني جباراً عبداً . ولا يتشدد بالعلم حتى يبدأ للعلم أو الشيخ روى حذيفة قال «كا إذا حضر تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمأنا لم يتع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باليمين» روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يأكل أحدكم يمينه ولا يشرب يمينه ولا يأخذ يمينه ولا يمسك يمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرّب

أوحضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أويذ كرشيئا نسيه من ما له وهو يريد أن يطلبه ولو لا الناس لقطع الصلاة فاستمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الاطاعة إن كان في فرصة وقد قال **ع** «العمل كالقوام إذ طاب آخره طاب أوله» (١) أي النظر إلى خاتمته، وروى «وأنهم رآى بسمه ساعة حبط عمله الذي كان قبله» (٢) وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لاطي الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد فأيضا بالحق دون اللامضى والصوم والحج من قبل الصلوات أما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمتنع من قصد الاتمام لأجل الثواب وكانوا لا حضورهم لكان يشمها أيضا فهذا محذور ومعهقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرم وكانوا لا حضورهم لكان يشمها أيضا فهذا رياء قدأثر في العمل وانتهى باعتنا على الحركات فإن غلب حق اتبعق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مقمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأننا نكتفى بالنية السابعة عند الاحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يثلبها ويضرها أو يحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة القصد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وإن شغف بهجوم قصد هو أغلب منه . وقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الاجباط في أمره أو هو من هذا وقال إذا لم يرد إلا مجرد السرور بطعام الناس متى سرورهم أو كسب التزلف والمبالغة قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه تنقض الزم الأول وركن إلى حمد الخالقين ولم يتم عمله بالاخلاص وإحسان العمل بخاتمته ثم قال ولا تقطع عليه بالحبط وإن لم يتزبد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أتقفيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال فإن قيل فقال الحسن رحمه الله تعالى : إجماعا حائنا فإذا كانت الأولى لله لم تنقض الثانية . وقد روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أمر العمل لأحب أن يطلع عليه فيقطع عليه فيسرقني قال ذلك أجزان أجر الراس وأجر العالنية» (٣) ثم حكى على الجبر والأثر فقال أما الحسن فانه أراد بقوله لا يضر ما لا يدع العمل ولا تنقض الحظيرة وهو يريد الله ولم يقل إذا قصد الرياء جسد عقدا لا خلاص لم يضره وأما الحديث فنحكم عليه بسلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه : أحدها أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ . الثاني : أنه أراد إن يسره للاقتداء به أو لسرور آخر محمودا ذكرناه قبل لاسرورا بسبب حب المصداقة والتزلف بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذهب من الأمة إلى أن السرور بالمصداقة أجرا وفايته أن يضي عنه فكيف يكون له خلص أجرا والرأى أجرا . والثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث برويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالصوموات الواردة في الرياء أولى هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهره إلى الاجباط والأقضى عندنا أن هذا التقدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادرا عن باعث الدين وإيمانا انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك

بجاهه ويأخذ بجاهه  
وسمى بجاهه « وإن  
كان لما أكل نحر أو  
ماله همه لا يجمع من  
ذلك ما يرى ولا يؤكل  
على الطبق ولا في كفه  
بل يضع ذلك على  
ظهر كفه من فيه  
ويرميه ولا يأكل من  
ذروة التريد . روى  
عبد الله بن عباس  
من النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال «إذا  
وضع الطعام فخذوا من  
حاشيته وخذوا وسطه  
فإن البركة تنزل في  
وسطه ولا ييب الطعام  
روى أبو هريرة رضي الله  
عنه قال ما عاب رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

أية بائعة على العمل وحاملة على الاتعام ، وأما الأخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساويا لقصد التوابع وأغلبه منه أما إذا كان ضيقا بالاضافة إليه فلا يحيط بالكيفية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن يغفل الصلاة ولا يمد أيضا أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله الخالص لا يشوبه بشيء فلا يكون مؤديا لواجب مع هذا الشوب والمعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما وفي مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل القرائن أو بعد القرائن . القسم الثالث : الذي يقارن حال التقدي بأن يتبدى الصلاة على قصد الرياء فإن استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يحصى ولا يتعد صلاته وإن ندب عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل القيام فقيامه ثلاثة أوجه قالت فرقة لم تتعد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف وقالت فرقة بتكمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وقصد أفعاله دون تحرره الصلاة لأن التحريم بقصد الرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والتطير إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداء باخلاص وختم بالرياء لكان بقصد عمله وشبهوا ذلك بشوب أبيض لطع بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل فقالوا إن الصلاة الركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن اقرن به عارض الرياء ثم زال عنه الوتيرة وصار إلى حالة لا يلى محمد الناس وذهب فصاح صلاته ومنهذب القريقين الآخرين خارج عن قياس التقه جلد اخصو سامن قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالا زائدة في الصلاة قصد الصلاة كذلك قول من يقول لو ختم باخلاص صح نظرا إلى الآخر فهو أيضا منيف لأن الرياء يفسد في التية وأولى الأوقات بمرأاة أحكام التية حال الافتتاح فالتية يستقيم على قياس التقه هو أن يقال إن كان بائعه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتنال الأمر لم يقصد الافتتاح ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا أيضا كان يصلى لأجل الناس فهذه صلاة لانية فيها إذا التية عبارة عن إجابة داعي الدين وههنا لا بائع ولا إجابة فأما إذا كان بحيث لو لا الناس أيضا لكان يصلى إلا أنه ظهر له الرغبة في الحمد أيضا فاجتمع الباطن فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل ومحرر أو في عقد صلاته صحيح فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة داعي الرياء وأطاع بإجابة داعي الثوابين فمن حمل مثالا فذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - فله ثواب بقدر قصده الصالح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحيط أحدهما الآخر وإن كان في صلاة تقبل الفساد ينطرق خلل إلى التية فلا غلو إيمان تكون فرضا أو خلا فان كانت خلا لحكمها أيضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباطن ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والافتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح عشرين من قرائن حاله أن قصده الرياء باظنر حسن القراءة ولو لا اجتماع الناس خلقه خلقا يبت وحدهما صل لا يصح الافتداء به فان الصبر إلى هنا يمد جدا بل يظن بالمسلم أنه قصد الثواب أيضا بطوعه فتصم باعتبار ذلك قصد صلاته وصح الافتداء به وإن اقرن به قصد آخر وهو يخص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباطن وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الأنيات بجموعهما فهذا لا يسقط الواجب لأن الإيجاب لا يتبعض بائعا حتى مجرد واستفادته وإن كان كل بائع مستقلا حتى ولو لم يكن بائعا الرياء لأدى القرائن ولو لم يكن بائعا القرائن لأنشأ صلاة تطوعا لأجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الحلى ويحتمل أن يقال الواجب امتثال

طامعا قط إن اشتباه  
أكله وإلا تركه وإذا  
سقطت القصة بأكلها  
قد روى أنس بن  
مالك رضى الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال « إذا  
سقطت لقمة أحدكم  
فليطعم بها الأدنى  
ولياكلها ولا يبيعها  
لشيطان ويعلق  
أصابعه » قد روى جابر  
عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال « إذا  
أكل أحدكم الطعام  
فليجنب أصابعه فإنه  
لا يدري في أي طعامه  
تكون البركة » وهكذا  
أمر عليه السلام  
بإسالات القصة وهو

الأمس ياعت مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط القرض عنه كما لو صلى في دار منصوبة فانه وإن كان حاصيا بإتباع الصلاة في الدار للتصوية فانه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للقرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة أما إذا كان الرياء في الجادة مثلا دون أصل الصلاة مثل من يبادر إلى الصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخرى في وسط الوقت ولولا القرض لكان لا يستدعي صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بمسحلاته وسقوط القرض به لأن باع أصل الصلاة من حيث إنها صلاة لم يارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن التدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه وأما مجرد السرور بإطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أمره إلى حيث يؤثر في العمل فبعد أن يفسد الصلاة فهذا مأرله لا تماخون الفقه وللأسف غاشية من حيث إن التقواه لا يترشوا لها في فن الفقه والدين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى تناوى التقواه في صحة الصلاة وفسادها بل حمله الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على إفساد المبادات بأن الخواطر وما ذكرناه هو الأصعب فيها تراه والمحمد الله عز وجل فيه وهو عالم السبب والتهادة وهو الرحمن الرحيم .

( بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه )

قد عرفت مما سبق أن الرياء عيب للأعمال وسبب لعمت عند الله تعالى وأنه من كبائر المهلكات وما هذا ومنه تجدير بالتشهير عن ساق الجدي في إزائته ولو بالمجاهدة وتحمل الشاق فلا عفاء إلا في شرب الأدوية للبركة وهذه مجاهدة يضطر إليها المباد كلهم إذا نصي خلق ضعيف العقل والتجيز عند العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيقبل عليه حب التسنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه وإعما يشعر بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انقضى الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قومه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا يفتك أحد من الحاجة إلى هذه المجاهدة ولكنها تنشق أولا وتخف آخرها وفي علاجه مقامان : أحدهما قلع عروقه وأصوله التي منها انتصاه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال . للقام الأول : في قلع عروقه واستئصال أصوله وأصله حب التزقة والمجاهة وإذا فضل رجح إلى ثلاثة أصول وهي : لغة الحمدنة والقران من ألم والطمع فيها في أيدي الناس وشهد الرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى « أن أعرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية (١) ومعناه أنه يأبى أن يهزم أو يلم بأنه متهمور بغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لغة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل لذلك وهذا هو الحمد باللسان قال صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود إذا اتقى السفان نزلت للملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل لذلك وفلان يقاتل للملك والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا . وقال عمر رضي الله عنه يقولون فلان شهيد ولكنه يكون قد ملاء دفتي راحلته ورفا وقال صلى الله عليه وسلم « من غزا لا ينهي إلا قتالا فهو مائى (٢) » فهذا إشارة إلى الطمع وقد لا ينهى الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحد من ألم المكالمة بين الاستغناء وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يخطئ وهو ليس يطمع في الحمد وقد سببه غيره وكاليان بين التبعان لا يفر من الخوف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أبى

مسحها من الطعام قال أنس رضي الله عنه أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلط القصعة ولا ينفخ في الطعام قد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنفخ في الطعام يذهب البركة وروى عبد الله بن عباس أنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا في شراب ولا يتنفس في الإناء فليس من الأدب ذلك والحل والبذل على السفر من السنة قيل إن للملائكة تحضر للثامنة إذا كان

(١) حديث أبي موسى أن أعرايا قال يارسول الله الرجل يقاتل حمية الحديث متفق عليه .

(٢) حديث من غزا لا ينهي إلا قتالا فهو مائى النسائي وقد فهم .

من الحمد كره الدم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات ممدودة حتى لا ينم بالكسل وهو لا يطعم في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن قلة الحمد ولا يقدر على الصبر على الكم وقد كان قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن ينسبها لجهل ورفق بغير علم ويدعى العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذر من التمس فيه الأمور الثلاثة هي التي تحرك للرأي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجفّة ولكننا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس غنى أن الانسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع وقد يدب إما في الحال وإما في الآخرة فإن علم أنه قد يدب في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن السبل لا ينل ولكن إذا بان له أن فيها أعرش عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من الضرّة ومهما عرف البعد مضرّة الرياء وما يغوّه من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من التلذّذ عند الله وما يترشّد له من القباب العظيم والوقت الشديد والحزى الظاهر حيث ينادى على ردوس الخلائق يا ظفر يا فؤاد يا صرّاني أما استحييت إذا تهرت بطاعة الله عرض الدنيا وارتقت قلوب البعاد واستترأت بطاعة الله وتجهبت إلى البعاد بالتبضع إلى الله وترتفت لهم بالشين عند الله وتحرّيت إليهم بالبعد من الله ومحمدت إليهم بالنعم عند الله وطلبت رضاهم بالترشّد لسلط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فهمما تشكر البعد في هذا الحزى وقابل ما حصل له من البعاد التزّين لهم في الدنيا بما يغوّه في الآخرة وما يحبط عليه من ثواب الاعمال مع أن الصلح الواحد ربما كان يرجع به ميزان حسنة لو غلب فافاد قد الرّياء حول إلى كفة السيئات فترجع به ويهوى إلى النار فلا يمكن في الرّياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسنة راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة عاقبة الرّبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حطّاهم بسبب الرّياء ورد إلى صفّ اتصال من مراتب الأولياء هذا مع ما ترشّد له في الدنيا من نشأت العلم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإشادتهم لأجل حمدهم ولا يزيد مدحهم رزقاً ولا جلاً ولا ينفعهم يوم قهره وفاته وهو يوم القيامة وأما الطمع فبأن يعلم أن الله تعالى هو السخر للذنوب بالتمتع والاعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والحاجة وإن وصل إلى المراد لم يخل من لثة والهوان فكيف يترك ما عند الله براءه كاذب ووم قد قد يسبب وقد يغفل وإذا أصاب فلا تقي لذته بألم مته ومثله وأما ذمهم فلم يغفر منه ولا يزيد مدحهم شيئاً ما لم يكتبه عليه الله ولا يجعل أجه ولا يؤخر رزقه ولا يجهل من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يرضيه إلى الله إن كان عبوداً عند الله ولا يزيد مقتاً إن كان مخموراً عند الله فالجاء كلهم حمزة لا يمكن أن تكون لهم ضراً ولا نقماً ولا يمكن أن يكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضربها قهرت رغبته وأقبل على الله قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكره ضرره ويقبل منه ويكتفي أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرّياء وإظهار الاخلاص لقتوه وسكف الله عن سرّه حتى يرضيه إلى الناس ويمرهم أنه مرء ومخوف عند الله ولو أخلص لله لسكف الله لهم إخلاصه وجبه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالتمتع والتناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم وإن مدحى زين وإن ذمى عتب قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليها بقلعوت أم سعد  
رضى الله عنها قالت  
ودخل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على عائشة  
رضى الله عنها وأنا  
عندها فقال هل من  
غداة ؟ قالت حدثنا  
خير وجر دخل فقال  
عليه السلام: نعم الا دام  
الحل اللهم بارك في الحل  
فانه كان إدام الأنبياء  
قبل ولم يفر بيت فيه  
خل ولا يصمت على  
الطعام فهو من سيرة  
الأنبياء ولا يقطع  
العم والحز بالسكين  
فصديهي ولا يكتب به  
عن الطعام حتى يفرغ  
الجمع فقد ورد عن ابن  
عمر رضي الله عنهما





خال عن شهوة الجسد أو خوف القوم وهو كالتى يحدث نفسه بالحلم وذم التضييع ويحزم على التحمل عند جريان سبب التضييع ثم يجرى من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى ساقية عزمه ويغفل قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة التضييع ويغفل قلبه عنه فكذلك حلالة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مبرارة التضييع وإليه أشار جابر بقوله : ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر ولم نبأه على الموت فأنيهاها يوم حنين (١) حتى نودي يا أصحاب الشجرة فرجعوا . وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت للعهد السابق حتى ذكروا . وأكثر الشهوات التي تهجم بغاة هكذا تكون ، إذ تنسى معرفة مضرته الماخقة في عقد الإيمان ومهما نسى للمعرفة تظهر الكراهة فان الكراهة عمرة للمعرفة ، وقد يتذكر الانسان فيعلم أن الخاطر الذى خطر له هو خاطر الرياء الذى يمرضه لسلط الله ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عنه ولا يقدر على تركه لئلا الحال فيسوف بالتوبة أو يتشاكل عن التفكير في ذلك لشدة الشهوة فكأن من عالم بمضرته كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الحائق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فكأن الحبة عليه أو كد إذ قبل داعى الرياء مع علمه بجائزته وكونه مذموما عند الله ولا تنفص معرفته إذا خلعت للمعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعى الرياء ويصل بالكون الكراهة ضعيفة بالاضافة إلى قوة الشهوة وهذا أيضا لا يتضح بكرهته إذ الفرض من الكراهة أن تصرف عن العمل فاذن لا فائدة إلا في اجتناب الثلاث وهى للمعرفة والكراهة والإدلاء عمرة الكراهة والكراهة عمرة للمعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم وضبط للمعرفة بحسب العفة وحيا والدينا ولسان الآخرة وقلة التشكر فما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك يتنجس بضأ ويشمره وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنع كل ذنب لأن حلالة حب الجاه والزرعة ونعيم الدنيا هى التي تضرب القلب وتسلمه وتحول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستعداد بنور الكتاب والسنة وآثار العلوم . فان قلت فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملت الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجهه له ومنازعة إياه إلا أنه كاره له ولله إليه وغير عيب إليه فهل يكون في زمة للرأين ، فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا يترفع إليها وإعنا فاته أن يقابل شهوته بكراهة استأراها من معرفة السوابق وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر فاذن فعل ذلك فهو الفدية في أداء ما كلف به ويدل على ذلك من الأخبار ما روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « شكوا إليه وقالوا تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخططنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحق أحب إلينا من أن نسلك بها ضال عليه السلام أو قد وجدته وتوالتوا ثم قال ذلك صريح الإيمان (٢) » ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد صريح الإيمان الوسوسة فلم يبق إلا السمع على الكراهة للساوقة للوسوسة والرياء وإن كان عظيما فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذن اندفع ضرر الأعمام بالكراهة فإن

(١) حديث جابر ياينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على أن لا تفر لم نبأه على الموت فأنيناها يوم حنين (٢) حديث شكوى الصحابة ما يمرض في قلوبهم وقوله ذلك صريح الإيمان ، مسلم من حديث ابن مسعود عنهما مثل التي صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة قال ذلك بعض الإيمان ، والنسائي في اليوم واليلة وابن حبان في صحيحه ورواه النسائي فيه من حديث عائشة .

أن لا يأكل إلا بعد  
الجموع وعسك عن  
الطعام قبل الشبع فقد  
روى عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« ماملا آدمى وما شرا  
من بطنه » ومن عادة  
الصوفية أن يقيم الخادم  
لذا لم يجلس مع القوم  
وهو سنة روى  
أبو هريرة رضى الله  
عنه قال قال أبو القاسم  
صلى الله عليه وسلم  
« إذا جاء أحدكم خادما  
بطعام فإن لم يجلسه  
معه فليأكله أكلة أو  
أكلتين فإنه أولى حرمه  
ودخانه » وإذ فرغ من  
الطعام يحمده الله تعالى  
روى أبو مسعود

يندفع بها ضرر الأسر أولى وكذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس أنه قال  
 « الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة (١) » وقال أبو حازم ما كان من خشك وكرهته خشك  
 لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من خشك فرضيت خشك لنفسك فأتها عليه فاذن  
 وسوسة الشيطان ومناورة النفس لا يشارك فيها رددت مرادها بالإباء والخشاة والحوار التى هى  
 المعلوم والتدكرات والتخيلات للأبواب للهبجة ليرامى من الشيطان والى غيول إلى بذلك الحواطر  
 من النفس والكرامة من الإيمان ومن آثار العقل إلا أن الشيطان هنا مكيدة وهى أنه إذا عجز عن  
 حمله على قبول الرأى خيل إليه أن صلاح قلبه في الاعتزال بمجادة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال  
 حتى يبله ثواب الاخلاص وحضور القلب لأن الاعتزال بمجادة الشيطان ومدافعة انصراف عن سر  
 النتائج مع الله فيوجب ذلك هوانا في منزلته عند الله . ولتخلصون عن الرأى في دفع حواطر الرأى  
 على أربع مراتب : الأولى أن يرده على الشيطان فيكذب ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادته وبطيل  
 الجدال معه لئله أن ذلك أسلم قلبه وهو على التحقيق هوانا لأنه اختل عن مناجاة الله وعن الخير  
 الذى هو صده وانصرف إلى قتال قطع الطريق والتبرج على قتال قطع الطريق هوانا في السلوك  
 الثانية : أن يرف أن الجدال والقتال هوانا في السلوك فيقتصر على بكديه ومذمولا يشتغل بمجادته .  
 الثالثة : أن لا يشتغل بكديه أيضا لأن ذلك وقوفون قلت بل يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرأى  
 وكذب الشيطان فيستر على ما كان عليه مستحبا للكرامة غير مشغل بالتكذيب ولا بالخاصة .  
 الرابعة : أن يكون قد علم أن الشيطان سيحده عند مجرأ أسباب الرأى فيكون قد عزم على أنه سبب الخزع  
 الشيطان زاد فإى هو فيه من الاخلاص والاعتزال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيلا للشيطان وذلك  
 هو الذى يفتش الشيطان ويقتله ويوجب يأمره وقوله حتى لا يرجع . روى عن الفضل بن غزوان  
 أنه قيل له إن فلانا يدكرك فقال والله لأغيظن من أمره قيل ومن أمره ؟ قال الشيطان اللهم اغفر له  
 أى لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كلف منه خيفة من  
 أن يزيد في حسنته . وقال إبراهيم التيمي إن الشيطان يدعو البعد إلى الباب من الاسم فلا يطمع  
 وليحدث عند ذلك خيرا فإذا ركع كذلك تركه . وقال أيضا إذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك وإذا  
 رآك مدبورا ملك وقلاك . وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لفه الأربعة مثلا أحسن فيه فقال :  
 مثلهم كثرية قدسوا مجلسا من العلم والحديث ينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورعدا لحسد على  
 ذلك ضال مبتدع وخاف أن يرفوا الحق فقدم إلى واحد منهم وصرفه عن ذلك ودعا إلى مجلس  
 ضلال فأبى فلما عرف إياه ضل به بالمجادة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة وهو غرض  
 النزال ليؤتى عليه بقدر تأخره فقامر الثانى عليه نهاء واستوقفه فوقف فدفع في حجر الضال ولم يشتغل  
 بالقتال واستجبل ففرح منه الضال بقدر توقفه لدفع فيه ومن به الثالث فلم يلتفت إلى يوم لم يشتغل بدفعه  
 ولا بقتاله بل استمر على ما كان غلب منه رجاءه بالسكينة للرابع فلم يتوقفه وأرد أن يشغله فزاد  
 مجته وترك الثانى في لثى فيوشك إن دادوا ومروا عليه مرفأخرى أن يبادوا للجميع إلا هذا الأخير فانه  
 لا يبادوه خيفة من أن يزداد فائدة باستجباله . فان قلت فإذا كان الشيطان لا تؤمن زفاته فهل يجب  
 التردد له قيل حشوره للحرر منه انتظارا لوروده أم يجب التوكل على الله ليكون هو النافع له وأوجب  
 الاعتزال بالعبادة والنفقة عنه . قلنا اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه : فنبت فرقة من أهل البصرة  
 (١) حديث ابن عباس الحمد لله الذى رد كيد الشيطان إلى الوسوسة أبو داود والتسائي في اليوم  
 واليلة يحق كيد .

قال وكان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم إذا  
 أكل طعاما قال الحمد  
 لله الذى أطعمنا وسقانا  
 وجعلنا مسلمين « وروى  
 عن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال  
 « من أكل طعاما  
 فقال : الحمد لله الذى  
 أطعمنى هذا ورزقته  
 من غير حول منى  
 ولا قوة غفر له ما تقدم  
 من ذنبه » ويختل قد  
 روى عن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « تخللوا فانه نفاقة  
 والتفافة تدعو إلى  
 الإيمان والإيمان مع  
 صاحبه في الجنة »  
 ويشل يديه قد روى

إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انشطوا إلى الله واشتغلوا به فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخس عنهم كما أيس من صفاء الباطل الدعوة إلى الحق وإن ناسا رتبوا لاداء الدنيا عندهم وإن كانت مباحة كالخمر والخزير فارتحلوا من حيا بالكيفية التي يقبض عليها الشيطان إليهم سبيل للاحاجة بهم إلى الحذر . وذهبت فرقة من أهل الشام إلى أن التردد للحذر منه إنما يحتاج إليمن قل يقينه وقصن توكله فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل عاقول ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراحه الله فهو الضار والنافع والمعارف يستحي منه أن يحذر غيره فالتين بالوحدانية يتخيه عن الحذر وقالت فرقة من أهل العلم لابد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وحثت قلوبهم عن حب الدنيا بالكيفية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غرورا إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان وزفاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله تعالى وأسمائه وفي تحسين البيع والضلال وغير ذلك ولا ينجو أحد من الخطر فيه وذلك قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكي الله آياته - وقال النبي ﷺ «إنه ليغان على قلبي» مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير (١) فمن ظن أن اشتغاله بعبادة الله أكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان وذلك لم يسلم منه آدم وحواء إلى ما قاله في دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لها - إن هذا مدوكك وزوجك فلا يغرنكما من الجنة فتشقى إنك أن لا تجوع فيها ولا تملأين وأنت لا تملأين - ومع أنه لم يمتنع من شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز غيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع الهن والفتن ومدن اللذات الشهوات التي عنها قال موسى عليه السلام فيها أئتمرنه تعالى هذا من عمل الشيطان وقلبك حذر الله منه جميع الحق قال تعالى - يا أي آدم لا يفتنك الشيطان كما أخرج أبوك من الجنة - وقال عز وجل - إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم - والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدع المؤمن له وأخذ الحذر من حيث أمر الله بالانغال حب الله فان من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما أمر بالحذر من الكفار قال تعالى - ولأخذوا حذرهم وأسلمتهم وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - فمك بأمر الله الحذر من العدو الكافر وأنت تراه فإن يفرمك الحذر من عدو براك ولاتراه أولى ولذلك قال ابن حجر - سيد تراه ولا يراك يوشك أن تغفر بهوصد يراك ولاتراه يوشك أن يغفر بك فأشار إلى الشيطان فكيف وليس في الثقة عن عدواة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إجمال الحذر من الشيطان التعرض للعار والمقرب الأليم فليس من الاشتغال به الإعراض عما حذر الله وبه يضل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قد دس في التوكل فإن أخذوا الترس والسلاح وجع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوفه الله بهو الحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما بين غلط من زعم أن معنى التوكل التزوع عن الأسباب بالكيفية وقوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - لا يتناقض امتثال التوكل مع اعتقاد القلب أن النار والنافع والمهي وللبيت هو الله تعالى فكذلك يحذر الشيطان ويصدق أن المعادي والضلل هو الله ويرى الأسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه

أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من بات وفي يده حجر لم يسل فأصابه شيء فلا يؤمن إلا لله» ومن السنة غسل الأيدي في طست واحد وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «آرموا الطموس وخالفوا الجوس» ويستحب مسح العين بيك اليد - وروى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنا نؤنسكم فأفسروا عنكم الساء ولا تنقضوا أيديكم فأنها

(١) حديث إنه ليغان على قلبي (٢) حديث إن شيطانه أسلم فلا يأمر إلا بخير تقدم أيضا .

في التوكل وهذا ما اختاره الحارث الحماسي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور السلم وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يزرع لهم ويظنون أن ما همم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدول وهو يمد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم إذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا إن غفلنا عنه لحظة فيوهك أن يهلكنا وقال قوم إن ذلك يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشیطان وذلك مراد الشيطان منابل تشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا تنسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فتجمع بين الأمرين فانا إن نسيتهم ربما عرض من حيث لا نحسب وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله فالجواب أولى وقال الساماء المحققون غلط الفريقان أما الأول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسى ذكر الله فلا يغني غلظه وإتسا أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يسدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله تعالى فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله تعالى وقوة الاعتغال به فيوهك أن يظفر به ولا يتقوى على دفعه ثم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا يمان ذكره وأما الفرقة الثانية فقد شاركت الأولى في إجمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان ويشد ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه إبليس وغيره فالحق أن يعلم البعد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيفتش بذكر الله ويكب عليه بكل الحمة ولا يختر ياله أمر الشيطان فانه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان فتنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاعتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف من أن يغتبه مهم عند طلوع الصبح فيأمر نفسه الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فينبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر مع أنه باليوم فافهم عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو إذا كان اعتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأباط عنه ظلمة الشهوات فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصدوا وأزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا لذلك شر العدو واستضاءوا بنور الله حتى صرفوا خواطر العدو وفشل القلب برأيهم تطهيرها من لئاء القدر ليضهر منها لئاء الصافي فالشغل بذكر الشيطان قد ترك فيها لئاء القدر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد تزح الماء القدر من جانب ولكنه تركه جاريا لإلهام جانب آخر فيقول تنبه ولا تجهد البئر من لئاء القدر والبصير هو الذي جبل لجري لئاء القدر سدا وملأها بالماء الصافي فإذا جاء لئاء القدر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

### (بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات)

اعلم أن في الأسرار للأعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء ومغريب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء قال الحسن قد علم السلون أن السر أحرز السليين ولكن في الاظهار أيضا فائدة ولذلك أتى الله تعالى على السر والعلانية فقال - إن تبدوا الصدقات فمصماهي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - والاظهار قسما أحد ما في نفس السلم والآخرة بالتحدث بما عمل - القسم الأول : إظهار نفس السلم كالصدقة في اللأا قرع غيب الناس فيها كما روى عن الأنصاري

مراوح الشياطين »  
 قيل لأبي هريرة في الوضوء وغيره قال نعم في الوضوء وغيره.  
 وفي غسل اليد يأخذ الأشتان باليمين وفي الحسلا لا يزدرد ما يخرج بالخلل من الأسنان وأما ما يلوكة باللسان فلا بأس به ويجنب التصنع في أكل الطعام ويكون أكسه بين الجلع كأكله منفردا فإن الرياء يدخل على البعد في كل شيء - وصف لبعض الساماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تصلم به بأسا قال نعم رأيت يصنع

أتى جاء بالصرة فتابع الناس بالمطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « من سن سنته حسنة  
فضل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه » (١) وتجرى سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام  
والمسح والتزوي وغيرها ولكن الاقتداء بالصدقة على الطباخ أغلب ، ثم التآذي إذا ما خرج وجلس  
وعند الرجل قبل التزوي تحريضا لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن التزوي في أصله من أعمال العلية  
لا يمكن إسراره فالبادرة إليه ليست من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته  
في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهل بيته فيسند به فكل عمل لا يمكن إسراره كالسجود والجهاد والجمعة  
فالأفضل البادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء أو ما يمكن  
إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤدى للتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة  
فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام فإن لم يكن فيه إيذاء قد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم السر  
أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم السر أفضل من علانية لا قدوة فيها أما العلانية  
لقدوة أفضل من السر ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم  
بمنصب النبوة ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل المصلين ويدل عليه قوله عليه السلام  
« له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روى في الحديث « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية  
سبعين ضعفا وضاعف عمل العلانية إذا استأن به عمل السر سبعين ضعفا » (٢) وهذا الوجه  
للخلاف فيه فإنه مهما اتفقت القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في الحالتين فما  
يقتدى به أفضل لا محالة وإنما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصلت ثابته الرياء لم ينصفه اقتداء  
غيره وهلك به فلا خلاف في أن السر أفضل منه ولكن على من يظهر العمل وظنيتان : إحدى أن  
يظهره حيث يسلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به أهله دون جيرانه وربما  
يقتدى به جيرانه دون أهل السوق وربما يقتدى به أهل محله وإنما العالم بالعرف هو الذي يقتدى  
به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والتفاق وذموه ولم يتدوا به  
فليس له الاظهار من غير فائدة وإنما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في عمل القدوة على من هو  
في عمل الاقتداء به والثانية أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الاظهار  
بلسر الاقتداء وإنما شهوته التجل بالعمل ويكونه يقتدى به وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا  
الأقوياء المحضين وقليل مأم فلا ينبغي أن يجمع الضمير فيه بذلك فهلك وهو لا يشعر فإن  
الضمير مثاله مثال التريق الذي يحسن سياحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الترقى فرحهم فأقبل عليهم  
حتى تشبوا به فهلكوا وهلك والتريق بلأمة في الدنيا أله ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل  
عذابه دائم مدة مدينة وهذه ملة أقدام العباد والعلماء قاهم يتشبهون بالأقوياء في الاظهار ولا تحوى  
قلوبهم على الاخلاص فتعبط أجورهم بالرياء والتضطن لذلك فاض وعك ذلك أن يعرض على نفسه

(١) حديث من سن سنة حسنة فضل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه وفي أوله قصة مسلم من  
حديث جرير بن عبد الله البجلي (٢) حديث إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا  
وضاعف عمل العلانية إذا استأن به على عمل السر سبعين ضعفا البيهقي في الشعب من حديث  
أبي بردة مقتصر على الشطر الأول بنحوه وقال هذا من أفراد قصة عن شيوخنا الجمهوريين وقد تقدم قبل  
هذا بنحو ورفعتين وله من حديث ابن عمر عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل إن أراد  
الاقتداء وقال غرد به قبة عن عبد الملك بن مهران وله من حديث عائشة فضل أو يضاعف الكراخفي  
الذي لا يسمعه الحظفة على الذي تسمعه سبعين ضعفا وقال غرد به ما يروى عن أبي الصديق وهو ضعيف.

في الأكل ومن تصنع  
في الأكل لا يؤمن  
عليه تصنع في العمل  
وإن كان الطعام حلالا  
فليقل الحمد لله الذي  
بصمته ثم الصالحات  
وتزول البركات اللهم  
صل على محمد وعلى آل  
محمد اللهم أطمئنا طيبا  
واستعملنا صالحا وإن  
كان شبهة يقول الحمد لله  
على كل حال اللهم  
صل على محمد ولا تبسه  
موتا على مصيبتك  
وليصغرك الاستغفار  
والحزن ويحك على  
أكل الشبهة ولا  
يضحك فليس من  
يأكل وهو يضحك  
يأكل وهو يضحك

أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدى الناس بما يد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان فإن مال قلبه إلى أن يكون هو للقتدى به وهو الظاهر للعمل فباعته الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير فاتهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفى عليه مع إسراره لما بال قلبه ميل إلى الاظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم فلجئنا المبدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب وقفا تسم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يبدل السلامة حيثما والسلامة في الإخفاء وفي الاظهار من الأخطار ما لا تقوى عليه أمثالنا فالخروج من الاظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء . القسم الثاني : أن يتحدث بمافيه بعد الفراغ وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة التعلق خفيفة على اللسان وقد تجري في الحكاية زيادة ومباينة للنفس لئلا في إظهار المتواضع عظمة إلا أنه لو طرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة لما بينه بعد الفراغ منها فهو من هذا الوجه أهون والحكم فيه أن من قوى قلبه وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب إليه إن صفت التوبة وسلت عن جميع الآفات لأنه ترغيب في الخير والترغيب في الخير وقد قل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأتقياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلاة منذ أسلمت حدثت نفسي بغيرها ولا بعت جنازة لحدثت نفسي بغير ما هي قالوا وما هو مقول لها وما صحت التي صلى الله عليه وسلم يقول قولاً قط لا علقت أنه حق ، وقال عمر رضي الله عنه : ما أبالي أصبحت على صر أو يسر لأن لا أدري أيهما خير لي ، وقال ابن مسعود : ما أصبحت على حال فخشيت أن أكون على غيرهما . وقال عثمان رضي الله عنه : ما تقيت ولا تخبت ولا مست ذكراً يعني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وقال عدي بن أوس : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزعما وأخطمها غير هذه وكان قد قال قتادة التنا بالسرقة ثبت بها حتى ندرت القداء ، وقال أبو صفيان لأهله حين حضره الموت : لا تبكوا على فاني ما أحدث ذنباً منذ أسلمت . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : ما قضى الله في قضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله فهذا كله إظهار لأحوال شريفة فوقها في البراءة إذا صدرت عن يرأى بها وفيها غاية الترغيب إذا صدرت عن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالصروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يمد باب إظهار الأعمال والطاعات بمجولة على حب التبعة والاقتداء بل إظهار للرأى للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شغل للرأى ، فمن كان عتس كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراد عند الله ، وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في مسك البصرة عند السبع فيسمع أصوات المسلمين بالقرآن من البيوت فتنصف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتروا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصف ظاهره للرأى فيه خير كثير فغيره إلا لم يعرف رياءه ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا أخلاق لهم (٢) كما ورد في الأخبار وبسبب للرأى ممن يقتدى بهم والله تعالى أعلم .

ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولا يلف قريش ويحتمل المدحول على قوم في وقت أكلمه قد ورد من متى إلى طام لم يبع إليه متى فاسقا وأكل حراما وصحنا لفظاً آخر دخل صارفاً وخرج مفعلاً إلا أن يصفى دخوله على قوم يحلم منهم فرحهم بمواقفه ويستحب أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الله أو لا يخرج الضيف بغير إذن صاحب الدار ويحتمل الضيف التكلف إلا أن يكون له نية فيه من كثرة الإنفاق ولا يفضل

(١) حديث عثمان قوله ما تقيت ولا تخبت ولا مست ذكراً يعني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى اللؤلؤ في محبة باسناد ضيف من رواية أنس عنه في أثناء حديث وإن عثمان قال بارسل الله قد ذكره بلفظ منذ بايتك قال هو ذلك باعثن (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا أخلاق لهم ما حديثان فالأول متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وضم أيضاً .

( بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم )

اعلم أن الأصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنهما رجل عنك بصل  
العلانية قال يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟ قال ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه ، وقال أبو سلم  
الحواري ما علمت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط إلا أن هذه درجة  
عظيمة لا ينالها كل واحد ولا يغفل الإنسان عن ذنوب قلبه أو يجرأه وهو يخفيها ويكره اطلاع  
الناس عليها لاسيما ما يحتاج به الخواطر في الصلوات والأمانى والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد  
لإخفائها عن السيد رعاً بظن أنه رياء محذور وليس كذلك بل المحذور أنه يستتر ذلك ليرى الناس  
أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر للرائى ، وأما الصادق الذي لا يرى الله  
ستر للمضى ووضح قصد فيه ويصح إقتضاه بطالع الناس عليه في ثمانية أوجه : الأول أن يخرج  
بستر الله عليه وإذا اتضح إقتم بينك الله ستره وخاف أن يبتك ستره في القيامة إذ ورد في الخبر أن  
من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستره الله عليه في الآخرة (١) وهذا غم ينشأ من قوت الأيمان ، الثاني  
أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور للمضى ويجب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم « من ارتكب  
شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله (٢) » فهو وإن عصى الله بالذنوب فلم يغفل قلبه عن حجة  
مأخذه الله ، وهذا ينشأ من قوة الأيمان بكراهة الله لظهور للمضى وأما الصادق في أن يكره ظهور  
الذنوب من غيره أيضاً وبتهم بسببه ، الثالث أن يكره ذم الناس له به من حيث إن ذلك يشبهه ويشغل  
قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فإن الطبع يتأذى بالذم وينزع العقل ويشغل عن الطاعة ويهمل  
العلة أيضاً ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر ،  
وهذا أيضاً من قوة الأيمان إذ صدق الرغبة في فرغ القلب لأجل الطاعة من الأيمان ، الرابع أن  
يكون ستره ورغبته فيه لسكراهة لئلا يطلع الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب كما أن  
الضرب مؤلم للبدن وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الايمان به حاس ولا يسمى إذا جازعت  
قسه من ذم الناس ودعته إلى ما يجوز حذراً من ذمهم وليس يجب على الإنسان أن لا يهتم بتم  
الحلق ولا يتألم به ، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوى عنده ذمهم ومادحه لعلهم  
أن الضار والنافع هو الله وأن الباد كلهم عاجزون وذلك قليل جداً وأكثر الطباع تألم بالذم لانه  
من الشعور بالنقصان ورب تألم بالذم محمود إذا كان الدلم من أهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله  
وذمهم يدل على حمى الله تعالى وعلى قصارى في الدين فكيف لا يهتم به ، نعم التلم للذنوب هو أن يتم لقول  
الحمد بالورع كأنه يحب أن يمدح بالورع ولا يجوز أن يحب أن يمدح بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة  
الله ثواباً من غيره فان وجد ذلك في قسه وجب عليه أن يجابه بالكراهة والرد ، وأما كراهة الذم  
بالمصيبة من حيث الطبع فليس بملوم لله الستر حذراً من ذلك وبتصور أن يكون البدن بحيث لا يجب  
الحمد ولكن يكره الذم وإعترافه أنه يتركه الناس حمداً وذاك من صابر عن لفظة الجلاء يصير على ألم  
الذم إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم وأما الذم فانه مؤلم لطلب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة  
في الحال وأما كراهة الذم للمصيبة فلا محذور فيه إلا أمر واحد هو أن يشغله عنه بطالع الناس على ذنبه  
عن اطلاع الله فان ذلك غاية نقصان في الدين بل ينبغي أن يكره عنه بطالع الله وفعله أكثر الخس  
أن يكره الذم من حيث إن الذم قد عصى الله تعالى به وهذا من الأيمان وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضاً  
(١) حديث أن من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة ختم قبل هذا بورقة (٧) حديث من  
ارتكب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله الحاكم في المستدرك وقد تقدم .

ذلك حياء وتكففا  
وإذا أكل عند قوم  
طعاماً قليل عند فراغة  
إن كان بعد للثوب  
أفطر عندكم الساعةون  
وأكل طعامكم الأبرار  
وصلت عليكم للالكة  
وروي أيضاً عليكم  
صلاة قوم أبرار ليسوا  
بأعين ولا جار صلون  
بالليل وصومون  
باليار . كان بعض  
الصحابية يقول ذلك .  
ومن الأدب أن  
لا يستحق ما قدم له  
من طعام وكان بعض  
أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
ماندرى أيم أعظم  
وزرا الذي يختصر





عليه غيره ويَتَدبَّر به وهذه الملة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأمة أو بمن يتدبَّر به وبهذه الملة ينبغي أيضا أن يغني المصطفى أيضا مصيبتين: أهله وولده لأنهم يتعلمون منه ففي ستر الذنوب هذه الأعداء الثمانية وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد ومهما قصد بستر المصيبة أن يحيل إلى الناس أنه ورع كان مرايا كما إذا قصد ذلك باظهار الطاعة. فان قلت فهل يجوز لعبد أن يحب أحد الناس له بالصالح وحسبهم إليه بسببه وقد قال رجل لابي صلى الله عليه وسلم «دني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وابتدأ إليهم هذا الخطأ بحجوك (١) » فتقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محموا وقد يكون مذموما فالحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه تعالى إذا أحب عبدا حبه في قلوب عباده وللنعم أن تحب حبه وحسبهم على حبك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بيتها فان ذلك طلب عرض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله والمباح أن تحب أن يحبك لصفات محمودة سوى الطاعات المحمودة المينة فحبك ذلك كحبك للسال لأن ملك القلوب وسية إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما. ( بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات )

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفا من أن يكون مرايا بموذلك فخلطه موافقة للشيطان بل الحق فيها يترك من الأعمال ومالا يترك لحوف الآفات مأنذره وهو أن الطاعات تنقسم إلى مالا تدفع عنه كاصلاة والصوم والحج والزكاة فاتها مقاساة ومجاهدات إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى أحد الناس وحمد الناس لذية وذلك عند اطلاع الناس عليه وإلى ما هو أذية وهو أكثر مالا يتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتدبير والتعليم وإتفاق السال على الخلق وغير ذلك مما تنظم الآفة فيه لتلقه بالخلق ولما فيه من اللذة. القسم الأول الطاعات اللازمة للبدن التي لا تمنع بالخلق ولا لذة في غيرها كالصوم والصلاة والحج فنطرت الرياء فيها ثلاث : إحداها ما يدخل قبل العمل فيحب على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث للدين فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه مصيبة لا طاعة فيه فانه تدفع بصورة الطاعة إلى طلب للزلة فانه قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها ألا تستحيين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عبادته حتى يدفع باعث الرياء وتسحق النفس بالعمل فله عقوبة لنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل . الثانية أن ينبعث لأجل الله ولكن يترضى الرياء مع عقدا لبادقها ولما فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثا دينيا فليشروع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء ويحسين الاخلاص بالمعاليات التي ذكرناها من إلزام النفس كراهة الرياء والاباء عن القبول. الثالثة أن يتدبَّر في الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الاخلاص ويرد نفسه إليه قهرا حتى يتم العمل لأن الشيطان يدعوك أولا إلى ترك العمل قالوا يجب واعتزلت يدعوك إلى الرياء قالوا لم يجب ودفع يقي قول لك هذا العمل ليس بغالب وأنت مرء ومحبك ضائع فأنت قائدة لك في عمل لا إخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذن تركه قد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل لحوفة أن يكون مرايا كمن حلم إلى مولا حنطة فها زوان وقال خلسا من الزوان ونها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول أخلف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصا صافيا فترك العمل من أجله هو ترك الاخلاص مع أصل العمل فلا معنى لئوم هذا التليل

(١) حديث قال رجل دني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث ابن ماجه من حديث سهل بن سعد يلقظ ولزهد فيها في أيدي الناس وقد تقدم .

وأكلوا فدخل سفيان  
فخرج وقال ذكر عوف  
أخلاق السلف هكذا  
كانوا ومن دعى إلى  
طعام فلاجابة من  
السنة وأؤكد ذلك  
الوليعة وقد يتخلف  
بعض الناس عن  
الدعوة تكبرا وذلك  
خطأ وإن عمل ذلك  
تصنعا ورياء فهو أكل  
من التكبر . روى  
أن الحسن بن علي  
مر بهومن للسالكين  
الذين يسألون الناس  
على الطرق وقد ثروا  
كسرا على الأرض  
وهو على بنته فلما  
مر بهم سلم عليهم  
فردوا عليه السلام

أن يترك العمل خوفاً من الناس أن يقولوا إنه مراد فيصون الله به فهذا من مكاييد الشيطان لأنه أولاً أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك ثم إن كان فلا يضره قولهم وخوفه ثواب العبادة وترك العمل خوفاً من قولهم إنه مراد هو عين الرياء فلو لا حبه لمحمدتهم وخوفهم من ذمهم لكانه ولقولهم قالوا إنه مراد أو قالوا إنه عكس وأنى فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال إنه مراد وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال إنه فافل مقصر بل ترك العمل لأهمل ذلك فلهذا كلها مكاييد الشيطان على العبادة الجمال ثم كيف يطمع في أن يتخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال إنه عكس لا يشتهي الشهرة فيضطره بذلك إلى أن يهرب فإن هربت ودخلت سرّاً تحت الأرض ألقى في قلبك حلاوة معرفة الناس لزهلك وهربك منهم ولعظيمهم لك بقاؤهم على ذلك فكيف تتخلص منه بل لا نجاية منه إلا بأن تألم قلبك معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع في الدنيا لئلا تألم الكراهة والإباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تألى وإن نزع المو تازع الطبع فإن ذلك لا يتقطع وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات فما دمت تجد باعثاً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجهد خاطر الرياء وأزم قلبك الحياء من الله إذا دعيت فتركك إلى أن تسبيل محمد حمد المحققين وهو مطلع على قلبك ولو أطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حدمه فتتركه بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياءً من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فإن قال لك الشيطان أنت مراد فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحياتك من الله تعالى وإن لم تجد في قلبك كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل مجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد فمن شرع في العمل في فلا بد أن يبقى معه أصل تصد الثواب . فان قلت قد دخل عن أقول ترك العمل مخافة الشهرة . روى أن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فأتى بالصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا أنا قراً أكل ساعة . وقال إبراهيم النخعي إذا أهيكت الكلام فسكت وإذا أهيكت السكوت فسكمت . وقال الحسن أن كان أحدم لير بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدم يأبى البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة . وقد ورد في ذلك آثار كثيرة . قلنا هذا يخرجه ماورد من إظهار الطاعات بمن لا يحصى وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإمالة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك التواضع والكلام في الأفضل ، والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء فالأفضل أن يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وأرباب الأعمال قد يبالغون فيهم خلاف الأفضل لشدة الخوف فلا قداد يبنون أن يكون بالأقوياء وأما إبطاق إبراهيم النخعي للصحف فيمكن أن يكون لهله بأنه يحتاج إلى ترك القراءة عند دخوله واستنائه بعد خروجه للاشتغال بمكاته فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترتك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك وأما ترك دفع الأذى فذلك بمن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من دفع خشية من الطريق فيكون ترك ذلك للمحافظة على عباداته أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء وأما قول النخعي إذا أهيكت الكلام فسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالصاحبة في الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث السبب وكذلك العجب بالسكوت للبالغ محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذراً من السبب فأما الكلام الحق للتدبؤ إليه فلم ينص عليه على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وإنما كلامنا في العبادات الخاصة بدين الصلوات

وقالوا هم للتذاء وابن رسول الله فقال لمعان الله لا يجب التكبر ثم في ورده فترك من دابته وقد معهم على الأرض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وكان يقال الأكل مع الاخوان أفضل من الأكل مع اليال . وروى أن هارون الرشيد دعا إيا معاوية الضرير وأمر أن يقدم له طعام فلما أكل صب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا معاوية تدرى من صب على يدك ؟ قال لا قال أمير المؤمنين قال

لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإدانة الأذى لحرف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق وإيما ذكره خوفا للناس من آفة الشهرة وزجرا من طلبها . القسم الثاني : ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار وأعظمها الخلقة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والقنوى ثم إحقاق المال . أما الخلقة والإزار فهي من أفضل الصادات إذا كان ذلك مع العدل والاخلاص وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « يوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما »<sup>(١)</sup> فأعظم بعبادة يوازى يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم « أول من يدخل الجنة ثلاثة الأمام المقسط »<sup>(٢)</sup> وأحدم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل »<sup>(٣)</sup> وأحدم وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل »<sup>(٤)</sup> رواه أبو سعيد الخدري قال إمامنا العلامة في أعظم الصادات ولم يزل الثقلون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من هملها وذلك لافسوس عظيم الخطر إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء وهذا أمر هو أعظم ملاذ الدنيا فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالى ساعيا في حظ نفسه ويوشك أن يتبع هواه فيجتمع من كل ما يفسد في جاهه وولايته وإن كان حقا وقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان بطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شرا من فسق ستين سنة بفهم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة مفقولة يده إلى عتقه أطلقه عمله أو أوقعه جوره »<sup>(٥)</sup> رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال بالأمير للؤمنين أشترى قال اجلس وأكنم حتى وروى الحسن « أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم « وكنت حديث عبد الرحمن بن حمزة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

بالأمير للؤمنين إيما  
أكرمت العلم وأجلته  
فأجلك الله تعالى  
وأكرمك كما أكرمت  
العلم .

[ الباب الرابع  
والأربون في ذكر  
أدبهم في لباس ونياتهم  
ومقاصدهم فيه ]

اللباس من حاجات  
النفس وضرورتها لرفع  
الحرج والبرد كما أن  
الطعام من حاجات  
النفس لدفع الجوع وكما  
أن النفس شير فائقة  
بقدر الحاجة من الطعام  
بل تطلب الزادات  
والشبهوات فكذلك في  
اللباس تنفخ فيه ولها  
فيه أهوية متنوعة

(١) حديث ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاما الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٢) حديث أول من يدخل الجنة ثلاثة الأمام المقسط الحديث مسلم من حديث عياض بن حماد أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط الحديث ولم أرفه ذكر الأول (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل تقدم (٤) حديث أبي سعيد الخدري أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة إمام عادل الأصماني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه وفيه أيضا إسحق بن إبراهيم الهيثمي ضعيف أيضا (٥) حديث مامن والى عشرة لإجاء يوم القيامة يده مفقولة إلى عتقه لا يشكها إلا بعده أحمد من حديث عبادة بن الصامت ورواه أحمد والبراز من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة وفيها يزيد بن أبي زائدة تنكس في ورواه أحمد والبراز وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورواه البراز والطبراني من حديث بريدة والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان وله من حديث أبي هريرة مامن والى ثلاثة لا تاتي الله مفقولة يمينه الحديث وقد عزي للصف هذا الحديث لرواية معقل بن يسار وللشريف من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يعطها بنسيحة إلا لم يرج راحة الجنة متفق عليه (٦) حديث الحسن أن رجلا ولاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم « وكنت حديث عبد الرحمن بن حمزة إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الرحمن لاتسأل الإمارة فانك إن

يتك وفيه التراب بن أبي التراب ضعفه ابن معين وابن عدى وقال أبو حاتم صدوق .

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليا وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها (١) وقال أبو بكر رضي الله عنه رافع بن عمر لأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال رافع ألم تقل لي لا تأمرني اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال بلى وأنا أقول لك ذلك لمن يمدد فيها فله بهة الله يني لنة الله ولعل القليل البصيرة يرى ماورد من فضل الإمارة مع ماورد من التيسر عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا يبنين أن يتنصروا من قبله الولايات وأن الضعفاء لا يبنين أن يدوروا بها فيهلكوا وأعن بالقوى الذي لا يملكه الدنيا ولا يستغنى الطمع ولا يأخذه في الله لومة لأهم الدين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الحق وقهروا أنفسهم وملكوها وقلعوا الشيطان فأبى منهم فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولوزعت فيهم أرواحهم فهم أهل نيل الفضل في الامارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرأها صائرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات ولكن خاف عليها أن تتبرر إذا ذاقته الولايات بأن تستحل الجمادات فتستحقها الأمر فتركه العزل فيدلهم خيفة من العزل فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الحرب من هذه الولاية قال قانون لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يهدف نفسه إلاقوبة في ملازمة الحق وترك لذات النفس والمصالح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها أن تتبرر عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الصروع فالعزل مؤلوهو كإل العزل إطلاق الرجال فإذا شرع لاسمح نفسه بالعزل وتبيل نفسه إلى اللذائنة وإهمال الحق ونهوى به في قمر جهنم ولا يستطيع التزوع منه إلى لوت إلا أن يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل عيب فالولاية ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمانة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «إنا لانولى أمرنا من سألنا» (٢) فإذا فهمت اختلاف حكم القوى والضعيف علمت أن نهى أبي بكر رافعا عن الولاية ثم قلعه لها ليس بمنقاض . وأما القضاء فهو وإن كان دون الخلافة والامارة فهو في معناها فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر فاقبلوا الامارة بهجة وبالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والقضاب فيه أيضا عظيم مع المدول عن الحق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «القضاء ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة» (٣) وقال عليه السلام «من استسقى قد ذبح بغير سكين» (٤) حكمه حكم الامارة يبنى أن يتركه الضعفاء وكل من قدنيا وقادتها وزن في عينه وليقله الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لأهم ومهما كان السلاطين ظلة وليرقدوا القاضي على القضاء إلا بعدلعتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعاقبين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لزلزله أولم يطيعوه فليس له أن يشقه القضاء وإن شقه فله أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف الزلزال مرضا له في الإهمال أصلا بل إذا عزل سقطت المهمة عنه فينبين أن يرضخ بالعزل إن كان يقضى له فان لم تسمح نفسه بذلك فهو إذن يقضى لتابع الحق والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمة في المردك الأسفل من النار . وأما الوعظ والقوى والتدريس ورواية

ومكرب مختلفة فالصوفي  
يرد النفس في لباس  
إلى متابعة صريح العلم  
فيل لبس الصوفية  
توبك بمزق قال ولكنه  
من وجه حلال وتيله  
وهو وسخ قال ولكنه  
ظاهر فنظر الصادق في  
ثوبه أن يكون من وجه  
حلال لأنه ورد على الخير  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال «من  
أعترى ثوبا بشرة  
درام وفي عنده درهم  
حرام لا يقبل الله منه  
صرفا ولا عدلا» أي  
لا يرضى ولا تأفة ثم بعد  
ذلك نظره فيه أن يكون  
طاهرا لأن طهارة  
الثوب شرط في صحة

(١) حديث عبد الرحمن بن حمزة لاسنل الامارة الحديث متفق عليه (٢) حديث إنا لانولى أمرنا من سألنا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث القضاء ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وتقدم في العلم وإسناده صحيح (٤) حديث من استسقى قد ذبح بغير سكين أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلقط من جبل قاضيا وفي رواية من ولي القضاء وإسناده صحيح .

الحديث وجمع الأسانيد العالية وكل ما يتبع بسببه الجاه وسظم به الصدر فأثرت أيضا عظيمة مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون القنوى ما وجدوا إليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا باب من أبواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال أوسعوا لي ودفن جسر كذا وكذا قطر من الحديث وقال يمتنى من الحديث أي أشتى أن أحدث ولو أشتيت أن لا أحدث لحدثت والواعظ بعد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكلامهم وزعزعتهم وإقبالهم عليه لثة لا توازيها لثة فاذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا ويخر عن كل كلام يستتله العوام وإن كان حقا ويسير. مصروف الهمة بالكلية إلى ما يجره قلوب العوام وسظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكما إلا ويكون فرحه به من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس التبر وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث إنه عرف طريق السادة وطريق سلوك سبيل المؤمنين ليعمل به وأولاهم يقول إذا أتم الله عليّ هذه النعمة وحقني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في قسمها إخواني السالين فيها أيضا مما يسظم في الخوف والفتنة لحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والذلة والأكل بالدين والتفاخر والتكثار فينبغي أن يتركه ويخالف المحوى فيه إلى أن تراض نفسه وتقرى في الدين همة ويأمن على نفسه الفتنة فند ذلك يعود إليه . فان قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم تطلعت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق . فنقول قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها (١) حتى قال « إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها » (٢) وقال « نعمت للرمضة وبئست القاطمة » (٣) ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تطلعت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخرت البلاد وتطلعت للمايش فلم ينهي عنها مع ذلك ؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب رأى قوما يتبعون عوفيا في ذلك يقولوا لبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن فتح من أن يتبعوه . وقال ذلك فتنة على للتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويحفظ ولا يجمع منه . واستأذن رجل عمر أن يحظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فنهى فقال أمتنني من نصع الناس قال أخشى أن تتضع حتى تبلغ الترياذ رأى فيه عتابل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والقنوى وفي كل واحد منهما فتنة ولثة فلا فرق بينهما فأما قول القائل نبيك عن ذلك يؤدى إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء لم يؤد إلى تعطيل القضاء (٤) بل الرئاسة وحيا يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرئاسة لا يترك العلوم تدرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلال والأغلال من طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة لأقولوا لمن الحبس وقطعوا السلال وطلبوها وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إنى أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يؤمنون بالوعظ مثلا فليس في التمسى عنه إلا امتناع بضيمهم ولا فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون الرئاسة فإن لم يكن

- (١) حديث التمسى عن طلب الإمارة وهو حديث عبد الرحمن بن مرة لانسل الإمارة وقد تقدم قبله  
(٢) ثلاثة أحاديث (٣) حديث ابن جابر (٤) حديث نعمت للرمضة وبئست القاطمة البخارى  
من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذى قبله ورواه ابن جابر فقط فبئست الرضوة وبئست القاطمة  
(٥) حديث التمسى عن القضاء مسلم من حديث أبي ذر لا تؤمنون على اثنين ولا تلبين مال يتيم

الصلة وما عدا هذين  
النظرين فنظره في  
كونه يدفع الحر والبرد  
لأن ذلك مصلحة  
النفس وبعد ذلك  
ما يدعو النفس إليه  
فكله فضول وزيادة  
ونفس إلى الخلق  
والصادق لا ينبغي أن  
يلبس الثوب إلا أنه  
وهو ستر المودة  
أو لنفسه دليل الحر  
والبرد . وحكى أن  
سفيان الثوري رضى  
الله عنه خرج ذات يوم  
وعليه ثوب قد لبسه  
مقلوبا قليله ولم يعلم  
بنقله فهم أن غلبه  
وضيمه ثم تركه وقال  
حيث لبسته لوت أن

في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وغيره إلى  
العلم أنه إنما يريد الله وعظه وأنه تارك الدنيا ومعرض عنها فلا يمنه منه ويقول له اشتغل بجاهد  
تسكك ، فان قال لست أؤثر على نفسي فتقول اشتغل بجاهد ، لأننا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس  
كلهم إذ لا يتم به غيره ولو وانطب وغرضه الجاه فهو المالك وحده وسلامتين الجميع أحب عندنا من  
سلامة دينه وحده فخصه فداء للقوم وقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
« إن الله يؤيد هذا الدين بأقوال لا بخلاق لهم » (١) ثم واعظوه الذي يرغب في الآخرة ويهتفي الدنيا  
بكلامه وبظاهر سيرته ، فأما ما أحدثه الوفا في هذه الأصنام من الكلمات للزخرف والافتان للسجدة  
للقرون بالأشعار عما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخوف للمسلمين بل فيه التزجية والتجرفة على الناس  
بطيارات التكت فيجب إخلاء البلاد منهم لاتهم ثواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ  
حسن الوعظ جميل الظاهر يطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أو ردها في كتاب العلم  
من الوعد بالورد في حق علماء السوء ما بين زوم الخلد من فن العلم وغواؤه ، ولهذا قال للشيخ  
عليه السلام : يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تضلون ما تأمرون وتنهون ما لا تضلون  
فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمان وتصلون بالمعوى وما يفي عنكم أن تتقوا أجودكم وقولكم  
دسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم  
تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى القل في صدركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنفي  
من الدنيا شيئا ولا تنقطع منها رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم بيكن من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت  
الستكم والسمل تحت أقدامكم بحق أقول لكم أقدمتم آخرتكم بصلاح دنياكم فصلاح الدنيا أحب  
إليكم من صلاح الآخرة فأى ناس منكم لو تعلمون ويلكم حق من تصفون الطريق للمدلين  
ويعيون في حجة للتجبرين كأنكم تدعون أهل الدنيا لتركوا هالك ملامها ولا عليكم ماذا يفي عن البيت  
للظم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يفي عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم  
وأجوافكم منه وحشة مظلمة يا عبيد الدنيا لا كيد أنقياء ولا كأحرار كرام توهلك الدنيا أن تعلقكم  
عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيركم ثم يدفعكم العلم من  
خلفكم ثم يسلككم إلى تلك الديان حفاة فرادى فيوهكم على مواضعكم ثم يجرىكم بسوء أعمالكم  
وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء السوء مشايخنا في الناس وقتنا  
على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفضوا وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين الدنيا فيهم في العاجل حار  
وشين وفي الآخرة هم الحاسرون . فان قلت : فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والعظ غالب  
كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها » (٢)  
وقال صلى الله عليه وسلم « أيما دافع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه » (٣) إلى  
غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال لعل اشتغل بالعلم وأترك مادة الخلق كما قال ابن خلدون في رياء  
في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتم العمل وجعلته تسكك . فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم

البسده الله والآن لنا  
أغبره إلا لنظر الخلق  
فلا أفضى إليه الأولى  
بهذه والسوفية خصوا  
بطهارة الأخلاق وما  
رزقوا طهارة الأخلاق  
إلا بالصلاحيات والأهلية  
والاستعداد الذي  
هيأه الله تعالى لنفوسهم  
وفي طهارة الأخلاق  
ومعاندها فاسب واقع  
لوجود تناسب هيئة  
النفس وتناسب هيئة  
النفس هو اللشار إليه  
يقوله تعالى - فاذا  
سويته وحققت فيه  
من روحه - فالتناسب  
هو التسوية فن  
التناسب أن يكون  
باسمهم مشا كالطعامهم

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوال لا بخلاق لهم النسائي وقد تقدم قريبا (٢) حديث لأن  
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها متفق عليه من حديث سهل بن سعد بن أبي  
سفيان عن حماد بن عمار عن حماد بن عمار عن حماد بن عمار عن حماد بن عمار عن حماد بن عمار  
من أبيه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك في أوله وللمسلم من حديث أبي هريرة عن دعا إلى هدى  
كان له من الأجر مثل أجر من تبعه الحديث .

كنفضل الخلافة والإمامة ولا تؤول لأحد من عباد الله ترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة وإساءة الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث ولا حول له إضمار تركه مدام يحذف نفسه باعنا دينيا معزوجا يباعث الرياء أما إذا لم يحركه إلا الرياء تركه الاظهار أرفع له وأسلم وكنتك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها أما إذا خطر له وسوس الرياء في أثناء الصلاة فهو لها كاره فلا يترك الصلاة لأن آفة الرياء في العبادات ضئيلة وإنما تنظم في الولايات وفي التصدي للنائب الكبيرة في العلم . وبالجمله فالمراتب ثلاث : الأولى : الولايات والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة . الثانية : الصوم والصلاة والحج والقزو وقد تعرض لها أقوياء السلف وخضوا وهم لم يؤثر عنهم الترك لحوق الآفة وذلك لضعف الآفات لها خلة فيها والقدرة على قضاها مع إتمام العمل بها أدنى قوة . الثالثة : وهي متوسطة بين الريتين وهو التصدي لنصب الوعظ والقنوي والرواية والتدريس والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضيف والقنوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضفاء رأسا دون الأقوياء ومناسب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولائميه وأن الحظر منه في حق الضيف أسلم والله أعلم . وهناربية راجحة وهي : جمع لك وأخذك لتفرقة على المستحقين فإن في الأخاق وإظهار السخاء استجابا لثناء ولي إدخال السرور على قلوب الناس لئلا تنفس والآفات فيها أيضا كثيرة ، وذلك مثل الحسن عن رجل طاب الموت ثم أمسك وآخر طلب فوق قوته ثم صدق به فقال القاعد أفضل لما يرفعون من فة السلامة في الدنيا وأن من أزهدها تركها قرية إلى الله تعالى . وقال أبو الدرداء ما يسنى أني ألفت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً أتصدق بها أما إني لأحرم البيع والشراء ولكي أريد أن أكون من الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وقد اختلف العلماء فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل ، وقال قوم الجفوس في دلم ذكر الله أفضل والأخذ والإعطاء يشغل عن الله ، وقال السج عليه السلام يطالب الدنيا لير بها تركها لها أبر ، وقال أقل ما فيه أن يشغل إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه أكبر والاستغناء بالله كذا خلاف في أنه أفضل . وبالجمله ما يتعلق بالحاق والنفس فيه لفته فهو ثار الآفات والأحيان جعل ويدفع الآفات فان هجر فلينظر وليجنده وليستف قلبه وليرن ما فيه من الخير بما فيه من الشر . وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع . وبالجمله ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه لأن النفس لا تشير إلا لشر وقها تستهله الخير وتعمل إليه وإن كان لا يبد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذا أمور لا يمكن الحكم على خاصيها ببنى وإيات فهو موكل إلى اجتهد القلب لينظر فيه لير ينعى ما يريه إلى ما يريه ثم قد يقع محاذير مغرور لجهل فيمسك لكال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في أن خفة المال في اللباحات فضلا عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن خرج إلى الكسب أن الأفضل الكسب والاحاق والتجرد للذكر وذلك في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال فخرقه أفضل من إمساكه بكل حال . فان قلت في أي علامة تصرف العالم والواعظ أنه صادق وخامس في وعظه غير مريد رياء الناس . فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظاً أو أغز منه علما والناس له أشد قبولا فريح بولم يحسد لهم لأبأس بالقطعة وهو أن يتنى لنفسه مثل علمه ، والأخرى أن لا يكابر إذا حضروا مجلسه لم يتبر كلامه بل يبق كما كان عليه فينظر إلى الخلق بين واحدة والأخرى أن لا يحب اتباع الناس في الطريق ولكي خلقه في الأسواق

وطماهم مشا  
لكلامهم وكلامهم  
مشا لكلامهم لأن  
التناسب الواقع في  
النفس عقيد بالعلم  
والتشابه والتماثل في  
الأحوال يحكم به العلم  
ومتصوفة الزمان  
ملتزمون بشئ من  
التناسب مع مزج  
الحوى وما عديم من  
التطلع إلى التناسب  
رفع حال نفلهم في  
وجود التناسب . قال  
أبو سليمان الداراني :  
يلبس أحدهم عبادة  
بثلاثة دراهم وشهوته  
في بطنه خمسة دراهم  
أنكر ذلك لحد  
التناسب فن خشن

وقد كانت علامات كثيرة يطول إحساؤها ، وقد روى عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالسا إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على بردون أسفر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقه أحفل من حلقه الحسن فتوجه نحو هاتق بلغ قريبا منها ثم نثى وركه فزل ومضى نحو الحسن فداره الحسن متوجها إليه فجاءه في عن ناحية جلسه قال سعيد وتجايفت له أيضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فربة وجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فاقطع الحسن كلامه قال سعيد قلت في تسمى لأبواب الحسن اليوم ولأنظرون هل يعمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزدني كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هبة الحجاج أن ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فغضب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ عزير فتكلم بهذه الجلس وأشباهاها فأتبعوها حلقا وعادة فانه يلتفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجالس الله كرواض الجنة (١) ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتونا على هذه المجالس لمرتنا بضلها قال ثم أقر الحجاج فتكلم حتى صعب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ فطلق قائما فماد رجل من أهل الشام إلى جالس الحسن حين قام الحجاج فقال عباد الله للسذين ألا تعجبون آتى رجل شيخ كبير وأنى أغزو فأكلف فرسا وبلا وأكلف فسطاطا وأن لي ثلثة درهم من السطاء وأن لي سبع بنات من العيال فتكلمن حاله حتى رقى الحسن له وأصاحبه والحسن مكب فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال المعلم قاتم الله أغنوا عباد الله خولا وما لله دولا وتلقوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزاعد والله غزا في الصايط المهابط على البغال السباقة وإذا غزى أخذ أغزاه طايوا رجلا في أقر الحسن حتى ذكرهم بأفصح العيب وأخذهم قام رجل من أهل الشام كان جالسا إلى الحسن فسمى به إلى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن أن أته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير قدام الحسن وأشفقنا عليه من هذه كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع إلى جلسته وهو يتبسم وتكلم أته فاعرضك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في جلسته فسلم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الحياة ليست إلا في الدينار والدرهم إن الحياة أحد الحياة أن جالسا الرجل فطمعتن إلى جانب ثم ينطلق فيسمى بنا إلى شرارة من تار إلى أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك من لسانك وقولك إذا غزاعد والله كذا وكذا وإذا أغزى أخاه أغزاه كذا لأبالك تحرض علينا الناس أما إننا على ذلك لآتهم فصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عنى وركب الحسن سحارا يريد للزل فيها فهو يسير وإذا انتفت فرأى قوما يتبعونه فوق فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء أو لا فاجروا الخاطي هدامن قلب البديقيته العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتنايرون ويتحاسدون ولا تراهم سون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الحاسرون اللهم ارحمنا بطفك يا أرحم الراحمين .

( بيان ماصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يحس )

اعلم أن الرجل قد يبيت مع التوم في موضع فيقومون للتعبد أو يؤم بعضهم فيصاؤون الليل كله أو يسه وهو بمن يقوم في بيته ساعة فربة فإذا رآهم انبث نشاطه للوقفة حتى يزيد على ما كان يتناه أو يصيل مع أنه كان لا يتنا الصلاة بالليل أصلا ، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل اللوح فيبث له نشاط في الصوم ولولا ما لما انبث هذا النشاط لم يدر بما يظن أنهم يأمرون الواجب

(١) حديث أن جالسا الذكر يرضى اللجنة تضم في الأفكار والدعوات .

ثوبه يبنى أن يكون  
ما كوله من جسده  
وإذا اختلف الثوب  
ولما كوله يلد على  
وجود اعرف لوجود  
هو كامن في أحد  
الطرفين إما في طرف  
الثوب لموضع نظر  
الخلق وإما في طرف  
لما كوله لفرط الشهوة  
ولا الوصين مرض  
يحتاج إلى اللدواة  
ليعود إلى حد  
الاعتدال . ليس  
أبولبان الداراني  
ثوبا فضيلا قال له  
أحمد لو لست ثوبا  
أجود من هذا قال  
ليت قلبي في الثوب  
مثل قلبي في الثياب



ترك الواوثة وليس كذلك على الاخلاق بل له خصيل لأن كل مؤمن - اعقب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تموقع العوائق وبسبب الاعتغال وشغل النفس من الشهوات أو تشويبه النشوة فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال النشوة أو تدفع العوائق والاعتغال في بسن للواقع فينبعث له النشاط فقد يكون الرجل في منزله فخطمه الأسباب عن التجهيد مثل تمكنه من النوم على فراش وغيره أو تمكنه من التمتع بزوجه أو المهادنة مع أهله وأقربيه أو الاعتغال بأولاده أو مطالعة حساب له مع معانيله فإذا وقع في منزل قريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تخرق رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كشاهدته إمام وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا فإنه ينظر إليهم فيناقصهم ويشق عليه أن يستوفيه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا لرياء أو ربما يفارقه النوم لاستكثاره للوضع أو سبب آخر فينبعث زوال النوم وفي منزله ربما يتلبه النوم وربما يضاف إليه أنه في منزله على الهدوء والنفس لتسبح بالتجهيد دائما وتسمح بالتجهيد وقتا قليلا فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يسر عليه الصوم في منزله ومعه أطيب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبت داعية الدين للصوم فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تطلب باعث الدين فإذا سلم منها قوى الباعث فهذا وأمثاله من الأسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان مع ذلك ربما يسد عن العمل ويقول لا تامل فانك تكون مرآيا إذ كنت لا تامل في بيتك ولا تزد على صلاتك للعبادة وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم خوفا من ذمهم ونسبتهم إليه إلى الكسل لاسيما إذا كانوا يبتلون بهاء يقوم الليل فإن حسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فريدان يحفظ منزلته وعند ذلك يقول الشيطان صل فانك خامس ولست تصل لأجلهم بل لله وإنما كنت لا تصل كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا أمر مشتبه إلا على ذوى البصائر فإذا عرف أن المهر كره الرياء فلا يبتني أن يزيد على ما كان يتباده ولا ركة واحدة لأنه يسعى الله بطلب محبة الناس بطاعة الله وإن كان ابتاعه لدفع العوائق وتحرك النشوة وللنافة بسبب عبادتهم فليوافق علامة ذلك أن يمرض على حقه أنه لو رأى هؤلاء يصومون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب هو في ذلك الوضع بينه هل كانت حقه تسخروا بالصلاة وهم لا يرونه فإن سخط حقه فليصل فإن باعته الحق وإن كان ذلك يتصل على حقه لو غاب عن أعينهم فليتركه فإن باعته الرياء وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة مالا يحضره كل يوم ويمكن أن يكون ذلك حب حدم ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارن نزوع النفس إلى الجهاد فهما علم أن الطالب على قلبه إرادة الدين فلا يبتني أن يترك العمل بما يحمد من جبال بل يبتني أن يرد ذلك على حقه بالكراهية ويستغل بالعبادة وكذلك قد يبيى جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لامن الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحسلا يبيى ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيبكي تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على حقه قساوة القلب حين يكون ولا تسمع عنه فيبكي تسكفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه أن يعرض على حقه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان خلاف على حقه قساوة فيبكي أم لا فإن لم يجد ذلك عند تدبير الاختفاء عن أعينهم فأنما خوفه من أن يقال إنه قاسى القاب فينبني أن يترك التباكي . قال قزمان عليه السلام لانيه : لا ترى الناس أنك تغشى الله ليكرموك وقابك فاجر وكذلك الصيحة والتنفى والأبين عند القرآن أو الله ذكر أو بعض مجاري الأحوال

فكان الفقراء يلبسون  
الرقع وربما كانوا  
بأخدود المحرق من  
الزابل ويرقون بها  
نومهم وقد فعل ذلك  
طائفة من أهل الصلاح  
وهؤلاء ما كان لهم  
معلوم يرجعون إليه  
فكما كانت رقاعهم  
من الزابل كانت  
لصبرهم من الأبواب .  
وكان أبو عبد الله  
الرقاعي مثابرا على  
الفقر والتوكل ثلاثين  
سنة وكان إذا حضر  
للفقر طعام لا يأكل  
معه فيقال له في ذلك  
يقول أتم فأكون  
بحق التوكل وأنا  
أكل بحق للسكنى ثم

تارة تكون من الصدق والحزن والحنف والتذلل والتأسف وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس والأعين وشحازن وذلك محمود وقد تحترق به الرغبة فيه لدلالة على أنه كثير الحزن يعرف بذلك فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرها لم يكلؤه وتباكيه وإن قبل ذلك وركن إليه قبله حبط أجره وضاع سعيه وفرض لسلطان الله تعالى به وقد يكون أصل الأئين عن الحزن ولكن يمدح ويؤيد رفع الصوت فتلك الرياء رياء وهو محذور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء قد يهيج من الحواف ما لا عليك البسمه تسهول لكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفعه أو حفظ البسمه على الوجه حتى يصير بهد أن استرسلت لغية الله ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء وكذلك قد يسمع الله كره تفضيف قواه من الحواف فيسقط ثم يستحي أن يقال له إنه سقط من غير زوال عقل وحال شديد فيزعم ويواجه تكلفا ليرى أنه سقط لكونه منشيا عليه وقد كان ابتدء السقطه عن صدق وقد يزول عنه فيسقط ولكن يخيق سريعا فتجزع منه أن يقال حاله غير ثابت وأما هي كبري خائف فيستدبر الرقة والرقص ليرى دولم حاله وكذلك قد يفتيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سر ما يفرج أن يقال لم تكن غشيت به صحبة ولو كان لدم ضفه فيستدبر إظهار الضعف والأئين فيتنكى على غيره يرى أنه يصف من القيام وضمايل في التلى ويقرب الخطا ليطهر أنه ضعف من سرعة التلى فهذه كلها مكاييد الشيطان ونزغات النفس فإذا خطرت ضلالتها أن يذكر أن الناس لو عرفوا حقائقه الباطن والمطلوع على ضيمه لقتوه وإن الله مطلع على ضيمه وهو لها شغفتا كجروى عن ذي التورن رحمة الله أنه قام وزعم قيام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال يا شيخ الذى يرالك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال التناقين وقد جاء في الخبر «تولدوا باليمن خشوع النفاق» وإياها شروع النفاق أن تخضع الجوارح والقلب غير خاضع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغشيه فإن ذلك قد يكون خاطرا خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للعبادة أنه يمدح خواطر تدعى القلب متفاداة مترادفة متفاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما خاطرك وانظره وهو من أين هو فإن كان له فأمضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفى عليك شيء من الرياء الذى هو كديب الخمل وكفى على وجل من عبادته أهى مقبولة أم لا ؟ لحوفك على الإخلاص فيها واحذر أن يتبدد ذلك خاطر الركون إلى مخدم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك ما يكثر جدا فإذا خطر لك تفكير في اطلاع الله عليك ومقت لك وتذكر ما لله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام لإدلاله أيوب ما أعلنت أن العبد فضل عنه علانيته التي كان يخاف بها عن نفسه ويعجزى بسريره وقول بعضهم أعوذ بك أن يرى الناس أذى أخشاك وانت لى مالت . وكان من دعا على بن الحسين رضى الله عنهما : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامة الميون علانيي وتضيق لك فيما أشاء سررت محافضا على رياء الناس من قسى ومضيا لما أنت مطلع عليه منى أبدى لناس أحسن أمرى وأفضى إليك بأسوا على تهرب إلى الناس بحسناتى وقرار مني إليك بيتاني فيحل في مقتك ويجب على غضبك أخذت من ذلك يلرب المالبين وقد قال أحد الثلاثة لله يا أيوب عليه السلام يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا إعلانيتهم وأشاعوا سرارهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسود وجوههم فهذه جعل آفات الرياء ، فليرقب العبد قلبه إنقب عليها في الخبر « إن الرياء سبعين بابا »<sup>(١)</sup> وقد عرفت أن بعض الأغصان من بعض حق إن بعضه

يخرج بين الصالحين يطلب الكسب من الأبواب وهذا شأن من لا يرجع إلى معلوم ولا يدخل تحت منة . حتى أن جماعة من أصحاب الرقات دخلوا على بصرى الحرث فقال لهم يا قوم اتقوا الله ولا تظهروا هذا الزى فانكم معروفون ومكرمون ففعلوا كلهم فقال له غلام منهم الحمد لله الذى جعلنا من يعرف به ويكرم له والله ليظهرن هذا الزى حتى يكون الدين كله له فقال له بصرى أحسنت يا غلام مثلك من يلبس الرقة فكان أحدم

(١) حديث. تولدوا بالله من خشوع النفاق البيهقي في الشعب من حديث أبو بكر الصديق وفيه الحارث بن عبيد الإيادي ضفنه أحمد وابن معين (٢) حديث الرياء سبعون بابا هكذا ذكر

مثل ديب النمل وبسده أخفى من ديب النمل وكيف يدرك منهو أخفى من ديب النمل إلا بسده التقدر والراقة وليته أدرك بسده بذل المجهود فكيف يطمع في إدراكه من غير تحقّق للقلب وانتحان للنفس وتفتيش عن خضعها ، فسأل الله تعالى الصافية بينه وكرمه وإحسانه .

( بيان ما ينيى لغيره أن يلزم نفسه قبل العمل وبسده وفيه )

اعلم أن أولى ما يلزم للريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعم الله في جميع طاعاته ولا يتعبد بعم الله إلا لمن لا يخفى إلا الله ولا يرجو إلا الله فأما من خاف غيره وارتجوه انتهى اطلاعه على محاسن أحواله فإن كان في هذه الرتبة فاليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة القلوب والاعمال لما فيمن خطر التمرض للفتن وليراقب نفسه عند الطاعات المطيبة الشاقة التي لا قدر عليها غيره فإن النفس عند ذلك تكاد تقلّ رحاصيل الانقضاء وتقول مثل هذا العمل العظيم أو الحروف العظيم أو اليكاه العظيم لوعرفه الخلق منك لسجدوا لك فمافي الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفائه فيعمل الناس عملك ويتكبرون قدرك وحرمون الاقتداء بك قبي مثل هذا الأمر ينيى أن يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم تلك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد وعظم غضب الله ومقتته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم أن إظهاره لغيره عجب إليه وسقوط عند الله وإحباط العمل العظيم فيقول وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون على رزقي ولا أجل فيأتي بذلك قلبه ولا ينيى أن يأس منه فيقول إنما يقدر على الاخلاص الأقواء فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من للثني لأن الثني إن فسدت نوافقه بقيت الرخصة كاللثة تامة والمخلط لا يخلو فرأى من التقصان والمجابة إلى الجبران بالتواضع فإن لم يسلم صار مأخوذا بالقرائن وهلك به فالتواضع إلى الاخلاص أحوج . وقد روى نجم الهادي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « صاحب البديوم القيامة فإن قص فرضه قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكل به فرضه وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه فألقى في النار » (١) فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجابه في جبر القرائن وتكثير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلاص التواضع وأما للثني لجهد في زيادة الدرجات فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجع على السيئات فيدخل الجنة فإذا ينيى أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه تنصع نوافقه ثم يلزم قلبه ذلك بسده الترفع حتى لا يظهره ولا يتحدث به وإذا فعل جميع ذلك فلينيى أن يكون وجلا من عمله خائفا أنه ربما داخه من الرياء الحق ما لم يخف عليه فيكون شاكا في قوله ورجبه مجوزا أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسيما ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبسده إلا في ابتداء العقد بل ينيى أن يكون متيقنا في الابتداء أنه محض ما يريد بسده إلا الله حتى يصح عمله فإذا

يقى زمانه لا يطوى به  
ثوب ولا يملك غير  
ثوبه الذي عليه .  
ودوى أن أمير  
للؤمنين عليا رضي الله  
عنه ليس قبضا لمعتره  
بثلاثة دراهم ثم قطع  
كفه من رهوس أصابه  
وروى عنه أنه قال  
لأمر بن الخطاب إن  
أردت أن تأتي صاحبك  
فرحم ليصك واخضع  
ملكك وقصر أملاك  
وكل دون الشبع .  
وحكى عن الجريري  
قال كان في جامع بئله  
رجل لا تكاد تجده  
إلا في ثوب واحد في  
الشاء والصيف فقتل  
عن ذلك فقال قد

الصف هذا الحديث هنا وكأنه تمسّخ عليه أو على من قلّه من كلامه أنه الرياء بالشاء وإما هو الرياء بالموحدة والرسوم كتابته بالوالمحدث روله ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ الرياء سبعون حوبا أسرها أن ينسج الرجل أمه وفي إسناده أبو مشر وأسمه نجيب غثلب فيه وروى ابن ماجه أيضا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الرياء ثلاثة وسبعون بابا . وإسناده صحيح هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات وقد روى الزهرا حديث ابن مسعود بانظ الرياء بتع وسبعون بابا والشرك والله أعلم (١) حديث نجم الهادي في إكمال فريضة الصلاة بالتطوع أبو داود وابن ماجه وتضمن في الصلاة .

شرع ومضت لحظة يمكن فيها النفقة والفسيان كان الخوف من النفقة عن شائبة خفية أصبحت عمله من رياء أوجب أولى به ولكن يكون رجاءه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالأخلاص وعك في أنه هل أفسده رياء فيكون رجاء القبول أغلب وبذلك تعظم له في التاجاة والطاعات، والإخلاص يبين والرياء شك وخوفه لذلك الشك جذرياً أن يكثر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه ، ولقي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإقامة الميضي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل للتعم بعله فقط دون شكر ومكانة وحسد وثناء من التعم ولتعم عليه فإن ذلك يحبط الأجر فهما موقع من التعم مساعدة في شغل وخدمة أومارقة في الطريق ليستكثر باستيقاعه أو تردداً منه في حاجة قد أخذ أجره فلا ثواب له غيره ، نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعله ليكون كمثال أجره ولكن خدمة التلذذ بنفسه قبل خدمة فترجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا كان لا ينتظره ولا يريد منه ولا يستعبد منه لوقطعه ومع هذا قد كان العلماء يحدرون هذا حتى إن بعضهم وقع في شره قوم زادوا حبلا ليرفضوه لخلاف عليهم أن لا يفتق معهم من قرأ عليه آية من القرآن أومع منه حديثاً خيفة أن يحبط أجره ، وقال شقيق البلخي أهديت لسيان الثوري قوماً فرده عليّ فقلت له يا أبا عبد الله لست أؤمن بسمع الحديث حتى ترد عليّ قال علت ذلك ولكن أخوك يسمع من الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين قلبه . وجاء رجل إلى سفيان بن عيينة أوبديتين وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأتميه كثيراً فقال له يا أبا عبد الله في شك من أبي شيء فقال رحمه الله أباك كان وكان وأني عليه قال يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار هذا للسال إلى فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك قال قبل سفيان ذلك قال فلما خرج دل لولده يا مبارك الحق فرده عليّ فرجع فقال أحب أن تأخذنا لك فلم يزل به حتى رده عليه وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى ففكره أن يأخذ ذلك قال ولله فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت وملك أي شيء فملك هذا حجارة عد أنه ليس لك عيال أما ترسمي أما ترسم إخوتك أما ترسم عيالتك فأكرهت عليه فقال لي يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مرثياً وأسأل عنها أنا ، ففطن يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في لعمته الناس به فقط ويجب على التعم أن يلزم قلبه حمد الله وطلب ثوابه ونيل للترقة عنده لا عند العلم وعند الخلق وربما يظن أن له أن يرأى بطاعته لينال عند العلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال والعلم وربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملاً هذا على قوم علم وذلك غير جائز بل ينبغي أن يعلم لله وبسده لله ويحتمل الله له لا يكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون كعلمه طاعة فإن العباد أمروا أن لا يبغوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يحتمل أبويه لا ينبغي أن يحسبهما لطلب للترقة عندهما إلا من حيث إن رضا الله عنه في رضا الوالدين ولا يجوز له أن يرأى بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فإن ذلك مصيبة في الحال ويكشف الله عن رياءه وتقص منزله من قلوب الوالدين أيضاً وأما الواحد للترقة عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بصله ولا يعطر قلبه معرفة الناس بهذه واستغفارهم عمله فإن ذلك يفسد الرياء في صدره حتى تيسر عليه العبادات في خلوته به وإنما شكوته لمعرفة الناس باعتذارهم واستغفارهم له وهو لا يدري أنه الخائف للعمل عليه . قال إبراهيم بن آدم رحمه الله تلمعت لمرقة من راهب قال له سمعان دخلت عليه في ضومته فقلت يا سمعان منذ كم أنت في صومتك قال منذ سبعين سنة قلت لم أطماعك قال يا حنيئ ومادالك إلى هذا قلت أحبيت أن أعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يبرح من

كنت ولست بكنوة ليس  
التياب فرأيت ليلة فيها  
يرى الناس سكان  
دخلت الجنة فرأيت  
جماعة من أصحابنا من  
الفقراء على مائدة  
فأردت أن أجلس  
مهم فإذا بجماعة من  
للائكة أخذوا يدي  
وأقاموني وقالوا لي  
هؤلاء أصحاب ثوب  
واحد وأنت لك  
فيصان فلا تجلس معهم  
فانتهيت ونلت أن  
لا أليس إلا ثوباً واحداً  
إلى أن أتى الله تعالى .  
وقيل مات أبو يزيد  
ولم يترك إلا قصبة القدي  
كان عليه وكان طرية  
فردوه إلى صاحبه .

قلبك حتى تتكلم هذه الحصة قال ترى العبد الذي يحذرك قلت نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها وحظيوني فكلما تناقلت غنى عن العبادة كثرها عز تلك الساعة فأنا أحمل جهد سنة لزم ساعة فاحتمل يا حنيني جهد ساعة لزم الأبد فوفر في قلبك للرفة فقال حسبك أو أزيدك ؟ قلت بلى قال أنزل من الصومعة فنزلت فأثني لي ركة فهاشعرون حصمة فقال لي ادخل الدبر فقد رأوا ما دلت إليك فما دخلت الدبر اجتمع على التصاريق قالوا يا حنيني ما الذي أدلى إليك الشيخ قلت من قوته قالوا فما صنع به ونحن أحق بهم قالوا سمعنا قلت عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال يا حنيني ما الذي صنعت قلت بيته منهم قال بكم قلت بعشرين ديناراً قال أخطأت لو صاومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك هذا عز من لا يعبده فأنظر كيف يكون عز من عبده ، يا حنيني أتقبل على ربك ودع العذاب والجيلة. ولتصدق أن استشار النفس عز العظمة في القلوب يكون ابتاعاً في الخلوة وقد لا يشرع العبد به فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده واليهائم بثابة واحدة فلو قهروا عن اعتقادهم له لم يجمع ولم يضيق به ذمراً إلا كراهة ضيقة وإن وجدها في قلبه فبردها في الحال بقله وإعانة فاته لو كان في عبادة وأطلع الناس كلهم عليه لم يزد ذلك خشوعاً ولم يداخه سرور بسبب اطلاعهم عليه فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن إذا قدر على رده بكرة العقل والإيمان وبأدرك ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فربحى لأن لا ينجب سبه إلا أن يزعم أنه مشاهدتهم في الخشوع والاحياء كي لا ينسبوا إليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهواتها الخفية إظهار الخشوع وتتمثل بطلب الاحياء فيطالها في دعواها قصد الاحياء بموتق من الله غليظ وهو أنه لو علم أن احياءهم عنه إنما حصل بأن جدوا كثيراً أو مضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتسمع نفسه بذلك فإذا لم تسمع وصحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها للزلة عندهم ولا ينجو من ذلك إلا بمن تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده وكان يسهله فلا يفتن قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضيقة لا يثق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصنق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد بعد إقبال التي زيادة هزة في نفسه ، لا كرامة إلا إذا كان في التي زيادة علم أو زيادة ورع فيكون مكرماً به بذلك الوصف لا بالتي فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مرء أو طماع والأفانظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويحب إلى القلب للسكينة والنظر إلى الأغنياء بخلافه فكيف استروح بالنظر إلى التي أكثر مما يستروح إلى الفقير ، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس مغيان الثوري كان مجلسهم وراء الصف وقدم الفقراء حتى كانوا يمينون أنهم قراء في مجلسه ، ثم لك زيادة إكرام التي إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في قبر لكتلت لاضمم التي عليه في إكرام وتوقير أئمة فان الفقير أكرم على الله من التي فإشاركه لا يكون إلا طمعاً في غناه ورياء به فهذا سموت بينهما في المجالسة فيخشي عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للتي أكثر مما تظهره للفقير وإنما ذلك رياء خفي أو طمع خفي كما قال ابن السكك لجارية له مالى إذا أتيت بقداد فخذني إلى الحكمة قتالت الطمع يحد لسانك وقد صدقت فإن اللسان ينطق عند التي بما لا ينطق به عند الفقير وكذلك يخشى من الخشوع عنده مالا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينحصر منها إلا أن تخرج ملامهى الله من قلبك وتجدد بالشفقة على نفسك بغير عزمك

وحكى لنا عن الشيخ حماد شيخ هيجنا أنه في زماننا لا يلبس الثوب إلا مستجراً حتى إنه لم يلبس على ملك نفسه شيئاً وقال أبو حنيفة الحداد إذا رأيت وصاة الفقير في ثوبه فلا ترجو خيريه وقيل مات ابن الكرنبي وكان أستاذ الجبدي وعليه مرقته قيل كان وزن فردكم له وغارجه ثلاثة عشر رطلاً قد يكون جمع من الصالحين على هذا أثرى والتخفن وقد يحكون جمع من الصالحين يتكفون لبس غير للرقع وزى

ولا ترضى لها بالثر بسبب شهوات منغصة في أيام متفاربة وتكون في الدنيا تملكك من ملوك الدنيا قد أمكنت الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم أنه لو احتسى وجاهد شهوته عاش ودلم ملكه فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحلف الصداقة وعود نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على يشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدته كل يوم يزداد تحولا قلقة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم قصا لشدافته فيها نازعت نفسه إلى شهوة تنسك في توالى الأوجاع والآلام عليه وأداه ذلك إلى اللوث للفرق بينه وبين ملكته للوجب لثمانية الأعداء به ومهما اهتمد عليه شرب دواء تنسك فيها يستغديه منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنئ وبدن صحيح وقلب رضى وأمر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة للكروحات فكذلك المؤمن للريد ملك الآخرة احتسى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجترى منها بالقليل واختار التحول والدبول والوحشة الحزن والخوف وترك اللؤاسة بالخلق خوفا من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك ورجاء أن ينجو من عذابه غف ذلك كله عليه عند عتة حينه وإيمانه بإقية أمره وبما أعد له من التمتع للقيم في رضوان الله أبد الآباد ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل ليعاده للريدن لمرشاته عونا وبهم ردوفا وعليم عطوفا ولوهاء لأغنام عن التعب ولكن أراد أن يلوهم ويرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلا ثم إنما تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الإعياء وسهل عليه الصبر وجب إليه الطاعة ورزقه فيها من لمة للتاجاة ما يليه عن سائر اللذات وغوى على إماعة الشهوات ويتولى سياسته وتكوينه وأمدته بمحنته فإن الكريم لا يضيع سعى الراجى ولا يغيب أمل الحب وهو الذى يقول : من تحرب إلى شبرا تحربت إليه ذراعا . ويقول تعالى : لقد طال حوق الأبرار إلى قتلى وإلى قتلى قاتلهم أهد حوقا . فليظهر العبد في البدايات جده وصدقوا إخلاصه فلا يوزمن الله تعالى على القرب ما هو الثلاثى بجموده وكرمه ورأفته ورحمته . ثم كتبت ذم الجاه والرياء والحمد لله وحده .

### ﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

( وهو الكتاب التاسع من ربيع للهلكات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الخالق البارئ للصور العزيز الجبار الشكور العلى الذى لا يمشه عن مجده وامنه الجبار الذى كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع فهو القهار الذى لا يدقعه عن مراده دافع التنى الذى ليس له شريك ولا منازع القادر الذى بهر أصار الخلاق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستبلاؤه وحصر ألسن الأنبياء وصفه وتناؤه وارتفع عن حد قدرتهم إحصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالسبح عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالنظمة إزاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيها قسمه بداء للوث فأعجزه دواؤه جل جلاله وتقدس أسماؤه والصلاة على محمد الذى أنزل عليه التور للتقصر منياؤه حتى أشرفت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه وعلى آله وأصحابه الذين هم أحياء الله وأوليائؤه وخيرته وأصفيائؤه وسلم تسليما كثيرا .

﴿ كتاب ذم الكبر والعجب ﴾

الافتراء ويكون نعيم في ذلك ستر الحال أو خوف عيب الهوى بواجب حق للرقعة وتقول كان أبو حصن الحداد يلبس التاعم وله بيت فرش فيه الرمل له كان يتم عليه بلاوطا وقد كان قوم من أصحاب الصفة يكرهون أن يصلوا بينهم وبين القرب سائلا ويكون ليس أبي حصن التاعم يعلم ونية بلى الله تعالى بسننها وههكذا الصادقون إن ليسوا غير الحشمن من التوب نية تكون لهم في ذلك فلا يترض

[أما بعد] قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيما قسمته<sup>(١)</sup>» وقال **عليه السلام** «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للرء بنفسه<sup>(٢)</sup>» والكبر والعجب داءان مهلكان وللتكبر والنجب سقيان مرصان وهما عند الله مقوتان بيشان وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب لإيضاح الكبر والسبب قاتهما من قبائح الرديات ونحن نستقصي مياتهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشرط في النجب: الشطر الأول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة التكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر وبيان ماه التكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان أخلاق للتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان الممود من خلق التواضع وللمدوم منه .

### (بيان ذم الكبر)

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذر كل جبار متكبر قد قال تعالى صا صر عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - وقال عز وجل كذلك يطلع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى - واستنصروا وخاب كل جبار عييد - وقال تعالى - إنه لا يجب للتكبرين - وقال تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وذر الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وقال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم ولا أبالي<sup>(٣)</sup>» وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال اتفق عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتوافقا فقال ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب فقالوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكرهه الله في النار على وجهه<sup>(٤)</sup>» وقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** «لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيه ما أصابهم من العذاب<sup>(٥)</sup>» وقال سلمان بن داود عليهما السلام يوما لطيف والانس والجن والبهائم أخرجوا غروا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى مع زجل للائكة التسبيح في السموات ثم خفض حتى مسمت أقدامه البحر فسمع صواتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لحسفت به أيدهما وفتوا وقال

(١) حديث قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى فيما قسمته الحاكم في المستدرک دون ذکر البظمة وقال صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسأى بعد حديثين بلفظ آخر (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث البزار والطبرانی والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسندته في مقدمه أيضا (٣) حديث لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان مسلم من حديث ابن مسعود (٤) حديث أبي هريرة يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقته في جهنم مسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظه وقال أبو داود قد ذم في النار وقال مسلم عذبه وقال براديه وإزارا لنية وزاعم أبي هريرة أبا سعيد أيضا (٥) حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر كرهه الله في النار على وجهه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان في طريقه بسند صحيح (٦) حديث لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين الحديث الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب.

عليهم غير أن ليس  
الحسن والرقع يصلح  
لسائر المقراء بنية  
الفضل من الدنيا  
وزهرتها وبهجتها وقد  
ورد «من ترك توب  
جال وهو قادر على  
إسبه أسبه الله تعالى  
من حل الجنة» وأما  
لبس الناعم فلا يصلح  
إلا لعالم بحاله بسير  
بصفات حقه متفقد  
خفى ثبوت النفس  
يقضى الله تعالى بحسن  
النية في ذلك فلحسن  
النية في ذلك وجوه  
متعددة يطول شرحها  
ومن الناس من لا يقصد  
لبس قوب يمينه  
لا خشو تهولا لثومته

صلى الله عليه وسلم « يخرج من النار خلق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمسورين <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة جبار ولا جبار ولا سيء للكل <sup>(٢)</sup> » وقال <sup>(٣)</sup> « حاجت الجنة والنار قالت النار أوترت بالتكبرين والتعجبين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضئاف الناس وسقاطهم وهمزهم فقال الله الجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال النار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منك ماؤها <sup>(٤)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « بش البديع عجبر واعتدى ونسى الجبار الأمل بش البديع حيد عجبر واختال ونسى الكبير الضلال بش البديع غفل وسها ونسى القابض والليل بش عبد عتا وبني ونسى البذا وللتني <sup>(٥)</sup> » وعن ثابت أنه قال « بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده لوث <sup>(٦)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسألكم بأثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر وأمرها بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة للوزان ووضعت لاله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرحم منهما ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لاله إلا الله عليها لقصمتها وأمرها يسبحان الله ومحمد فاتها ملائكة كل شيء وبها يرزق كل شيء <sup>(٧)</sup> » قال السج على السلام : طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يت جبارا . وقال صلى الله عليه وسلم « أهل النار كل جسطري جواط مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء القلون <sup>(٨)</sup> » وقال صلى الله عليه « وسلم « إن أحكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحسنكم أخلاقا وإن أبضكم أخلاقا أهدكم منا الثرا فaron « للتشدقون لتضيقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرا دون وللشدقون قالوا لا لتضيقون قالوا لا لتضيقون <sup>(٩)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يحضر للتكبر يوم القيامة في مثل صور النمر تطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يملؤهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سبعين في جهنم قاله بولس يملؤهم ذرا الأنيار يسقون من طين الحبال عصارة أهل النار <sup>(١٠)</sup> » وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

بل بليس ما يدخله الحق عليه فيكون بحكم الوقت وهذا حسن وأحسن من ذلك أنه يتفقد نفسه فيه فإن رأى لنفسه شرها وشهوة خفية أو جلية في التوب إلى الله عليه يخرجها إلا أن يكون حاله مع الله ترك الاختيار فنسد ذلك لاسمه إلا أن بليس التوب إلى سالفه الله إليه وقد كان شيئا أبو التجب السهروردي رحمه الله لا يتقيد بهيمة من اللبوس بل كان بليس ما يتقن من غير تعد تكلف

(١) حديث خرج من النار خلق له أذنان الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث لا يدخل الجنة جبار ولا جبار ولا سيء للكل تهم في أسباب الكسب والماش وللروف خائف مكان جبار (٣) حديث حاجت الجنة والنار قالت النار أوترت بالتكبرين وللتعجبين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث بش البديع عجبر واعتدى ونسى الجبار الحديث الترمذي من حديث أسماء بنت حميس بزيادة فيه مع تهم وتأخير وقال غريب وليس إسناده بالقوي ورواه الحاكم في المستدرک وصححه ورواه البيهقي في الشعب من حديث شبيب بن عمارة وضعفه (٥) حديث ثابت بلغنا أنه قيل يارسول الله ما أعظم كبر فلان قال أليس بعده لوث البيهقي في الشعب هكذا رسلا لفظ عجبر (٦) حديث عبد الله بن عمرو إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أسألكم بأثنتين وأنها كما عن اثنتين أنها كما عن الشرك والكبر الحديث أحمد والبخاري في كتاب الأدب والحاكم بزيادة في قوله قال صحيح الاسناد (٧) حديث أهل النار كل جسطري جواط مستكبر جماع مناع وهذه الزيادة عندهما من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل قتل جواط مستكبر (٨) حديث إن أحكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحسنكم أخلاقا الحديث أحمد من حديث أبي ثعلبة الخفسي بلطف إلى متى وفيه انقطاع ومكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث (٩) حديث يحضر للتكبر يوم القيامة ذرا في صور الرجال الحديث الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال حسن غريب .



« يحسر الجبارون ولتسكبون يوم القيامة في صور القبر تطوّم الناس لمواهب على الله تعالى (١) »  
وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن بك حديثي عن أبيه عن  
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في جهنم واديا يقال له ههيب حق على الله أن يسكنه كل جبار  
قال يا بلال أن تكون بمن يسكنه (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في النار قصيرا يحمل فيه  
التسكبون ويطلق عليهم (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أعوذ بك من خفة الكبرياء (٤) »  
وقال « من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة: الكبير والله بن والتاويل (٥) » الآثار:  
قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله  
كبير ، وقال وهب لمخلوق الله جنة عدن نظر إليها فقال أمت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن  
قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصب ماد رجليه فبقي بهما وقد أحنف  
فرجيه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال هيا لابن آدم يتكبر وقد خرج من جبري البول  
مرتين ، وقال الحسن السجب من ابن آدم يشعل الحمر يده كل يوم مرة أو مرتين ثم يمرض جبار  
السماوات ، وقد قيل في - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وسبيل التاويل والبول ، وقد قال محمد بن الحسين  
ابن علي مادل قلبا مريئيا من الكبر قط إلا نص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو أكثر.  
وسئل سليمان عن السبيبة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر ، وقال النعمان بن بشير على النثر إن الشيطان  
مسالي وغلوها وإن من مسالي الشيطان وغلوها البطر بأثم الله والقصر باعطاء الله والكبر على عباد  
الله وإتباع الهوى في غير ذات الله ، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة عنه وكرمه .  
( بيان فم الاختيال وإظهار آثار الكبر في النسي وجبر الثياب )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا (١) » وقال صلى الله عليه  
وسلم « بينا رجل يبتدر في برده إذ أجمته قسه تخفف الله به الأرض فهو يتجلبل فيها إلى يوم  
القيامة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » وقال

(١) حديث أبي هريرة يحسر الجبارون ولتسكبون يوم القيامة في صور القبر الحديث الزاير هكذا  
مختصرا دون قوله الجبارون وإسناده حسن (٢) حديث أبي موسى إن في جهنم واديا يقال له ههيب  
حق على الله أن يسكنه كل جبار أبو يعلى والطبراني والحاكم وقال صحيح الإسناد قلت فيه أزهري بن  
سنان ضمه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث (٣) حديث ابن في النار قصرا  
يحمل فيه التسكبون ويطلق عليهم السجب في الشعب من حديث أنس وقال توابت مكان قصرا وقال  
فيثقل مكان يطلق وفيه أبان بن أبي عياش وهو ضعيف (٤) حديث اللهم إني أعوذ بك من خفة الكبرياء  
لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ في أثناء حديث  
أعوذ بالله من الشيطان من خفة وخفته وهمزة قال فقه الشعر وخفته الكبر وهمزة للوثة ولأصحاب  
السنن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تسكلم فيه أبو داود وقال الترمذي هو أشهر حديث في هذا  
الباب (٥) حديث من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاثة دخل الجنة : الكبير والله بن والتاويل  
الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ثوبان وذكر السلف لهذا الحديث هنا مواقف المشهور في  
الرواية أنه الكبر بالموحدة وإلا لم يكن ذكر ابن الجوزي في جامع السائدين عن الأثر فقل قال إسماعيل  
السكن بالثوب والزاي وكذلك أيضا ذكر ابن مردويه الحديث في ضمير - والله بن يتكبرون السجب  
والقصة - (٦) حديث لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطرا متفق عليه من حديث أبي هريرة .  
(٧) حديث بينا رجل يبتدر في برده قد أجمته قسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

واختيار ، وقد كان  
يلبس العمامة بشرة  
دنانير وبأس العمامة  
بدانق ، وقد كان الشيخ  
عبد القادر رحمه الله  
يلبس هيئة ضوضوعة  
ويشعل بلس وكان  
الشيخ بن الحقيق  
يلبس لبس قصراء  
السواد وكان أبو بكر  
القراء يزجيان بلبس  
فروا خشنا كآحاد  
الدوام ولكل في لبسه  
وهيئة نية صالحة  
وشرح تفاوت الأقدام  
في ذلك بطول ، وكان  
الشيخ أبو السعود  
رحمه الله حاكم مع الله  
ترك الاختيار وقد  
يساق إليه الثوب

زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فرأى به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»<sup>(١)</sup> وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى : إن آدم أتجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوتك وعدلتك مشيت بين بردن وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أصدقي وآئي أوان الصدقة»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا مشيت أمتي للطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلم الله بضمهم على بسن»<sup>(٣)</sup> قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان»<sup>(٤)</sup> الآثار : عن أبي بكر المذلي قال بينا نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهمم يريد القصور وعليه جياب خز قد فسد بضها فوق يميني على مائة واثني عشر جبايا فمروا وهو يمشي يتبخر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أوف شامخ بأنته ثاني عطفه مصر خذ بنظر في عطفه أي حريق أنت تنظر في عطفك في ثم غير مشكورة ولا مذكرة غير الأخذ بأمر الله فيها ولا للؤدوي حق الله منها والله أن يضي أحد طبعته يحتاج تخليج الجنون في كل غشوم من أعضائه الله ليعتق الشيطان به فتنة فسمع ابن الأهمم فرجع مبتدر إليه فقال لا تمسك إلى وب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى سولا تعصى في الأرض مرعا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ومر الحسن خاب عليه رزة له حسنة فدهاه فقال له ابن آدم مسج بيشابه عبدا لئلا تله كان القبر قد دلوى بدتك وكانك قد لايت حملك وعك داو عليك كان حاسبة الله إلى الصبا صلاح قلوبهم . وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فمزجه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خره فقال عمر كالمسند ياعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تفتها ، ورأى محمد بن وليم وهو غثال فدهاه وقال أندري من أنت أما لك فأشتر بها بما في يدي وما أبوك فلا كثر الله في السلفين مثله ، ورأى ابن عمر رجلا يمر بإزاره فقال إن الشيطان إخوانا كرههم بين أولئنا ، وروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى للهب وهو يتبخر في جيبه فقال لعبد الله هذه مشية يضها الله ورسوله فقال له للهب أما تفرق فقال بل أعزتك أولئك نطفة قدسيرة وآخر كجيفة قدسرة وأنت بين ذلك تحمل المذرة فضي للهب وترك مشيته تلك ، وقال مجاهد في قوله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتطلى - أي يتبخر ، وإذ قد ذكرنا ذلك الكبور والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع والله تعالى أعلم .

( بيان فضيلة التواضع )

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما زاد الله عبدا بغوا إلا عزوا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما من أحد إلا وسع له مكان وعليه حكمة يسكنها به فان هورفع نفسه

(١) حديث ابن عمر لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء . ورواه مسلم مقتصر على الرفع دون ذكر مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر وهو رواية لمسلم أن للار رجل من بني ليث غير مسمى (٢) حديث ابن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق يوما على كفه ووضع أصبعه عليها وقال يقول ابن آدم أتجزني وقد خلقتك من مثل هذه الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه إسناده من حديث بهر بن جهاش (٣) حديث إذا مشيت أمتي للطيطاء الحديث الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر الطيطاء بضم اللام وضع الطائرين للمهملتين بينهما مشاة من تحت مصفرا ولم يستعمل مكبرا . (٤) حديث من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر (٥) حديث ما زاد الله عبدا بغوا إلا عزوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم

الناعم قبله وكان يقال له دما يسبق إلى يواطن بعض الناس الانكار عليك في لبسك هذا الثوب فيقول لا تلقى إلا أحد رجلين رجل يطالبنا بظاهر حكم الشرع فيقول له هل ترى أن ثوبنا يكرهه الشرع أو عمره فيقول لا ورجل يطالبنا بمقتضى القوم من أبواب المذمة فيقول له هل ترى لنا فيما لبسنا اختيارا أو ترى عندنا فيه شهوة فيقول لا وقد يكون من الناس من يندرج على لبس الناعم وليس الحفن ولكن يجب

جبنها ثم قال اللهم ضمه وإن وضع نفسه قال اللهم ارضه <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأعتق مالا جمعه في غير محبة ورحم أهل الدار والسكنة وخالف أهل الفتنة والحكمة <sup>(٢)</sup>» وعن أبي سلمة اللدني عن أبيه عن جده قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائما فأقنناه عند إقطاره بحدس من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رصفوا فوجدوا حلاوة السبل فقال ما هذا؟ قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعوا لأماني لا أحرمه ومن تواضع لله رصفه الله ومن تكبر رصفه الله ومن اعتصد أغناه الله ومن بذر أقره الله ومن أكره ذكر الله أحبه الله <sup>(٣)</sup>» وروى «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في شهر من أصحابه بيته يأكلون قدام سائل على الباب وفيه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اعلم فكأن رجلا من قريش لما مات تركه فقامت ذلك إلى رجل حتى كانت بزمانة فماتها <sup>(٤)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً يئسني أن أرى أهما اختار وكان صفي من اللاتكة جبريل فرغت رأيي إليه فقال تواضع لربك قلت عباد رسول الله <sup>(٥)</sup>» وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «إنما أكبل ملائمة تواضع وتعلم وتعلم على خاتق وأكرم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل وقال <sup>(٦)</sup>» «الكرم التواضع والشرف التواضع واليقين التقى <sup>(٧)</sup>» وقال للشيخ عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا ثم أصحاب النار يوم القيامة طوبى للصالحين بين الناس في الدنيا ثم الذين يرثون القردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا ثم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم بلنبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إنما هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجهه في موضع غير شائن فهو رزقهم ذلك تواضعاً فلذلك من صفوة الله <sup>(٨)</sup>» وقال صلى الله عليه وسلم «أربع لأعطيهم الله إلا من أحب الصمت وهو أول البائدة

(١) حديث مامن أحد إلا ومعه مسكنان وعليه حكمة يحسبها الحديث القليل في الصفات واليهي في الشعب من حديث أبي هريرة واليهي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاماً ضيف (٢) حديث طوبى لمن تواضع في غير مسكنة الحديث النبوي وابن قانع والطبراني من حديث ركب المصري واليزار من حديث أنس وقد تقدم بصفه في العلم وبعده في آفات اللسان (٣) حديث أبي سلمة اللدني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقاء وكان صائماً الحديث وفيه من تواضع رصفه الله الحديث رواه اليزار من رواية طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة فقد كره نحوه دون قوله ومن أكثر من ذكر الله أحبه الله ولم يقل بقاء وقال السهفي في اليزار إنه خبره منكر وقد تقدم ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحدس فيه لبن وعسل الحديث وفيه أما إلى لا أزعم أنه حرام الحديث وفيه من أكره ذكر الموت أحبه الله وروى للنوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله ومن بذر أقره الله ذكره كافي قوله ومن أكره ذكر الله أحبه الله وتقدم في ذم الدنيا (٤) حديث السائل الذي كان به زمانة متكره وأما صلى الله عليه وسلم أجلسه على فخذه ثم قال اعلم الحديث لم أجده لأصله للوجود حديثاً كالمعجم ومجوده رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر وقال الترمذي غريب (٥) حديث خير نبي بين أمرين عبداً رسولاً وملكاً نبياً الحديث أبو يعلى من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن عباس وكلاماً للحدس ضيف (٦) حديث الكرم التواضع والشرف التواضع واليقين التقى: ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسل وأما الحاكم أوله من رواية الحسن عن حمزة وقال صحيح الإسناد (٧) حديث إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته الحديث الطبراني موقوف على ابن مسعود نحوه وفيه للسعودي يختلف فيه

أن يختار الله له هيئة  
خصوصة فيكثر البقاء  
إلى الله والافتقار إليه  
وسأله أن يراه أحب  
أزرى إلى الله تعالى  
وأصاحبه لمينه ودينه  
لكونه غير صاحب  
غرض وهوى في رضى  
ببسته قاله تعالى يفتح  
عليه ويرفه زياً  
عوضاً فيلزم  
بذلك أزرى فيكون  
لبسه بالله ويكون هذا  
أتم وأكمل ممن  
يكون لبسه لله. ومن  
الناس من يتوفر حظه  
من العلم وبسط بما  
بسطة الله فيلبس  
التوب عن علم

والتوكل على الله والتواضع والزهّد في الدنيا (١) وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تواضع العبد ربه الله إلى السماء السابعة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رقة تواضعوا يرحمكم الله (٣) » وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطمع فجاء رجل أسود به جذري قد تخرّس فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إنه ليسجني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه (٥) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً ما لي لأرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع (٦) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم للتواضعين من أمق تواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين تكبروا عليهم فإن ذلك مثله لهم وصار (٧) » . الآثار : قال عمر رضي الله عنه : إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكيمه وقال انشأ ربه الله وإذا تكبر وعدا طوره ربه الله في الأرض وقال انشأ خذاك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حق إنه لأحق عندكم من الخنزير . وقال جرير بن عبد الله : انتهت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطحه وقد جلوزت الشمس انقطع فسويته عليه ثم إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي قد كرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانهم من تواضع لله في الدنيا ربه الله يوم القيامة يا جرير أتندري ما غلة النار يوم القيامة ؟ قلت لا قال إن غلظ الناس بعضهم بعضاً في الدنيا . وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم لنخفلون من أفضل العبادات التواضع . وقال يوسف بن أسباط : يجزى قليل الورع من كثير العمل ويجزى قليل التواضع من كثير الاجتهاد . وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ماهو ؟ قال أن تخضع للحق وتقاو لو لم تستمعن من شيء قبلته ولو لم تستمعن من أجل الناس قبلته . وقال ابن المبارك : رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في لغة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدينك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدينك عليك فضل . وقال قتادة : من أعطى مالا أو جمالا أو ثيابا أو عطايا لم يتواضع فيه كان عليه وبال يوم القيامة . وقيل أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : إذا أنصمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أعفها عليك .

(١) حديث أربع لا يظلمهن الله إلا من جبه الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهّد في الدنيا الطيراني والحاكم من حديث أنس أربع لا يصبن إلا بسبب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكره الله في وقته الشيء قال الحاكم صحيح الإسناد قلت في العوالم بن جوربة قال ابن جبان يروي للوضعات ثم روى له هذا الحديث (٢) حديث ابن عباس إذا تواضع العبد ربه الله إلى السماء السابعة يبقى في الشعب نحوه وفيه زمة بن صالح ضفة الجمهور (٣) حديث إن التواضع لا يزيد العبد إلا رقة الحديث الأصفهاني في الترهيب والترهيب من حديث أنس وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جدا ورواه ابن عدى من حديث ابن عمر وفيه الحسن بن عبد الرحمن الاحتياضي وخارجة بن مصعب وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يطمع فجاءه رجل أسود به جذري فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه لم أجده هكذا وللشرف أ كله مع مجزوم روله أبو داود والترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث جابر كما تقدم (٥) حديث إنه ليسجني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه ، غريب (٦) حديث ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة ؟ قال التواضع ، غريب أيضا (٧) حديث إذا رأيتم للتواضعين من أمق تواضعوا لهم وإذا رأيتم للتكبرين تكبروا عليهم فإن ذلك لهم مثله وصار غريب أيضا .

وإيمان ولا يبالى بما لبسه ناعما ليس أو خشنا وربما لبس ناعما ولتفقه في اختيار وحظ وذلك الحظ فيه يكون مكفرا له محدودا عليه موهوبا له بواقفه الله تعالى في إرادته نفسه ويكون هذا الشخص تام الزكيات الطهارة عبوا مراد يسارع الله تعالى إلى مراده معاهبه خير أن ههنا مرة قسم لكثير من للدين . حكى عن يحيى بن حماد الرازي أنه كان يلبس الصوف والحلقان في ابتداء أمره ثم صار في آخر عمره يلبس الثام قبل لأبي يزيد ذلك

وقال كعب ما أتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نعمها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما أتم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لم يتواضع بها لله إلا نساه الله فيها في الدنيا وفتح له طيقا من النار يندب به إن شاء الله أو يتجاوز عنه. وقيل لبدالك ابن مروان أي الرجال أفضل ؟ قال من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك الصبر عن قوة. ودخل ابن السكيت من هرون قال يأمير المؤمنين إن تواضعك في شركك أشرف لك من شركك فقال ما أحسن ما قلت قال يأمير المؤمنين إن امرأ أتته الله في جماله في خلقته وموضا في حبه وبسط له في ذات يده صف في جماله وأوصى من ماله وتواضع في حبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدهاهرون بدواة وقطاس وكتبه يده . وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يسمي إلى السالكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين . وقال بعضهم كما تتركه أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فأكرمان يراك الفقراء في الثياب للزئمة . وروى أنه خرج يوتس وأيوب والحسن يتذكرون التواضع فقال لهم الحسن أندرون ما التواضع ؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولاتلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا . وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أفرق قوم نوح عليه السلام صفحت الجبال وتطاوت وتواضع الجودي فرسه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه . وقال أبو سليمان : إن الله عز وجل أطاع في قلوب الأدميين فلم يقبل أبدا أشد تواضعا من قاب موسى عليه السلام نحوه من بينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم أعلك في الرحمة لولائي كنت معهم لئلا أخشى أنهم حرماو يسبي وقال أرفع ما يكون للؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع مايكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد الجري : الزاهد ينهر تواضع كالشجرة التي لاتثمر . وقال مالك بن دينار : لو أن مناديا ينادي ياب السجد ليخرج ثم كرم رجلا وأفضا كان أحد يسبي إلى الباب إلا رجلا بغض قوة أوسى قال فما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذه صار مالك مالكا . وقال الفضيل : من أحب الرئاسة لم يزل أبدا . وقال موسى بن القاسم : كانت عندنا زلزلة ورجع حراء فنهبنا إلى محمد بن مقاتل قتلنا بالأيام الله أنت إمامنا فاقع الله عز وجل لنا نبيك ثم قال إيتني لم أكن بسبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل جاء رجل إلى الشيلي رحمه الله قال له ماتت ؟ قال نعم ماتت فقال أنا لانتظمت تحت لباء . قال له الشيلي إباد الله هاهنا أوجعل لنفسك موضعا . وقال الشيلي في بسى كلامه : ذل عطلذ اليهود . ويقال من يرى نفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . وعن أبي الفتح بن خرف قال رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام قتلته في يابا الحسن عظمي فقال لي ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله وأحسن من ذلك في الفقراء في الأغنياء هة منهم بالله عز وجل . وقال أبو سليمان : لا يتواضع البديع يعرف نفسه وقال أبو يزيد : مادام البديع يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قليل له في يكون متواضعا ؟ قال : إذا لم ير نفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل إنسان في قدر معرفته يره عز وجل ومعرفته بنفسه . وقال أبو سليمان : لو اجتمع الخلق في أن يضمنوا كاضاعي عند نبي ما قدروا عليه . وقال عروة بن الورد : التواضع أحد مصابيد الشرف وكل نعمة تعود عليها صاحبها إلا التواضع . وقال يحيى بن خالد البرمكي : الشرف إذا تفكك تواضع والسيف إذا تفكك ظم . وقال يحيى بن معاذ : التكبر على ذوى التكبر عليك عاله تواضع . ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الأغنياء أحسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح

[illegible]

وفي القراء أمّس ، ويقال لأعرّ إلا لمن تطلّ الله عز وجل ولا رفة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمر إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل . وقال أبو طي الجوزجاني :  
 النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والتسبيح والتعاونه إذا أراد الله تعالى به خيرا لعطف به في ذلك فإذا حاجت في نفسه نار الكبر أدرّكها التواضع مع نصرة الله تعالى وإذا حاجت نار الحسد في نفسه أدرّكها التصحّح توفيق الله عز وجل وإذا حاجت في نفسه نار الحرص أدرّكها القناعة مع عون الله عز وجل . وعن الجليل رحمه الله أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولائه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم (١) ما تكلمت عليكم . وقال الجليل أيضا : التواضع عند أهل التوحيد تكبر ولعل مراده أن التواضع يثبت نفسه ثم يضيها وللوحدة لا يثبت نفسه ولا رها حيثما حتى يضيها أو يرضها وعن عمرو ابن شبة قال كنت بمكة بين الصفاء واللوة فرأيت رجلا راكبا بقة وبين يديه غلمان وإدا هم يتنوّن الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنيت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت أنظر إليه وأنا له فقال لي مالك تنظر إلى قلت لمعيتك برجل رأيتك بمكة ووصفت له الصفه فقال له أنا ذلك الرجل قلت فاضل الله بك ؟ قال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعي الله حيث يترفع الناس . وقال للتبر : كذا نهاب إبراهيم النخعي هبة الأمير وكان يقول إن زمانا صرت فيه قبيح الكوفة زمان سوء . وكان عطاء السلي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ يعلنه كأنه امرأة ماخض وقال هذا من أجلي يصيبكم . ولومات عطاء لاستراح الناس . وكان جسر الحافي يقول سلوا على أبناء الله يا برك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك قال أعطاك الله ما رجوه قال إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة . وتهاجرت قريش عند سلمان الفارسي رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنني خلقت من نقطة قلدة ثم أعود جيفة مثقلة ثم آت للزنا فان قتل فأنا كريم وإن خف فأنا ثيم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : وجدنا الكرم في الثموي والثقي في اليقيني والشرف في التواضع . نسأل الله الكريم حسن التوفيق .

(بيان حقيقة الكبير وآفته)

اعلم أن الكبير ينقسم إلى باطن وظاهر : فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو أعمال تصدع عن الجوارح واسم العسكر بالخلق الباطن أحق وأما الأعمال فاتها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبير موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال متكبر وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق التكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه يتفضل الكبير عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير العجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده قصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك التبر في صفات الكمال فذلك يكون متكبرا ولا يكتفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكتفي أن يستعثر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه

(١) حديث يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم الترمذي . من حديث أبي هريرة إذا أخذ النبي دولا الحديث وفيه كان زعيم القوم أرذلهم الحديث وقال غريب وله من حديث علي بن أبي طالب إذا ضللت أمتي خمس عشرة خصة حل بها البلاء فذكر منها وكان زعيم القوم أرذلهم ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصة فذكرها منهم اربعة فخرج بن فضالة ضعيف

عبد العزيز أموره  
 في مرسته فرأيت قبيحه  
 وسعنا قتلنا لمراته  
 فاطمة اغسلوا ثياب  
 أمير المؤمنين قتلت  
 فعل إن شاء الله قال ثم  
 عدته فإذا القيص  
 على حاله قتلنا فاطمة  
 ألم أسر كم أن نصلوه؟  
 قالت والله ما له قيص  
 غير هذا . وقال سالم  
 كان عمر بن عبد العزيز  
 من أئلين الناس لباسا  
 من قبل أن يسلم إليه  
 الخلافة فلما سلم إليه  
 الخلافة ضرب رأسه  
 بين رجليه وبكى ثم  
 دعا بأطهاره رنة قلبسا .  
 وقيل لما مات أبو العرداء  
 وجد في ثوبه أربعون

لم يحسب بل يبنى أن يرى نفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فتهذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خالق الكبر لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر بل حذره الرؤية وهذه العقيدة تنفع فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتضده وعز في نفسه بسبب ذلك تلك البرة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من نخة الكبرياء» (١) وكذلك قال عمر أخشى أن تنفعني حتى تبلغ الثريا لئلا أسأته أن يظن بعد صلاة الصبح فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه المينة وهو الاستعظام كبر وانتفع وحمز بالكبر حيرة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ونسى أيضا عزة وتنظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى - إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه - قال عظمة لم ينسوها قصر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تختفي أعمالا في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبر الآفة مهما عظم عند قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراء وانقضاء عن نفسه أو يمدور ترفع عن مجالسته ومؤاكلته ورأى أن حقه أن يقوم مالا بين يديه إن اعتد كبره فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يحس أهلا للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبه فإن كان دون ذلك تأفف من مساوئه وتقدم عليه في مضائق الطرق وارتفع عليه في الماثل وانتظر أن يمداه السلام واستبدت خصمه في قضاء حاجته وتجب منه وإن حلق أو ناظر أتعف أن يرد عليه وإن عطا استنكف من القول وإن وعظ عتف في التصح وإن رد عليه شيء من قوه غضب وإن علم لم يرق بالطين واستدلهم واتهمهم وامن عليهم واستخدمهم وينظر إلى السامة كأنه ينظر إلى الخير استعجالا لهم واستقارارا والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فاتها مشهورة فهذه هو الكبر وآفته عظيمة وغالته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وتلفا ينفك عنه العباد والزهاد والمسلم فضلا عن عوام الخلق وكيف لا تنظم آفته وقد قال صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» (٢) وإنما صار حجابا دون الجنة لأنه يحول بين اليد وبين أخلاق المؤمنين كلها وذلك الأخلاق هي أبواب الجنة والكبر وعز النفس ضائق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب المؤمنين ما يجب لنفسه وفيه شيء من المزول لا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق للتقوى وفيه المزول لا يقدر على ترك الحسد وفيه المزول لا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه المزول لا يقدر على ترك التسبب وفيه المزول لا يقدر على كظم الغيظ وفيه المزول لا يقدر على ترك الحسد وفيه المزول لا يقدر على التصح اللطيف وفيه المزول لا يقدر على قبول التصح وفيه المزول لا يسلم من الازدراء بالناس ومن اغتياهم وفيه المزول لا يسلم من التطويل لغيره فإيمان خلق ذم الأوصاف والكبر مضطر إليه ليحفظه عن موباهن خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من أن يفوته عزه فلن هذا يدخل الجنان من قلبه مثقال حسنة أو أخلاق للقيمة متلازمة والبعض منها دلى إلى البعض لاهلها وشعر أنواع الكبر ما يمنع من استعادة العلم وقبول الحق والاحتياط وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر وللتكبرين قال الله تعالى ولا تلاكوا باسطوا أيديهم - إلى قوله - وكنت من آياته مستكبرون - ثم قال - ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فليس منوى للتكبرين - ثم أخبر أن أعد أهل النار عددا أعظم حثا على الله تعالى فقال - ثم نزع من كل حجة أيهم أعد على الرحمن حثا - وقال تعالى - فالدائن لا يؤمنون بالآخرة فلو فهم منكرة ومم مستكبرون - وقال عز وجل - يقول الذين المستغفرون لو لا أنكم لتكافرون -

(١) حديث أعوذ بك من نخة الكبرياء تقدم فيه (٢) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر تقدم فيه .

رفعة وكان عطاؤه  
أربعة آلاف . وقال  
زيد بن وهب : ليس  
على ابن أبي طالب  
قيسا رازيا وكان إذا  
مدحه بلغ أطراف  
أصابعه فهاه الجوارح  
بذلك قال أنبيون  
على ليس هو أبعد  
من الكبر وأجدر أن  
يقضى في السلم  
وقيل : كان عمر  
رضي الله عنه إذا رأى  
على رجل ثوبين  
يقين عليه بالبرقة وقال  
دعوا هذه البراقات  
لنساء . وروى عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه قال نوروا  
قلوبكم بلباس الصوف

وقال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض غير الحق - قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وبقي التفسير سأحجب قلوبهم عن اللسوت . وقال ابن جرير سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويتبرأوا بها . ولذلك قال السبع عليه السلام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب للتواضع ولا تعمل في قلب للتكبر ألا ترون أن من فجع رأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أنفه وأكته فهذا مثل ضربه للتكبرين وأهم كيف يجرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجود الحق في حد التكبر والكشف عن حقيقته ، وقال « من منه الحق وغشم الناس » (١) .

( بيان التكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات التكبر فيه )

اعلم أن التكبر عليه هو الله تعالى أو رسوله أو سائر خلقه قد خلق الإنسان ظواجه لاقترار تكبر على الخلق وتارة يتكبر على الخلق لأن التكبر باعتبار التكبر عليه ثلاثة أقسام : الأول التكبر على الله وذلك هو أغص أنواع الكبر ولا مثوله إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء . وكما عصى عن جماعة من الجبهة بل عصى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبدا لله . ولذلك قال تعالى - إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين - وقال تعالى - لن يستنكف السبع أن يكون عبدا لله ولا لللائكة القربون - الآية وقال تعالى - وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما أمرنا وزادهم قوموا - . القسم الثاني التكبر على الرسل من حيث تمزج النفس ورفضها عن الاتقياء لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والابتصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الاتقياء وهو ظان أنه حق فيه وعارة يمتنع مع للفرقة ولكن لا تصادعه نفسه للاتقياء لاحق والتواضع للرسل كما حكي الله عن قولهم - أنؤمن بربن ربنا - وقولهم إن أنهم إلا بشر مثنا نولن أطمع بشرا مثلكم إنكم إذا لحاسرون - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لئن لأزلن علينا لللائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعصوا عنوا كبيرا - وقالوا لولا أنزل عليه ملك - وقال فرعون فيما أخبر الله عنه - أو جامعه لللائكة مقترنين - وقال الله تعالى - واستكبر هو وجنوده في الأرض بين الحق - فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا . قال وهب قاله موسى عليه السلام آمن ذلك ملكك قال حق أنا ورسول هامان فهاور هامان فقال هامان بينا نترتب تعبدا لصرت عبدا لغيرك فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي ظبورا من هو أعظم رئاسة من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قالوا غلام يتيم كيف يهتد إلى ما قاله تعالى - أم يسمون رحمة ربك - وقال الله تعالى - ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا لئلا يستغفروا لهم واستجادوا لتعظيمهم وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى قراءه للسليق فازدروهم بأعينهم لغيرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالقعدة والحقى - إلى قوله - ما عليك من حسابهم - وقال تعالى وسأصبر

فانه مثله في الدنيا ونور في الآخرة وإياكم أن تحسدوا دينكم ويحسد الناس دينهم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتدى نملين فلما نظر إليهما أحبه حبسهما فسجد لله تعالى قبله في ذلك فقال خشيت أن يمرض عني ربي فتواضعت له لأجرم لا يبتان في منزلي لما تخوفت . لقت من الله تعالى من أجلهما فأخرجهما فدفعهما إلى أول مسكين قتيه ثم أمر فاهترى في نملان محصوفان . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس

(١) حديث الكبر من سننه الحق وخمسة الناس مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديثه وقال بطر الحق وخمسة الناس ورواه الترمذي فقال من بطر الحق وغشم الناس وقال حسن صحيح ورواه أحمد من حديث عتبة بن عامر بالنظر للصنف ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي رجانة هكذا .



تسلك مع الذين يدعون بهم بالقداسة والشئ يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا (١) ثم أخبر الله تعالى عن تصحيح حين دخولوا جهنم إذ لم يروا الذين يزعمون فقالوا ما لنا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار قيل ينزلون عماراً وبلااً وصرباً والقداد رضى الله عنهم ثم كان منهم من منه الكبر عن الفكر والفرقة فجعل كونه صلى الله عليه وسلم محققاً ومنهم من عرفوا ومنهم الكبر عن الاعتراف قال الله تعالى خبراً عنهم - فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به - وقال - وجدوا بها ما لم يفتنوا أنفسهم ظاناً وعلا - وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه ولكن التكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله . القسم الثالث : التكبر على العباد وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحق غير فثابت نفسه عن الاحياء ولم يتدبره إلى الترفع عليهم فيزدرهم ويستصغرهم ويأخذ من مساوئهم وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين : أحدهما أن الكبر والمنزلة العظيمة والملاء لا يليق إلا بالملك القادر فأما البعد للملوك الضيف الحاجز الذي لا يتدر على شيء من أن يليق به

الصوف واحسب  
الصوف وأكل مع  
السيد وإذا كانت  
النفس على الآفات  
فالوقوف على دساتيرها  
وخشى شمولها وكم  
هو لها عسر جداً  
فالألق والأجساد  
والأولى الأخذ بالأحوط  
وترك ما يرب إلى ما  
لا يرب ولا يجوز للبدن  
الدخول في السمة إلا  
بعد إفتان علم السمة  
وكل تركية النفس  
وذلك إذا غابت النفس  
بضية هواها للتعبد  
وتخلصت التية وتسد  
التصرف بلم صريح  
واضح والقرعة أقول  
بركوبها وبراعونها

بجاه الكبر فهما تكبر البعد فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق إلا بعلمه ، ومثاله أن يأخذ القادر قلنسوة الملك فوضها على رأسه ويجلس على سريره فأعظم استحقاقه للقت وما أعظم تهديده للغزى والتكال وما أشد استجراؤه على مولاه وما أتبع ما طاماه ، وإلى هذا المعنى الاعتراف بقوله تعالى والعظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيها قصمته ه أي أنه خاص صفى ولا يليق إلا به والنزاع فيه منازع في صفة من صفاتي وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده قد جنى عليه إذ أدى يستردل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويرفع عليهم ويستأجر بمحقى لذلك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أموره وإن لم يبلغ درجته درجته من أراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله والعظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباده قد نازع الله في حقّه ، ثم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود فرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك . الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى غفلة الله تعالى في أوارده لأن التكبر إذا صح الحق من عيد من عباد الله استكف عن قبوله وتشمر لمجده وذلك ترى للناظرين في مسائل الذين يزعمون أنهم يتأخثون عن أسرار الدين ثم أنهم يجاهدون لمجاهد للتكبرين ومهما أفضح الحق على لسان واحد منهم أفضح الآخر من قبوله وتشمر لمجده واحتال لنفسه بما يقدر عليه من التليس وذلك من أخلاق الكافرين وللناظرين إذ يوصفهم الله تعالى فقال - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون - فكل من يناظر قلبه ولا يحتمل الحق إذا نظر به قد شاركتهم في هذا الحق وكذلك يحصل ذلك على الأفع من قبول الوعد كما قال الله تعالى - وإذ أنزلنا القرآن أنزلناه بالحق وهو من عند ربك عن غير رضى الله عنه أنه قرأها فقال إن الله وإنا إليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال إن الله لا يستطيع أن يقول إلا بحقه فقال الله عليه وسلم لا استطعت لما منه إلا كبره قال فما رفقها مد ذلك (٢)

(١) حديث قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف مجلس إليك وعدك هؤلاء الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تطرد الذين يدعون ربهم - مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال قال للتبركون وقال ابن ماجه قالت قريش (٢) حديث قال لرجل كل يمينك قال لا استطيع قال لا استطعت الحديث مسلم من حديث سلمة بن الأكوع .

في اعتلت يده ، فاذن تكبره على الحق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وتخاصرب إبليس  
مثالهما وما حكمه من أحواله بالإلتجبر به فإنه قال : أتأخير منه . وهذا التكبر بالنسب لأنه قال : أنا خير منه  
خاتمتي من تار وخفقتي من طين . فلهذا ذلك على أن ينتفع من السجود إلى أمره الله تعالى به وكان سيدور  
الكبر على آدم والحسد له جرة ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبداً  
فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بين  
الآتين إذ سأله ثابت بن قيس بن عمار قال يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إلى من الجالما تاري  
أفإن الكبر هو ؟ قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق ونميس الناس (١) وفي حديث  
آخر من سفة الحق (٢) وقوله ونميس الناس أي ازدرام واستحقهم وم عباد الله أمثاله وأخبرته  
وهذه الآفة الأولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من رأى أنه خير من أخيه واحترأ أخاه  
وازدرأه ونظر إليه بين الاستعثار أورد الحق وهو يعرفه قد تكبر في نفسه وبين الحق ومن أتب  
من أن يضعفه لله تعالى ويتواضع لله بطاعته وإباج ربه قد تكبر فينا بينه وبين الله تعالى ورده .  
( بيان ما به التكبر )

اعلم أنه لا يتكبر إلا على مستظلم نفسه ولا يستظلم إلا وهو يحسد لها صفات صفات الكمال وجماع  
ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي فالدين هو العلم والعمل والديني هو التسبب والجمال والقوة وقال  
وكثرة الأنصار فلهذا سبب الأول : العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه  
وسلم وآفة العلم الجلاء (٣) فلا يلبث العلم أن يتموز به العلم يستعرق في نفسه جمال العلم وكالو يستظلم  
نفسه ويستحق الناس وينظر إلى م نظره إلى البراءة ويستجملهم ويتوقع أن يدعوه بالسلم لأن يدا  
واحد منهم السلام أورد عليه يشر أرقام له أو أجابه له دعوة رأى ذلك ضحية متحمدة بداعية ياربه  
شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وأنه ينبغي أن يرقوا له ويخدموه  
شكره على ضيعة بل الله لب أنهم يرونه فلا يروونه ولا يزورونه ويسودونه فلا يسودونه ويستم  
من ضلته منهم ويستغفروه في حوائجهم فلان قصر فيه لمستكره كأنهم سيده أو أجراؤه وكان تحليه  
العلم ضحية منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فبا يطاق بالدنيا ، أما في أمر الآخرة  
فكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه  
ويرجو نفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً بل العلم الحقيقي  
هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الحاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم في  
كلياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم ، وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً ، ويقتضي أن  
يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليهم بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال  
أبو الدرداء من ازداد علماً ازداد وجهاً وهو كالأل . قال قلت لابي ببال يمشي الناس بزاد بال كبراً  
وأما . فاعلم أن لذلك سببين : أحدهما أن يعكسون اشتغالها بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً

(١) حديث قول ثابت بن قيس بن عمار إني امرؤ قد حبب إلى من الجالما تاري الحديث وفيه الكبر  
من بطر الحق ونميس الناس مسلم والترمذي وقد تقدم فيه بحديثين (٢) حديث الكبر من سفة  
الحق ونميس الناس تقدم منه (٣) حديث آفة العلم الجلاء : قلت هكذا ذكره الصنف واللعروف  
آفة العلم التنيان وآفة الجلال الجلاء هكذا رواه التضاعى في مسند الثواب من حديث علي بنسند  
ضيف . وروى عنه أبو منصور الهيلي في مسند القردوس آفة الجلال الجلاء وفيه الحسن بن  
جد الحيد الكوفي لا يدري من هو حدث عن أبيه حديث موضوع قاله صاحب الليزان .

لا يرون التزول إلى  
الخصى خوفاً من  
قوت فضيلة الوعد في  
الدنيا والباس التام  
من الدنيا وقد قيل من  
رأى غوبه رقى دينه  
وقد برخص من ذلك  
لأن لا يتكبر بالزهد  
ويقف على رخصة  
الشرع . وروى حلقمة  
من عبد الله بن  
مسعود رضي الله عنه  
عن أبيه صلى الله  
عليه وسلم أنه قال  
لا يدخل الجنة كل من  
كان في قلبه مثله لفة  
من الكبر فقال الرجل  
إن الرجل يحب أن  
يكون ثوبه حسنا ولعله  
حسنا قال النبي عليه

وإعنا الم الحقيق ما يعرف به البدر به ونسه خطر أمره في لقاء قدار الحجاب منه وهذا يورث الحمية والتواضع دون التكبر والأمن قال الله تعالى - إني أعصى الله من عباده الهاء - فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب والثقة والشعر والنحو وفصل الحسومات وطرق المبادلات فإذا تجرد الإنسان لما حق امتلاكها منها امتلاكها كبراً وقفاً وعنده بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً بل العلم هو معرفة النبوية والربوبية وطريق البصيرة وهذه تورث التواضع غالباً . السبب الثاني أن غيوض البعد في العلم وهو خبيث المنفعة ردىء النفس سوء الأخلاق فإنه لم يشغل أولاً بتبذير نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه بقيت خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أى علم كان صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطلب كرمه ولم يظهر في الخير أثره وقدر ضرب بوجه لهذا مثلاً فقال العلم كالتيت يزل من الساء حلوا صافياً فتشربه الأشجار يبروقها فتحول على قدر طموحها فيزداد للر مرارة والحلو حلاوة فكل ذلك العلم يحفظه الرجال تحولوه على قدر همها وأهوائها فيزيد للتكبر كبراً والتواضع تواضعاً وهذا لأن من كانت همته التكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً وإذا كان الرجل غافلاً مع جهه فازداد علماً علم أن الحجة قد تآكدت عليه فيزداد خوفاً وإعظافاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لئله عليه السلام - وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - وقال عز وجل - ولو كنت فظاً غليظ القلب لانضوا من حولك - ووصف أوليائه فقال أدلة على المؤمنين أعزته على الكافرين - وكذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي رضي الله عنه « يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار (١) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تسكنوا جوارقاً بالعلم فلا يفي علمكم بعلمكم ، ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال إنه الدرع واستأذنه رجل كان إمام قوم أنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال إني أخاف أن تتنصع حتى يبلغ الثريا وصلى حذفة يقوم فلما سلم من صلاته قال لتتضمن إماماً غيري وأتصلن وحدنا فإذا رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة لمأعز بل بسيط الأرض طالما يستحق أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفاد من أهاسه وأحواله صديق زمانه فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفاد من أهاسه وأحواله لو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسينا إليه رجاء أن تشملنا بركتته وبشري إلينا سيرته وسجيته وهيئات فأبى يسمح آخر الزمان يتلهم فهم أرباب الإقبال وأصحاب الملوك قد اقتربوا في القرن الأول ومن يلهم بل يز في زماننا عالم غيبي في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الفرصة فكذلك أيضاً إما معدوم وإما عزز ولولا بشارته رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بشئ ما أتم عليه نعمه (٢) » لكان جذرياً بأن قنتم والعباد بالله تعالى وورثة الأئمة والنسب مع ما نحن عليه من سوء أحوالنا ومن ثأ أيضاً بالتمسك بشئ ما كانوا عليه ولما تمسكا بشئ غيره . فقال الله تعالى أن يماننا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أفعالنا كما يقنعه كرمه وفعله . الثاني : السمل والعبادة وليس يغني عن رذيلة الغر والتكبر ولستأنا قلوب الناس

(١) حديث البيهقي يكون قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا الحديث ابن المبارك في الزهد والرفائق (٢) حديث سيأتي على الناس زمان من تمسك بشئ ما أتم عليه نعمه أحد من رواية رجل عن أبي ذر .

السلام إن الله جميل يحب الجمال فكيف يكون هذه الرخصة في حق من يلبس لاهوى نفسه في ذلك غير مفتخر به وغتال فأما من لبس الثوب للتمناخر بالدنيا والتكابر بها فقد ورد فيه وعيد . روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أوزرة المؤمنين إلى نصف الدق فباينه وبين السكينة وما كان أسفل من السكينة فهو في النار من جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فبينما رجل عن كان قبلكم يتبعثر في

ازهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا أما في الدنيا فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى  
منهم بزيارة غيرهم ويتوقنون قيام الناس بضياء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذ كرم  
بالورع والتقوى وتهديتهم على سائر الناس في الحفظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العباد وكأنهم  
يرون عبادتهم من على الخلق وأما في الدين فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو  
المالك تحقيا مهما رأى ذلك قال صلى الله عليه وسلم « إذا صمت الرجل يقول هلك الناس فهو  
أهلكهم » (١) وإنا قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مقتر بالله آمن من  
مكره غير خائف من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال صلى الله عليه وسلم « كفى  
بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم » (٢) وكمن الترقى بينه وبين من يحبه الله ويظلمه لعبادته ويستعظمه  
بمرجه لا يرجوه نفسه فالخلق يدركون التجاة بتعظيمهم إليه ف فهم يتقربون إلى الله تعالى  
بالدينونة وهو يستحق إلى الله بالتزوء والتباعد منهم كأنهم متفرعون عن جانتهم لا الجدر من إذا أجروا لمصلحة  
أن ينقلهم الله إلى درجة في العمل وما أجدره إذا ازدرأهم بينه أن ينقله الله إلى حدالجاهل كإدري  
أن رجلا في بني إسرائيل كان يقال له خليج بن إسرائيل لكثرة فساده من رجل آخر يقال له عابد بن  
إسرائيل وكان على رأس العابد حمامة تظله ظلا من الخليج به قال الخليج في نفسه أنا خليج بن  
إسرائيل وهذا عابد بن إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمي فجلس إليه فقال العابد أنا عابد بن  
إسرائيل وهذا خليج بن إسرائيل فكيف يجلس إلى قاتل منة وقال له قم عنى فأوحى الله إلى نبي  
ذلك الزمان مرهما فليستاها الصل قد غفرت للخليج وأحييت عمل العابد. وفي رواية أخرى فتعولت  
الصلامة إلى رأس الخليج وهذا يرفك أن الله تعالى إنما يريد من السيد قلوبهم فالجاهل العاصي  
إذا تواضع هية له ودل خوقا منه قد أطاع الله بقلبه فهو أطوع له من العالم للتكبر والعابد بالصعب  
وكذلك روى أن رجلا في بني إسرائيل أتى عابدا من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد  
قال ارفع فو الله لا يضر الله لك فأوحى الله إليه أيها للتألى على بل أنت لا يضر الله لك (٣) وكذلك  
قال الحسن وحق إن صاحب الصوف أشد كبرا من صاحب الطر الخراي أن صاحب الخردل لصاحب  
الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآية أيضا قلنا ينفك عنها كثير  
من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبد أن يفر الله ولا يشك في أنه صار محقوتا  
عند الله ولو أدى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عند الله وهو جمل  
وجمع بين الكبر والسبب واغترار بالله وقد ينتهى الحق والتباولة يعضن إلى أن يتجدى ويقول  
سترون ماجرى عليه وإذا أصيب بنسكة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به الإشفاع خليه  
والانتقام له منه مع أنه يرى طبقات من الكفار يسيبون الله ورسوله وعرف جماعة أدوا الأنياء  
صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم ثم إن الله أهمل أكثرهم ولم يماقمهم في الدنيا بل رما  
أسلم بضمهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل للثروور يظن أنه أكرم على الله من  
أنبيائه وأنه قد استم له بما لا ينتقم لأنبيائه به ولعله في مقت الله بالعجايب وكبره وهو غافل عن هلاك

ردائه إذ أهيبه ردائه  
غضب الله به الأرض  
فهو يتجامل فيها إلى  
يوم القيامة والأحوال  
تختلف ومن مصححاته  
بصحة علمه صحت نيته  
في ما كوله وعلوه  
وسائر تصاريفه وفي  
كل الأحوال يستقيم  
ويستد بالستقامة  
الباطن مع الله تعالى  
ويقدر ذلك تستقيم  
تصاريف العبد كلها  
بحسن توفيق الله  
تعالى .

[الباب الخامس]  
والأربعون في ذكر  
فضل قيام الليل  
قال الله تعالى - إنا  
نشفيكم الناس أمة

(١) حديث إذا صمت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم مسلم من حديث أبي هريرة (٧) حديث  
كفى بالمرء شرا أن يحقر أخاه للعلم ، مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ امرؤ من الكثر (٣) حديث  
الرجل من بني إسرائيل الذي وطىء على رقبته عابد من بني إسرائيل وهو ساجد قال ارفع فو الله  
لا يضر الله لك الحديث أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصي والله  
لا يضر الله لك أبدا وهو يشير هذه السيرة وإسناده حسن .

فنه عتيدة التترين ، وأما الأكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلى حين كان  
 هب ربح أوتقع صاعقة مايسب الناس مايسبهم إلا بسبي ولومات عطاء لتخطوا وماقاله الآخر بعد  
 اصرافه من عرفات كنت أرجو الرحمة لجيهم لولا كوني فيهم فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا انق  
 الله ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزود لمه وسبه وذاك ربما يضر من الربا والكبر والحد  
 والقتل ماهو ضمة الشيطان به ثم إنه يتن على الله بسبه ومن اعتقد جزأ ما فوق أحسن عباد الله فقد  
 أحبط بجبهه جميع عمله فان الجهل أخف الناس وأعظم شئ يمد البعد عن الله وحكمه لنفسه بأنه خير  
 من غيره جبل محض وإن من مكر الله ولا يأمرك الله إلا التوهم الحاسرون ولذلك روى أنه جل ذكر  
 خير فني صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك قال إني أرى  
 في وجهه سمة من الشيطان فلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك  
 بالله حدثك نفسك أن ليس في التوهم أفضل منك قال اللهم نعم (١) فرأى - ول الله صلى الله عليه وسلم  
 بنور النبوة مااستكن في قلبه سمة في وجه وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصم الله  
 لكن الماء والعباد في آفة التكبر على ثلاث درجات. الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستغفرا في قلبه يرى  
 نفسه خيرا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويضع فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ  
 في قلبه شعرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلفة . الثانية : أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في  
 المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الانكسار على من يقصر في حقه وأدنى ذلك في المأكلان صرخه  
 فأنس كأنه معرض عنهم وفي العابد أن يبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متزه عن الناس مستغفرا لم  
 أوقضيان عليهم وليس يعلم للسكرين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يبس ولا في  
 الخد حتى يبسر ولا في الرقبة حتى تغطأ ولا في الذليل حتى يمش أيضا الورع في الثوب قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم والنقوى ههنا وأشار إلى صدره (٢) فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأكرم الخلق وأحقهم وكان أوسعهم خلقا وأكرمهم جبرا وتبعا وانسبا (٣) ولذلك قال الخليل  
 ابن جزمه الزيدى صاحب رسول الله ﷺ يجيبني من القراء كل طلق مضحك فأما الذي تلقاه يشر  
 ويقال بموس يمن عليك بلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ولو كان المصباحه وتعالى برضى ذلك  
 لما قال لتبني صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين - هو هؤلاء الذين يظهر أفعال الكبر  
 على أفعالهم فأحوالهم أخف حالا عن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى  
 يدعو إلى الدعوى والفاخرة واللباهة وتزكية النفس وحكايات الأحوال واللقامات والتشتم لعلبة الغير  
 في العلم والعمل أما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله من أين زهده  
 فيقول اللسان فيهم بالتقص ثم يثنى على نفسه ويقول إنى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنا لم أخلق وأتم  
 القرآن في كل يوم وفلان يتام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجرى مجرله وقد تركه ضما فيقول  
 تصدني فلان بسوء فلهلك واده وأخذ ماله وأمرض ما يجرى مجراه يدعى الكبر امتة لنفسه ما ماباهاته  
 فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصل وإن كانوا يصبرون على الجوع  
 فيكلف نفسه الصبر لينهم ويظهر له قوته وهجزم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من أن يخاله غيره

منه ويؤزل عليكم من  
 الساء ماء ليظهر كره به  
 وينهب عنك رجز  
 الشيطان - نزلت هذه  
 الآية في السامعين يوم  
 بدر حيث نزلوا على  
 حكتب من الرمل  
 تنوع فيه الأقدام  
 وحوافر الدواب وسبقهم  
 للسكران إلى ماء بدر  
 العظمى وغلبهم عليها  
 وأصبح للمسلمين بين  
 حديث وجنب وأصابهم  
 الظما فوسوس لهم  
 الشيطان أنكم تزعمون  
 أنكم على الحق وفيكم  
 نبى الله وقد غلب  
 للسكران على الماء  
 وأنهم يصلون حديثين  
 ومحبين فكيف

(١) حديث أن رجلا ذكر خير فني صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي  
 ذكرناه لك قال إني أرى في وجهه سمة من الشيطان الحديث أحمد والبرادير قطن من حديث  
 أنس (٢) حديث النقوى ههنا وأشار إلى صدره مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث  
 كان أكرم الخلق وأحقهم الحديث تدم في كتاب أخلاق النبوة .

أعبد منه أو أقرى منه في دين الله وأما العالم فانه يتفاخر ويقول أنا متفرد في العلوم ومطلع على الحقائق وأريت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وماضلك ومن قيت وما أحييت من الحديث كل ذلك ليصرفه ويستمع حقه وأما بايعاه فهو أنه يجهد في المناظر تأن شبلو ولا يلبس ويرسله الليل والنهار في حصيل علوم يتجمل بها في المجالس للناظر والجليل وتحسين الباروتو تسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الثمينة ليغرب بها في الأقران ويستمع عليهم ويحفظ الأحاديث الأفاضل وأما سيدها حتى يرعد من أخطأ فيها فينظر فضه وهذان أقرانه ويخرج معها أخطأ واحدهم يرد عليه يسوء إذا ساب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه فهذا كله أخلاق الكبر وكآفه التي يشربها التتوز بالمع والعدل وأين من خلجوا عن جميع ذلك أوعن بعضه فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وجميع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل» من (١) كيف يستعظم حقه ويتكبر على غيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه من أهل النار وأما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تمطم وتكبر والمالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال إنه عندنا نقدر ما لم تتركس قدرا فلان رأيت لها قدرا فلا قدرك عندنا ومن يعلم هذا من الذين ناسم العالم عليه كتب ومن علم لزمه أن لا يتكبر ولا يرى نفسه قدرا فهذا هو التكبر والطموح والعلو. الثالث: التكبر بالحسب والنسب قال في نسب شريف يستعظم من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعوا وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد وأهف من عائلتهم ومجالسهم وجرته على اللسان يتفاخر به فيقول فيه رأيتني وأبني وأهنتي وألأرق من أنت ومن أبوك فلان فلان أين للناس وابنك أنت يكلمني أوفتر إلى ومع مثل تكلم وما يجري جرمه وذلك عرق دفين في النفس لا ينك عن نسب وإن كان صالحا ومطلا لإلانة قد لا ترفع منه ذلك عند اعتدال الأحوال فان غلب غضب أهل ذلك نورسبه ورحم منه كأروى عن أبي ذر أنه قال «قالت رجلا عندناي ﷺ قلت لهما ابن السوداء قال التي صلى الله عليه وسلم يأبانه طيب الصاب طيب الصاب ليس لابن البيضاء في ابن السوداء فضل» (٢) وقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت لرجل من قفاط لي خذي فانظري كيف ينهر رسول الله ﷺ أن يرى نفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تابو قطع من نفسه فقبح التكبر بأخص قدم من تكبر على إذ عرف أن المزم لا يحميه إلا الله ومن ذلك ما روى أن رجلا تقاضا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال أحدهما لآخر أنا فلان ابن فلان فمن أنت لأم لك قال التي صلى الله عليه وسلم «اتقوا رجلا عند موسى عليه السلام قال أحدهما ابن فلان وابن فلان حتى عدتة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل لذي التقصير بل التمس من أهل النار أو تافتم مكرم» (٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدعن قوم القصر بأبائهم وقد صاروا غما في جهنم وأوليكون من أهون على الله من الجبلان التي تدرف بأنفها القدر» (٤) . الرابع : التفاضر بالجمال وذلك أكثر

تَجُونَ الظَّرِّ عَلَيْهِمْ  
فَإِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَطَرًا  
مِنَ السَّمَاءِ سَالٍ مِنْهُ  
الْوَادِي ضَرْبَ اللَّسُونِ  
مَتْنُهُ وَغَضَبُهُ وَتَوَشُّرُهُ  
وَسَقَا الدُّوَابَّ وَوَلَّتْهُ  
الْأَسْقِيَةُ وَلَبَدَ الْأَرْضُ  
حَتَّى بَلَغَ الْأَقْدَامُ قَالُ  
اللَّهُ تَعَالَى وَوَيْتٌ بِهِ  
الْأَقْدَامُ، يُزِيحُ رِيكَ  
إِلَى اللَّامِ كَأَنِّي مَكْرُ  
أَسْدَمَ اللَّهُ تَعَالَى  
بِاللَّامِ حَتَّى خَلَا  
ظَهْرُ كَيْنٍ وَلَسَكَ آيَةُ  
مِنَ الْقُرْآنِ ظُهُرُ  
وَبَيْنَ وَحْدٍ وَمَطْلَعُ  
وَاللهُ تَعَالَى كَمَا جَلَّ  
النَّاسُ رَحْمَةً وَأَمْنَةً  
لِلْحَبَابَةِ خَامَةً فِي ذَلِكَ  
الْبَوَاقِ وَالْحَادِثَةِ ظُهُرُ

(١) حديث لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر فهم (٢) حديث أبي ذر قالوا رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم قتلته يا ابن السوداء الحديث ابن البارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحد من حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا انظر فأنك لست بخير من أحمروا أسود إلا أن تحضه يتوى (٣) حديث أن رجلين تخافا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما لا تخرا أنا فلا نرى فلان في أنت لأب لك الحديث عبد الله بن أحمد زكريا قال لست من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد بوقفا في معاذ قصة موسى قطع (٤) حديث ليدع قوم الغنى بأنهم وقدمار والحقاق جهنم أولئك من أهون على الله من الجملان الحديث أبو داود والترمذي وحسنه

ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنفس والتب والتقية وذ (ر عيوب الناس ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت يدي هكذا أي أنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد اغتبتها (١) » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكانها أجهت بقامتها واستصرت للرأفة في جنب نفسها قالت ما قالت : الخامس : الكبر بالمال وذلك يجري بين اللوك في خزائهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهانين في أراضهم وبين التجميلين في لباسهم وغيرهم ومما بهم فيستحق التقيير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومكين وأنا لو أردت لاخترت مثلك واستخدمت، ن هو فوقك ومن أنت وما معك وأنت عني يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أعاق في اليوم مالا أنا كله فيستوكل ذلك لاستعظامه لغني واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بغضه للفقير وآفة التي وإليه الإشارة بقوله تعالى - قال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - حتى أجا به فقال - إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فسي ربي أن يؤتي خيرا من حيثك ويرسل عليهما حسابا ثامن الهادئ فصيح معيدا زلفا أو يصيح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا - وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد بين الله عاقبة أمره بقوله - ياليتي لم أشرك بربي أحدا - ومن ذلك تكبر فارون إذ قال تعالى إخبارا عن تكبر مشرئ على قومه في زنته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي فارون فإنه قد حفظ عنهم - السادس : الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف . السابع : التكبر بالاتباع والأنصار والتلامذة والتسلان والبشيرة والأقارب واليدين وذلك بين اللوك في الكثرة بالجند وبين العلماء في الكثرة بالمستفيدين . وبالحجة فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمال وإن لم يكن في نفسه كالا أمكن أن يتكبر به حتى إن المحدث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المحدثين لأنه يرى ذلك كالا فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالا وكذلك القاصد قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة النجوس بالنسوان والتسلان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان غملا فيه فهذه جماع ما يتكبر به البعاد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلى بشيء منه على من لا يدلى به أو على من يدلى بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر بعلومه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه . نال الله العون بلغفه ورحمته إنه على كل شيء قدير .

#### ( بيان البواعث على التكبر وأسياب الهجبة له )

اعلم أن الكبر خلق باطن وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي غررة وتيجون يبنى أن تسمى تكبرا ونحس اسم الكبر بالبغي الباطن الذي هو استعظام النفس وزوفا قدرها فوق قدر التير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتلقى بالتكبر كما سيأتى معناه فانه إذا أجهت بنفسه بعلومه وبسببه أو بشيء من أسيابه استعظم نفسه وتكبر وأما الكبر الظاهر فأسيابه ثلاثة : سبب في التكبر وسبب في التكبر عليه وسبب فيما يتلقى به غيرها . أما السبب الذي في التكبر فهو السبب الذي يتلقى بالتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتلقى به غيرها هو الرياء فخصر الأسباب بهذا الاعتبار أو بهما السبب والحقد والحسد والرياء . أما السبب فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يورث التكبر الظاهر في الأعمال والأحوال والأحوال . وأما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر وابن حبان من حديث أبي هريرة (١) حديث عائشة دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت يدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث حديث في آفات اللسان .

رحمة هم المؤمنين  
والعاس قسم صالح  
من الأقسام العاجلة  
للمؤمنين وهو أمانة  
لقومهم عن منازعات  
النفس لأن النفس  
بالنوم تستريح ولا  
تتشكو الكلال والتعب  
إذ في شكائها وصبا  
تصغير القلب  
واحترامها بالنوم  
بهرط العلم والاعتدال  
راحة القلب لما بين  
القلب والنفس من  
الولادة عند طمأنينتها  
للمريدين السالكين  
تدليل يبنى أن يكون  
ثلث الليل والهارنوما  
حق لا يضرب الجسد  
فيكون ثمان ساعات

على من يرى أنه مثله أو فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الضرب حدا ورسخ في قلبه بضه فهو لذلك لا تطاوعه أنه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقا للتواضع فكأن من ردل لا تطاوعه أنه على التواضع لواحد من الأكابر لحقه عليه أو بضه له وعمله ذلك على ردالحق إذا جاء من جهة وعلى الأثرة من قبول ضمه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه وإن علم أنه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يسته وإن ظله فلا يتدل إليه وإن جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل به وأما الحسد فانه أيضا يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهة إيذاء وسبب يخفى الضرب والحقد وبدعو الحسد أيضا إلى جسد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم فكأن من جاهل يشاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لا يستكفنه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقربه حدا وبضا عليه فهو يرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يثبته على أن يسأله بأخلاق التكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . وأما الرياء فهو يأبى يدعو إلى أخلاق التكبرين حتى إن الرجل لينظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا حاسدة ولا حقد ولكن يمنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه فيكون يثبته على التكبر عليه الرياء المجرى ولو خلاه منه بنفسه لكان لا يتكبر عليه وأما الذي يتكبر بالصعب أو الحسد أو الحقد فانه يتكبر أيضا عند الخلو به مهما لم يكن مهما ثالث وكذلك قد يتمنى إلى لبس شريف كاذبا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويقدم عليه في الطريق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم بأننا بأنه لا يستحق ذلك ولا كره في باطنه معرفته بأنه كاذب يدعو النسب ولكن يحبه الرياء على أفعال التكبرين وكان اسم للتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يغفل هذه الأفعال من كبر في الباطن ساد عن العجب والمظهر إلى التبر بين الاحتشار وهوان سمى متكبرا فلا جل القشة بأفالس الكبر . نال الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم .

( بيان أخلاق التواضع وعجائب ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر )

اعلم أن التكبر يظهر في أمثال الرجل كصغر وجهه ونظره من زوايا أقراسه وجلسه من زوايا أمثاله وفي أقواله حتى في صوته ونتمته وصيته في الإيراد ويظهر في مشيته ويظهر في قيامه وجلسه وحركته وسكاته وفي تعليمه لأفاده وفي سائر خفاياه في أحواله وأتو أفعاله فن التكبرين من جميع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بسى ويتواضع في بسى فهذا التكبر بأن يجب قبح الناس له أو بين يديه وقفال على كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى رجل قاعد وين يديه وقوم قيام . وقال أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يملكون من كرامته لذلك (٢) . ومنها أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه . قال أبو البراء لا يزال البدر يدور من الله جدا ما مضى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده إذا كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ، ومضى قوم خلف الحسن البصري فسمعهم وقال ما يبقى هذا من قلب البدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بسى الأوقات يمشي مع بسى الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويخفى في غمارهم (٣) إما لتعليم غيره أو لينفى عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والصجب

(١) حديث أنس لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له الحديث تقدم في آداب السجدة وفي أخلاق النبوة (٢) حديث كان في بسى الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جدا أنه خرج يمشي إلى البقيع فحبه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا

النوم ساعتين من ذلك  
يجلسها للريد بالبار  
وسمى ساعات بالليل  
وزيد في أحدهما  
ويقص من الآخر  
على قدر طول الليل  
وقصره في الشتاء  
والصيف وقد يكون  
عمن الإرادة وصديق  
الطلب ينقص النوم  
عن قدر الثلث ولا  
يضر ذلك إذا صار  
بالتدريج عادة وقد  
يجعل قيل السرورقة  
النوم وجود الروح  
والأنس فإن النوم  
طبه بارد رطب ينفع  
الجسد والماغ ويسكن  
من الحرارة واليسس  
الحادث في الزواج فإن





عليه السلام جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاووس إن لأعجل ثوب هذين ما سكر قلبي ماداما  
 قهين . وروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تشتري له الخبة بألف  
 دينار فيقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول  
 ما أجود لولاينة قبله أن لباسك ومركبك وعطرك بأمر للؤمنين فقال إن في هذا ذوقا أقويها  
 لم تلق من الدنيا طبقة إلا قامت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذاقته الخلقة وهي أرض الطباق تاقته  
 إلى ما عند الله عز وجل . وقال سعيد بن مويد على ما عثر بن عبد العزيز الجملة ثم جلس عليه  
 قيس مرقوع الحبيب من بين يديه ومن خلفه فقال رجل لأمر للؤمنين إن الله قد أعطاك القدرة فليست  
 فكسر رأسه مليا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل المنفعة عند القدرة . وقال  
 صلى الله عليه وسلم « من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا له وإتقاء لمرضاة كان حقا على الله  
 أن يدخره عبدي الجنة (١) » فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء القلب .  
 « وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجبال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه  
 الحق وخمس الناس (٢) » فكيف طريق الجمع بينهما . فاعلم أن الثوب الجديد ليس من ضرورته  
 أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال وهو الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وهو الذي مره رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال إن امرأ يحب إلى من الجبال ماري (٣)  
 فحرف أن يبه إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته أن يكون من  
 الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب المودن قد يكون من التواضع وعلامة للتكبر  
 أن يطالب التجمل إذ ذكره الناس ولا يالي إذا اُخرد بنفسه كيف كان وعلامة طالب الجبال أن يحب  
 الجبال في كل شيء ولو في خلوته وحق في سنور دلوه ذلك ليس من التكبر فاذا اهتمت الأحوال  
 تزد قول عيسى عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله خيلاء القلب يعني قد تورث خيلاء في  
 القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم إنه ليس من الكبر يعني أن الكبر لا يوجب ويجوز أن لا يوجب  
 الكبر ثم يكون هو مورثا للتكبر . وبالجملة فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من  
 اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجوذة ولا بالرداءة . وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلوا واشربوا  
 والبسوا وصدقوا في غير سرف ولا غيبة (٤) » . وإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٥) وقال  
 بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب للوك وأمنوا قلوبكم بالخشية وإلما خاطب بهذا قوما يطلبون  
 التكبر بلباس أهل السلاخ . وقد قال عيسى عليه السلام : ما لكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان  
 وقلوبكم قلوب الدواب الضواري البسوا ثياب للوك وأمنوا قلوبكم بالخشية . ومنها أن يتواضع  
 بالأحوال إذا سب وأذوى وأخذ حقه فذلك هو الأجل ، وقد أوردنا ما نقل عن السلف من أحوال  
 الأذى في كتاب التضرع والحسد . وبالجملة فجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي صلى الله عليه  
 وسلم فيه فينبغي أن يقتدى به . ومنه ينبغي أن يتعلم . وقد قال أبو سلمة : قلت لأبي سعيد الجديري

كيف أنت والليل قال  
 ما رايته قط يرى  
 وجهه ثم يصرف  
 وما تأملته . وقال  
 أبو سليمان النخعي  
 أهل الليل في ليهم  
 أشد لمة من أهل النهي  
 في نوم . وقال بعضهم  
 ليس في الدنيا شيء  
 يشبه نوم أهل الجنة  
 إلا ما يجد أهل الخلق  
 في قلوبهم الليل من  
 حلالة للنساجة حلالة  
 للنساجة ثواب عاجل  
 لأهل الليل . وقال  
 بعض السائقين إن  
 الله تعالى يطعم على  
 قلوب المستيقظين في  
 الأسرار فيملأها نوراً  
 فترد الكواكب على قلوبهم

(١) حديث من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله الحديث أبو عبيد اللاتي في مسند الصوفية  
 وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة لله الحديث وفي إسناده نظر (٢) حديث سئل  
 عن الجبال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا الحديث هدم غير مرة (٣) حديث إن ثابت بن قيس  
 قال لقي صلى الله عليه وسلم في امرئ حب إلى الجبال الحديث هو الذي قبله في السائل وقد تقدم  
 (٤) حديث كلوا واشربوا والبسوا وصدقوا في غير إسراف ولا غيبة النساء وابن ماجه من رواية  
 عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده الترمذي  
 وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أيضا وقد جعلها السلف حديثا واحدا .

ما ترى فيما أحدث الناس من اللبس والشرب والركب والمطام قالوا يا ابن أخي: كل هؤلاء شراب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله زهو أو مباهاة أو رياء أو صفة فهو مصيبة وسرف وتعالج في بيتك من الخدمة ما كان يجالج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته كان يلفف التامع ويقفل البعير ويقيم البيت ويرحب الشاة ويخفف التل ويترق الثوب ويأكل مع خادمه ويطن عن إذا أعيأ ويشترى الشيء من السوق ولا يمتنع من الحياء أن يلقه يده أو يحمله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصانح الغني والفقير والكبير والصغير ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسوداً وأحمر حراً وعبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة مخرجه لا يستعني من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر ولا يختر مادي إلى وإن لم يجد إلا حشف العقل لا يرض غداء لعشاء ولا عشاء لعشاء هين للثوبين والخلق كرم الطبيعة جميل العائشة طلق الوجه بسام من غير ضحك عزون من غير مبوس شديد في غير عنف متواضع في غير ملعة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ويسلم رقيق القلب دائماً الإطراق لم يشتم قط من شيع ولا يمد يده من طمع ، قال أبو سلفة قد دخلت على عائشة ترضع عنها غديتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ قالت ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إنما أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعل قط شيئاً ولم يث إلى أحد شكوى وإن كانت القاعة لأحب إلي من السار والنبي وإن كان ليظلم جامعاً يتولى ليلته حتى يصبح فما يمتنع ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأله فيؤذي بكنوز الأرض وغارها ورغد عيشها من مشارق الأرض ومغاربها لفضل ورعاً بكت رحمة مما أوتي من الجوع فأسمع بطنه يدي وأقول نسي لك القداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما عوتك ويعتلك من الجوع يقول يا عائشة إخواني من أولى العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فاضوا على حالمهم وقدموا على ربه فأكرم ما بهم وأجزل نوابهم فأجدي استعني إن رفعت في معيشي أن يقصر في دولتهم فأصبر أياماً سيرة أحب إلى من أن تقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إلى من الحقوق إخواني وأخلاقى قالت عائشة رضي الله عنها فوالله ما استكمل بذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل (١) . فما قل من أحواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة أخلاق للتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق محله صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضى هو به فما أشد جهه فقد كان أعظم خلق الله نمصاً في الدنيا والمدين فلا عز ولا رخصة إلا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نطلب العز في غير مساعوتهم في بدلة هيته عند دخوله الشام . وقال أبو البرداء : أعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء ثم أوتاد الأرض فلما اقتضت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكنة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن يصدق الورع وحسن التيسر وسلامة الصدر لميلج المسلمين والصبيحة لم ابتداء مرضاة الله بصبر من غير تحجب وتواضع في غير ملعة قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم أربعون صديقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من خلفه . وأعلم يا أخي أنهم لا يلبسون شيئاً ولا يؤذونه

(١) حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلفة عالم في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالج في بيته كان يلفف التامع ويقفل البعير وفيه قال أبو سلفة قد دخلت على عائشة غديتها بذلك عن أبي سعيد قالت ما أخطأ ولقد قصر أو ما أخبرك أنه لم يتعل قط شيئا الحديث بطوله لم أتف لهما على إسناد .

فستبر ثم تتبر من قلوبهم القوائد إلى قلوب النافين . وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه أن لي عبداً يحبوني وأحبهم ويشتاؤون إلي وأستأق إليهم ويدكرونني وأذكروهم وينظرون إلي وأنظر إليهم فإن حسدوت طرقتهم أحببتك وإن عدلت عن ذلك متنتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالهز كإبراهيم الرامي عندهم ويعنون إلى غروب الشمس كما نحن الطير إلى أوكارها إذا

ولا يخشونه ولا يتناولون عليه ولا يحسدون أحدا ولا يحرسون على الدنيا هم أطيب الناس خيرا وألهم عريكة وأسماهم فسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غشاة ولكن مداومين على حلم الظاهر وهم فيا بينهم وبين رحيم لاتدركم الرياح العواصف ولا الحيل الميرة فلوهم تصد لربنا إلى الله واشتيا إلى وقدا في استباق الخير نساؤك حرب الله ألا إن حرب الله هم القلحون - قال الراوي : قتلت بابا البرداء ما سمعت بصفة أشد على من تلك الصفة وكيف لي أن ألتحقا فقال مايتك وبين أن تكون في أوسمها إلا أن تكون تبغض الدنيا فانك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة زهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر مايتك وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتشفه بالصحة . واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى للزل - إن الله مع الذين اتوا والله يرمهم محسنون - قال يحيى ابن كثير فظننا في ذلك فما تلهذ للقلذون بثل حب الله وطلب مرضاته اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يارب العالمين فانه لا يسلم حبك إلا من ارتضيت وعلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

( بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع )

اعلم أن الكبر من الهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التقي بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القائمة له وفي معالجته مقامان : أحدهما استئصال أصله من سنخه وقلع شجره من مغرسها في القلب . الثاني دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره . للقام الأول : في استئصال أصله وعلاجه على وعلى ولا يتم الشفاء إلا بجمعهما أما الطبي فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكتفي ذلك في إزالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أقل من كل ذليل وأقل من كل قليل وأنه لا يليق به إلا التواضع واللذة والهانة وإذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله أما معرفته ربه وعظمته وجمده فالتوكل فيه يطول وهو منتهى علم للكافة وأما معرفته نفسه فهو أيضا يطول ولكننا نذكر من ذلك ما ينفع في إزالة التواضع واللذة ويكتفي أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الأولين والآخرين لمن تهمت بصرته وقد قال تعالى - قل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدره ثم السيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إنا نأه أشره - قد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه فليظن ذلك الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الانسان فهو أنه لم يكن شيئا مذكورا . وقد كان في حيز العدم دهورا بل لم يكن لعمده أول وأي شيء أخس وأقل من الهو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء ثم من أقدرها إذ قد خلقه من تراب ثم من نقطة ثم من علة ثم من مشقة ثم من جبه عظم ثم كسا العظم لحما قد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئا مذكورا فما صار شيئا مذكورا إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتداءه كاملا بل خلقه مجامدا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يشكر ولا ينطق ولا يمشي ولا يدرك ولا يعلم قيدا بموت قبل حياته وينشئه قبل قوته وبجبهه قبل عله وبمياه قبل بصره وبصممه قبل مننه وبكبله قبل نقطته وبضلالتة قبل هداه وبفقره قبل غناه وبجزءه قبل قدره فهذا معنى قوله - من أي شيء خلقه من نقطة خلقه قدره - ومعنى قوله - هل آتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الانسان من نقطة أمشاج نبتله - كذلك خلقه أولا ثم امتن عليه فقال - ثم السيل يسره - وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت وكذلك قال - من نقطة أمشاج نبتله فجعلناه جميعا بصيرا إنا هديناه

جنهم الليل واختلط  
الظلام وخال كل جيب  
بجبهه لمسبوا إلى  
أندامهم وانقرشوا إلى  
وجوههم وناجسون  
بكلأى وغلغوا إلى  
إنماي قبين صاير  
وباك وبين متاوه  
وذاك بعض ما يتحلمون  
من أجلى وبسمى  
ما يفسكون من حي  
أول ما أعطيسم أن  
أقذف من نوري في  
قلوبهم فينبرون عن  
كا أخير منهم والثاني  
لو سكنت السموات  
السبع والأرضون  
وما فيها في موازينهم  
لاحتفلنا لهم والثالث  
أقبل بوجهي عليهم

السيل إما حراً وإما كفوياً - ومناه أنه أحياء بعد أن كان جدياً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً وأحدهم بعد ما كان أصم وبصره بعد ما كان فأقداً ليصر - وقوله بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الأعضاء بما فيها من الجانب والآيات بعد التقدر لها وأغناه بعد الفقر وأشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهدله بعد الضلال فانظر كيف ذره وصوّره وإلى السيل كيف يسره وإلى طغيان الإنسان ما أكفره وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال سألهم بر الإنسان أأخلقناه من نطفة فإذا هو خبيث مبين - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتهون - فانظر إلى نعمة الله عليه كيف خلقه من تلك الله والقدرة والحكمة والقدرة إلى هذه الرضا والكرامة صار موجوداً بعد المدح والحياء بعد اللوث وناطقاً بعد السكوت وبصيراً بعد العمى وقوياً بعد الضعف وعالماً بعد الجهل ومهذباً بعد الضلال وقادر بعد العجز وغنياً بعد الفقر فكان في ذاته لا شيء مؤثّر شيء آخر شيء من لا شيء شيء أقل من الهمس المحسن ثم صار بالله شيئاً وأعما خلقه من التراب الدليل القوي يوطأ بالأقدام والنطفة التقدرية يد العلم المحسن أيضاً ليرفعه خسة ذاته فيعرف به نفسه وإعما أكل النعمة عليه ليرف بها ربه ويلبس بها عظمته وجلاله وأنه لا يابق الكبرياء إلا به جل - وعلا وذلك امتنّ عليه فقال - ألم نجعل له عينين ولساناً وشفهين وهديناه النجدين - وعرف خسته أولاً فقال - ألم يك نطفة من منى - يعني ثم كان علة - ثم ذكر منه عليه فقال - غلظ فسوتي فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى - ليديم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أولاً بالاختراع ثم كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البصر والكرامات والفرح والحياة وهو على التحقيق أخسّ الأضياء وأضف الضعفاء ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته فمع باؤه وتظم وذلك لئلا خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله نعم لو أنك وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطنى وينسى للبداء والنسيى ولكنه سلب علفي دوام وجوده والأمراض الجليلة والأشياء النظيمة والأوقات المختلفة والطبائع المتضادة من اللذة والبسمة والريح والهم يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى رضى أم سخط فيجمع كرهاً ويسقط كرهاً ويعرض كرهاً ويموت كرهاً لا يملك لنفسه قسماً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجهله ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويقتل عنه فلا يقتل عنه ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهيمه فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه ويستهيى الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه يستل الأطمعة وتهلكه وترديه ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحية ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب صمعه وبصره وتلفح أعضاؤه وغشس عقله ويغشش روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطرب ذليل إن ترك يقي وإن اختطف في جده غلوك لا يشترى في شيء من نفسه ولا شيء من غيره فأى شيء أذلّ منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله فهذا توسط أحواله فليتأمله. وأما آخره ومورده فهو اللوث للشار إلى بقوله تعالى - ثم أماته فأقبره ثم إننا أخاه آخره - صومعناه أنه يسلب روحه وصمعه وبصره وعلمه وقدره وحسه وإدراكه وحركته فيعود جدياً كما كان أول مرة لا يلقى إلا شكل أعضائه وصورته لا شيء فيه ولا حركه ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة تقدره كما كان في الأول نطفة منكرة ثم في أعضائه وتلت أجزائه وتضمر عظامه ويصير رديماً وقائماً يأكل السمود أجزائه فينتدى بهدنته فيقتلها ويغديه فيقتلها ويبسأ أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقدره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإتان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يسيل منه السكران ويصير منه البنيان فيصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً وصار كأن لم يكن بالأس حبيداً

أفستري من أقلت  
بوجهي عليه يملأ أحد  
ما أريد أن أعطيه  
فأصالح للريد إذا خلا  
في ليله بتناجاة ربه  
انتشرت أنوار ليله  
جميع أجزاء نهاره  
ويصير نهاره في حمية  
ليه وذلك لاستنارة قلبه  
بالأنوار فتكون حركاته  
وتصاريفه بالأنوار  
تصدر من منبع  
الأنوار المهيمنة من  
الليل ويصير ظالمه في  
قبة من قباب الحق  
سدا حركاته موفرة  
سكاته. وقد ورد من  
صلى بالليل حسن وجهه  
بالنهار ويجوز أن  
يكون لمخبرين أحدهما

كان في أول أمره أمدا مديدا وليته بقي كذلك لما أحسنه لترك ترابا ، لابل يحبه بمدلول الي  
ليقاس شديد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه للشفقة ويخرج إلى أهوال القباية فينظر إلى  
قيامة قائم ومساء مشقة حمرة وأرض ميلة وجبال مسيرة ونجوم منكسرة ونفوس منكسرة وأحوال  
مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجههم زفر وجه ينظر إليها المجرم فيقتصر ويرى صحائف منشورة  
فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو ؟ فيقال كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها  
وتكبر بنميمها وتفتخر بأسيائها ملكان وقيان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تفعله من قليل  
وكثير وهير وقطير وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسبت ذلك وأحصاه الله عليك فعمل إلى الحساب  
ولسعد الجواب أو تساق إلى دار العذاب فيقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر  
الصيغة وي شاهد ما فيها من مخازيه فإذا شاهد قال سيؤبئنا الملك الكتاب لا يقدر مقبرة ولا كبيرة  
إلا أحصاه - فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى - ثم إذا شاء أمره - فإني هذا حاله والتكبر  
والعظم بالله له والفرح في لحظة واحدة فضلا عن الطير والأشهر قد ظهر له أول حاله ووسطه ولو  
ظهر آخره والبياد بالله تعالى ربما اختار أن يكون كيا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا ولا يكون  
إنسانا يسمع خطايا أوليقي عذابا وإن كان عند الله مستحقا لقار الخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع  
إذ أوله التراب وآخره التراب وهو يمزج عن الحساب والعذاب والخنزير لا يهرب منه المخلوق  
ولورأ أهل الدنيا البعد للذنب في النار لسموا من وحة خلقه توجب صورته ولو وجدهوا ربه  
لمساوا من نته ولو قست قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لاصارت أنف من الجيفات  
هذا حاله في العاقبة إلا أن يغفر الله عنه وهو على شك من الغفر كيف يفرح ويسطر وكيف يتكبر  
وينجبر وكيف يرى غشه شيئا حتى يستغفر فضلا وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن  
يمحو الله الكبريم بشفه ويجبر الكسر بته والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن بولاوته إلا بالله  
أرأيت من جنى على بعض اللوكة فاستحق بجنائنه ضرب ألف سوط لحبس إلى السجن وهو ينتظر أن  
يخرج إلى العرش وتقام عليه العقوبة على ملا من المالحق وليس يدري أي شيء منه أم لا كيف يكون ذلك  
في السجن أقرى أنه يتكبر على من في السجن ومامن عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة  
من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه ذلك حزنا وخوفا وإهناقا ومهاونا فلا يذلهو  
الملاج على القاصع لأصل الكبر أو الملاج على التواضع ؛ فقلول لسائر الخلق : الملوذبة على أخلاق  
للتواضعين كما وصفناه وحكيته من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه  
وكان يأكل على الأرض ويقول إنما أعبد كل كاي بأكل البعد (١) وقيل لسانا لا تلبس ثوبا جديدا  
قال إنما أنا عبد فإذا اعتقت يوما ليست جديدا أشار به إلى العتق في الآخرة ولا إلى التواضع بدلالة  
إلا بالعمل وقد أمر الرب الله بن تكبروا على الله ورسوله بالإيمان بالله الصلة جماعة وقيل الصلاة عماد الدين  
وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عمادا ومن جعلتها مقاميا من التواضع بالمثل لأشعار بالركوع والسجود  
وقد كانت الرب قديما يأفون من الأحناء فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا يفتخ بالأخذ  
ويشطح شركه لعه فلا ينكسر رأسه لإصلاحه حتى قال حكيم بن حزم يايت النبي صلى الله عليه وسلم  
على أن لا آخر إلا لقائنا بيايه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ثم قه وكل إيمانه بسند ذلك (٢)

أن للشكة تستبرج  
بالمصباح فإذا صار  
سراج اليقين في القلب  
تزهى بكثرة زيت العمل  
بالليل فيزداد المصباح  
إشراقا وتكسب  
مشكاة القلب نورا  
وضياء . كان يقول  
سهل بن عبد الله  
اليقين نار والإقرار  
قبة والعمل زيت  
وقد قال الله تعالى  
- سيام في وجوههم  
من آثار السجود - وقال  
تعالى - مثل نوره  
كشمسة فيها مصباح -  
خود اليقين من نور  
الله في زجاجة القلب  
يزداد ضياء بزيت  
العمل فيبقى لزجاجة

(١) حديث كان يأكل على الأرض ويقول إنما أعبد كل كاي بأكل البعد تقدم في آداب البشارة

(٢) حديث حكيم بن حزم يايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا آخر إلا لقائنا الحديث  
رواه أحمد مختصرا على هذا وفيه إرسال خفي .

فما كان السجود عندهم هو منهى القلة والفضة أمروا به لتكسر بذلك خيادهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه أمر سائر الخلق لأن الركوع والسجود والتوكل فاعلموا العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يقتضيه الكبر من الأفعال فليواظب على يقضه حتى يصير التواضع له خلقاً فان القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً وذلك لحفاء العلاقة بين القلوب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من عالم الملكوت . لتقام الثاني : فيما يمرض من التكبر بالأسباب السبعة للذكورة وقد ذكرنا في كتاب ثم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فأما ما عدا هذا مما يغنى بالموت فكذلك وهي ثمن هنا يسر على العالم أن لا يتكبر ، ولكننا قد ذكر طرق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة . الأول النسب فمن يحتره الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بعرفة أمرين : أحدهما أن هذا جمل من حيث إنه تمزج بكامل غيره ، ولذلك قيل :

لئن غرت بأباه ذوى شرف      قد صدقت ولكن بشئ ما ولدوا

فالتكبر بالنسب إن كان خبيثاً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكامل غيره بل لو كان الذي ينسب إليه حياً لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة ختمت من بولي أقرى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس هيأت بل مما متساويان والشرف لا لإنسان لا للدودة . الثاني أن يعرف نسبة الحق فيعرف أباه وجده فان أباه القرب نقطة قدرة وجهه البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبة فقال - الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نفسه من سلافة من ماء معين - فمن أصله التراب إلى الذي يدايس بالأقدام ثم خسر طينة حتى صار حملاً مستوراً كيف يتكبر وأخس الأشياء ما إليه انقسابه إذ قال أفضل من التراب وأنت من الحماة وأنت من اللثة فان كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب . فنقول : اختر القرب دون البعد فالنقطة واللثة أقرب إليه من الأب فليختر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رغبة فبالأب الأعلى من التراب فمن أين رفته وإذا لم يكن له رغبة فمن أين جاءت الرفة لو لمه فاذن أصله من التراب ونسبه من النقطة فلا أصل له ولا نسل وهذا يقضي النسب فالأصل بوطاً بالأقدام والتصل تنسل منه الأبدان ، فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشف النطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والده فلم يزل فيه نخوة العرف فبينما هو كذلك إذ أخبره عدول لا يشك في قولهم إنه ابن هندی حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجهه التلييس عليه فلم يبق له شك في صدقهم أقرى أن ذلك يقي شيئاً من كبره لا بل يسير عند نفسه أحقر الناس وأدمل فهو من استعشار الخزي لحسته في شغل عن أن يتكبر على غيره ، فهذا حال البصير إذا تضرع في أصله وعلم أنه من النقطة واللثة والتراب إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى مثل التراب أو يتعاطى اللحم بالحجامة وغيره هالكان يعلم به خسة نفسه لماسة أعضاء أبيه فتراب والله فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والله والأشياء القادرة التي يتزعم عنها هو في نفسه . السبب الثاني : التكبر بالجمال ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم ، ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبايح ما يكبر عليه فتمززه بالجلال فانه وكل به الأفقار في جميع أجزائه فربح في أمماته والبول في ترواهاط في أعين البزاق في فيه والوسخ في أذنيه والله في عروقه والصدید تحت جمرته والله أن تحت إبطه ينسل الغاطي يده كل يوم دفة أو دفتين ويتردد كل يوم الحلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو تركه يسه

القلب كالكوصب  
البري وتكسى أتول  
الرجاجة على مشكاة  
القلب وأيضاً يلين  
القلب فيار السور  
ويسرى لينة إلى القلب  
فلين القلب إلى القلب  
فيشاهان لوجود اللين  
الذي صمهما . قال الله  
تعالى - ثم طين جلودهم  
وقلوبهم إلى ذكر الله  
وصف الجلود باللين كما  
وصف القلوب باللين  
فإذا انتل القلب بالنور  
ولان القلب بما يسرى  
فيه من الأنس  
والسرور فيسدرج  
الزمان واللكان في نور  
القلب وينسرج فيه  
الكلام والآيات والسور

لاستقله فضلا عن أن يسهه أو يشمه كل ذلك يعرف قدرته وذلك هذا في حال توسطه في أول أمره خلق من الأقدار الثنية الصور من النطقه ودم الحيش وأخرج من مجرى الأقدار إذ خرج من الصلب ثم من الله كرجى البول ثم من الرحم مفين دم الحيش ثم خرج من مجرى القدر قال أنس رحمه الله : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه غيبنا فقدر إلينا أنشأ ويقول خرج أحدكم من مجرى البول مرتين ، وكذلك قال طاوس لمعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرم إذ ركة يفتخر وكان ذلك قبل خلافة وهذا أوله ووسطه ، ولو تركه في حياته يوما لم يتجدها بالتطيف والنسل ثارت منه الأكتان والأقدار وصار أنثى وأقندر من الدواب الهمة التي لاتصدها قط فلما نظر أنه خلق من أقدار وأسكن في أقدار وموت بغير جيفة أقندر من حائر الأقدار لم يفتخر بحاله الذي هو تكفراه العمن وكون الأذهار في البوادي فيها هو كذلك إذ صار هشيا تلدهو الرياح ، كيف ولو كان جماله باقيا ومن هذه القبايح خاليا لكن يجب أن لا يتكبر به على القبيح إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينبه ولا كان جمال الجليل إليه حتى يحمده عليه ، كيف ولا يقام له بل هو في كل حين تصور أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة أو سبب من الأسباب فكمن من وجوه جملة قد سمحت بهذه الأسباب فسرعة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجلال لمن أكثر تأملها .

السبب الثالث : التكبر بالقوة والأيدى وينتج من ذلك أن يطمع ماسلط عليهم من المال والأمراسر وإنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه لو سلبه القادير هيثا لم يستفده متوانة لو دخلت في أفعه أو دخلت في أذنه لقتلته وأن هو كذا لو دخلت في رجليه لأخبرته وأن حتى يوم نحمل من قومه مالا ينسبر في مدة فمن لا يطرق شوكة ولا يقاوم يغفلوا بقدر على أن يدفع من قسه ذباة فلا يفيضي أن يفتخر بقوته ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو ذئب أو جمل وأي اختار في صفة يسبقك فيها البهايم . السبب الرابع والخامس : التي وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والأصداء والتكبر بولاية السلاطين والتكبر من جهتهم وكل ذلك تكبر يسمى خارج عن ذات الانسان كالجلال والقوة والملم ، وهذا أتمج أنواع الكبر فان للتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه ودلوه ولو مات فرسه وانهدمت داره لاندلوا للتكبر بتسكين السلطان ولايته لأضيفه في قسه بنى أمره على قلب هو أحد غلياتا من القدر فان تغير عليه كان أذل الخلق وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجمل ، كيف والتكبر بالتقى لو تأمل رأى في اليهود من يزيد عليه في الثنى والثروة والتجمل أن يشرف يسبقك به اليهودى وأشرف بأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلا مغلسا فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة ذليل ونكسل فلتفاضر به غاية الجهول وكل مالمس إليك فليس لك شئ من هذه الأمور ليس إليك بل إلى وإياه إن أجابه لك وإن استرجعه زال عنك وما أنت إلا عبد مخلوق لا تقدر على شئ ومن عرف ذلك لابد وأن يزول كبره ، ومثاله أن يفتخر النافل بقوته وجماله وهو حرم يستأمله وسعة منزله وكثرة خروجه وغفائه إذ شهد عليه ما هادن عدلان عند حاكم منصف بأنه رفيق لفلان وأن أبوه كانا بمخولكين له فلم ذلك وسكن به الحاكم فجاءه مالكة فأخذه وأخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يغنى أن يماثيه ويكمل به لغرضه في أمواله وتضربه في طلب مالكة ليعرف أن له مالكا ثم نظر البدر فرأى قسه محبوبا في منزل قد أحدثت به الحيات والتقارب وهو هو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يتكلم قسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة آخرى من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقومه وكاله أم تملك قسه ويضع ؟ وهذا حال كل

وتحرق الأرض أرض  
القالب بنور ربها إذ  
يسير القلب مماء  
والقالب أرضا ولدة  
تلاوة كلام الله في محل  
للناجاة تستمر كرون  
الكائنات والكلام  
المجيد يكونه ينوب  
عن سائر الوجود في  
مواجهة صفو الشهود  
فلا يبقى حيث لا تنفس  
حديث ولا يسمع  
الهاجس حميس وفي  
مثل هذه الحالة يتصور  
تلاوة القرآن من  
فأعته إلى خاتمة من  
غير وسوسة وحديث  
قس وذلك هو القتل  
العظيم . الوجه الثاني  
قوله عليه السلام



عقل بصرفاته يرى نفسه كذلك فلا عاك رقيبته وأعضائه وما هو مع ذلك بين آفات وشبهات وأمرائش وأستقام هي كالغارب والحيات تخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقوته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة فلهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجية وهو أن من علاج التكبر بالعلم والعمل فالتواضع كالآل في النفس جديران بأن يخرج بهما ولكن التكبر بهما أيضا نوع من الجهل حتى كأن تذكره. السبب السادس : الكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدا عن قبول العلاج بالإشدة شديدة وجهه جهيد وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر اللسان والجلال وغيرها بل لا قدر لهما أصلا إلا إذا كان مسموعا وعمل، وذلك كعب الأجيال: إن العلم طغيانا كطغيان اللسان ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه العلم إذا زلزل زلزلته عالم يهجر العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجهل لكثرة ما تعلق الشرع بفضائل العلم ولين قدر العالم على دفع التكبر إلا بمعرفة أمرين : أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أكده وأنه يحتفل من الجهل ما لا يحتفل بشيء من العالم فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم طغيانه أغشى إذ لم يقض حق نعمته عليه في العلم وذلك قال صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعلم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه فيمورها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا يأمي وأهمل عن الشر وآتيه » وقد مثل الله سبحانه وتعالى من يعلم ولا يعمل بالخمار والكلب فقال عز وجل مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا - أراد به علماء اليهود ، وقال في بلم من باعوراء - وأصل عليهم نبأ الذي آتيناها فأنزلنا نسل منها - حتى بلغ لشدة كسل الكلب أن يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - قال ابن عباس رضي الله عنهما : أوتي بلم كتابا فأخذ إلى شجوات الأرض أي سكن حبه إليها فلهذا بالكذب - إن يحمل عليه يلهث أو تركه يلهث - أي سواء آتيناها بالحكمة أو لم آتيناها بالعبث وشبهته ويكنى العالم هذا الحمار فأى عالم لم يتبع شهوته وأى عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأمي فلهذا خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو مصدق فانه خطر أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره فهذا بذلك وهو كالكلب المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فانه إذا أخذ وقهر اهتدى أن يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخر سلامة الجاهل والبياد فانه منه فهذا الخطر يمنع من التكبر فانه إن كان من أهل النار فالخزير أفضل منه فكيف يتكبر من هذا حاله فلا ينبغي أن يكون العالم عند نفسه أكبر من الصعابة وضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول : يا ليتني لم تدني أي وأخذ الآخر تبتة من الأرض ويقول يا ليتني كنت هلمة التبتة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا أو كلبا ويقول الآخر ليتني لم ألك شيئا مذكورا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالا من الطير ومن التراب ومهما طال فكرهم في الخطر الذي هو يصده زال بالكيفية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق ومثاله مثال عبد أمر سيده بأمر ضرع فيها فترك بعضها وأدخل التضامن في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره خبر أن سيده أرسل إليه رسولا يخرج من كل ما هو فيه عرفنا ذليلا وبقية على يابه في الحر والشمس زمانا طويلا حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به الجهد أمر برفع حسابه وقتل عن جميع أعماله قليلا وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا روح عنسة فيه وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبده مثل ذلك وخفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون فإذا فكر

(١) حديث يؤتى بالعلم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه الحديث متفق عليه من حديث أسامة ابن زيد بلنظ يؤتى بالرجل وتضم في العلم

ومن مثل بالليل حسن وجهه بالنهار « معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتدارك له لونه من الله الكرم في تصاريفه ويكون معانا في مصدوره ومودعه فيحسن وجهه مقاصدوا أفعاله ويتنظم في ملكه السداد مسددا أنواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب [ الباب السادس والأربعون في ذكر الأسباب للجنة على قيام الليل وأدب النوم ] فمن ذلك أن البس يستقبل الليل عند غروب الشمس بتجديد الوضوء وقصد مستقبل

في ذلك انكسرت نفسه وذلك وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع رجاء أن يكون هو من غفلة عند نزول المذاب فكلكت العالم إذ انكسر فيأخضع من أواصر ربه بجنائيات طي جوارحه ويدنوب في باطنه من الرياء والمقد والمسد والحب والتفاق وغيره وعلم بما هو بسدده من الخطر العظيم فارتد كبره لاحالة الأمر الثاني: أن العالم سرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنه إذا تكبر صار محقوتاً عند الله أيضاً وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال إن كان عندى قدرا مالم تر نفسك قدرا فإن رأيت نفسك قدرا فلا قدرك عندى فلا بد وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يسيقن أنه لا ذنب له مثلاً وتصور ذلك وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ عطاوا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء نفسه وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله علمهم لهذا أيضاً مما يشتهى على التواضع لاحالة . فان قلت فكيف يتواضع القاسق للتظاهر بالقسق واليتبع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم ما يد وكيف يحمل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يتبين أن خطره ياله خطر العلم وهو يعلم أن خطر القاسق واليتبع أكثر . فاعلم أن ذلك إما يمكن بالتفكير في خطر الحاقمة بل ونظر إلى كافر لم يمكن أن يتكبر عليه إذ يتصور أن يسلم الكافر فيتم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيتم به الكفر والكبر من هو كبير عند الله في الآخرة والكسب والخزير على رتبة فمن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك ففكر من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقره ولذره للكفر وقد رزقه الله الاحلام وقال جميع المسلمين إلا أبكر وحده فالعواقب مطوية من العباد ولا ينظر الماعل إلى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تزداد للعاقبة فاذن من حق العبد أن لا يتكبر على أحد بل إن نظر إلى جاهل قال هذا صبي الله جهل وأنا عصيته يعلم فهو أعلو مني وإن نظر إلى عالم قال هذا عدو لي عالم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سنا قال هذا قد أطاع الله قبل فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال إنى عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال ما يدري له عيتم به بالإسلام ويحتم لي بما هو عليه الآن فليس دوماً للمبتدع إلى كما لم يكن ابتداءها إلى فبملاحظة الحاقمة يقدر على أن يثق الكبر من نفسه وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والتقرب من الله لا فاعل يظهر في الدنيا مما لا يقاوم له ولعمري هذا الخطر مشترك بين للتكبر والتكبر عليه ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الحمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه له فبذلك لا يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء الظن مولع وخدعة كل إنسان على نفسه فلا يحس جماعة في جنائيه وودوا بأن تضرب رءوسهم لم يترغوا التكبر بنفسهم على بسى وإن معهم الخطر إذ دخل كل واحد من نفسه عن الالتفات إلى م غيره حتى كأن كل واحد هو وحده في معيته وخطره . فان قلت فكيف أبض للبتبع في الله وأبض القاسق وقد أمرت بنفسهما مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض . فاعلم أن هذا أمر مشقة يلتصق على أكثر الخلق إذ يخرج غضبك في إنكار البهجة والقسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من ما يجهل جهل وعالم يتردد إذا رأى قاصداً جالساً يجنبه من وجهين عند وتزده منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله كما وقع لما بدى إلى إسرائيل مع خليفهم وذلك لأن الكبر على الطبع ظاهر كونه شراً والمحلل منه يمكن والكبر على القاسق والبتبع يشبه التضب لله وهو خير فان التضايق أيضاً يتكبر على من غضب عليه والتكبر بغضب أحد هما شراً الآخر ويوجبهما وتمازجان ملتصقان لا يميز بينهما إلا بالقول والحق غلطك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة البتبع أو القاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

القلب منتظراً حين  
الليل وصلاة المغرب  
مقياً في ذلك على أنواع  
الأدكار ومن أولها  
التسبيح والاستغفار  
قال الله تعالى لبيته .  
واستغفر ربك ووسع  
محمد ربك بالشي  
والأبكار ومن ذلك أن  
يوصل بين المشادين  
بالصلاة أو بالثلاوة  
أو بالذكر وأفضل ذلك  
الصلاة فانه إذا وصل  
بين المشادين ينسل  
عن باطنه أفكار  
الكدورة الحادثة في  
أوقات النهار من رؤية  
الخلق وحقا لطعم وجماع  
كلهم فان ذلك كله  
له أثر وخذش في القلوب

أحدنا التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصرف عند ذلك قدرك في عينك . والثاني أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث إنها نعمة من الله تعالى عليك فلهذا في تلك قرى ذلك منه حتى لا تتعجب بنفسك وإذا لم تعجب لم تتكبر . والثالث ملاحظة إلهام مقبلك ، ومقابته أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم إلهامك حتى يثقل الحوف عن التكبر عليه . فان قلت : فكيف أغضب مع هذه الأحوال ؟ فأقول : غضب لمولاك وسيدك إذا أمرك أن تغضب له لانفسك وأنت في غضبك لأثرى نفسك تأجيا وصاحبك حالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالحق ، وأعرفك ذلك بمثال العلم أنه ليس من ضرورة الغضب أنه أن تتكبر على الغضب عليه وترى قدره فوق قدره . فأقول : إذا كان للعلم غلام مولود هورقة عنه وقد وكل التلام بالولد ليراقبه وأمره أن يضرب بهما أساء أدبه واشتغل بملا يلقي به ويغضب عليه فان كان التلام عجا مطيعا لمولاه فلا يجد بدا أن يغضب مهما رأى وله قد أساء الأدب وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمر به ولأنه يريد التقرب بمشاكل أمره إليه ولأنه جرى من ولده مايكره مولاه فيضرب وله ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لأن الولد أعز لأعلاء من التلام ، فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك أن تنظر إلى التمتع والانساق وتنظر أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم لما سبق لهما من الحسن في الأزل وما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت تافل عنه ، ومع ذلك تغضب بحكم الأمر بحجة لمولاك إذ جرى مايكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة ، فكذلك يكون بعض العلماء الأكياس فينضم إليه الحوف والتواضع . وأما للفرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة ، وذلك غاية الفرور فهذا سؤل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البعده مع الغضب عليه ومجانته بحكم الأمر . السبب السابع : التكبر بالورع والعبادة وذلك أيضا فتنة عظيمة على العباد وسببه أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا يفتني أن يتكبر عليه فكيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم ، وقد قال تعالى - هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - . وقال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » (١) إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم ، فان قال العابد : ذلك لما يعمل به فهو هذا ما فاجر ، فيقال له : أما عرفت أن الحسنات بذهبن السيئات ، وكأن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما يمكن ، وقد وردت الأخبار بما يهديك ، وإذا كان هذا الأمر فاجبا عنه لم يجوز أن يحضر طالما بل يجب عليه التواضع له . فان قلت : فان صح هذا فيفتني أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوة عليه السلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكنا لو علم العالم ما يقامه من مخالفة الأمر مشكوك فيها فيحمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجهل بالتواضع للرب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مثله به ، وإذا كان هذا ممكنا كان في نفسه خاتما فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خاتما على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا مفر فيه فيفتني أن يكون التناوب عليه في حق نفسه الحوف وفي حق غيره الرضاء وذلك يمنه من التكبر بكل حال فهذا

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي الترمذي من حديث أبي أمامة وتقدم في العلم .

حتى انظر إليهم يقب  
كعدوا في القلب يدركه  
من رزق صفاء القلب  
فيكون أثر النظر إلى  
الحق البصيرة كالقندي  
في السنين لا يصر  
وبالمواصلة بين  
الشاهد رجب ذهاب  
ذلك الأمر . ومن ذلك  
ترك الحديث بعد  
النشأ الآخرة فان  
الحديث في ذلك الوقت  
يلعب طراوة النور  
الحادث في القلب من  
مواصلة العبادين  
ويقيد عن قيام الليل  
سواء إذا كان عريا  
عن شقة القلب ، ثم  
تجديد الوضوء بعد  
النشأ الآخرة أيضا

حال العابد مع العالم فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور قطله أقل منه ذنوبا وأكثر منه عبادة وأشد منه جباة . وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تريد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تحصر على إحسانها حتى تعلم الكثرة ، نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كالورايت منه القتل والشرب وما زاد ناعم ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والفنل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخليل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله فرجما جرى عليك في بطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله محنوتا وقد جرى للقاسق الظاهر القسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته فيكشف النطاء يوم القيامة قره فوق نفسك بدرجته فهذا ممكن والإمكان البعيد فيها عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت مشفقا على نفسك فلا تتكبر فيها وما يمكن لتترك بل فيها هو خوف في حشك فانه لا تزد وزر وأزرة أخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فلا تتكبر في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك ، وقد قال وهب بن منبه ماتم عقل جيد حتى يكون فيه عشر خصال فقد تمة حتى يبلغ الماشرة فقال الماشرة وما الماشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإما الناس عنده فترتان : فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي شر منه وأدنى فهو تواضع للفرقتين جميعا قبله إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتحي أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلان لراه إلا الضمان العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله فيرحمه الله وتوب عليه وبعثه به بأحسن الأعمال وبرى ظاهر فذلك شر لي فلأنا من فيها أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطها ثم قال حينئذ كل عقه وساد أهل زمانه فهذا كلامه . وبالحقيقة يجوز أن يكون عند الله حقا وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته في السيل إلى أن يتكبر حاله من الأحوال ، نعم إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه ذلك هو القضية كل روى أن ما بدا أقوى إلى جبل قيل له في النوم انت فلانا الاسكاف فله أن يدعو لك فأتاه فساءه عن عمله فأخبر ما نه يصوم النهار ويكتسب فيصدق يحسنه ويعلم عياله يحسنه فرجع وهو يقول إن هذا لحسن ولكن ليس هذا كاف في طاعة الله فأنى في النوم ثانيا قيل له انت فلانا الاسكاف قل ما هذا الصغار الذي يوجبك فأتاه فساءه فقلله ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا قال العابد بهلما الذي يدل على قضية عمله الحقة قوله تعالى - يؤتون ما آتوا وقلوبهم إلى دبرهم أنهم إلى دبرهم اجوس - أي أنهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى - إن الذين هم من خيفة ربهم مشفقون وقال تعالى - إننا كنا قبل في أهلنا مشفقين - وقد وصف الله تعالى للآفة عليهم السلام مع تهمهم عن الذنوب ومواقبتهم على العبادات على السبب بالاغتراف قال تعالى غير أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم من خشية مشفقون - فترى زال الاغتراف والحذر مما سبق به القضاء في الأزل ويكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الحروف وهو مسدد ، فاذن ما يقصد العابد بإظهار الكبر واحتقار الحق والنظر إليهم بسين الاستعذار أكثر مما يسلحه بظاهر الأعمال فله معارف بها يزال داء الكبر عن القلب

معين على قيام الليل .  
حتى لي يرضى الفقراء  
عن شخص له غرسان  
أنه كان يقتل في الليل  
ثلاث مرات مرة بعد  
المساء الأخيرة ومرة  
في أثناء الليل بعد  
الاجتماع من النوم  
ومرة قبل الصبح  
قلوبه والنسل بعد  
المساء الأخيرة أو  
ظاهر في تيسير قيام  
الليل ومن ذلك التودع  
على الذكر أو القيام  
بالسلسلة حتى يئلب  
النوم فان التودع على  
ذلك يمين على سرعة  
الابتداء إلا أن يكون  
واقفا من شغور عاداته  
فيصنع النوم

لا غير إلا أن النفس بعد هذه الفرصة قد تستمر التواضع وتدعى البراءة من الكبر رهي تاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبيعتها ونسيت وعددها فمن هذا لا ينبغي أن يكتفى في الدواية بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تسكن بالعدل وتجرب بأفعال للتواضع في مواقع هيجان الكبر من النفس، ويأمن أن يتبين النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج مافي الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة: الامتحان الأول أن ينظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فقل عليه قبحه والافتقار والاعتراف به والشكر له على توبيخه وتعرضه وإخراجه الحق فذلك يدل على أنه فيه كبراً دفيناً فليقلق الله فيه ويشغل بملاجه، أما من حيث العلم فإن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما العمل فإن يكلف نفسه ما قل عليه من الاعتراف بالحق وإن بطأ السلطان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن ما فعلت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما ينبغي له فالسكة صالة للأؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك لمطبعاً وسقط تدل الحق عن قلبه وطالب لغيره ومهما قل عليه الثناء على أقرانه بما فيه من كبر فإن كان ذلك لا يتقل عليه في الخلوة ويقل عليه في للأغلب في كبر وإيماء فيه رياء فليالج الرءاء بمذاكرته من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بأن منعمته في كماله فدائه وعدائه لأعداء الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرءاء وإن قل عليه في الخلوة وللأغلب جميعاً فيه الكبر والرءاء جميعاً ولا ينفعه التخلص من أحدهما تام يتخلص من الثاني فليالج كلاهما بين فانهما جميعاً مهلكان. الامتحان الثاني أن يجمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويؤتي خلقهم ويجلس في الصدور تحته فإن قل عليه ذلك فهو متكبر وإذا واظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه قل ذلك زاياله الكبر وههنا الشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يعمل بينه وبين الأقران بعض الأبدال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر فإن ذلك يخف على نفوس للتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر باظهار التواضع أيضاً بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بينهم ولا ينحط عنهم بل صف النعال لذلك هو الذي يخرج حيث الكبر من الباطن. الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرقاء والأرباب فإن قل ذلك عليه فهو كبر فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والتواب عليها جزيل عفور النفس عنها ليس إلا الخبث في الباطن فليشتغل بأزائه بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من العارف التي تزيل داء الكبر. الامتحان الرابع أن يعمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورقاته من السوق إلى البيت فإن أتت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء فإن كان يقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر وإن كان لا يقلق عليه الإزعاج مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلوه للعالمية له إن لم يتدارك وقد أهمل الناس طلب القلوب واشتغلوا بطلب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لأصالة والقلوب لا تترك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالى: لا آمن آت الله قلب سليم ويرى من عبده إن سلم أنه حمل حزمة حطب قليل له يا أيها يوسف قد كان في غلمانك وحتك ما يريك قال أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تتذكر ذلك فلم تخضع منها بما أعطته من العزم على ترك الأثرة حتى جربها أهى صادة أم كاذبة وفي الخبر من حمل القاكبة أو الكبر (١) الامتحان الخامس أن يلبس ثياباً بسيطة فإن هور النفس عن ذلك في اللأراء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله

(١) حديث من حمل الكبري قد برئ من الكبر البهيمي في الشعب من حديث أبي أمامة وضمه بلفظ من حمل شماغه .

ويستجبه ليقوم في  
وتسه للعبود وإلا  
فالقوم عن النبله هو  
الذي يصلح للربيعين  
والطالين وبهنا  
وصف الميرون قبل  
نومهم نوم الفرق  
وأكلهم أكل الرضى  
وكلامهم ضرورة فن  
تام عن ظلية بهم  
جمع متعلق بقيام  
الليل يوفق لقيام  
الليل وإنما النفس  
إذا أطمعت ووطئت  
على النوم استرسلت  
فيه وإذا أزعجت  
بصدق العزيمة  
لا تسترسل في الاستغراق  
وهذا الأزعاج في  
النفس صدق العزيمة

عنه له . «ح يلبس بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم «من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من  
الكبر» (١). وقال عليه الصلاة والسلام «إنما أنا عبد أكل بالأرض وألبس الصوف وأعتل البعير  
وألقى أصابي وأجيب دعوة المملوك لمن رغب عن سقن فليس في» (٢). وروى أن أبا موسى الأشعري  
قوله «إن أنوما يتخلقون من الجملة بسبب قيام قلبى عبادة فصل فيها لباس وهذه مواضع يجتمع  
فيها الرياء والتكبر فيأخذ من الملامة فهو الرياء ، وما يكون في الخلة فهو الكبر ، عاقر فان من  
لا يعرف التبر لا يشبهه ، ومن لا يدرك اللز لا يدأويه .

### ( بيان فاية الرياسة في خلق التواضع )

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة: فطرفة التي يميل إلى الريادة يسمى تكبرا وطرفة  
التي يميل إلى التقصان يسمى تخاسبا وملة ، والوسطية تواسعا . والهمودان تواضع في غير ملة  
ومن غير تخلس فان كلا طرفي الأمور مضم . وأحب الأمور إلى الله تعالى أو ساطعها يتقدم بأمثاله  
فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أى موضع شيئا من قدره الذي يستحقه العالم إذا دخل عليه يسكف  
فتسعى له عن جلسته وأجله فيه ثم تقدم وسوى له فله وهذا إلى باب الدار خلفه قد تخاسس وبذل  
وهذا أيضا غير محمود بل الممعد عند الله العدل ، وهو أن يسكن كل ذي حق حقه لينبش أن تواضع يمثل  
هذا الأمران ومن يرب من درجته فأما تواضعه للسوق في القيام والشر في الكلام والرفق في السؤال  
وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف  
منه على غيره فلا يحقره ولا يستغفره وهو لا يعرف خاتمة أمره ، فاذن سبيله في كتاب التواضع أن  
يتواضع للأمران ولين دونهم حتى يخف عليه التواضع الممود في عمامن العادات لينزول به الكبر عنه  
فان خف عليه ذلك قد حصل له خلق التواضع وإن كان يضل عليه وهو يضل ذلك فهو متكفف  
لا تواضع بل الخلق ما صدر عنه القمل يسوقه من غير تقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يضل  
عليه رعاية قدره حتى أحب الخلق والتخاسس قد خرج إلى طرف التقصان ، فليفرغ نفسه إذ ليس  
لهم أن تذل نفسه إلى أن يهود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك فاضن في هذا الخلق  
وفي سائر الأخلاق والليل عن الوسط إلى طرف التقصان وهو الخلق أهون من الليل إلى طرف الريادة  
بالتكبر كما أن الليل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الليل إلى طرف البخل ، فباية التبذير  
ونهاية البخل مضمومان وأحدهما أخفى ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التقصن والتذلل مضمومان  
وأحدهما أفتح من الآخرة ، والهمودان هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف  
ذلك بالشرع والعادة ، ولتقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع .

القطر الثاني : من الكتاب في العجب وفيه بيان ذم العجب وآفاته وبيان حقيقة العجب والإدلال  
وسددها وبيان علاج العجب على الجملة وبيان أقسام مابه العجب وتخصيل علاجه .

### ( بيان ذم العجب وآفاته )

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى يوم حنين  
إذ أهيكتكم كثرتمكم ثم تبن عنكم شيئا - ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عز وجل - وظنوا أنهم  
مانتهم حسنتهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في إعجابهم بمصوبهم وشوكرهم  
وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل . وقد

(١) حديث من اعتقل البعير ولبس الصوف قد برى من الكبر البيهقي في الشعب من حديث  
أبي هريرة زيادة فيه وفي إسناده القاسم الجعري ضعيف جدا .

(٢) «إنما أنا عبد أكل بالأرض وألبس الصوف الحديث تقدم بضمه ولم أجد بقيته .

هو التجافي الذي قال  
الله تعالى - تجاف  
جنوبهم عن الضاحج -  
لأن المهم بقيام الليل  
وصدق العزعة يحمل  
بين الجنب والمضجع  
توا أو تجافيا وقد قيل  
لنفس نظران : نظر  
إلى تحت لاستيفاء  
الأقسام البدنية ونظر  
إلى فوق لاستيفاء  
الأقسام العلوية  
الروحانية . فأرياب  
العزعة تجاف  
جنوبهم عن الضاحج  
لنظرم إلى فوق إلى  
الأقسام العلوية  
الرحمانية فأعطوا  
النفوس حقه من الزم  
ومنعوا حظها من النفس

يجب الانسان بعمل هو عظمى فيه كما يجب بعمل هو مصيب فيه . وقد ملئ الله عليه وسلم  
 و ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب للره بنفسه (١) وقال لأن ثلثة حديث ذكر آخر  
 هذه الأمة ، وقال : إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى بأهـ فليكن خشك (٢) .  
 وقال ابن مسعود : الملاك في الثنتين القنوط والسب وإنما جمع بينهما لأن السادة لاتزال إلى السبى  
 والطلب والجد والتشمر والقنوط لا يسمى ولا يطلب والسب يتقدأ أنه قدس وقد تفرع براده فلا يسمى  
 فالوجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسادة موجودة في اعتقاد السبب خاصة له ومستحبة في اعتقاد  
 القنوط فمن هنا جمع بينهما . وقد قال تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - قال ابن جرير معناه إذا عملت  
 خيراً فلا تقل عملت . وقال زيد بن أسلم لا تبروها أى لا تعتقدوا أنها برتوهو . من السبب وهو في طاعة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بنفسه فأكب عليه حتى أصيبت كفه فكانه أعجب له  
 العظم إذ فداه بروحه حتى جرح فخرس ذلك عمر فيه قال لما زال يرف في طلحة تأو منذ أصيبت أصبه  
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) والثا هو السبب في الفتنة إلا أنه لم يقتل فيما أنه أظهره واحتقر مسلماً  
 ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس أين أنت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة ، فإذا كان  
 لا يتخلص من السبب أناملهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم . ولا مطرف لأن أيت  
 ناعماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن أيت ناعماً وأصبح ممعباً . وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لو لم تذبوا  
 لحشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك السبب (٥) فجعل السبب أكبر الذنوب . وكان يهرن منصور  
 من الذين إذ رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة تلوأظيته على العبادة فأطال الصلاة يوماً رجل خافه فظن  
 فظن له جبر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له لا يجيئك ماريت منى فان إلهيس لسه الله قد عبد الله  
 تعالى على الثلاثكة مدة طويلة ثم صار إلى ماضار إليه . وقيل لماثله رضى الله عنه ما يكون الرجل  
 مسيئاً قالت إذا ظن أنه حسن وقد قال تعالى - لا يظلوا صدقكم بالبن والأذى والآن نتيجة استظام  
 الصدقة واستظام العمل هو السبب ، فظهر بهذا أن السبب مذموم جداً .

## ( بيان آفة السب )

اعلم أن آفات السب كثيرة فان السب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما ذكرنا فتدبر من السبب  
 الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تحصى هذا مع الباد . وأما مع الله تعالى فالسب يدعو إلى  
 نسيان الذنوب وإهمالها فينسى ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقد لها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فبإسهاوما  
 يتذكره منها فيستغفره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يفره . وأما العبادات  
 والأعمال فانه يستعظمها ويتبع بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتفكير منها ثم  
 إذا أعجب بها عصى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سمية ضالماً فان الأعمال الظاهرة  
 إذا لم تكن خالصة تقية عن الشوائب قلما تنفع وإنما يتفقد من شلب عليه الإفراق والخوف

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تدم غير مرة (٢) حديث أن ثلثة إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً  
 وإعجاب كل ذي رأى بأهـ فليكن خشك (٣) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وأكب عليه حتى أصيبت كفه البخارى من رواه يعقوب  
 ابن أبي حازم قال رأيت يد طلحة غلاة وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم (٤) حديث لو لم تذبوا لحشيت  
 عليكم ما هو أكبر من ذلك السبب السبب البرار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشيبين حديث  
 أنس وفيه سلام بن أبي الصهابة قال البخارى منكر الحديث . وقال أحمد حسن الحديث ورواه  
 أبو منصور الديلى في مسند القردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً .

بما فيها مركوز من  
 التراب والجمادية ترسب  
 وتستحس وتستهل  
 النوم . قال الله تعالى  
 - هو الذى خافكم من  
 تراب - ولأدى بكل  
 أصل من أصول خلقته  
 طيبة لازمة له .  
 والرسوب صفات تراب  
 والكسل والتقاعد  
 والتأوم بسبب ذلك  
 طيبة في الانسان ،  
 فأرباب الهمة أهل العلم  
 الذين حكم الله تعالى لهم  
 بالمطرق قوله تعالى من  
 هو قامت آتاء الليل  
 ساجدا وقاماً - حتى  
 قال - قل هل يستوى  
 الذين يطون والذين  
 لا يطون - حكم لولا  
 الذين قاموا بالليل لهم

دون العجب والسبب يتر بنسه ورأيه ويؤمن بكر الله وعذابه وظن أنه عند الله بكان وإنه عند الله منه وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطائه وخرج العجب إلى أن يبقى على نفسه وعندهما ويزكيا وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة من الاستفادة والسؤال فيسبب بنسه ورأيه ويستكشف من سؤال من هو أعلم منه ورعا يجب بالرأى الخطأ الذي خطره فيخرج بكونه من خواطره ولا يخرج بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصيح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بين الاستجبال ويصر على خطئه فان كان رأيه في أمر ديني فيحقق فيه وإن كان في أمر دني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستمان بلاء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق فهذا وأمثاله من آفات العجب فذلك كان من التهلكات ومن أعظم آفاته أن يفتري السعي لظنه أنه قد فاز وأنه قد استنق وهو المهلك الصريح الذي لا شبهة فيه . نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته .

( بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما )

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كالأعمال والحواليم بحال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حاله : إحداهما أن يكون خافيا على زواله ومشقيا على تذكره أو سلبه من أصله فهذا ليس بعجب والأخرى أن لا يكون خافيا من زواله لكن يكون فرحاً به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضا ليس بعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحاً به مطمئناً إليه ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث إنه عطية من الله تعالى ونعمة منه فيكون فرحه به من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له من حيث إنه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه فهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله معها هام سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فالعجب هو استنظام النعمة والكون إليها مع نسيان إضافتها إلى النعم فان انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقا وأنه منه بكان حتى يتوقع بميله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجرى عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجرى على الناساق متى هذا لإدلالا بالمثل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة وكذلك قد جعل غيره شيئا فيستعظمه ويعين عليه فيكون ممجيا فان استغفمه أو اتهم عليه الاقترحات أو استبعد خلقه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى - ولا تغن تستكبر - أي لا تدل بملك وفي الخبر « إن صلاة للدل لأرفع فوق رأسه ولأن تضعك وأنت معترف بذنك خير من أن تبكي وأنت مدل بملك (١) » والإدلال وراء العجب فلا مدل وهو معجب ورب معجب لا يدل إذ العجب يحصل بالاستنظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء فان توقع إيجابه هو تامة استكبرها يماضيه وتجنب منه كان مدلا بميله لأنه لا يتجنب من رد دعاء الناساق ويتجنب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه ، والله تعالى أعلم .

( بيان علاج العجب على الجملة )

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بقدره وعلة العجب الجهل المحض فملاجه للبرق للفتنة لذلك الجهل فقط فنفرض العجب يشمل داخل تحت اختيار المبدأ كالعبادة والصديقة والتقوى وسيلة للحلق وإصلاحه فان العجب يهمل أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول : الورع التقوى والبصيرة والعمل الذي به يجب إنما يجب بمن حيث إنه في

(١) حديث إن صلاة للدل لأرفع فوق رأسه الحديث لم أجد له أصلا .

فهم لموضع علمهم  
أزعموا النفوس عن  
مقار طبيعتها وروحها  
بالنظر إلى الذات  
الروحانية إلى ذوا  
حقيقتها فتجافت  
جنوبهم عن الضامع  
وخرجوا من صفه  
التافل المايج . ومن  
ذلك أن يغير العادة  
فان كان ذا وسادة  
يترك الوسادة وإن  
كان ذا وطاء يترك  
الوطاء وقد كان بعضهم  
يقول لأن أرى في بيتي  
هيطانا أحب إلى من  
أن أرى وسادة فانها  
تدعوني إلى النوم  
وتختير العادة في  
الويسادة والطناء



فهو عمله وجراه وأومن حيث إنه منه ويسيه وقوته إذن كان يجب به من حيث إنه فهو هو  
عنه وجراه ويجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لأن الجهل مسخر ويجري لامتداده في الإيجاد  
والتحصيل فكيف يجب بما ليس إليه وإن كان يجب به من حيث إنه هو منه وإليه واختياره  
حصل وقدرته ثم فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عملها  
من أين كانت له فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة بدلى بها  
فينبغي أن يكون إيجابه بجلود الله وكرمه وفضله إذ أنفاه عليه مالا يستحق وآثره به على غيره من غير  
سابقة ووسيلة فهما بجزء لك لتمامه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لصفة فيقول لولا  
ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي أن يتعجب للتم عليهم فضل الله وحكموا وإشارته من غير استحقاق وإيجابه  
بنفسه من أين وما سببه ولا يبنى أن يجب هو بنفسه ، ثم يجوز أن يجب المبدئ يقول لك حكم  
عدل لا يظلم ولا يقدح ولا يؤخر إلا لسبب فقلوا أنه مظهر في صفات الصفات المحمودات لا يتألم الاقتصي  
الإثبات بالحكمة ولما أترنى بها فيقال وتلك الصفة أيضا هي من خلقة الله وعطيت إلى خصصك بها من  
غيرك من غير وسيلة أو هي عطية غيره فإن كانت من عطية لك أيضا لم يكن لك أن تعجب بها بل  
كان كما لو أعطاك فرسا فلم تعجب به فأعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول إنما أعطاني غلاما لأنني  
صاحب فرس فأما غيره فلا فرس له فيقال وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس  
والغلام مما أو يعطيك أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن تعجبك جوده وفضله لا هتك  
وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق اللؤلؤ ولا يتصور  
في حق الجبار القاهر ملك اللؤلؤ للفرد باختراع الجميع للفرد بإيجاد الوصف والصفة فان كان أحببت  
بعبادتك وقلت وتقي لعبادة علي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فتقول هو فيقال فالحب والعبادة  
كلهما نعمتان من عنده ابتدأ بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون  
الإعجاب بجلوده إذ أنه بوجودك وجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذا لامني لعجب  
العابد بعبادته وحجب العالم بعبده وحجب الجليل بجماله وحجب النبي بفضائه لأن كل ذلك من فضل الله وإنما  
هو محل لقبضان فضل الله تعالى وجوده والجل أيضا من فضله وجوده . فان قلت: لا يمكن أن أجعل  
أعمالي وأنى أنا عملها فاني أنتظر عليها ثوابا ولولا أنها على لما انتظرت ثوابا فان كانت الأعمال مخلوقة  
فهي على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وقدرتي فكيف لا أحب بها .  
فاعلم أن جوابك من وجهين : أحدهما هو صريح الحق والآخر في مسأحة . أما صريح الحق فهو أنك  
وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه لما عملت إذ عملت وما صليت إذ  
صليت وما رميت إذ رميت ولكن الله رضى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة  
أوضح من إصرار العين بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك  
العقل والهم وخلق لك الإرادة ولو أردت أن تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تحذر عليه ثم خلق  
الحركات في أعضاءك مستبدا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقه  
على ترتيب فلم يخلق الحركة عالم يخلق في الضوء قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة عالم يخلق علما  
بالمعاد ولم يخلق علما عالم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدبر به في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي  
خيل لك أنك أوجدت عملك وقد غلطت ، وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق النفساني  
تفريره في كتاب الشكر فانه أليق به فارجع إليه ، ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي  
فيه مسأحة ما وهو أن تعجب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك

والوطاء تأخير في ذلك  
ومن ترك شيئا من  
ذلك والله عالم بنيه  
وعزته يشبه على ذلك  
يتيسر ما رام ومن ذلك  
خفة للجنة من الطعام  
ثم تناول ما يأكل من  
الطعام إذا تقرر بذلك  
الله ونظرة الباطن  
أمان على قيام الليل  
لأن بالذكر ينهب  
داؤه فان وجد للطعام  
تقلا على للجنة يبنى  
أن يعلم أن الله على  
القلب أكثر فلا ينم  
حتى يذهب الطعام  
بالذكر والتلاوة  
والاستغفار قال بعضهم  
لأن أخص من عشاء  
لجنة أحب إلى من

ووجود حملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب حملك وكل ذلك من الله تعالى لامنك فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يسلك المفتاح فلا يمكنك العمل بالعبادات خزان بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والهم وهي يدها لا عالة لأرايت لولا رأيت خزان الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها يد خازن ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يتحرك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن للمفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فهدت يدك وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن للمفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن اللذة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله في تسليم للمفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت البدن والبروات وصرفت عنك اللوانع والصورات حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل حين عليك وتحريك البدن وصرفت البدن الوائق وتيسر الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجموده وقضه وكرمه في إثارة إليك على التسليم من عباده إذ سلط بدواي الفساد على التسليم وصرفت عنك وسلط أعداء السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات والذلات وزواها. عنك وصرفت عنهم بوائع الخير ودوايه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فهل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جرعة سابقة من الناسق العاصي بل أترك وقدمك واسطفاك بغضه وأبعد العاصي وأعماه بدهلهما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك فأذن لاتصرف قدرتك إلى القصور إلا بتسلط الله عليك داعية لا تجسيدا إلى عقابها فكانت الذي اضطرك إلى التسليم إن كنت فاعلا عقيقا لله الشكر ولكل ذلك وسأفني في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والسيئات مالتين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه والعجب من يتعجب إذا رزقه الله عقلا وأقره من أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعتني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو القائل الجاهل حتى يكاد يرى هذا ظنا ولا يدري للفرور أنه لو جمع له بين العقل والسلب جميعا لكان ذلك الظلم أعجب من ظاهري الحال إذ يقول الجاهل التقير يارب لم جمعت له بين العقل والفتى وحرمتني منهما فلا سمعتهما أو هلازنتني أحدهما وإلى هذا أمار على رضى الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء قرا فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل التقير ربما يرى الجاهل الذي أحسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهه وغناه عوضا عن عقلك وقررك لامتنع عنه فأذن ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك والراءه الحسنة التقيرة ترى الحلى والجواهر على النسيمة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخص مثل ذلك التبسح ولا تدرى للضرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين التبسح مع الفتى لأرت الجمال فأذن نعمة الله عليها أكبر وقول الحكميم التقير العاقل قبله يارب لم حرمتني الدنيا وأعطينا الجاهل كقول من أعطاه الله فرسا فيقول أيها الملك لم لا تعطني النعام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تصعب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرسا أسارت نفعك عليك وسيلة لك وحيمة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أو هلم لا تخو الجاهل عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل وزال ذلك بالعلم الحق بأن البعد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق وهذا بنى السبب والإذلال ويورث الخشوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور أن يسبب

أن أقوم ليلة الأحوط  
أن يور قبل النوم  
قانه لا يدري ماذا يحدث  
ويستظهره وسواكه  
عنده ولا يدخل النوم  
إلا وهو على الطهارة.  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إذا نام  
العبد وهو على الطهارة  
عرج روحه إلى العرش  
فكانت رؤياه صادقة  
وإن لم يتم على الطهارة  
قصرت روحه عن  
البويع فتكون الثامات  
أضغاث أحلام  
لا تصفق » والريد  
للتأهل إذا نام في  
الفراس مع الزوجة  
ينشئ وضوءه باللس  
ولا يفوته بذلك فائمة

بصله وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يارب تأني لي يا إلهي الإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود قائم . وفي رواية ما أخرجه ساعق بن أبي وهار إلا وطابد من آل داود يبدك إمامي وإما يسوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه داود ومن أين لهم ذلك إن ذلك لم يكن إلا ولولا عوني ليك ما قوت وما لك إلى هلك . قال ابن عباس : إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بسببه إذ أضافه إلى آل داود مدله حتى وكل إلى نفسه فأذنب ذنبا أورثه الحزن والندم . وقال داود : يارب إن بني إسرائيل يسألونك إبراهيم وإسحق ويعقوب قال إني ابتليتهم فصبوا قال يارب وأنا إن ابتليتني صبرت فأذل بالصل قبل وقته فقال الله تعالى فاني لم أخيرهم بأى شيء ابتليهم ولا في أى شهر ولا في أى يوم وأنا عتيرك في سنتك هذه وشرك هذا ابتليك غدا بأمرأة فاحذر حشك فوقع فيها وقع فيه وكذلك لما ابتلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على وجههم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لقلب اليوم من قة (١) وكلموا إلى أنفسهم قال تعالى - ويوم حنين إذ اهجمتكم كثرتكم فلم تخن عنكم هيتا وصاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين - . روى ابن عيينة أن أيوب عليه السلام قال إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا أثرت هوائك على هوائى فودى من غمامة بشرة آلاف صوت يا أيوب أنى لك ذلك أى من أين لك ذلك ؟ قال فأخذ رمادا ووضعه على رأسه وقال منك يارب منك يارب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما كنا متمكن من أحد أبدا - وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم خير الناس « ما منكم من أحد ينسبه عمله قالوا ولأنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمته (٢) ولقد كان أصحابه من بعده يمتنون أن يكونوا أربابا وتبنا وطيرا مع صفاء أعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لدى بصيرة أن يجب بسببه أو يبدل به ولا يخاف على نفسه فلاذن هذا هو العلاج القاطع لمادة السبب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب فقله خوف سلب هذه النعمة عن الأصحاب بها بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا لمة الإيمان والطاعة بنير ذنب أذنوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول إن من لا يبالى أن يهرم من غير جناية ويعطى من غير وسيلة لا يبالى أن يموت ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء وهذا لا يلق معه عجب بحال ، والله تعالى أعلم .

( بيان أقسام ما به السبب وتفصيل علاجه )

اعلم أن السبب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يجب بما لا يتكبره كسبه بالرأى الخفيا الذي يزين له يجعله فاه السبب بمسألة أقسام : الأول أن يجب بيده في جماله وهي صحت قوله وتساب أمكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة فصيل خلقته فليفت إلى جماله وشه وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو بمرسة الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه من التكبر بالجمال وهو التفكير في أقدار باطنه وفي أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجلية والأبدان الناعمة : أي كيف تزقت في التراب وأخفت في القبور حتى استلذتها الطباع . الثاني : البطش والقوة كما حكى عن قوم عاد

- (١) حديث قولهم يوم حنين لقلب اليوم من قة البقي في دلال النبوة من رواية الربيع بن أنس مرسل أن رجلا قال يوم حنين لن قلب اليوم من قة فتق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل - ويوم حنين إذ اهجمتكم كثرتكم - ولا ين مردويه في تفسيره من حديث أنس لما اتقوا يوم حنين اهجمتهم كثرتهم قالوا اليوم قتال قبروا ، فيه القرع بن ضافة ضفة الجهور (٢) حديث ما منكم من أحد ينسبه عمله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة .

النوم على الطهارة عالم  
يستمر في التذاد  
النفس بالسبب ولا يبدل  
يقظة القلب فأما إذا  
استمر في الالتذاد  
وغفل فتعجب الروح  
أيضا لمكان صلاته  
ومن الطهارة التي تشر  
صدق الرؤيا طهارة  
الباطن عن خدش  
الموى وكدورة عية  
الدنيا والفتنة عن  
أجاس النمل والمقد  
والمدود وقد ورد من  
أوى إلى فراشه لا ينوي  
ظلم أحد ولا يعقد على  
أحد غفرا له ما جترمه  
وإذا طهرت النفس  
عن الرذائل انجلت  
براة القلب وقابل

حين قالوا يا أخبر الله عنهم - من أشد منا قوة - وكما تسلك عروج على قوته وأوجب بها فالتعجيب  
 ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام تثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بقرعه هذ مشيف للنفار  
 حتى صارت في عنقه وقد يشكك المؤمن أيضا على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن  
 البية على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله تعالى غرم ما أراد من الولد<sup>(١)</sup> وكذلك قول داود عليه السلام  
 إن ابتليت صبرت وكان إيجابا منه بالقوة فلما ابتلى بالمرأة لم يسر ويورث السب بالقوة المحجوز في  
 الحروب وإلقاء النفس في التهلكة وللبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه  
 ما ذكرناه وهو أن يعلم أن يوم تضعف قوته وأنه إذا أصيب بها ربما سلبها الله تعالى بأذى آفة  
 يسلبها عليه . الثالث : السب بالقتل والكيسات والتفطن للفتن لا تفتن الأمور من مصالح الدين والدنيا ونحوه  
 الاستعداد بالرأى وترك الشهوة واستجبال الناس الخائفين له ولرأيه وخرج إلى مكة لإسماء إلى أهل  
 العلم إضرعا عنهم بالاستثناء بالرأى والمثل واستحقار لهم وإهانة وعلاجه أن يشكر الله تعالى على  
 ما رزق من العقل ويشكر أنه بأذى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويهيج بحيث يضحك منه  
 فلا يمان أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقل بشكره وليستقر عقله ولعلم أنه مأثور من  
 العلم لإقلاقه وإن اتسع عقله وأن ماجله بمعرفته الناس أكثر مما عرفة فكيف يعلم المرأة الناس  
 من علم الله تعالى وأن بهم عقله وينظر إلى الحق كيف يسيرون يقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر  
 أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يحل قصور عقله فينبغي أن يعرف مقدار عقله  
 من غيره لا من نفسه ومن أعدائه لا من أصدقائه فإن من يدلعه ينش عليه فيزده عجباً وهو لا يظن  
 بنفسه إلا الخير ولا يظن لجهل نفسه فيزده به عجباً . الرابع : السب بالنسب الشرف كسب الماشية  
 حتى يظن بهم أنهم أنجبوا بشرى نسب ونجاسة آباءه وأنه منقور له وتخييل بهم أن جميع الحق  
 له موال وعبيد وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أقسامهم وأجلائهم وظن أنه مملوق بهم فقد  
 جهل وإن اتقى بآبائهم لما كان من أخلاقهم السب بل الخوف والإزراء على النفس واستنظام الحق  
 وملة النفس وقد شرفوا بالطاعة والعلم والحاصل الحميدة لا بالنسب فيستعرف بما شرفوا به وقد  
 ساءهم في النسب وعارهم في القبال من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شر من الكلاب  
 وأخس من الخنازير ولذلك قاله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى لا لغايات في أنسابكم  
 لاجتماعكم في أصل واحد ثم ذكر ثلاثة بالنسب فقال - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا لم يأنسوا أن تتعارفوا  
 بالقبائل بالنسب فقال - إن أكرمكم عند الله أتقاهم - ولما قبل رسول الله ﷺ من أكرم الناس من  
 أكيس الناس لم يقل من يتقى إلى نسي ولكن قال أكرمهم أكثرهم الموت قال أكرمهم الموت<sup>(٢)</sup> ثم استنداد<sup>(٣)</sup>  
 وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة قال الحارث بن هشام وسيل بن عمرو  
 وخاله بن أسيد هذا اليد الأسود يؤذن قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاهم - وقال النبي  
 صل الله عليه وسلم «إن الله قد أنهب عنكم عيبة الجاهلية أي كبرها عليكم بنو آدم وأتبعهم تراب<sup>(٤)</sup>»

الروح المحفوظ في النوم  
 وانتفضت فيه هباب  
 النيب وغرائب الأنياب  
 ففي الصديقين من  
 يكون في منابه مكالمة  
 وهادئة فيأمره الله  
 تعالى وينهاه وينهجه  
 في اللثام ويصره  
 ويكون موضع ما ينش  
 له في نومه من الأمر  
 والتي كالأمور انتهى  
 الظاهر يسمى الله تعالى  
 إن أدخل بها بل  
 تكون هذه الأوامر  
 أكمل وأعظم وقيل لأن  
 الخائفات الظاهرة  
 تحسوها اتسوة  
 والتائب من الذنب  
 كمن لا ذنب له وهذه  
 أوامر خاصة تتعلق بحاله

- (١) حديث قال سليمان لأطوفن البية بمائة امرأة الحديث البخاري من حديث أبي هريرة
- (٢) حديث لما قبل له من أكرم الناس من أكيس الناس قال أكرمهم الموت ذكر الحديث  
 ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله وأكرم الناس وهو بهذه الزيادة عند ابن أبي الدنيا في  
 ذكر الموت آخر الكتاب (٣) حديث إن الله قد أنهب عنكم عيبة الجاهلية الحديث أبو داود  
 والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ورواه الترمذي أيضا من حديث ابن عمر وقال غريب .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا معشر قريش لا تأتوا الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالديناء تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي أعرض عنكم <sup>(١)</sup> » فينبأ أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش « ولما نزل قوله تعالى - وأندبر عسرتك الآخرين - نادى بهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا ضيفة بنت عبد المطلب همة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحلا لأنفسكما في لا أغنى عنكما من الله شيئا <sup>(٢)</sup> » فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع اتقوا بهم في التقوى والتواضع وإلا كان طاعنا في نسب همة بلسان حاله مهما اتقى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم بعد قوله فاطمة وصفية « إني لا أغنى عنكما من الله شيئا إلا أن لكم رحما سأبليها يلاها <sup>(٣)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « أرجو سلم شفاعتي ولا أرجوها بنو عبد المطلب <sup>(٤)</sup> » فذلك يدل على أنه سيخص قرايبه بالشفاعة . فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب أيضا جدير بأن أرجوها لكن بشرط أن يبقى الله أن يضرب عليه فانه إن يضرب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته لأن الأدوب متشعبة إلى ما يوجب للقت فلا يؤذن في الشفاعته وإلى ما يفي عنه بسبب الشفاعته كالأنوب عند ملك الدنيا فان كل ذي مكاة عند الملك لا يقدر على الشفاعته فيها اشتد عليه غضب الملك فمن الأدوب مالا تنجي منه الشفاعته وعنه الصابرة بقوله تعالى - ولا يشفعون إلا لمن أَرْضَى - وقوله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه - وقوله - ولا ترفع الشفاعته عند إلا لمن أذن له - وقوله - فما تنفعهم شفاعته الشافعين - وإذا انقسمت الأدوب إلى ما يشفع فيه وإلى مالا يشفع فيه وجب الخوف والإعتناء لاحالة ولو كان ذنب تقبل فيه الشفاعته لم امر قريشا بالطاعة ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها عن النصية ولكن يأذن لها في إجماع الشهوات لتكمل قدامها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لكمل قدامها في الآخرة فلا تهاكل الأدوب وترك التقوى انكالا على رجاله الشفاعته يضاهي إتهامك للريش في شيوته اعتادا على طيب حاذق قريب مشفق من أب أو أم أو غيره وذلك جهل لأن سعى الطبيب ومهته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لافي كلها فلا يجوز ترك الحجة مطلقا اعتادا على مجرد الطب بل للطبيب أثر في الجفة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال الزواج فهنا يفتنى أن فهم عناية الشفاء من الأدياء والصلحاء للأقارب والأجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزال الخوف والحذر وكيف يزال وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد كانوا يتنمون أن يكونوا بهائم من خوف الآخر فتمنع كالقوام وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما مضمونه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمام الجنة خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة مائة ولم يشكوا عليه ولم يشاركوا الخوف والخشوع قلوبهم ،

فبا بينه وبين الله تعالى  
فإذا أدخل بها غشى  
أن يقطع عليه طريق  
الإرادة ويكون في  
ذلك الرجوع عن الله  
واستيجاب مقام للقت  
فان ابنى البديق بس  
الأحايين بكسل وتور  
عزلة يمنع من تعبد  
الطهارة عند النوم بعد  
الحديث يمسح أعضائه  
بالماء مسحا حتى يخرج  
بهذا القدر عن زمرة  
الناقلين حيث تعاد  
من فصل التيقظين  
وهكذا إذا كسل عن  
القيام عقب الانتباه  
يجتهد أن يستاك  
ويمسح أعضائه بالماء  
مسحا حتى يخرج في

(١) حديث يا معشر قريش لا تأتوا الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالديناء تحملونها على رقابكم الحديث الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال يا معشر بني هاشم وستمنع منكم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - وأندبر عسرتك الآخرين - نادى بهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا ضيفة بنت عبد المطلب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة (٣) حديث قوله بعد قوله اللهم فاطمة وصفية إلا أن لكم رحما سأبليها يلاها مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ غير أن لكم رحما سأبليها يلاها (٤) حديث أرجو سلم شفاعتي ولا أرجوها بنو عبد المطلب الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أصح من حوشب عن إسحاق ابن راسل وكلاما ضعيف جدا .

فكيف يجب بنفسه ويشكل على الشفاعة من ليس له مثل محبتهم وسابقتهم . الخامس : العجب بنسب السلاطين الظلة وأعوامهم دون نسب الدين والعلم ، وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيمهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله وانفساد في دين الله وأهم للمقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأتانتهم وأقدارهم لاستنكف منهم وكثر أمان الانتساب إليهم ولا ننكر على من نسب إليهم استغذارا واستحقارا لهم ولو انكشف لهم في القيامة وقد تعلق الحياء بهم وللانكسار آخولون بنواصيرهم يجرؤهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرا إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الانتساب إليهم خلق أولاد الظلة إن عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم واستغفروا لأبائهم إن كانوا مسلمين ، فأما العجب بنسبهم لجهل بعض . السادس : العجب بكثرة العدد من الأولاد والحسن والقلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأبناج كما قال الكندر - نحن أكثر أموالا وأولادا - وكما قال للؤمنون يوم حنين لا تغلب اليوم من قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضغفه وضغفه وأن كلهم عبيدهم ولا يعلكون لأهسهم ضرا ولا قضا . و - كم من قلة قليلة غلبت قلة كثيرة إذن الله - ثم كيف يجب بهم وأهم سيفترقون عنه إذا مات قديفن في قبره ذليلا ميتا وحده لا يرأفقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا شعيير يسفونوه إلى البلى والحيات والقاربات والديدان ولا يفتنون عنه شيئا وهو في أحوالهم والهم وكذلك يهرون منه يوم القيامة - يوم يفر لهم من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه - الآية ، فأى خير لئمن يفارقه في أشد أحواله ويهرب منك وكيف تسحب به ولا يفتك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عمك وفعل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينعك وتقتنى نعم من تلك نعمك وضرك وموتك وحياتك . السابع : العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين إذا قال - أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا - ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير فاقبض عنه وجمع ثيابه فقال عليه السلام : أخشيت أن يسوء إليك قفرك (١) وذلك للعجب بالثنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء ويستغفر إلى الجنة في القيامة وإلى أن للمال فاد ورأى ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوة عليه الصلاة والسلام « بينا رجل يبيت في حلقه قد أعجبت نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجمل فيها إلى يوم القيامة (٢) » أهار به إلى عقوبة بهما هو نفسه وقال أبوذر « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فترأسي فإذا رجل عليه ثياب جواد ثم قال ارفع رأسك فترفت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خفقة فقال لي يا أبا ذر هنا عند الله خير من قربك الأرض مثل هذا (٣) » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتابهم الدنيا وكتاب ذم المال بين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء . عند الله تعالى فكيف يصور من المؤمنين أن يسبب بقرته بل لا يخلو المؤمنين عن خوف من قصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حقه ووضعه عند حقه ومن لا يخل ذلك قصيره إلى الحزى والبوار فكيف يجب بهما . الثامن : العجب بالرأى الخطأ . قال تعالى - أقمين زين له سوء عمله فرآه حسنا - وقال تعالى - وهم يحسبون أنهم

ظلماته واتجاهاته عن زمرة الماغلين في ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نوم وعند الانتباه منه ويستقبل القبلة في نومه وهو على وجهين ظمما على جنبه الأيمن كاللحمود وإماما على ظهره مستقبلا القبلة كالبيت السجى ويقول باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفه اللهم إن أمسكت عسى فافغفر لى وأرحمها وإن أزلتها فاحفظها عسا

- (١) حديث رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فاقبض منه الحديث رواه أحمد في الزهد (٢) حديث بينا رجل في حلقه قد أعجبت نفسه الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث أى ذك كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع رأسك فترفت رأسي الحديث وفيه هذا عند الله خير من قربك الأرض مثل هذا إن جاز في صحيحه .

يحنون صنما - وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذلك ينقلب على آخر هذه الآية (١) وبذلك هلكت الأم الساقطة إذا فترت فرقا فكل معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجب أهل البع والغلل وإنما أصروا عليها ليجيب بأرائهم والسبب بالدعة هو استحسان ما يسوق إليه المولى والشهوة مع ظن " كونه حقا ، وعلاج هذا العيب أحد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولوعرفه فكره ولا يبالغ في إلهاء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف تنسبر مدواته جدا لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويذكره عنه إلا إذا كان مسجورا برأيه وجب له أن لا يجنب إلى العارف ويحبه. قد سخط الله عليه بآية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب القرب مما هو سبب سعاده في اعتقاده وإنما علاجه على الجملة أن يكون متبعا لرأيه أبدا لا يفتقر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أوسنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأمة ولن يعرف الإنسان أداة التبرع والفعل وشروطها ومكانين التلطفها إلا بفرحة تامه عقل ناقص بوجه وتنشرف في الطلب وعارضا للكتاب والسنة وبجالة أهل العلم طول العمر ومدرسة العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه القلطي بغير الأمور والصواب لمن لم يفرغ لاستتراق عمره في العلم أن لا يخوض في للذهاب ولا يصنى إليها ولا يسلمها ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه - ليس ككله شيء وهو السميع البصير - وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويصح سنة السلف ويؤمن بحجة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتشير وسؤال عن تفصيل بل يقول آمنا وصدقنا ويشغل بالتقوى واجتباب الماصي وأداء الطاعات والشفقة على السفين وسائر الأعمال فإن خاض في للذهاب والبيع والتعصب في المقاتلة من حيث لا يشعر ، هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بغير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأول مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه والوصول إلى اليقين وللرقة في أكثر الطلاب عديد لا تقدر عليه إلا الألقاب للذين ينور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدا ، ففسأل الله تعالى الصفة من الضلال ونموده من الاختيار بخالات الجهال .

ثم كتبت ذم الكبر والسبب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

### (كتاب ذم التور)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع الهلكات من كتب إحياء علوم الدين)

### (بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور ويؤيده مفايق الحيرات والتور ، وخرج أولياهم من الظلمات إلى النور ، ومودر أعداءه ووطأت التور ، وبالصلاة على محمد فخرج الخلائق من الديجور ، وعلى آله وأصحابه الذين لم يخرم الحياة الدنيا ولم يخرم بالثأر التور ، صلاة تتوالى على محمد الهور ومكر الساعات والشهور . [ أما بعد ] فلتعج السادة التيقظ والفتنة ومنع الشقاوة التور والفتنة فلا نعمة له على عباده أعظم من الإيمان والفرقة ولا وسيلة إليه سوى اتسراح الصدر بنور البصرة ولا نعمة أعظم من السكينة والصحة ، ولا داعي إليها سوى حوى القلب بقلعة الجلالة لا كياس وأرباب البصار

(١) حديث أنه ينقلب على آخر هذه الأمة الإعجاب بالرأي هو حديث أبي ثعلبة التميمي قال رأيت شعا مطاها وهو ميتا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فليك حجارة فهاك وهو عند أبي داود والترمذي .

### (كتاب ذم التور)

عظمت به عبادك الصالحين  
اللهم إني أسألت نفسي  
إليك ووجهت وجهي  
إليك وفوضت أمري  
إليك وألجأت ظهري  
إليك رهبتك ورغبة  
إليك لاملجأ ولا منجى  
منك إلا إليك آمنت  
بكتابك الذي أنزلت  
ونبيك الذي أرسلت  
اللهم تقى عذابك يوم  
تبعث عبادك الحمد لله  
الذي حكم قهر الحمد  
له الذي يظن الخير  
الحمد لله الذي ملك  
قدر الحمد لله الذي  
هو يحيى الموتى وهو  
على كل شيء قدير اللهم  
إني أعوذ بك من  
غضبك وسوء عقابك

فأبهم كشكة فيها مصباح للصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والتورون فلوهم كظلمات في بحر لجي يشاء موج من فوقه موج من فوقه مصاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً لم يله من نور الأكياسم الذين أراد الله أن يهديهم فصرح صدورهم للإسلام والهدى والتورونم الذين أراد الله أن يضلهم قبل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء والتورون هو الذي لم تنتع بصيرته ليكون هداية غش كفيلاً وفي العمى فالتخذه الموى قائداً والشيطان دليلاً ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً وإذا عرف أن التورون هو أم التفاوت وينبع للهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتخصيل ما يكثر وقوع التورون فيه ليلحه الريد بعد معرفته فيخيه فاللوق من اليباد من عرف مداخل الآفات والفساد فاعلمها حله دوى على الحزم والبصيرة أمره ونحن نشرح أجناس مجارى التورون وأصناف اللقرين من القضاة والصابغ الصالحين الذين اغتروا بجمادى الأمور، الجلية ظواهرها الخبيثة سرأرها ونشر إلى وجه اغترارهم بها وظلمتها عنها فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تنم عن الاستقصاء وفرق للقرين كثيرة ولكن يجمعهم أربعة أصناف، الصنف الأول من السماء الصنف الثاني من اليباد، الصنف الثالث من للتصوفة، الصنف الرابع من أرباب الأموال وللقر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة فمن رأى لشكر معروفا كالذى يتخذ المسجد ويخرفها من لبال الحرم ومنهم من لم يميز بين ما يمسى فيه نفسه وبين ما يمسى فيه الله تعالى كالواعظ الذى غرضه التبول والجاه ومنهم من ترك الأهم ويشغل بغيره ومنهم من ترك الترض ويشغل بالذلة ومنهم من ترك الباب ويشغل بالقتل كالذى يكون همه فى الصلاة مقصوراً على تصحيح خارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لاتضح إلا بتفصيل الترق وضرب الأمثلة ولنبداً أولاً بذكر غرور السماء ولكن بعد بيان ذم التورون وبيان حقيقته وحده.

(بيان ذم التورون وحقته وأمثله)

اعلم أن قوله تعالى - فلا تترنك الحياة الدنيا ولا يترنك بالله التورون - وقوله تعالى - ولكنكم قتم أهلكم وترنتم ولترنتم وغرتكم الأماني - الآية. كاف في ذم التورون وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حينما نوم الأكياس وفطروهم كيف يبينون سهر الحق واجتمعهم ولتقال ذرهم صاحب حوى وشين أفضل من مله الأرض من اللقرين (١)» وقال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (٢)» وكل ما ورد في فضل العالم وذم الجهل فهو دليل على ذم التورون لأن التورون عبارة عن يسن أتولع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الحق ويراه على خلاف ما هو والتورون هو جهل لأن كل جهل ليس بضرور بل يستدعى التورون مغرورا فيه خصوصاً ومغروراً به وهو الذى يضلهم ما كان الجهول للتقديس يوافق الموى وكان السبب الواجب للجهل هبة وخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تمسكون دلائلى الجهل الحاصل به غرورة التورون هو تكون النفس إلى ما يوافق الموى ويميل إليه الطبع عن هبة وخذعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما فى البازل أو فى الأجل عن هبة فاسدة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم

(١) حديث جيداً نوم الأكياس وفطروهم الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب اليقين من قول أبى الدرداء بوجه وفيه انقطاع وفى بعض الروايات أبى الورد موضع أبى الدرداء ولم أجده منقوفاً (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذى وابن ماجه من حديث عطاء بن أوس

وشر عبادك وشر الشيطان وشر كاهنك وشر خمس آيات من البقرة الأربع من الأول الآية الخامسة - إن فى خلق السموات والأرض وآية الكرسي، وآمن الرسول، وإن ربكم الله، ولقد دعا الله، وأول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وللذين يؤمنون بالله واليومئذ وهم فى ربه ويحسبهم جميعاً ووجهه وجده وإن انزف إلى ما قرأه شعرا من أول الكهف وعشرا من آخرها غشون ويقول اللهم



الحير وهم غشون فيه فأكثر الناس إذ ذن مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض وأظهرها وأشدّها غرور الكفار وغرور الصائغ والساق فغورد لها أمثلة لحقيقة التور . للثال الأول : غرور الكفار فهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله التور أما الذين غرهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا التقد خير من النسيئة الدنيا تهدو الآخرة نسيئة فهي إذن خير فلا بد من إثباتها وقالوا الذين خير من الشك ولذات الذين الذين ولذات الآخرة شك فلا ترك الذين بالشك وهذه أقسية فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال - أنا خير منه خلقني من نار وخلقته من طين - وإلى هؤلاء الأعازة بقوله تعالى - أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعصرون - وعلاج هذا التور إمام تصديق الإيعان وإما بالبرهان أما التصديق بمجرد الإيعان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله - ما عندكم يشهد وما عند الله باق - وفي قوله عز وجل - وما عند الله خير - وقوله - والآخرة خير وأبقى - وقوله - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - وقوله - فلا تفرحكم الحياة الدنيا - وقد أجبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوائف من الكفار قتلهم وصدفهم وأمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان (١) . ومنهم من قال نشدتك الله أيحك الله رسولا ؟ فكان يقول ثم فيصدق (٢) وهذا إيعان العالة وهو يخرج من التور ويترك لها منزلة تصديق السبي والله في أن حضور للكاتب خير من حضور لللب مع أنه لا يدري وجه كونه خيرا وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان كل مغرور فلتور ومصيب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بل يفتأ طائفة العلماء بالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلا من أحداهم أن الدنيا تهد والآخرة نسيئة وهذا صحيح والآخرة لو إن التقدير من النسيئة وهذا عمل التلبس فليس الأمر كذلك بل إن كان التقدير مثل النسيئة في القدر والقصد فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير فان الكفار للتور يدل في تجارته درهما يأخذ عشرة نسيئة لا يقول التقدير خير من النسيئة فلا أتركه وإذا حذرهم الطبيب التواء كدواءه الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفا من ألم المرض في المستقبل فقد ترك التقدير ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويقيمون في الأسفار قدما لأجل الراحة والريح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فأنسب للـ الدنيا من حيث منبتها إلى مدة الآخرة فان أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عمر عشرين من جزء من ألف جزء من الآخرة فكانه ترك واحد يأخذ ألف ألف بل يأخذ مالا نهاية ولا أحد وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكفرة مشوبة بأنواع النقصات ولذات الآخرة صافية غير مكفرة فاذن قد غلط في قوله التقدير خير من النسيئة فهذا غرور من مشوه قبول قطعا ما به مشهور أطلق

أعطني في أحب الساعات إليك واستمعي بأحب الأعمال إليك التي تهربني إليك زلني وبمعدن من سخطك بدا أسألك تصليتي وأستغفرك خضعتي وأدعوك تسجيبي لي اللهم لا تؤمئ مكره ولا تؤمئ غيرك ولا ترفع عني سرك ولا تنسذكر ولا تجفني من النافلين . ورد أن من قال هذه الكلمات يث الله تعالى إليه ثلاثة أملاك يوقفونه هلاله فان صلى ودعا استواحل دناؤه وإن لم يمتعبدت الأملاك في الهواء وكتب

(١) حديث تصديق بعض الكفار بما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيمانهم من غير مطابقة بالبرهان هو مشهور في السنن من ذلك قصة إسلام الأنصار ويحتمل وهي عندنا حديث جابر وفيه حتى بشتا الله إليه من يرب فأورثناه وصدقناه فيخرج الرجل منا فؤم من ويقره القرآن فينتقل إلى أهله فيسلمون بإسلامه الحديث وهي عند أحمد بإسناد جيد (٢) حديث قول من قاله نشدتك الله أيحك الله رسولا فيقول ثم فيصدق عليه من حديث أنس في قصة ضامن بن ثعلبة وقوله لئن صلى الله عليه وسلم الله أرسلك للناس كلهم فقال اللهم ثم وفي آخره فقال الرجل أنتنما بما جئت به ولاهبراني من حديث ابن عباس في قصة ضامن قال نشدتك به أهو أرسلك بما أنتما كنيت وأنتما ربلك أن تعبد أن لا إله إلا الله وأن ننع اللات والى قال ثم الحديث .

وأريد به خاص فقل به للتور عن خصوص معناه فان قال القدر خير من النسبة أراد به خير من نسبة هي مثله وإن لم يصرح به وعذر هذا غرض الشيطان إلى القياس الآخر وهو أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فسادا من الأول لأن كلا أصله باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والالتاجر في قبيح على يقين وفي ربحه على شك والتفتة في اجتهد على يقين وفي إدراك كدربة العلم على شك والصيداء في تردد في التفتة على يقين وفي النظر بالصدق على شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاحتياط وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول إن لم أجد ربحيت جاعلا وعظم ضرري وإن أجمرت كان قبيح قليلا ورجحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكز به وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قليل بالاضافة إلى ما أخافه من المرض ولولت فشكل ذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول أيام الصبر قليل وهو منتهى المرء بالاضافة إلى ما خاف من أمر الآخرة فان كان ما قبل فيه كذبا لما يقوتى إلا التمس أيام حياته وقد كنت في العلم من الأول إلى الآن لا ألتزم فأحب أن يثبت في العلم وإن كان ما قبل صدقا فأبقى في النار أبدا وهذا لا يطاق . ولما قل على كرم الله وجهه لم يمت للحدين إن كان ما قبله حقا قد خلت وتخلصنا وإن كان ما قبله حقا قد خلت وتخلصنا وهكذا وما قل هذا من شك منه في الآخرة ولكن كلف للعلم على قدر عقته وبين له أنه وإن لم يكن متيقنا فهو متور . وأما الأصل الثاني من كلامه وهو أن الآخرة شك فهو أيضا خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقنه بعد كان : أحداهما إيمان والتصديق تخليدا للأنياء والسما وذلك أيضا يزيل التور وهو مدرك يقين العلم وأكثرا الحواس ومثلهم مثال مريض لا يعرف دواء علة وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه ثبت القلق فانه مطمئن نفس المريض إلى صدقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويحمل به ولو بقي سواي أو متوه يكذبهم في ذلك وهو علم بالبراهين والأحوال انهم أكثر منه عددا وأغزر منه فضلا وأعلم منه بالطلب بل لا علم له بالطلب فيعلم كذبه بقولهم ولا يتقد كذبهم قوله ولا يتر في علمهم بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان متوها متوروا فكذلك من نظر إلى القرنين بالآخرة والمخبرين عنها القائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجمع خير خلق الله وأعلام رتبة في البصرة والمعرفة والفضل وهم الأنياء والأولياء والسما وهذا القدر وانهم عليه الخلق على أصنافهم وهذا منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع فقلتم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بأنهم من أهل النار لاجدولا الآخرة وكذبوا الأنياء فكأن قول الصبي وقول السواي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء فكذلك قول هذا الذي استرته الشهوات لا يشكك في صحة أقوال الأنياء والأولياء والسما وهذا القدر من الإيمان كاف لبلغة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لآخره والتور يزل به . وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنياء والأعلام للأولياء ولا تظن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمر المؤمنين بتخليد لجبريل عليه السلام بالسما منه كما أن معرفتك تقليد لقي صلى الله عليه وسلم حتى تكون معرفتك مثل معرفته وإنما يختلف المقد قط وهيئات فان التقليد ليس بمعرفه بل هو اعتقاد صحيح والأنياء طرفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأنياء كما هي عليها فعاهدها بالصيرة الباطنة كما تفاهد أنت المحسوسات بالبر الظاهر فيخبرون عن مشاهدات لآخر سماع وتخليد وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد يكون من أمر الله الأمر الذي يقابل التهي ، لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام ، وليس المراد بالأمر

لهم ثواب عبادتهم  
ويعيش ومحمد ويكر  
كل واحد لا ولا يدين  
ويتم المسألة بلا إله إلا  
الله والله أكبر لا حول  
ولا قوة إلا بالله العلي  
العظيم .

[ الباب السابع  
والأربعون في أدب  
الاتباع من النجوم  
والعمل بالليل ]  
إذ فرغ المؤمن من أدان  
المغرب يصل ركعتين  
خفيفتين بين الأذان  
والأقامة وكان السما  
يصلون هاتين الركعتين  
في البيت يميلون بها  
قبل الخروج إلى الجمعة  
كيلا يظن الناس أنها

الشأن حتى يكون للراديه أنه من خلق الله قط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل إلى الإنسان عالم  
الأمس وعالم الحاقق والله المخلق والأمس فالأجسام ذوات الكسبية وللقادر من عالم المخلق إذا خلق عبارة عن  
التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزّه عن الكسبية وللقادر فاعلم من عالم الأمس وشرح ذلك سر الأرواح  
ولارخصة في ذكره لاستغناء كثر المخلق بجماع كسر القدر الذي من من إنذاره من عرف سر الأرواح  
قد عرف حقه وإذا عرف حقه قد عرف به وإذا عرف حقه وره عرف أنه أمر رباني بطيه  
وظفرت وأنه في العالم الجسدي غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طيه في ذاته بل بأمر مارض  
غريب من ذاته وذلك المارض الغريب ورد على آدم صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بالمصيبة وهي التي  
حطت عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فاتم إلى جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار  
الرب تعالى له طبعي ذاتي لأن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند  
ذلك حقه وره ومهما فعل ذلك قد ظلم حقه إذ قيل له - ولا تكونوا كالذين نسوا الله أنعاماً أنعمهم  
أولئك هم الفاسقون - أي المارقون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطة عن  
كاملها إذا خرجت عن معدنها القطري وهذه إشارة إلى أسرارهم لا تستشاق رواهم المارقون وتفسر  
من مماع ألقاها القاصرون قاتها فخرهم كما تضر ربح الورود بالجبل وتبر أعينهم الضميمة كما تبر  
الشمس أبقار الخفافيش وانتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم اللسكوت يسمى معرفة ولاية  
ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادئ مقامات الأقياء وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء..  
ولترجع إلى الترضي المطلوب فالقصود أن غرور الشيطان بأن الأخرى شك يدفع إيمانين تقليدي ولما  
يصيرة ومشاهدة من جهة الباطن وللؤمنون بالسننهم وبما قدم إذا ضموا أوامر الله تعالى وهجروا  
الأعمال السالطة ولا بسوا الشهوات وللصالحين فهم مشاركون لكفار في هذا التورود لأنهم أتوا الحياة  
الدنيا على الأخرى نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يصممهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو  
بعد حين ولكم أيضا من التورود فأنهم اعترفوا بأن الأخرى خير من الدنيا ولكم مال إلى الدنيا  
وأتروها ويعد الإيمان لا يكفي لقفوز قال تعالى - وإن تغافلوا يغافل الله عنكم ولعلكم ترحموا -  
وقال تعالى - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والإحسان أن تعبد  
الله كأنك تراه (١) وقال تعالى - والمصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
وتواصوا بالمحق وتواصوا بالصبر - فبعد للتفرقة جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان والعمل الصالح  
حيما لا بالإيمان وحده فهو أيضا مفروود عن أغنى المؤمنين إلى الدنيا القرحين بها الترفين بجمعا  
المحين لها الكارهين الموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعدهم فمثال التورود  
لنهمنا من الكفار وللؤمنين جمعا . ولذكر التورود بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فأما  
غرور الكفار بالله فتراه قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم إنه لو كان الله من معاد قدس أحق بمن غيرنا  
ونحن أوفر حظا فيه وأسد حالا كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قالوا لهما  
الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربنا لأجدن خيرا منها مقابلا سورة أمرا كما قل في التفسير أن الكافر مهما  
بنى قصرا بأقرب ديار واشترى بستانا بأقرب دينار وخدما بأقرب دينار وتزوج امرأة أعدل القدي يدارق  
ذلك كله يسلط المؤمن ويقول اشترت قصرا بغيري وخرب الأناشيت قصرا في الجنة لا يفي واشترت  
بستانا بخرب وبنى الأناشيت بستانا في الجنة لا يفي وخدما لا يفي وخدما لا يفيون ولا يزوجون وزوجة من المحور  
العين لا يموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء مما قبل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان

(١) حديث الأحسان أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم .

سنة مرتبة فيقتدى  
بهم فنانهم أجمعا سنة  
وإذا صلى للرب يصل  
ركعتي السنة يصل للرب  
يصل بها فانما  
برضان مع القرينة  
قرأ فيها قبل يا أيها  
الكافرون وقل هو الله  
أحدتهم على ملائكة  
الليل والسكرام  
الكافرين فيقول مرعبا  
علافة الليل مرجا  
بالمكئين الكافرين  
الكافرين اكتبوا في  
صيفي آني أشهد أن  
لا إله إلا الله وأشهد أن  
محمد رسول الله وأشهد  
أن الجنة حق والنار  
حق والموضع حق

فليكون لي في الجنة خير من هذا وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول لآولين مالا وولدا - فقال الله تعالى ردّا عليه - أطلع القيب أم أخذ عند الرحمن عبدا كلا - سووي عن خياب ابن الأرت أنه قال - وكان لي على العاص بن وائل دين فبعت أعضائه فلم يقض لي فقلت إني أخذه في الآخرة ، قال لي إذا صرمت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدا قضيت منه فأقول الله تعالى قوله - أفرأيت الذي كفر بآتنا وقاله لأولين مالا وولدا (١) - وقال الله تعالى - ولئن أذنا رحمتنا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة تأتيه ولئن رجعت إلى ربي لنأتى الله عنده للحسنى - وهذا كله من التورور بالله . وسببه قياس من أتتبه إبليس فعوذ بالله منه ، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول - فقال تعالى جوابا لقولهم - حسبهم جهنم يصلونها فبئس السعيد - ومرة ينظرون إلى اللؤميين ، وهم قراء شعث غير فيزدرون بهم ويستحقرونهم ، فيقولون - أهؤلاء من الله عليهم من بيننا - ويقولون - لو كان خيرا ما سبقونا إليه - وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم أنهم يقولون قد أحسن الله إلينا نعمه الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن أيضا في السنتك كما قال الشاعر :

قد أحسن الله فيما مضى فكذلك يحسن فيما بقي

وإنما يقيس السنتك على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول لولائي كرم عند الله محبوب لما أحسن إلى والتبليس تحت ظنه أن كل حسن محب لآل تحت ظنه أن إمامه عليه في الدنيا إحسان فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كرم عنده بدل لآل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الخوان . ومثله أن يكون للرجل عيدان صغيران ينشأ أحدهما وجب الآخر ، فالذي يحب منهما من اللب ويلزم للكتب وعجبه فيه ليعلمه الأدب ويمتعه من الفواكه وملاذ الأطلعة التي تفسر ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي ينشئه بهه لبين كيف يريد فيأب ولا يدخل للكتب وبأ كل كل ما يشتهي فيظن هذا البعد للهمل أنه عند سيده محبوب كرم لأنه مكته من شهباته ولذاته ومساعدته على جميع أغراضه فلم يحجر عليه وذلك عن التورور وهكذا نصيب الدنيا ولذاتها فاتها مملكات ومبمدات من الله وفان الله يحمي عبده من الدنيا وهو محبه كما يحمي أحدكم من مرض من الطعام والشرب وهو محبه (٢) هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر . وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقلوا ذنب جعلت عقوبته ورأوا ذلك علامة للقت والاهمال ، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشمار الصالحين . وللتورور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله ، وإذا صرمت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عن إذ قاله - فأما الانسان إذا ما ابتلاه إذا كفره ونعمه فيقول رب أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقد ربه فيقول رب أكرمن - فأجاب الله عن ذلك - كلا - أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء فعوذ بالله من شر البلاء وتساءل الله الثبوت بين ذلك غرور . فالله الحسن كذبها جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بأكرمي ولا هذا بهوان ولكن الكرم من أكرمته بلاء عن غنيا كان أو فقيرا . والهان من أهنته بسقي غنيا كان أو فقيرا وهذا التورور حلاجه معرفة خلاص الكرامة والخوان إما بالبصيرة أو بالتقليد . أما البصيرة فإن يعرف وجه كون الاختلاف

والشفاعة حقيق والصراط والسيران حق ، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يمتحن في التورور اللهم أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليا . اللهم اسقط بها وزري واغفرها ذنبي وقتل بها ماني ويجاوز عني بألرحم الراحمين فان واصل بين المشاهدين في مسجد جماعته يكون جامعا بين الاعتراف ومواساة المشاهدين وإن رأى انصرافه إلى منزله وإن الواصلة بين المشاهدين

إلى شهور الدنيا بعدا عن الله وجهه كون التباعد عنها مقربا إلى الله ويدرك ذلك الإلهام في منازل العارفين والأولياء وشرحه من جهة علوم الكاشف ولا ياتي بلم المأملة. وأملعته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى وصدق رسوله وقد قال تعالى - يحبون أن ماغدوم به من مال وبين ناسخ لهم في الحريات بل لا يعرفون - وقال تعالى - مستدرجهم من حيث لا يعلمون - وقال تعالى - فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون - وفي تفسير قوله تعالى - مستدرجهم من حيث لا يعلمون - أنهم كلما أخذوا ذنبا أخذناهم بتمه ليزيد غرورهم وقال تعالى - إنما نغلي لهم ليزدادوا إثمًا - وقال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم يكثق بهم في الأبدان - إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله فمن آمن به وتخلص من هذا الضرر فإن منشأ هذا الضرر الجهل بالله وبصفاته فإن من عرفه لا يأمن بكمه ولا يفتربأمثال هذه الحيلالات القاسية وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمهم تميذا فقال تعالى - هل تحس منهم من أحد - الآية وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراج فقال - فلا يأمن بكم الله إلا القوم الخاسرون - وقال تعالى - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون - وقال عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير للماكرين - وقال تعالى - لا تعلمون كيدوا كيد كيد الظالم الكافرين أمهلهم رويدا - فكما لا يجوز للمسلم للهمل أن يستدل بأعمال السيد إياه وتمكنه من التمس على حب السيد بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكرامه وكيد مع أن السيد لم يحذره مكر قسه فإن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذره استدراج أولي فاذن من آمن مكر الله فهو مستر ومنشأ هذا الضرر أنه استدلل بنم الدنيا على أنه كرم عند ذلك للتم واحتمل أن يكون ذلك دليل الخوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الحق فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافق هواه وهو التصديق بدلائله على الكرامة وهذا هو حد الضرر . للثال الثاني : غرور الصاة من المؤمنين قولهم إن الله كرم وإننا نرجو عفو وإننا نكلمهم على ذلك وإعالمهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تخمهم واغترارهم رجاء وعظمهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله ولسعة ورحمته شاملة وكرمه عظيم وإن معاصي العباد في محار رحمته وإننا موحدون ومؤمنون فترجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بسلاح الآباء وعوا رجبتهم كإغترار العلوية بنسبهم وعائلاتهم بأهلهم في الخوف والقوى والورع وعظمهم أنهم أكرم على الله من آباؤهم إذ آباؤهم مع غاية الورع والقوى كانوا خائفين وهم مع غاية السق والتجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى قياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنسانا أحب أولاده وأن الله قد أحب آباؤكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة ويسى للفرور أن نوحا عليه السلام أراد أن يتصحب ولده معه في السفينة فلم رد فكان من الفرقين - قال رب إني ابن آدم من أهلى - قال تعالى - يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح - وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم يغفره ، وإن نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار فجلس يسكى على قبر أمه لفته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله <sup>(١)</sup> فلما أيضا اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب الطبع ويبغض العاصي فكما أنه لا يبيغض الأب للطبع يبغضه لولده العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي

في بيته أسلم لديه  
وأترب إلى الاخلاص  
وأجمع لهم فليل .  
وسئل رسول الله عليه  
السلام عن قوله تعالى  
- تتجافى جنوبهم عن  
الفتاح - فقال هي الصلاة  
بين المشايين وقاله  
عليه السلام « عليكم  
بالصلاة بين المشايين  
فاتها تنهب بلافاة  
النهار وتهذب آخره »  
وبعمل من الصلاة بين  
المشايين وركعتين  
بسورة البروج  
والطارق ثم ركعتين  
بعد ركعتين يقرأ في  
الأولى هشر آيات من  
أول سورة البقرة  
والآيتين ولهم في

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم استأذن أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

بحه للأب الطبع ولو كان الحب يسرى من الأب إلى الولد لأوشك أن يسرى البنض أيضا بل الحق أن لا تزد وازدة وزر أخرى ، ومن ظن أنه ينجو بقوى أيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أيه ويرى يشرب أيه ويصير ظنا يعلم أيه ويصل إلى الكمية ويراهم بشي أيه فالتقوى فرض عين فلا يجزى فيه والد عن نفسه شيئا وكذا العكس وعند الله جزاء التقوى - يوم يفر الله من أيه وأمه وأيها - إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والسجب . فان قلت فأن النطق في قول الحداة والتجار إن الله كريم وإننا نرجو رحمة ومغفرة وقد قال أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فما هذا إلا كلام صحيح مقبول المظاهر في القلوب . فاعلم أن الشيطان لا يخشى الإنسان إلا بكلام مقبول المظاهر محدود الباطن ولولا حسن ظاهره لما أخذت به القلوب ولكن التي صلى الله عليه وسلم كشف عن ذلك قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » وهذا هو الحق في الله تعالى غير الشيطان اسمه فيه رجا حتى خضع به الجبال وقد شرح الله الرجا فقال - إن الذين آمنوا والذين هاجروا واجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - يعني أن الرجا بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال الله تعالى - جزاء بما كانوا يعملون - وقال تعالى - وإنما توفون أجوركم يوم القيامة - أقرى أن من استوجب على إصلاح أوان وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريما يتي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد في الجاه الأجر وكسر الأوان وأفسد جميعا ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن للتأخر كريم أقره السقاء في انتظاره متعينا مغرورا أو راجيا وهذا الجاهل بالفرق بين الرجا والتمنأ قيل للحسن قوم يقولون رجاوا الله وضيئون العمل قال هيات هيات تلك أمانتهم يرجون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وقال مسلم بن يسار : لقد سمعت الباصرة حتى سقطت فثبتي قال له رجل إننا نرجو الله فقال مسلم هيات هيات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكأ أن الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو يعدم ينكح أو تنكح ولم يجمع أو جامع ولم ينزل فهو محتو فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحا أو عمل ولم يترك للمعاصي فهو مغرور فكأ أنه إذا تنكح ووطئ وارتل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجو فغل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كئيس فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدم عليه وأن يختم له بالسوء ويرجو من الله تعالى أن يثبت به بالقول الثابت ويحفظ دينه من موانع سكرات اللوث حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه من الليل إلى الشهوات بنية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كئيس ومن عدا هؤلاء فهم للتورود بالله - وسوف يسلون حين يرون العذاب من أجل سيلا . ولعلنا نبأ بعد حين - وعند ذلك يقولون كأ أخبر الله عنهم - ربنا أبصرنا وصننا فلرجنا نعمل صالحا إننا موقوفون - أي علمنا أنه كأ لا يولد إلا بوجع ونكاح ولا يثبت زرع إلا بحرارة ووث بلر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فلرجنا نعمل صالحا قد علمنا الآن صدقك في قولك - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى . كما أتى فيها فوج سالم خزيها ألم يأتيكم نذر قالوا بلى قد جاءتنا نذير - أي ألم نسمعكم حنة الحق في عبادة وأنه - توفي كل نفس ما كسبت . وأن كل نفس بما كسبت رهينة - فما الذي عرکم الله ببدان صميم وعقلهم - قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعتروا بذنوبهم فمسخنا الجبال سمعاً .

(١) حديث الكيس من دان نفسه هدم قريبا .

واحد إلى آخر الآيتين وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وفي الثانية آية الكرسي وآمن الرسول وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد وقرأ في الركعتين الأخيرتين من سورة الزمر والواقعة ويصل بعد ذلك مائة فان أراد أن يقرأ عيشة من حزه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة يسورة الاخلاص والواقعة ولو واصل بين المشاوين ركعتين يطيلهما لحسن وفي هاتين الركعتين يطيل القيام

فان قلت فأين مظنة الرجاء وموضه الهمود . قائل أنه محمود في موضعين : أحدهما في حق الناس  
التيهمك إذا خطرته في التوبة قال له الشيطان وآلى قبل توبتك فيخطئه من رحمة الله تعالى فيجب  
عند هذا أن يضع القنوط بالرجاء وتذكر - إن الله يضر الذنوب جميعا - وإن الله كريم قبل  
التوبة من عباده وأن التوبة طاعة تحكر الذنوب قال الله تعالى - قل يا عبادي الذين أسرفوا على  
أنفسهم لا تضلوا من رحمة الله إن الله يضر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنبأ إلى ربك -  
أمرهم بالإنباء وقال تعالى - وإنى لنفاز لمن تاب وآمن وحمل صالحا ثم انتهى - فإذا توقع للتفرة  
مع التوبة فهو راج وإن توقع للتفرة مع الإصرار فهو مفرور كما أن من ضاق عليه وقت الجدة فهو  
في السوق خطر له أن يسي إلى الجملة فقال له الشيطان إنك لا تدرك الجملة فأتم على موضعك فكسب  
الشيطان ومرا يدو وهو يرجو أن يدرك الجملة فهو راج وإن استمر على التجارة وأخبر رجوا أخير  
الامام الصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يرفعها فهو مفرور.  
الثاني أن فتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على القرائن فيرجى نفسه فسم الله تعالى وما وعده  
الصالحين حتى ينبت من الرجاء لغا طاعة فيقبل على الفضائل وتذكر قوله تعالى - قد أطلع  
للؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون - إلى قوله - أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها  
خالدون - فالرجاء الأول يضع القنوط للنافع من التوبة والرجاء الثاني يضع القنوط للنافع من النشاط  
والتشمر فكل توقع حث على توبة أو على التشمر في العبادة فهو رجاء وكل رجاء أوجب قنوطا في  
العبادة وركوza إلى البطالة فهو غرة كما إذا خطر له أن يترك الدين ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان  
مالك ولإنباء نفسك وتحذيرها ولك رب كريم غفور رحيم فيقترب بذلك عن التوبة والعبادة فهو  
غرة وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الحوافر فيخوف نفسه بنصب الله وعظيم عاقبته ويقول  
إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإنه مع أنه كريم خطه الكفار في النار أبدأ  
مع أنه لم يضره كفرهم بل سلب المذاب والمغن والأمراض والبلل والفقر والجوع على مجملين عباده  
في الدنيا وهو قادر على إلزاقها فمن هضمسته في عباده وقد خوفي عاقبه فكيف لا أخافو كيف أغتر به  
فالخوف والرجاء قائدان وسائقان للناس على العمل فلا يمت على العمل فهو محسن وغرور ورجاء  
كافة الخلق هو سبب خورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إغرامهم عن الله تعالى وإهمالهم السى  
للاخرة فذلك غرور قد أخبر عليه السلام وذكر أن التورود سينقلب على قلوب آخر هذه الأمة (١)  
وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم قد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات  
ويؤتون ما أتوا وقولهم وجه أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والهار  
في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويكون على أنفسهم في الخفات  
وأما الآن فترى الخلق اثنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على الناس وإهمالهم  
في الدنيا وإغرامهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واتقون بكرم الله تعالى وفشل راجون لعموم مغفرتهم  
أنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصالحون والسلف الصالحون فأن كان  
هذا الأمر يدرك بالني وبالحق فلام إذن كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق  
هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإروا مستقبلين يسار  
وبأى على الناس زمان خلق فيه التران في قلوب الرجال كما خلق الكباب على الأبدان أمرهم كذا يكون

(١) حديث إن التورود يطلب على آخر هذه الأمة تنضم في آخر فم الكبر والسجب وهو حديث  
أب ثعلبة في إيجاب كل دى رأى برأيه .

تاليا لقرآن حزيه  
أو مكررا آية فيها الدماء  
والتلاوة مثل أن يقرأ  
مكررا - ربنا عليك  
توكلنا وإليك أنبنا .  
وإليك الصير - أو آية  
أخرى في مضاهي  
فيكون جامعا بين  
التلاوة والساعة والدعاء  
في ذلك جمع اللهم  
وتعطر بالفضل ثم يصل  
قبل الدعاء أربعا  
وبدعا ركعتين ثم  
ينصرف إلى منزله  
أو موضع خلوة فيصلي  
أربعا أخرى وقد كان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يصلي في يتناول  
ما يدخل قبل أن يجلس  
أربعا ويقرأ في هذه

طعما لاخوف منه إلى أحسن أحدم قال يتقبل مني وإن أسأله بغيري<sup>(١)</sup> فأخبرهم بشؤون الطمع  
موضع الخوف لجهلهم بتشويحات القرآن ومافيه وعنه أخبر عن النصارى إذ قال تعالى - غلغلم  
بدم خلف ورتوا الكتاب بأخفون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفر لنا - ومنه أنهم ورتوا  
الكتاب أي هم علماء يأخذون عرض هذا الأدنى أي شواهدهم من القرآن ياحراما كان أو حلالا وقد قال  
تعالى - ولئن خاف مقام ربه جتان - ذلك لأن خاف مقامه وخاف وعيد القرآن من أن يؤلف إلى آخره  
مخدر وخوف لا يشكر فيه منكر إلا يطول حزه ويظم خوفه إن كان مؤمنا بما يفوت من الناس  
بهذه هذه يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفها وتصها كأهمهم قرونهم  
من أفعال العرب لأهمهم الالتفات إلى معانيه والتمس بما فيه وهل في الماغرور يذهب هذا فينه  
أشقة القور بالله ويان الفرق بين الرجاء والقرور وقرب منه فرور طواف لم طاب طاب ومما س  
أن معاصيه أكثر دم يوصون للفرقة وينظنون أنهم ترجع كفة حسناتهم مع أن مافي كفة السيئات  
أكثر وهذا غاية الجمل قري الواحد يصديق بدارهم معدود من الحلال والحرام ويكون يتناول  
من أموال السليين والشهيات أضماؤه ولعل ما صدق به من أموال السليين وهو يشك عليه وظن  
أن أكل أمت درهم حرام يقاومه التصديق بشرك من الحرام والحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم  
في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفا وأراد أن يرفع الكفة التي في الكفة الخفيفة وذلك غاية فيه  
نم - ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب تقصولا لا يتقدم معاصيه وإذا عمل طاعة  
حفظها واعتد بها كإلى يستغفر الله لسانه أوديع الله في اليوم مائة مرة ثم يفتن السليين ويمزق  
أعراضهم ويشكهم بمال يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى عديم حسنة  
استغفر الله مائة مرة وغفل عن هديته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيح مائة مرة وألف  
مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أودعه الله بالقلب في كل كلمة قال - ما يلفظن - قولن لإلديه  
ورقيب عتيد - فهذا أبدا يتأمل في فضائل التسبيحات والتبليات ولا يلتفت إلى ماورد من عقوبة  
للتفتين والكسائين والنجامين وللناقين يظهر من الكلام المالا يضره من إلى غير ذلك من آيات  
السان وذلك ضمن القور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجره النسخ لما يكتبونه  
من هديته الذي زاد في تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى من جملة من مهماته وما تلقى  
به في قراته كان جده ومحبته ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يغفل عليه أجره نسخها فيجبا لمن يحاسب  
نفسه ويخطأ خوفا في قراته غوته في الأجرة على النسخ والخطأ خوفا من قوت القوروس الأعلى  
ولعمري ما هذه الإمسية عظيمة لمن عسكر فيها لقد دفعا إلى أمر إن شكتنا فيه كنا من الكفرة  
الملاحدين وإن صدقا به كنا من الحق القورين فلهذه الأعمال من يصدق بمساجبه القرآن وإنا  
نبأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فيحان من صدنا عن التبه واليقين مع هذا اليان  
بما جدر من جدر على تسليم مثل هذه التفة والقور على القلوب أن يغشى ويتق ولا يترب  
سكالا في أبايل التي وقائل الشيطان والقوى والله أعلم .

( بيان أصناف للقرين وأنقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف )

الصنف الأول : أهل العلم وللتفرون منهم فرق ، فقرة تحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتمسوا بها واعتزلوا بها وأصلوا تفقدا الجوارح وحفظوا عن الناس وإزاهم الطاعات واغشوا بعلمهم وظنوا

(١) حديث مقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه يسند فيه جهالة ولم أره من حديث مقل.



أنهم عند الله يمكن وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يحب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يظلمهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون قائم لو نظروا بين البصيرة علموا أن العلم علان علم معاملة وعلم مكافئة وهو العلم بالله وصفاته للسمي بالمادة علم للمرة فعلم العلم بالمادة كعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس للتمومة والممودة وكيفية علاجها والقرار منها فهي علوم لا تآرد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فثالث هذا كمرض به علة لا يزِيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يرفعها إلا حذاق الأطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فسلمه الدواء وفصله الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها يختلط وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وبعينه فصل ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلما الرضى ولم يشتغل بغيرها واستعمالها أقرى أن ذلك ينشأ عنه من مرضه شيئا هيات هيات لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفى جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة ليهن ذلك من مرضه شيئا إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما فعل وشربه يصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحياء وجميع شروطه وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه فكيف إذا شربه أصلا فهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا التقيبه الذي أحكم علم الطاعات ولم يصلها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق للتمومة ومازك تسمنها وأحكم علم الأخلاق للممودة ولم يصنف بها فهو مغرور إذ قال تعالى قد أقلمت من زكاه لو لم يقل قد أقلمت من علم كيفية تركها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقوله الشيطان لا خير لك هذا لك لأن العلم بالدواء لا يزيل للرضى وإنما مطلوبك القرب من الله ونوابه والعلم بعباد الوهاب ويتوعد بالأخبار الواردة في فضل العلم فإن كان للسكينة محتوها مغرورا وافق ذلك مراده وهو له فاطمان إليه وأهل العمل وإن كان كيبسا أو لم يقل الشيطان أذكرني فضائل العلم وتسميني ماورد في العالم الفاجر الذي لا يحمل بعلمه كقوله تعالى ففتنه ككل الكلب وكقوله تعالى - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجوارح حمل أسفار - فأبى خزي أعظم من التبتل بالكذب والحمار وقد قال **عليه السلام** «من زاده علما لم يزد هدى لم يزد من الله إلا عبدا» <sup>(١)</sup> وقال أيضا «يلقى العالم في النار فتدلق أكتافه فيدور بها في النار كأي دور الحمار في الرعي» <sup>(٢)</sup> وكقوله عليه الصلاة والسلام «شر الناس العلماء السوء» <sup>(٣)</sup> وقول أبي الفرداء: ويل للذي لا يعلم مرتو لو شاء الله لهلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات: أي أن العلم حجة عليه إذ يقال لماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله وقال **عليه السلام** «أهد الناس عبدا يوم القيامة عالم لم ينفع الله بعلمه» <sup>(٤)</sup> فهذا وأمثاله ماورد في كتاب العلم في باب علامة العلماء الأخرى أكثر من أن يحصى إلا أن هذا في الواقع هو العلم الفاجر وماورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما هو له وذلك عين التروير فانه إن نظر البصيرة فثالث لماذا ذكره وإن نظر بين الأيمان فأبى أخيره فضيلة العلم هو الذي أخبر به العلماء السوء وأن العلم لهم عند الله أشد من حال الجهال فبعد ذلك اعتقده أنه على خير مع تأكد حجة الله على غاية التروير وأما الذي يدعى علوم للكشفة كالعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يحمل السلب ويضيع أمر الله وحدوده ضرورا أشد ومثاله مثال من أراد خمسة مئلك صرف للثلاث وعرف أن خلاقه وأوصافه ولو توعد شكه وطوله وعرضه وعادته ومجلسه

(١) حديث من زاده علما ولم يزد هدى الحديث تخدم في العلم (٧) حديث يلقي العالم في النار فتدلق أكتافه الحديث تخدم غير مرة (٣) حديث شر الناس علماء السوء تخدم في العلم (٤) حديث أهد الناس عبدا يوم القيامة عالم لم ينفع الله تعالى بعلمه تخدم فيه.

لذلك إلى آخر القرآن وهو ألف آية فهو خير عظيم كثير وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قد هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر ولا يقرأ القرآن إلى آخر التهجيد إلا أن يكون واقفا من نفسه في عاداتها بالالتجيد فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجيد حيث أفضل. وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتجبد يصلي ركعة ينفع بها وتره ثم يتفعل ما شاء ويوتر في آخر ذلك وإذا كان الوتر من أول

ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يفضله وما يرضى به أو عرف ذلك إلا أنه تصد خدمته وهو ملابس  
 لجميع ما يفضله به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زى وهبة وكلام وحركة وسكون فورد على  
 الملك وهو يريد الثوب منه والاختصاص به متلخفا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه  
 متوسلا إليه بمعرفة له ولنبيه واسمه وبه وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمان ومما يقر عيته  
 فهذا منور جدا إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفة قط ومعرفة ما يكرهه وبمحبة لكان ذلك  
 أقرب إلى نيله الراد من قربه والاختصاص به بل تحصيله في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه  
 لم يكشف له من معرفة الله إلا الأساس دون اللباني إذ لو عرف الله حق معرفته لحشيه وانقاد فلا يتصور  
 أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام خفي كما تخاف  
 السبع الضاري فم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه يعرف الأسد فن عرف  
 الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك السالمين ولا يبالي ويسمى أنه مسخر في قدرة من لو أطاع مثله إلا لا  
 مؤفة وأبد عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أبدا ولم تأخذه عليه رقة ولا اختاره عليه جزع  
 ولذلك قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وفاحة الزبور رأس الحسكة خشية الله وقال  
 ابن مسعود كفى غشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا واستحق الحسن عن مسألة فأجاب قتيلا  
 إن قضاءنا لا يمتثلون ذلك فقال وهل رأيت قطا يقتله القائم إليه الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال  
 مرة القتيبة لا يدري ولا يعارى ينشر حكمة الله فإن قيلت من حمد الله وإن ردت عليه حمد الله فلأن  
 القتيبة من حمد الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما يحبه وما يكرهه وهو السلام ومن يرد الله به  
 خيرا ينقعه في الدين وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من اللزورين. وفرقة أخرى: أحوالهم والعمل  
 فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليعوضوا عنها الصفات للسموة  
 عند الله من الكبر والخسد والرياء وطلب الرياسة والملاء وإزادة السوء للأقران والنظراء وطلب  
 الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحيز عنها ولا  
 يلتفت إلى قوله **﴿١﴾** «أدى الرياء شرك **﴿٢﴾**» وإلى قوله عليه السلام «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال  
 ذرة من كبر **﴿٣﴾**» وإلى قوله عليه الصلاة والسلام «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب **﴿٤﴾**» وإلى  
 قوله عليه الصلاة والسلام «حب الشرف وللإيمان التناقى كما ينبت الماء البقل **﴿٥﴾**» إلى غير ذلك  
 من الأخبار التي أوردناها في جميع ربيع للهلكات في الأخلاق للذمومة هؤلاء زواظوا هم وأهلوا  
 بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى  
 قلوبكم وأعمالكم **﴿٦﴾**» فخصموا الأعمال وصاحموا القلوب والقابض هو الأصل لا ينبغي إلا من أتى الله  
 بقلب سليم ومثال هؤلاء كثير الحق ظاهرها جس وباطنها تن أو كقبور للوئي ظاهرها مزين وباطنها  
 جيفة أو كبيت مظلم بطنه وضع سراج على سطحه فاستار ظاهره وباطنه مظلم أو كرجل قصد للملك  
 ضيافته إلى داره فقصص باب داره وترك الزايل في صدر داره ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه  
 رجل زرع زرا فنبت منه حشيش فحصد فأمر بتقية الزرع عن الحشيش فتلهم من أسفه فأخذ يحيز  
 رموسه وأطرافه فلا تزال تهوى أصوله فتنبت لأن مفارس للمعاصي هي الأخلاق النسيمة في القلب فمن

الليل يصل إلى يد الور  
 ركبتين جالسا يقرأ  
 فيها إذا زلزلت  
 وألهاكم وقيل فعل  
 الركبتين قاعدة بمنزلة  
 الركعة قائما يشفع له  
 الور حتى إذا أراد  
 التهجيد يأتي به ويوتر  
 في آخر تهجيد ونية  
 هاتين الركبتين نية  
 النفل لاخير ذلك  
 وكثيرا ما رأيت الناس  
 يتفاوضون في كيفية  
 نيهما وإن قرأ في كل  
 لية للسجدة وأصناف  
 إليها مسورة الأعلى  
 خصبر منا قد كان  
 العلماء يرمون هذه  
 السور ويترقبون  
 بركتها فإذا استيقظ

لا يظهر القلب منها لآتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء بالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه حتى يطهره والطلاء يترك الدواء ويبقى يتناول ما يزيد في اللادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دائم به يتغير من اللادة إلى في البطن. وفرقة أخرى : علوا أن هذه الأخلاق الباطنة منسوبة من جهة الشرع إلا أنهم لجبرهم بأنفسهم يظنون أنهم منسكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن ينتهك بذلك وإنما يتلى به العوام دون من يبلغ مبلغهم في العلم فأما هم فأعظم عند الله من أن ينتهك ثم إذا ظهر عليهم عايل الكبر والرياسة وطلب المال والتصرف قالوا ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإزغام أئمة المخالفين من البدعيين وإلى أوليست الدون من الثياب وجلست في الميرون من المجالس لئلا يأت أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلك دأب الأئمة والرواية للثورة أن عدواً إلى حصره من مولاه هو الشيطان وأنه يخرج بما يغضه ويسخر به وينسى أن النبي صلى الله عليه وسلم بإعطاء نصر الدين وبإعطاء أرغم الكافرين ونسي ما روى عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة واقتصر والمسكنة حتى عوبت عمر رضي الله عنه في بخله زيه عند قدمه إلى الشام فقال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا للثورة يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديق والأبريس المحرم والحيلولة والراكب ويحرم أنه يطلب بعز العلم وشرف الدين وكذلك هما أطاع اللسان بالحسد في أقرانه أو يمين رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال إنما هذا غضب للحق ورد على اللبيل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يتعدا نه لوطن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رئاسة وزوج فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه له أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وهكذا يراى بأعماله وعلمه وإذا خطر له خاطر الرياء قال هيأت إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق في ليتندوا إلى دين الله تعالى فيقتلوا من عقاب الله تعالى ولا يتأمل للثورة أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بشيء كما يفرح باقتدائه به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كره له بعيد مرضى يريد مبالغتهم فانه لا يفرق بين أن يحصل غناؤهم على يده أو على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضاً ويقول إنما ذلك لأنهم إذا اعتدوا في كان الأجرى والثواب لي فأنما فرحى شباب الله لا يقول الخلق قولى هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على أنه لو أخره في بأن ثوابه في المحل وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار وحسب مع ذلك في معين وقيد بالسلطان لاحتال في هدم البيوت وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي تظاهر ورأسته من تدريس أو وعظ أو غيره. وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له وإذا خطر له أن التواضع للسلطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيأت إنما ذلك عند الطمع في العلم فأما أنت فترضك أن تنضع للسلطين وتنضع للفرع عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه يقول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين قال ذلك عليه ولو قدر على أن يقيح حاله عند السلطان بالطنن فيه والكتب عليه لعل وكذلك قد انتهى غرور بعضهم إليه أن يأخذ من العلم وإذا خطر له أن يحرم قال له الشيطان هذا مال لا مال له وهو لصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قول الدين أفلا تعلم أن تأخذ قدر حاجتك فمقر بهذا التلبس في علامة أمور : أحدها في أنمال لا مال له فانه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء وثابة الأمر وقوع الخط

من التوم لمن أحسن  
الأدب عند الالتيا  
أن يغضب ياطنه إلى  
الله ويصرف فكره  
إلى أمر الله قبل أن  
يجول الفكر في شيء  
سوى الله ويشغل  
السان بالذكر فالصديق  
كالطفل الكلف بائس  
إذا قام ينال على حبة  
الشيء وإذا اقتبسه  
يطلب ذلك الشيء  
الذي كان كلف بمولى  
حسب هذا الكلف  
والشغل يكون اللوث  
والقيام إلى الحشر  
فليظهر وليعبر عند  
انتباههم من التوم ما هم  
فانه هكذا يكون عند  
القيام من القسبر إن

في أموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة أئسي وخالطها فلا خلاف في أنه مال حرام ولا يقال هو مال لملك له ويجب أن يمس بين الحرة ويرد إلى كل واحد عشرة وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر الثاني في قوله إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ، ولعل الدين قد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الدين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله فعملوا على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لإمام الدين إذا الإمام هو الذي يتحدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلاء السلف . والدجال هو الذي يتحدى بقى الأعراض عن الله والاقبال على الدنيا قلل موبخدا أشع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين ومثله كما قال المسيح عليه السلام لعالم السوء إنه كمشرة وقت في فهم الوادي فلا هي تشرب للآه ولا هي تترك السلام على إلى الزرع وأستاف غرور أهل العلم في هذه الأعصار للتأخرة خارجة عن المحصر وفيها ذكر تاتيه بالليل على الكثير ، وفترة أخرى أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا الظواهر للناس وعقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والمسدوا المحذور وطلبوا العلو واجاهدوا أنفسهم في البرى منها وقلموا من القلوب منابها الجلية القوية ولكنهم بعد مرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خايا مكاييد الشيطان وخيايا خداع النفس مادي وخمس مدر كه لم يظفوا لها وأهلوها وإنما مثله من يريد تيقية الزرع من المشيش فدار عليه وفقد عن كل حشيش رآه فقله لأنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وطن أن الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبث من أصول المشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهلها وهو يظن أنه قد اقتلها فإذا هو بها في غفلته وقد نبث وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يضل جميع ذلك ويذهل عن الرقابة الخفايا والتفقد للذائق قراء يسر إليه ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين لغاتها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن بائه الحرس على إظهار دين الله ونشر شريعته ولسل بائه الحق هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق . وانطلاق الأئمة على إنشاء ولده بالزهد والورع والملم والتقدم له في اللحمت وإشاره في الأغرض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصفاء عند حسن اللفظ والارباد والتمتع بتعريك الرؤوس إلى كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والسعيدين والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الأكرام والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن بدم إطلاق لسان العظمى في الكفاية للتبليغ على الدنيا لآمن تضع بمعية الدين ولكن عن إدلال باليقين واعتداد بالتخصيص ولعل هذا للسكن للزور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وأقبال وتوقير وحسن ثناء فلو تفرقت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فساميتشوش على قلبه وتخلط أورداه ووظائفه وعسا يمتد بكل حيلة نفسه وربما محتاج إلى أن يكذب في تقبلة عيه وعسا يؤثر بالكرامة والرعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويثوب قلبه ممن عرف حقه فضله وورعه وإن كان ذلك على وفق حاله وعسا يؤثر بمن أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراه وأكثر ثناء عليه وأعد إسماء إليه وأحرص على خدمته ولتلم يستفيدون منه ورغبون في العلم ويظنون أن قبولهم له لا خلاصه وصده وقبالة بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر للذوب ولم يفتقد مع حقه تصحيح التية فيه وعسا لو وعد بثل ذلك الثواب في إشاره المحول

كان هم الله فهمه هو  
والإفهمه غير الله  
والبعد إذا اتبه من  
النوم قباضته عاله  
إلى طهارة القطرة  
فلا يدع الباطن يتغير  
بغير ذكر الله تعالى  
حق لا يذهب عنه  
نور القطرة الذي  
اتبه عليه ويكون  
قار إلى ربه ياطنه  
خوفا من ذكر الأختيار  
ومسما وفي الباطن  
بهذا الليار قد اتفق  
طريق الأنوار وطرق  
النفحات الإلهية  
بجدد أن تصب إليه  
أقسام الليل اصبايا  
ويصير جناب القرب له  
موتلا ومبا ويقول

والعزة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لتقدم في العزة ولا إخفاء لذة القبول وعزة الرئاسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم أنه بطله امتنع من قبيحه وتوقع في جباله وعلمه يصنف ويحسد فيه طائفا أنه يجمع علم الله ليتنفع به وإنما يريد به استنارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدح تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه هل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى الصنف والله يعلم بأنه هو الصنف لا من ادعاه وله في تصنيفه لا غلوم من التشاء على نفسه إما صريحا بالمدح الطولية المرضة ولما ضمننا بالطنن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علما وقد كان في خفية عن الطعن فيه ، وله يحكي من الكلام للزغب ما يزيد تزييفه فيعزيه إلى فاته وما يستحسنه فله لا يميزه إليه ليظن أن من كلامه في نفسه كالمسارق له أو يشير أدنى تغيير كالأدب يسرق قبيحا فيتحفه قيام حتى لا يعرف أنه سرور ، وله يحسد في تزيين ألفاظه وتسميته وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الزكاة ويرى أن غرضه ترويح الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى قمع الناس ومساواة فلا يحاروي أن ينسب الحكماء موضع ثلثا من تصنيفه في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض غافا وإني لأقبل من خفاك عشتا ولعل جماعة من هذا الصنف من اللذين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو اتفقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصعابه نظر كل واحد إلى كثرة من يقيه وأنه أكثر بما أو غيره فينحس إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الأتباع منه إنما افرقوا واشتقوا بالأفادة تمايزا وتخاصسا ولعل من مختلف إلى واحد منهم إذا اقتطع عنه إلى غيره فقل على قلبه ووجد في نفسه قرعة منه فيجد ذلك لا يهتز بإطله لا كرامه ولا يشتم قضاء حوائجهم كما كان يشتم من قبل ولا يحرس على التشاء عليه كما اتفق مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أتم له في دينه لأفقه من الألفاظ كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة فتوقع ذلك لا يزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم إذا تحركت فيه مبادئ الحسد لم يقدر على إظهاره فيقتل بالطنن في دينه وفي ورعه ليجعل ضحية على ذلك ويقول إنما غضبت لدين الله لأنفسى ، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن اتفق عليه بما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه وإذا ذكرت عيوبه يظهر أنه كاره لفتية اللعين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك ، فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يخطئ له إلا الأكياس ولا يشتره عنه إلا الأقوياء ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الهزات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرس على إصلاحه فإذا أراد الله بهد خيرا يصره بعبوب نفسه ومن سره حسنته وساءت سميت فهو من جوارح الحال وأمره أقرب من للثروة للزكى لنفسه للثمن على الله بمدحه وعلمه الطمان أنه من خيار خلقه فتصود باقه من الثقة والاعتبار ومن للفرقة غفيا الصوب مع الاحمال ، هذا غرور الذين حسوا العلوم الهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ، ولقد ذكر الآن غرور الذين قنوا من العلوم على فهمهم وتركوا العمل وهم به مفترون إما لاستخفافهم عن أصل ذلك العلم وإما لاختصارهم عليه ، فهم فرقة انصروا على علم التناسل في الحكومات والحسومات وتفاصيل الحسابات الدينية الجارية بين الخلق لمصلحة العباد وخصوصا اسم الثقة بها ومموه الثقة وعلم الذهب وربما ضيعوا ذلك الأعمال الظاهرة وباطنة فلم يتقدموا الجوارح ولم يغرسوا اللسان عن التوبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن الكسب إلى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يغرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر الهالكات فلهذا انصروا ومن وجهين : أحدهما من حيث العمل والآخر من حيث العلم . أما العمل فقد ذكرنا نواحيه في أوّل كتابنا

بالسان الحمد لله الذي  
أحيانا بعد ما أماتنا  
وإليه النشور وقبرا  
الشعر الأواخر من  
سورة آل عمران ثم  
يقصد للساء الطهور  
قال الله تعالى - وينزل  
عليكم من السماء ماء  
ليطهركم به - وقال  
من وجل - أنزل من  
السماء ماء فسال  
أوديه بقدرها - قال  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما الساء  
السكران والأوديه  
القبول فسال  
بقدرها واحتملت  
ما وسعت والساء مطهر  
والسكران مطهر والسكران  
بالطهر أجدر فالساء

مثال للرض إذا حمل نسمة الهواء واختل بسكراره وتعليه لابل مثله مثل من به علة البواسير  
والبرسام وهو مشرف على الملائكة ويحتاج إلى قلم الهواء واستعماله فاشتغل بتملوه واستقامت قوتو بسكرار  
ذلك لئلا ينهار مع علمه بأنه رجل لا يحس ولا يستحاض ولكن يقول ربما تنفع علة الاستحاضة  
لامرأة وتساكني عن ذلك وذلك غاية الترويح فكذلك للتفقه للسكين قد سيطر عليه حب الدنيا واتباع  
الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر الهلكات الباطنة وربما غنطه للوت قبل التوبة والاتق  
فبقي الله وهو عليه غضبان ترك ذلك كله واختل بمل السلم والإجارة والظهار والقنان والجراحات  
والديات والماوى والبنات ويكتب الحيز وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره ونفسه وإذا  
احتاج غيره كان في التفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرياسة وللإيقود  
دهاء الشيطان وما يشعر إذ يظن للزور بنفسه أنه مشغول بغير دينه وليس يدري أن الاختلال  
بغير الكفاية قبل الفراغ من فرض المين مسببة ، هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد  
بألفه وجه الله تعالى فانه وإن قصد وجه الله فهو باغتهاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه  
فهذا غروره من حيث السمل ، وأما غروره من حيث العلم بحيث يقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم  
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال أنهم ثقة  
أخبار وحمل أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفتنة عن الله تعالى بادر العجالة  
وعظفته وهو العلم الذي يورث الخوف والحيية والخشوع ويحمل على التقوى قرآنا من الله سبحانه  
متكلا على أنه لا بد وأن يرجمه فانه قوام دينه وأنه لو لم يشغل بالفتاوى لسطل الحلال والحرام قد تدركه  
العلوم التي هي أم وهو فاضل مفرور وسبب غروره ما مع في التبع من تنظيم الفتوى ليدرك ذلك  
الفتنة هو الفتنة عن الله ومعرفة صفاته الخفية والرجوة ليستقر القلب الخوف ويلازم التقوى إذ قال تعالى  
- فلو أن فر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون -  
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشرط المعاملات وحفظ  
الأبدان بالأموال ويدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله أموالا دين من كتب أو غنا العلم هو  
معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات للمؤمنات في الحجاب بين البدن وبين الله تعالى  
وإذا مات ماوتها تلك الصفات كان حيويا عن الله فثابه في الاقتصاد على علم الفتنة مثال من اقتصر من  
سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخضولاهك في أعلو لم يكن لتصل الحج ولكن اقتصر عليه  
ليس من الحج في شيء ولا يسيه وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم  
الفتنة على الخلافات ولم يمه لإتقان طريق المجادلة والإزاد وإظهار الخصوم ودفع الحق لأجل التلبوا بالمباهاة  
فهر طول الليل والنهار في التفنيس عن مناقضات أرباب المذاهب والتفتد لسيوب الأقران والتفتد لأصناف  
التسيبات المؤذية بذهولهم سباع الإنس طبعهم الألبام فهمهم السفوا لا يتقدمون العلم إلا للزور وقمايلهم  
لمباهات الأقران فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى يحو  
الصفات للمؤمنات وتجديها بالهمومة قائم يستحقونه ويسمونه الزويقي وكلام الواطوا في التحقيق  
عندهم معرفة تفاصيل العريضة التي تجري بين المتصارعين في الجدل هؤلاء قد جمعوا ما جمعه الدين  
من قبلهم على علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضا بل جميع دقائق  
الجدل في الفتنة بدعة لم يرمها السلف ، وأما أدلة الأحكام فيشتغل عليها علم المنهج وهو كتاب الله  
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مانيها . وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع  
والتركيب والتدعية فأنما أبدعت لإظهار التلبه والإطام وإقامة سوق الجدل بها فزور هؤلاء أهد

يقوم غيره مقامه  
والقرآن والعلم لا يقوم  
غيرهما مقامهما ولا يمد  
مسددا فإلما الطهور  
يطهر الظاهر والعلم  
والقرآن يطهران  
الباطن ويلهيان  
رجز الشيطان فالنوم  
غفلة وهو من آثار  
الطبع وجدير أن  
يصحون من رجز  
الشيطان لما فيه من  
الفتنة عن الله تعالى  
وذلك أن الله تعالى أمر  
بتبيض النقطة من  
القراب من وجهه  
الأرض فكانت النقطة  
جبهة الأرض والجبهة  
ظاهرها جهرها وباطنها  
أدعة قال الله تعالى

كثيرا وأقبح من غرور من قبلهم . و فرقة أخرى اشتغلوا به الكلام والمجادلة في الأخوة والرد على المخالفين وتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة القالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإخافتهم واقتروا في ذلك فرقا كثيرة واعتدوا أنه لا يكون لبس على الإيمان ولا يصح إيمان إلا بأن يتم جلسم وما موه أدلة عقائدهم وغنوا أنه لا أحد أعرف بالله وصفاته منهم وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد منهم ولم يتم علمهم ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها ثم م فرقتان ضالقة وعقبة فالضالقة التي تدعو إلى غير السنة والحقة هي التي تدعو إلى السنة والفرور شامل لجيهم . أما الضالقة فظلتها عن ضلالها وظلتها بنفسها التجاه ولم فرق كثيرة يكثر بعضهم بضاً وإنما أتيت من حيث إنها لم تهم رأيها ولم تحكم أولا شروط الأدلة ومنهاجا فرأى أحدم الشبهة دليلا والليل هبة . وأما الفرقة الحقة فانما اغترارها من حيث إنها ظنت بالجلد أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الخو عمت أنه لا يتم لأحد دينه علم يخص ويشت وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث ومحرر دليل فليس يؤمن أو ليس كامل الإيمان ولا مقرب عند الله فهذا الظن القاسد سقطت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن القالات والهيئات للبدعة ومناقضاتهم وأملوا أنهم قلوبهم حتى عييت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة وأحدم يظن أن اشتغاله بالجلد أولى وأقرب عند الله وأفضل ولكنه لا تداخه بالبلية والإغرام وقتة الرخصة وعن الاتهام إلى الرب عن دين الله تعالى عييت بسيرة ظم ينتش إلى القرن الأول فان اتى صلى الله عليه وسلم شهد لهم بأنهم خير الخلق وأنهم قد أدركوا كثيرا من أهل البدع والحرى لما جوا أعمارهم ودينهم غرضه ضالصة وماتوا بالمجالات وما اشتغلوا بالله عن فقه قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم بل لم يشككوا فيه إلا من حيث أرواحه وتوسموا على قبوله فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلاله وإذا رأوا مصرا على ضلالة هجروه وأعرضوا عنهم بأضيق الله ولم يرموا للأحالة منه طول العمر بل قالوا إن الحق هو الدعوة إلى السنن من السنة تركوا الجدل في الدعوة إلى السنة إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل (١) وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه وهم يتجادلون ويغضضون غضب عليهم حتى كأنه نفي في وجهه حب الزمان (٢) حرمت من الغضب فقال: وألها بضم أهدأ أمرتم أن تغربوا كتاب الله يشبه يعض انظروا إلى ما أمرتم به فافعلوا وما نهيتهم عنه فاجتنبوا قد جرم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم وأورسل الله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت إلى كافة أهل اللل فلم يقد منهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سوءال وإيراد إلزام جادلهم إلا بقلوة القرآن للزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يقوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والبه ثم لا يقد على عموها من قلوبهم وما كان يميز عن مجادلتهم بالتصديق ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحاب كيفية الجدل والإلزام ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يتروا بهذا وأولوا النجا أهل الأرض وهلكوا لم تنفضا تجارتهم ولو نجحوا وهلكوا لم يضرتا هلاكهم وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل اللل وما ضلوا المبرح رحر مجادلتهم شأننا فضيع العمر ولا تصرفه إلى ما ينفضا في يوم قترنا وفاتنا ولم نخوض فيها لأننا من على أعننا الخطأ في تضاميه ثم نرى أن للبعث ليس يترك بعده مجداله بل يزيد التصب والحسوة تشددنا في بدته فاشتغلنا بخاصة نسي ومجادلتها ومجاهدتها لترك الدنيا للأخرة أولى هذا لو كنت لم أسمع من الجدل

(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل فخدم في العلم وفي آفات اللسان (٢) حديث خرج يوما على أصحابه وهم يجادلون ويغضضون غضب حتى كأنه نفي في وجهه حب الزمان الحديث قدّم.

- إلى خالقهم من طين كال بشرية والبشر عبارة عن ظاهره وصورة والأدلة عبارة عن باطنه وأدبته والأدلة مجمع الأخلاق الجيدة وكان التراب موطئاً أنقام إليس ومن ذلك الكتب ظلمة وصارت تلك الظلمة معبوة في طينة الأدي . ومنها الصفات للذمومة والأخلاق الرديئة . ومنها الغفلة والسوء فلذا استعمل الساء وقرأ القرآن في المطهرين جميعا وينهب عنه رجز الشيطان وآثر وطأته وعركه بالعلم والمخرج من

والخسومة فكيف وقد نيت عنه وكيف أدعو إلى السنة ترك السنة فالأولى اتفقد تسوي وأنظر من صفاتها ما ينفعه الله تعالى وما يحبه لأتمزه عما ينهيه وأتبعك بما يحبه . وفرقة أخرى : اشتغالوا بالوعظ والتذكير وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصور والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائرهم مغرورون يظنون بأنفسهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوالم للسليين وغرور هؤلاء أعد التورول أنهم يسبون بأنفسهم فاية الإحباب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا أنهم غاصون وما تقوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها متهون ولولا أنه مقرب عند الله ما عرفه معنى القرب والبد وعلم السواك إلى الله وكيفية قطع النازل في طريق الله فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخاضعين وهو آمن من الله تعالى ويرى أنه من الراجين وهو من للترين للترين للترين ويرى أنه من الراسخين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى أنه من للتوكلين على الله وهو من للتكئين على العز والجاه والملك والأسباب ويرى أنه من المخلصين وهو من للرايين بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف وصف الرياء ويذكره وهو يرأى بذكره ليشتد فيه أعلا أنه غلص لما ابتدئ إلى دقائق الرياء وصف الزهد في الدنيا لثمة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار وخوف بالله تعالى وهو منه آمن ويذكر بالله تعالى وهو له ناس ويقر به إلى الله وهو منه متباعد ويحث على الإخلاص وهو غير غلص ويحم الصفات للهمومة وهو يما تصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أعد حرصا لو منع عن عمله الذي يدعو الناس فيه إلى الله لفاسدت عليه الأرض بما رحبت وزعم أن غرضه إصلاح الخلق وهو ظفر من أقرانه من أنبل الخلق عليه وصلوا على يده لمات غما وحسدا ولو أتى أحد من للتردين إلى على يمين أقرانه لكان أبش خلق الله إليه هؤلاء أعظم الناس غرة وأبدم عن التنبه والرجوع إلى السداد لأن الرغب في الأخلاق المحمودة وللغفر عن للهمومة هو العلم بخوائفها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغفه حب دعوة الخلق عن العمل به فيعد ذلك بماذا يبالغ وكيف سبيل تخوئه وإنما الخوف ما يتلو على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف ثم إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو أن يدعي مثلاً حب الله فما الذي تركه من محب نفسه لأجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الأمن بالله فمق طابت له الخطوة ومق استوحى من مشاهدة الخلق لأجل يرى قلبه يتلوه بالحلاوة إذا أحق به للريدون وتراه يستوحى إذا خلا بالله تعالى فهل رأيت عبا يستوحى من محبوه ويستروح منه إلى غيره فالأكياس يتحنون بأنفسهم بهذه الصفات ويعللونها بالحققة ولا يقتنون منها بالزويق بل بموتق من الله غليظ والمفترون يمسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف السطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أفتابهم فيدورهم أديم كما يدور الحار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم بأمرهم بالخبر ولا يأتونه ويهونون عن الشر ويأتونه وإنما وقع التورول هؤلاء من حيث إنهم يصادفون في قلوبهم شيئا شديدا من أصول هذه المذنب وهو حب الله والخوف منه والرضا بنفسه ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل الدالية في هذه الملمات فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما تقع الناس بكلامهم فيها إلا لاصفاهم بها وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمرة وجريان اللسان والمرة للعلم وأن كل ذلك غير الاصناف بالصفة

حينئذ الجهول فاستعمال المظهر أم شرعي له تأثير في تور القلب بإزاء التور الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك ولهذا رأى بعض السلاء الوضوء مما مست النار وحكم أبو حنيفة رحمه الله بالوضوء من التهمة في الصلاة حيث رآها حكا طيبا جالبا للآثم والإثم رجس من الشيطان والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان يشتم جوساً من التية والسكنب وعند التسبب للظهور



فلم يارق أحاد السليمين في الاتصاف بصفة الحب والحق بل في القدرة على الوصف بل بجزائز أداته  
وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله ونصف في قلبه حب الله تعالى ، وإيمانه مثله مثال مريض يصف  
للرض وصف دواؤه بخصافته ويصف الصحة والشفاء وغيره من الرضى لا قدر على وصف الصحة  
والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه فهو لا يشاركهم في صفة الرضى والاتصاف به وإنما يشاركه في الوصف  
والعلم بالطلب فظنه عند علمه حقيقة الصحة أنه صحيح فاة الجبل فكذلك العلم بالحق وصف الحب  
والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بمخاطبها ، ومن التيسر عليه وصف الحقائق  
بالاتصاف بالحقائق فهو مفرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا لعب في كلامهم بل مناج وعظهم مناج  
وعظ القرآن والأخبار وعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم . وفرقة أخرى . منهم عدلوا  
عن اللّٰه الجواب في الوعظ وهم يحاط أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على التدور في بعض  
أطراف البلاد إن كان ولنا نرفعه فاشتغلوا بالمعامات والسطح ونلتيق كلات خارجة عن قانون التصرع  
والعقل طلبا للإغراب ، وطائفة شغلوا بطيارات التكت وتسجيع الألفاظ وتلقيها فأكثر همهم  
بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والرقائق وغرضهم أن تكتفى بحالهم الزخات والتواجدول  
على أغراض فاسدة فهو لاء شياطين الانس ضلوا أو ضلوا عن سواء السبيل فان الأولين وإن لم يصلحوا  
أنقسم فقد أصلحوا غيرهم وصحوا كلامهم وعظهم ، وأما هؤلاء فانهم يصّدون عن سبيل الله  
ويحرون الخلق إلى القرور بالله بلطف الرجاء فيزبدن كلامهم جرادة على الماصي ورغبة في الدنيا  
لا سيما إذا كان الواقع متزينا بالثبات والجلب والركب فانه كنهه هيته من فرقه إلى قدمه بشدة  
حرصه على الدنيا لما يفسده هذا القرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلا ويضل خلقا كثيرا ولا  
يخفى وجه كونه مفرورا . وفرقة أخرى منهم قنوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم  
يحتفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمخاطب فيفسد بفسل ذلك على الناظر ،  
وبعضهم في المخاريب ، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا تمجيز هذا التقدر  
عن السوق والجنديّة إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم قد أفلح ونال الرضى وصار مقفورا  
له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل  
الدين يكفي ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم . وفرقة أخرى استنقروا أوقاتهم في علم  
الحديث أغنى في ساحه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الثرية العالية فهمة أحدم أن  
يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول أنا أروى عن فلان ولقد رأيت فلانا ومعنى من الاستناد ليس  
مع غيرة ، وغرورهم من وجوه : منها أنهم كسفة الأسفار فانهم لا يعرفون الناية إلى فهم معاني  
السنّة فلههم قاصر وليس معهم إلا التمثل ويظنون أن ذلك يكفيهم . ومنها أنهم إذا لم يفهموا معانيها  
لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضا ولا يعملون به . ومنها أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين  
وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأدب وطلب المال مما لا حاجة بهم إلى شيء من ذلك .  
ومنها وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضا لا يتبعون بشرط السماع فان السماع بمجرد إدان  
لم تكن له فائدة ولكنه مهم في حقه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإتيان والعمل به  
التفهم فالقول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم التكرر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع  
ثم تركوا حقيقة السماع ترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب  
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى ليعلم منه والبالغ الذي يحضر ربما يفتل ولا يسمع  
ولا يفتنى ولا يفتبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صنف غير ما يقرأ عليه

النفس وتصرف  
الشیطان في هذه  
الوالم ، ولو أن  
للتحفظ السراى  
للقاب الملبس كل  
انطلقت النفس في مباح  
من كلام أو ما كنة  
إلى خالطة الناس أو  
غير ذلك مما هو مبرحة  
تحليل عقد العزيمة  
كالخوش فيا لا ينى  
قولا وفلا عقب ذلك  
بتجديد الوضوء ثبت  
القلب على طهارته  
وتزاهته ولصكان  
الوضوء لصفاء البصيرة  
بنائة الجنين الذى  
لا يزال خفة حركته  
بجلو البصر وما جعلها  
إلا المالمون - تفكر

لم يشعر به ولم يعرفه ، وكل ذلك جهل وغرور . إذ الأصل في الحديث أن يسمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ورويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان هجرت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة أو التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تصفى للسمع تحفظ وتروى كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيرك منه حرفا أو خطأ علمت خطأ ولحفظك طريقان : أحدهما أن تحفظ بالقلب وتستدعيه بالكر والتكرار كما تحفظ ما جرى على سمك في مجارى الأحوال . والثاني أن تكتب كما تسمع وصحح للكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانك فانه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيروه فإذا لم تحفظه لم تسمع بشيئه فيكون محفوظا قليلك أو بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وأمن فيه من التغير والتحريف ، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمك صوت غفل ولفرت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوزت أن يكون ما فيه مغيرا أو غارقا حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجر لك أن تحول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لماذا لم تسمع ما به بل سمعت حيث غاب ما به ولو في كلمة ، فإذا لم يكن معك حفظ قليلك ولا نسخة مصححة استوفيت عليها فتقابل بها فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك وقد قال الله تعالى - ولا تحف ما ليس لك به علم - . وتقول الشيخ كلهم في هذا الزمان إنما سمعوا ما في هذا الكتاب فإذا لم يوجد الشرط الذي ذكرته فهو كذب صريح . وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغير ، ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والتافل والتائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في الهدى ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جواز ما لو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في الهدى لأنه لا يفهم ولا يحفظ . فالصبي الذي يلعب والتافل وللغفل بالتسمع عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وإن استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في الهدى فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت لما يقع هذا وهو إنما يقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيئا على أن يقول سمعت بعد بلوغى أى في صباى حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعى صوته ولأدري ما هو فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتا غفلا لجاز إثبات سماع صبي في الهدى وذلك غاية الجهل ، ومن أين يأخذ هذا ؟ وهل للسمع مستند إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفى الله امرأ سمع مقالتي فادّعاها كما سمعها (١) وكيف يؤدى كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا أغشى أنواع التورور وقد بلى بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيئا إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع التفة إلا أن المحدثين في ذلك جاها وقبولا لا خلاف لما كين أن يشترطوا ذلك فيقول من يجمع لذلك في حلقهم فيقتصر بجاههم وهل أيضا أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عمدوا ذلك واقتضوا قاصططلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعهم ممدمة وإن كان لا يدري ما يجري ، وصحة السماع لا تصرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم

(١) حديث أنكر الله امرأ سمع مقالتي فادّعاها كما سمعها أصحاب السنن وابن حبان من حديث زيد ابن ثابت والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وقال الترمذي حديث حسن صحيح وابن ماجه قبط من حديث حبيب بن مسلم وأبو .

فما نهيك عليه تجد بر كنه وآثره ، ولو اغتسل عند هلمه للتجبد واستوالوا لارض والاتباه من التورم لكان أزيد في تورم قلبه ولكان الأجدر أن البدي يقتل لكل غرضة بأذا لجهوده في الاستعداد لمجانة الله ومجدد غسل الباطن يصدق الإجابة وقد قال الله تعالى - متبين إليه وأخوه وأقيموا الصلاة - قدم الإجابة للدخول في الصلاة ولكن من رحمة الله تعالى وسكن الخليفة السهبة السبعة أنرفع الحرج وعوض

علماء الأصول بالشفه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الشفّه فهذا عرور هؤلاء ولوجوهما على الشرط لكانوا أيضا مفرودين في اقتصارهم على النقل وفي إنباء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراسهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يتمكن الحديث الواحد عمره كما روى عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس البيع فكان أول حديث روى قوله عليه الصلاة والسلام « من حسن إسلامه المرء تركه ما يمينه »<sup>(١)</sup> وقام وقال يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره ، فكذلك يكون مباح الأكل للدين يحذرون التورود . وفرقة أخرى : اشتغلوا بمل النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغترخوا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة إذ قولهم للدين بالكتاب والسنة وقولهم الكتاب واللغة والتخوفاتى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثلهم كمن يرضى جميع السرفى تلم الخط وصحيح الحروف وتحميها وزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتحميها ولو فعل لم أنه يتمكن أن يتلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفاً كان والبالى زيادة على الكتابة وكذلك الأدب لو فعل لفرق أن لغة العرب كلغة الترك والضيع عمره في معرفة لغة العرب كالضيق له في معرفة لغة الترك والمهند وإنما فارقها لغة العرب لأجل ورود الترجمة بها فيمكن من اللغة علم التربين في الأحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب فأما التمتع فيه إلى درجات لا تنهاى فهو فضول مستثنى عنه ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الترجمة والعمل بها فهذا أيضا مفرد بل مثله مثال من ضيع عمره في تصحيح خارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ القصد من الحروف للمانى وإنما الحروف ظروف وأدوات ومن احتاج إلى أن يجرى السكتيين ليزول ما به من الصغراء وضيق أوقاته في تحسين القبح الذى يشرب فيه السكتيين فهو من الجهال للتورودين فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب القراءات والتدقيق في خارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التى هي فرض عين غالب الأوصى هو العلم والذى فوقه هو معرفة العمل وهو كاشتغال العمل بالكتابة بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو التتبع الأتم العلم بخارج الحروف والله تعالى بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يرجع عليها إلا بقدر حاجته تنبؤ إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى باب العلم فطالب بحقيقة العلم قلبه وجوارحه ورجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيها من الشوائب والآفات فهذا هو القصد المأمود من جملة علوم التتبع وسائر العلوم خضمه ووصل إليه وقصور له ومنازل بالإضافة إليه وكل من لم يبلغ القصد قد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم التتبع اغتر بها أربابها . فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم التتبع فلا يمتدح أصحابها أنهم يتألون المنفعة بها من حيث يعلمها أو لم يكن التتبع بها أقل من التتبع بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمود كإشراك التتبع الب في كونه محمودا ولكن المأمود منه له به هو الذى والثاني محمود للوصول به إلى القصد الأقصى لمن اتخذ التتبع مقصودا وعرج عليه قد اغتر به . وفرقة أخرى : عظم غرورهم

(١) من حسن إسلام المرء تركه ما يمينه الترمذى وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسلا وقد تقدم .

بالوشوء عن النقل  
وجوزأداء مقترضات  
بوشوء واحد دفا  
الحرج عن طمة الأمة  
والنحواس وأهل  
الزعة مطالبات من  
بواطم تحم عليهم  
بالأولى وتليهم إلى  
سلوك طريق الأمل  
فأذا تم إلى الصلاة وأراد  
استغناج التهجيد يقول  
الله أكبر كبيراً والحمد لله  
كثيراً وسبحان الله  
بكرة وأصيلاً ويقول  
سبحان الله والحمد لله  
الكلمات عشر مرات  
ويقول الله أكبر  
ذو الملك والملكوت  
والجبروت والكبرياء  
والعظمة والجلال

في فن الله فظنوا أن حكم البديع بينه وبين الله يقع حكمه في مجلس القضاء فوضوا الحيل في دفع الحقوق وأسأوا تأويل الألفاظ للبهمة واغترتوا بالنظواهر وأخطئوا فيها وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والسرور فيه والخطأ في الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكفاة إلا الأكياس منهم نقشروا إلى أمثلة : فمن ذلك قوام بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برى الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فخطئوا إلى طلب الخلاص فقبروا الزوج لتخلص منه فهو إبراء لاطئ طيبة نفس وقد قال تعالى - فإن طعن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا - وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الإنسان بقلبه مالا قطيب به نفسه فانه يريد الحجابة بقلبه ولكن تكرهها نفسه وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لاعتبار ضرورة تعاليه حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أوهنها لئلا تصادره على التحقيق بأكره الباطن ثم القاضي في الدنيا لا يطالع على القلوب والأغراض فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والاكره الباطن ليس يطالع الخلق عليه ولكن مهما قصدى القاضي الأكبر في صيد القيامة للقضاء لم يكن هذا عصويا ولا مفيدا فيتحصل الإبراء وذلك لا يهل أن يؤخذ ماله إنسان إلا بطيب نفس منه فلو طلب من الإنسان مالا على ملام من الناس فاستنجا من الناس أن لا يسطيه وكان يود أن يكون مؤثرا في خلوة حتى لا يسطيه ولكن خاف المذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الأثنين وهو ألم التسليم فسله فادفرق بين هذا وبين الصادرة إذ معنى للصادرة إيلام البدن بالصوت حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب يدل للمال فيختار أهون الأثنين والسؤال في مظنة الحياء والبراء ضرب القلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ماني القلب وكذلك من يعطى إهداء لشر لسانه أو لشر سماعته فهو حرم عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرم ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له يارب كيف لي بخمسي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بدناؤه في صخرة بيت المقدس فنادى بأوريا فأجابه ليك يا بني الله أخرجنى من الجنة فسادا تريد ؟ قال إني أسأت إليك في أمر فنيه لي قال قد فعلت ذلك يا بني الله فأنصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت ؟ قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه قال ليك يا بني الله قال إني أذنبت إليك ذنبا قال ألم أهبك لك قال لا أستاذني ماداك أكتب قال ما هو يا بني الله ؟ قال كذا وكذا وذكر أن المرأة فاقطع الجواب ، قال يا أوريا ألا تحبينى قال يا بني الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اتق معك بين يدي الله فاستقبل داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستويه منه في الآخرة ، فهذا ينبغي أن الهية من غير طيبة قلب لاخيه وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة فبكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والمابة وغيرها إلا إذا خلى الإنسان واختار حتى تجتنب الدواعي من ذات نفسه لأن تضطرب واته إلى الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل ماله الزكاة في آخر الحول من زوجته وأهله بما لها من لاسقاط الزكاة فاقبته يقول سقطت الزكاة فان أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه قد صدق فان مطعمه نظرم ظاهر للملك وقد زال وإن ظن أنه يسل في القيامة ويكون كمن لم يملك للمال أو كمن باع حاجته إلى اللبيع لاطئ هذا القصد فما أعظم جهله بفقته الدين وسر الزكاة فان سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم

والقدرة اللهم لك الحمد  
أنت نور السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت بهاء السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت قيوم السموات  
والأرض ولك الحمد  
أنت رب السموات  
والأرض ومن فيهن  
ومن عليهن أنت الحق  
وملك الحق وقادرك  
حق والجنة حق والنار  
حق والنيون حق  
ومحمد عليه السلام حق  
والله لك أسلمت وبك  
أكنت وعليك توكلت  
وبك خاضعت وإليك  
حاكت فاغفر لي ما قدمت  
وما أخرت وما أسررت  
وما أعلنت أنت للقدم

ولدت مهلكات شح مطاع<sup>(١)</sup> وإتصاص شحه مطاعا بما فيه وقبه لم يكن مطاعا ضد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وجهه لئلا وحرصه عليه وأنه يفتن من حرصه على اللال أن امسبط الجبل حتى يسد على شحه طريق الخلاص من البخل بالجبل والقرور ومن ذلك إياحه الله مال الصالح للفقير وغيره بقدر الحاجة والفقهاء للقرورون لا يعززون بين الأمان والفتن والتهويل وبين الحاجات بل كل مالا تم رعوتهم إلا به يروته حاجة وهو محض القرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسواك طريق الآخرة فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وماعدا ذلك فهو فضوه وشهوته ولودهنبا نصه، غرور الفقهاء في أمثال هذا لملانا فيه مجلدات والقرص من ذلك التنبيه على أمثلة تصرف الأجناس دون الاستيباب فإن ذلك يطول . الصف الثاني : أرباب العبادة والعمل والقرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الزور ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول ينسج من مناهج العمل فليس خاليا عن غرور إلا الأكاس وقيل مام . فمنهم فرقة : أهموا القرائن واعتنوا بالتفائل والنوافل وربما تعمقوا في التفائل حتى خرجوا إلى الصدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيألف فيه ولا يرضى للماء المحكوم بطهارته في قوى الشرع ويقدر الاحتالات البعيدة قربة في التجاسة وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال فقدر الاحتالات القربة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو اقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أهبه بسيرة الصحابة إذ تواتر عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال التجاسو كان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج إلى الاسراف في صب الماء وذلك منهى عنه<sup>(٢)</sup> وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وإن لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييع العمر الذي هو أعر الأشياء فيها له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يسد الخلق عن الله فيطريق سنى ولا يقدر على صد العباد إلا بما يحيل إليهم أنه عبادة فيعدهم عن الله بمثل ذلك . وفرقة أخرى : غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يشد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تهوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يشيرون صيغة التكبير للسدة الاحتياط فيه يملكون ذلك في أول الصلاة ثم يضافون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويثرون بذلك ويظنون أنهم إذا اتبعوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم . وفرقة أخرى : تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف فاتحة وسائر الأذكار من عجزها فلا يزال عتاط في التشديدات والقرق بين الصاد والظاه وتصحيح عتارج الحروف في جميع صلاته لاجهه غيره ولا يشكر فيها سواه ذاعلا عن معنى القرآن والاعتاط به وصرف القهم إلى أسرارهم وهذا من أجمع أنواع القرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق عتارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام .

(١) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم فيه مرة (٢) حديث النهي عن الاسراف في الوضوء الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث أبي بن كعب إن الوضوء شيطانا يقال له الوهسان الحديث وتقدم في حجاب القلب .

وأنت للآخر لاله إلا  
أنت اللهم أنت تسمى  
شواها وزكها أنت خير  
من زكها أنت وليها  
ومولها اللهم اهدني  
لأحسن الأخلاق  
لا يهدي لأحسنا إلا  
أنت وأصرف عني سيئها  
لا يصرف عني سيئها إلا  
أنت أسألك مسئلة  
البائس المسكين  
وأدعوك دعاء الفقير  
الدليل فلا تحبطي  
بمدالك رب عفا  
وكن لي رءوقا رحما  
ياخير السائلين  
ويا أكرم السائلين ثم  
يصل ركعتين تحية  
الطهارة يسرأ في  
الأولى بعد الفاتحة

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى عباس سلطان وأمر أن يؤد بها على وجهها فأخذ يؤدى الرسالة ويتأق في خارج الحروف ويكررها ويبدع مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فالأحرار بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بتقيد النقل. وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيلذتوا هذا وربما ختمونه في اليوم أو الليل مرة ولسان أحدهم يجري به قلبه يتردد في أودية الأمان إذ لا يشكر في معاني القرآن لينزجر زواجه ويستطويع اعطه وخفف عند أوامره ونواهيه ويحترع بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن أن القصد من إزال القرآن المصحفة به مع الفتنة عنه. ومثاله: مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأغار عليه فيبالأمر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والمال به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أن يكرر الكتاب بصوته وتنته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعوبة ومهما ظن أن ذلك هو لوالده من غير مغرور. فم تلاوة إما تراد لكيلا ينسى بعد لحظه وحفظه يراد لعمده ومناهير العمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويثبته ويقرأه باستدائه ويظن أن ذلك قدوة مناجاة الله تعالى ومصاح كلامه وإنما هي قذرة في صوته ولوردد الحانته بشعر أو كلام آخر لا تله بذلك الالتئاد فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لله كلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه وأوصوه. وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما ساموا البحر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها يعظفون الستم عن القية وخواطرهم عن الرياء ويظنونهم عن الحرام عند الإفطار وألستم عن اللذات بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيعمل القرائن ويطلب الفضل ثم لا يقوم بمحبة وذلك غاية القور. وفرقة أخرى: اغتروا بالغنى فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن النظام وقضاء الميرون واسترضاء الوالدین وطلب أفراد الحلال وقد يفتنون ذلك بعد سقوط حجة الاسلام ويضيئون في الطريق الصلاة والقرائن ويحجرون عن طهارة الثوب والبدن ويترشون لمكس الظلة حتى يؤخذ منهم ولا يهتدون في الطريق من الرث والحمام وربما جمع بينهم الحرام وأتقته على الرقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيصبي الله تعالى في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه بالرياء ثانياً فلا هو أخذه من حله ولا هو ومنه في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث بنائل الأخلاق وديم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور. وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشكر على الناس ويأمرهم بالمعروف وينهى عنه وإذا أمرهم بالمعروف غلب طلب الرياسة والمزعة وإذا بالمرتكب ورد عليه غضب وقال أنا المحتسب فكيف تسكر على وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه وإنما غرضه الرياء والرياسة ولوقام يشهد للمسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولوجهه غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال أنا أخدق وزوجت على مرتبتي وكذلك قد يتفقه إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال إنه إمام للمسجد فلو قدم غيره وإن كان أروع وأعظم منه قل عليه. وفرقة أخرى: جاؤوا بمكة أو المدينة واغترؤا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهريهم وباطنيهم قلوبهم معلقة ببلادهم متفتنة إلى قول من يرفقه أن فلانا مجاور بذلك وتراه يتحدى ويقول قد جاورت بمكة كذا كذا سنة وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدى وأحب أن يرفقه أناس بذلك ثم إنه قد جاوور وعدين طمعه إلى وأسام أموال الناس وإذا جمع من ذلك شيئاً شح به وأمسكه لم تسمح نفسه بلقمة تصدق بها على فقير فيظفره الرياء والبخل

- ولوأنهم إذ ظنوا  
أضهم - الآية وفي  
الثانية - ومن حمل  
سوا أو يظن نفسه ثم  
يستغفر الله يجد الله  
فقوراً راحياً ويستغفر  
بعد الركتين مرات  
ثم يستفتح الصلاة  
برسكتين خفيفتين  
إن أراد يقرأ فيها  
بآية الكرسي وآمن  
الرسول وإن أراد غير  
ذلك ثم يسلي ركتين  
طويلتين هكذا روى  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أنه كان  
يتجهد هكذا ثم يسلي  
ركتين طويلتين  
أقصر من الأولين  
وهكذا يتدرج إلى أن

والطمع وجملة من للهلكات كان عنها يمزول لو ترك المجاورة ولكن حب الحمدة وأن يخال إنهم  
 المجاورين أئمة المجاورة مع التضع بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وما من عمل من الأعمال العبادة  
 من العبادات إلا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل آفاتنا واعتمد عليها فهو مغرور ولا يرفش فشر ذلك  
 إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل القصور في الصلاة من كتاب الصلاة في الحج من  
 كتاب الحج والزيارة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها وإنما القرض الآن الاغارة  
 إلى جامع ما سبق في الكتب . وفرقة أخرى زهدت في المال وطمعت من اللباس والطعام والذخون ومن  
 السكن بالمساجد وطمعت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرتبة والجاه إما بالعلم أو  
 بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الأمور وباه أعظم للهلكات فإن الجاه أعظم من المال ولو  
 ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم  
 معنى الدنيا وما يدرك أن ينسب لذاتها الرضا وأن الراغب فيها لا بد أن يكون متناقضا وحسودا ومتكبرا  
 ومرايبا ومتصفا بجميع خبايا الأخلاق ثم وقد يترك الرضا ويؤثر الخلود والرفق وهو مع ذلك مغرور  
 إذ يتعطل بذلك في الأغنياء ويغتن منهم الكلام وينظر إليهم بين الاستحقاق ويرجو نفسه أكثر  
 مما يرجو لهم وبسبب جملة من خبايا القلوب وهو لا يدري ويربما يسطي المال فلا يأخذ  
 خيفة من أن يخال بطل زهده ولو قيل له إنه حلال غلته في الظاهر وردة في الخفية لا تسمح به نفسه  
 خوفا من فم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الأدب الباطل يورى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو  
 مغرور ومع ذلك فرسا لا يخلو من توفير الأغنياء وتهديمهم على الفقراء وليل إلى الردين هو والتبين عليه  
 والنزعة عن السائقين إلى غيره من الزهاد وكل ذلك خدمته وغرور من الشيطان نود باله في العباد  
 من يشهد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصل في اليوم واليلة ثلاثا فركعتيهم القرآن  
 وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتهدم وتطهير من الرياء والكبر والسبب وسائر للهلكات  
 فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توم أنه مغرور  
 لعملة الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وإن توم فيظن أن العبادات الظاهرة ترجع بها كفة  
 حسناته وعيثات وذرمة من ذي قوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال  
 عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا للزور مع سوء خلقه مع الناس وخشوته وثاوت باطنه عن الرياء  
 وحب التناء فلذا قيل له أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح للزور بذلك وصدق به  
 وزاده ذلك غرورا وظن أن تركية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ولا يدري أن ذلك  
 لجليل الناس بخبايا باطنه . وفرقة أخرى حرصت على التواضع ولم ينظم اعتدادها بالقرائن ترى  
 أحدهم يرفع صلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه التواضع ولا يجد الفرصة لله ولا يستحرمه  
 على المبادرة بها في أول الوقت ويضي قوه صلى الله عليه وسلم فيها يرويه عن ربه « ما حارب  
 للثريون إلى بطل أداء ما اقترضت عليهم (١) » وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الزور بل قد  
 يتعين على الإنسان فريضة : أحدها غيوت والآخر لا يغوت وأفضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع  
 وقته فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فإن للمسية ظاهرة  
 والطاعة ظاهرة وإنما التامض تهميد بعض الطائفت على بعض كتحديق الترائض كلم على التواضع وتهديم  
 غرور الأعيان على فروض الكفايات وتهديم فرض كفاية لا تقم به على ما حارب غيره وتهديم الأهم

(١) حديث ما حارب للثريون إلى بطل أداء ما اقترضت عليهم ، البخاري من حديث أبي هريرة  
 بلغظ ما حارب إلى عدي .

يصل إلى عشرة ركعة  
 أو ثمان ركعات أو يزيد  
 على ذلك فإن في ذلك  
 فضلا كثيرا لا شأ علم .  
 [ الباب الثامن  
 والأربون في تقسيم  
 قيام الليل ]

قال الله تعالى والذين  
 يبيتون لربهم سجدا  
 وقياما أولئك في خير  
 قوه تعالى فلا تسلم نفس  
 ما أخفى لهم من قرة  
 أعين جزاء بما كانوا  
 يعملون - كان عملهم  
 قيام الليل وقيل في  
 تحسير قوه تعالى  
 - استنبوا بالصبر  
 والصلاة - استنبوا  
 بصلاة الليل في مجاهدة  
 النفس وصاربة البدن

من فروض الأبيان على مادونه وتقدم ما يفتى على مالا يفتى وهذا كما يجب تقديم حاسة الولاية على حاسة الزوال إذ إن مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له : من أبر يا رسول الله . قال أمك ثم من قد أمك . قال ثم من قال أمك . قال ثم من قال أبك . قال ثم من . قال ذلك فأذا كان (١) فينبى أن يبدأ في الصلاة بالأقرب ، لأن استوفاها بالأقرب فإن استوفاها بالأقرب والأورع وكذلك من لا يني ما به بنفقة والوالدين والجمع فرعا يجب وهو مفروض بل ينبى أن يقدم حقهما على الحق وهذا من تقديم فرض أم على فرض هو دونه وكذلك إذا كان على البدن معاد ودخل وقت الجمعة لاجتماعه وتوالت الاشتغال بالوفاء بالوعد مصيبة وإن كان هو طاعة في نفسه ، وكذلك قد تصيب توبه التجاسة فيغلب القول على أبويه وأهل به سبب ذلك التجاسة محذورة وإبدائها محذور . والحد من الإبقاء أم من الحد من التجاسة . وأدلة تمايل المحذورات والطاعات لا تتسمر . ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مفروض ، وهذا غرور في غاية التعموش لأن للضرورة فيه في طاعة إلا أنه لا يغلظ لصيرورة الطاعة مصيبة حيث ترك بها طاعة واجبة هي أم منها ومن جعله الاشتغال بالذهب والحلاف من أفقه في حق من يقي عليه شغل من الطاعات والخاصة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه ، ففرقة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرئاسة والمجاهة وقهر الأقران والتقدم عليهم يسمى عليه حتى يشر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بهم دينه . الصنف الثالث للتصوفة وما أغلب الفرور عليهم وللتفرون منهم فرق كثيرة . فرقة منهم وهم متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزى والمهبة والنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زعيمهم وحيثهم وفي آفاقهم وفي آدابهم وصرامتهم واسطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والمصاهرة والمصالة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصمداء وفي خضن البهوت في الحديث إلى غير ذلك من التمايل والمهينات فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضا صوفية ولم يتبعوا أنفسهم قط في المهادنة والرياسة ومراقبة القلب وتطهير البطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يبدؤا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم هيئاتها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والقلس والمهبة وتجاهدون على التقير والتطهير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه . وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثل امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من اللاتالين يثبت أسلحتهم في الديوان ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة فتأقت شحبا إلى أن يقطع لها مملكة فلبست درعا وضمت على رأسها منغرا وقلمت من رجز الأبطال أياتا وتمودت لإيراد ذلك الأيات بضاعتهم حتى تبسرت عليها وتعلمت كيفية يستقرهم في الديان وكيف تحريكهم الأيدي وتلقفت جميع ثيابهم في الزى والنطق والحركات والسكنات ثم توجهت إلى المسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت إلى المسكر انشدت إلى ديوان العرض وأمر بأن يجرده عن المنظر والدرع وينظر ماعته وتمتنع بالمبارزة مع بعض الشجعان ليرف قدر عائنها في الشجاعة فلما جردت عن المنظر والدرع وأمر فأذا هي مجرزة ضيقة زمنة لا تطبق حمل الدرع والمنظر ؟ قيل لها أجبتي للاستنزاه بالملك والاستخفاف بأهل حضرة والتلبس عليهم

(١) حديث من أبر قال أمك الحديث الترمذي والمحاكم وصحبه من حديث زيد بن حكيم عن أبيه عن جده وقد تقدم في آداب الصبية .

وفي الجور وعليك شيام  
الليل فانه مرضا تترك  
وهو دأب الصالحين  
تلبسك ومناهة عن  
الاثم وملعاة الوزر  
ومذهب كيد الشيطان  
ومطرده لقدام عن  
الجسد . وقد كان  
جمع من الصالحين  
يقومون الليل كله  
حق قل ذلك عن  
أربعين من التابعين  
كانوا يسلمون القداة  
يوضون المشاء . منهم  
سعيد بن المسيب  
وفضيلة بن عياش .  
وهيب بن الورد .  
وأبو سليمان البرقي .  
وعلى بن بكر . وحبيب  
السبيعي . وكهس  
ابن المهدي . وأبو حازم  
ومحمد بن المنكدر .  
وأبو حنيفة رحمه الله



خذوها فأقروها قدم القيل لسخنها فألقت إلى اقبل فيكذبكون حاله للمعين المتصوف في القيامة إذا كشف عنهم النطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزى والرقع بل إلى سر القلوب. وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في التزود إذ شق عليها الانتداء بهم في بذلة الثياب والرمال والجلود فأرأيت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزین بزيم تركوا الحرير والإبريسم وطلبوا للرفات النفيسة والقنوط الرقيقة والسجادات الصبغة ولبسوا من الثياب وهو أرفع قيمة من الحرير والإبريسم وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوف بمجرد لون الثوب وكونه مرصفا ونسى أنهم إنما قوتوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا للرفات إذ كانت ثيابهم خرقا فكانوا يرتعونها ولا يلبيسون الجديد. فأما تقطيع القنوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة الرفات منها فن ابن يشبه ما اعتاده هؤلاء أظهر حماقة من كافة التزودين فاتهم يتعمون بغيبس الثياب ولديهم الألعمة ويطلبون رغد الدينى وبأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنهم غير شر هؤلاء مما يتعدى إلى الحلق إذ يهلك من يتعدى بهم ومن لا يتعدى بهم تصد عقيدته في أهل التصوف كافة ويظن أن جميع كانوا من جنسه فيطول اللسان في الصادقين منهم وكل ذلك من هؤم للتشبين وشرم. وفرقة أخرى: ادعت علم الحرفة ومشاهدة الحق ومجاورة للقنات والأحوال وللإقامة في عين التهود والوصول إلى القرب ولا يرفعه هذه الأمور إلا بالأسمى والأعلا لأنه تلقف من ألقاط الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أكل من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والقسرين والمحدثين وأصناف العلماء بين الأزدراء فضلا عن العوام، حتى إن الفلاح ليترك فلاحة والملك يترك حياكه ويلزمهم أياما ممدودة ويختلف منهم تلك الكلمات الزفة فردددها كأنه يتكلم عن الوحى وغيره عن سر الأسرار ويستعتر بذلك جميع الباد والعلاء، فيقول في الباد إنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء إنهم محبوسون ويدعى لنفسه أنه الواسل إلى الحق وأنه من التزوين، وهو عند الله من التجار للتائقين، وعند أرباب القلوب من الحق المجاهدين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يربح عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وخطفه. وفرقة أخرى: وقست على الأباطرة وبسط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن محلى فلم أصب شىء. وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يتر به من لم يحجب. وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال، ولا يلزم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والتعب من أصلها بل إنما كلفوا قلع مادتها بحيث يتقار كل واحد منها لحكم العقل والشرع. وبعضهم يقول الأعمال الجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى التسلوب وتلوينا الملة بحب الله وواصله إلى معرفة الله وإنما غرض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا كافة في الحضرة الربوبية فتحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا من رتبة الدوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدم عن طريق الله قوتهم فيها ويرفضون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ كانت تصدم كمن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يكون عليها وينوحون سنين متواليات وأصنافا من أهل الأباة من التشبين بالصوفية لا تصحى وكل ذلك بناء على غاليط وسواس يخدمهم الشيطان بما لا اعتداهم بالمجاهدة قبل إنكسار العلم ومن غير اعتداهم بشيخ متفنن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول.

تعالى وغيرهم عدم  
وسلم بأناسهم  
الشيخ أبو طالب الكي  
في كتابه قوت القلوب  
فمن هجر عن ذلك  
يستحب لقيام ثلثه أو  
ثلاثة. وأقل الاستحباب  
سدس القيل فلما أن  
ينام ثلث الليل الأول  
ويقوم نصفه وينام  
سدسه الآخر أو ينام  
النصف الأول ويقوم  
ثلاثة أو ينام السدس.  
روى أن داود عليه  
السلام قال يارب إني  
أحب أن أعبدك فأنى  
وقت أقوم فأوحى الله  
تعالى إليه: يا داود  
لا تهم أول الليل ولا  
آخره فانه من فهاؤه  
نام آخره ومن قام آخره  
نم أوله ولكن قم  
وسط الليل حتى

وفرقة أخرى : جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلعت الحلال واشتغلت بتفقد القاب وصار  
أحدهم يدعى للقائمات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه للقائمات  
وشروطها وعلاماتها وآلاتها ، ففهم من يدعى الوجد والحب لله تعالى وزعم أنه والله بالله ولعله قد  
تحيل في الله خيالات هي بدعة أو كثر فيدعى حب الله قبل معرفته ثم إنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره  
الله عز وجل وعن إظهار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياة من الخلق ولو خلا  
لما تركه حياة من الله تعالى وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب ويضمر ربما ميل إلى القناعة  
والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنتقل  
عن السلف والصحابة وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فأنفجوا أن التوكل الحاطرة بالروح وترك الزاد  
بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لآلئ الزاد وهذا بما يترك الزاد وهو متوكل على  
سبب من الأبواب والحق به وعاد من مقام من للقائمات للنجيات لإقوفه غرور وقد اغتر به قوم وقد  
ذكرنا مداخل الآفات في ربيع للنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها ، وفرقة أخرى : ضيق على  
خسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الحامس وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الحصة  
الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري  
السكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرض بآثار الأعمال دون طلب الحلال  
بل لا يرضى إلا بجمع جميع الطاعات والماضي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو  
مغرور . وفرقة أخرى : ادعوا حسن الخلق والتواضع والباحة قصدوا لحمة الصوفية فجمعوا قوما  
ونسكفوا بخدشهم وأخذوا ذلك شبكة للزينة وجمع المال وإعماضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة  
والتواضع وغرضهم الارتقاء وهم يظهرون أن غرضهم الافراق وغرضهم الاستقام وهم يظهرون أن  
غرضهم الخدمة والتبعية ثم إنهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثرت أباغهم ويشر  
بالخدمة اسمهم وبضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم وبضهم يأخذها لينفق في طريق الحج  
على الصوفية وزعم أن غرضه البر والاحاقق وبحث جميعهم الرياء والسمة وآية ذلك إجماع الجميع  
أوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وبطنا ورضاهم بأخذ الحرام والاحاقق منه ومثال من ينفق الحرام في  
طريق الحج لإرادة الخير كمن يصر مساجد الله فيطبخها بالذرة وزعم أن قصده المسارة . وفرقة  
أخرى : اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يسمعون فيها فأخذوا  
البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدشها علما وحرقة فيهم في جميع أحوالهم مشغولون بالنفس عن  
عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتهم فيقولون هذا في النفس عيب والنفقة من كونه عيا  
عيب والاحاقق إلى كونه عيب ويشتفون فيه بكلمات مسلسة تضع الأوقات في تلفيقها ومن  
جمل طول عمره في التفتيش عن عيوب وتحرر علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق  
الحج وآلاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يفيده . وفرقة أخرى : جاوزوا هذه التي تلوها وبدءوا سلك  
الطريق واتفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تمشوا من مبادئ المعرفة راححة تسبوا منها وفروا بها  
وأبجيتهم غرايتها فتشبت قلوبهم بالانفاس إليها والتفكر فيها وفي كيفية اقتناع بابها عليهم وأسنداده  
على غيرهم وكل ذلك غرور لأن هجاب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل أمجوبة وتقيدها  
صرت خطاه وحرم الوصول إلى التصديق وكان مثاله مثال من قصد ملكا فرأى على باب مبدأته نروضة  
فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر إليها ويتبجح حتى فاتته الوقت الذي  
يمكن فيه لقاء الملك . وفرقة أخرى : جاوزوا هؤلاء ولم يفتخوا إلى ما يمشي عليهم من الأنوار في

تخلوون وأخلو بك  
ولم يروا إلى حجابك  
ويكون القيام بين  
نومتين وإلا فيقال  
النفس من أول الليل  
ويقتل فإذا غلبه  
النوم ينام فإذا أتته  
يتوضأ فيسكون له  
قنوتان ونومتان  
ويسكون ذلك من  
أفضل ما يمشي ولا يمشي  
وعنده نوم يشغله عن  
الصلاة والتلاوة حتى  
يقول ما يقول ، وقد  
ورد « لا تكابدوا الليل »  
وقيل لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم إن ثلاثة  
صلى من الليل فإذا  
غلبها النوم تملكت  
عجل فهي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم من  
ذلك وقال « ليس  
أحدكم من الليل ما يسي

الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من المطايا الجزية ولم يرجعوا على القرع بها والالفت إلى جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فنزلوا وغلطوا فان الله تعالى سبعين حجبا من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل ، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ قال الله تعالى إنيباراهم عنه - فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي - وليس للنبي به هذه الأجسام القسئية فانه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدا والجهال يطعنون أن الكوكب ليس بآله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يفره الكوكب الذي لا يفر السوادية ، ولكن الراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين ولا يتصور الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بسنها أكبر من بسن وأضر الثيرات الكوكب فاستمر له لحظة وأعظمها الشمس وبينها رتبة القمر فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى - وكذلك رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - يصل إلى نور يد نور وتخيّل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل ثم كان يكشف له أن وراءه أمرا فيترقى إليه ويقول قد وصلت فيكشف له ماوراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بدمه هذا أكبر فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الموى في حضيض النفس والانعطاط عن دروة الكمال لا أحب الأظلمين - إلى وجهته وجهي لئلا يظن فطر السموات والأرض - وسالك هذه الطريق قد ينتر في الوقوف على بسن هذه الحجب وقد ينتر بالحجاب الأول وأول الحجب بين الله وبين المبدع هو أنه ذاته أيضا أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى : أعنى سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه يتسع لجملة العلم ومحيط به وتتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره إشراقا عظيما إذ يظهر فيه الوجود كله في ماهو عليه وهو في أول الأمر محبوب بمشكته هي كالمسألة فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما انفتحت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول أنا الحق فانه يرتفع ماوراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية لم يصل بعد إلى القمر فضلا عن الشمس فهو مفرور وهذا عمل الالتباس إذ التجلّي يلتبس بالتجلى فيك كالتبس لون ما يترامى في الرآة بالرآة فيظن أنه لون الرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل :

رقي الزجاج ودمت الحجر فقشاهما فقشاكل الأمر

فكأنما حجر ولا قشع وكأأنما قشع ولا حجر

وبهذه العين نظر التصاري إلى السبح فأروا إشراق نور الله قد تلاذكيه فخلطوا فيه كن يرى كوكبا في رآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في الرآة أو في الماء فيمد يده إلى الماء فيخذه وهو منور وأنواع القصور في طريق السواد إلى الله تعالى لتخصي في مجاهدات ولا تستقصي إلا بعد شرح جميع علوم المكشوفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسهم من غيره والذي لم يسلكه لا يتنفع بساعة بل ربما يتضرر به إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراج من القصور إلى عوفا بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه وربما يتجلى بهذه المختصر وخيال القاصر وجده للخرق ويصدق أيضا بما يحكى له من المكشفات التي أخبر عنها أولياء الله من عظم غرورهم بما أصروا مكذبا بما يسهمه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل . الصنف الرابع : أرباب الأموال والمقترنون منهم فرق

فإذا غلب النوم فليمن

وقال عليه السلام :

« لا تشادوا هذه الدين

فانه مئين فمن يشاهده

يغلبه ولا تنصن إلى

قمسك عبادة الله

ولا يلبق بالطالب ولا

ينفي له أن يطلع القبر

وهو نائم لأن يكون

قد سبق له في الليل

قيام طويل فيعذر في

ذلك بأنه إذا استيقظ

قبل الصبح ساعة مع

قيام قليل سبق في

الليل يكون أفضل

من قيام طويل ثم

النوم إلى بعد طلوع

الصبح فإذا استيقظ

قبل الصبح يصكر

الاستغفار والتسبيح

وتشم تلك الساعة وكما

يصل بالليل مجلس

قليل جدا بكل ركعتين

فرقة منهم : يخدمون على بناء للمسجد والمدارس والرباطات وانتظار وما يظهر للناس كافة ويكتبون  
أصنامهم بالأجر عليها ليحفظ ذكرهم ويقي جد لولت أكرم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المصفرة بذلك  
وقد اتفروا فيه من وجهين : أحدهما أنهم ينوونها من أموال اكتسبوها من الظل والتب والرشا  
والجهات المظفورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إغاثها وكان الواجب عليهم  
الاستئذان عن كسبها فاذن قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله وردها إلى  
ملاكها إما بأعيانها وإما يرد بدلها عند الميزان فإن هجزوا عن الثلاث كان الواجب ردها إلى الورقة فإن  
لم يبق المظالم وورث فالواجب صرفها إلى أم للمال وربما يكون الأثم التفرقة على السالكين وهم  
لا يملكون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فينبون الآية بالأجر وغرضهم من بنائها الرياء وطلب  
الثناء وحرصهم على بنائها لبقاء أصنامهم المكتوبة فيها لالبقاء الحير . والوجه الثاني أنهم يظنون بأنهم  
الإخلاص وقصد الخير في الإضاق على الآية ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على  
الوضع الذي أقيم عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب  
ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما اختار إلى ذلك . وفرقة أخرى : ربما اكتسبت المال  
من الحلال وأهتت على المساجد وهي أيضاً مضرورة من وجهين : أحدهما الرياء وطلب الثناء فانه ربما  
يكون في جواره أو بعده قراءه وصرف للمال إليهم أم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء للمساجد  
وزينتها وإنما يخف عليهم الصرف إلى المساجد ليعلموا ذلك بين الناس . والثاني أنه يصرف إلى  
زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومغشقة أسرارهم (١)  
والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المساكين ومحبطوهم بذلك ووبال  
ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يشتر به ويرى أنه من الحيرات وبعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى  
وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له ويمتثل لأمره وقد غوش قلوب  
عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا فيشتبهون مثل ذلك في موتهم  
ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى . فالخالك  
إن دينار : أن رجلاً من مسجد أوقف أحدها على الباب وقال لعلى لا يدخل بيت الله فكتبه المسكان عند  
الله صديقاً فكلما يبنى أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلوث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على  
المسجد لا أن يرى تلوث المسجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منة على الله تعالى ، وقال الخواريزمي  
للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه قال أمي أمي بحق أقول لك لا تتركه من هذا  
المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بدنوب أمه إن الله لا يبا بالعب والضعف ولا يقول لأهلها الجحيرة  
التي تعجبكم شيئاً وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة بها يحرم الله الأرض وما يغرب إذا  
كانت على غير ذلك . وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زخرتم مساجدكم وحليتم  
مصاحفكم فالعالم عليكم » وقال الحسن « إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه  
جبريل عليه السلام فقال له ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا زخرفة ولا تشعشع » فهو ردها من حيث

ويسبح ويستغفر  
ويصل على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فانه يجد بذلك ترويحاً  
وقوة على القيام وقد  
كان بعض الصالحين  
يقول على أول نومة فإن  
انتهت ثم عدت إلى  
نومة أخرى فلا أنام  
الله صبي . وحكى  
في بعض القراءه عن  
شيخه أنه كان يأمر  
الأصحاب بنومة واحدة  
بالليل وأكلة واحدة  
ليوم واحدة . وقد  
جاء في الخبر « فمن  
اليسل ولو قدر حلب  
هامة » وقيل يكون  
ذلك قدر أربع ركعات  
وقدر ركعتين . وقيل  
في تفسير قوله تعالى  
- ثقل الملك من تشاء  
وتنزع الملك من تشاء -

(١) حديث الترمذي عن زخرفة للمساجد وتزيينها بالنقوش البخاري من قول عمر بن الخطاب « كن  
الناس ولا تهم ولا تصفر (٢) حديث إذا زخرتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالعالم عليكم إن  
البارك في الزهد وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف موقوفاً على أبي الدرداء (٣) حديث  
الحسن مرسل ما أراد أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء  
ولا زخرفة ولا تشعشع له أجده .

إنه رأى للسكر واتسل عليه . و فرقة أخرى : يتفقون الأموال في الصدقات على القراء والساكنين ويطلبون به المافل الجامعة ومن القراء من عاده الشكر والإتشاء المعروف ويكرهون التصديق في السر ويرون إخفاء الفقير لما يأخذ منهم جناية عليهم وكفرنا وربما يحرسون على إخال اللال في الحنج فيجوبون مرة بعد أخرى وربما ركوا جبراتهم حيياا وذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يرون عليهم الضر ويضطلمهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدم بيده بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يؤاسيه ولا يؤصر التجار إن رجلا جاء بوعر بشر ابن الحرث وقال قد عرمت على الحنج فأمرني بشيء فقال له كم أعدمت للنفقة فقال ألني حرم قال بشر فأمرني بشيء تبني بحجك ترهده أو أشتاها إلى البيت أو ابتاعه مرضاة الله قال ابتاعه مرضاة الله قال فان أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في مزلتك وتتفق ألني حرم وتسكون على يقين من مرضاة الله تعالى أعمل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أئس مديون يقضى دينه وقهر يرمضهم وميل يرضى عياله ومروى يقيم بخره وإن قوى قلبك تطيبها واحدا فأفضل فإن إدخالك السرور على قلبك السلم وإفائة الألفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حبة بدسجة الإسلام ثم فأخرجها كأمرناك ولا تقل لنا مافي قلبك فقال بألأيا نصر سغري أقوى في قلبي فقبض بشر رحمه الله وأقبل عليه وقال له اللال إذا جمع من وسع النجارات واليهبات اقتضت النفس أن تحضى به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آتى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل التقيين . و فرقة أخرى : من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى حقنة كصيام النهار وقيام الليل وسهر القرآن وهم مغرورون لأن البخل للهالك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قسمة بإخراج اللال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومشاهاه منالمن دخل في ثوبه حبة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطلب السكينة ليسكن به الصفراء ومن قتله الحيلة متى يحتاج إلى السكينة ، وذلك قيل لبشر إن فلانا اتقى كثير الصوم والصلاة فقال للسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وإنما حال هذا إلهام الطعام للجماع والهاق على الساكن فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه لذيها ومنه للفقراء . و فرقة أخرى : غلبهم البخل فلا تسمح شروهم إلا بأداء الزكاة فقط ثم إهمهم خرجون من اللال الخبيث الردي الذي يرضون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخر في خدمة أو من لم يه في على الجملة غرض أو يسلمون ذلك إلى من يبتعه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة يقوم بهاجاته وكل ذلك مفسدت لينة ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن أنه مطيع له تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا أوفى من غرور أصحاب الأموال أيضا لا يعمى وإنما ذكرنا هذا القدر لتبيينه على أجناس القراء . و فرقة أخرى : من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغترؤا بجنور مجالس الله كره واعتقدوا أن ذلك ينهيم ويكفيهم وانغخوا ذلك عادة ويظنون أن لهم على مجرد صماع الوعد دون العمل ودون الاضابط أجرا وهم مغرورون لأن فضل مجلس الله كره لكونه مرغبا في الخير فان لم يسبح الرغبة فلا خوفه والرغبة محمودة لأنها تمت على العمل فان ضفت عن العمل على العمل فلا خير فيها وما يراد فقير فاذا قصر عن الأداء إلى ذلك التسرع فلا قيمة له وربما يفتخر بما يسمه من الواعد من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما تدخه رقة كربة النساء فيكون ولا عزم وما يسمع كلاما غوفا فلا يزيد على أن سفق بيديه ويقول بإسلام سلم أو نعوذ بالله أو سحان الله ويظن أنه قد أتى الخير كله وهو مغرور

هو قيام الليل ومن  
حرم قيام الليل كلا  
وتقوا في المزرعة  
أو تناولوا به قلة  
الاقتصاد بذلك  
أو اقترارا بماله فليك  
عليه فقد قطع عليه  
طريق كبير من الخير  
وقد يكون من أرباب  
الأحوال من يكون له  
إزاء إلى القرب ويجد  
من دعة القرب ما يفتقر  
عليه داعية الشوق  
ويرى أن القيام وتوقف  
في مقام الشوق وهذا  
ينط في وجهك به  
خلق من الدهسين  
والذي له ذلك ينشئ  
أن يسل أن استعرا  
هذه الحالة متعذر  
والإنسان متعرض  
للقصور والتخلف  
والشهة ولا حاجة لجل

وإنما مثاله مثال الرنين الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري أو الجامع الذي يحضر عنده من  
يصف له الأظمة الذبذبة الشبهة ثم يصرف وذلك لا يفتي عنه من مرضه وجو عذبات كذلك صانع  
وصف الطاعات دون العمل بها لا يفتي من الله شيئا وكل وعظ يشير منك تشبيرا أشير أفعالا حتى قبل  
على الله تعالى إقبالا قويا أو ضعيفا وتعرض عن الدنيا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته  
وسيلة لك كنت مغرورا . فإن قلت لما ذكره من مداخل التورور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن  
الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس إذا قوى أحد من البشر على الجلود من ضحايا هذه الآفات . فأقول  
الإنسان إذا قرت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق وإذا أصبح منه الهوى  
اعتدى إلى الحيل واستبط بديق النظر خفايا الطرق في الوصول إلى التورور حتى إن الإنسان إذا  
أراد أن يستزل الطير الخلق في جو السماء مع بعده منه استزله وإذا أراد أن يخرج الحيوان من أعماق  
البحار استخرجه وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو النفضة من تحت الجبال استخرجه وإذا أراد أن  
يقتنص الوحوش للطفلة في البراري والصحارى اقتنصها وإذا أراد أن يستخرج السباع والطيور عظيم  
الحيوانات استخرجها وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ورجب بها أخذها واستخرج الدواقي  
من أجوافها وإذا أراد أن يستخذ المدياح اللون للفضى من ورق الثوب أجعله وإذا أراد أن يرف  
مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بديق الهندسة ذلك وهو مستغر على الأرض وكل ذلك  
بإستبط الحيل وإعداد الآلات فخير القرس لركوب الكلب صيدوسخر البازي لاقتناص الطيور  
وهي الشبكة لأصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الأدب كل ذلك لأنهم أرادوا بذلك  
سعين له على دنياه فلو أنهم أمر آخره فليس عليه إلا غفل واحد وهو توريه قلبه فحين من توريه قلبه  
وتخاذل وقال هذا حال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك مجال لأصبح ومعهذا العلم الواحد بل هو  
كما يقال لو صم منك الهوى أرشدت الحيل . فهذا شيء لا يجوز عنه السالف السالون ومن اتبعهم  
باحسان فلا يجوز عنه أيضا من صدقت إرادته وقوت همته بل لا يحتاج إلى عشر ثوب الخلق في  
استبطاء حيل الدنيا ونظم أساليبها . فإن قلت قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثر في ذكر مداخل  
التورور فم يشعو البعد من التورور . فأعلم أنه ينبو منه ثلاثة أمور : الأول العلم والعلم والبرق فلهذه ثلاثة أمور  
لا بد منها . أما العقل فأعني به القطرة القرزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء  
فقطنة والكيس فطرة الحق والبالدة فطرة والبلد لا يقدر على التحفظ عن التورور لصفاء العقل  
وذكاء الفهم لا بد منه في أصل القطرة فهذا إن لم يضر عليه الإنسان فاكسما به غير ممكن . ثم إذا حصل  
أصله أمكن ترويه بالممارسة أساس السمات كلها العقل والسياسة قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم « تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده أشتاتا <sup>(١)</sup> » إن الرجلين ليستوي عملهما ويرى ما وصومهما  
وصلتهما ولكنهما يفاضلان في العقل كاللدة في جنب أحد ومقامه الله خلقه معظما أفضل من العقل  
والبلين . وعن أبي هريرة أنه قيل « يا رسول الله أرايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويرجع  
وجعمر ويصدق وغزو في سبيل الله ويحود للربن ويشيع الجنائز ويصين الضيف ولا يطم  
منزله عند الله يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما يجزي على قدر عته <sup>(٢)</sup> » وقال

من حال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وما استغنى عن قيام  
الليل وقام حتى تورمت  
قدماه وقد يقول بسن  
من يحتاج في ذلك إن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فعل ذلك صريحا  
فقول ما لنا لا تتبع  
تسريته وهذه دقيقة  
تعلم أن رؤية القضية  
في ترك القيام وإدعاء  
الأجود إلى جنب القرب  
واستواء النوم واليقظة  
احتلاء وإتلاء حالي  
وهو تجسيد بالحال  
وتحكم للحال وتحكم  
من الحال في البعد  
والأنفواء لا يتحكم فيه  
الحال ويرسون الحال  
في صور الأعمال فهم  
متصرفون في الحال  
لا العمل متصرفينهم

(١) حديث تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده الحديث الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية  
طاوس مرسلا وفي أوله قصص لإسناده ضعيف ورواه بنحو من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضا (٢) حديث  
أبي هريرة أنه رأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل الحديث وفيه إنما يجزي على قدر عته الخاطب  
في التاريخ وفي أحمد من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أر من حديث أبي هريرة.

أنس وأتى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف عتقه؟ قالوا يا رسول الله تحول من عبادته وفدته وخلفه فقال كيف عتقه؟ قال الحق صيب بحمة أعظم من بطور القاجر وإجماع يقرّب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم<sup>(١)</sup> وقال أبو الدرداء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عتقه فإذا قالوا أحسن قال أرجو موافقاً قالوا غير ذلك قال لن يبلغ<sup>(٢)</sup> وذكره في شدة عبادة رجل فقال كيف عتقه قالوا ليس بشيء قال لن يبلغ صاحبك حيث تظنون فإذا كاه صحيح وغرزة النخل نعمة من الله تعالى في أصل القطرة فإن قامت صلاة وحماة فلا تدارك لها . الثاني : للفرقة وأعيان الفرقة أن يعرف أربابها أمور يعرف خصم يعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والدليل وبكونه غريباً في هذا العالم أو جنباً من هذه الشهوات البهيمية وإنما اللواقح في طبعها هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه قطعاً لا يتصور أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه فليست على هذا بما ذكرناه في كتاب الحبة وفي كتاب شرح همم القلب وكتاب الشكر وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله وبحصل به التنبه على الحيلة وكلال الفرقة ورأيه فإن هذا من علوم الكاشفة ولم نكتب في هذا الكتاب إلا إلى علوم العامة وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما ذكرنا في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذكر اللوث ليعين له أن لاسبية للدنيا إلى الآخرة فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ناز من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة هدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة فيها ويصيرهم أمورهم ما يوصلهم إلى الله تعالى ويشغى في الآخرة وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأول وكلها فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندمع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والتزوع إلى الدنيا والآخرة والدليل فإن ذلك هو الفساد للنية ومادامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهو نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه التخلص من القصور فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفة الله وبغضه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى اللين الثالث وهو العلم أعنى العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله والتمسك بما يقرب به من الله وما يبعده عنه والتمسك بأمانات الطريق وحقائقه وغوايته وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين فيعرف من ربيع البادات شروطها وقراءتها وأغاتها فيشبعها ومن ربيع المعاديات أسرار المايش وما هو مضطر إليه فيأخذ بأدب التفرغ وعلوه مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربيع الهلكت يعلم جميع الثقات اللازمة في طريق الله فإن للنافع من الله الصفات للتمسك في الخلق فيعلم للعلوم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربيع النجيات الصفات المحمودة التي لا بد أن توضع خلفها من العلوم بعد محوها فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الخروج من الأنواع التي أشرنا إليها من القصور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تخفى به الإرادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها . فإن قلت فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه . فأقول يخاف عليه أن يخدمه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ويقرر لهم ودعوة الناس إلى معرفة من دنا الله فإن للربيد الخلق إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه ورأى القلب حق صفاته من جميع الكدر استواستوى على الصراط السقيم وصنرت الدنيا في عينه قتركا وانقطع طمعه عن الخلق فلم يثبت اليه ولم يبق إلا الله

(١) حديث أنس أتى على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف عتقه الحديث داود بن الجبر في كتاب النخل وهو ضيف وتقدم في العلم (٢) حديث أبي الدرداء كان إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عتقه الحديث الترمذي الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب ووضعه.

قليل ذلك فلما رأينا  
من الأصحاب من كان  
في ذلك ثم انكشف لنا  
بأيده الله تعالى أن  
ذلك وقوف وقصور .  
قبل الحسن يا أبا سعيد  
إن أبيت ما لي وأحب  
قيام الليل وأعسى  
طهورى لما لا يأتون  
قال ذنوبك قيدتك  
فليخدر البعد في نهاره  
ذنوباً تخفيه في ليله  
وقال النووي رحمه  
الله حرمت قيام الليل  
سبعة أشهر بذنب  
أذنبته قيل له ما كان  
الذنوب قال رأيت رجلاً  
بكاء قلت في نفسي  
هذا امرء . وقال  
بهم : دخلت على  
كرز بن ربيعة وهو  
يسكن قتلته بالكشاف  
نمى بعض أهله فقال

واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقاءه وقد يحزن الشيطان عن إغوائه إتيانته من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطعمه نياتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة في دينهم والنصح لهم والهداية إلى الله فينظر العبد رحمة إلى العبد فيراهم حيارى في أسرم سكرى في دينهم صاعياً قد استولى عليهم اللرض وهم لا يشعرون وقد دأب الطيب وأشر فاعطى الصطب قلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة للرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كمثل رجل كان بهداً عظيم لا يطاق له وقد كان لذلك يسهر له ويقلق نهاره ولا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضمران الألم فوجد له دواء غفوا صفوا من غير عمن ولا تعب ولا مرارة في تناولها فاستعمله فبرى وصح فطلب نومه بالليل بعد طول سهره وهذا التلذذ بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر وأصاب لغة العافية بعد طول السقام ثم انظر إلى عدد كثير من السليين وإذ هم تلك العلة ببنائها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارضع إلى السباء أنينهم فتذكر أن دواؤهم هو الذي يرفعهم فوجد على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرق زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فحشة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وعفى من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرهت قلوبهم وأصلح دأؤهم وقرب هلاكهم وإشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فأنبت من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصيحهم وحرمة الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة فها اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعا إلى الرخصة دعاء خفياً أخفى من ديب الخلق لا يشعر به ليدفع رذل ذلك الديب في قلبه حتى دماه إلى التصنع والتزين الخلق بتحسين الألفاظ والنفحات والحركات والتصنع في الأقوال والجملة فأقبل الناس إليه يظلمونه ويحبونهم ويوقرونه وتوقيراً يزيد على توقير الملوك إذ رآوه شافياً لأدوائهم يحسن الشفقة والرحمة من غير طمع ضاراً بأبائهم من آباءهم وأمهاتهم وأزواجهم فأثروا بأدبائهم وأهلهم وصاروا له خولاً كالعبد والحشم يخدمونه وقد موه في المعامل وحكموه في الملوك والسلطان فيند ذلك انتشر الطبع وانتاحت النفس وذاقت لغة ما لها من لغة صاغت من الدنيا شهوة يستقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم قدرتها فند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللغة وأمانة انتشار الطبع وروكون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب فإذا نكر على نفسه ما وجد من الغضب يادر الشيطان غليل إليه أن ذلك غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتناء الربدين فيه اضطربوا عن طريق الله فوقع في الضرور فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في التنية المحظورة بعد تركه الحلال للتعس ووقع في الكبر الذي هو نمرد عن قبول الحق والشكر عليه ببدان كان يحزن من طوارق المحطرات وكذلك إذا سبقه الضحك أوقر عن بعض الأمور إذ جزع النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فأنجب ذلك بالابتغفار وتقصي الصدء وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان غليل إليه إنك إنما تفضل ذلك كيلا يتر أبهم عن طريق الله فيكون الطريق يتركوا بما ذلك خدعوا وغرور بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقراته بل ربما يحب ذلك ويستشربه ولو ظهر من أقراته من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه حتى ولو لا أن النفس قد استبشرت واستقلت الرياسة لكان يهشم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقصوا إلى بر ونضلى رأس البئر بهجر كبير فجزوا عن الرقى من البئر بسية فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه لجامه من أماته على ذلك حتى تيسر عليه أو كفاه ذلك ونماه بنفسه فيعظم بذلك فرحه للاحالة

أشد قلت وجمع هؤلاء  
قال أشد قلت وما ذلك  
قال باب منافي وسرى  
مسبل ولم اقرأ حزبي  
البارحة وماذا إلا  
بذنب أحدثه . وقال  
بضمهم : الاحتلام  
عقوبة وهذا صحيح  
لأن الراعي للتحفظ  
بحسن تحفظه وعلمه  
بحاله يقدر ويستحسن  
من سد باب الاحتلام  
ولا يتطرق الاحتلام  
إلا على جاهل بحاله أو  
مجهل حكمه وقته وأدب  
حاله ومن كل تحفظه  
ورعايته وقيامه بأدب  
حاله قد يكون من ذنبه  
للموجب للاحتلام ووضع  
الرأس على الوسادة إذا  
كان ذا عزيمة في ترك  
الوسادة وقد يشبهه النوم  
وضع الرأس على



إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه للسليبي من النار فإذا ظهر من أماته أو كفاه ذلك لم يتقل عليه أرايت لو احدثوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أن يتقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا احدثوا بغيره فلم يتقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه مداه الشيطان إلى جميع كباثر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه خصوه بالله من زين القلوب بعد الهدى ومن أعوجاج النفس بعد الاستواء . فإن قلت فحق يسع له أن يشتغل بنسج الناس . فأقول إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من بينه أو لو احدثوا بأفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثباتهم وعن أموالهم فاستوى عنده حدمهم وقدمهم فلم يبال بدمهم إذا كان الله عيمده ولم يفرح بعمدهم إذا لم يقرن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث إنه لا يتكبر عليهم ويرى كلمهم خيرا منه لجهله بالحاجة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب للزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تركه البهائم فلا يترن لها ولا يصنع بل راعى الحاجة إما غرضه رعاية للشائبة ودفع اللذات عنها دون نظر الشائبة إليه فلم يراى سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم ، ثم ربما يصلحهم ولكن بقصد نفسه باصلاحهم فيكون كالسراج ينشئ غيره ويحترق في نفسه . فإن قلت قلوا ترك الوطاط الوعظ لا عند نيل هذه الدرجة خلعت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب . فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » (١) ولو لم يجب الناس الدنيا لمخلت العالم وبطلت المايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكا لا يترغ الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تحرب الدنيا بتركهم فلم يترك التصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن يترك نفسه بالشهوات للهلكة التي سلطها الله على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله تعالى - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - فكذلك لا تزال ألسنة الوطاط مطلقة لحب الرياسة ولا يدعونها بقول من يقول إن الوطاط لحب الرياسة حرام كما لا يمنع الخلق الضرب والثرنا والسرقة والراء والظلم وسائر الناس يقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فأنظر نفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد أو أشخاص - ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضا لفسدت الأرض - وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلق لهم فائما غشى أن يفسد طريق الإعطاء فأما أن تحرس ألسنة الوطاط ووراءهم باعث الرياسة وحسب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا . فإن قلت فإن علم الريد هذه الكيفية من الشيطان فاشغل بنفسه وترك التصح أو تسع وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي يقي بين يديه من الأخطار وجبال الاستقرار . فأعلم أنه يقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أجهزني وأقلت مني بذلك وكال عقلك وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت

(١) حديث حب الدنيا رأس كل خطيئة البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا وقد فهم في كتابه ثم الله نيا .

تم الجزء الثالث من تخرىج احاديث الإحياء للحافظ العراقي  
وبليه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة

الوسادة بحسن النية  
من لا يكون ذلك ذنبه  
وله فيه نية لقوم على  
القيام وقد يكون ذلك  
ذنباً بالنسبة إلى بعض  
الناس فإذا كان هذا  
القدر يصلح أن يكون  
ذنباً جالباً للاحتلام  
نفس على هذا ذنوب  
الأحوال قائما بخص  
بأربابها وبسرفها  
أصحابها وقد يرتضى  
بأنواع الرقى من  
القسراض الوطية  
والوسادة ولا يتأقب  
بالاحتلام وغيره على  
فه إذا كان طامداً نية  
يعرف مدخل الأمور  
وعارها وكما من  
تألم بسبق القيام لو فر  
عنه وحسن نيته وفي  
الحبر « إذا نام المبد

عليك لما أصبرك وما أعظم عند الله قدرك وعملك إذ قواك على تهري ومكنتك من التفتن لجلب  
مدخل غروري فيمنى إليه وسدقه ويجب بنفسه في فراره من التروور كله ليكون إجماعه بنفسه  
غاية التروور وهو للهالك الأكبر فالسبب أعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان وابن آدم إذا ظننت  
أنتك بذلك خلست مني فبهلك قد وقعت في حبالى . فان قلت فهو لم يجب بنفسه إذ علم أن ذلك  
من الله تعالى لآمنه وإن منه لا يتقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونه ومن عرف صنف  
نفسه وهجره عن أقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله  
تعالى لما ألقى يخاف عليه بعد نفى السبب ، فأقول : يخاف عليه التروور بفضل الله والثقة بكرمه  
والأمن من مكره حتى يظن أنه يثق على هذه الويرة حتى يستقبل ولا يخاف من التفتن والاضلال فيكون  
حاله الانكسار على فضل الله قسط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن آمن مكر الله فهو خاسر  
جدا بل سيئه أن يكون مشاهدا حجة ذلك من فضل الله ثم خافها على نفسه أن يكون قد مدت  
عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفتت إلى عز وهو فاقل منه ويكون  
خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا خائف من خطر الحاتمة وهذا خطر  
لا يحصى عنه وخوف لا يجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء  
في قت الزرع وكان قد بقى له قس قال أفلت مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل : الناس كلهم هلكت  
إلا الصالحون والصالحون كلهم هلكت إلا الصالحون والصالحون كلهم هلكت إلا الصالحون والصالحون  
على خطر عظيم فاذن التروور هالك والمخلص القادر من التروور على خطر فذلك لا يخافه الخوف  
والجلد قلوب أولياء الله أيها .

فتسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الحاتمة ، فان الأمور بخواتمها .

تم كتاب ذم التروور وبه تم ربيع الهلاكت ، ويتأوه في أول ربيع النجيات كتاب التوبة  
والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة  
إلا بالله العلى العظيم .

تم الجزء الثالث من إحياء علوم الدين  
وبه الجزء الرابع ، وأوله : كتاب التوبة .

عقد الشيطان على رأسه  
ثلاث عقد فان قد  
وذكر الله تعالى أعلت  
عقدة وإن توشأ أعلت  
عقدة أخرى وإن صلى  
ركعتين أعلت العقد  
كلها فأصبح نفيضا  
طيب النفس ولا  
أصبح كسلان خبيث  
النفس ، وفي خبر آخر  
« إن من نام حتى أصبح  
بال شيطان في أذنه »  
والذى يخل بتيام الليل  
كثرة الاهتمام بأمور  
الدنيا وكثرة أعمال  
الدنيا وإتساب الجوارح  
والامتلاء من الطعام  
وكثرة الحديث والفتور  
والفتور وإعمال التوبة  
والوقوف من ينتمونه  
ويعرف داه ودوامه  
ولا يهمل فيهم .

صفحة	صفحة
٥١	٢ (كتاب شرح عجائب القلب)
٥٤	وهو الكتاب الأول من ربيع للهالكات
الرياضة	٣
٥٦	٣ يان معنى النفس والروح والقلب والقل
على الجلة	ويما هو للراد بهنه الأسامي
٥٩	٥ يان جنود القلب
٦١	٦ يان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة
عودها إلى الصحة	٧ يان خاصة قلب الانسان
٦٢	١٠ يان مجامع أوصاف القلب وأمثته
عيوب قسه	١٢ يان مثل القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة
٦٣	١٥ يان حال القلب بالاضافة إلى أسماء العلوم
٦٤	القلية والدينية والدينية والأخرية
٦٥	١٧ يان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين
٦٦	طريق السوفية في استكشاف الحق
٦٧	وطريق النظار
٦٨	١٩ يان الفرق بين القاديين بنال محسوس
٦٩	٢٢ يان شواهد التصرع على صحة طريق أهل
٧٠	الصوف في اكتساب المعرفة لامن التعلم
٧١	ولامن الطريق للثاد
٧٢	٢٥ يان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس
٧٣	ومعنى الوسوسة وحجب غلبتها
٧٤	٣٠ يان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب
٧٥	٣٩ يان ما يؤخذ به البعد من وسواس القلوب
٧٦	ومهما وخواطرها وقصودها وما ينبغي حنه
٧٧	ولا يؤخذ به
٧٨	٤٢ يان أن الوسواس هل يتصور أن يتقطع
٧٩	بالكلية عند ذكر أم لا
٨٠	٤٤ يان سرعة قلب القلب وانقسام القلوب
٨١	في التغير والتبات
٨٢	٤٧ (كتاب رياضة النفس وتهذيب)
٨٣	الأخلاق ومعالجة أمراض القلب
٨٤	وهو الكتاب الثاني من ربيع للهالكات
٨٥	٤٨ يان فضيلة حسن الخلق وملمسوء الخلق
٨٦	
٨٧	
٨٨	
٨٩	
٩٠	
٩١	
٩٢	
٩٣	
٩٤	
٩٥	
٩٦	
٩٧	
٩٨	
٩٩	
١٠٠	
١٠١	
١٠٢	
١٠٣	
١٠٤	
١٠٥	
١٠٦	
١٠٧	
١٠٨	
١٠٩	
١١٠	
١١١	
١١٢	
١١٣	
١١٤	
١١٥	
١١٦	
١١٧	
١١٨	
١١٩	
١٢٠	
١٢١	
١٢٢	
١٢٣	
١٢٤	
١٢٥	
١٢٦	
١٢٧	
١٢٨	
١٢٩	
١٣٠	
١٣١	
١٣٢	
١٣٣	
١٣٤	
١٣٥	
١٣٦	
١٣٧	
١٣٨	
١٣٩	
١٤٠	
١٤١	
١٤٢	
١٤٣	
١٤٤	
١٤٥	
١٤٦	
١٤٧	
١٤٨	
١٤٩	
١٥٠	
١٥١	
١٥٢	
١٥٣	
١٥٤	
١٥٥	
١٥٦	
١٥٧	
١٥٨	
١٥٩	
١٦٠	
١٦١	
١٦٢	
١٦٣	
١٦٤	
١٦٥	
١٦٦	
١٦٧	
١٦٨	
١٦٩	
١٧٠	
١٧١	
١٧٢	
١٧٣	
١٧٤	
١٧٥	
١٧٦	
١٧٧	
١٧٨	
١٧٩	
١٨٠	
١٨١	
١٨٢	
١٨٣	
١٨٤	
١٨٥	
١٨٦	
١٨٧	
١٨٨	
١٨٩	
١٩٠	
١٩١	
١٩٢	
١٩٣	
١٩٤	
١٩٥	
١٩٦	
١٩٧	
١٩٨	
١٩٩	
٢٠٠	

صفحة	مفحة
١٥٤	آلة السابعة عشرة كلام ذي الساتين
١٥٦	آلة الثامنة عشرة للدح
١٥٧	يان ماطى للمدوح
١٥٨	آلة التاسعة عشرة الفقة عن دلائق
	الحظا في طوى الكلام
١٥٩	آلة العشرون سؤال العوام عن صفات
	الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف الخ
١٦٠	(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد)
	وهو الكتاب الخامس من ربيع للهلكات
١٦١	يان ذم الغضب
١٦٣	يان حقيقة الغضب
١٦٥	يان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله
	بالرياضة أم لا
٢٦٨	يان الأسباب للبدعة للغضب
١٦٩	يان علاج الغضب بعد هيجانه
١٧١	يان فضيلة كظم الغيظ
١٧٢	يان فضيلة الحلم
١٧٥	يان القدر الذى يجوز الانتصار والتشفي
	به من الكلام
١٧٧	القول فى معنى الحقد وتأنجه وفضيلة
	الغفو والرفق
١٧٧	فضيلة الغفو والاحسان
١٨١	فضيلة الرفق
١٨٣	القول فى ذم الحسد وفى حقيقة وأسبابه
	ومعالجته وغاية الواجب فى إزالته
	يان ذم الحسد
١٨٥	يان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراجه
١٨٨	يان أميأب الحسد وللنافة
١٩٠	يان السبب فى كثرة الحسد بين الأمثال
	والأقربان والإخوة وبين المم والأقارب
	وتأكده وقتله فى غيرهم وضغفه
١٩٢	يان السواء الذى ينقى مرض الحسد من
	القلب
١٠٤	(كتاب آفات اللسان)
	وهو الكتاب الرابع من ربيع للهلكات
١٠٥	يان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت
١٠٨	آلة الأولى من آفات اللسان الكلام
	فيا لا يحنك
١١١	آلة الثانية فضول الكلام
١١٢	آلة الثالثة الخوض فى الباطل
١١٣	آلة الرابعة للراء والجلدال
١١٥	آلة الخامسة المحسومة
١١٦	آلة السادسة الضمر فى الكلام بالتشدق
	وككلف السجع والتصاحبة الخ
١١٧	آلة السابعة التلعن والسب وبذاءة
	اللسان
١١٩	آلة الثامنة اللعن
١٢٣	آلة التاسعة التناء والشعر
١٢٤	آلة العاشرة للزاح
١٢٨	آلة الحادية عشرة السخرية والاستهزاء
	آلة الثانية عشرة إقصاء السر
١٢٩	آلة الثالثة عشرة الوعد الكاذب
١٣٠	آلة الرابعة عشرة الكذب فى القول
	واليمين
١٣٤	يان مارخص فيه من الكذب
١٣٦	يان الحذر من الكذب بالمعاريض
١٣٨	آلة الخامسة عشرة التنية
١٤٠	يان معنى التنية وحدودها
١٤٢	يان أن التنية لا تقتصر على اللسان
١٤٣	يان الأسباب الباطنة على التنية
١٤٥	يان العلاج الذى به يمنع اللسان من التنية
١٤٧	يان تحريم التنية بالقلب
١٤٨	يان الأعداء للرخصة فى التنية
١٥٠	يان كفارة التنية
١٥١	آلة السادسة عشرة التهمة
١٥٢	يان حد التهمة وما يجب فى ردها

صفحة	صفحة
١٩٥	١٩٥
القلب	القلب
(كتاب ذم الدنيا)	(كتاب ذم الدنيا)
وهو الكتاب السادس من ربع	وهو الكتاب السادس من ربع
للهلكات	للهلكات
١٩٧	١٩٧
بيان ذم الدنيا	بيان ذم الدنيا
٢٠٦	٢٠٦
بيان للواعظ في ذم الدنيا وصفها	بيان للواعظ في ذم الدنيا وصفها
٢٠٩	٢٠٩
بيان صفة الدنيا بالأمثلة	بيان صفة الدنيا بالأمثلة
٢١٤	٢١٤
بيان حقيقة الدنيا وماهيها في حق البعد	بيان حقيقة الدنيا وماهيها في حق البعد
٢١٩	٢١٩
بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشتغالها	بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشتغالها
التي استخرقت هم الخلق حتى أنتم	التي استخرقت هم الخلق حتى أنتم
أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومؤردهم	أنفسهم وخالقهم ومصدرهم ومؤردهم
(كتاب ذم البخل وذم حب المال)	(كتاب ذم البخل وذم حب المال)
وهو الكتاب السابع من ربع	وهو الكتاب السابع من ربع
للهلكات	للهلكات
٢٢٦	٢٢٦
بيان ذم المال وكراهة حبه	بيان ذم المال وكراهة حبه
٢٢٨	٢٢٨
بيان مدح للمال والجمع بينه وبين اللذم	بيان مدح للمال والجمع بينه وبين اللذم
٢٣٠	٢٣٠
بيان تفصيل آفات المال وفوائده	بيان تفصيل آفات المال وفوائده
٢٣٢	٢٣٢
بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة	بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة
والأيسر مما في أيدي الناس	والأيسر مما في أيدي الناس
٢٣٥	٢٣٥
بيان صلاح الحرص والطمع والبوار	بيان صلاح الحرص والطمع والبوار
الذي يكسب به صفة القناعة	الذي يكسب به صفة القناعة
٢٣٧	٢٣٧
بيان فضيلة السخاء	بيان فضيلة السخاء
٢٤٢	٢٤٢
حكايات الأسخياء	حكايات الأسخياء
٢٤٧	٢٤٧
بيان ذم البخل	بيان ذم البخل
٢٥٠	٢٥٠
حكايات البخله	حكايات البخله
٢٥١	٢٥١
بيان الإيثار وفنائه	بيان الإيثار وفنائه
٢٥٣	٢٥٣
بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما	بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
٢٥٥	٢٥٥
بيان علاج البخل	بيان علاج البخل
٢٥٧	٢٥٧
بيان مجموع الوظائف التي على العبد	بيان مجموع الوظائف التي على العبد
في ماله	في ماله
٢٥٨	٢٥٨
بيان ذم التقي ومدح التفر	بيان ذم التقي ومدح التفر
٢٦٨	٢٦٨
(كتاب ذم الجاه والرياء)	(كتاب ذم الجاه والرياء)
وهو الكتاب الثامن من ربع	وهو الكتاب الثامن من ربع
للهلكات وقبه شطران	للهلكات وقبه شطران
٢٦٩	٢٦٩
الشرط الأول في حب الجاه والشهرة	الشرط الأول في حب الجاه والشهرة
وقبه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة	وقبه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة
الجحول الخ	الجحول الخ
٢٧٠	٢٧٠
بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت	بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت
٢٧١	٢٧١
بيان فضيلة الجحول	بيان فضيلة الجحول
٢٧٢	٢٧٢
بيان ذم حب الجاه	بيان ذم حب الجاه
٢٧٣	٢٧٣
بيان معنى الجاه وحقيقته	بيان معنى الجاه وحقيقته
٢٧٤	٢٧٤
بيان سبب كون الجاه محبوا للطبع	بيان سبب كون الجاه محبوا للطبع
حتى لا يخلو عنه قلب إلا يشهد بالجهالة	حتى لا يخلو عنه قلب إلا يشهد بالجهالة
٢٧٦	٢٧٦
بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي	بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي
الذي لا حقيقة له	الذي لا حقيقة له
٢٧٨	٢٧٨
بيان ما محمد من حب الجاه وما يلم	بيان ما محمد من حب الجاه وما يلم
٢٧٩	٢٧٩
بيان السبب في حب اللذم والتناء	بيان السبب في حب اللذم والتناء
وترويح النفس به وميل الطبع إليه	وترويح النفس به وميل الطبع إليه
٢٨٠	٢٨٠
وفضها للذم وشرتها منه	وفضها للذم وشرتها منه
٢٨١	٢٨١
بيان علاج حب الجاه	بيان علاج حب الجاه
٢٨٢	٢٨٢
بيان وجه العلاج لحب اللذم وكراهة الذم	بيان وجه العلاج لحب اللذم وكراهة الذم
٢٨٣	٢٨٣
بيان علاج كراهة الذم	بيان علاج كراهة الذم
٢٨٤	٢٨٤
بيان اختلاف أحوال الناس في اللذم والذم	بيان اختلاف أحوال الناس في اللذم والذم
٢٨٥	٢٨٥
الشرط الثاني من الكتاب في طلب الجاه	الشرط الثاني من الكتاب في طلب الجاه
والسزلة بالبيانات وهو الرياء وقبه	والسزلة بالبيانات وهو الرياء وقبه
٢٨٦	٢٨٦
بيان ذم الرياء	بيان ذم الرياء
٢٨٧	٢٨٧
بيان حقيقة الرياء وما يراى به	بيان حقيقة الرياء وما يراى به
٢٨٨	٢٨٨
بيان درجات الرياء	بيان درجات الرياء
٢٨٩	٢٨٩
بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من	بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من
دبيب الخمل	دبيب الخمل
٢٩٠	٢٩٠
بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي	بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي
والجلى ، وما لا يحبط	والجلى ، وما لا يحبط
٢٩١	٢٩١
بيان دواء الرياء وطريق معالجته للقلب فيه	بيان دواء الرياء وطريق معالجته للقلب فيه

صفحة	مقدمة
٣٤٤	٣٠٨
٣٤٨	٣١١
٣٥٨	٣١٣
٣٥٩	٣٢٠
٣٦٠	٣٢٣
٣٦٣	٣٢٦
٣٦٧	٣٢٧
٣٦٨	٣٢٩
٣٧١	٣٣٠
٣٨٩	٣٣٤
٣٩٢	٣٣٦
٣٩٥	٣٣٨
	٣٤٣

[ نعت ]

فهرس

بقية عوارف للمارف لسروردي لثى بالماس

صفحة	صفحة
٢٤٧ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن آتبه	٢ الباب الثلاثون في تحصيل أخلاق الصوفية
٢٥٤ الباب الأربعون في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار	١١٠ الباب الحادى والثلاثون في ذكر الأدب ومكانه من التصوف
٢٦٥ الباب الحادى والأربعون في آداب الصوم ومهامه	١٧٣ الباب الثانى والثلاثون في آداب الحضرة الالهية لأهل القرب
٢٧٨ الباب الثانى والأربعون في ذكر الطعام ومافيه من الصلحة والفسدة	١٣٩ الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها
٢٩٥ الباب الثالث والأربعون في آداب الأكل	١٥١ الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء وأسواره
٣١٥ الباب الرابع والأربعون في ذكر أدبهم في اللباس ونياتهم ومقاصد فيه	١٦١ سنن الوضوء ثلاثة عشر
٣٤٠ الباب الخامس والأربعون في ذكر فضل قيام الليل	١٦٢ الباب الخامس والثلاثون في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء
٣٥٣ الباب السادس في ذكر الأسباب للعبث على قيام الليل وأدب النوم	١٧٣ الباب السادس والثلاثون في فضيلة الصلاة وكبرياتها
٣٧٠ الباب السابع في أدب الاتباه من النوم والسمل بالليل	١٨٩ الباب السابع والثلاثون في وصف صلاة أهل القرب
٣٩١ الباب الثامن والأربعون في قسم قيام الليل	٢٢٥ الباب الثامن والثلاثون في ذكر آداب الصلاة وأسرارها











